UNIVERSAL
LIBRARY
OU-234259
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الكامل)

صحيفة	
٢	(سنة احدى وعشرين)
٢	ذكر وقعة نهاوند
٧	ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما
٧	ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما
٧	ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم
٨	ذكر فتح أصبهان
٨	ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة
٨	ذكر عدة حوادث
٩	(سنة اثنتين وعشرين)
٩	ذكر فتح همذان ثانيا
٩	ذكر فتح قزوين وزنجان
١٠	ذكر فتح الري
١٠	ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان
١٠	ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة
١١	ذكر فتح اذربيجان
١٢	ذكر فتح الباب
١٢	ذكر فتح موقان
١٢	ذكر غزو الترك
١٣	ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة
١٣	ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية ابن موسى والمغيرة بن شعبة
١٤	ذكر فتح خراسان
١٦	ذكر فتح مهرزور والصامغان
١٦	ذكر عدة حوادث
١٦	(سنة ثلاث وعشرين)
١٦	ذكر الخبر عن فتح نوح
١٧	ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما
١٧	ذكر فتح فسا ودارابجرد
١٨	ذكر فتح كرمان
١٨	ذكر فتح سجستان

صحيفة	
١٩	ذكر فتح مكران
١٩	ذكر خبر يزدجرد من الاهواز
٢٠	ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعي والاكراد
٢٠	ذكر الخبر عن مقتل عمر رضي الله عنه
٢٢	ذكر نسب عمر وصفته وعمره
٢٢	ذكر أسماء ولده ونسائه
٢٣	ذكر بعض سيرته رضي الله عنه
٢٧	ذكر قصة الشورى
٣٢	ذكر عدة حوادث
٣٣	(سنة أربع وعشرين)
٣٣	ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة
٣٣	ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد ابن أبي وقاص
٣٣	(سنة خمس وعشرين)
٣٣	ذكر خلاف أهل الاسكندرية
٣٤	ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة
٣٤	ذكر صلح أهل ارمينية واذربيجان
٣٥	ذكر غزوة معاوية الروم
٣٦	ذكر غزوة افريقية
٣٦	ذكر عدة حوادث
٣٦	(سنة ست وعشرين)
٣٦	ذكر الزيادة في الحرام
٣٦	ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن ابي سرح مصر وفتح افريقية
٣٨	ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية
٣٨	ذكر غزوة الاندلس
٣٩	ذكر عدة حوادث
٣٩	(سنة ثمان وعشرين)
٣٩	ذكر فتح قبرس
٤٠	(سنة تسع وعشرين)

صحيفة	
٤٠	ذكر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها
٤١	ذكر انتقاض أهل فارس
٤٢	ذكر الزيادة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
٤٢	ذكر اتمام عثمان الصلاة بمنى وأول ما تكلم الناس فيه
٤٢	(سنة ثلاثين)
٤٢	ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد
٤٥	ذكر غزو سعيد بن العاصي طبرستان
٤٥	ذكر غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف
٤٦	ذكر سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في بئر اريس
٤٦	ذكر تسيير أبي ذر الى الربذة
٤٨	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة احدى وثلاثين)
٤٨	ذكر غزوة الصواري
٤٩	ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار
٥١	ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها
٥٣	ذكر فتح كرمان
٥٣	ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما
٥٤	ذكر عدة حوادث
٥٤	سنة اثنتين وثلاثين
٥٤	ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة
٥٥	ذكر وفاة ابن ذر
٥٦	ذكر خروج قارن
٥٦	ذكر عدة حوادث
٥٦	سنة ثلاث وثلاثين
٥٧	ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة الى الشام

صحيفة	
٦٠	ذكر تسيير من سير من أهل البصرة الى الشام
٦١	ذكر عدة حوادث
٦١	سنة أربع وثلاثين
٦١	ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة
٦٢	ذكر ابتداء قتل عثمان
٦٤	ذكر عدة حوادث
٦٤	سنة خمس وثلاثين
٦٤	ذكر مسير من سار الى حصر عثمان
٧٠	ذكر مقتل عثمان
٧٦	ذكر الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه
٧٦	ذكر بعض سيرة عثمان
٧٧	ذكر نسبه وصفته وكنيته
٧٨	ذكر وقت اسلامه وهجرته
٧٨	ذكر أزواجه وأولاده
٧٨	ذكر أسماء عماله في هذه السنة
٧٩	ذكر الخبر عمن كان يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان
٧٩	ذكر ما قيل فيه من الشعر
٨٠	ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
٨٤	ذكر عدة حوادث
٨٤	سنة ست وثلاثين
٨٤	ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية
٨٦	ذكر ابتداء أمر وقعة الجمل
٩٣	ذكر مسير علي الى البصرة والوقعة
١١٣	ذكر قصد الخوارج سجستان
١١٤	ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة
١١٥	ذكر ولاية قيس بن سعد مصر
١١٧	ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له
١١٨	ذكر ابتداء وقعة صفين

صحيفة	
١٢٣	ذكر عدة حوادث
١٢٤	سنة سبع وثلاثين
١٢٤	ذكر قتلة أمير صفين
١٤١	ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان
١٤١	ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه
١٤٢	ذكر اجتماع الحكمين
١٤٤	ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر
١٤٨	ذكر قتال الخوارج
١٥٠	ذكر مقتل ذى الثدية
١٥١	ذكر رجوع على الى الكوفة
١٥٢	ذكر عدة حوادث
١٥٢	سنة ثمان وثلاثين
١٥٢	ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبى بكر الصديق
١٥٦	ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمى الى البصرة
١٥٨	ذكر خبر الحريت بن راشد وبنى ناجية
١٦٢	ذكر أمر الخوارج بعد النهروان
١٦٢	ذكر عدة حوادث
١٦٢	سنة تسع وثلاثين
١٦٢	ذكر سرايا أهل الشام الى بلاد أمير المؤمنين عليه السلام
١٦٤	ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة
١٦٤	ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة
١٦٤	ذكر غارة الحرث بن نمر التنوخى
١٦٥	ذكر أمر ابن العشبة
١٦٥	ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل
١٦٥	ذكر ولاية زياد بن أمية بلاد فارس
١٦٦	سنة أربعين

صحيفة	
١٦٦	ذكر سرية بسر بن أبى ارطاة الى الحجاز واليمن
١٦٧	ذكر فراق ابن عباس البصرة
١٦٨	ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام
١٧١	ذكر مدة خلافته ومقدار عمره
١٧٢	ذكر نسبه وصفته ونسائه واولاده
١٧٢	ذكر عماله
١٧٣	ذكر بعض سيرته
١٧٤	ذكر بيعة الحسن بن على
١٧٤	ذكر عدة حوادث
١٧٥	سنة احدى وأربعين
١٧٥	ذكر تسليم الحسن بن على الخلافة الى معاوية
١٧٦	ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد
١٧٧	ذكر خروج الخوارج على معاوية
١٧٨	ذكر خروج حوثرة بن وداع
١٧٨	ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله
١٧٨	ذكر شبيب بن بجرة
١٧٨	ذكر معين الخارجى
١٧٩	ذكر خروج أبى مريم
١٧٩	ذكر خروج أبى ليلى
١٧٩	ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة
١٧٩	ذكر ولاية بسر على البصرة
١٨٠	ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية
١٨٠	ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان
١٨١	ذكر خروج سهم بن غالب
١٨١	ذكر عدة حوادث
١٨١	سنة اثنتين وأربعين
١٨٣	ذكر الخبر عن تحرك الخوارج
١٨٣	ذكر قدوم زياد على معاوية
١٨٣	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
١٨٣	سنة ثلاث وأربعين
١٨٣	ذكر مقتل المستورد الخارجي
١٨٨	ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان
١٨٩	ذكر غزوة السند
١٨٩	ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان
١٩٠	ذكر عدة حوادث
١٩٠	سنة اربع وأربعين
١٩٠	ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة
١٩٠	ذكر استلحاق معاوية زيادا
١٩٢	ذكر غزو المهلب السند
١٩٢	ذكر عدة حوادث
١٩٢	سنة خمس وأربعين
١٩٣	ذكر ولاية زياد ابن أبيه البصرة
١٩٤	ذكر عمال زياد
١٩٥	ذكر عدة حوادث
١٩٥	سنة ست وأربعين
١٩٥	ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
١٩٥	ذكر خروج سهم والخطيم
١٩٦	ذكر عدة حوادث
١٩٦	سنة سبع وأربعين
١٩٦	ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج
١٩٦	ذكر غزوة الغور
١٩٦	ذكر مكيدة للمهلب
١٩٦	سنة ثمان وأربعين
١٩٦	سنة تسع وأربعين
١٩٧	ذكر غزوة القسطنطينية
١٩٧	ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد
٧٩٧	ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام
١٩٨	سنة خمسين

صحيفة	
١٩٨	ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة
١٩٨	ذكر خروج قريب
١٩٩	ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة
١٩٩	ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القروان
٢٠٠	ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقيه
٢٠٠	ذكر هرب الفرزدق من زياد
٢٠٢	ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري
٢٠٢	ذكر عدة حوادث
٢٠٢	سنة احدى وخمسين
٢٠٢	ذكر مقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما
٢١٠	ذكر استعمال الربيع على خراسان
٢١٠	ذكر عدة حوادث
٢١٠	سنة اثنتين وخمسين
٢١٠	ذكر خروج زياد بن خراش العجلي
٢١٠	ذكر خروج معاذ الطائي
٢١١	ذكر عدة حوادث
٢١١	سنة ثلاث وخمسين
٢١١	ذكر وفاة زياد
٢١١	ذكر وفاة الربيع
٢١٢	ذكر عدة حوادث
٢١٢	سنة أربع وخمسين
٢١٢	ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد
٢١٢	ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان
٢١٣	ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان
٢١٣	ذكر عدة حوادث
٢١٣	سنة خمس وخمسين
٢١٤	ذكر ولاية ابن زياد البصرة

صحيفة	
٢١٤	ذكر عدة حوادث
٢١٤	سنة ست وخمسين
٢١٤	ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد
٢١٨	ذكر عزل بن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان
٢١٨	سنة سبع وخمسين
٢١٩	سنة ثمان وخمسين
٢١٩	ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم
٢١٩	ذكر خروج طواف بن غلاق
٢٢٠	ذكر قتل عروة بن اذينة وغيره من الخوارج
٢٢١	ذكر عدة حوادث
٢٢١	سنة تسع وخمسين
٢٢١	ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان
٢٢٢	ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها
٢٢٢	ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بني زياد وما كان منه
٢٢٣	ذكر عدة حوادث

الجزء الثالث من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{ وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل }
{ أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره }

١٢١٨٩

(الباب الحادى عشر)

فى ذكر دولة بنى طباطبا بالكوفة واليمن منبع الصفات الحميدة والمنن

ذكر السيوطى فى تاريخه ان أول من قام بالخلافة من بنى طباطبا العلوية الحسنية (ابو عبد الله) محمد بن ابراهيم طباطبا فى جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ومائة وسبب تلقيب جده هذه الطائفة بطباطبا انه كان بلثغ بالقاف فيجعلها طاءا فخطب يوما من الجارية ملبوسا فقالت له تريد فرجية ام قباء فقال لها بل طباطبا يريد قباقبا فلقب بذلك لذلك وقام بالامر فى هذا العصر (الهادى يحيى بن الحسين بن قاسم بن ابراهيم طباطبا) ودعى له بامرة المؤمنين ومات فى ذى الحجة سنة ثمان ومائتين وقام مكانه ابنه (المرتضى محمد) مدة فى سيرة حسنة وتوفى فى سنة عشرين وثلثمائة وقام مكانه أخوه (الناصر احمد) ومات فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وقام بالامر بعده ولده (المنتخب الحسين) وسار سيرة أبيه فى العدل وكانت مدة خلافته ست سنين

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة احدى وعشرين

(ذكر وقعة نهاوند)

قيل فيها كانت وقعة نهاوند وقيل كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وكان الذى هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كانت الفرس ملكهم وهو يزدجرد فجمعوا وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وسلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلها أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان ممن تحرك فى أمره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعنى ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لاضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عبر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فأجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على عليه السلام ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوبح ونعال السيوف وقال سعد انى أول رجل

اهراق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوىه وما جمعهما لاحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام وبنو أسد تزعم انى لا أحسن أصلى وان الصيد يلهينى وخرج محمد بسعد وبهم معه الى المدينة فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى يا سعد قال اطيل الاوليين واحذف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا اباا سحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيننا وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة قال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره فكان سبب نهاوند وبعثها من سعد واما الوقعة فهى زمن عبد الله فتفرقت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه عمر قال له ان أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ينبو فى يديك ولا يكل عليك البك هذا الامر فرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا امير المؤمنين ان تمكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما تقد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز نفرا وأكثر يا أمير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهد برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام اليه على بن أبى طالب فقال اما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينتظروا اليك غدا قالوا هذا امير المؤمنين امير العرب واصلها فكان ذلك اثقل لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا على برجل اوليه وقيل ان طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله اعلم فلما قال عمر اشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لاولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال هو النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جند يسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى

فلما مات قام مكانه أخوه (المختار القاسم) وكان وقورا مهيبا أديبا لبيبا مؤيدا موفقا فكانت مدة خلافته الى ان مات خمس عشرة سنة ولما توفى تولى مكانه أخوه (الهادى محمد) مدة فلما مات تولى مكانه الرشيد العباس وبه انقرضت دولتهم وانعاوت خلافتهم

* الباب الثانى عشر فى ذكر دولة الطبرستانية من الدوحة الحسنية والحسينية *

ذكر السيوطى فى تاريخه انه تداولها ستة رجال ثلاثة من بنى الحسن ثم ثلاثة من بنى الحسين فأول من قام منهم داعيا الى الحق والى الطريق القويم (الحسن ابن زيد) بن محمد بن اسمعيل ابن الحسن بن زيد الجواد ابن الحسن بن على بن أبى طالب سنة خمس وثمانين ومائتين بالرى والديلم ثم قام أخوه (القائم بالحق محمد) وقتل سنة ثمان وثمانين فقام حفيده (المهدى الحسن بن زيد بن القائم بالحق) وقام بعده (محمد بن الحسن)

* الباب الثالث عشر فى ذكر جرهم بالحجاز وما سلك كل منهم من المحاسن وحاز *

ذكر المسعودى فى مروج

الذهب ان ابراهيم عليه السلام لما أمكن ولده اسمعيل بمكة مع امه هاجر واستودعهما خالقه أمر ابراهيم عليه السلام هاجر ان تتخذ عليه عريشا يكون لها مسكنا وكانا وكان من ظمأ اسمعيل وهاجر ما كان الى ان اتبع الله لهما زمزم واخط الشجر واليمن فتفرقت العمالیق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والديار المخصبة وأميرهم السميدع فاشرف روادهم لطلب الماء على الوادي فنظروا الى العريش وفيه هاجر واسمعيل فنزلوا مستبشرين بما اصابوا من نور النبوة وموضع البيت واستقروا الى ان وقع التنازع بين قحطان وبين جرهم بسبب انهم كثروا وضاقت عليهم أرض اليمن فطردوا جرهم فاقبلوا حتى نزلوا بقرب مكة فارسلوا الى العمالیق وقالوا نحن أحق منكم بهذا المكان لانا أقرب قرابة من اسمعيل وامس به رحما لانا نلتقي نحن واياه الى هود عليه السلام وأنتم لا تلتقون معه الا الى سام بن نوح عليه السلام فاخرجوا عن هذا المكان فقال العمالیق عند ذلك ان هذا المكان

ماء انجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وقيل بل كان النعمان بكسكر فكتب الى عمر يسأله ان يعزله ويبعثه الى جيش من المسلمين فكتب اليه عمر يأمره بنهاوند فسار فكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا في الدين ويدركوا حظا فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم المقترب وحرملة وزرفاقا وا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهلها نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وعمرو بن ثني وهو ابن أبي سلمى ليأتوه بخبرهم وخرجوا وسار وا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما رجعك فقال لم أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم فاعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لاحرز العجم الطماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فرحل النعمان وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند وكل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة فضربوه منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر وغيرهم فلم يريدوا بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس باظهر لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج تخاف المسلمون ان يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع يجتمع أهل الرأي من المسلمين وقالوا نراهم علينا باظهر وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي رووا فيه فاخبروه فبعث الى من بقي من أهل النجدات والرأي فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فما الرأي الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثني وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان

فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فرد واعليه رأيه وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فرد واجميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا وقال طليحة أرى ان نبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فاخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد قد وثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم ببعض كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واعتمها الاعاجم فقعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالخف من الرمن وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما ننتظر بهم ائذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدي حذيفة فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني أسألك ان تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه فكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رزقه الله فرسه فصرع وقيل بل رمي بسهم في خاصرته فقتله فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها وتقدم الى موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصابه أمركم حتى تنتظروا ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض فيقاد واحد فيتثلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل قتل في اللهب ثمانون الفا وفي المعركة ثلاثون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع تدامه فادركه بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلم يجد

ارث لنا عن جدنا معاوية بن بكر وهو أول من سكن هذا المكان عند مهلك عاد بالريح العقيم فلم يسلموا وتأهبوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فغلبتهم بجرهم واحتووا عليه وقطنوه ونفوا العماليق عنه وكان رئيسهم مضاض بن عمرو فرأسوا عليهم اسمعيل عليه السلام وعرفوا فضله وزوجوه امرأة من أشرافهم ذكر صاحب المختصر في أخبار البشر ان المؤرخين قسمت العرب الى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة (اما البائدة) فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتصل اسمعيل عليه السلام ولم يبق من العرب البائدة الا القليل (واما العرب العاربة) فهم عرب اليمن من ولد قحطان (واما العرب المستعربة) فهم ولد اسمعيل عليه السلام لان أصل لسان اسمعيل كان عبرانيا فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة

أجمع النسابون على ان
اليمن كلها من ولد قحطان
وكان لقحطان من الولد
أحد وثلاثون ولدا ذكورا
وأمهم امرأة واحدة
وكانوا نزولا ببعض بلاد
الهند فلما هلكت عاد
وبادت وقد بقي من عقبهم
بمكة طائفة وهم عاد الاخرى
هلكوا وفي الحديث انهم
مسخوا نسناسا لكل
نسناس منهم يد ورجل من
شق واحد ينقزون كما ينقز
الطائر ويرعون كما ترعى
البهائم وقيل اولئك انقرضوا
والموجود من النسناس
خلق على حدة وليس منهم
واختلف الناس في قحطان
فحكى هشام بن الكلبي
عن أبيه ان قحطان بن
الهميسع بن نابت بن اسمعيل
الذبيح بن ابراهيم عليه
السلام وكان جرهم الثاني
اخا يعرب بن قحطان فملك
(يعرب) اليمن وملك أخوه
(جرهم) الحجاز ثم ملك بعده
ابنه (عبد ياليل بن جرهم) ثم
ابنه (جرشم) فلما هلك ملك
ابنه (عبد المدان بن جرشم)
ثم ابنه (نفيلة بن عبد
المدان) ثم ابنه (عبد
المسيح بن نفيلة) ثم ابنه
(مضاض بن عبد المسيح)
تولى الملك مائة سنة ثم ابنه

طريقا نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلا فادركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والاثاث وجمعوا الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وانتظروا من بنهاوند ما يأتيهم من اخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فابلغ حذيفة فقال اتؤمنني ومن شئت على ان أخرج لك ذخيرة الكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا ففيما في سفطين فارسلهما مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نقل منها وأرسل الباقي مع السائب بن الاقرع الى السقي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان هلك هذا الجيش فاذهب فيما بين الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين أودعهما عنده الخبر جان فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتها معي وقدمت على عمر وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من أين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيته فقال ما وراءك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتفه قال فلما رأيت ذلك وما بي قلت يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال فذهلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث في أثري رسولا فما أدركني حتى دخلت الكوفة فانخت بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الى ومالي وللسائب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا فيقولون لتكوينك بهما فأقول اني ساقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فباعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ولما قدم سبي نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح

رأسه

رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبدى وكان من نهاوند فأسرته الروم واسره المسلمون من الروم فنسب الى حيث سبى وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاءه مدد على بعث أهل البصرة فمر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث المسايب بن الاقرع الثقفى الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا وقيل انه وجه المسايب من الاهواز ففتح ولايه مهرجانقذف

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فافتدوا بخشرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول واجمعوا على اتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك وكان اشرفهم فارن وقال لاتلاقوهم فى جماعكم ففعلوا وخالفهم فأتاهم فى الديباج والحلى فأعطاهم حاجتهم واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته والدخول فى أمره فقيل ماه دينار لذلك وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسب الى بهزاذان وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد بلأ اليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت الى النسير وهو تصغير نسر قيل دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال يا أهل الكوفة انكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن وقدر مقتكم فرأيت ذلك فى مولدتكم فعلمت من اين أتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز.

﴿ ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم ﴾

وفيها امر عمر المسلمين بالانسياح فى بلاد العجم وطلب الفرس اين كانوا وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وقد تقدم ذكره وسبب ذلك ما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى فوجه الامراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار امير ان أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفى زمانه كانت وقعة نهاوند والآخر زياد بن حنظلة حليف بنى عبد بن قصى وفى زمانه امر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث فى وجه آخر وولى زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلا والح فى الاستعفاء فاعفاه عمر وولى عمار بن ياسر وكتب معه الى أهل الكوفة انى بعثت عمارا أميرا وجعلت معه ابن مسعود معلما وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمر الى الكوفة وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبى موسى وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء الى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان

(عمرو بن مضاض) ثم تولى اخوه (الحرث بن مضاض) مائتى سنة ثم ابنه (عمرو بن الحرث) مائة وعشرين سنة ثم أخوه (بشر بن الحرث) تولى الملك مدة ثم (مضاض الاصغر) مدة أربعين سنة وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم اسمعيل عليه السلام ونزلوا عنده بمكة وتزوج منهم اسمعيل عليه السلام ولما بغت جرهم فى الحرم وطغت بعث الله عليهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصار واذا قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم فاخرجوهم من مكة فلحقوا ببلاد جهينة فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بأجمعهم وفى خروجهم من مكة يقول عمرو بن الحرث فى قصيدته التى منها

وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

وبانقراض جرهم انقوضت العرب العاربة ولم يبق من

العرب الامن كان من عدنان وقحطان

الباب الرابع عشر فى ذكر دولة الحسنية والدوحة الزكية الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة المنورة

ذكر القلقشندى فى نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب ان المهدى بن محمد ابن عبد الله الكامل بويع له بالخلافة بمكة فى آخر الدولة الاموية ثم ظهر بالحجاز بنو الاخيضر فى سنة احدى وخمسين ومائتين فاستمرت بأيديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة سبع عشرة وثلثمائة وفى عمدة الطالب ان يوسف الاخيضر بن ابراهيم بن موسى الجون اعقب ثلاثة أولاد منهم (اسمعيل بن يوسف) ظهر بالحجاز وتسمى بالسفاك سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قصد مكة وغلب عليها أيام المستعين وغور العيون واعترض الحاج فقتل منهم جمعا كثيرا ونهبهم ثم مات على فراشه فجأة فى ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولا عقب له ثم قام أخوه (محمد بن يوسف) بعد وفاته وسار فى سيرته فى السفك والنهب فارسل المعتز للسفاح الاشترفى عسكر ضخم فهرب منه محمد

فاذا فتحها سار الى ماوراءذلك الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل وبعث عبد الله بن عبد الله الى أصبهان وامّر عمر سراقة على البصرة

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

وفيها بعث عمر اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبنى الحبلى وأمّده بابى موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحى وعصمة بن عبد الله فساروا الى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ماسقت دجلة وماوراءها وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان وعلى جندها الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير فى جمع عظيم ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحى فقتله وانهزم أهل أصبهان فسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة أصبهان فانتهى اليها والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وان على من أقام الجزية واقام على ماله وان يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز وقد صالح فخرج القوم من جى ودخلوا فى الذمة الاثلثين رجلا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا وكتب بذلك الى عمر فقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سرحتى تقدم على سهيل بن عدى فتكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل الى كرمان قيل وقد روى عن معقل بن يسار ان الامير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن وان عمر ارسله من المدينة الى اصبهان وكتب الى أهل الكوفة ان يمدوه فسار الى اصبهان وبها ملكها ذو الحاجبين فأرسل اليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهزم أصحابه قال معقل فأتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه عمامتى فلما انهزم المشركون أتيته ومعى اداوة فيها ماء فغلست عن وجهه التراب فقال ما فعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله ومات هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان

﴿ ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمارا عمر بن الخطاب فولى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له لا تذكره لاحد فسمع المغيرة بن شعبة ان عمر خلا بجبير فأرسل امرأته الى امرأة جبير بن مطعم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت نعم ما حييتنى به فلما علم المغيرة جاء الى عمر فقال له بارك الله لك فيمن وليت واخبره الخبر فعزله وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر وقيل ان عمارا عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده ابو موسى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قيل

قيل وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين وقيل سنة عشرين كان الامراء في هذه السنة عمير بن سعد على دمشق وسوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية وقلقية ومعرة مصرين وعند ذلك صالح ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة على قلقية وانطاكية ومعرة مصرين وفيها ولد الحسن البصري والشعبي وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك وكان على الكوفة عمار بن ياسر وشريح على القضاء وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثا الى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدي فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان وفيها مات حمة وهو من الصحابة بأصبهان بعد فتحها والعلاء ابن الحضرمي وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى الى عمر بن الخطاب وقيل مات سنة ثلاث وعشرين وقيل مات بالمدينة والاول اصح

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين﴾

في هذه السنة افتتحت اذربيجان وقيل سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان والري وجرجان فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر اذربيجان بعدها

﴿(ذكر فتح همذان ثانيا)﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها امر خشر شنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة الى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن على تعبية الى همذان فاستولى على بلادها جميعا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقد قيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر فبينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفا من الجند كاتب الديلم وأهل الري اذربيجان اذ خرج مونا في الديلم حتى نزل بواج روذ وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري وأقبل اسفندياذ أخو رستم في أهل اذربيجان فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا الى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج اليهم فاقتتلوا بواج روذ قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون فأرسلوا الى عمر مبشرا فأمر عمر نعيما بقصد الري وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

﴿(ذكر فتح قزوين وزنجان)﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همذان فتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوين وأمره أن يسير اليها فان فتحها غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم قبل من دستبى فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فآمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى

وسار الى اليمامة فملكها وملك أولاده بعده فيقال لهم الاخيضريون وبنو يوسف أيضا وتولى الامرة بعده (محمد بن الحسن بن يوسف) ثم ولده (أبو جعفر أحمد بن الحسن) ثم تولى بعده ولده (أبو عبد الله محمد ابن أحمد) ولم تزل بيده الى أن غلب عليها القرامطة وتولى أيضا (صالح بن اسمعيل بن يوسف) ثم استقل بملك مكة بعد نواب بني العباس بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وملك بعض من هؤلاء معها المدينة وجمعوا الحرمين ثم انقرض الملك منهم لان آخرهم شكر لم يعقب وغلب عليها بنو هاشم وكانت وفاة شكر في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وله شعر حسن منه

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة
فالمندل الرطب في أوطانه حطب

ثم استقل بملك مكة الهواشم وأول من ملك منهم (أبو هاشم محمد) العلوي الحسني ثم توفي محمد المذكور سنة

الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يعتدون بدافلما رأى اهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر وقال بعض المسلمين

قد علم الديلم اذ تحارب * حين أتى فى جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب * فكم قطعنا فى دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

﴿ ذكر فتح الرى ﴾

ثم انصرف نعيم من واج روذ حتى قدم الرى وخرج الزينبى أبو الفرخان من الرى فاتى نعيما طالبا الصلح ومسالما له وتخالف الملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين فاستقدم سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه وخوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى الى جنب مدينتهم فاقتتلوا به وكان الزينبى قال لنعيم ان القوم كثير وأنت فى قلة فابعث معى خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبى المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالرى نحوا مما فى المدائن وصالحه الزينبى على الرى وحرزية غلبهم نعيم فلم يزل شرف الرى فى اهل الزينبى وأخرب نعيم مدينتهم وهى التى تقال العتيقة وأمر الزينبى فبنى مدينة الرى الحديث وكتب نعيم الى عمر بالفتح وأنفذ الاخماس وكان البشير المضارب العجلى وراسله المصقعان فى الصلح على شئ يقتدى به منه على دنباوند فأجابه الى ذلك وقد قيل ان فتح الرى كان على يد قرظة بن كعب وقيل كان فتحها سنة احدى وعشرين وقيل غير ذلك والله أعلم

﴿ ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان ﴾

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الرى كتب اليه عمر يامره بارسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملى وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سالما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فأجابهم الى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك ثم سار سويد الى جرجان فعسكر بها بسطام وكتب الى ملك جرجان وهو زرنان صول وكاتبه زرنان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وان يعينه سويد ان غلب فأجابه سويد الى ذلك وتلقاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبى الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين وقيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل سنة ثلاثين زمن عثمان قيل وراسل الاصبهبد صاحب طبرستان سويدا فى الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيأ على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وكتب له كتابا

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة ﴾

سبع وثمانين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة وملك بعده ابنه (قاسم بن أبى هاشم محمد) وتوفى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وولى بعده ابنه (فليتة بن قاسم) وتوفى فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وولى مكانه ابنه (قاسم بن فليتة) فلما قرب الحاج من مكة أحس بالشر فصادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكانه عمه (عيسى بن قاسم ابن ابى هاشم) فبقى الى شهر رمضان ثم ان قاسما المذكور جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى وعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضى به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل ابى قبيس فسقط عن فرسه فأخذه اصحاب عمه فقتلوه ودفن بالمعلاة عند ابيه واستقرت امرة مكة لعيسى ثم توفى عيسى وولى مكانه ابنه (داود بن عيسى) وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخذ داود المذكور اموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية وان يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجي وأصحابه مسالك بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يقلت الروم الا بما خف معهم في مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا في المنازل عمرو على طرابلس فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جند عمرو عساكر كثيفا وسيره الى سبرة فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها لواتة وهم من البربر وكان سبب مسير البربر اليها والى غيرها من الغرب انهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البربر وطلبوا الغرب حتى اذا انتهوا الى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة وتعرف قديما بانطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة الى مدينة سبرة وجبلا من كان بها من الروم لذلك وقام الافارق وهم خدم الروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

قال فلما افتتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري واسمه يأبى دجانة عمدا لبكير بن عبد الله باذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه باذربيجان فاقتتلوا فهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك أم الحرب قال بل الصلح قال امسكني عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجيء اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة عمدا واسفنديار في اساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بالخمس والمجمع

الحجر الاسود وكان ذلك قد لم شعثه حين ضربه القرمطي بالدبوس وكان اخوه مكثر قد بنى على جبل ابي قبيس قلعة تحصن بها عند انهزامه من اخيه داود فلما بلغ صاحب مصر خبر داود عزله وولى مكانه اخاه (مكثرا) وامره بنقض القلعة التي على جبل ابي قبيس ومازالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة ثم غلب على الملك بنو قتادة الذين منهم امراء مكة والمدينة المنورة وينبع الآن وهؤلاء غير الثعالبة التي بالينبع فانهم بنو صرحة بن ادريس وكان من امر قتادة ان قتادة بن ادريس كان شيخا طويلا مهيبا جليلا شهما شجاعا وكانت له قلعة الينبع فلما رأى ضعف الهواشم غلب عليهم واقتلع مكة من يد مكثر المذكور وهو آخر امراء الهواشم بمكة في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستكثر جنده وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى المدينة المنورة وكان قتادة لا يخاف من احد من الخلفاء والملوك ويرى انه احق بالامر منهم وكتب اليه الناصر لدين

عمر امتنع عمال بكير كتب لاهل اذربيجان كتابا بالصلح وفيها قدم عتبة على عمر بالخميس الذى كان أهدى له وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يمنعهم بذلك عن الظلم

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

فى هذه السنة كان فتح الباب وكان عمر ردّ أبا موسى الى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على احدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثى وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان عمر قد أمدّ سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى أفسد بنى اسرائيل وأغزى الشأم بهم فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال انى بازاء عدو كاب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى الحسب ولست من الفتح ولا الارمن فى شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا منكم ويدى مع أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم قال فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح الى عمر وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام وعد لهم مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتتح أحد من أولئك القوّاد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار وكان فتحها سنة احدى وعشرين ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك (أسيد فى هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين والنون فى الموضعين بالراء)

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ما تريد ان تصنع قال أريد غزو بلنجر والترك قال انا نرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا أقواما لو يأذن لهم أمير لنا فى الاقعصان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيروهم من يظلمهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما أجرأنا علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من

الموت

الله صاحب مصر كاتبا يستدعيه فكتب اليه هذه الابيات

ولى كف ضرغام اصول ببطشها
وأشرى بها رقراق لورى وابيع
وكل طويل الارض يلثم ظهرها
وفى وسطها للمجد بين ربيع
أأجعلها تحت الرهان وأتقى
خلاصالها انى اذا لرقيع
وما انا الا المسك فى كل بقعة
يضوع واما عندكم فيضيع
وكان عادلا منصفا ذا نعمة ثم عكس هذا الامر فى آخر عمره واحدث المكوس ونهب الحاج غير مرة فقتله ابنه الحسن وكان له من العمر نحو تسعين سنة فلما استقر الملك (للحسن) المذكور ارسل الى اخيه الذى بقلعة ينبع على لسان ابيه يستدعيه فلما حضر اخوه عنده قتله ايضا وارتكب امرا عظيما بقتل ابيه وعمه واخيه فلا جرم ان الله تعالى سلب ملكه ولم يمهله وكان لقتادة ابن آخر يقال له رواج وكان مقيما عند العرب بظاهر مكة شارع اخاه الحسن فى امرة مكة فلما قدم الملك معوله بن قيس مكة فى رابع ربيع الاول سنة ست وعشرين وستمائة لقيه حسن بن قتادة فى

الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحا لهم فزادهم فسادا فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فقد أمرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى منادٍ من الجوصبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية سلمان بن ربيعة اخوه فقاتل بها ونادى منادٍ من الجوصبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس معه ابو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من الحج مسجد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة ﴾

في هذه السنة عدل عمر فتوح اهل الكوفة والبصرة بينهم وسبب ذلك ان عمر بن سراقة كتب الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة اهل البصرة ويحرضه اجهم عنهم وسأله ان يزيدهم احد الماهين أو ماسبذان وباغ أهل الكوفة ذلك وقالوا لعمار بن ياسر وكان على الكوفة أميرا سنة وبعض أخرى اكتب الى عمر ان رامهرمز واينج لنا دونهم لم يعينونا عليها ولم يطعنونا حتى افتتحناها فلم يفعل عمار فقال له عطارد أيها العبد أجدع فعلام ندع فيئنا فقال لقد سببت أحب أذني الي فأبغضوه لذلك واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة واذعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمده عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فانشبنا كم في المغانم والذمة ذمتنا والارض أرضنا فقال عمر صدقوا فقال اهل الايام والقادسية ممن سكن البصرة فلتعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم فاعطاهم عمر مائة دينار رضا أهل الكوفة أخذها من شهد الايام والقادسية ولما ولي معاوية وكان هو الذي جند قنسرين ممن أتاه من اهل العراقين أيام علي وانما كان قنسرين رستاقا من رساتيق حمص فأخذها معاوية حين ولي بنصيبهم من فتوح العراق واذربيجان والموصل والباب لانه من فتوح أهل الكوفة وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ نافلة انتقل اليها كل من نزل بها من أهل البلدين أيام علي فاعطاهم معاوية من ذلك نصيبا وكفر اهل الرصيفة أيام معاوية وقد أمّر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له

﴿ ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبة ﴾

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى وسبب ذلك ان أهل الكوفة شكوه وقالوا له انه لا يحسن ما هو فيه وانه ليس بأمين ويرأبه اهل الكوفة فدعاه عمر فخرج معه وفد فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا انه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدري على ما استعملته وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وجرير بن عبد الله فسعيا به فعزله عمر وقال عمار لعمر ما راعك مني قال العزل قال ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت فقال له قد علمت ما انت به صاحب عمل ولكني تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض

المسمى وقاتله ببطن مكة فانهزم الحسن وملك (المعواد) مكة واستولى عليها وذاق الحسن وبالي امره بقتل ابيه وعمه واخيه وولي (الصمين) بمكة والياً من قبله وعاد الى اليمن ومضى الحسن الى دمشق فلم ير بها وجها ثم مضى الى بغداد فلم ير بها ايضا قبولا بل أراد قتله ولم تزل مكة في ولاية اقسيس حتى مات سنة ست وعشرين وستمائة ولما تغلب على اليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول جهز العساكر الى مكة المكرمة ووليها (الشريف راجح بن قتادة) واستمر امرها الى عام سبع وأربعين وستمائة فولى امرة مكة المشرفة (ابو سعد حسن بن علي بن قتادة) واستمر أبو سعد المذكور في ذلك الى ان قتل في شوال سنة احدى وخمسين وستمائة قتله جماعة واستقر في الامرة (جماز بن حسن بن قتادة) ثم عاد اليه راجح بن قتادة ثم أخذها من راجح ولده (غانم ابن راجح) ولم تزل مكة مع غانم بن راجح حتى اخذها منه (ادريس بن حسن بن قتادة) وأبو نمي محمد بن حسن ابن علي بن قتادة) في الخامس والعشرين من شوال عام

ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ثم اقبل عمر على اهل الكوفة فقال من تريدون قالوا اباموسى فأقره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا ان غلامه يتجر في جسر نافعزله عنهم وصرفه الى البصرة وصرف عمر بن سراقة الى الجزيرة وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين الا من عظيم فقال وأي شيء اعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل وأتاه اصحابه فقالوا ما شأنك فقال ان اهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان اسلامه لنفسه وضعفه عليك واما القوي المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين فولى المغيرة الكوفة فبقي عليها حتى مات عمر وذلك لنحو سنتين وزيادة وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر ان يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فارضى به

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

وفي هذه السنة غزا الاحنف بن قيس خراسان في قول بعضهم وقيل سنة ثمان عشرة وسبب ذلك ان يزدجرد لما سار الى الري بعد هزيمة اهل جلولاء وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد يا ابان تغدرني قال لا ولكن قد تركت ملكا فصار في يد غيرك فاحببت ان أكتب على ما كان لي من شيء وأخذ خاتم يزدجرد واكتب الصكاك بكل ما احببه ثم ختم عليها وردّ الخاتم ثم أتى بعد سعد افرد عليه كل شيء في كتابه وسار يزدجرد من الري الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار معه ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من ان يؤتى ودان له من بقي من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأتاه اهل فارس فنكثوا وأثاروا اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس فسار الاحنف الى خراسان فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها حمار بن فلان العبدي ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به امداد اهل الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان من هرب وثبت على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال علي ولم يا امير المؤمنين قال لان اهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيحتاجون (٣) في الثالثة فكان ذلك بأهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه والماء بين يزدجرد النهر

اثنين وخمسين وستمائة ثم أخذها من المذكورين برطاش قاصد صاحب اليمن في ذي القعدة من السنة المذكورة ثم أخرجه منها الشريف ثمان المذكوران ادريس وأبو نمي ثم أخرج ابو نمي ادريس من مكة واستقل بالامرة ثم حصلت المشاركة بينهما ثم قتل ابو نمي ادريس في حرب كان بينهما بخليص وانفرد أبو نمي بالامرة حتى أخرجه منها (جماز بن شجعة الحسيني) صاحب المدينة (وغانم بن ادريس بن حسن بن قتادة) صاحب ينبع في صفر سنة سبعين وستمائة ثم عاد (أبو نمي) الى مكة المكرمة بعد أربعين يوما واستمر فيها الى ان أخرجه ثانيا (جماز بن شجعة) بمعاونة امير المنصور قلاوون صاحب مصر والشام وخطب لجماز المذكور وضربت السكة باسمه وبطل ذلك بعد مدة يسيرة من السنة المذكورة وعاد الشريف ابو نمي الى مكة ولم يزل بها حتى تركها لولديه (حميضة ورميثة) قبل وفاته بيومين وكانت وفاته في رابع شهر صفر عام احدى وسبعمائة ومدة ملكه قريب من خمسين سنة واستقر حميضة ورميثة

مهزوما انجحده خاقان في الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو أيضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين يتقيان علفا واحدهما يقول لصاحبه لو أسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله فرجع فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفي الليل ينحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فقتله وأخذ طوقه ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فقتله وأخذ طوق التركي ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فقتله فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءموا خاقان وتطيروا فقال قد طال مقامنا وقد أصيب فرساننا مالنا في قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا وأتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فأكون معه او بالصين قالوا له ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء هم اهل دين وان عدوا يلينا في بلادنا أحب الينا مما لكه من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم فأبى عليهم فقالوا دع خزائنك نزدها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلاد الترك فلم يزل مقيما زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك في موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلادهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بسلامة المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم قادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة في كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لحق وارسول يزدجرد الذي أرسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لي هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فاني ارى لك ذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير عندهم وشر فيكم فقات سلفي عما

نزل الخاصة والمنازعة في الامرة بين الاخوين حيضة ورميثة وأبو الغيث وعطيفة فمنهم من قتل ومنهم من مات حتى انتقلت امرة مكة لبني (عجلان بن رميثة) في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ثم شاركه أخوه ثقبة بن رميثة فمات عجلان وولي مكانه ولده (أحمد بن عجلان) ولم يزل أحمد اميرا بمكة المكرمة حتى مات في العشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وولي بعده ابنه (محمد بن احمد بن عجلان) وكان قوي النفس عالي الهمة شجاعا ولما توفي تولى عمه (كبيش بن عجلان) فقتل وتولى مكانه (علي بن عجلان) وشريكه (عنان بن مغامس بن عجلان) ثم انهما توجها الى مصر واعطى الملك الظاهر عليا ما لا وخيلا ورجع الى مكة وسار سيرة حسنة واقام عنان بمصر معزولا مسجونا في القلعة حتى مات بها وكانت مدته ثمان سنين وشهرين وقرر مكانه اخاه (حسن بن عجلان) وخطب له على منبر المدينة المنورة وفي سنة اثنتين وثمانمائة في عاشر جمادى الاولى حصل بمكة في الليلة العاشرة مطر عظيم حتى هجم السيل

وبلغ الماء الى الباب ودخل البيت الشريف وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة وفي هذه السنة في شوال وقع بالحرم

وثمانمائة فعزله السلطان
وعين مكانه (علي بن مبارك بن
رميثة) ولم يتم أمره ومات
وعاد الى الملك (حسن بن
عجلان) المقدم ذكره وفي
ربيع الاول سنة ثمان عشرة
وثمانمائة عزل الشريف
حسن وولى مكانه ابن أخيه
(رميثة بن محمد بن عجلان)
فلما بلغ حسنا خبر العزل
أخذ من التجار المقيمين بمكة
اموالا عظيمة وعاد الى
الامرة وعزل رميثة فوقع
الحرب بين حسن وبين
رميثة وغلب حسن واستقر
في الامرة شريكا مع ولده
(بركات) وفي سنة سبع
وعشرين صرف الحسن
عن الامرة وولى عوضه
(علي بن عنان بن مغامس) وفي
أواخر سنة تسع وعشرين
اعيد الحسن الى امرة مكة
فاتفق انه مات يوم الخميس
سادس عشر جمادى الآخرة
من هذه السنة وقدم ولده
الشريف بركات من مكة
الى القاهرة والتزم كل سنة
بأن يحمل عشرة آلاف
دينار وان يكون مكس
جدة وما يحصل من
مراكب الهند يكون
لصاحب مصر فمضى
(بركات) والي على مكة
وكان حسن السيرة في
الناس ولما مات الاشرف واستقر الظاهر جقمق بمصر

أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى
واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبنا اجروا نا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف
طاعتهم امراءهم قلت أطوع قوم وأرشده هم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل يحلون
ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال فان هؤلاء القوم لا يزالوا ان على ظفر حتى يحلوا
حرامهم او يحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل
العراب ووصفتها له فقال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال
هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند أوله
بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو
حاولون الجبال لهدوها ولو خلالهم سربهم أزالوني ما داموا على وصف فالهم وارض منهم
بالمسالمة ولا تهيجهم مالم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما
وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله في
خطبته على انجاز وعده ثم قال الا وان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا
يضر بمسلم الا وان الله قد أورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا
تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لا أخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم وقيل ان فتح
خراسان كان زمن عثمان وسيرد هنالك

﴿ ذكر فتح شهرزور والصامغان ﴾

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد
فقصها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح
اهل الصامغان ودار اباذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان
فتوحي قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم يزل شهرزور واعمالها
مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين وفيها ولد يزيد
ابن معاوية وعبد الملك بن مروان وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على
الامصار فيها عماله في السنة قبلها الا الكوفة فان عامله كان عليها المغيرة بن شعبة والا البصرة
فان عامله عليها صار أبا موسى الاشعري

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ﴾

قال بعضهم كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين وقيل كان فتحها بعد توج الآخرة

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراءهم عليها وكان معها سارية بن زنيم الكناني
فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه امير الى الجهة التي أمر بها
وبلغ ذلك اهل فارس فافترقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت

أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود اسابور وارد شير خرّه فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ماشاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما فى عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وهذه توج الاخرة والاولى هى التى استقدمتها جنود العلاء بن الحضرمى أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وارسل مجاشع ابن مسعود السلمى بالبشارة والاخماس الى عمر بن الخطاب

﴿ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ﴾

وقصد عثمان بن ابى العاص الثقفى لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فاجتمعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقى فى الناس وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرّجان وفتحا سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع فى آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن أبى العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما فى المعركة بينهما وبين قريته لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ يا بنى أين يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك فقال له يا أبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا نكون الا فى المنزل وما أراهم يتركونا فما فرغا من كلامهما حتى شب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن أبى العاص أخو عثمان وقيل قتله سوّار بن همام العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وقيل ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الاخرة سنة تسع وعشرين وقيل ان عثمان بن أبى العاص أرسل أخاه الحكم من البصرة فى ألفين الى فارس ففتح جزيرة برکاوان فى طريقه ثم سار الى توج وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك وكان الجارود وأبو صفرة على مجنبتى المسلمين وأبو صفرة هذا هو والد المهلب فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود أيها الامير فردا الجند فقال ستترى أمر شهرك قال فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤس فرأى المعكبر رأس صاحبهما فقال أيها الامير هذا رأس الازدهاق يعنى شهرك وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنبان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر ومات عمر وبعث عثمان ابن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله ان ارزنبان يريد الغدر به فقال له أحب ان تتخذ لاصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الجفنة التى تليق فانى أحب أن أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ارزنبان فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه عهدا وأصابت عبيد الله منجنيق فأوصاهم وقال انكم ستفتحون هذه المدينة ان شاء الله فاقتلوهم لى ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا ومات عبيد الله بن معمر وقيل ان قتله كان سنة تسع وعشرين

﴿ ذكر فتح فساودارابجرد ﴾

عزله وولى مكانه أخاه (علما) أميرا على مكة عوضا عن أخيه بركات وفى سنة خمسين وثمانمائة توجه السيد محمد بن بركات الى القاهرة لاعادة الامرة لابيه الشريف (بركات) فأجيب لذلك وأعيد وكان ملكا شهما عارفا بالامور واستمر متوليا على مكة المكرمة الى عام تسعة وخمسين وثمانمائة فمات وتولى مكانه (محمد بن بركات) وحصل للناس فى أيامه الامن الزائد وكان عاقلا بشوشا عفيفا أديبا شجاعا وفوض اليه نيابة السلطنة بالاقطار الحجازية والاستنابة فى المدينة المنورة وينبع من يختاره وصرح باسمه على منابر الحرمين بعد السلطان وتوفى فى شهر محرم سنة ثلاث وتسعمائة وخلف ستة عشر ولدا ذكرا وتولى مكانه الشريف (بركات بن محمد بن بركات) وكان قائم الناموس وافر الحرمة والحشمة واستمر فى الامارة الى أن وقعت كائنة فى موسم عام ست وتسعمائة حصل بسببها استيلاء الشريف (هزاع بن محمد بن بركات) على مكة المشرفة ثم مكث بها مدة وتولى مكانه الشريف (جازان بن محمد) فى أوائل سنة ثمان وتسعمائة ولم يزل

وقصد سارية بن زنيم الدثلى فساوداربجرد حتى انتهى الى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استقدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام فقال يا أيها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بمحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل عليهم وقال ان الله جنود اولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله واصاب المسلمون مغانمهم واصابوا فى الغنائم سفاطفيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل الى عمر فقدم على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس وأكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل أتاك رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند ويقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين انى قد انضيت جملى واستقرضت فى جائزتى فأعطنى ما أتبلغ به فما زال به حتى أبدله ببعير من ابل الصدقة وجعل بعيره فى ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

ثم قصد سهيل بن عدى كرمان ولحقه أيضا عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا فى ادانى أرضهم ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمر والمجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء فقووا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فأجابهم اذا رأيتم ان فى البخت فضلا فزيدوا وقيل ان الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال أقطعنى الطبسين فأراد أن يفعل فقيل انها رستاقان فامتنع عمر من ذلك

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فاقتتلوا هم وأهل سجستان فى أدانى أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ماء ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم ان فداقدها حتى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا قيم أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فرجا يقاتلون القندهار والترك واعما كثيرة فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من اخيه رتبيل الى بلد

فيها

بها الى أن قتل فى شهر رجب وأقيم عوضه الشريف (حميضة) واستمر مقيما بها الى ان وصل الخبر بتفويض الامر الى الشريف بركات المشار اليه ولمن يختاره فاختار تقديم اخيه الشريف (قايتباى) فى امرة مكة المشرفة واشرك معه ولده الشريف (على ابن بركات) نائبا عنه وكان يدبر جميع الامور بنفسه ولما توفى ولده الشريف على استقر عوضه فى النيابة عن عمه اخوه الشريف (محمد) الشافعى واستمر الى أن توفى واستقر عوضه اخوه الشريف (ابو نمى بن بركات) واستمرت الاحوال على أحسن نظام الى ان قدر الله وفاة الشريف قايتباى فعن للشريف بركات ان يقدم نجله السعيد الشريف اياتمى فجهزه الى القاهرة وافدا على السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى فأعاده محبورا منصورا واستقر فى النيابة عن والده واستمر والده فى امرة مكة والمدينة وينبع وسائر الاقطار الحجازية يتصرف فيها كيف يشاء وهذا ما وجد فى التواريخ المستفادة فيمن ولى مكة من آل قتادة وفى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة توفى

فيها يدعى آمل ودان اسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان وعقد لهم وأنزلهم البلاد وكتب الى معاوية بذلك يرى انه فتح عليه فقال معاوية ان ابن أخي ليفرح بامارته ليعزنني قال ولم يا أمير المؤمنين قال ان آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فاذا اضطرب الجبل غدروا فأهون ما يجيء منهم انهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصر من بها حتى أتتهم الامداد من البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة وكانت تلك البلاد مذللة الى ان مات معاوية وقيل في فتح سجستان غير هذا وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح مكران ﴾

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مكران حتى انتهى اليها ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فأقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدي فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل وماؤها وشل وثمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها فقال اجماع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم أثمانها على الغانمين (مكران بضم الميم وسكون الكاف)

﴿ ذكر خبر بيروذ من الاهواز ﴾

ولما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى أبي موسى ان يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع أبو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم ووفد أبو موسى وفد امعهم الاخماس فطلب ضبة بن محصن العنزي ان يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى وكان أبو موسى قد اختار من سبي بيروذ ستين غلاما فانطلق ضبة الى عمر شاكيا وكتب ابو موسى الى عمر يخبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال من انت فأخبره فقال لا مرحبا ولا اهلا فقال اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ثم سأله عمر عن حاله فقال ان اباموسى انتقى ستين غلاما من ابناء الدهاقين لنفسه ولجاريته تغدى بجفنة وتعشى

الشريف بركات والد ابي نمي ودفن بالمعلاة واستقل بالامرة بعده ولده الشريف (ابو نمي) وعاش مدة مديدة حتى توفي في المحرم سنة احدى وتسعين وتسعمائة وعمره اثنان وثمانون سنة وقد رايته بمنى سنة ثمان وسبعين وهو محرم وهو في غاية القوة والصلابة بهذا العمر وتولى مكانه ولده الشريف (حسن) وهو الآن امير بمكة في الدولة المؤيدة العثمانية واستناب ولده الشريف (حسينا) على الاقطار الحجازية على قاعدة اسلافه الزكية وكان في غاية اللطف والملايمة فمات وولي مكانه ولده الشريف (مسعود) وكان ظالما جائرا فلم تطل مدته ومات فولي مكانه اخوه (ابو طالب بن حسن بن ابي نمي) وهو الآن امير ويرجى منه الخير توفي الحسن والد المذكور في ثالث جمادى الآخرة سنة عشر والف ولابي طالب المشار اليه سيرة حسنة لاسيما بقتله عبد الرحمن بن عتيق عليه ما يستحق توفي ابو طالب في تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتي عشرة بعد الالف وتولى مكانه اخوه (ادريس) بن الشريف حسن بن ابي نمي والسيد

جفنة تدعى عقيلة وله قفيزان وله خاتمان وفوض الى زياد بن ابى سفيان امور البصرة واجاز الحطيئة بألف فاستدعى عمر أبا موسى فلما قدم عليه عجبه أياما ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دلات عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لاهلى أقوتهم به وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر فعلم ان ضبة قد صدقه قال وولى زيادا قال رايت له رايا وئيلا فأسندت اليه عملى قال واجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى ان يشتمنى فرده عمر وامره ان يرسل اليه زيادا وعقيلة ففعل فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن والقرآن فرآه فقيها فرده واصر اصراء البصرة ان يسيروا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر الا ان ضبة غضب على ابى موسى وفارقه مراغما أن فاته امر من امر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فاياكم والكذب فانه يهدى الى النار (يعرون بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة)

(ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد)

كان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا فاقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفئ نصيب وان سار وا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله او ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا قال فسار واحتى لقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم انه قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لا سومنك فسارحتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر حجة حجها وفيها قتل عمر رضى الله عنه

(ذكر الخبر عن مقتل عمر رضى الله عنه)

قال المسور بن مخرمة خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما فى السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان نصرانيا فقال يا امير المؤمنين أعدنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان كل يوم قال وايش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما ارى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب

الباب الخامس عشر فى ذكر اقيال اليمن ولمع من اخبار الاسكندر ويوسف بن ذى يزن

قال المسعودى تنازع الناس فى اليمن وتسميته بما فمنهم من زعم انه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة واول من تولى الملك والرياسة باليمن (يعرب بن قحطان) جمع اخوته واستولى على جميع اليمن سنين متطاولة وهو اول من نطق بالعربية واول من حياه ولده بتحية الملك ايت اللعن وأنعم صباحا ذكر السيوطى ان اول من كتب بالعربية حرب ابن امية قيل له من أين تعلمته قال من عبد الله بن جدعان وهو اخذ من طريق كاتب الوحى لهود عليه السلام فلما هلك يعرب ملك بعده ابنه (يشجب بن يعرب) تولى الملك بعد والده سنين كثيرة ثم ملك بعده ابنه (عبد شمس) ولما ملك اكثر الغزو فى اقطار البلاد وسبى خلقا كثيرا وهو اول من فعل ذلك من ولد قحطان فسمى سبا وهو الذى بنى السد بأرض مأرب باليمن وفجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من آماد بعيدة على بعض الاقوال وكان

ثم انصرف عنه فقال عمر لقد اوعدني العبد الآن ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجده في كتاب التوراة قال عمر انجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكني اجد حليتك وصفتك وانك قد فني أجلك قال وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن ابي البكير الليثي وهو حليفه وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فادخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له اني أريد ان أعهد اليك قال انشدك الله قال اللهم لا قال والله لا ادخل فيه ابدا قال فهبني صمتا حتى اعهد الى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا امركم انشدك الله يا علي ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس شيأ أن تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا بأطلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة بالعرب فانهم مادة الاسلام ان يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني قال يا امير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر اذهب الى عائشة فسلها ان تأذن لي ان أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون عليه ويقولون لهم اهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآه عمر قال

توعدني كعب ثلاثا اعدها * ولاشك ان القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فاثنى عليه فقال له عمر انت لي بهذا يا ابن عباس فاومأ الى علي أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرني أنت وأصحابك ثم قال يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر الي فيرحمني والله لو ان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ودعى له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك ايضا فقال له اعهد يا أمير المؤمنين قال قد فرغت

فرسخا في فرسخ وكانت مدة ملكه أربعا وثمانية سنة وهو المذكور في قوله تعالى لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور الآية ومدينة سبا كانت على ثلاث فراسخ من صنعاء ومن جملة طيبتها اثنتا عشرة طيبة (الاولى) لا عقرب فيها ولا حية ولا قملة ولا جراد ولا براغيث ولا بعوضة ولا بق ولا فار (والثانية) ان الرجل اذا مر بيلادهم وفي ثوبه القمل والبراغيث فتموت من طيب الهواء (والثالثة) لم يكن فيها مريض واذا أتى المريض من مسيرة ألف فرسخ يشفيه الله تعالى من مرضه لانه كان يهب فيها نسيم الجنة متى يصل الى جسد المريض يبرأ من مرضه (والرابعة) اذا أتوا بذي العاهات الذي لم يوجد لمرضه دواء فاذا دخلوا به في تلك المدينة يشفيه الله تعالى من ساعته بفضله (والخامسة) لم يكن فيها اعمى ولا أعور ولا احول ولا اخرس ولا زمن ولا أعرج ولا مجنون وما أشبه ذلك (والسادسة) اذا اتى بالمجنون من البلدان ودخل في حدود البلد واغتسل من مائها يبريه الله من

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال

ظلوم لنفسي غير اني مسلم * أصلي الصلاة كلها واصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة الى ان توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقيل طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل كانت وفاته لاربع بقين من ذي الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام وصلى عليه صهيب وحمل الى بيت عائشة ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ونزل في قبره عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر

﴿ ذكر نسب عمر وصفته وعمره ﴾

فاما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي ابنة عم ابي جهل وقد زعم من لا معرفة له انها أخت أبي جهل وليس بشيء وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاروق وقيل بل سماه أهل الكتاب واما صفته فكان طويلا آدم اصلع اعسر يسر يعني يعمل بيديه وكان اطوله كأنه راكب وقيل كان أبيض أبهق يعني شديد البياض تعلوه حمرة طوالا اصلع أشيب وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة وقيل ابن ثلاث وستين سنة وأشهر وهو الصحيح وقيل ابن احدى وستين سنة (رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

﴿ ذكر أسماء ولده ونسائه ﴾

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الاكبر وحفصة وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها في الهدنة فخلفه عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيد الله بصفين مع معاوية وقيل كانت أمه ام زيد الاصغر ام كلثوم بنت جرول الخزاعي وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها في الهدنة ايضا فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكانا ماتا في رسول الله صلى الله عليه وسلم لان قريبة أخت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ام حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي في الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها وقيل لم يطلقها وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الاوسي الانصاري في الاسلام فولدت له عاصما فطلقها ثم تزوج ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها أربعين أفا فولدت له رقية وزيدا وتزوج فكيهة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الاوسط وقيل الاصغر وقيل كانت عنده فكيهة ام ولد فولدت له زينب وهي أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن ابي بكر الصديق فقتل عنها فلما مات عمر تزوجها الزبير

ابن

ساعته (والسابعة) اذا زرعوا وادرك الحصاد وحصدوه وجمعوه في البيدر ودقوه فعند ذلك يرسل الله تعالى ريحا فيخلص الحبة من التبن (والثامنة) الثياب التي يلبسونها في الصيف لا يزيدون عليها في الشتاء ولا ينقصون في الصيف (والتاسعة) لم يكن فيها حر للشمس مثل حر سائر البلدان حتى يحتاجوا الى البرودة (والعاشرة) اذا تزوج الرجل امرأة وجدها بكرا كلما يأتيها (والحادية عشرة) اذا ارادت المرأة ان تضع حملها لم تجد الالم والوجع مثل ما تجد في زماننا بان يرسل الله تبارك وتعالى النوم على المرأة ثم تستيقظ من نومها فتجد الولد قد انفصل عنها مقطوع السرة قد طهرت من نفاسها في الحال (والثانية عشرة) اذا البست المرأة ولدها قميصا او ثوبا وقت صغره فكلما كبر الولد كبر القميص معه وكان الله تعالى قد أعطى لهم النعمة على هذه الصورة فطلب منهم الطاعة على لسان نبيهم الذي بعث اليهم كان اسمه انغيا على نبينا وعليه السلام ولم يطيعوه فأرسل الله عليهم سيل العرم فلما رأوا ذلك جمعوا الحدادين والصناعين وبنوا حول المدينة سورا

ابن العوام فقتل عنها ايضا الخطبها على فقالت لا افعل انى أضن بك عن القتل فانك بقية الناس فتركها وخطب ام كلثوم ابنة أبي بكر الصديق الى عائشة فقالت ام كلثوم لا حاجة لى فيه انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى عمرو بن العاص فقال انا اكفيك فاتى عمر فقال بلغنى خبر اعيذك بالله منه قال ماهو قال خطبت ام كلثوم بنت ابى بكر قال نعم أفرغبت بى عنها ام رغبت بها عنى قال ولا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف امير المؤمنين فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك فى شئ فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك وقال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها ام كلثوم بنت على بن ابى طالب تعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب ام أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

﴿ ذكر بعض سيرته رضى الله عنه ﴾

قال عمر انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فاما انا فوربّ الكعبة لاحملنهم على الطريق قال نافع العبسى دخلت سراق المدينة مع عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب قال فجاء عثمان فى الظل يكتب وقام على على رأسه يملى عليه ما يقول عمر وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه بردان اسودان أتزر بأحدهما ويلف الآخر على رأسه يعتقب الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال على لعثمان فى كتاب الله يا بن ايت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ثم اشار على بيده الى عمر وقال هذا القوى الامين وقال عبد الله بن عامر ابن ربيعة رأيت عمر أخذ بتبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ويا ليتنى لم أك شيأ يا ليت أمى لم تلدنى يا ليتنى كنت نسيا منسيا وقال الحسن قال عمر لئن عشت ان شاء الله لاسيرن فى الرعية حولا فانى أعلم ان للناس حوائج تقطع دونى اما عمالهم فلا يرفعونها الى واما هم فلا يصلون الىّ فاسير الى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا وقيل لعمر ان ههنا رجلا من الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين قيل خطب عمر الناس فقال والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسألنى الله عنه وقال أبو فراس خطب عمر الناس فقال أيها الناس انى ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين ارأيتك ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اى والذى نفس عمر بيده اذن لاقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم قال بكر بن عبد الله جاء عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى فى بيته ليلا فقال له عبد الرحمن ما جاء بك فى هذه الساعة قال رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فاتيا السوق فقعدا

من الحديد والنحاس والرصاص فامهلهم الله تعالى مائة سنة حتى يكملوا بنيانهم فلما كمل ما بنوه وباتوا تلك الليلة وهم مسرورون آمنون فأمر الله تعالى الجرذ والفار كل واحد مثل الكلب ولهم اسنان كمشاط الحديد فلما اصبحوا دخل الماء فى المدينة من الاثقاب التى ثقبها الفار والجرذ وغرق جميع ما فى المدينة من الخلق وغيره وقد جعل الله بساتينهم شوكا بقدرته وقيل ان مارب لقب للملك الذى كان على اليمن وقيل ان مارب هو قصر الملك والمدينة سبا ولما هلك سبا خلف عدة أولاد منهم حمير وعمرو وكهلان ولما مات سبا تولى الملك بعده ابنه (حمير بن سبا) وكان أشجع الناس فى وقته وافرسهم وأكثرهم جمالا وكان اول من وضع التاج المذهب على رأسه من ملوك اليمن وانما سمى بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وكان ملكه خمسمائة سنة ولما توفى ملك أخوه (كهلان بن سبا) فطالت مدته حتى قربت من ثلثمائة سنة ثم عاد الملك بعده الى ولد حمير وهو (وائل ابن حمير) ثم ملك بعده ابنه (السكسك بن وائل) ثم ملك بعده ابنه (يعفر بن السكسك)

على نشز من الارض يتحدثان فرفع لهما مصباح فقال عمر لم انه عن المصابيح بعد النوم فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم قال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه قال يافلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وما علمك يا امير المؤمنين قال شئ شهدته قال اولم ينهك الله عن التجسس فتجاوز عنه وانما نهى عمر عن المصابيح لان الفارة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فتحرقه وكانت السقوف من جريد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قبله وقال اسلم وخرج عمر الى حرة واقم وانا معه حتى اذا كنا بصرار اذا نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فهر ولنا حتى دنونا منهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام قال ادنو قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال وأى شئ في هذه القدر قالت ما لي ما أسكتهم حتى يناموا فانا اعللهم واوهمهم الى أصلح لهم شيأ حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال اى رحمك الله مايدري بكم عمر قالت يتولى امرنا ويغفل عنا فاقبل على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على ظهري قال اسلم فقلت أنا أحمله عنك مرتين او ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا امالك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها ذري علي وانا أحسن لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى انضج ثم انزل القدر فاتته بصحفها فافرغها ثم قال اطعمهم وأنا اسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام رقت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا انت أولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولي خيرا فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمني حتى رأى الصبية يتحركون ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله فقال يا أسلم الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (صرار بكسر الصاد المهملة وراءين) قال سالم بن عبد الله ابن عمر وكان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم واقسم بالله لا اجد أحدا فعله الا أضعفت عليه العقوبة قال سلام بن مسكين وكان عمر اذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر ويخرج عطاءه فيقضاه قال وهو أول من دعي بأمير المؤمنين وذلك انه لما ولي قالوا له يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا امر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المؤمنون وانا اميركم فسمي أمير المؤمنين وهو أول من كتب التاريخ وقد تقدم وهو أول من اتخذ بيت مال وأول من عس الليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا قال الواقدي وهو أول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به الى البلدان وأمرهم به وهو أول من حمل الدرة وضرب بها وأول من دون في الاسلام قال زاذان

قال

ثم وثب على ملك اليمن (ذو رياش) وهو عامر بن مازان بن عوف بن حمير ثم نهض من بني وائل (نعمان ابن يعفر) بن السكسك بن وائل بن حمير واجتمع عليه الناس ثم ملك بعده ابنه (اصبح بن نعمان) المذكور ثم ملك بعده على قول بعضهم (عاد بن عوص) ثم ولده الاكبر (شديد) ثم (شداد) ابن عاد وكان لعاد ابنان أحدهما شديد والآخر شداد وهو الذي بنى مدينة ارم في بعض صحاري عدن في خمسمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة ثم ملك بعده ابنه (مرثد بن شداد) وكان آمن بهود عليه السلام وكان يكتم ايمانه من قومه خوفا من ان يخلعوه ولما مات ملك بعده ابنه (عمرو بن مرثد وكان هو ايضا مؤمنا بالله تعالى يكتم ايمانه فكان مدة ملكه مائة سنة ولما هلك ملك بعده عم أبيه (لقمان ابن عاد) عاش دهرا طويلا ثم ملك بعده أخوه (ذو سدد ابن عاد) ثم ملك بعده ابنه (الحرث) ويقال له الحرث الرايش وهو تبع الاول وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة وكان يسمى الفيلسوف لعقله وأدبه فتزوج بامرأة من غسان وكانت على دين الروم فولدت

قال عمر لسلمان أملك انا ام خليفة قال له سلمان ان أنت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ووضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر وقال أبو هريرة رحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وانه ليتعقب هو واسلم فلما رآنى قال من أين يا اباهريرة قلت قريبا فاخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نحو من عشرين بيتا من محارب فقال لهم ما قدمكم قالوا الجهد واخرجوا الناجلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم ائتزر فازال يطبخ حتى اشبعهم ثم ارسل اسلم الى المدينة فجاءنا بأبعرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك قال أبو خيثمة رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ماهذا قالوا نسالك فقالت كان والله عمر اذا تكلم اسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب اوجع وهو والله ناسك حقا قال الحسن خطب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة منها أدم قال ابو عثمان النهدى رأيت عمر يرمى الجمرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب وقال على رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض وقيل انه سمع قارئا يقرأ والطور فلما انتهى الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع سقط ثم تحامل الى منزله فمرض شهرا من ذلك قال الشعبى كان عمر يطوف فى الاسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث ادركه الخصوم قال موسى بن عقبة أتى رهط الى عمر فقالوا له ثم العيال واشتدت المؤنة فزدنا فى عطائنا قال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله لوددت أنى وايا كم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلا يجز الناس ان يولوا رجلا منهم فان استقام اتبعوه وان جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه قال لا القتل انكل لمن بعده احذروا فتى من قريش وابن كريها الذى لا ينام الا على الرضا ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته قال مجالد ذكر رجل عند عمر فقيل يا امير المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيأ قال ذاك اوقع له فيه قال صالح بن كيسان قال المغيرة بن شعبة لما دفن عمر اتيت عليا وأنا احب ان اسمع منه فى عمر شيأ فخرج ينفض راسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابى حنتمة ذهب بخيرها ونجا من شرها او والله ما قالت ولكن قولت وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو فى عمر

فجعنى فيروز لا درّ درّه * بأبيض تال للكتاب نجيب
رؤف على الادنى غليظ على العدا * أخى ثقة فى النائبات منيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ايضا

عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملى على الامام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المعـ * ـلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهـ * ـر وغيث المنتاب والمحروب

ذا القرنين فسماه ابوه الاسكندر فلما هلك الحرث تولى مكانه ابنه (الاسكندر) فهو الاسكندر بن فيلسوف الحميرى وانما نسبته الروم الى امه لان اباه مات وهو صغير وكان رجلا طويل القامة رحب الجبين اختلف العلماء فى نبوته قال مقاتل نبى لان الله تبارك وتعالى اوحى اليه لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين والوحى للانبياء وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه ليس بنبى لكنه رجل صالح مطيع لاوامر الله تعالى قال ابو الحسن فى قصيدته

وذو القرنين لم يعرف نبيا
كذا القمقام فاحذر عن جدال

واختلفوا فى نسبه قال اهل التفسير هو ابن فيلقوس اليونانى وقال الدميرى فى حياة الحيوان انهما اثنان (أحدهما) على عهد ابراهيم عليه السلام وهو أول القياصرة وهو الذى بنى الاسكندرية قيل انه عاش الفا وستمائة سنة كذا فى المحاضرة (والثانى) قبل مولد المسيح بثلثمائة وثلاث سنين والغالب انه كان فى الفترة بين عيسى عليه السلام وبين نبينا صلى الله عليه وسلم وسبب تسميته بذى القرنين قيل كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم

قل لاهل الثراء والبؤس موتوا * قد سفته المنون كاس شعوب

قال ابن المسيب وجج عمر فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العظيم العلى المعطى ماشاء من شاء كنت ارعى ابل الخطاب فى هذا الوادى فى مدرعة صوف وكان نظانى يتعبنى اذا عملت ويضربنى اذا قصرت وقد أمسيت وليس بينى وبين الله احد ثم تمثل

لاشئ فيما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل اوب اليها راكب يفد
حوضا هنالك موروداً بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

قال اسلم ان هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال اربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فأقرضها فخرجت فيها الى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها ان ابا سفيان وابنه عمرا اتيا معاوية فعدلت اليه وكان ابو سفيان قد طلقها فقال لها معاوية ما أقدمك اى امه قالت النظر اليك اى بنى انه عمر وانما يعمل لله وقد اتاك ابوك فخشيت ان تخرج اليه من كل شئ واهل ذلك هو ولا يعلم الناس من أين اعطيته فيؤنبوك ويؤنبك عمر فلا تستقبلهما ابدا فبعث الى ابيه والى اخيه بمائة دينار وكساهما وحملها فقسطها عمر وقال ابو سفيان لا تسقطها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ورجعوا جميعا فقال ابو سفيان لهند أربحت قالت الله اعلم فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لو كان مالى لتركتك لك ولكنه مال المسلمين وقال لابى سفيان بكم اجازك معاوية قال بمائة دينار (٣) قال ابن عباس بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان اشعر وقال بعضهم بل فلان اشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بهما من اشعر الشعراء قال قلت زهير بن أبى سلمى فقال هل من شعره ما يستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قوما من غطفان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم ابوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا أمنوا جن اذا قرعوا * امازرون بها اليل اذا احشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر أحسن والله وما اعلم احدا أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وقعت يا امير المؤمنين ولم تزل موقعا فقال يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت ان أجيبه فقلت ان لم أكن ادرى فان امير المؤمنين يدرينى فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجبروا على قومكم جبجبا جبجبا فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فقلت يا امير المؤمنين ان تأذن لى فى الكلام وتعطنى الغضب تكلمت قال تكلم قلت اما قولك يا امير المؤمنين اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو ان قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل

بهامش الاصل من قوله فقال يا ابن عباس الى ذكر قصة الشورى زائد دس فاعل الله واضعه اه

وصف قوما بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان أقربك عليها التزيل منزلتك مني فقلت ماهي يا امير المؤمنين فان كانت حقا فانه ينبغي ان تزيل منزلتي منك وان كانت باطلا فمثلي اماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني انك تقول انما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما فقلت اما قولك يا امير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فان آدم حسد وبحر ولده المحسودون فقال عمر هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسد الا يزول فقلت مهلا يا امير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش فان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم فقال عمر اليك عني يا ابن عباس فقلت افعل فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال يا ابن عباس مكانك فوالله اني لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا امير المؤمنين ان لي عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه اصاب ومن اضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى

﴿ ذكر قصة الشورى ﴾

قال عمرو بن ميمون الاودي ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا امير المؤمنين لو استخلفت فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله تعالى فقال له رجل ادلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما اردت الله بهذا ويحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا ارب لنا في أموركم فما حملتها فارغب فيها لاحد من أهل بيتي ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسئل عن امر أمة محمد أما فقد جهدت نفسي وحرمت اهلي وان نجوت كفافا لا وزر ولا أجر اني لسعيد ان طرفان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني وان اترك فقد ترك من هو خير مني وان يضيع الله دينه فحرجوا ثم راحوا فقالوا يا امير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتي ان انظر فاولي رجلا أمركم هو احراكم ان يحملكم على الحق وأشار الى علي فرهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمها اليه ويصيره تحته فعلمت ان الله غالب امره فما اردت ان اتحملها حيا وميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة وهم علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختار وا منهم رجلا فاذا ولوا والينا فأحسنوا موازرته وأعينوه فخرجوا فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال اني اكره الخلاف قال اذن ترى ما تكره فلما اصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير فقال لهم اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض واني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم وانما أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت اصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال اعرضوا عن هذا فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام

وولد الاسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة وفي بلغة الغواص ان ذا القرنين نشأ يتيما في بني حمير اسمه صعب بن جبل وامه هيلانة فحملته امه الى بيت الصنائع في القسطنطينية فقالت اختر يا بني ما تريد منها فرأى صانعا يصلح تاج الملك فوضع يده عليه فانتهره مرارا فلم ينته وكان يونان الحكيم يبصرهما فقاده اهما وقال لامه هيلانة انت هيلانة وهذا ابنك صعب بن جبل قالت نعم فأخذ منه العهد له ولذريته بالامان وقال له انت الملك الذي يسحب ذيله في مشارق الارض ومغاربها وامر امه بكتم امره فحملته الى ارض بابل فلما بلغ الحلم رأى ثلاث منامات في ثلاث ليال رأى ليلة كان الارض كلها خبز فأكلها ورأى ليلة اخرى انه شرب البحار وأكل طينها ورأى في الليلة الثالثة انه قدر في السماء فقدر نجومها ورماها الى الارض وركب الشمس وسحب بناصيته القمر فلما اصبح اجتمع بالخضر وقررها عليه فبشره بالملك الاعظم فعلت همته واشتدت شوكته وعظم في قومه والقى الله عليه الهيبة واجتمع مع ابراهيم عليه السلام في سفر بقرب مكة فاعطاه

وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم اميركم منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الايام الثلاثة فاحضروا امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لي بطلحة فقال سعد بن ابي وقاص انا لك به ولا يخالف ان شاء الله تعالى فقال عمر أرجو أن لا يخالف ان شاء الله وما أظن يلي الا أحد هذين الرجلين علي أو عثمان فان ولي عثمان فرجل فيه لين وان ولي علي ففيه دعابة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق وان تولوا سعدا فأهله هو والا فليستعن به الوالي فاني لم اعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وقال لابي طلحة الانصاري يا ابا طلحة ان الله طالما أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وادخل هؤلاء الرهط بيتا وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع فيه الناس فخرجوا فقال علي لقوم معه من بني هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا وتلقاه عمه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فوليها احدهما الآخر فلو كان الآخر ان معي لم ينتعاني فقال له العباس لم ارفعلك في شئ الا رجعت الي مستأخرا لما اكره اشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الامر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فابيت احفظ عني واحدة كل ما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم به لنا غيرنا وايم الله لا ينالنه الا بشر لا ينفع معه خير فقال علي اما الذي ذكرته ما أتى والذي مات ليتداولونها بينهم ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون ثم قال

حلفت برب الراقصات عشية * غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليختلبا رهط ابن يعمر فارسا * نجيعا بثوب الشداخ ورد امصلبا

والتفت فرأى ابا طلحة فكره مكانه فقال ابو طلحة ان تراع ابا الحسن فلما مات عمر وأخرجت جنازته صلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد اهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة وقيل في بيت المال وقيل في حجرة عائشة باذنها وطلحة غائب وأمروا ابا طلحة ان يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريد أن ان تقولا حضرنا وكنا في اهل الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر فيهم الكلام فقال أبو طلحة انا كنت لان تدفعوها أخوف مني لان تتنافسوها والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمرتم أجلس في بيتي فانظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها

الراية وعانقه وصافحه وقبله بين عينيه وهو أول من لبس العمامة وكانوا يلبسون التيجان قبله وأول ما جمع عليه رأيه انه أسلم وحسن اسلامه واستولى الملك فهدم بيوت النيران ببلاد الفرس وبيوت الاوثان واحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام وبنى اثنتي عشرة مدينة ثلاث مدائن بأعمال خراسان هراة ومرو واسكندر ومدينة بارض بابل ومدينة الاسكندرية بمصر والباقي متفرقة وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى انا مكناله في الارض وآتيناه من كل شئ سببا أن الله تعالى سخر له السحاب ومده الاسباب وسخر له الظلمة والنور فكانا جندا من اجناده يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة من ورائه واحصى عسكره فكانوا الف الف وستمائة الف رجل فلما بلغ مغرب الشمس وجد جوعا لا يحصيها الا الله تعالى أصحاب قوة وباس فضرب حولهم جند الظلمة مثل الدخان فأحاط بهم من كل مكان حتى دخلت في افواههم وانوفهم واعينهم فتحيروا وايقنوا بالهلاك فضجوا الى الله تعالى فجمعهم في مكان واحد ودخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى

ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه احد فقال فانا أتخلع منها فقال عثمان انا أول من رضى
فقال القوم قد رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا ابا الحسن قال أعطني مواثقا لتؤثرن الحق
ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا فقال أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا
معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلي ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ولا
آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا واعطاهم مثله فقال لعلي تقول اني أحق من حضر بهذا الامر
لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك ولكن ارأيت لو صرف هذا الامر
عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من
بني عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ولي سابقة وفضل فاين يصرف هذا
الامر عني ولكن لو لم تحضر أرى هؤلاء الرهط تراه أحق به قال علي ولقي علي سعدا فقال له اتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام اسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم
عمي حمزة منك ان تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ودار عبد الرحمن ليالية يلقى أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم
حتى اذا كانت الليلة التي صبيحتها تستكمل الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة فايقظه وقال له لم
أر في هذه الليلة كبير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له خل بي
عبد مناف وهذا الامر قال نعم يا بني لعلي وقال لسعد اجعل نصيبك لي فقال ان اخترت نفسك فنعم
وان اخترت عثمان فعلي أحب الي أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا فقال له قد
خلعت نفسي على ان اختار ولو لم أفعل لم أردها اني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل
فحل ما رأيت أكرم منه فركانه سبع لم يلتفت الى شيء منها حتى قطعها لم يعرج ودخل بعيرا بعده فاتبع
أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل بقري يجر خطامه ومضى قصد الاولين ثم دخل بعيرا رابع
فوقع في الروضة ولا والله لا اكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما احد فيرضى
الناس عنه قال وارسل المسور فاستدعى عليا فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم
نهض ثم أرسل الى عثمان فتناجيا حتى فرق بينهما الصبح قال عمرو بن ميمون قال لي عبد الله بن
عمر من أخبرك انه يعلم ما كان به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء
ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين واهل السابقة
والفضل من الانصار والى امراء الاجناد فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله فقال ايها الناس
ان الناس قد أجمعوا ان يرجع اهل الامصار الى امصارهم فاشيروا علي فقال عمار ان اردت
ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا
وأطعنا وقال ابن ابي سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن ابي
ربيعة صدقت ان بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا فتبسم ابن ابي سرح فقال عمار متى كنت
تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار ايها الناس ان الله اكرمنا بنبيه واعزنا
بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم فقال رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك
يا ابن سمية وما أنت وتامير قريش لا نفسها فقال سعد بن ابي وقاص يا عبد الرحمن افرغ قبل
ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن اني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن ايها الرهط على أنفسكم

فآمنوا ودخلوا في طاعته
وفعل مثل ذلك لما بلغ مطلع
الشمس وكان اذا أتى بحرا
او نهرا عظيما بنى سقفا من الواح
تحمل معه فنظمها ثم حمل
عليها جميع ما معه قال
الطبري من حيله في حروبه
انه لما تلقاه ملك الهند
بالفيلة نفرت منها خيل
أصحابه فعاد عنه وامر باتخاذ
فيلة من نحاس والبسها
السلاح وجعلها مع الخيل
حتى ألفتها ثم عاد الى الهند
فخرج اليه ملكهم بعساكره
وفيله فامر الاسكندر فاتت
بطون الفيلة من النفط
والكبريت وركبت على العجل
وجرت وسط العسكر ومعها
جمع من أصحابه فلما شب الحرب
امر باشعال النار في تلك
الفيلة فلما حميت انكشف
اصحابه عنها وغشيها فيلة
الهند فضربتها بخراطيمها
فاحترقت وولت هاربة
راجعة على عسكر الهنود
فانهزموا بين يديها فاهلكت
غالب عسكرهم وقتل ملك
الهند اقور وانقاد اليه
جميع ملوك الهند ترى
انه لما توجه نحو المشرق
رأى صدفا خرابا فسأل عن
سبب ذلك فقيل له أخربها
يأجوج ومأجوج وشكوا
اليه من شرهم وسألوه أن
يجعل بينهما سدا وامكان
السدين جبلين متقابلين

سبيلا ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال ارجو ان أفعل فاعمل عليّ وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال نعم نعمل فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد اللهم اني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فبايعه فقال علي ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا تخرج عليّ وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال ان كنت اردت الله فأثابك الله ثواب المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما اتى الى اهل هذا البيت بعد نبيهم اني لا عجب من قريش انهم تركوا رجلا ما أقول ولا اعلم أن رجلا اقضى بالعدل ولا أعلم منه اما والله لو اجد اعوانا عليه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال اهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب فقال علي ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر بينها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابدا وما كانت في غيرهم يتداولونها بينكم وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له بايعوا لعثمان فقال كل قريش راض به قالوا نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس امرك وان ابيت رددتها قال اترد ها قال نعم قال اكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا ارغب عما اجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا ابا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان وقال لعثمان ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت يا أعور ولو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة قال وكان المسور يقول ما رأيت أحدا بذ قوما فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن قلت قوله ان عبد الرحمن صهر عثمان يعني ان عبد الرحمن تزوج ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه خلف عليها عقبة بعد عثمان وقد ذكر أبو جعفر رواية اخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث مقتل عمر وقد تقدم والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدم آنفا غير انه قال لما دفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرق فتكلم عثمان فقال الحمد لله الذي اتخذ محمدا نبيا وبعثه رسولا وصدقه وعده ووهب له نصرة على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله عليه جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم عند تفرق الاهواء ومجادلة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا الا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحرج بها يا ابن عوف ان تترك (٣) وأجدر بها ان يكون أن تخوف أمرك وترك دعاؤك فانا أول مجيب وداع اليك وكفيل بما اقول زعيم وأستغفر الله لي ولكم ثم تكلم الزبير بعده فقال اما بعد فان داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الاهواء ولي الاعناق ولن يقصر عما نالت الاغوى ولن يترك ما دعوت اليه الاشقي ولولا حدود الله فرضت وفرائض الله حدت (٣) نزاح على الله أهلها ويحيا ولا يموت لكان الموت من الامارة نجاة والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا اجابة الدعوة واظهار السنة ائلا نموت موتة جاهلية

اهلين كالحائط يرتق عنهما كل شيء يرتق فيهما فوجد هنالك معدنين فاستخرج منهما ما كنا من الحديد والنحاس ثم أمر بحفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جمع الحديد والحطب وجعله صفوفا بعضها فوق بعض صف حطب وصف قطع الحديد حتى ساوى بالبناء الجبلين ثم اشعل النار في الحطب فجعى الحديد وافرغ عليه النحاس المذاب فصاره ووضع الحطب النحاس والحديد واستمر مكانه فبقي السد كأنه برج مخطط بسواد الحديد وحمرة النحاس وجعل ارتفاعه مائتي ذراع ونحسين ذراعا وطول السور ما بين الجبلين مائة فرسخ وعرضه خمسون فرسخا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله تعالى كأشد ما يكون حتى اذا اراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فيعودون اليه فيجدونه كما تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس مقدمتهم بالشام

ولا نعمى عمى الجاهلية فانا مجيبك الى ما دعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله وبحمد صلى الله عليه وسلم انارت الطريق واستقامت السبل وظهر كل حق ومات كل باطل اياكم ايها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور وقد سلبت الامانى قوما قبلكم ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم فاتخذهم الله عدوا وامنهم لعنه كبيرا قال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون انى مكتب قربى واخذت سهمى الفالج وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى فأنابه كفيلى وبما اعطيت عنه زعيم والامر اليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخافتكم ثم تكلم على بن ابى طالب فقال الحمد لله الذى بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فضمن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان اهل الارض ونجاة لمن طلب لنا حق ان نعطه أخذه وان نمنعه تركب اجمازا الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت ان يسرع أحد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم لا حول ولا قوة الا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا الجمع تقتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضهم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة ثم قال

فان تك جاشم هلكت فانى * بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كل عى * بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفسا ان يخرج نفسه من هذا الامر وذكر قريبا مما تقدم ثم جلس عثمان فى جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل ابيه ابا لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من اهل الحيرة كان ظهر السعد بن مالك وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال لا اله الا الله فلما قتل هؤلاء اخذ سعد بن ابى وقاص وحبسه فى داره واخذ سيفه واحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك فى دم ابى يعرض بالمهاجرين والانصار وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن ابى بكر قال غداة قتل عمر رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال اشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على أرى ان تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص ان الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان انا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى وكان زياد بن لبيد البياضى الانصارى اذا رأى عبيد الله يقول

ألا يا عبيد الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دما والله فى غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر
على غير شئ غير ان قال قائل * اتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة * نعم اتهمه قد أشار وقد امر

الفارس عن فرسه فوصلوا العراق ومات الاسكندر فى طريقه بشهرزور وقيل ببلاد دنبار ربيعة بعلة الخوانيق

ان الله تعالى خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان وفى تلك الظلمة عين الحمأة تنبع من الفردوس من شرب من مائها لم يمت ابدا الى يوم القيامة فلما سمع ذلك تأهب لرؤيتها وكان مسيره مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كان مظلما والافليس فى الارض موضع لا تطلع الشمس عليه ابدا فلما بلغوا طرف الظلمة فاذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست كظلمة الليل فعبر الخضر عليه السلام على مقدمته بالفى رجل ومعه اربعة آلاف رجل فصار الخضر يرتحل وذو القرنين ينزل مكانه فسار فيها ثمانية عشر يوما فوصل الخضر واديا تحقق ان العين فيه فقال لاصحابه قفوا هنا ولا يبرح رجل من موضعه فمشى وحده حتى انتهى اليها فرأى ماء اشد بياضا من اللبن واحلى من الشهد فشرب منه واغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ولبس ثيابه ثم رجع فاجتمع مع أصحابه واخطأ ذو القرنين الوادى فسلك فى الظلمة اربعين يوما ثم انصرفوا راجعين ورأوا فى طريقهم نملا كالضانى فكانت النملة تخطف

فلما اشتد مرضه قال له الحكماء انك لا تموت الا على ارض من حديد وسقف من ذهب فاتخذه الرعاف وكان راكبا فسقط عن دابته فبسط درعه على الارض فنام فادركته الشمس فاظلوه بترس من ذهب فنظر وهو مضطجع على حديد وفوقه ذهب فايقن بالموت فلما توفي طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه وحمل الى امه بالاسكندرية في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر ودفن في أرض مصزولة قبر يعرف بقبر الاسكندر وللاسكندر في اسفاره وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد اوطانهم واختلاف لغاتهم وتجانب صورهم اخبار كثيرة من حروب ومكايد وفنون لا يسعها هذا المختصر وسنذكر شيأ من اخباره في ذكر ملوك اليونانيين وكان عمره ستا وثلاثين سنة ومدة ملكه اربع عشرة سنة ولما توفي الاسكندر ملك بعده ابنه (ذو المنار ابرهة) وانما سمي ذا المنار لانه أول من بنى المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها اذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده (افريقس بن ابرهة) وهو الذي نقل البربر من ارض فلسطين ومصر والساحل الى مساكنهم اليوم وكانت البربر أهل بعنة يوشع عليه السلام وافريقس هو الذي بنى افريقية فاندمل

وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبها والامر بالامر يعتبر
فشكا عبيد الله الى عثمان زياد بن ابيه فنهى عثمان زيادا فقال في عثمان

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
فانك ان عفوت الجرم عنه * واسباب الخطا فرسا رهان
انعفو اذ عفوت بغير حق * فما لك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك قال الغماذيان بن الهرمزان كانت النجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فزفير وزأبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال أسن به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز فاقبل عبيد الله فقتله فلما ولي عثمان امكنني منه فخرجت به وما في الارض أحد الا معي الا انهم يطلبون الي فيه فقلت لهم ألي قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فحملوني فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤس الناس والاول أصح في اطلاق عبيد الله لان عليا لما ولي الخلافة اراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ولو كان اطلاقه بامر ولي الدم لم يتعرض له علي

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن أمية وعلى الجند عبد الله بن ابي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة ابو موسى الاشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية وعلى البحرين وما والاها عثمان بن ابي العاص الثقفي وفيها غزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وابو ايوب الانصاري وابو ذر وشداد بن اوس وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة كعب بن سور وقيل ان ابا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان الانصاري وهو الذي ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه وصلى عليه عمر بن الخطاب وهو بدري وقيل توفي سنة أربع وعشرين وفي خلافة عمر توفي الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وهو بدري وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو أسن من العباس وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وهو بدري وعمير بن وهب ابن خلف الجمحي شهد أحدا وعتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وعدي بن أبي الزغباء الجهني وهو عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد غيرها ايضا وفيها مات عويم بن ساعدة الانصاري وهو عقبي بدري وقيل انه من بلي وله حلف في الانصار وفيها مات سهيل بن رافع الانصاري شهد بدرا ومسعود بن أوس بن زيد الانصاري وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي حليف الخطاب وهو اول من قاتل في سبيل الله في الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمي وكان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وفيها مات ابو جندل بن سهيل بن عمرو واخوه عبد الله وكان عبد الله بدريا ولم يشهدها ابو جندل لان أباه حبسه بمكة ومنعه من الهجرة الى يوم الحديبية وقد تقدم كيف خلص وفيها مات ابو خالد الحرث بن قيس بن خالد وكان اصابه جرح باليمامة

فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عقبي بدري وفيها مات ابو خراش الهذلي الشاعر وخبر موته مشهور وفيها توفي غيلان بن سلمة الثقفي وهو الذي اسلم وتحته عشر نسوة وفيها في آخرها مات الصعب بن جثامة بن قيس الليثي

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ﴾

﴿ ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة ﴾

في المحرم منها الثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان وقيل غير ذلك على ما تقدم وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فاذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزادهم مائة مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو اشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم واقبلوا يبايعونه

﴿ ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص ﴾

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصية عمر فانه قال أوصي الخليفة بعدي ان يستعمل سعدا فاني لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعثه عثمان فعمل عليها سعد سنة وبعض اخرى وقيل بل اقر عثمان عمال عمر جميعهم سنة لان عمر أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعدا فعلى هذا القول تكون امارة سعد سنة خمس وعشرين وحج بالناس في هذه السنة عثمان وقيل عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان وقد تقدم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء انها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك * وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الانصاري وهو بدري وهو احد البكائين في غزوة تبوك وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وقيل مات بعد ذلك وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ﴾

﴿ ذكر خلاف اهل الاسكندرية ﴾

في هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصي فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصي وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن اهل الري عزم على نقض الهدنة والغدر

وبه سميت وكان مدة ملكه مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه (ذو الاذعار عمرو بن ذي المنار) وسمي بذي الاذعار لانه غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى اليمن من سببهم بقوم وجوههم في صدورهم فذعر الناس منهم فسمي بذي الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده (شرحبيل بن عمرو) ثم ملك بعده (الهدهاد ابن شرحبيل) وهو أبو بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان أبوه ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول الملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فخطب من الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن وذكر في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء

فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة ﴾

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو اخو عثمان لامه أمهما أروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب وسبب ذلك ان سعدا اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد ما أراك الا ستلقى شرا هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل فقال اجل والله انى لابن مسعود وانك لابن حميمة وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضرا فقال انكما لما احبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليكما فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود وكان فيه حدة فقال اللهم رب السموات والارض فقال ابن مسعود ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج ثم استعان عبد الله بالناس على استخراج المال واستعان سعد بالناس على انظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا وهؤلاء عبد الله فكان ذلك أول ما نزغ به بين اهل الكوفة واول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعدا واقر عبد الله واستعمل الوليد بن عقبة بن ابي معيط مكان سعد وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقدم الكوفة والياً عليها واقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس الى اهلها فلما قدم قال له سعد أكنت بعدنا ام حقنا بعدك فقال لا تجزعن يا ابا اسحق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم جعلتموها ملكا وقال له ابن مسعود ما ادرى اصلحت بعدنا ام فسد الناس

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسي فاغار على اهل موقان والبيلقان والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كورة اذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمان مائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثنى عشر الفا فاسار في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فاتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جمع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له تجربة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ما شاؤا وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذي امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية يأمره ان يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام ارمينية

فوجهه اليها فاتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء أو الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فمن معه اشهرا وانما سميت قاليقلا لان امرأة بطريق ارمينا قس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قلا تعنى احسان قالى فعربتها العرب فقالت قاليقلا ثم بلغه ان بطريق ارمينا قس وهى البلاد التى هى الآن بيد اولاد السلطان قلج ارسلان وهى ملطية وسميساط وقصراوقونية وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فأرسل عثمان الى سعيد بن العاص يامره بامداد حبيب فأمده بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ومات عنها حبيب فخلفه عليها الضحاك بن قيس فهى ام ولده ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا ثم سار منها فنزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامانه فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فاتى مدينة صاحب مكس وهو من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى أزدشاط وهى القرية التى يكون بها التورمز الذى يصبغ به فنزل على نهر ديسل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين أخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها فالجموها وقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طيرو بغروند فصالحه بطريقها على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جوزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهى من جوزان وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صالحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلى الى ارزان فتح البيلقان صلحا على ان آمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتلها اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت وساتيق الولاية ودعا كراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية واذى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وهى مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى اخربها السناورية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن اسيد عن ارمينية فعظم امرهم فعمرها بضع وستين واربعمائة وسماها المتوكلية نسبة الى المتوكل وسار سلمان الى مجمع ارس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده

﴿ذكر غزوة معاوية الروم﴾

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن

ملك بعده (شمر يرعش بن افريقس بن ابرهة ذى المنار) وسمى شمر يرعش لارتعاش كان به وخرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد وهدمها فسميت شمرکند اى شمر خربها وعمرت بعد فقيل سمرقند وقيل الذى بناها شمر يرعش فقيل شمرکند فعربت فقيل سمرقند ثم ملك بعده ابنه (ابو مالك بن شمر يرعش) ثم بعده ملك (عمران بن عامر الازدى) من نسل كهلان بن سبا ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن عامر الازدى المزيقيا) وانما سمى مزيقيا لانه كان يلبس فى كل يوم حلة او حلتين فاذا امسى مزقهما لئلا يلبسها احد غيره وهو الذى أحس بسيل العرم المقدم ذكره وخرج من اليمن الى ارض عك وتوفى بها ثم تفرق اولاده الى البلاد وقد ذكر فى كتب السير والتفاسير ان أرض مارب كانت العمارة فيها أكثر من مسيرة شهرين للجيد وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر وكانت المرأة اذا أرادت ان تجنى من ثمرها شيأ وضعت مكتلها على رأسها وخرجت تمشى

الحرا العبسى الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ذكر غزوة افريقية﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح الى اطراف افريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فأذن له فى ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ارسل عثمان عبد الله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها وفيها ولد يزيد بن معاوية وفيها كانت غزوة سابور الاولة وقيل سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك وحج بالناس عثمان

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين﴾

﴿ذكر الزيادة فى الحرم﴾

فى هذه السنة أمر عثمان بتجديد انصاب الحرم وفيها زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان فى بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فاطلقهم (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

﴿ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر وفتح افريقية﴾

فى هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابى سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فتباغيا فكتب عبد الله الى عثمان يقول ان عمرا كسر على الخراج وكتب عمرو يقول ان عبد الله قد كسر على مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له ما حشو جبتك قال عمرو قال قد علمت ولم أردهذا وكان عبد الله من جند مصر وكان قد أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان ان فتح الله عليك فلك من الفىء خمس الخمس نفلا وامر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية ثم يقيم عبد الله فى عمله ففرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطئوا ارض افريقية وكانوا فى جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن سعد لما ولى ارسل الى عثمان فى غزو افريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار أكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن سعد الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وسار والى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو افريقية وبث السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل

قحت الاشجار وهى تغسل او تعمل ما شاءت فلا ترجع حتى يمتلئ مكتلها مما شاءت من الثمار التى تتساقط طيبا وكانوا لا يرون بها السوء من حسن هوائها وكان مقبرهم من اليمن الى الشام يبتنون بقرية ويقيلون باخرى ذات مياه واشجار لا يحتاجون الى حمل زاد اصلا قيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة متصلة من سبا الى الشام ثم انهم بطروا النعمة وسئموا الراحة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لتركب فيها الرواحل وتنزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة فاخرب بلادهم ثم ملك اليمن من بعده اخوه (الافرن) ثم ملك بعده ابنه (ذو حبشان) وهو الذى اوقع بباسم وجديس وذكر بعضهم ان الذى اوقع بجديس وطسم هو حسان بن تبع والله اعلم ثم ملك الامر بعد ذى حبشان اخوه (تبع الاكبر بن الافرن) وكان غزا بلاد الروم حتى بلغ وادى الياقوت فمات قبل ان يدخله وكان ملكه مائة وخمسين سنة ثم ملك بعده (كليكرب) وطال زمانه حتى قيل انه ملك أكثر

ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هنالك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله بن سعد يدعوه الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبد الله بن الزبير في جماعة اليهم ليأتيه باخبارهم فسار مجدا او وصل اليهم والتقوا معهم والتحم القتال وكثر الصياح والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر فثقت ذلك في عضده ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن بالظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابي سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادي جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف فحضر عنده وقال له تأمر مناديا ينادي من أتاني براس جرجير فقتله مائة ألف وزوجته ابنته واستعمله على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف اشد من عبد الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في امداد متصلة وبلادهي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما أذن بالظهر هزم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبية ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف دينار ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على ألفي الف وخمسمائة الف دينار ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وارسله الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية وقيل ان ابنة الملك وقعت لرجل من الانصار فاركبها بعيرا وارتجز بها يقول

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك * ان عليك بالحجاز ربتك

* لتحملن من قباء قربتك *

ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد من ثلثمائة سنة ثم ملك بعده (ابو كرب أسعد بن كليكرب) وهو تبع الاوسط الذي ذكر الله تعالى في القرآن وكان آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام وهو أول من كسا البيت الحرام وأوصى اهله بنظره وكان له بابا ومفتاحا وكان يدين بدين اليهودية فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن ثم قتل ابو كرب وتولى مكانه ابنه (حسان بن تبع) فتتبع قتلة ابيه فقتلهم عن آخرهم وهو الملك السائر من اليمن الى يثرب حتى نزل بين بيوتها واراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من احبار اليهود فكساها القصب اليماني وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم قتله أخوه وملك بعده وهو (عمرو بن تبع) فتوارثته الاسقام حتى كان لا يمضي الى الخلاء الا محمولا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك وكان ملكه اربعا وستين سنة وكان يتفحص كتب آبائه فوجد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في كتب جده افريقس ابن ابرهة فآمن به وقال في ذلك

فيا ليتني الاعواد ادرك أحمدا

فيعقل عنه كل من جاروا عتدى

ويا ليتني الاعواد اخر يومه

من المسلمين الا ثلاثة نفر فقتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك وحمل خمس افريقية الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ما قيل في خمس افريقية فان بعض الناس يقول اعطى عثمان خمس افريقية عبد الله بن سعد وبعضهم يقول اعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا انه اعطى عبد الله خمس الغزوة الاولى واعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقية والله اعلم

﴿ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه ملك مرماولة النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صالح اهل افريقية عبد الله بن سعد ارسل هرقل الى اهلها بطريقا له وامره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق في قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فابوا عليه وقالوا نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة فسار الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل علي فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية ابن حديج السكوني فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك الرومي ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نارتضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه وبات السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر (حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) ثم لم يزل أهل افريقية من اطوع أهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب اليهم اهل العراق فاستنارو هم وشقوا العصا وفرقوا بينهم الى اليوم وكانوا يقولون لا نخالف الائمة بما تجبى العمال فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا حتى نخبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الابرش فقالوا ابلغ امير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا ويجبنه فاذا غنمنا نقلهم ويقول هذا الخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ويقول هذا ازد باد في الاجر ومثلنا كثي اخوانه ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يقرون بطونها عن صغارها يطلبون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد فاحتملنا ذلك ثم انهم سامونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقتلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا ان نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا ام لا فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا ان سأل عنا امير المؤمنين فاخبروه ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما افتتح افريقية امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان

يسيرا

الى ان يرى ذا المكرمات محمدا
شهدت بأن الله لا رب غيره
واني له أضحيت عبدا موحدا
وان الذي يعطيه صفقة كفه
على نصره يوما فقد فاز واهتدى

ثم ملك بعده (عبد كلال بن ذي الاعواد) ثم ملك بعده (تبع بن حسان بن كليكرب) وهو تبع الاصغر ثم ملك بعده ابن أخيه (الحرث بن عمرو) ثم ملك بعده (حرثد بن كلال) وكان ملكه أربعين سنة ثم تفرقت بعده ملوك حمير والذي اشتهر بعده انه ملك (وليعة بن مرثد) مدة تسع وثلاثين سنة ثم ملك بعده (ابرهة بن الصباح) فكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن دقيقان) الذي كان له سيف عمرو بن معديكرب المعروف بالصمصامة وفي ذلك يقول وسيف لابن دقيقان عندي

تخبر نصله من عهد عاد

وذكر ان ملك الروم اهدى الى الرشيد جملة سيوف قلعية فامر الرشيد باحضار صمصامة عمرو ليقر عندهم سيوفهم فجعل يقط بها السيوف سيفا سيفا سيفنا كما يقط الفجل في حضور رسل ملك الروم ثم اراهم حد الصمصامة فاذا ليس به فل

بسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما أما بعد فان القسطنطينية انما افتتح من قبل الاندلس فاخرجوا ومعهم البر ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل افريقية ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن افريقية ترك في عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس فكان عليها ورجع عبد الله الى مصر وبعث عبد الله الى عثمان مالا قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال له يا عمرو هل تعلم ان تلك اللقاح درت بعدك قال عمرو ان فصالها قد هلكت

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان وفيها كان فتح اصطخر الثاني على يد عثمان بن ابي العاص وفيها غزا معاوية بن ابي سفيان قبرس وفيها مات ابو ذؤيب الهذلي الشاعر بمصر منصرفا من افريقية وقيل بل مات بطريق مكة في البادية وقيل مات ببلاد الروم وكلهم قالوا مات في خلافة عثمان وفيها مات ابو رمثة البلوي بافريقية له صحبة وفيها مات حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مات سنة احدى وأربعين وقيل سنة خمس واربعين

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ﴾

﴿ ذكر فتح قبرس ﴾

قيل في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل انما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لان أهلها غدروا على ما ذكر فغزاها المسلمون ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم ابو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية قد لج على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قريبة من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فكتب اليه عمرو بن العاص اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد خرق القلوب وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان تجا برق فلما قرأه كتب الى معاوية والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على اطول شيء من الارض فيستأذن الله في كل يوم وليلة في ان يغرق الارض فكيف احمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم احب الي مما حوت الروم وايالك ان تعرض الي فقد علمت مالقي العلاء مني قال وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وبعثت ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب زوج عمر بن الخطاب الى امرأة ملك الروم بطيب وشيء يصلح للنساء مع البريد فابلغه اليها فاهدت امرأة الملك اليها هدية منها عقد فاخر فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى الصلاة جامعة فاجتمعوا واعلمهم الخبر فقال القائلون هو لها بالذي كان لها وليست امرأة الملك بذمة فقصها نعم وقال آخرون قد كانها هدى للمستثيب فقال عمر لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها فأمر بردها الى بيت المال واعطاها بقدر نفقتها فلما كان زمن عثمان كتب اليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مرارا فاجابه عثمان بآخرة الى ذلك وقال له لا تنتخب الناس ولا تقترع بينهم فمن

ولا أمر وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (الخنيعة ذو الشناتر) لقب به لاصبع زائدة له ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ينكح الاحداث من ابناء الملوك لئلا يملكوا لانهم لم يكونوا يملكون من نكح ولم يزل يظهر الفسق واللواط ويعدل مع ذلك في الرعية وأنصف المظلوم وبعث الى يوسف ذي نواس وكان من ابناء الملوك فلما أتاه الرسول عرف ما يريده فأخذ سكينا لطيفا فاخفاه بين نعله وقدمه فلما خلا معه وثب اليه ذو نواس فقضى عليه ثم حز راسه وكان في قصره كوة يشرف منها على عبيده اذا قضى حاجته من الغلام الذي يباضعه فوضع الرأس فيها ثم خرج على العبيد فقالوا له يا أبا نواس ارطب ام يابس فقال لهم سلوا الشيطان الخناس وليترك ذو نواس اي سلوا الرأس التي في الكوة تخبركم واتركوا اذا نواس فلما رأوا ما فعل ذو نواس بالخنيعة قالوا ينبغي ان لا يملك علينا غيره الذي أراحنا منه فملكوا (ذا

اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية تسعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن اراد هم ممن وراءهم وعليهم ان يؤدوا للمسلمين بمن يرد عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما افتتحت قبرس ونهب منها السبي نظرت الى ابي الدرداء يبكي فقلت ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب منكبي بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا امره بينما هي امة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس له فيهم حاجة * وفي هذه الغزاة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها في أول من يغزو في البحر وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البر والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه في جنده فأجابه فلما أراد الله ان يصيبه في جنده خرج في قارب طلبعة فانتهى الى المرفا من أرض الروم وعليه مساكين يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس في المرفا فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فاعلمهم فجاؤا حتى ارسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدي فخرج اليهم فقاتلهم فصبر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فلزمها يقولها واصيب في المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بعد بأي شيء عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطاني كالملك فعرفتهم بهذا وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من ارض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت قبل ان يدخل بها وفيها جاء عثمان الزوراء وج بالناس عثمان هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسي بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء الاولى الفرافصة بن الاحوص الكلبي الذي من ولده نائلة زوج عثمان)

* ثم دخلت سنة تسع وعشرين *

* (ذكر عزل ابي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها) *

قيل في هذه السنة عزل عثمان ابا موسى الاشعري عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان اهل اينبع والاكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى في الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ما شاء فحمل نفر على دوابهم واجمعوا على ان يحرجوا رجالة وقال آخرون لا نحمل بشيء حتى ننظر ما يصنع فان اشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب في الناس كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى وانوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب ان نسأله عنه فأبى لنا به فقال

نواس) واسمه يوسف وكان يهوديا جبارا وهو صاحب الاخدود الذي ذكره الله تعالى في القرآن قال مقاتل كانت الاخاديد التي في الدنيا ثلاثة واحد بنجران ليوسف المذكور وكان في الفترة قبل البعثة بسبعين سنة والثاني بالشام لانطياقوس الرومي والثالث بفارس لبختنصر فأما الذي بالشام وفارس فلم يذكرا في القرآن وانزل في الذي كان بنجران كذا في معالم التنزيل قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام والري من خراسان وبرسا من الروم ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا بعد حروب طويلة خوفا من العار فاقتحم البحر بفرسه فغرق وهو آخر من ملك من أهل اليمن وكان مدة ملكه سنا وستين سنة فجملة زمان ولاية اليمن نحو ثلاثة آلاف سنة وسبب استيلاء الحبشة على اليمن ان النجاشي ملك الحبشة لما بلغه فعل ذي نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من أنواع العذاب

من تحبون فقالوا غيلان بن خرشة فى كل احد عوض من هذا العبد الذى قد أكل ارضنا اما منكم خمسير فترفعونه أما منكم فقير فتجيرونه يامعشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعرى هذه البلاد فاتنبه لها عثمان فعزل اباموسى وولى عبدالله بن عامر بن كريز فلما سمع ابو موسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر ابن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابى موسى وجند عثمان بن ابى العاص الثقفى من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبدالله بن عمير الليثى وهو من ثعلبة فانتخن فيها الى كابل وانتخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيدالله بن معمر فانتخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبدالرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفر ثم عزل عبدالله بن عمير واستعمل عبدالله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبدالرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيدالله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان امير بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان سنة اربع عمران بن الفضيل البرجمى ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

﴿ذكر انتقاض أهل فارس﴾

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيدالله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته ابو برزة الاسلمى وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن الحصين ولكلهم صحبة واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور وهى اردشيرخره فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتم السير الى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فأتوا ن اصطخر ويغزون نواحى كانت تنتقض عليهم فلما نزل ابن عامر عليها افتتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة بعد ان حاصروها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق فقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى أكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكلهم قد لجؤا اليها وقيل ان أهل اصطخر لما نكثوا عاد اليها ابن عامر قبل وصوله الى جور فملكها عنوة وعاد الى جور فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة ايضا وطئ اهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالخبر فكتب اليه ان يستعمل على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى وهرم بن حيان العبدى والحريت بن راشد والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمى وأمره ان يفرق كور خراسان على جماعة فيجعل الاحنف على المروين وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ وخالد بن عبدالله بن زهير على هراة وأمير

والتحريق بالنيران عبر بالحبشة اليهم وغلبهم (ارياط ابن اصحمة) فلك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه (ابرهة الاشرم) أبو يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ النجاشى ذلك غضب وحلف بالمسيح ان يجز ناصيته ويهريق دمه ويطأ تربته يعنى ارض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من عاج وجعل من دمه فى قارورة وجعل من تربة اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه فى طاعته وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح ان يجز ناصيتى ويريق دمى ويطأ ارضى وقد انفذت الى الملك بناصيتى فليجز ها بيده وبدمى فى قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأها بقدمه وليطفئ الملك عنى غضبه فلما قدم برت يمينه وهو على سرير الملك فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وكان ذلك فى ملك قباذ ملك فارس وابرهة أبو يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة

ابن أحمر على طوس وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور وبه تخرج عبد الله بن خازم وهو ابن عمه ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس واستعمل امير بن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبد الرحمن ابن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على مكران وعمير ابن عثمان بن سعد على فارس وابن كندير الفشيري على كرمان ثم أوفد قيس بن هبيرة عبد الله بن خازم الى ابن عامر في زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا ان خرج عنها قيس ففعل فرجع الى خراسان فلما قتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس الرأي ان تخلفني وتمضي حتى تنظر فيما ينظرون فيه ففعل فاخرج ابن خازم بعده عهدا بخلافته وثبت على خراسان الى ان قام علي بن أبي طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم * (الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)

(ذكر الزيادة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم)

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول وكان ينقل الجص من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كانت ايام عمر ستة ابواب

(ذكر اتمام عثمان الصلاة بجمع واول ما تكلم الناس فيه)

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى وكان اول فسطاط ضربه عثمان بمنى واتم الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهرا حين اتم الصلاة بمنى فعاب ذلك غير واحد من الصحابة وقال له علي ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر يصلون ركعتين وانت صدرا من خلافتك فما دري ما يرجع اليه وقال رأي رأيته وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين قال بلى ولكني أخبرت أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحببت أن يصلي صلاتي وقد اتخذت بمكة أهلا ولي بالطائف مال فقال عبد الرحمن ما في هذا عذر اما قولك اتخذت بها أهلا فان زوجك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وانما تسكن بسكناك واما مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال واما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي والاسلام قليل ثم أبو بكر وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه فقال عثمان هذا رأي رأيته فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما نعلم قال فما اصنع قال اعمل بما ترى وتعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر وقد صليت بأصحابي أربعا فقال عبد الرحمن قد صليت بأصحابي ركعتين واما الآن فسوف اصلي أربعا وقيل كان ذلك سنة ثلاثين

* ثم دخلت سنة ثلاثين *

(ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد)

في هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان وانه كان محبوبا الى الناس فبقي

وذلك لاربعين سنة خلت من ملك أنوشروان فعدل الى الطائف فبعث معه ثقيف بأبي رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك ابو رغال بالطريق في موضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره فلما قرب ابرهة مكة امر عبد المطلب قريشا ان تلحق بيطون الاودية ورؤس الجبال من مضرة الحبشة وقاد الابل النعال وخلاها في الحرم وهو يقول

يارب ان لمرء
منع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك

ذكر العلامة ابو السعود في تفسيره ان ابرهة بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أجيجت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وكان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير التي كان خلاها في الحرم فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه واجله معه

كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم ان شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكابروه فندر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ فاشرف عليهم أبو شريح الخزاعي وكان قد انتقل من المدينة الى الكوفة للقرب من الجهاد فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الازدي ومورع بن أبي مورع الاسدي وشبيل بن أبي الازدي وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد الى عثمان فكتب عثمان بقتلهم فقتلهم على باب القصر ولهذا السبب اخذ في القسامة بقول ولي المقتول عن مثلا من الناس ليقطع الناس عن القتل وكان أبو زبيد الشاعر في الجاهلية والاسلام في بني تغلب وكانوا اخواله فظلموه دينا له فأخذ له الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع اليه وغشيه بالمدينة والكوفة وكان نصرانيا فاسلم عند الوليد وحسن اسلامه فبينما هو عنده أتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم ان الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر فثاروا وأخذوا معهم نفرا من اهل الكوفة فاقتحموا عليه فلم يروا فاقبلوا يتلاومون وسبهم الناس وكتم الوليد ذلك عن عثمان وجاء جندب ورهطه مع الى ابن مسعود فقالوا له ان الوليد معتكف على الخمر واذا عواذ لك فقال ابن مسعود من استرعى مالم تتبع عورته فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا ثم أتى الوليد بساحر فأرسل الى ابن مسعود يسأله عن حده واعترف الساحر عند ابن مسعود وكان يخيل الى الناس انه يدخل في دبر الحمار ويخرج من فيه فامره ابن مسعود بقتله فلما اراد الوليد قتله اقبل الناس ومعهم جندب فضرب الساحر فقتله فحبسه الوليد وكتب الى عثمان فيه وامره باطلاقه وتأديبه ففضب لجندب أصحابه وخرجوا الى عثمان يستعفون من الوليد فردهم خائبين فلما رجعوا اتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ودخل أبو زينب وابو مورع وغيرهما على الوليد فحدثوا عنده فنام فأخذ خاتمه وسارا الى المدينة واستيقظ الوليد فلم ير خاتمه فسأل نساءه عن ذلك فأخبرنه أن آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال هما أبو زينب وابو مورع وارسل يطلبهما فلم يوجد فقدما على عثمان ومعهما غيرهما واخبراه انه شرب الخمر فأرسل الى الوليد فقدم المدينة ودعا بهما عثمان فقال اتشهدان انكما رأيتماه يشرب فقالا لا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص بجلده فاورث ذلك عداوة بين أهليهما فكان على الوليد خمسة فأمر علي بن ابي طالب بنزعها ما جلد هكذا في هذه الرواية والصحيح ان الذي جلده عبد الله بن جعفر بن ابي طالب لان عليا أمر ابنه الحسن ان يجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين فقال علي أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا احب الي وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعا ثم التفت اليهم وقال أزيدكم فقال له ابن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه عند عثمان فامر عليا بجلده فامر علي عبد الله بن جعفر فجلده وقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدري

على سريره وقال اترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر له المائتي بعير قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك ولا تكلمني فيه الهالك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع عبد المطلب وأتى باب الكعبة وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فأرسل الله عليهم الطير الابابيل امثال العواسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين مختلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاتلفهم الله تعالى وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن دليلها على الرجوع وقد تاهوا وذكر في حدائق الاذهان ان ابرهة بعد ان رجع من الحرم سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حتى بعث الله عليه الطير الابابيل فأهلكه وكانت مدة ملكه الى ان هلك نحو خمس عشرة سنة وتولى مكانه ابنه (يكسوم بن ابرهة) فعم لذاه سائر اليمن وكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى فسبي سيف بن ذي يزن وأباه وكان سيف يظن أنه ابن ابرهة

فاستعلم من امه أولدها ابرهة مسروق وكانت امه من آل ذي جدن وكان سيف بن ذي يزن الحميري يكنى بأبي مرة فركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين فلم ينجده لبعد بلاده وقلة خيرها فمضى الى كسرى انوشروان يستنجده فوعده انوشروان بالنصرة واشتغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف ابن ذي يزن فأتاه ابنه (معد يكرب بن سيف) فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لي قبل الملك ميراث فوقف بين يدي انوشروان فسأله عن ميراثه فقال له انا ابن الشيخ الذي وعده الملك النصر على الحبشة قال مالي حاجة في بلادك ثم قال الآن في سجوننا رجال حبستهم للقتل نبعثهم معك فان هلكوا هلكوا وان ظفروا نلت منالك وازددت ملكا الى ملكي فبعثهم وهم ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز بن اصبهبد الديلمي وكان افضلهم حسبا ونسبا فحملوا في ثمان سفائن من دجلة ومعهم خيولهم وعلمانهم وعددهم حتى اتوا ابلة البصرة وهي فرج البحر ولم يكن يومئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا في سفن البحر وساروا حتى

فأبوا اباوهب ولو أذنوا * لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنا نك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجري

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولى سعيد بن العاص بن امية وكان سعيد قد ربي في حجر عمر فلما فتح الشام قدمه فأقام مع معاوية فذكر عمر يوما قريشا فسأل عنه فأخبر انه بالشام فاستقدمه فقدم عليه فقال له قد بلغني عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيرا وقال له هل لك من زوجة قال لا وجاءه بنات سفيان بن عويف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا واذا هلك الرجال ضاع النساء فضمهن في أكفائهن فزوج سعيدا احداهن وزوج عبد الرحمن بن عوف اخرى وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقال له قد هلك رجالنا وبقي الصبيان فضمهن في أكفائنا فزوج سعيدا احداهن وجبير بن مطعم الاخرى وكان عمومته ذوي بلاء في الاسلام وسابقة فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميرا ورجع معه الاشتر وأبو خشنة الغفاري وجندب بن عبد الله * وابن صعب بن جثامة وكانوا ممن شخص مع الوليد يعينونه فصاروا عليه فقال بعض شعراء الكوفة

فررت من الوليد الى سعيد * كاهل الجراذ جزعوا فباروا
بلينا من قريش كل عام * امير محدث او مستشار
لنا نار نخوفها فتخشى * وليس لهم فلا يخشون نار

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم واني لكاره ولكني لم أجد بدا اذ أمرت ان اعتم الا ان الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها ووالله لاضربن بين وجوهها حتى أقمعها او تعيبني والي لرائد نفسي اليوم ثم نزل وسأل عن اهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشر منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لا ينظر الى ذي شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان أما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد ولكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تشاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد الى أهل الايام والقادسية فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبئ عن الجسد فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وادخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وجعل القراء في سمره ففتشت القالة في اهل الكوفة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس واخبرهم بما كتب اليه فقالوا له أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فانه اذا نهض في الامور من ليس بأهل لها لم يحتملها وافسدها فقال عثمان يا اهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن واني والله لا تخلصن لكم الذي لكم حتى انقله اليكم ان رأيتم حتى يأتي من شهد مع اهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده فقالوا كيف تنقل الينا سهمنا من الارضين فقال بيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرا لم يكن في حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجازاهم عن تراض منهم ومن الناس واقروا بالحقوق

﴿ ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان ﴾

فى هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان فانهم لم يغزها أحد الى هذه السنة وقد تقدم فى أيام عمر الخلاف فى ذلك وان اصبهبذها صالح سويد بن مقرن أيام عمر على مال بذله وأما على هذا القول فان سعيدا غزاها من الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهى صلح صالحهم حذيفة بعدنها وندفأتى جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى طميسة وهى كلها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر فقاتله اهلها فصلى صلاة الخوف اعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلوا اجمعين الا رجلا واحدا وحوى ما فى الحصن فأصاب رجل من بنى نهد سفطا عليه قفل فظن ان فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث الى النهدى فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أبيات كتبت وورد فقال شاعر يهجو بنى نهد

آب الكرام بالسباء وغنمه * وآب بنو نهد بأبيرين فى سفط
كتبت ووردوا فرين كلاهما * فظنوهما عنما فنا هيك من غلط

وفتح سعيد نامية وليست بمدينة هى صحارى ومات مع سعيد محمد بن الحكم بن ابى عقيل جد يوسف بن عمر ثم رجع سعيد فمدحه كعب بن جعيل

فنعم الفتى اذ حال جيلان دونه * واذ هبطوا من دستبى وابهرا

فى أبيات ولما صالح سعيد اهل جرجان كانوا يجبون احيانا مائة ألف واحيانا مائتى الف واحيانا ثلثمائة الف ويقولون هذا صلح صلحنا وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس الا على خوف شديد منهم كان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان الى خراسان واول من سير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صولا وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

﴿ ذكر غزو حذيفة الباب وامر المصاحف ﴾

وفيها صرف حذيفة عن غزو الرى الى غزو الباب مدد العبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد ابن العاص فبلغ معه اذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردأ فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت فى سفرتى هذه امرا ان تركه الناس ليختلفن فى القرآن ثم لا يقومون عليه ابدا قال وماذاك قال رأيت اناسا من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت اهل دمشق يقولون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابن مسعود واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابى موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب فلما وصلوا الى الكوفة اخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله

اتوا ساحل حضرموت موضعا يقال له موت فخرجوا من السفن وقد كان اصيب بعضهم فى البحر فأمرهم وهرزان يحرقوا السفن ويعلموا انه الموت ولا مفر منه فيجهدون انفسهم فيما خبرهم الى ملك اليمن مسروق ابن ابرهة فأتاهم فى مائة الف من الحبشة وغيرهم فتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرزان كان معه من الفرس اصدقوهم الحملة واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف من محاربة الفرس على فرس استصغارا لاصحاب السفن فدعا بحمار فركبه فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل عن كبير الى صغير وكان بين عيسى مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بعلاق من الذهب تضىء كالنار فرماه وهرز بسهم فى جبهته فقتله وكان مجيد الرمى لا يوزقوسه غيره اشد تها ثم حملت الفرس عليهم فانهزموا فقتلوا منهم نحو ثلاثين الفا وقد كان انوشروان شرط على معد يكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج من اليمن ولا تتزوج اليمن منها وخراجها يحمل اليه

فتوج وهرز معديكرب بتاج كان معه وبدلة من الفضة البسه اياها وكتب الى انوشروان بالفتح واخرجت الحبشة من اليمن وكانت معهم نحو اثنتين وسبعين سنة ثم عاد ملك اليمن الى حمير وكان مدة مسروق الى ان قتل ثلاث سنين وكان معديكرب بعد ان جلس على سرير الملك واتته الوفود من العرب تهنئه بعود الملك اليهم قد اصطفى جماعة من الحبشان وجعلهم من خاصته فاغتالوه وقتلوه وبه انقطع الملك باليمن عن أولاد سبا وكان وهرز والى معديكرب فاعلم ملك الفرس بذلك فسير له من الابرار بعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وان لا يبقى أحدا من الحبشة فأتى (وهرز) اليمن ونزل صنعاء فلم يترك أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم ملك بعده ولده (مرزبان ابن وهرز) الى ان هلك فولى كسرى مكانه رجلا من فارس يقال له (سيحان) ثم مات سيحان فأمر كسرى ابنه (نرخسبره) ثم عزله وامر (باذان بن ساسان) فلم يزل عليها حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم باذان

عليه وسلم وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر السنا نقرأه على قراءة ابن مسعود فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا انما أنتم اعراب فاسكتوا فانكم على خطا وقال حذيفة والله لئن عشت لآتين امير المؤمنين ولاشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار الى عثمان فاخبره بالذى رأى وقال أنا النذير العريان فادركوا الامة فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعا ما رأى حذيفة فارسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلى الينا بالصحف تنسخها وكانت هذه الصحف هى التى كتبت فى ايام ابى بكر فان القتل لما كثر فى الصحابة يوم اليمامة قال عمر لابى بكر ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة وانى أخشى ان يستحر القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير وانى أرى ان تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبى بكر ثم عند عمر فلما توفى عمر أخذتها حفصة فكانت عندها فأرسل عثمان اليها أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان الى حفصة وارسل الى كل أفق بمصحف وحرق ماسوى ذلك وأمر ان يعقد واعليها ويدعوا ما سوى ذلك فكل الناس عرف فضل هذا الفعل الا ما كان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم عليهم فرح به اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان اصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود وقال ولا كل ذلك فانكم والله قد سبقتم سبقا بينا فاربعوا على ظلعكم ولما قدم على الكوفة قام اليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف فصاح وقال اسكت فعن ملا منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله

(ذكر سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس)

وفيها وقع خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وهى على ميلين من المدينة وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما أراد ان يكاتب الاعاجم يدعوهم الى الله تعالى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا مختوما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمل له خاتم من حديد فلما عمل جعله فى اصبعه فأتاه جبريل فنهاه عنه فنبذه وامر فعمل له خاتم من نحاس وجعله فى اصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله فى اصبعه فأمره جبريل ان يقره فأقره وكان نقشه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر فتختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ثم تختم به ابو بكر حتى توفى ثم عمر حتى توفى ثم تختم به عثمان ست سنين فخفر وا بئرا بالمدينة شربا للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده فى البئر فطلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس منه صنع خاتما آخر على مثاله ونقشه فبقى فى اصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه

(ذكر تسيير ابى ذر الى الربذة)

وفى هذه السنة كان ماذكر فى أمر أبى ذر واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة وقد ذكر فى سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه وتهديده بالقتل وحمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لايصح النقل به ولو صح لكان ينبغى ان يعتذر عن عثمان فان للامام ان يؤدب رعيته وغير ذلك من الاعذار لا ان يجعل ذلك سببا للطعن عليه كرهت ذكرها واما العاذرون فانهم قالوا لما ورد ابن السوداء الى الشام لقى اباذر فقال يا اباذر الا تعجب من معاوية يقول المال مال الله الا ان كل شئ لله كأنه يريد ان يحتجنه دون الناس ويمحو اسم المسلمين فأتاه ابوذر فقال مايدعوك الى ان تسمى مال المسلمين مال الله الساعة قال يرحمك الله يا اباذر اسنا عباد الله والمال ماله قال فلا اتقل له قال ساقول مال المسلمين وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك أظنك يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذى بعث عليك أباذر وكان أبوذر يذهب الى ان المسلم لا ينبغى له ان يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شئ ينفقه فى سبيل الله أو يعده لكريم ويأخذ بظاهر القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فكان يقوم بالشام ويقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بكى ومن نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء وشكا الاغنياء مايلقون منهم فأرسل معاوية اليه بالف دينار فى جنح الليل فانفقها فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذى أرسله اليه فقال اذهب الى ابى ذر فقل له انفذ جسدى من عذاب معاوية فانه ارسلنى الى غيرك وانى أخطأت بك فافعل ذلك فقال له ابوذر يا بنى قل له والله ما اصبح عندنا من دنانيرك دينار ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها فلما رأى معاوية ان فعله يصدق قوله كتب الى عثمان ان اباذر قد ضيق على وقد كان كذا وكذا للذى يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا ان تثب فلا تنكأ القرح وجهز اباذر الى وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وبعث اليه بأبى ذر فلما قدم المدينة ورأى الجماس فى اصل جبل سلع قال بشر اهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له مالاهل الشام يشكون ذرب لسانك فاخبره فقال يا اباذر على ان اقضى ما على وان ادعو الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما على ان اجبرهم على الزهد فقال ابوذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات فقال كعب الاحبار وكان حاضرا من ادى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه ابوذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا فاستوهب عثمان كعبا شجته فوهبه فقال لابوذر لعثمان تأذن لى فى الخروج من المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين واجرى عليه كل يوم عطاء وكذلك على رافع بن خديج وكان قد خرج ايضا عن المدينة لشئ سمعه وكان ابوذر يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا واخرج معاوية اليه اهله فخرجوا ومعهم جراب منقل يد الرجل فقال انظروا الى هذا الذى يزهد فى الدنيا ما عنده فقالت امرأته والله ما هو دينار ولا درهم ولكنه افلوس

المذكور وكان سبب اسلامه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ارسل كسرى يدعوه الى الاسلام مزقه وأمر باذان المذكور وهو ملك اليمن ان أرسل الى رأس هذا الذى يدعى انه نبى فارسل باذان قاصده الى المدينة لينظر حيلة فى قتل النبى صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى نبيه ما اضمر باذان وقاصده فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم القاصد ان كسرى قتل فى يوم كذا فى شهر كذا فرجع القاصد خائبا خاسرا فما لبث ان جاء الخبر بقتله فاسلم باذان ومن معه وحسن اسلامه وتوفى باذان فى السنة العاشرة من الهجرة وعين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من اليمن الى ابنه شهر بن باذان وهو أول أمير ولى باليمن فى الاسلام وقد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للعوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم ان شاء الله تعالى وتعاظم

(الباب السادس عشر فى ذكر ملوك الحيرة وما سلكوه من السيرة)

وكانت دولتهم من أعظم دول

كان اذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلو سالحوا نجنا وما نزل الربذة اقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة فقال تقدم يا اباذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع فأنت عبد واست بأجدع وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء وفيها مات حاطب بن ابي بلتعة اللخمي وهو من اهل بدر (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق بوزن مقرعة) وفيها مات عمرو بن ابي سرح الفهري وكان بدريا * وفيها مات مسعود بن الربيع وقيل ابن ربيعة بن عمرو القاري من القارة اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وشهد بدرا وكان عمره قد جاوز الستين * وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الانصاري شهد بدرا وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم فيها وفي غيرها * وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدريا وجبار بن صخر وهو بدري ايضا (جبار بالجيم وآخره راء)

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين

﴿ ذكر غزوة الصواري ﴾

قيل وفي هذه السنة كانت غزوة الصواري وقيل كانت سنة اربع وثلاثين وقيل في سنة احدى وثلاثين كانت غزوة الاساورة وقيل كانتا معا سنة احدى وثلاثين وكان على المسلمين معاوية وكان قد جمع الشام له أيام عثمان وسبب جمعه له ان أبا عبيدة بن الجراح لما حضره استخلف على عمله عياض بن غنم وكان خاله وابن عمه وكان جوادا مشهورا وقيل استخلف معاذ بن جبل على ما تقدم فمات عياض واستخلف عمر بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد وأمر عمر مكانه عمير ابن سعد الانصاري ومات عمير وعمير على حمص وقنسرين ومات يزيد بن ابي سفيان فجعل عمر مكانه اخاه معاوية فاجتمعت لمعاوية الاردن ودمشق ومرض عمير بن سعد فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع الى اهله فأذن له وضم عثمان حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن بن علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من امارة عثمان فهذا كان سبب اجتماع الشام له واما سبب هذه الغزوة فان المسلمين لما اصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن ابي سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فارسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا اليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أياما ورجع فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي

ملوك العرب اولهم (مالك ابن فهم الازدي) وكان خرج مع عمرو لما أحمر بسيل العرم باليمن نزل بالحيرة وكان ملكا على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت ديارهم بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الخانوقة وقرقيسيا وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف وكانت مدة ملكه على الحيرة عشرين سنة ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم الازدي) ثم ملك بعده ابن أخيه (جذيمة الوضاح) وكان يقال له الابرش لبرص كان به وهو أول من عمل له المجنيق من ملوك العرب واول من جذبت له البغال واول من رفع بين يديه الشمع وكان من تجبره لا ينادم أحدا من الناس وكان ينادم الفرقدين واذا شرب قدحا صب لهذا قدحا ولهذا قدحا وكان جذيمة جمع عمانا من ابناء الملوك يخدمونه منهم عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبا وكان جميلا فعشقته رقاش اخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر اخطبني اليه فانه يزوجك وأشهد القوم عليه فلما سقى عدي جذيمة وسكر قال له سلني ما أحببت قال زوجني اختك رقاش

حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة واظهر اعيبه وما غيره وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لاتركبا معنا فركبا في مركب ما معهما الا القبط فاقوا المدوفكانا أقل المسلمين نكاية وقتالا فقيل لهما في ذلك فقالا كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا فأرسل اليهما عبد الله ينهاهما ويتهددهما فقد الناس بقولهما وتكلموا مالم يكونوا ينطقون به واما قسطنطين فانه سار في مركبه الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وافنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب وأذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية * وقيل في هذه السنة فتحت ارمينية على يد حبيب بن مسلمة وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ﴾

في هذه السنة هرب يزدجرد من فارس الى خراسان في قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فيه وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهي اردشيرخرة في سنة ثلاثين فوجه ابن عامر في اثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان العبدي وقيل هرم بن حيان اليشكري فاتبعه الى كرمان فهرب يزدجرد الى خراسان وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق واشتد البرد وكان الثلج قد درج فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمي ذلك القصر قصر مجاشع لان جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان هذا على قول من يقول ان هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة واما سبب قتله على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان فقد اختلف الناس في سبب قتله فقيل انه هرب من كرمان في جماعة الى مرو ومعه خزاد اخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه مخافة أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه وقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب فأوى الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله وقيل بل بيته اهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقارون تبعوا أثره الى بيت الذي ينقر الارحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله وكان يزدجرد قد وطئ امرأة بها فولدت له غلاما ذاهب الشق ولدته بعد قتله فسمي المخدج فولد له اولاد بخراسان فوجد قتيبة بن مسلم حين افتتح الصغد وغيرها جارية تبيعن من ولد المخدج فبعث بهما او باحداهما الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل الى اصطخر فوضع في ناووس هناك وقيل ان يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند الى أرض اصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيأ يسيرا فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له فضربه وشجه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فرحل عن أصبهان من

قال قد فعلت لخطبها وأشهد القوم عليه فعلت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت ادخل علي فقعل فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدى المذكور ولحق بقومه وقيل انه ظفر به وقتله وحملت رقاش فقال لها جذيمة

حدثيني وأنت غير كذوب
ابحر زنيت ام بجبين
ام بعبد وأنت اهل لعبد
ام بدون وأنت اهل لدون

(فاجابته رقاش تقول)

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره وجاءت بولد وسمته عمرا وتبناه جذيمة وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له ولد ثم عدم الغلام وتزعم العرب ان الجن اختطفته ثم وجد رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل بوادي سماوة فحملاه الى جذيمة وذلك بعد ان بلغ جذيمة في السؤال عنه في الآفاق فعرفه وضمه اليه وقال لهما اطلبا ما شئتما فقالا له نطلب مناد مثلك ما بقيت وبقينا وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كنادمي جذيمة ويقال انهما نادماه أربعين

سنة ولم يعد اليه حديثا

(وفي أيامه) كان قد ملك الجزيرة واعمال الفرات ومشارف الشام رجل من العماقة يقال له عمرو بن الظارب بن حسان العملقي فجرى بينه وبين جذيمة حروب فانتصر جذيمة عليه وقتل عمرو وكان لعمرو بنت تدعى الزباء واسمها نائلة فملكت بعده وبنت مدينتين متقابلتين على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهما اليوم خراب وكان فيما كرقد أسقفت الفرات وجعلته طريقا بين مدينتيها وأخذت في الحيلة على جذيمة وأطمعته بنفسها حتى اغتر جذيمة وكانت بكرا فجمع جذيمة أصحابه فاستشارهم فأشار واعليه بالمضي اليها وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من ثلم وقال له لا تفعل فخالفه وقدم اليها فظفرت به وقتلته وأخذت بثار أبيها فلما قتل جذيمة ملك بعده ابن أخته (عمرو بن عدي) وأخذ في الحيلة فاتفق عمرو مع قصير وجدع أنف قصير فضربه بالسياط وهرب قصير على تلك الحالة الى الزباء على انه مغاضب لعمرو فلما رأته على تلك الحالة أنعمت عليه وقربته وصار من أخصائها وكان قصير يتجر للزباء ويأخذ المال من مولاه

ساعته فاتى الري فخرج اليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده واخبره بحصانتها فلم يجبه وقيل مضى من فوره ذلك الى سجستان ثم سار الى مرو في ألف فارس وقيل بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثا فطلب اليه دهقانه شيأ فلم يجبه فجزه برجله وطرده عن بلاده فسار الى سجستان فأقام بها نحوا من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر يستمدهم وكان الدهقان يومئذ بمرو وماهويه أبو براز فوكل ماهويه بمرو وابنه براز يحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفا من مكره فركب يزدجرد يوما وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأومأ اليه ابوه ان لا يفعل فقطن له رجل من أصحاب يزدجرد فاعلمه بذلك واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقيل أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه الى صنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل في هلاك يزدجرد فكتب الى نيزك طرخان يدعوه الى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له ان فعل ان يعطيه كل يوم ألف درهم فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه بنفسه ان أبعد عسكره وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى ان تبعد عنك أصحابك وفرخزاد وقال أبو براز أرى ان تتألف نيزك وتجيبه الى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال اظنكم قاتلي هذا ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده انه آمن وانه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه الى ماهويه وأشهد بذلك واقبل نيزك فاقبله يزدجرد بالمزامير والملاهي أشار عليه بذلك ابو براز فلما لقيه تأخر عنه ابو براز فاستقبله نيزك ماشيا فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول زوجني احدى بناتك حتى أنام معك في فتال عدوك فسبه يزدجرد فضربه نيزك بمقرعته وصاح يزدجرد وركض منهزما وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد الى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة ايام لم يأكل طعاما فقال له الطحان اخرج أيها الشقي فكل طعاما فقد جعت فقال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم مع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فاخبرهم به وبحليته فأرسل اليه أبو براز رجلا من الاساورة وأمره بخنقه والقائه في النهر وأتى الطحان فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجعد فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه اني لاجد ريح مسك ونظر الى طرف ثوبه من ديباج في الماء فجذبه فاذا هو يزدجرد فسأله ان لا يقتله ولا يدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له اعطني أربعة دراهم وأخلي عنك فلم يكن معه وقال ان خاتمي لا يحصى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبرني اني سأحتاج الى أربعة دراهم فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فاعطاه الطحان ليستر عليه واراد قتله فقال ويحكم انا نجد في كتبنا انه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا فلا تقتلوني واحملوني الى الدهقان اوالى العرب فانهم يستبقون مثلي فأخذ واما عليه وخنقوه بوتر القوس والقوه في الماء فأخذه الاسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه وسأل ابو براز عن أحد القرطين وأخذ الذي

دل عليه فضربه حتى اتى على نفسه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب اليها فمر على الطبسين وقهستان فى أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه فائد ان يقال لاحدهما برار وللآخر سنجان وكانا متباغضين فسعى برازبسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وافضى ذلك الى امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب برازوخاف يزدجرد فهرب ايضا الى رحا على فرسخين من مرو فدخل بيت نظار الرحا فاطعمه الطحان فطلب منه شيأ فاعطاه منطقته فقال انما يكفيني أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفاس كان معه وأخذ ما عليه والقى جثته فى الماء وشق بطنه وثقله وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وانما شهريار ابن شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها واحسانها الى اهل ملتنا مع ما نال النصارى فى ملك جده انوشروان من الشرف فينبغى ان نحزن لقتله وينبغى له ناووسا فأجابوه الى ذلك وبنوا له ناووسا واخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى الناووس وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وست عشرة سنة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل اردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن أوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال أولم تؤمر بالمسير وكره ان يظهر انه قبل رأيه وقيل ان ابن عامر لما فتح فارس عاد الى البصرة واستخلف على اصطخر شريك بن الاعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل البصرة أتاه الاحنف بن قيس وقيل غيره فقال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعزه فتجهز وسار واستخلف على البصرة زيادا وسار الى كرمان فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا ايضا قد غدروا ونقضوا الصلح وسار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه أهلهما وسار الى قهستان فلقيه اهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم وقدم عليهما ابن عامر فصالحه اهلها على سبعمائة ألف درهم وقيل كان المتوجه الى قهستان أمير بن أحمر اليشكرى وهى بلاد بكر بن وائل وبعث ابن عامر سرية الى رستاق زام من أعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من أعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من أعمال نيسابور ايضا ووجه ابن عامر الاسود بن كلثوم العدوى من عدى الرباب وكان ناسكا الى بيهق من أعمالها أيضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره من بطون السباع والطير فلم يوار أخوه ودفن من استشهد من اصحابه وفتح ابن عامر بشت من نيسابور (وهذه بشت بالشين المعجمة وليست ببست التى بالسين المهملة تلك من بلاد الداور وهذه من خراسان من نيسابور) وافتتح خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر

ويعطيه الى الزياء على انه كسب متجرها مرة بعد اخرى حتى أتى بقفل نحو ألف جمل من الصناديق واقفالها من داخل وفيها رجال مستعدون للحرب فلما شاهدت الزياء ثقل تلك الاحمال ارتابت منها وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا

فلما دخلت الابل الى حصن الزياء خرجت الرجال من الصناديق وأخذوا المدينة عنوة فخرجت الزياء هاربة من قصرها الى السرب الذى اتخذته تحت الفرات الى حصن أختها فى الجانب الآخر وكان قصيرا قد وقف على طريق السرب فابصرت قصيرا ومعه عمرو بيده السيف فصت خائما كان فى يدها فيه سم ساعة وقالت يدى لا يد عمرو فذهبت مثلا وخربت المدينة وسبيت الذراري وأخذ عمرو بثارخاله جذيمة وطال ملكه الى أن بلغ ثمانمائة سنة ثم ملك بعده ابنه (امرؤ القيس بن عمرو) مائتين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن امرئ القيس) خمسا وعشرين سنة وكان ملكه فى أيام سابور ذى الاكتاف وكانت امه مارية التى يضرب المثل

بقرطها فيقال قرط مارية ثم
ملك بعده من العمالقة
(أوس بن قلام العمليقي)
ثم ملك آخر من العماليق ثم
رجع الملك الى بني عمرو بن
عدي بن نصر بن ربيعة
اللخميين المذكورين وملك
منهم (امرؤ القيس الثاني)
المعروف بالمحرق لانه أول
من عاقب بالنار ثم ملك بعده
(النعمان الاعور بن امرئ
القيس) وهو الذي بنى
الخورنق وكردس الكراديس
وبقي في الملك ثلاثين سنة
ويقال انه أشرف يوما على
جانب الخورنق فقال أكل
ما أراه الى نفاد فقيل له نعم
فتزهد وخرج عن الملك فقال
اي خير في ملك آخره الى
نفاد وكان ذلك في زمن بهرام
جور ولما تزهد ملك بعده
ابنه (المنذر بن النعمان)
ثم ملك بعده ابنه (الاسود
ابن المنذر) قتلته غسان
وانتصرت عليه ثم ملك بعده
اخوه (المنذر بن المنذر بن
النعمان) ثم ملك بعده
(علقمة الذميلي) وذميل
بطن من لخم ثم ملك بعده
(امرؤ القيس بن النعمان)
وهو الذي قتل سنمار الذي
بنى لامرئ القيس قصيره لئلا
يبنى لغيره مثله فالقاه من
اعلاه. قيل انه كان واقفا
يوما بين يدي الملك وذكر
القصير وحسن بنائه فاغتر

أهلها أشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك
الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب
وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور
فصالحه على ألف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وأبيورد
فافتتحوها صلحا وسير سرية اخرى الى سرخس مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم
طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فأجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى
مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه
عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم وقيل غيره فبلغ مرزبان
هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر في
الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه
البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي الف درهم وقيل غير ذلك وأرسل
ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مروكلها صلحا الا قرية منها يقال لها
سنج فانها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) ووجه ابن
عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر ببرستاق يعرف برستاق الاحنف ويدعى سوا شجرد
فحصرها اهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف أصالحكم على ان يدخل رجل منا
القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله
أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى
الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت
على رستاق بغ واستفاءت منه مواشي ثم صالحوا أهله وجمع له أهل طخارستان فاجتمع اهل
الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك
الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون
وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان
فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعدل
اموركم وابدؤا بالجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغفلوا يسلم لكم جهادكم فسار
الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وقتلوا
الجوزجان عنوة فقال ابن الغريرة النهشلي

سقى صوب السحاب اذا استهلت * مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوت * اقادهم هنالك الاقرعان

وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب وقيل بل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى
بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحها أهلها على أربعمائة الف وقيل سبعمائة ألف واستعمل
على بلخ أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه
فقال له حضين بن المنذر قال عمرو بن معديكرب

اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجيبهم المهرجان فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأوانى وثياب وغير ذلك فقال لهم ما صالحناهم على هذا فقالوا لا ولكن هذا شئ نفعله فى هذا اليوم بامر ائتنا فقال ما أدرى ما هذا ولعله من حق ولكن أقبضه حتى أنظر فقبضه حتى قدم الاحنف فاخبر فسألهم عنه فقالوا ما قالوا الا سيد فحمله الى ابن عامر واخبره عنه فقال خذه يا أبا بحر قال لا حاجة لى فيه فأخذه ابن عامر قال الحسن البصرى فضمه القرشى وكان مضما ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاجرم لاجعلن شكرى لله على ذلك ان أخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهله وأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين حضين بن المنذر بالضاد المعجمة)

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان على ما ذكرناه قبل أمره ان يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا ففتح هميد عنوة واستبقى أهلها واعطاهم أمانا برئ بها قصرا يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهى مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فقتل كثيرا من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى مواضع منها واذوا العشر منها

﴿ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما ﴾

قد تقدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى اتى حصن زالق فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بأن غرز غنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كرکويه فصالحه أهلها وسار الى رزنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم أتى شروذ فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه هرزبان الصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها الى سناروذ وهى وادفعبره واتى القرية التى بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصف وسبى فيها اربعين ألف رأس

وقال والله أقدر ان أبنى قصرا بديعا كلما مضت ساعة من النهار تلون بلون الشمس فغضب امرؤ القيس وقال قصرت فى حق فأمر به فألقى من أعلى القصر فمات قال الشاعر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله يجازى الذى جوزى قديما سنمار

ثم ملك بعده ابنه (المنذر ابن امرئ القيس) ويقال لامه ماء السماء لحسنها وجمالها واسمها ماوية وقيل لولدها بنو ماء السماء وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة وولى مكانه (الحرث بن عمرو بن حجر الكندى) ثم لما مكن كسرى انوشروان فى الملك طرد الحرث واعاد (المنذر) المذكور ثم ملك بعده (عمرو ابن المنذر) أربعا وعشرين سنة ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعده أخوه (قابوس بن المنذر) ثم ملك بعده أخوهما (المنذر بن المنذر أبن امرئ القيس) ثم ملك بعده (النعمان بن المنذر ابن المنذر بن ماء السماء) ملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى ابرويز وهذا هو الذى ينسب اليه الزهر المعروف بشقائق النعمان ولقد أحسن من قال فى

وكان كاتبه الحسن البصري فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداور فلما انتهى الى بلد الداور حصرهم في جبل الزوز ثم صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان أعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها امير بن أحمر اليشكري وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا ولا مير يقول زياد بن الاعجم

لولا أمير هلكت يشكر * ويشكر هلكى على كل حال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة عثمان وفيها مات ابو الدرداء الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وفيها مات ابو طلحة الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة احدى وخمسين وفيها مات ابو أسيد الساعدي وقيل مات سنة ستين وهو على هذا القول آخر من مات من البدريين (أسيد بضم الهمزة) وفيها مات ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم وأخوه الطفيل وابو سفيان بن حرب بن امية وهو ابن عثمان وثمانين سنة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ﴾

قيل في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة وقيل فاختة

﴿ ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة ﴾

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين وسببه ان الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا كالا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم احد في غزوهم وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعدوهم الى حربهم ثم انعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعيه قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فاخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نحو امعه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفرز التميمي في خباء واحد وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحجال بن درئ والقرثع في خباء فكانوا متجاورين في ذلك العسكر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على

حق أبي حنيفة رحمه الله تعالى
اياجبلي نعمان ان حصا كما
يحصي وما تحصى مناقب نعمان
جلائل كتب الفقه طالع تجدلها
حقائق نعمان شقائق نعمان
(حكى) انه كان له نديمان يقال لاحدهما عمرو بن سعد وللاخر عمرو بن الملك فسكر النعمان ذات ليلة فامر بدفنهما حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فبنى عليهما بناء وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم فاذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء وهو موضع معروف بالكوفة وكان اذا لقيه أحد يوم نعيمه اغناه فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طيئ فأراد قتله فقال حييا الله الملك ان لي صبية صغارا ولم اوص بهم احدا فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم واعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم فرق له النعمان وقال له لا الآن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان وزيره شريك ابن عمرو فنظر اليه الطائي فقال

ياشريكا يا ابن عمرو
هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب

الثياب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباه عليه ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ورأى يزيد بن معاوية أن غزالا جيء به لم ير أحسن منه فلف في ملحفة ثم دفن في قبر لم ير أحسن منه عليه ثلاثة نفر فعمدوا فلما استيقظوا اقتتل الناس رمى بحجر فهشم رأسه فبات فكانا زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ فدفن في قبر على الصورة التي رأى وقال معضد لعلقمة أعرفي بردك أعصب به رأسي ففعل فأتى برمح بالنهر الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه بحجر عرادة ففضخ هامته فأخذه أصحابه فدفنوه الى جنب يزيد وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه وكان يشم دفنه الجمعة ويقول يحملني على هذا أن دم معضد فيه وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى ثم قتل وأما القرنع فانه قاتل حتى خرق بالحراب فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال ناقه أتتنك أهل الكوفة اللهم تب عليهم واقبل بهم وكان عثمان قد كتب الى سعيد بن العاص ان ينفذ سلمان الى الباب للغزو فيره فاتى المهزومين على ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سعيد سلمان بن ربيعة على الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال اهل الشام لقد هممنا بضرب سلمان فقال الكوفيون اذن والله نضرب حبيبا ونحبسه وان ابيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وقال أوس بن مغراء في ذلك

ان تضربوا سلمان نضرب حبيبكم * وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وان تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا * وهذا أمير في الكتائب مقبل
ونحن ولاة الامر كنا حمائه * لدى كل ثغر ونعكل

واراد حبيب ان يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش اذا جاء من الكوفة فكان ذلك اول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام وغزا حذيفة ثلاث غزوات فقتل عثمان في الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال حذيفة بن اليمان اللهم العن قتلته وشانمه اللهم انا كنا نهابه ويهابنا فاتخذوا ذلك سلما الى الفتنة اللهم لا تتهم الا بالسيوف

﴿ ذكر وفاة ابي ذر ﴾

وفيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته استشرفي بابنية هل ترين احدا قالت لا قال فاجاءت ساعتي بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال اذا جاءك الذين يدفنوني فانه سيشهدني قوم صالحون فقولي لهم يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظري هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب قال استقبلي بي الكعبة ففعلت فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا ابا ذر قالوا وأين هو فاشارت اليه قالوا نعم ونعمة عين لقد اكرمنا الله بذلك وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وقالت لهم ابنته ان ابا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا وحملوا اهله معهم حتى اقدموهم مكة ونعوه الى عثمان فضم ابنته الى عياله وقال يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة ولما حضر واشموا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت انه لما حضر قال ان الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون فدوفي لهم مسكا بماء ورشي به

يا اخا من لا اخا له
يا أخا النعمان ذيلك ال
سبوم عن شيخ علا له
ابن شيبان قتيل
أحسن الله فعاله
فقال شريك هو على اصلح
الله الملك قضى الطائي
وأجل أجلا يأتي فيه فلما
كان ذلك اليوم أحضر
النعمان شريكا وجعل
يقول له ان صدر هذا اليوم
قد ولى وشريك يقول ليس
لك على سبيل حتى يمسي فلما
أمسى اقبل شخص من
بعيد والنعمان ينظر اليه
والى شريك فقال له ليس
لك على سبيل حتى يدنو
الشخص فلما له صاحبي
فبينما هم كذلك اذ اقبل
الطائي فقال النعمان والله
ما رأيت اكرم منكما وما
أدري أيكما اكرم اهذا
الذي ضمنك في الموت ام
انت اذ رجعت الى القتل
ثم قال لشريك الوزير ما حملك
على ضمانه مع علمك انه
الموت قال لئلا يقال ذهب
الكرم من الوزراء وقال
للطائي ما حملك على الرجوع
وفيه تلافك قال لئلا يقال
ذهب الوفاء من الناس
ويكون عارا في عقبي وفي
قبيلتي قال النعمان فوالله
لا أكون الا ثم الثلاثة فيقال
ذهب العفو من الملوك فعفا
عنه وأمر برفع يوم بؤسه

١٢٣٨٢

الخلماء وكان النفر الذين شهدوه ابن مسعود وأبا مفرز وبكر بن عبد الله التميمين والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعيين والحجاج الضبي والحرث بن سويد التيمي وعمرو بن عتبة السلمي وابن ربيعة السلمي وأبا رافع المزني وسويد بن شعبة التميمي ويزيد بن معاوية النخعي واخا القرثع الضبي وأخاه عضد الشيء أنى وقيل كان موته سنة احدى وثلاثين وقيل ان ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذر معه انما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فاعلمه بموته فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه

﴿ ذكر خروج قارن ﴾

ثم جمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان واقبل في أربعين ألفا فقال قيس لابن خازم ماترى قال ارى ان تخلي البلاد فاني اميرها ومعي عهد من ابن عامر اذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابا كان قد افتعله عمدا فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد واقبل الى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال قد تركت البلاد خرابا واقبلت قال جاءني بعهد منك قال فسار ابن خازم الى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدوح كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أو قطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته سبعمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فنادوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترتفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن فانهزم المشركون واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضي واقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى امر الجمل وأقبل الى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سنبيل وقيل لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله ابن خازم فيما يصنع فقال ارى انك لا تطيق كثرة من قد أتانا فاخرج بنفسك الى ابن عامر فتخبره بكثرة العدو ونقيم نحن في الحصون ونطاولهم ويأتينا مددكم فخرج قيس فلما امعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولاني ابن عامر خراسان وسار الى قارن فظفر به وكتب بالفتح الى ابن عامر فأقره على خراسان ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من اهل خراسان فاذا عادوا تركوا اربعة آلاف نجدة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفي هذه السنة مات العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم مات ثمانيا وثمانين سنة كان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره خمس وسبعون سنة وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل عثمان وتوفي عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أرى الاذان

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملطية وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد وفيها كان مسير الاحنف الى خراسان

وفتح

وانشد الطائي ولقد دعتني للخلاف جماعة فأبيت عند تجهم الاقوال اني امرؤ مني الوفاء خليقة وفعال كل مهذب بذال فقال له النعمان ما حملك على الوفاء مع ما ذكرت قال أيها الملك ديني قال وما ديانتك قال النصرانية قال اعرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان ويقال انه قتله كسرى بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست سنين وثمانية أشهر ثم انتقل الملك في الحيرة الى (اياس بن قبيصة الطائي) وكان ملكه تسع سنين ثم ملك بعده (زاديه ابن ماهسان) الهمداني ثم عاد الملك الى اللخميين فملك بعد زاديه المذكور (المنذر بن النعمان) وسمته العرب المغرور واستمر ملكا بالحيرة الى ان قدم اليها (خالد ابن الوليد) واستولى على الحيرة وكانت مدة ملكهم سبعمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى أيام المعتضد وانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من الخلفاء العباسية ينزلونها لطيب هوائها وصحة تربتها وقرب الخورنق والنجف منها وكانت آل نصر بن ربيعة عمالا للاكاسرة على عرب

وفتح المرو بين ومسير ابن عامر الى نيسابور وقصها فى قول بعضهم وقد تقدم ذكر ذلك وفيها كانت غزوة قبرس فى قول بعضهم وقد تقدم ذكرها مستوفى وقيل ان فتحها كان سنة ثمان وعشرين فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان اهلها الروم على الغزاة فى البحر بمراكب اعطوهم اياها ففزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثنى عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وقيل كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين

﴿ ذكر تسييره من سير من اهل الكوفة الى الشام ﴾

وفى هذه السنة سير عثمان نفرا من اهل الكوفة الى الشام وكان السبب فى ذلك ان سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره ان يسير الوليد اليه فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر فنهاه رجال من بنى أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك فلم يجبهم واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة فكان هؤلاء دخلته داخلا وأما اذا خرج فكل الناس يدخل عليه فدخلوا عليه يوما فبيناهم يتحدثون قال حبيش ابن فلان الاسدى ما اجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ان من له مثل النشاستج لحقيق ان يكون جوادا والله لوان لى مثله لاعلشكم الله به عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث والله لوددت أن هذا الملاط لك يعنى لسعيد وهو ما كان للاكاسرة على جانب الفرات الذى يلى الكوفة فقالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال ابو غلام فلا تجازوه فقالوا يتمنى له سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه فثار به الاشتر وجندب وابن ذى الحنكة وصعصعة وابن الكواء وكيل وعمير بن ضابئ فأخذوه فثار ابوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد ينادهم ويأبون حتى قضوا منهما وطر فسمعت بذلك بنو اسد فجاؤا وفيهم طلحة فاحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد فخرج سعيد الى الناس فقال ايها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وافاق الرجلان فقالا قتلنا غاشيتك فقال لا يغشونى ابدا فكفا الناس ولا تحزبا الناس فقعدا وقعد أولئك النفر فى بيوتهم واقبلوا يقعون فى عثمان وقيل بل كان السبب فى ذلك انه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم فقال سعيد انما هذا السواد بستان قريش فقال الاشتر انزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه فقال عبد الرحمن الاسدى وكان على شرطة سعيد اترذون على الامير مقالته واغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطئوه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جر برجله فنضح بعاء فافاق فقال قتلنى من انتخبت فقال والله لا يسمر عندى أبدا فجعلوا يجلسون فى مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع اليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد باشراف اهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب اليهم ان يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا قد خفوا الفتنة فاقم عليهم وانههم فان آنست منهم رشدا فاقبل وان اعيوك فاردهم على فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم واجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان وكان يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما انكم قوم من العرب لكم اسنان والسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم

العراق مثل ما كان ملوك غسان عملا للقياصرة على عرب الشام

(الباب السابع عشر فى ذكر ملوك الشام من آل غسان ولمع من سيرهم فيما ملكوه من الزمان)

ذكر صاحب النصر الزخار والعلم النيار ان أصل غسان من اليمن من بنى الازد من أولاد سبأ نفروا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة فأخرجهم غسان عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم وأول من ملك من غسان (جفنة ابن عمرو) وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بما يزيد على أربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك وبنى بالشام عدة مصانع ثم هلك وملك بعده ابنه (عمرو بن جفنة) وبنى بالشام عدة دير ومنها دير حالى ودير أيوب ودير هند ثم هلك وملك ابنه (ثعلبة بن عمرو) وهو الذى مسرح الغدير فى اطراف سوران مما يلى البلقاء ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن ثعلبة) ثم ملك بعده ابنه (جبلة بن الحرث) وهو الذى بنى القناطر وادرج الاساطل ثم ملك

مواريثهم وقد بلغني انكم نقمتم قريشا ولولم تكن قريش كنتم اذلة ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جروتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم فقال رجل منهم وهو صعصعة اما ماذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا واما ماذكرت من الجنة فان الجنة اذا احترقت خاص اليها فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذي اغراكم على هذا قلة العقول وانت خطيبهم ولا ارى لك عقلا اعظم عليك امر الاسلام وتذكرني بالجاهلية اخزى الله قوما عظموا أمركم افقهوا عني ولا اظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى لم تكن باكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا اكرمهم احسابا واحضهم انسابا واكملهم مروأة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربيا أو عجميا أو أسود أو أحمر الا وقد أصابه الدهر في بلده وحرمته الا ما كان من قريش فانهم لم يردهم احد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله ان يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه اف لك ولاصحابك اما أنت يا صعصعة فان قريتك شر القرى أنتنها بيتا واعمقها واديا واعرفها بالشر وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ثم كانوا ألأم العرب القابا واصغرها نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لم تمكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى اذا برزك الاسلام وخلطك بالناس اقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم وان يمنعهم من تأدية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر قاغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر امرا ابدا الا فتح الله عليكم شرا منه واخزى ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم انفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال اني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ابدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فان اردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم وقال لهم اني معيد عليكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولاني وادخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني ولم يوالني أحد الا وهو عني راض وانما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعمال اهل الجزاء من المسلمين والغني وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر عن مكر به فلا تعرضوا الامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تاركم حتى يختبركم ويبدي للناس سرائركم وكتب معاوية الى عثمان انه قدم علي اقوام ليست لهم عقول ولا اديان أضجرهم العدل لا يريدون الله بشئ ولا يتكلمون بحجة انما همهم الفتنة وأموال اهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين يتركون احدا الا مع غيرهم فانه

سعيدا

أخوه (النعمان بن الحرث) وهو الذي بنى دير سخم ودير النبوة ثم ملك (عمرو بن الحرث) ثم ملك (جفنة الاصغر بن المنذر الاكبر) وهو الذي أحرق الحيرة وبذلك سموا آل محرق ثم ملك اخوه (النعمان الاصغر ابن المنذر الاكبر) ثم ملك (النعمان بن عمرو ابن المنذر) وبنى قصر السويدا ثم الضجاع وملك ابنه (جبلة) وهو الذي قاتل المنذر بن ماء السماء وكان جبلة ينزل بصفين ثم ملك بعده (النعمان بن الايهم) ابن الحرث ثم ملك بعده اخوه (الحرث بن الايهم) ثم ملك بعده (النعمان بن الحرث) وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة من اللخميين ثم ملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن النعمان) ثم ملك اخوهما (هجر بن النعمان) ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن هجر) وكنيته ابو كرب ولقبه قطام ثم ملك بعده (الايهم بن جبلة بن الحرث) وهو صاحب تدمر وبنى له بالبرية قصرا عظيما وهو صانع ثم ملك بعده اخوه (عمر بن جبلة) ثم ملك بعده (جبلة ابن الحرث بن جبلة) ثم ملك

سعيدا ومن عنده عنهم فانهم ليسوا الا كثر من شغب ونكير فخرجوا من دمشق فقالوا لا ترجعوا بنا الى الكوفة فانهم يشتمون بنا ولكن ميلوا الى الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان على حمص فدعاهم فقال يا آلة الشيطان لامرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا ادرى أعرب هم أم عجم لا تقولوا لي ما بلغني انكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد انا ابن من قد عجمته العاجمات انا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغني يا صعصعة ان احدا ممن معي دق انفك ثم غمصك لاطيرن بك طيرة بعيدة المهوى فأقامهم شهرا كلما ركب امشاهم فاذا مر به صعصعة قال يا ابن الخطيئة اعملت ان من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما بلغني انك قلت لسعيد ومعاوية فيقولون تتوب الى الله أقلنا اقالك الله فما زال يوابه حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان فقدم اليه ثانيا فقال له عثمان احال حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد فقال ذلك اليك فرجع اليه قيل وقد روى أيضا نحو ما تقدم وزاد وافيه ان معاوية لما عاد اليهم من القابلة وذكرهم كان مما قال لهم والى والله لا آمركم بشئ الا وقد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي وقد عرفت قريش ان ابا سفيان كان اكرمها وابن اكرمها الا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه انتخبه واكرمه والى لا ظن ان اباسفيان لو ولد الناس لم يلد الا حازما فقال صعصعة قد كذبت قد ولدهم خير من ابي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا ثم قال ايها القوم ردوا خيرا واسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع اهاليكم والمسلمين فاطلبوه فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك ان تطاع في معصية الله فقال اليس أول ما ابتدأتكم به ان آمركم بتقوى الله وطاعة نبيه وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قالوا بل امرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى آمركم الآن ان كنت فعلت فاتوب الى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة وان توقروا أئمتكم وتدلوهم على احسن ما قد رتم عليه فقال صعصعة فانا نأمرك ان تعتزل عملك فان في المسلمين من هو أحق به منك من كان ابوه احسن قدما في الاسلام من ابيك وهو احسن في الاسلام قدما منك فقال والله ان لي في الاسلام قدما ولغيري كان احسن قدما مني ولكنه ليس في زماني احد اقوى على ما انا فيه مني ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيري اقوى مني لم تكن عند عمر هودة لي ولا لغيري ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي ان اعتزل على ولو رأى ذلك امير المؤمنين لكتب الي فاعتزلت عمله فهلا فان في ذلك واشباهه ما ينهى الشيطان ويأمر والعمري لو كانت الامور تقضى على رأيكم واهاتكم ما استقامت لاهل الاسلام يوما ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه وان لله لسطوات وانى لخائف عليكم ان تتابعوا في مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحل بكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل فوثبوا عليه واخذوا برأسه ولحيته فقال مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى اهل الشام ما صنعتم بي ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمري ان صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من عندهم وكتب الى عثمان نحو الكتاب المتقدم فكتب اليه عثمان يأمره ان يردهم الى سعيد بن

بعده (جبلة بن الايهم بن جبلة) وهو آخر ملوك غسان وهو الذي اسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثم عاد الى الروم فتنصر وسبب ذلك انه خرج الى الحج مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من فزارة على ازاره فلطمه جبلة فهشم انفه فاقبل الفزاري الى عمر رضي الله عنه فشكا فاحضره عمر وقال اقتد نفسك والا امرت الفزاري ان يلطمك فانف من ذلك جبلة وقال امهلني هذه الليلة حتى انظر في امري فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله الى الشام ثم سار الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح هرقل بهم واكرمه واقطعه الاموال وغيرها فلما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فأجاب الى الجزية اجتمع الرسول بجبلة فوجده في نعيم لا يوصف وقال له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويولني الامر من بعده رجعت الى الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم

العاص بالكوفة فرقهم فاطلقوا السنتهم فضج سعيد منهم الى عثمان فكتب اليه عثمان ان يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم اليها فانزلهم عبد الرحمن واجرى عليهم رزقا وكانوا الاشتر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخاه صعصعة وجندب ابن زهير الغامدي وجندب بن كعب الازدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وطيئ الكواء قيل لمعاوية ابن الكواء عن نفسه فقال انت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فاخبرني عن اهل الاحداث من الامصار فانك اعقل اصحابك قال اما اهل المدينة فهم احرص الامة على الشر واعجزهم عنه وأما اهل الكوفة فانهم يريدون جميعا ويصدرون شتى واما اهل مصر فهم أوفى الناس بشر واسرعهم ندامة واما أهل الشام فهم اطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لمغويهم

﴿ذكر تسيير من سير من اهل البصرة الى الشام﴾

ولما مضت ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر بلغه ان رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدي وكان عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء هو الرجل النازل عليه واجتمع اليه فتر فطرح اليهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه فارسل اليه ابن عامر فسأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب ورغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما يلقى في ذلك اخرج عني فخرج حتى اتى الكوفة فاخرج منها فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم وكان حمران بن ابان قد تزوج امرأة في عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما المرود بعامر بن عبد القيس فقال حمران الا سبقكم فاخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الامير يريد المرور بك فاحببت ان اعلمك فلم يقطع قراءته فقام من عنده فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ودخل عليه ابن عامر فاطبق المصحف وحدثه فقال له ابن عامر ألا انشدك فقال سعد بن ابي القرحاء يحب الشرف فقال ألا انشدك اطيب فقال حصين بن الحر يحب العمل فقال الا تزوجك فقال ربيعة بن عسل يحبه النساء فقال ان هذا يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا ففتح المصحف فكان أول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فسعى به حمران واتهم حمران بالبصرة ما شاء الله واذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة فالحقه بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريدا فأكل أكلا عربيا فعرف ان الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب اخراجه فقال اما الجمعة فاني اشهدها في موخر المسجد ثم ارجع في اوائل الناس وأما التزويج فاني خرجت وانا يخطب علي وأما اللحم فقد رأيت ولكني لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها فما زال يقول التفاتك التفاتك حتى ذبحها قال فارجع قال لا ارجع الى بلاد استحل اهلها مني ما استحلوا فكان يكون في السواحل فكان يلقى معاوية فيكلمه معاوية ان يقول ما حاجتك فيقول لا حاجة لي فلما أكثر عليه قال ترد علي من سرّ البصرة شيأ قال نعم ان يشتد علي فانه يخف على في بلادكم

(ذكر

أضمن له الامر فلما أخبرت
عمر بخبره وما اشترط علي
وما ضمنت له قال فهل ضمنت
له الامر فاذا اتى فانه مضى
علينا بحكمه ثم جهز في عمر
الى هرقل ثانية وأمرني ان
أضمن له ما اشترط فلما دخلت
القسطنطينية وجدت
الناس منصرفين من
جنازته فعلمت ان الشقاء
غلب عليه في ام الكتاب
وكان ندم على تنصيره وقال
تنصرت الاشراف من عار
لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها
ضرر
تكنفني منها الحاج ونخوة
فجئت اليها العين العميمة
بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني
رجعت الى الامر الذي
خافه عمر
ويا ليتني أرعى الخاض بقفرة
وكنت أسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة
اجالس قوما ذاهب السمع
والبصر
وقد اختلف في مدة ملك
الفسانية فقيل أربعمائة
سنة وقيل سبعمائة سنة وكانت
دار ملوك غسان الجولة
بالجولان وغيرها من غوطة
دمشق وأعمالها ومنهم من
نزل الاردن من أرض الشام
وجميع من ملك الشام من
آل غسان أحد وعشرون

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس عثمان وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الاسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان يصلي عليه الزبير وفيها توفي الطفيل والحصين ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شهدا بدرا وأحدا وقيل ماتا سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين

﴿ ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ﴾

قيل فيها كانت غزوة الصواري في قول بعضهم وقد تقدم ذكرها وفيها تمكاتب المتحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون انهم نقموا عليه

﴿ ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة ﴾

قد ذكرنا خبر المسيرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ووفد سعيد بن العاص الى عثمان سنة احدى عشرة من خلافة عثمان وكان سعيد قد ولي قبل مخرجه الى عثمان بسنة وبعض أخرى الاشعث بن قيس اذربيجان وسعيد بن قيس الري والتسير النجلي همذان والسائب بن الاقرع أصبهان ومالك بن حبيب ماه وحكيم بن سلام الحزامي الموصل وجرير بن عبد الله قرقيسيا وسلمان بن ربيعة الباب وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم فأخذه القعقاع بن عمرو فقال اغمانستعفي من سعيد فقال اما هذا فنعم فتركه وكاتب يزيد المسيرين في القدوم عليه فسار الاشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد فسبقهم الاشتر فلم يقبل الناس يوم الجمعة الا والاشتر على باب المسجد يقول جئتكم من عند امير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان فسائكم على ما تقدرهم وردا ولي البلاء منكم الى الدين ويزعم ان فيئكم يستأثر قريش فاستخف الناس وجعل اهل الرأي ينهونهم فلا يسمع منهم فخرج يزيد وأمر منادا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فمشى اشراف الناس وحلماؤهم في المسجد وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وامرهم بالاجتماع والطاعة فقال له القعقاع اترد السيل عن ادراجه هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء الا المشرفية ويوشك ان تنتضى ويجون بحيث العيدان ويحنون ماهم فيه اليوم فلا يردنه الله عليهم ابدا فاصبر قال أصبر وتحول الى منزله وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة وهي قريب من القادسية وسمع الاشتر فوصل اليهم سعيد بن العاص فقالوا لا حاجة لنا بك قال اغا كان يكفيكم ان تبعثوا الى امير المؤمنين رجلا والى ترجلا وهل يخرج الا الف لهم عقول الى رجل واحد ثم انصرف عنهم واحسوا بحولي له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فقتله الاشتر ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فاخبره بما فعلوا وانهم يريدون البدل وانهم يختارون اباموسى فجعل اباموسى الاشعري اميرا وكتب اليهم اما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لاقرضنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيأ احببتموه لا يعصى الله فيه الا سألتموه ولا شيأ كرهتموه لا يعصى الله فيه الا اعفيتم منه انزل فيه عندما احببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة والسلام كما أمرتم

ملكا وقد كان بالشام ملوك بلاد مارب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك بعدا من قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ملوك لم نذكر الا من اشتهر ملكه وعرفت مملكته وسائر الامم الخالية والممالك الباقية لم نذكرها صيانة الى الاختصار

﴿ الباب الثامن عشر في ذكر ملوك كندة ذي مطوة ونجدة في أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل ﴾

ذكر صاحب البحر الزخار ان أول ملوكهم (حجر) بضم الحاء المهملة وهو من أولاد سبا وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك فأكل القوي الضعيف فلما ملك حجر سدد امورهم وساسهم وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ثم ملك بعده ابنه (عمرو بن حجر) ويقال العمرو المذكور المقصور لانه اختصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن عمرو) فلما عاد المنذر الى ملك ابيه زمن انوشروان هرب الحرث الى دمياط بكاب و بقي هناك حتى عدم وملك بعده ابنه (حجر ابن الحرث) على بني أسد بن خزيمة بن مدركة وملك باقي

حتى تبلغوا ما تريدون ورجع من الامراء من قرب من الكوفة فرجع جرير من قرقيسيا وعتيبة بن النهاس من حلوان وخطبهم ابو موسى وامرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فأجابوا الى ذلك وقالوا صل بنا فقال لا الا على السمع والطاعة لعثمان قالوا نعم فصلى بهم وأتاه ولاته فولاهم وقيل سبب يوم الجرعة انه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا اعمال عثمان فاجمع رأيهم فأرسلوا اليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له ان ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارئ ثم هو يجيء يكلمني في المحقرات ووالله ما يدري اين الله فقال عامر بلى والله اني لادري ان الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر يجمعهم فشاورهم وقال لهم ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانتم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا الي ان أعزل عمالي وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال له ابن عامر أرى لك يا امير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة احدهم الا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته وقال سعيد احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف ان لكل قوم قادة متى تمل يتمردوا ولا يجتمع لهم امر فقال عثمان ان هذا هو الرأي لولا ما فيه وقال معاوية اشر علي لك ان تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله واكفيك انا اهل الشام وقال عبد الله بن سعد ان الناس اهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فان ابيت فاعتزم عزما واقدم قدما فقال له عثمان ما لك قل فرولك اهذا الجند منك فسكت عمرو حتى تفرقوا فقال والله يا امير المؤمنين لانت اكرم علي من ذلك ولكني علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولي فيشقوا بي فاقود اليك خيرا وادفع عنك شرا فرد عثمان عماله الى اعمالهم وامرهم بتجهيز الناس في البعوث وعزم على تجريم اعطياتهم ليطيعوه وردّ سعيدا الى الكوفة فلقيه الناس من الجرعة وردّوه كما سبق ذكره قال أبو نوار الحداني جلست الى حذيفة وأبي مسعود الانصاري بمسجد الكوفة يوم الجرعة فقال أبو مسعود ما أرى ان نردّ على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لترتدن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم وما ارى اليوم شيأ والا قد علمته والنبي صلى الله عليه وسلم حي فرجع سعيد الى عثمان ولم يسفك دم وجاء أبو موسى أميرا وامر عثمان حذيفة بن اليمان ان يغزو الباب فسار نحوه

﴿ ذكر ابتداء قتل عثمان ﴾

في هذه السنة تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم الى بعض ان اقدموا فان الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس احد من الصحابة ينهى ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا علي بن ابي طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائي وقد كلموني فيك والله

بنيه على قبائل العرب فقتل ابنه شراحيل بن الحرث على بكر بن وائل وملك ابنه معد يكرب على قيس ابن عيلان وملك ابنه مسلمة على تغلب أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر فبقي أبوه متماسكا في بني اسد مدة ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ في نكايتهم ودخلوا تحت طاعته ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة ولما بلغ امرئ القيس قتل ابيه وكان في شربه مع أصحابه فقال ضيعني أبي صغيرا وحملني ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا أمر اليوم لذاذ وغدا فراق فأرسل ذلك مثلا وكان أبوه طرده حين قال الشعر وشهر به وقال الملوك لا تمدح وانما هي تمدح ثم استنجد امرؤ القيس لاخذ ثار أبيه بكر وتغلب على بني اسد فانجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم فأوقع ببني كانة ظنا منه انهم بنو أسد فقتلهم قتلا ذريعا فقالت هبلوز واللات أبها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو اسد وقد ارتفعوا من قبل الليل حين استشعروا بك ثم صار يدخل قبائل العرب وينتقل من اناس الى اناس حتى دخل على قيصر فاستنصره فأجابه

ما أدرى ما اقول لك ولا أعرف شيأ تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما اعلم ما سبقناك الى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وما خصصنا بأمر دونك وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن ابى قحافة باولى بالعمل منك بالحق ولا ابن الخطاب باولى بشئ من الخير منك وأنت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم ينالاه وما سبقاك الى شئ فالله الله فى نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقائمة اعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة متروكة وان الله ان كلا لبين وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لقائمة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل فامات سنة معلومة واحيا بدعة متروكة وانى احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد اليم واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذى يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها ويموجون فيها مرجا فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذى قلت اما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسأتك ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا وليت شبيها بمن كان عمر يولى انشدك الله يا على هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هنالك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته قال على ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جليه ثم يبلغ به اقصى العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورققت على اقربائك قال عثمان وهم اقرباؤك ايضا قال اجل ان رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم قال عثمان هل تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته فقال على انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له قال نعم قال على فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال النعام يتبعون اول ناعق احب موارده لهم البعيد لا يشربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور ألا فقد والله عبتم على ما قررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم وانت لكم وأوطأتكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على اما والله لانا أعز نفرا واقرب ناصرا واكثر عددا واحرى ان قلت هلم أتى الى ولقد عددت لكم اقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكثرت لكم عن نابى واخرجتم منى خلقا لم اكن أحسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عنى السنتكم وعيبكم وطعنكم على ولا تكم فانى كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا الا انكم تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلى ولم تكونوا تختلفون عامه فقام مروان بن الحكم فقال ان شئتم حكمنا والله ما بيننا وبينكم السيف نحن وانتم والله كما قال الشاعر

فرشنا لكم اعراضنا فتبتم بكم ٭ مغاركم تبنون فى دمن الثرى

وكان بنو اسد بعثوا من عندهم رجلا الى الروم ليفسد الامر على امرئ القيس يقال له الطماح فوشى به الى قيصر ان يقتله فوجه معه جيشا ثم اتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة فقال له أقرئه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك هذه ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فالبسه اياها ففعل ذلك الرجل فلما لبسها تقطر بدنه فكان يحمل فى محفة وذلك قوله

لقد طمح الطماح من بعد أرضه
لبلبسنى من رأيه ما تلبسا
فبدلت قرحا دامیا بعد صحة
فيالك من هم يحاول أبؤسا

ثم نزل الى جنب جبل يقال له عسيب بقرب مدينة انكورية الروم وفى سفحه قبره فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب
وانى مقيم ما اقام عسيب
اجارتنا انا مقيمان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا
وان تصرمينا فالغريب غريب

ولنذكر بعد هذا خبر عمرو بن عامر وخبر سيل العرم وتفرقهم فى البلاد وبعض اخبار العرب وكان أول من خرج من اليمن فى أيام تمزيقهم عمرو بن عامر ويقال له مزيقيا لانه كان

فقال عثمان اسكت لاسكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا المقام اتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم وزادتألبهم عليه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج هذه السنة بالناس عثمان وفي هذه السنة توفي كعب الاحبار وهو كعب بن ماتع واسلم أيام عمر وفيها مات أبو عبس عبد الرحمن بن جبر الانصاري شهد بدرا وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبي وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل بل عاش وشهد صفين مع علي وهو الاكثر وكان بدريا وفيها توفي عبادة بن الصامت الانصاري وهو ممن شهد العقبة وكان نقيبا بدريا وعاقل بن البكير وهو بدري أيضا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ﴾

﴿ ذكر مسير من سار الى حصر عثمان ﴾

قيل في هذه السنة كان مسير من سار من اهل مصر الى ذي خشب ومسير من سار من اهل العراق الى ذي المروة وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا واسلم ايام عثمان ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه اهل الشام فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا بذلك الارض اذاعة فيقول اهل كل مصر انا في عافية مما يتلى به هؤلاء الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا في عافية مما فيه الناس فأتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين اياتيك عن الناس الذي يأتينا فقال ما جاءني الا السلامة وانتم شر كافي وشهود المؤمنين فأشيروا علي قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة وارسل عمار ابن ياسر الى مصر وارسل عبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ما انكرنا شيأ أيها الناس ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار حتى ظنوا انه قد اغتيل فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر ان عمارا قد استمالة قوم وانقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فكتب عثمان الى أهل الامصار اني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع الي أهل المدينة ان اقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليوافني الموسم يأخذ حقه حيث كان مني او من عمالي او تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الامصار بكى الناس ودعوا لعثمان وبعث الى عمال الامصار فقدموا عليه في الموسم عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية وادخل

يرزق في كل يوم سلتين لئلا يلبسها أحد بعده كما مر وسبب خروجه من اليمن انه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة وكانت رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم أصعقت فاحرقت كل ما وقعت عليه ففزعت طريفة فزعا شديدا فأتت زوجها وهي تقول ارأيت ما ازال عني النوم رأيت عجبا أرعد وأبرق طويلا ثم اصعق فما وقع على شيء الا احترق فلما رأى ما دا خلها من الفزع سكنها ثم انهما دخلا حديقة كانت لهما فرأيا الشجر تتحرك من غير ريح فقال عمرو وماتريني ذلك فقالت أجل ان فيه الويل ومالك فيه من قيل وان الويل فيما يجيء به السيل قال وما علامات ما تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر في السد بيديه الحفر ويقلب برجليه جلامد الصخر فاعلم ان الغفر عفر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الذي تذكرين قالت وعد من الله نزل وباطل طل ونكال نكل فانطلق عمرو الى السد فرآه كما وصفت له فاخبرها بذلك وقال لها متى يكون

معهم سعيد بن العاص وعمرا فقال ويحكم ماهذه الشكاية والاذاعة انى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما بعصب هذا الابى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشئ والله ماصدقوا ولا برّوا ولا نعلم لهذا الامر أصلا ولا يحل الاخذ بهذه الاذاعة فقال أشيروا علىّ فقال سعيد هذا أمر مصنوع يلقى فى السر فيتحدث به الناس ودوا ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذى عليهم اذا أعطيتهم الذى لهم فانه خير من ان تدعهم وقال معاوية قد ولينى فوليت قوما ولا يأتيك عنهم الا الخير والرجلان أعلم بناحيتهم ما والرأى حسن الادب وقال عمرو أرى أنك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى ان تلزم طريقة صاحبيك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به علىّ والكل أمر رباب يؤتى منه ان هذا الامر الذى يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فتشكفه باللين والمواتاة الا فى حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد علىّ حجة وقد علم الله انى لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فاذا نعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نثر عثمان وشخص معاوية والامراء معه واستقل على الطريق رجز به الحادى فقال

قد علمت ضوامر المطىّ * وضمرات عوج القسىّ
ان الامير بعده علىّ * وفى الزبير خلف رضىّ

فقال كعب كذبت بل يلى بعده صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فطمع فيها من يومئذ فلما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية فحمد الله معاوية ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الامة لا يطمع فيه احد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع انى ارجو ان يكون اكرم على الله ان يبلغه ذلك وقد فشت مقالة سفهتم اعليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدى لكم به ولا تطمعوا الناس فى امركم فوالله ان طمعوا فيه لا رأيتم منها ابدا الا ادبارا قال علىّ مالك ولذلك لا ام لك قال دع أمى فانها ليست بثمرا مها تكم قد اسلمت وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم واجبنى عما اقول لك فقال عثمان صدق ابن اخى انا أخبركم عنى وعما ولينا ان صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وانا فى رهط اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شئ من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لامركم تبع فقالوا له قد اصبت واحسنت قد اعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين الفا واعطيت مروان خمسة عشر الفا فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين وقال معاوية لعثمان اخرج معى الى الشأم فانهم على الطاعة قبل ان يهجم عليك ما لا قبل لك به فقال لا ابيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وان كان فيه خبط عنقى قال فان بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت قال لا اضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لتغتالن ولتغزبن فقال حسبى الله ونعم الوكيل ثم خرج معاوية فمر على نفر من المهاجرين فيهم علىّ وطلحة والزبير وعليه ثياب السفر فقام عليهم وقال

هلاك الرجل فقالت لا يعلم ذلك الا الله عز وجل فعلم ان ذلك واقع وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه واجمع على بيع كل شئ له بارض مأرب والماخرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها خلق كثير فنزلوا أرض عك ابن عدنان وبقوا بها حتى مات عمرو فكان عمره ثمانمائة سنة وكان معه أربعمائة ملك وتفرقوا فى البلاد فمنهم من سار الى الشأم وهم أولاد جفنة ومنهم من سار الى يثرب وهم أبناء قيلة الاوس والخزرج وسارت ازد الى الشراة وعمان وسار مالك بن فهم الى العراق ونزلت ربيعة تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم وتمزقوا فى البلاد كل ممزق ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وهو سيل العرم الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان لربيعة المذكور ولد اسمه كليب الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وبلغ من عزه فى قومه أنه كان لا يوقد نار مع ناره ولا يرد ابل مع ابله ويقول وحش الفلاة فى جوارى فلا تهاج فاجتمعت عليه معد كلها حتى بلغ من بغيه وعزه ما قد ذكرناه وقتله جساس بن مرة وهو صهره وابن عمه وكان سبب قتله

انكم قد علمتم ان هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يتناضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان اخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر واني قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيرا وكانوه تكونوا اسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال علي كنت ارى في هذا خيرا فقال الزبير والله ما كان قط اعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم واتعد المنحرفون عن عثمان يوما يخرجون فيه بالامصار جميعها اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم ذلك ولما رجع الامراء ولم يتم لهم الوثوب صاروا يكاتبون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن اشياء لتطير في الناس وكان بمصر محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في الف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعليهم جميعا الغافقي بن حرب العكي وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والاشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الاصم العامري وهم في اعداد اهل مصر وخرج اهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش وهم بعداد اهل مصر وامیرهم حرقوص بن زهير السعدي فخرجوا جميعا في شوال واظهروا انهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم في طلحة وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم في الزبير ونزلوا الاعوص وجاءهم ناس من اهل مصر وكان هواهم في علي ونزلوا اعلاها تهم بذي المروة ومشى فيما بين اهل مصر واهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم وقالا لهم لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا وانا فوالله ان كان هذا احتقارا استحلوا قتالنا بعد علم حالنا ان امرنا لباطل وان كان الذي بلغنا باطلا رجعنا اليكم بالخبر قالوا اذهبا فذهبا فدخلا المدينة فلقيا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا واستأذناهم في الدخول فكلمهما ايتهما هما فرجعا الى اصحابهما فاجتمع نفر من اهل مصر فأتوا عليا ونفر من اهل البصرة فأتوا طلحة ونفر من اهل الكوفة فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم ان بايدينا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم فأتى المصريون عليا وهو في عسكر عند احجار الزيت متقلدا سيفه وقد ارسل ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع اليه فسلموا عليه وعرضوا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون ان جيش ذي المروة وجيش ذي خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنه واتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنه عبد الله الى عثمان واتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنه عبد الله الى عثمان فرجعوا وتفرقوا عن ذي خشب وذي المروة والاعوص الى عسكرهم ليتفرق اهل المدينة ثم يرجعوا اليهم فلما بلغوا عسكرهم تفرق اهل المدينة فرجعوا اليهم فلم يشعروا هل المدينة الا والتكبير في نواحيها ونزلوها واحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن ومن ولي عثمان بالناس ايا ما ولزم الناس ويتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه واتاهم اهل المدينة وفيهم علي فقال لهم ما رددكم بعد ذهابكم فقالوا اخذنا مع بريد كتابا بقتلنا

واتى

انه كانت لحساس جارة يقال لها البسوس وكانت لها ناقة يقال لها السراب وبها تضرب العرب المثل في الشؤم فيقال اشأم من البسوس واشأم من السراب وذلك لاجل ما جرى بين ابني وائل بسببها فانه يقال ان الحرب دامت بينهما اربعين سنة وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوما من الايام فمرت ابل كليب فقطعت السراب عقالها وتبعت ابل كليب فلما انتهت الى كليب أنكرها فرمى السراب بسهم فأصاب ضرعها فنفرت الناقة وقيل ان سبب رميه اياها وهي ناقة البسوس انه كان كليب في بعض الايام يمشي في حماه فوجد قنبرة قد باضت في ذلك الحمى فقال كليب هذه القنبرة في جواري وكان يسمي تلك الارض بحماه المضر وكان يخاطبها فقال يا للناس قنبرة بمضر

خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري
قد رفع الفخ فماذا تحذري

قد ذهب الصياد عنك فابشري
لابد من أخذك يوما فاحذري

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى فوطئت على بيض القنبرة فكسرت بيضها فلما

واتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك واتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك وكل منهم يقول لهم نحن نمنع اخواننا وتصرهم كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما اتى أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا هذا والله أمر أبرم بليل فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزل عنا وعثمان يصلى بهم وهم يصلون خلفه وهم أدق فى عينه من التراب وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الامصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عامر وعبد الله بن أبى أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن التابعين مسروق والاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وغيرهم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وغيرهما وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر ولما جاءت الجمعة التى على أثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فاقعده حكيم بن جبلة وقام زيد ابن ثابت فاقعده محمد بن أبى قتيرة وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبى وقاص والحسين بن على وزيد بن ثابت وأبو هريرة فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل على وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عند عثمان نفر من بنى أمية فيهم مروان بن الحكم فقالوا كلهم لعلى أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به فى المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقى وتفرق أهل المدينة فى حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليتمنع به وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وقد قيل ان محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان وسار محمد بن أبى بكر مع من سار الى عثمان وأقام ابن أبى حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد على ما يأتى فلما خرج المصريون الى قصد عثمان أظهروا انهم يريدون العمرة وخرجوا فى رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وبعث عبد الله بن سعد رسولا الى عثمان يخبره بحالهم وانهم قد اظهروا العمرة وقصدهم خلعه أو قتله فخطب عثمان الناس واعلمهم حالهم وقال لهم انهم قد اسرعوا الى الفتنة واستطالوا عمرى والله لئن فارقتهم ليقتلون ان عمرى كان عليهم مكان كل يوم سنة يمايرون من الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة وكان عبد الله بن سعد خرج الى عثمان فى آثار المصريين باذنه فلما كان بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبى حذيفة غلب على مصر

علم كليب ان السراب صنعت
ذلك رماها بسهم خرم
ضرعها فلما رأتها البسوس
ألقت خمارها وصاحت
واذلاه واجاراه فلما سمعها
جساس وعلم بذلك ركب
فرسه وأخذ رمحه بيده
وركب معه عمرو بن الحرث
على فرس له حتى دخلا على
كليب فى حماه فطعنه
جساس فنصم صلبه وطعنه
عمرو فوقع كليب يفحص
برجله حتى مات ولما قتل
جساس كليبا وقعت الحرب
بين بكر وتغلب وشمر مهلهل
أخو كليب لحرب بكر وسمى
مهلهلا لانه أول من هلهل
الشعر أى رققه وهو خال
امرئ القيس الشاعر
فاستعد مهلهل لحرب بنى
تغلب وترك النساء والغزل
وحرم القمار والخمر وأرسل
رجالا من تغلب الى بكر
وعرض عليهم أربع خصال
فأتت رسله الى مرة أبى جساس
وهو فى نادى قومه فقالوا
لهم انكم أتيتم عظيما فى
قتلكم كليبا لاجل ناقة
وقطعتم بيننا وبينكم
الرحم ونريد أن نعرض
عليكم خصالا أربعا فقال
مرة وما هى قال تحيى لنا
كليبا أو تدفع لنا جساسا
فنقتله أو هما ما أخاها وتمكنا
من نفسك فان فيك وفاء من
دمه فقال اما احياء كليب

واستجابوا له فعاد عبد الله الى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان فلما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون ولما رأى عثمان ذلك جاء الى علي فدخل عليه بيته فقال له يا ابن عم ان قرابتي قريبة ولي عليك حق عظيم وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب ان تركب اليهم فتردهم عني فان في دخولهم علي توهينا لامري وجراءة علي فقال علي علي أي شيء أردهم عنك قال علي ان أصير الى ما أشرت اليه ورأيته لي فقال علي اني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك تخرج ونقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتني قال عثمان فانا أعصيهم واطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والانصار ثلاثون رجلا فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الانصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا الى مصر فقال ابن عديس لمحمد بن مسلمة أتوصينا بحاجة قال نعم تتقي الله وترد من قبلك عن امامهم فانه قد وعدنا ان يرجع وينزع قال ابن عديس افعل ان شاء الله ورجع علي ومن معه الى المدينة فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم وكلمه بما في نفسه ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد فقال له تكلم واعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا قبل ان يجيء الناس اليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب فناداه عثمان وانك هنالك يا ابن النابغة قلت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودي من ناحية أخرى تب الى الله فرفع يديه وقال اللهم اني اول تائب وخرج عمرو بن العاص الى منزله بفلسطين وكان يقول والله اني كنت لا ألقى الراعي فأحرضه على عثمان واتى عليا وطلحة والزبير فحرضهم على عثمان فبينما هو يقصره بفلسطين ومعه ابناه ومحمد بن عبد الله وسلامة بن روح الجذامي اذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال هو محصور فقال عمرو أنا ابو عبد الله قد بضرط العير والمكواة في النار ثم مر به راكب آخر فسأله فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا ابو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه فقال اردنا ان نخرج الحق من حاصرة الباطل ليكون الناس في الحق شرعا سواء وقيل ان عليا لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان فقال له تكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليك ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والامانة فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ان يجيء راكب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا علي اركب اليهم فان لم افعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها واعطى الناس من نفسه التوبة وقال انا اول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت واتوب اليه فمثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني اشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستنن بسنة العبد ولاذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولا تحين مروان

فلا سبيل اليه وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوت عليه وأما أخوه همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم وان يسلموه الى فادفعه اليكم ليقتل بجريرة غيره وأما أنا فما هو الا ان يحول الحول غدا جولة فأكون أول قتيل بينهما فما أتعجل من الموت ولكن عندي خصلتان اما احداهما فهؤلاء بني الباقون وهم تسعة ضعوا في عنق من شئتم منهم فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الظروف والا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم فغضب القوم وقالوا لقد أسأت تبدل لنا صغارا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب ووقعت الحرب بينهما فقال المهلهل يرثي كليبا

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها
اذا أنت خليتها فمن يخليها
نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم
ماتت بنا الارض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنائعه
ما كل آبائه يا قوم أحصيها
ليت السماء على من تحتها وقعت
وانشقت الارض فانخسفت بمن فيها

وذوبه ولا احتجب عنكم فرق الناس وبكوا حتى اخضلوا لحاهم وبكى هو ايضا فلما نزل عثمان
وجد مروان وسعيدا ونفرا من بني امية في منزله لم يكونوا شهدوا خطبته فلما جلس قال مروان
يا امير المؤمنين أتكلم ام اسكت فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم
والله قاتلوه ومؤتموه انه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فقال لها مروان ما أنت وذاك
فوالله قدمات ابوك وما يحسن يتوضأ فقالت مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن ابي وهو
غائب تكذب عليه وان ابالك لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اما والله لولا انه عمه وانه بمنزلة عمه
لاخبرتك عنه ما ان اكذب عليه قالت فأعرض عنها مروان فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أم
أسكت قال تكلم فقال مروان بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع
فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين وبلغ
السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة ويستغفر منها أجمل من
توبة يخوف عليها وأنت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقربت بالخطيئة وقد اجتمع بالباب أمثال
الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج ليهم فكلمهم فاني أستحي أن أكلمهم فخرج مروان الى
الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت
الوجوه الى من أريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملككم من ايدينا اخرجوا عنا والله ان رمتمونا ليمرن
عليكم منا امر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين
على ما في ايدينا فرجع الناس واتى بعضهم عليا فأخبره الخبر فأقبل علي على عبد الرحمن بن
الاسود بن عبد يغوث فقال احضرت خطبة عثمان قال نعم قال أفحضرت مقالة مروان للناس
قال نعم فقال علي أي عباد الله يا للمسلمين اني ان قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقي وانى
ان تكلمت جئت بما مايريد يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال له امارضيت من مروان
ولا رضي منك الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء ربه والله
ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وايم الله اني لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد
مقامي هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك فلما خرج علي دخلت عليه امرأته نائلة
ابنة الفرافصة فقالت قد سمعت قول علي لك وليس يعاودك وقد اطاعت مروان يقودك حيث
شاء قال فما اصنع قالت تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى اطعت مروان قتلك ومروان
ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى علي فاستصلحه
فان له قرابة وهو لا يعصى فأرسل عثمان الى علي فلم يأته وقال قد أعلمته اني غير عائد فبلغ مروان
مقالة نائلة فيه فجلس بين يدي عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسود
وجهك نهبي والله أنصح لي فكف مروان وأتى عثمان الى علي بمنزله ليلا وقال له اني غير عائد
واني فاعل فقال له علي بعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيت من نفسك
ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو
يقول خذلتني وجرأت الناس علي فقال علي والله اني لاكثر الناس ذبا عنك ولكني كلما جئت
بشئ اظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي ولم يعد علي يعمل ما كان

ولم يزل المهلهل يطلب بثأر
كليب ولا يبالي بمن يقتل
من بكر واستمرت الحرب بين
بكر وتغلب زمانا الى أن
قتل همام بن مرة اخو
جساس واصطلحت بكر
وتغلب ففر المهلهل بنفسه
فنزل بمذحج في قوم يقال لهم
جنب فأجاره معاوية الخير
وتزوج ابنة المهلهل واستقر
عندهم الى أن قتل وكان
سبب قتل المهلهل انهما
نزل من مذحج اشترى عبدين
يغزوان معه فغزا بهما حتى
طال عليهما فأحبا الراحة
منه فأجمعا على قتله بموضع
قفر فلما شعر بهما ولم ير لنفسه
ملجأ قال لهما اذا قتلتماني
وعدتما فأبلغا عني هذه
الرسالة لاهلي فقالا له هات
رسالتك فأنشدهما

من مبلغ عني بأن مهلهلا
لله درّ كما ودر أبيكما
فلما قتلاه وانصرفا نحو بنيه
قالوا لهما ما فعل سيدكما
قالا مات بأرض كذا فدفناه
بها سلما فقيل لهما فما
أوصى بشئ حين مات قالا
اوصانا بكيت وكيت فلم يدر
احد ما أراد وقالوا ما هذا
بشعر مهلهل فقالت ابنته
والله ما كان ابي ردئ الشعر
ولا سفساف الكلام وانما
اراد ان يخبركم ان العبدين
قتلاه وانما معنى هذا البيت
من مبلغ عني بأن مهلهلا

بعمل الى ان منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان قال وقد قيل ان عليا كان عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم على أتاه عثمان وقال له اما بعد فان لى حق الاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شئ وكان فى الجاهلية لكان عارا على بنى عبد مناف ان ينتزع أخو بنى تيم يعنى طلحة أمرهم فقال له على سيأتيك الخبر ثم خرج الى المسجد فرأى أسامة قعودا على بيته حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا الحسن بعد ما مس الحزام الطبيين فانصرف على حتى أتى بيت المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقى وحده وسر بذلك عثمان وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال الله بينى وبينه فقال عثمان والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة

﴿ ذكر مقتل عثمان ﴾

قد ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التى جعلها الناس ذريعة الى قتله لعلل دعت الى ذلك ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله فكان من ذلك ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار قيل وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه وبيده جامعة فسلم فرد القوم فقال جبلة لم ترد ون على رجل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لاطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن سعد منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاجترأ الناس عليه وقد تقدم قول عمرو بن العاص له فى خطبته قبل وخطب يوما وبيده عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان بأكلة وقيل كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق منهم ان أردتم الجهاد فهلموا الينا فان دين محمد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم فأقيموه فاختلفت قلوب الناس على ما تقدم ذكره وجاء المصريون كما ذكرنا الى المدينة فخرج اليهم على ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلماهم فعادوا ثم رجعوا فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم فأخرجوا صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من ابل الصدقة ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل ان الذى أخذت منه الصحيفة أبو الاعور السلمى فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لا فسألوه فى أى شئ هو فتغير كلامه فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه وكلما سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فقالا لا ندخل فى امركم وقالوا لمحمد بن مسلمة لتحضرن مع على عند عثمان بعد الظهر فوعدهم بذلك فدخل على ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه وعنده مروان

فقال

اضحى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر رايكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا
فقتل العبدان بعد أن اقرا
بذلك وانهما احبا الراحة
منه لطول ما أتعبهما من الغزو
والسفر

* (الباب التاسع عشر فى ذكر ملوك اليمن من بنى زياد القائمين بحرب الاشراف والالحاد) *

وكان ابتداء ملكهم فى سنة ثلاث ومائتين اولهم (محمد بن زياد) وقيل ابراهيم بن عبد الله بن زياد وكان المأمون سيره وجماعة من بنى امية الى الفضل بن سهل ذى الرياستين وبلغ المأمون اختلاف امر اليمن فأتى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور فأمر المأمون بارساله الى اليمن فسار ابن زياد المذكور ومعه جماعة وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب واستقرت قدم ابن زياد باليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة اربع ومائتين وملك اقاليم اليمن بأسرها وبه كملت دولة بنى زياد حتى قتل ابن زياد وبقى محمد بن زياد كذلك حتى توفى ثم ملك بعده ابنه (ابراهيم بن زياد بن محمد) ثم ملك بعده ابنه (زياد بن ابراهيم) ولم تطل مدته ثم ملك بعده

فقال دعني اكلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك انت وهذا الامر اخرج عني فخرج مروان وقال علي ومحمد لعثمان ما قال المصريون فأقسم بالله ما كتبته ولا علم لي به فقال محمد صدق هذا من عمل مروان ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة تعرفوا الشر فيهم وتكلموا فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين واهل الذمة والاستئثار في الغنائم فاذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين وذكروا شيأ مما أحدث بالمدينة وقال له وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردنا علي ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه فرجعنا الى بلادنا فرأينا غلامك وكابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس فحلف عثمان انه ما كتب ولا أمر ولا علم فقال علي ومحمد صدق عثمان قال المصريون فمن كتبه قال لا أدري قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم قال نعم قال ما أنت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الامر يبدو من تقطع الامور ونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه كما خلعك الله فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكني أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكن أرأيتك ان تبت تعود واسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك اصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص اليك فقال أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل احب الي من ذلك وأما قولكم تقاتلون من منعني فاني لا امر احدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير امري قاتل ولو أردت قتالكم لكتبت الى الاجناد فقدموا علي ولحقت ببعض أطرافي وكثرت الاصوات واللغط فقام علي فخرج وأخرج المصريين ومضى علي الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية وابن عامر وامراء الاجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وارسال الجنود اليه فتربص به معاوية فقام في اهل الشأم يزيد بن اسد القسري جد خالد بن عبد الله القسري فتبعه خلق كثير فسار بهم الى عثمان فلما كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا وقيل بل سار من الشأم حبيب بن مسلمة الفهري وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صرارا بناحية المدينة اتاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار اصحابه في امره فأشاروا عليه ان يرسل الى علي يطلب اليه ان يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده فقال انهم لا يقبلون التمهل وقد كان مني في المرة الاولى ما كان فقال مروان اعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليا فقال له قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فأردهم عني فاني اعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي وغيري فقال علي الناس الى عدلك إحوج منهم الى قتلك ولا يرضون الا بالرضا وقد كنت أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تعوزني هذه المرة فاني معطيهم عليك الحق فقال اعطهم فوالله لافين لهم فخرج علي الى الناس فقال لهم انما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم انه منصفكم من نفسه فقال الناس قبلنا فاستوثق منه لنا فانا لا نرضى بقول دون فعل فدخل عليه علي فأعلمه فقال اضرب بيني وبينهم أجلا فاني لا أقدر على أن اردما كرهوا في يوم واحد فقال علي اما ما كان

اخوه (ابو الجيش اسحق بن ابراهيم) وطالت مدته وتوفي في سنة احدى وسبعين وثلثمائة وخلف في الملك طفلا اسمه (زياد) وبقي في الملك مدة ثم توفي وانتقل ملك اليمن الى طفل آخر من آل زياد اسمه (ابراهيم) فقتل وهو آخر ملوك اليمن من بني زياد فتكون مدة ملك بني زياد باليمن مائتي سنة واربع سنين والله اعلم

(الباب العشرون في ذكر ملوك اليمن من آل نجاح ذوي الاخلاق العظام النجاح)

ولما قتل ابراهيم المذكور ملك اليمن عبد من عبيده يقال له (نجاح) فضرب السكة باسمه وكان له عدة اولاد واستقل بملك اليمن في سنة اثنتي عشرة واربعمائة حتى توفي سنة اثنتين وخمسين واربعمائة ثم ملك بعده ابنه (سعيد) الاحول وبقي في الملك سنتين وغلب عليهم الصليحي في سنة خمس وخمسين واربعمائة فهرب بنو نجاح الى دهلك وكان الصليحي ابو الحسن علي بن محمد عالما بارعا وكان ابوه قاضيا باليمن وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة ثم ان سعيدا الاحول واخاه

جيشا سيارا ومعهم سبعون رجلا من زبيد حتى ادركا الصليحي وهو نازل عند بئر ام معبد وقد

بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فأجله وصول امرك قال نعم فأجلني فيها في المدينة ثلاثة ايام فأجابه الى ذلك وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا فلما مضت الايام الثلاثة ولم يغير شيأ ناداه الناس وخرج عمرو بن حزم الانصاري الى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذي خشب فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله وردد مظالمهم فقال ان كنت مستعملا من أردتم وعازلا من كرهتم فلست في شيء والامر أمركم فقالوا والله لتفعلن أو لتخلعن أو لنقتلنك فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله فحصروه واشتد الحصار عليه فأرسل الى علي وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا المحارب والمسالم فقال لهم يا أهل المدينة استودعكم الله واسأله ان يحسن عليكم الخلافة من بعدي ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولي والدين لم يتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة انما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يشاور وافي الامامة أم تقولون ان الله لم يعلم عاقبة أمري وأنشدكم بالله أتعلمون لي من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لي يحق على كل من جاء بعدي ان يعرفوا لي فضلها فهلا لا تقتلوني فانه لا يحل الا قتل ثلاثة رجل زنى بعد احصانه وكفر بعد ايمانه أو قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان كل ما صنع الله خيرة ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا نتركك اقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك انه لا يحل الا قتل ثلاثة فانا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى في الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقدم نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينا فان زعمت انك لم تكابرنا عليها فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وامر اهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا الا الحسن بن علي وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباههم واجتمع اليه ناس كثير فكانت مدة الحصار أربعين يوما فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فأخبروا بتجبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء فأرسل عثمان الى علي سرا والى طلحة والزبير وازواج النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد منعوني الماء فان قدرتم ان ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم اجابة علي ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فجاء علي في الغلس فقال يا أيها الناس ان الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا امر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته في الدار وأنى قد نهضت ورجعت وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على اداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت ان وصايا

سار الى الحج فبغتاه فقتلاه وقتلا اخاه عبد الله ٧٢ وخز سعيد رأسهما واحتاط على امرأة الصليحي اسماء بنت شهاب وسار عائدين الى زبيد والرأسان قدامهما أمام هودج اسماء واستوثق الامر بتهامة لسعيد بن نجاح واستقرت اسماء مأسورة فأرسلت كتابا الى ابنها الملك المكرم احمد بن الصليحي وكان ملكا في بعض حصون اليمن تخبره وتستحثه على الوثوب على ملك نجاح فجمع جموعا وهرب سعيد ومن سلم معه الى دهلك واستولى (الملك المكرم احمد) على زبيد ونزل الرأسين ودفنهما وولى على زبيد خاله (اسعد ابن شهاب) وماتت اسماء المذكورة بعد ذلك ثم عاد بنو نجاح وملكوا زبيد واخرجوا اسعد منها في سنة تسع وسبعين ثم غلب عليهم الملك المكرم وملك زبيد فملكها في بقايا سنة احدى وثمانين واربعمائة ومات في سنة خمسمائة وترك عدة اولاد فملك ولده (فايك) ثم مات فملك ابنه (منصور) دون البلوغ ثم ملك بعده ولده (فايك بن منصور) ثم ملك بعده ابن عمه واسمه أيضا (فايك بن محمد بن فايك) وهو آخر ملوك اليمن من بني نجاح وكانوا قائمين بدعوة الفاطمية وكانت مدة دولة آل نجاح باليمن مائة وبضع عشرة سنة ثم انتقل الملك الى بني المهدي الحميري

بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت ان أسأله عنها الثلاثة أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها الى بيتها فاشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت بئر رومة بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعونى ان اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ثم قال انشدكم بالله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها فى المسجد قيل نعم قال فهل علمتم ان أحدا منع ان يصلى فيه قبلى ثم قال انشدكم بالله اتعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا أشياء فى شأنه فقضى النهى فى الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال لعله مكره وبكم وخرجت عائشة الى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى فقال والله ان استطعت ان يحرمهم الله ما يحاولون لافعلن فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك ام المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب الى مالا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف ثم رجع حنظلة الى الكوفة وهو يقول

عجبت لما يخوض الناس فيه * يرمون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم * ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود وكالنصارى * سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير ما لقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقى عثمان يسقيه آل حزم فى الغفلات فاشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره ان يحج بالناس وكان ممن لزم الباب فقال جهاد هؤلاء احب الى من الحج فاقسم عليه فانطلق قال عبد الله بن عباس بن ابى ربيعة دخلت على عثمان فأخذ يدى فاسمعنى كلام من على بابه فمنهم من يقول ما ننتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسى ان يراجع قال فبينما نحن واقفون اذ مر طلحة فقال أين ابن عديس فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لاتتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لى عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفنى طلحة فانه حمل على هؤلاء وألبهم على والله انى لارجو ان يكون منها صفرا وان يسفك دمه قال فأردت ان أخرج فمنعونى حتى امرهم محمد بن ابى بكر فتركونى اخرج وقيل ان الزبير خرج من المدينة قبل ان يقتل عثمان وقيل ادرك قتله ولما رأى المصريون ان اهل الموسم يريدون قصدهم وان يجمعوا ذلك الى حجهم مع ما بلغهم من مسير اهل الامصار قالوا لا يخرجنا من هذا الامر الذى وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال انتم فى حل من نصرتى فأبوا ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء واقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فبيناهو يناشده أن يعتزلهم اذ رماه كثير بن الصلت الكندى بسهم فقتله فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع الينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لاقتل رجلا نصرنى وانتم تريدون قتلى فلما رأوا ذلك ثاروا الى الباب فلم يمنعهم احد منه والباب مغلق لا يقدرون على الدخول منه فجاؤا بنار فاحرقوه والسقيفة التى على الباب وثار أهل الدار وعثمان يصلى قد

* (الباب الحادى والعشرون فى ذكر ملوك اليمن من بنى المهدى الناصرين الدين القويم المحمدى) *

وكان المهدى من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من ناحية زبيد وكان رجلا صالحا ونشأ ابنه (على ابن المهدى) على طريقة أبيه ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم واجتمع عليه الناس واستفحل أمره حتى قصد بغازى الغارات وقطع الطرق والقوافل وحاصر زبيد وقتل قاتل بن محمد آخر ملوك بنى نجاح بعد حروب كثيرة واستقر فى دار الملك يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة وبقى ابن المهدى فى الملك شهرين واحدا وعشرين يوما ومات ثم ملك بعده ولده (مهدى بن على بن مهدى) ثم ملك بعده ولده (عبد النبى) ثم خرجت المملكة عن عبد النبى الى أخيه (عبد الله) ثم عادت الى عبد النبى المذكور واستقر فى ملك اليمن الى ان سار توران شاه بن أيوب من مصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة ففتح اليمن واسر عبد النبى واستولى على مدائن عظيمة لعبد النبى وعبد النبى آخر من ملك اليمن

من بني حمير وكان مذهبهم التكفير بالمعاصي وكان من دأبهم قتل من خالف اعتقادهم من اهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم

(الباب الثاني والعشرون في ذكر ملوك اليمن من أولاد الرسول وأبناء فاطمة الزهراء البتول)

اولهم الامام المهدي لدين الله الشريف (احمد بن يحيى بن رسول) ثم ولده النجيب السيد الجليل المدعو بالخليفة والامام أمير المؤمنين (شرف الدين يحيى) بن شمس الدين المهدي لدين الله وكان جد شرف الدين من عظماء الزيدية وهو مصنف كتاب الاكليل في اصول الزيدية وكان شرف الدين هذا يدعي الاجتهاد ويقول تقليد الحي خير من تقليد الميت وكانت عامة بلاد اليمن في يده الى ان ذهب من بلاد الروم اويس باشا في شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وانتزع زبيد وظفار وغيرهما من يده بعد مقاتلة عديدة ثم استولى على مدينة تعز واستعمل في أمورها وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصى كل عامل له في ناحية ثم وقع الوحشة بينه وبين ولده الكبير الشريف (مطهر)

افتتح طه فما شغله ما سمع ما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها فلما فرغ جلس الى المصحف يقرأ فيه وقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال لمن عنده بالدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الي عهدا فأنا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج علي رجل ان يستقتل او يقاتل وقال للحسن ان أبالك الآن الى امر عظيم من امرك فاقسمت عليك لما خرجت اليه فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الاخنس بن شريق وكان قد تجعل من الحج في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار وارتجز يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والحلي والاناميل الطفول
لتصدقن بيعتي خليلي * بصارم ذي رونق مصقول
* لا أستقيل اذ أقلت قيلي *

وخرج الحسن بن علي وهو يقول

لا دينهم ديني ولا أنا منهم * حتى اسير الى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

انا ابن من حامى عليه بأحد * وردا حزابا على رغم سعد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والموت واقف * بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نصرة * نشافههم بالضرب والموت نائب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه وأقبل أبو هريرة والناس مجتمعون فقال هذا يوم طاب فيه الضرب ونادى يا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعوني الى النار وبرز مروان وهو يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والاناميل الطفول
اني أروع أول الرعيل * بغارة مثل القطا الشليل

فبرز اليه رجل من بني ليث يدعى البياع فضربه مروان وضربه هو مروان على رقبته فاثبته وقطع احد علباويه فعاش مروان بعد ذلك اوقص وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليذفف عليه فقامت فاطمة ام ابراهيم بن عدي وكانت ارضعت مروان وارضعت له فقالت اركت تريد قتل فقد قتل وان كنت تريد ان تلعب بلحمه فهذا قبيح فتركه وادخلته بيتها فعرف لها بنو ذلك واستعملوا ابنها ابراهيم بعد ونزل الى المغيرة بن الاخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة قال فلما سمع الناس يذكرونه قال انا لله وانا اليه راجعون فقال له عبد الرحمن بن عديس مالك فقال رأيت فيما يرى النائم هاتفا يهتف فقال بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به واقتحم الناس الدار من من الدور التي حولها ودخلوا من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤها ولا يشعر من بالباب وغلب الناس على عثمان وندب ارجلا يقتله فاتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا اسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست

خالعا

خالعا قميصا كساه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فقالوا ما صنعت فقال والله لا يتجهم من الناس الا قتله ولا يحل لنا قتله فادخلوا عليه رجلا من بني ليث فقال له لست بصاحبي لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لك ان تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم ودخل عليه رجل من قريش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فان تقارف دما حراما فرجع وفارق أصحابه وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه وويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقوم الا بالسيف وويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن اليهودية ما أنت وهذا فرجع عنهم وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن ابي بكر فقال له عثمان ويلك اعلي الله تغضب هل لي اليك جرم الا حقه اخذته منك فأخذ محمد لحيته وقال قد أخزاك الله يا عثل فقال لست بعثل ولكني عثمان وأمير المؤمنين وكانوا يلقبون به عثمان فقال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا بن اخي فما كان ابوك ليقبض عليها فقال محمد الورآك ابي تعمل هذه الاعمال انكرها عليك والذي اريد بك اشد من قبضي عليها فقال عثمان استعصر الله عليك واستعين به فتركه وخرج وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان في يده والاول اصح قال فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان ليضربه فاكبت عليه امرأته واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها وولت فقمزأوراكها وقال انها الكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله وقيل الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي وكان عثمان رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يقول له انك تفطر الليلة عندنا فلما قتل سقط من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد اعتق من كف يده منهم فلما ضرب به سودان ضرب بعض الغلمان رقية سودان فقتله ووثب قتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى اخذوا ما على النساء واخذ كلثوم التجيبي ملاءة من على نائلة فضرب به غلام لعثمان فقتله وتنادوا ادركوا بيت المال ولا تسبقوا اليه فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه الا غرارتان فقالوا النجاة فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس وقيل انهم ندموا على قتله وما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال فاما ثلاث منها فاني طعنته بهن اياه لله تعالى واما ست فلما كان في صدري عليه وأراد قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه واقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في السجن وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثني عشرة سنة الا اثني عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل كان قتله سنة ست وثلاثين لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وقيل بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل

واستبد بالامر وتوفي والده الامام في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وتسعمائة ودفن بالجلة وفي أيام الشريف مطهر عظم امر الاروام بالديار اليمنية وفي هذه السنة سار ازدمر باشا الى صنعاء اليمن ويها الشريف صلاح الدين ابن الامام من قبل مطهر فغلب عليه واستولى على صنعاء فأباحها ثلاثة أيام قتلا ونهبا ثم اقتتل هو والشريف مطهر في قاع صنعاء قتالا شديدا انتصر فيه ازدمر باشا واستولى على خزائن الشريف ثم امتدت الحروب والفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة وفيها وصل من الروم مصطفى باشا المشهور بالمنشاري ومعه كتاب من السلطان سليمان مضمونه هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف العالي الخاقاني لازال نافذا بأعون الصمداني واليمن الرباني الى الامير الكبير الحسيني النسيب فرع الشجرة الزكية الطاهرة وطراز العصابة العلوية الفاخرة الشريف مطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم وثناء أعم نبدي بعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بسامعنا الشريفة

خمسا وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة

﴿ ذكر الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه ﴾

قيل بقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام القرشي وجبير بن مطعم كلما عليا في ان يأذن في دفنه ففعل فلما سمع من قصده بذلك قعد والله في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم وفيهم الزبير والحسن وابو جهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء فاتوا به حائطا من حيطان المدينة يسمى حش كوكب وهو خارج البقيع فصلى عليه جبير بن مطعم وقيل حكيم ابن حزام وقيل مروان وجاء ناس من الانصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفا من الفتنة وأرسل علي الى من اراد ان يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه ودفن في حش كوكب فلما ظهر معاوية بن ابي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل في البقيع وامر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين وقيل انما دفن بالبقيع مما يلي حش كوكب وقيل شهد جنازته علي وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من تم من أصحابه قال وقيل لم يغسل وكفن في ثيابه

﴿ ذكر بعض سيرة عثمان ﴾

قال الحسن البصري دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على رداء فأتاه سقا آن يختصمان اليه فقضى بينهما وقال الشعبي لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وقال أخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد فان جاء الرجل منهم ليستأذنه في الغزو فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا ترالك وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من اهل مكة فلما ولي عثمان خلى عنهم فانتشروا في البلاد وانقطع اليهم الناس وكان أحب اليهم من عمر قبل وحج عثمان بالناس سنوات خلافته كلها وحج بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر وكتب الى الامصار ان يوافيه العمال في الموسم ومن يشكو منهم وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانه مع الضعيف على القوي مادام مظلوما وقيل كان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمي على الجلاهقات وهي قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسر الجلاهقات قيل وسأل رجل سعيد ابن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة ما دعاه الى الخروج على عثمان فقال كان يتيما في حجر عثمان وكان والي ايتام أهل بيته ومحتملا كلهم فسأل عثمان العمل فقال يا بني لو كنت رضا لاستعملتك قال فاذن لي فاخرج فاطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهز من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الى مصر كان فيمن اعان عليه حيث منعه الامارة قيل وعمار بن ياسر كان بينه وبين عباس ابن عتبة بن ابي لهب كلام فضرب بهما عثمان فأويت ذلك تعاديا بين اهل عمار وأهل عباس وكانا تقاذفا قيل سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر ما دعاه الى ركوب عثمان قال الغضب والطمع كان من الاسلام بمكان فغره اقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حتى فأخذه عثمان من ظهره فاجتمع هذا الى ذلك فصار مذمما بعد ان كان محمدا قيل واستخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضرب به عثمان فاستحسن منه ذلك وقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص

اخلاصه لدينا وانقياده الى حنابنا وبلغنا الآن عنه خلاف ذلك وتغيير ما كنا بنيناه في السابق وانه وقع بينه وبين امرائنا وعساكرنا بتلك البلاد خلاف كثير ووقائع متناقضة عم ضررها المأمور والامير وهذا عين الخطا المحض المرتب عليه ذهاب الارواح لمن عقل وفهم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أما نعلم ان عساكرنا المنصورة لا يعجزهم صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير ولما أخبرنا القيمنا شرذمة من عساكرنا المنصورة قليلين نحو مائة ألف أو يزيدون وأردنا ان نلحق الجيش بالجيش حتى تصل عساكرنا المنصورة أولهم في البلاد اليمنية وآخرهم في مملكتنا المحمية ولكن غلب حلمنا عليه لكونه سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة الطاهرين ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة قبل اتساع الخرق عليه ان نعرفه بعقبى الامور وقد اقتضت أوامرنا الشريفة تعيين افتخار الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام مصطفى باشا بكاربكي زيدسا بقا دامت معدلته باشا على العساكر

في الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضي به (قيل وكان كعب بن ذي الحنكة النهدي يلعب بالنار ونجيات فبلغ عثمان فكتب الى الوليد ان يوجعه ضربا فعزره واخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان وفيه انه قد جد بكم فجدوا واياكم والهزل فغضب كعب وكان في الذين خرجوا عليه وكان سيره الى دنباوند فقال في ذلك للوليد

لعمري لئن طردتني ما الى التي * طمعت بها من سقطتي سبيل
رجوت رجوعي يا ابن أروى ورجعتي * الى الحق دهرا غال ذلك غول
فان اغتربي في البلاد وجفوتي * وشتمي في ذات الاله قليل
وان دعائي كل يوم وليلة * عليك بدنباوند كم لطويل

قال وأما ضابئ بن الحرث البرجمي فانه استعار في زمن الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الانصاريون منهم قهرا فهجاهم وقال

يجشم دوني وفد قرحان خطة * تضل لها الوجناء وهي حسير
فباتوا شباعا طاعمين كانما * خباهم ببيت المرزبان امير
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم * فان عقوق الامهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فعزره وحبسه فما زال في السجن حتى مات فيه وقال في الفتك معتذرا الى أصحابه

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة قدمات في السجن ضابئ * الا من لخصم لم يجد من يحاوله

فلذلك صار ابنه عمير سبئيا قال وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فانهما سارا الى المدينة لقتل عثمان فاما عمير فانه نكل عنه واما كميل فانه جسر وناوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه فقال أوجعتني يا أمير المؤمنين قال أولست بقاتلك قال لا والله فقال عثمان فاستقدمني وقال دونك فعفا عنه وبقيا الى أيام الحجاج فقتلهما وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قيل وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك معونة على مروءتك قيل فلما حصر عثمان قال علي لطلحة أنشدك الله الا رددت الناس من عثمان قال لا والله حتى تعطيني بتو أميه الحق من أنفسها وكان عثمان يلقب ذا النورين لانه جمع بين ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم قال الاصمعي استعمل عبد الله بن عامر قطن بن عبد عوف على كرمان فاقبل جيش للمسلمين فمنعهم سيل في واد من العبور وخشي قطن الفوت فقال من عبره ألف درهم فخاضوا انفسهم وعبروا وكانوا أربعة آلاف فاعطاهم أربعة آلاف ألف درهم فأبى ابن عامر ان يجري ذلك له وكتب الى عثمان فكتب عثمان أن لحسبها له فانه انما اعان بها في سبيل الله فلذلك سميت الجوائز لاجازة الوادي وقال حسان بن زيد سمعت عليا وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته يا أيها الناس انكم تكثرون في وفي عثمان فان مثلي ومثله كما قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال ابو حميد الساعدي وهو بدري وكان مجانبا لعثمان فلما قتل عثمان قال والله ما أردنا قتله اللهم لك علي أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى القاك

(ذكر نسبه وصفته وكنيته)

المنصورة وصحبته ثلاثة آلاف من جنودنا المنصورة معونة لامير الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام ازدمر باشا دامت معدلته فحال وصول ركاب مصطفى باشا المشار اليه الى تلك الديار تقابله بقلب منشرح وصدر منفسح وتمشى تحت صناجقنا الشريفة وتكون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد فان فعلت فأنت من الفائزين ولا تخف ولا تحزن انك من الآمنين وان حصل والعياذ بالله خلاف ذلك واستمر على الضلال والعناد فيصير دنبه في رقبته ويهلك نفسه ويدخل في قول اصدق القائلين يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين ويصير بعد الوجود الى العدم وينندم حيث لا ينفعه الندم وقد حذرناه وأفتيه به ونحذنا عليه فان خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها وأخرجناه منها ذليلا لا ملجأ له من سلطاننا الا اليه ومثله لا يدل الا على صواب (صورة كتاب المطهر) نور الله شموس الاسلام واطلعها وفجر عين معين الشريعة النبوية وأنبعها وفتح أكمام السعادة الابدية وأينعها ولا لا

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وامها ام حكيم بنت عبد المطلب واما صفته فانه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدري كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وقيل كان كثير شعر الرأس أروح الرجلين واما كنيته فانه كان يكنى اباعبد الله بولد جاءه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله توفى وعمره ست سنين نقره ديك فى عينه فمرض فمات فى جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة وقيل كان يكنى أبا عمرو

﴿ ذكر وقت اسلامه وهجرته ﴾

قيل كان اسلامه قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان ممن هاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر أزواجه وأولاده ﴾

تزوج رقية وام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له رقية عبد الله وتزوج فاخته بنت غزوان فولدت له عبد الله الاصغر هلك وتزوج ام عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية ولدت له عمرا وخالدا وابانا وعمرو ومريم وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد وتزوج ام البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ولدت له عبد الملك هلك وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة ولدت له عائشة وام أبان وأم عمرو وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ولدت له مريم بنت عثمان وقيل ولدت له ام البنين بنت عيينة عبد الملك وعتبة وولدت له نائلة عنبسة وكان له منها ايضا ابنة تدعى ام البنين وكانت عند عبد الله بن يزيد ابن أبى سفيان وقتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وام البنين ابنة عيينة وفاخته بنت غزوان غير أنه طلق أم البنين وهو محصور وفهؤلاء أزواجه فى الجاهلية والاسلام وأولاده

﴿ ذكر أسماء عماله فى هذه السنة ﴾

كان عماله فى هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمى وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر خرج منها ولم يول عثمان عليها أحدا وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى الاردن ابو الاعور السلمى وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانى وعلى البصرة عبد الله بن قيس الفزارى وعلى القضاء أبو الدرداء فى قول بعضهم والصحيح انه كان قد توفى قبل أن قتل عثمان وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزنى وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة وعمالك الانصارى وعلى حربها القعقاع بن عمرو وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان الاشعث بن قيس الكندى وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير وعلى الرى سعيد بن قيس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماسبذان جنيس وعلى بيت المال عقبة بن عامر وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت (عتيبة بن النهاس بالتاء فوقها نقطتان وبعدها ياء فتحتها نقطتان وآخره باء موحدة وعيينة بن حصن بالياء فتحتها

نقطتان

كواكب الدين الحنيفى واسطعها واعلى منارات الملة البيضاء ورفعها وكسر نواجم قرون الشرك والبغى وقمعها بدوام ايام مولانا السلطان العظيم ذى الملك الباهر القاهر المستقيم القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار اثيم الهادى بأوامره ونواهيه الى سواء الصراط المستقيم المقسم بحماية آل الرسول وابناء فاطمة البتول الملك المظفر المنصور والهمام المؤيد المشهور السلطان سليمان ابن سليم اهدى الى مقامه الشريف نجائب ركائب التحيات والتسليم ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة الموصلة بنعيم دار النعيم وحرس جنابه العالى من صروف الايام والليالى وبعد فانه ورد الينا من تلقائه اطال الله تعالى للمسلمين والاسلام فى بقائه مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شموسه وافقاره وعرفنا ماذكره سلطانا سلطان الامم ومالك رقاب العرب والعجم فالحمد لله الذى وفقنا لطاعته وزانا عن السلوك فى مسالك مخالفته كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ومعصيتكم يظلم منها المغارب والمشارق

نقطتان وياء ثانية وآخره نون تصغير عين والنسير بالنون والسين المهملة تصغير نسر)

﴿ (ذكر الخبر عمن كان يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان) ﴾

قيل وجاء ذلك اليوم الذي منع فيه عثمان الصلاة سعد القرظ وهو المؤذن الى علي بن ابي طالب فقال من يصلي بالناس فقال ادع خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف ان اسم أبي أيوب الانصاري خالد بن زيد فصلى أياما ثم صلى بعد ذلك بالناس وقيل بل أمر علي سهل بن حنيف فصلى بالناس من اول ذي الحجة الى يوم العيد ثم صلى علي بالناس العيد ثم صلى بهم حتى قتل عثمان وقد تقدم غير ذلك في ذكر قتله

﴿ (ذكر ما قيل فيه من الشعر) ﴾

قال حسان بن ثابت الانصاري

أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتونا عند قبر محمد
فلبئس هدى المسلمين هديتم * ولبئس أمر الفاجر المتعمد
ان تقدموا نجعل قرى سرواتكم * حول المدينة كل ابن مذود
أو تدبروا فلبئس ما سافرتم * ولبئس امر اميركم لم يرشد
وكأن أصحاب النبي عشية * بدن تذبح عند باب المسجد
ابكي أبا عمرو لحسن بلائه * امسى ضجيعا في بقيع الغرقد

وقال ايضا

ان تمس دار ابن أروى اليوم خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويهوى اليها الذكر والحسب
يا ايها الناس أبدوا ذات أنفسكم * لا يستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم * مسلتما قد بدا في وجهه الغضب

وقال ايضا

من سره الموت صرفا لا مزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه احيانا
لقد رضينا بأهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان اخوانا
انى لمنهم وان غابوا وان شهدوا * ما دمت حيا وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال أبو عمر بن عبد البر وقد ذكر بعض هذه الابيات وقد زاد فيها اهل الشام ولم ار لذكره وجها بعد ما فيها من ذكر علي وهو

ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط يحرض اخاه عمارة

يقين ونرجو أنكم لا تصغوا
اذنا لكلام الفاسقين ولا
تقطعوا حقا لذرية النبي
الامين واياه على الانزع
البطين كرم الله وجهه في
عليين قل لا أسألكم عليه
أجرا الا المودة في القربى
وذلك هدى الكتاب المبين
وأنتم أولى برعاية ما أمر الله
به ان يرعى ويقرن عين
النبي الكريم عينا وسعدا
والذي أشرتم اليه من بلوغ
مخا الفتنا لعساكركم المنصورة
وجيوشكم القاهرة
الموفورة ليس له صحة ولا ثبات
ولا كان لنا الى حربهم قصد
ولا التفات بل ضيقوا علينا
مسالك المعيشة خلفا وأماما
ورمونا بمدافع لا يرمى بها
الا الذين يعبدون اصناما
ولم يعلموا انا ممن أوجب الله
لهم رعاية واحتراما ومن
الذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما فدفعنا عن أنفسنا
وأولادنا ما أمكن من الدفاع
ودرأنا عن محارمنا وترك
الدره عنها لا يستطاع
وحين وصل وكيلكم الباشا
مصطفى الى هذه الجهات
اليمنية والديار التي هي بسيوف
قهركم محمية بسط عدله في
أهل اليمن واخمد نيران الفتن
ما ظهر منها وما بطن واطلع
على الحقائق وهو يعرفكم
عن حالنا السابق وما نحن

الا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فان يك ظني يا بن امي صادقا * عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده * مخيمة بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن العباس

اتطلب ثارا لست منه ولا له * وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها * وتنسى أباها اذ تسامى اولى الفخر
الا ان خير الناس بعد ثلاثة * وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه * وأول من اردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الانصار ظلم ابن أمكم * بزعمكم كانوا له حاضري النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله * وأن يسلموه للاحابيش من مصر

قوله وأين ابن ذكوان فان الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو اسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ويذكر جماعة من النسابين ان ذكوان مولى لأمية فتبناه وكناه ابا عمرو ويعني انك مولى لست من بني امية حتى تكون ممن يطلب بثار عثمان وقال غيرهم من الشعراء ايضا بعد مقتله فمن بين مادح وهاج ومن ناع وبالك ومن سار فرح فممن مدحه حسان كما تقدم وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك

﴿ ذكر بيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﴾

وفي هذه السنة بويع امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد اختلفوا في كيفية بيعته فقيل انه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له انه لا بد للناس من امام قال لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك وتردد اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك انا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا اقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خيرا من ان أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفية ولا تكون الا في المسجد وكان في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يده شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال لهما على ان احببتما أن تبايعاني وان أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا انه لا يبايعنا وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر وبايعه الناس وجاؤا سعد بن ابي وقاص فقال علي بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ما اعلمك مني بأس فقال خلوا سبيله وجاؤا ابن عمر فقالوا بايع قال لا حتى يبايع الناس قال ائتني بكفيل قال لا ارى كفيلا قال الاشتر دعني اضرب عنقه قال على دعوه انا كفيله انك ما علمت لسيء الخلق صغيرا وكبيرا وبايعت الانصار الا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا

عليه من حسن المساعي والطرائق ولعمري انه اجل عظيم وذو شأن فخيم فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا ويدفع بعنايته عن الانام والاسلام شرورا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الباشا مصطفى الباشا ازدهر صعدا الى صنعاء وحشد اعسكرا كثيفا فحاصر الشريف في حصن تلامة طويلة فلم يغنما شيأ وقبل دخلا بعد ان استأمنا على أنفسهما فوقع بينهما المهادنة والمسالمة ثم نزلا وفي سنة اثنتين وستين وتسعمائة وقع القحط العظيم باليمن حتى اكل الناس الشجر والعشب ومات أكثرهم جوعا ومات من اهل الجبال بمدينة اب نحو خمسة آلاف نفر ومن أهل المدينة نحو أربعة آلاف نفر وكان سبب ذلك حدوث الجراد بها وطول مكثه حتى أكل الاشجار والنبات ثم دخل على الناس في بيوتهم فخاف الناس منه خوفا عظيما وفي سنة خمس وستين وتسعمائة وقع باليمن طاعون عظيم أهلك من أهلها خلقا كثيرا وكانت الامطار والخصب كثيرا وفي عام أربعة وسبعين وتسعمائة عزل نائب صنعاء الباشا رضوان وعين مكانه مراد باشا فقيل ان يصل

عثمانية فاما حسان فكان شاعرا لا يبالى ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الانصار كونوا انصار الله مرتين فقال له ابو ايوب ما نتصره الا لانه اكثر لك من العبدان وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما أخذ منهم ولم يبايعه عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة فاما النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذى قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدا فى أمرهم ثم رفعه فاذا احس منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لهاحوارها نحن فيعلقها وقد قيل ان طلحة والزبير انما بايعا عليا كرها وقيل لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد فأما على قول من قال ان طلحة والزبير بايعا كرها فقال ان عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة ايام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة فى حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بنى امية قد هربوا الامن لم يطق الهرب وهرب سعيد والوليد ومروان الى مكة وتبعهم غيرهم فأتى المصريون عليا فبايعوه وأتى الكوفيون الزبير فبايعوه وأتى البصريون طلحة فبايعوه وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة فارسلوا الى سعد يطلبونه فقال انى وابن عمر لا حاجة لنا فيها فأتوا ابن عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى قال بعضهم لبعض ان رجع الناس الى امصارهم بغير اماما لم نأمن الاختلاف وفساد الامة فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم يا أهل المدينة انتم اهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وحكمكم جائز على الامة فانظروا ولا تتصبونه ونحن لكم تبع وقد أجلناكم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من بنى القرى فقال على دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نحن فيه الا ترى الاسلام الا ترى الفتنة الا تخاف الله فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك وانعقدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا احذر لا تحابه ومعه نفر فجاؤا به يجدونه بالسيف فبايع وبعثوا الى طلحة الاشتر ومعه نفر فأتى طلحة فقال دعنى انظر ما يصنع الناس فلم يدعه فجاءه بثلاثة فلما عنفه وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت والسيف على عنقى وأهل مصر فرحون فلما اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة والبصرة ان كانوا اتباعا لاهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا ولما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على فصعد المنبر وقال ايها الناس عن ملا واذن ان هذا أمركم ليس لاحد فيه حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا ان أكون عليكم الا وانه ليس لى دونكم الا مفاتيح مالكم معى وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على

هراد باشا اقام رضوان باشا مكانه نائبا باليمن أميرا يقال له قزل باش محمد بك وارتحل هو الى الباب العالى فاغتنم الفرصة الشريف فقام واستولى على صنعاء ونواحيها وقاتل الاروام قتالا شديدا حتى أفناهم وكان الباشا هراد قد وصل اذذاك الى زبيد فرأى ان يسير الى تعز خوفا عليها وعلى ما فيها من الخزائن السلطانية فلما كان بوادى حنان استقبلهم العرب وهم فى عدد لا يعلمهم الا الله تعالى وكان عدد الاروام ثلاثة آلاف نفر فوقع القتال بين الفريقين حتى انتصر العرب وهزموا الاروام وأفنوهم قتلا وأسرا ثم ساروا وغلبوا على عامة بلاد اليمن حتى لم يبق بيد الاروام الا زبيد ثم حاصروا زبيد مدة أربعين يوما الى ان وصل من باب السلطان عثمان باشا ابن ازدمر فى جمادى الاولى سنة ست وسبعين وتسعمائة فدخل زبيد وأصلح شأنها ثم سار منها بعد أن مكث بها مدة اشهر بالعسكر فحاصر تعز بها على بن سوغان نائب الشريف الى ان انتصر عليه وانتزع البلدة من يده ثم قدم محمد بن شمس الدين قائد الشريف بعسكر كثير فحاصر عثمان باشا بتعز فى

أحد فقالوا نحن على ما فارقتنا عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع فقال انما ابايع كرها فبايع وكان به شلل فقال رجل يعتاف انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الامر ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفى الزبير اختلاف ثم جيء بعده بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله فى القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر امر أهل المدينة وكانهم كما كانوا فيه وتفرقوا الى منازلهم وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة والناس يحسبون بيعته من قبل عثمان وأول خطبة خطبها على حين استخلف حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده انكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئية

خذها اليك واحذرن اباحسن * انا نمر الامر امرار الرسن
صولة أقوام كاشداد الدفن * بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرون على غير عنن

فقال على

انى عجزت عجزة لا اعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلى ما كنت أجر * واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشا غبى المجهول المنتصر * ان تتركونى والسلاح يندر

ورجع على الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير فى عدد من الصحابة فقالوا يا على انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا فى قتل هذا الرجل وأحلوا بانفسهم فقال يا اخوتاه انى لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلاطكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شئ مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا ما ترونه ابدا الا ان يشاء الله ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم ما دتهور ذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذ بها ابدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها وانما هيجه على ذلك هرب بنى أمية وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال على وبعضهم يقول نقضى الذى علينا ولا نؤخره والله ان علينا المستغن برأيه وليكونن اشد على قريش من غيره

فسمع

منتصف هذا العام ثم انضم الى عثمان باشا سنان باشا الوزير لمعونة عثمان باشا فقاتلوا القائد المذكور من الضحى الى الليل حتى أجلوه عن البلد وعنوا أسبابه ثم لم يزل يسير الباشا سنان بالعساكر والجنود يقاتل العرب حتى وصل الى القاعدة ثم الى الشوال ثم الى جبش ثم الى التفكر وتعران ثم الى زبيد ثم الى صنعاء ثم الى قبعان ثم الى كوكبان فحاصرها مدة سبعة أشهر ثم افتتحها ثم وصل من السلطان بهرام باشا مولى على البلاد اليمنية فوصل الى تعز ثم الى القاعدة وفيها قدم على ابن الامام صاحب جب فى ثلاثين ألف مقاتل وقاتل بهرام باشا من الضحوة الى الظهر فانتصر بهرام باشا وقتل من العرب مائة وعشرين نفرا ثم حاصر بهرام باشا الامير المذكور فى حصن جب فلم يزل يعمل الحيلة فى احراق بيت البارود حتى تم له ذلك ثم لم يلبث أن مات الامير المذكور فاذعن أهله بالطاعة وذلك فى رجب ثم كان لبهرام باشا المذكور فى فتح البلاد اليمنية قدم راسخة وفى غرة رجب سنة ثمانين وتسعمائة توفى صاحب البلاد اليمنية الشريف

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه فقد امرت السبئية والاعراب وقالوا الناعداما مثلها ولا نستطيع نحيج فيهم بشيء وقال ايها الناس أخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فأبت السبئية واطاعهم الاعراب فدخل على بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة ممن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا * متنا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم اعتى وقال

ولوان قومي طاوعتني سراتهم * امرتهم امرا ابذ بح الاعاديا

وقال طلحة دعني آتي البصرة فلا يفجؤك الا وانا في خيل وقال الزبير دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك الا وانا في خيل فقال حتى انظر في ذلك قيل وقال ابن عباس اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لي قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأي اليوم تحرز به ما في غد وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد اقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت لا اداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري قال فان كنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا استعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندي وانا اعرف فيه انه يود اني مخطئ ثم عاد الي الآن فقال اني اشرت عليك اول مرة بالذي اشرت وخالفتني فيه ثم رأيت بعد ذلك ان تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلي اما المرة الاولى فقد نصحتك وأما المرة الثانية فقد غششتك قال ولم نصحتني قلت لان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى ثبتهم لا يسألون من ولي هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام وأهل العراق مع اني لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك وانا أشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى ان أقلعه من منزله وقال علي والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما سيئة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت أما والله لئن اطعتني لاصدرنهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون في دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء قال ابن عباس فقلت له اطعني والحق بمالك ينبع وأغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبى علي فقال تشير علي واري فاذا عصيتك فأطعني قال فقلت افعل ان ايسر ما لك عندي الطاعة فقال له علي سر الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأي معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقي بعثمان وان أدنى ما هو صانع ان يحبسني فيتحكم علي لقرابتي منك وان كل ما حمل

مطهر وقد دفن في تلا وتولى مكانه ولده (يحيى بن علي بن مطهر) والآن آل الامر الى قريبه وصهره (علي بن سويع) استمال القلوب وقاد الجيوش واستولى على صعدة فصار يحيى مغلوبا بالجور

(الباب الثالث والعشرون في ذكر ملوك الغرب من الطوائف ذوي المفاخر والمعارف)

فلما انقرضت الدولة الاموية من الغرب اقتسمها أصحاب الاطراف وصاروا مثل ملوك الطوائف فاما قرطبة فاستولى عليها (أبو الحسن علي) بن جهور الى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بأمر قرطبة بعده ابنه (الوليد محمد بن علي) ثم سار الى الامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) وقتل المذكور ووزيره أبا بكر بن زيدون وكانا من خيار الناس والوليد هذا هو الذي أنشأ القصيدة الفراقية المشهورة التي يقول فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا ولا يخشى تفرقنا

عليك حمل على ولكن اكتب الى معاوية فخنه وعده فقال لا والله لا كان هذا ابدا وكان المغيرة يقول نخمته فما لم يقبل غششته وخرج فلحق بمكة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين قبل قتل عثمان فسلط الله عليهم ريحا عاصفا ففرقهم وفجأ قسطنطين فأتى صقلية فصنع له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا هكذا قال ابو جعفر وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصواري سنة احدى وثلاثين وقتله أهل صقلية في الحمام وان كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الوقعة فيها فقولا قوله ان المراكب غرقت لكانت هذه الحادثة هي تلك فانها في قول بعضهم كانت سنة خمس وثلاثين * وفي خلافة عثمان مات أوس بن خولي الانصاري وفي خلافة عثمان أيضا مات الجلاس بن سويد الانصاري وكان من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسنت توبته وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو الملقب ببيبة وفي آخرها مات الحكم بن أبي العاص وهو والد مروان وعم عثمان * وفيها مات حبان بن منقذ الانصاري وهو والد يحيى بن حبان (بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة) وفيها مات عبد الله بن قيس بن خالد الانصاري وقيل بل قتل بأحد شهيدا وفي خلافته مات قطبة بن عامر الانصاري وهو عقبي بدري وفي خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الانصاري وهو الذي تكلم بعد موته وفيها قتل معبد بن العباس بن عبد المطلب بافريقية في آخر خلافة عثمان * وفيها مات معيقيب بن أبي فاطمة وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل مات سنة أربعين في خلافة علي * وفيها مات مطيع بن الاسود العدوي وكان اسلامه يوم الفتح * وفي خلافته مات نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل بل قتل في وقعة الجمل مع مجاشع بن مسعود وفي خلافته مات عبد الله بن حذافة السهمي وهو بدري وكان فيه دعابة * وفيها مات عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد عمر الشاعر وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حصر فسقط عن راحلته فمات وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مات في خلافة علي وهو أصح * وفي خلافته توفي أبو سبرة ابن أبي رهم العامري من عامر بن لؤي وهو بدري * وفيها مات هاشم بن عتبة بن ربيعة خال معاوية أسلم يوم الفتح وكان صالحا * وفيها مات أبو الدرداء وقيل عاش بعده والاول أصح

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين ﴾

﴿ ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية ﴾

وفي هذه السنة فرق علي على عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكان له هجيرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فأما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على اي شئ قال على الشام قالوا ان كان بعثك عثمان فحي هلا بك وان كان بعثك غيره فارجع قال او ما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى علي وأما قيس بن سعد فانه لما انتهى الى ايلة لقيته خيل فقالوا له من أنت قال من قالة عثمان فأنا اطلب من آوى اليه فانتصر به لله قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق اهل مصر فرقا فرقة دخلت في الجماعة

فكانوا

واليوم بناولا يرجى تلاقينا
وهي قصيدة طويلة بديعة
وأما (بطليوس) فاستولى
عليها بعد المنصور ابو بكر محمد
الفتى العلوي ينسب الى بني
الافطس البربري وأول
من ملك منهم (أبو بكر محمد)
ابن عبد الله بن مسلم المعروف
بابن الافطس ويلقب بالمظفر
فلما توفي تولى بعده ولده (عمر
ابن محمد) ويلقب بالمتوكل
واتسع ملكه وقتل صبرا مع
ولديه الفضل والعباس
عند أمير المسلمين يوسف بن
تاشفين على الاندلس وهو
الذي رثاه الشاعر في قصيدته
المشهورة الموسومة بالعبدونية
بني المظفر والايام مابرحت
مر احلا والورى منها على سفر
سقطا اليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلة في مقبل العمر
من للاسرة او من للأعنة أو
من للسماحة او للنفع والضرر
من للعدى وعوالي الخط قد
عقدت
اطراف السنها بالحي والحصر
وطوقت بالمنايا السود بيضهم
اعجب بذا ومامنها سوى ذكر
ما قمع كارثة او دفع آزفة
او رفع حادثة تغني عن القدر
ويح السماح وويح الجود
لو سلما
واحسرة الدين والدنيا على عمر
صارت بلاده الى يوسف
ابن تاشفين وأما الشبيلية

فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربتا وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقدم من اخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس الى علي بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يرد أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر في ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وقالت فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثار عثمان وهو يقول لهفي على امر لم يسبقني ولم أدركه وكان خروجه عند عود القعقاع من اغاثة عثمان فلما لقي عمارة قال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فان ابيت ضربت عنقك فرجع عمارة الى علي بالخبر وانطلق عبيد الله ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية كل شيء من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد الله اليمن ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليا الاخبار دعا طلحة والزبير فقال ان الامر الذي كنت أحذركم قد وقع وان الذي قد وقع لا يدرك الا بما تنته وانها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستثارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر وأما ان تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فاخر الداء الكي وكتب الى معاوية والى أبي موسى فكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك حتى كان علي كأنه يشاهدهم وكان رسول علي الى أبي موسى معبد الاسلمي وكان رسوله الى معاوية سبرة الجهني فقدم عليه فلم يجبه معاوية بشيء كما يتجز جوابه لم يزد على قوله

أدم ادامة حصن أو خذا بيدي * حريا نمر وساتشب الجزل والضرما
في جاركم وابنكم اذ كان مقتله * شنعاء شيبت الاصداغ واللمما
اعيا المسودبها والسيدون فلم * يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلا من بني عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طومارا محتوما عنوانه من معاوية الى علي وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على اسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول واعاد رسول علي معه فخرجا فقدما المدينة في ربيع الاول فدخلها العبسي كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون اليه وعلموا ان معاوية معترض ودخل الرسول على علي فدفع اليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن انا قال نعم ان الرسول لا يقتل قال ورائي اني تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيط رقبتك وتركت ستين الف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق قال أمني يطلبون دم عثمان ألست موتورا كثيرة عثمان اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان فجاؤا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله فانه اذا أراد امرا أصابه اخرج قال وانى آمن قال وانت آمن فخرج العبسي وصاحت السبئية وقالت هذا الكلب رسول الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل اقسم بالله لتردنها عليكم اربعة آلاف خصي فانظروا كم الفحول والركاب وتعاونوا عليه فمنعته مضر فجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا أتاهم ما يوعدون لقد حل بهم ما يجدون انتهت والله اعمالهم وذهبت ريحهم فوالله

فاستولى عليها قاضيها (ابو القاسم محمد) بن اسمعيل بن عباد اللخمي المنذري ثم صارت للامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) واما سرقسطة والثغر الاعلى فصارت بعد المنذر بن يحيى لولده وبعد ولده الى (سليمان بن أحمد) بن محمد بن هود الجذامي وتلقب بالمستعين بالله وكان به من البسالة والشجاعة ما لا يوصف وهو الذي وجد في زمانه في المعركة بعد ارتفاع الحرب مع الكفار قطعة من بيضة الخودة الحديد قدر ثلثيها بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضربة أقوى منها ثم صارت بعده لولده (احمد بن سليمان) الملقب بالمقتدر بالله وهو الذي كسر الطاغية وزد مير عظيم الروم بعد ان اشرفوا على الانهزام وكانت وقعة هائلة ثم صارت بعده لولده (عبد الملك) بن أحمد بن سليمان ثم صارت بعده لابنه (أحمد ابن عبد الملك) وتلقب بالمنتصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادها جميعا للموحدين وأما طليطلة وطرطوشة وبلنسية فصارت الى (اسمعيل بن عبد الرحمن) وتلقب بالظافر بحول الله ثم ملك بعده ولده (المأمون

يحيى بن اسمعيل) وهو الذى
بنى القصر بطليطلة واحكمه
فبينما هو نائم اذ سمع منشدا
ينشد

ابنى بناء الخالدين وانما
بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية
لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يمض كثير حتى أخذت الفرنج من ولده القادر بالله طليطلة فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وصار هو يلتسية ثم قتله بها القاضى ابن عجاف الاحنف وأما دانية والجزائر والمرية فصارت الى ايدى العامريين الى ان انتقلت وصارت للملثمين وأما مرسية فوليها (بنو طاهر) ثم صارت الى (المعتمد بن عباد) ثم صارت للملثمين وأما غرناطة فملكها (جيوش بن ناكس) الصنهاجى ثم صارت بعد ولده للملثمين وأما مالقة فملكها (بنو على بن حمود العلوى) الى ان أخذها باديس ابن جيوش صاحب غرناطة

(الباب الرابع والعشرون فى ذكر ملوك الغرب من الملثمين أهل الفضل والهدى واليقين)

وكان أول سيرهم من اليمن فى أيام ابى بكر الصديق سيرهم الى جهة الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم الى الغرب مع موسى بن نصير

ما امسوا حتى عرف الذل فيهم واحب اهل المدينة ان يعلموا رأى على فى معاوية وقتاله اهل القبلة أيجسر عليه ام ينكل عنه وقد بلغهم ان ابنه الحسن دعاه الى القعود وترك الناس فدسوا زياد بن حنظلة التميمى وكان صنفطعا الى على فجلس اليه ساعة فقال له على يا زياد تيسر فقال لاى شئ فقال لغزو الشام فقال زياد الاناة والرفق أمثل وقال

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فقتل على وكأنه لا يريده

متى تجمع القلب الزكى وصارما * وانفاهما تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا ما وراءك فقال السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل واستأذنه طلحة والزبير فى العمرة فاذن لهما فلحقا بمكة ودعا على محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن ابى سلمة وعمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاه ميسرته ودعا ابا ليلى ابن عمر بن الجراح ابن اخى ابى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يول ممن خرج على عثمان احدا وكتب الى قيس بن سعد والى عثمان بن حنيف والى ابى موسى ان يندبوا الناس الى أهل الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال لهم ان فى سلطان الله عصمة امركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو ليسقين الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يأرز الامر اليها انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما افسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم * (خربتا بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة وآخره ألف)

(ذكر ابتداء امر وقعة الجمل)

فبينما هم كذلك على التجهز لاهل الشام اتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة وأهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فاعلم على الناس ذلك وان عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا امارته ودعوا الناس الى الاصلاح وقال لهم ساصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف ان كفوا واقتصر على ما بلغنى ثم اتاه انهم يريدون البصرة فسره ذلك وقال ان الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس ان الذى سرك من ذلك ليسوءنى ان الكوفة فسطاط فيه من اعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيها من يسمو الى امر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذى قد نال ما يريد حتى تكسر حدته فقال على ان الامر ليشبه ما تقول وتهيأ للخروج اليهم فندب أهل المدينة للمسير معهم فتثاقلوا فبعث الى عبد الله بن عمر كيلا الضبى فجاءه فدعاه الى الخروج معه فقال انما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا فى هذا الامر فدخلت معهم فان يخرجوا اخرج معهم وان يقعدوا اقعد قال فأعطنى كفيلا قال لا افعل فقال له على لولا ما اعرف من سوء مخلقك صغيرا وكبيرا لانكرت تنى دعوة فانا كفيله فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون والله ما ندرى كيف نصنع ان الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضئ لنا فخرج من تحت ليلته وأخبرام كلثوم ابنة على وهى زوجة عمر بالذى سمع وانه يخرج معسكرا مقيما على طاعة على ما خلا النهوض فاصبح على فقيل له حدث الليلة حدث هواشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قال وماذاك قالوا خرج ابن عمر الى الشام فاتى السوق واعد الظهر والرجال وأخذ لكل طريق طلابا ومايح

الناس فسمعت ام كلثوم فأتت عليا فاخبرته الخبر فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب والله انه عندى ثقة فانصرفوا وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بنى ليث يقال له عبيد بن أبى سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردونى ردونى فانصرفت الى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان أول من امال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول فقال لها ابن ام كلاب

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت امرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت ايها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لوان الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذا صاصوه كما يماص الثوب بالماء اى يغسل فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان اول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة ورفعوا رؤسهم وكان اول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن أمية وهو ابن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالابطح وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ما وراءكما فقالا انا تحملنا هاربا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتى الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لى بها صنائع ولهم فى طلحة هوى قالوا قبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما اقام معاوية فنكفى بك ثم نأتى الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا فاستقام الرأى على البصرة وقالوا لها نترك المدينة فانا خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتى بلدا مضيعا سيحتجون علينا ببيعة على

وأحبوا الانفراد فدخلوا فى الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان من أمرهم انهم ينتسبون الى حمير فلما كانت هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا الحج فلما عاد استصحب معه فقيها من القيروان يقال له عبد الله بن ياسين ليعلم أهل تلك البلاد دين الاسلام فانه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلوة فى بعضهم فتوجه عبد الله مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة وهى القبيلة التى منها يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين ودعياهم الى العمل بشرائع الاسلام فاجاب أكثرهم وامتنع أقلهم فقال الفقيه للمجيبين يجب عليكم قتال المخالفين فأقيموا لكم اميرا فقالوا انت اميرنا فامتنع الفقيه وقال لجوهر انت الامير فامتنع ايضا ثم اتفقا على (ابى بكر بن عمر) رأس قبيلة لمتونة فعرضا عليه فقبل وعقدت له البيعة وسماه الفقيه امير المسلمين واجتمع اليه خلق كثير وحرضهم الفقيه على الجهاد وسماهم المرابطين فقاتلوا المخالفين ثم جرى بين المرابطين وبين أهل سوس قتال شديد قتل فى تلك الحروب الفقيه ثم سار

فنهضوا بهم كما انهضت أهل مكة فان أصلح الله الامر كان الذى اردنا والا دفعنا بجهدنا حتى يقضى الله ما اراد فاجابتهم الى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم فأبى وقال انا من أهل المدينة افعل ما يفعلون فتركوه وكان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم معهما على قصد المدينة فلما تغير رأيهما الى البصرة تركن ذلك واجابتهم حفصة الى المسير معهم فجهزها أخوها عبد الله بن عمر وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر بمال كثير ونادى مناديهما ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام وقتال الملحدين والطلب بثار عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا فى ألف وقيل فى تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا فى ثلاثة آلاف رجل وبعثت ام الفضل بنت الحرث ام عبد الله بن عباس رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على ان يأتى عليا بالخبر فقدم على على بكتابها وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها اذن مروان بن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبى عبد الله يعنى اباه الزبير وقال محمد بن طلحة على ابى محمد يعنى اباه طلحة فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له اتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن اختى تعنى عبد الله بن الزبير وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل فكان معاذ بن عبيد يقول والله لو ظفرنا الا قتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والامر ولا كان طلحة يترك الزبير والامر وتبعتها امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق لقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم يعنى عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لم تجعلا الامر اصدقانى قالا نجعله لاحدنا أيتنا اختاره الناس قال بل تجعلونه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لايتام قال فلا أرانى أسعى الا لاخراجهما من بنى عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد وقال المغيرة بن شعبة الرأى ما قال سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان واعطى يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل بل كان جملها الرجل من عرينة قال العرنى بينما انا أسير على جمل اذ عرض لى راكب فقال اتبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون أنت قلت ولم والله ما طلبت عليه أحدا الا ادركته ولا طلبنى وأنا عليه احد الا فته قال لو تعلم لمن نريده انما نريد لام المؤمنين عائشة فقلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم قال فرجعت معه فأعطونى ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة وقالوا لى يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قلت أنا من ادل الناس قالوا أفسر معنا فسرت معهم فلا امر على واد الا سألونى عنه حتى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتنا كلابه فقالوا اى ماء هذا فقلت هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون انى لهيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه وايت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد

بعيرها

المرابطون الى سجلماسة واستولوا عليها وقتلوا صاحبها وفوض حكومتها الى يوسف بن تاشفين اللمتونى وكان رجلا دينا حازما ثم اجتمع طوائف المرابطين وملكوا عليهم (أبا النصر يوسف ابن تاشفين) وتلقب بأمير المؤمنين وقوى امره وعلا قدره ببلاد الغرب ولم يزل يحارب ويقاتل من يعاديه حتى توفى سنة خمسمائة وقام مكانه ابنه (على بن يوسف) بن تاشفين وفى زمانه ظهر الموحدون وابتدات دولتهم وفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفى على المذكور وقام فى الملك بعده ولده (تاشفين بن على) ولم يزل الحرب قائما بينه وبين الملك الكبير أبى محمد حتى سقط من جرف عال قال فهلك وقتل كل من كان معه ثم ولى أخوه (اسحق بن على) وكان صغير السن فسار اليه عبد المؤمن الموحدى فملك بلاده وقتل اسحق وهو آخر ملوك المرابطين الملثمين وكانت مدة ملكهم سبعين سنة والله سبحانه أعلم

(الباب الخامس والعشرون فى ذكر دولة بنى حفص ملوك تونس وافريقية وما جرى من وقائعهم مع نصارى اسبانية)

بعيرها فاناخته وقالت ردّوني انا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا حولها ايوما وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وقال يا أم المؤمنين انشدك الله ان تقدمي اليوم على قوم ان تراسلي منهم أحدا فجلي ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم ليلقوا الناس الى ان تقدمي ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة الى رجال من أهل البصرة والى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم واقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك اهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين وكان رجل عامة والزمه بأبي الاسود الدئلي وكان رجل خاصة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا اليها بالحفير فأذنت لهما فدخلا وسلما وقالا ان أميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبران الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين اعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لا خير في كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرج عمران وأبو الاسود من عندها فاتيا طلحة وقالا ما اقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا الم تبايع عليا فقال بلى والسيف على عنقي وما استقبل عليا البيعة ان هو لم يجعل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فبادر ابو الاسود عمران فقال

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر * وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأي ريقات تريف فقال عمران اي والله لتعركنكم عركا طويلا فقال فاشر علي يا عمران فقال اعتزل فانى قاعد فقال عثمان بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان في أمره فأتاه هشام بن عامر فقال ان هذا الامر الذي تريده يسلم الى شر مما تكره ان هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فارفق بهم وسامحهم حتى يأتي أمر علي فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وأمرهم بالتجهز وأمر رجالا دسه الى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس انا قيس بن العقدية الحيسى ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فنحن بقتله عثمان فاطيعوني وردّوهم من حيث جاؤا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال اوزعوا انا قتلنا عثمان انما أتوا يستعينون بنا على قتله عثمان منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا فكسره ذلك فاقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه

وتزعم هذه الطائفة انهم من ولد عمر بن الخطاب وجدهم المنسوبون اليه هو أبو حفص عمر صاحب ابن تومرت فلما كان سنة احدى وخمسين وخمسمائة بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد وطلب من ابي حفص ان ينزل عن العهد لولده المذكور فأجاب ابو حفص الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن فصار بعده ولده (عبد الواحد بن أبي حفص (ثم صار من بعده ابنه ابو زكريا يحيى) وتلقب بأمير المؤمنين وعظم شأنه الى ان توفي ومات بعده ابنه (محمد ابن ابي زكريا) وتلقب بالمنتصر ثم ملك بعده اخوه (يحيى بن يحيى) سبعة عشر يوما ثم بعده اخوهما (ابو اسحق ابراهيم) بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص ثم انتقل الملك الى رجل من أهل بجاية يقال له (محمد بن ابي عمارة) وملك أربع سنين ثم عاد الملك للحفصيين وملك منهم بعد ابن أبي عمارة ابو حفص (عمر بن يحيى) ثم ملك بعده ولده (عبد الرحمن) بن عمر المذكور وملك خمسة وعشرين يوما ثم خلع وملك بعده رجل من الحفصيين يقال له (أبو عبد الله) وكان يلقب بابي عصيدة ثم ملك بعده (ابو بكر بن عبد

ووقفوا حتى خرج عثمان فمن معه وخرج اليهم من أهل البصرة من اراد أن يكون معهما فاجتمع القوم بالمربد فتكلم طلحة وهو فى ميمنة المربد وعثمان فى ميسرته فانصتوا له فحمد الله واثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير فقال من فى ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من فى ميسرته فجرا وغدرا وأمرا بالباطل فقد بايعنا عليا ثم جاء يقولان ونحانى الناس وتحاصبوا وارهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريأ تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان عما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية فافترق أصحاب عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر اهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين وبقى أصحاب عثمان على حالهم ومال بعضهم الى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان وأقبل جارية بن قدامة السعدى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك ان كنت أتيتينا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتينا مكرهة فاستعينى بالناس وخرج غلام شاب من بنى سعد الى طلحة والزبير فقال اما أنت يا زبير فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فانا منكم فى شئ واعتزل وقال فى ذلك

صنتم حلائلكم وقدتم امكم * هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجرذيولها فى بيتها * فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها * بالنبل والخطى والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا الخبر عنهم والكافى

واقبل حكيم بن جبلة العبدى وهو على الخيل فانتسب القتال واشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا اليمك حكيم وأصحابه فلم ينته وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها فاقتتلوا على فم السكة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا الى مقبرة بنى مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان الى القصر وأتى أصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق وباتوا يأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق فغادا هم حكيم بن جبلة وهو يسب ويده الرمح فقال له رجل من عبد القيس من هذا الذى تسبه قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألام المؤمنين تقول هذا فاطعنه حكيم فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها ايضا فقالت له ألام المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة فطعنها فقتلها ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى ان زال النهار وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح فى الفريقين فلما عضتهم الحرب تنادوا الى الصلح

الرحمن) الخلوع ثم قتله (ابو البقاء) وتولى مكانه ثم ملك بعده (ابو يحيى زكريا) اللحيانى من أولاد ابى حفص ثم ملك بلاد الغرب (ابو بكر بن يحيى) ويقال له السباع فمات واستقر الملك بعده لولده ٣ (ابو فارس محمد عبد العزيز) بن ابى العباس أحمد وكان يمشى فى الاسواق ويتبختر ثم قتل فقام مكانه ابنه (ثابت بن محمد) فقتل واستولى الافرنج على طرابلس الغرب فجمع ابو بكر بن محمد بن ثابت جيشا وأخذ البلد عنوة فلما توفى ولى مكانه (على بن عمارة) ابن محمد بن ثابت وفى سنة ثمانمائة قبض ابو فارس على على بن عمارة واقام مكانه (يحيى بن ابى بكر) واخاه عبد الواحد الى ان استولى ابو فارس فقبض عليهما ايضا فانتهت دولة آل عمارة وفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة توفى السلطان ابو فارس وكان حسن السيرة عدلا فى الرعية واستقر فى الملك (المنتصر ابو عبد الله محمد) ابن الامير محمد المنصور كفل عمه المعتمد ابن أبى فارس وقتل أخاه ابا الفضل وولده الفضل ومات الطول مرضه واستقر بعده شقيقه (عثمان ابن محمد) واستقر عثمان فى الملك وحسن حاله وطالت

الصلح وتواعدوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل أهلها فان كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وخلاها لهما وان لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير وكتبوا بينهم كتابا بذلك وسار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم فلما قدمها اجتمع الناس اليه وكان يوم جمعة فقام وقال يا أهل المدينة انا رسول أهل البصرة نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة على ام أتياها طائعين فلم يجبهما أحد الا أسامة بن زيد فانه قام وقال انهما بايعا وهما مكرهان فأمر به غلام بن العباس فوثبه سهل بن حنيف و لناس وثار صهيب وأبو أيوب في عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان يقتل أسامة فقالوا اللهم نعم فتركوه وأخذ صهيب اسامة بيده الى منزله وقال له اما وسعك ما وسعنا من السكوت قال ما كنت اظن ان الامر كما ارى فرجع كعب و بلغ عليا الخبر فكتب الى عثمان يحجزه وقال والله ما أكرهما على فرقة ولقد أكرهما على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا فقدم الكتاب على عثمان وقدم كعب بن سور فارسلوا الى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ما كان فيه فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثم قصد المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ عثمان فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فاقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلا فأدخلا الرجال على عثمان فاخرجوه اليهما فلما وصل اليهما وقد بقي في وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا الى عائشة يعلمانها الخبر فارسلت اليهما أن خلوا سبيله وقيل لما أخذ عثمان ارسلوا الى عائشة يستشيرونها في امره فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة نشدتك الله في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهم احبسوه فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه واتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه فضربوه أربعين سوطا وتتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ثم اطلقوه وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وقد قيل في اخراج عثمان غير ما تقدم وذلك ان عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان من عائشة ام المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن علي فكتب اليها أما بعد فانا ابنك الخالص ان اعتزلت ورجعت الى بيتك والا فانا أول من نابذك وقال زيد رحم الله ام المؤمنين أمرت ان تلزم بيتها وأمرنا ان نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم ما نقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره اولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فان الرجل أمرني فاكتب اليه فاعلمه ما جئتم به على ان اصلي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين او ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به واراد واقتله ثم خشوا غضب الانصار فتنة واشهر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة لله انما أردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم مني كتاب في شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب علي

حفيده (يحيى بن مسعود) واستقام امره وأظهر العدل ومشى على سيرة جده أبي فارس وكان شحيحا بالاموال فابغضه العسكر بسبب ذلك فلما خرج عليه عبد المؤمن واشتد الحرب بينهما انعزل الجند من عند يحيى فبقي هو وجماعة وكان يقاتل بنفسه ويقول انا يحيى الغريب فقتل وقتل معه عدة من جماعته وملك تونس بعده (عبد المؤمن) ابن ابراهيم بن عثمان واستقر بكرسيها واحسن السيرة بأهلها ثم تولى أخوه (زكريا) وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة وقع فناء عظيم ومات زكريا مع جملة من مات وتولى السلطنة (محمد ابن الحسن) وكان مشتغلا عن أمور الملك باللهو وشرب الخمر (وفي ايامه) في سنة ست عشرة وتسعمائة استولى الافرنج على وهران ثم على بجاية ثم على طرابلس وبقيت في أيديهم مدة اثنتين وأربعين سنة حتى أخذها منهم سنان باشا اخو الوزير الاعظم رستم باشا وزير المرحوم السلطان سليمان من بني عثمان عام ثمانية وخمسين وتسعمائة فلما مات محمد بن الحسن بعد ان ملك أكثر من ثلاثين

فقام اليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت فقال العبدي يامعشر المهاجرين انتم اول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس فى الاسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا فى شئ من ذلك فجعل الله للمسلمين فى امارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاورونا فى ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفى جعل أمركم الى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم انكرتم منه شيأ فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فانا الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفئ او عمل بغير الحق او أتى شيأ تنكرونه فنكون معكم عليه والا فاعلموا هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين وبقى طلحة والزبير بعد اخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال لست اخاف الله ان لم أنصره فجاء فى جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام اراد عبد الله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال له عبد الله مالك ياحكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمان فيقيم فى دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علىّ وايم الله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم اما تخافون الله يا تستحلون الدم الحرام قال بدم عثمان قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان اما تخافون مقت الله فقال له عبد الله لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان حتى تخلع عليا فقال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه لست فى شك من قتال هؤلاء القوم فمن كان فى شك فلينصرف وتقدم فقاتلهم فقال طلحة والزبير الحمد لله الذى جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا فاقتتلوا قتالا شديدا ومع حكيم أربعة قواد فكان حكيم بجمال طلحة وذريح بجمال الزبير وابن المحترش بجمال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بجمال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائة وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

اضربهم بالبابس * ضرب غلام عابس
من الحياة آيس * فى الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها * فخبا حتى اخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم اتكأ عليه وقال

ياساقى ان تراعى * ان معى ذراعى * احمى بها كراعى

وقال ايضا

ليس على أن اموت عار * والعار فى الناس هو الفرار
* والمجد لا يقضمه الدمار *

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك ياحكيم قال قتلت قال من قتلك قال وسادتى فاحتمله وضمه فى سبعين من اصحابه وتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم ومايتتعتع ويقول انا خافنا هذا ان وقد بايعنا عليا واعطيناه الطاعة ثم اقبلا

سنة توفى مكانه ولده (السلطان حسن) وكان خلف ابوه خمسا وأربعين ذكرا فلما تسلطن الحسن وضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم ولم يفلت منهم الا أخواه الرشيد وعبد المؤمن وكانا غائبين ثم ان الحسن رام قتل الرشيد فاستشعر وحق بعض احياء العرب واشتغل الحسن باللهو وجمع من الملاهى ما يزيد على أربعمائة شاب أمرد يفسق بهم فشق ذلك على أهل البلد وطلبوا منه ترك ذلك حتى رجموا داره بالحجارة فأبى ان يترك فنفرت عنه القلوب فارسلوا الى الرشيد ليملكوه فلم يكن فقدم الرشيد الى خير الدين باشا صاحب الجزائر والتجأ اليه فلما علم ذلك السلطان حسن شق عليه وأرسل الى السلطان سليمان يشكو من خير الدين باشا انه آوى أخاه وارسل صحبة الرسول اموالا وتحفا فأجاب اليه السلطان بالوعد وقال طب نفسا فانا نأمر خير الدين باشا باستصحاب أخيك معه فاذا حصل اخوك عندنا أودعناه عندنا وما خلينا ه يعود الى بلاد ك ابدا فلما قدم خير الدين باشا الى السلطان ومعه الرشيد عين له السلطان كل يوم خمسمائة درهم جامكية ومن المآكل

مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم انهما لم يريدا عثمان فناداه منادياخبيث جزعت من نصبك وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من الاثم المظلوم وفرقتم الجماعة وأصبتم من الدماء فذق وبال الله واتقامه الى كلام وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد بن الاسحم الحدانى فوجد حكيم قتيلا بين يزيد وأخيه كعب وقيل قتله رجل يقال له ضخيم وقتل معه ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة ولما قتل حكيم اراد وا قتل عثمان بن حنيف فقال لهم اما ان سهلا بالمدينة فان قتلتونى انتصر فخلوا سبيله فقصد عليا وقتل ذريح ومن معه وافلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه فلجؤا الى قومهم فنادى منادى طلحة والزبير من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجى بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص بن زهير فان عشيرته بنى سعد منعوه وكان منهم فنالهم من ذلك أمر شديد وضربوا فيه اجلا وخشنوا صدور بنى سعد وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد فمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم الى ماهم عليه من لزوم الطاعة لعلى فأمر طلحة والزبير للناس باعطياتهم وأرزاقهم وفضلا اهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق على واقام طلحة والزبير وليس معهما أمر الا حرقوص بن زهير وكتبوا الى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه وكتبت عائشة الى اهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن على وتحثهم على طلب قتلة عثمان وكتبت الى اهل اليمامة والى أهل المدينة بما كان منهم ايضا وسيرت الكتب وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوهما قال الزبير الا ألف فارس اسيرجهم الى على اقتله بياتا اوصباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد فقال ان هذه للفتنة التى كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويلك انا نبصر ولا نبصر ما كان امر قط الا وأنا اعلم موضع قدمى فيه غير هذا الامر فانى لا ادرى أمقبل انا فيه ام مدبر وقال علقمة بن وقاص الليثى لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة واحب الجماس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت يا ابا محمد أرى احب الجماس اليك اخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ان كرهت شيأ فاجلس قال فقال لى يا علقمة بيننا نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا انه كان منى فى عثمان شئ ليس تو بقى الا ان يسفك دمى فى طلب دمه قال فقلت فرد ابنك محمدا فان لك ضيعة وعيالا فان بك شئ يخلفك قال فامنعه قال فأتيت محمدا ابنه فقلت له لو أقمت فان حدث به حدث كنت تخلفه فى عياله وضيعته قال ما احب ان اسأل عنه الركبان

* (يعلى ابن منية بضم الميم وسكون النون والياء المخففة باثنتين من تحتها وهى امه واسم أبيه أمية عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح همزة اسيد جارية بن قدامة بالجيم حكيم بن جبلة بضم الحاء وفتح الكاف وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف وصوحان بضم الصاد وآخره نون) *

(ذكر مسيره على الى البصرة والوقعة)

قد ذكرنا فيما تقدم تجهز على الى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان

ما يكفيه ثم ان خير الدين باشا عرض على السلطان بأن العمارة لا تطيق ان تخرج من هنا وتسير مسافة أشهر ثم تجتمع بالكفار ولا بد ان تنشؤا عمارتكم قريب بلاد الكفار ثم تسير منها الى حيث تشاء فاتم موضع تسع فيه عمارتكم غير مينا حلق الوادى امام تونس فقال السلطان كيف يمكن ذلك مع الحسن وهو امير بلاد تونس فقال ان اهل تونس متضجرون من سلطانهم وهذا أخوه الرشيد عندنا والناس يحبونه ويطيعونه فان امر السلطان سرت بالعمارة وذكرت لاهل تونس ان الرشيد معنا فملك تونس مع اتفاق من أهله لتكون البلاد كلها للسلطان فقال السلطان نعم الرأى فسار خير الدين باشا بعمارة عظيمة ودخل حلق الوادى وارسى بمينا ها وارسل الى أهل تونس يخبرهم بقدوم الرشيد وانهم جاؤا مددا له ليملكوه البلاد فلما بلغ ذلك أهل تونس قاموا قومة واحدة وقالوا الله ينصر السلطان رشيد وساروا نحو العمارة فلما تيقن الحسن بالقصة أخذ اهل بيته واقاربه واموا له فهرب الى اخواله مشايخ العرب فقام خير الدين باشا وهو يظهر ان الرشيد معه

آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم فتثاقلوا فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس استدب الى علي وقال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل دونك وقام رجلان صالحان من أعظم الانصار أحدهما ابو الهيثم بن التيهان وهو بدري والثاني خزيمة بن ثابت قيل هو ذو الشهادتين وقال الحكم ليس بذي الشهادتين مات ذو الشهادتين أيام عثمان فأجابه الى نصرته قال الشعبي مات منهم في تلك الفتنة الاستة نفر بدريون منهم سابع وقال سعيد بن زيد ما اجتمع اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخير يعملونه الا وعلي احدهم قيل وقال ابو قتادة الانصاري لعلي يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلد في هذا السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان ان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين يألون الامة غشا وقد أحببت ان تقدمني فقدمني وقالت أم سلمة يا امير المؤمنين لولا ان اعصى الله وانك لا تقبل مني لخرجت معك وهذا ابن عمي وهو والله أعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج معه وهو لم يزل معه واستعمله علي على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي فلما أراد علي المسير الى البصرة وكان يرجو ان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما الى البصرة او يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة قثم بن العباس وقيل اقر على المدينة سهل بن حنيف وسار علي من المدينة في تعبيته التي تعبأها لاهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت اخت علي بن عدي من بني عبد شمس

لاهم فاعقر بعلي جمله * ولا تبارك في بعير حمله

* الا علي بن عدي ليس له *

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين مختفين في تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج او يأخذهم فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبوه فقال دعوا الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى الى الربذة فلما انتهى اليها اتاه خبر سبقهم فاقام بها يأتمر ما يفعل وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بعصيتك لانا صر لك فقال له على انك لا تزال تخن خنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان ان تخرج من المدينة فيقتل واست بها ثم امرتك يوم قتل ان لا تبايع حتى تاتيك وفود العرب وبيعة اهل كل مصر فانهم ان يقطعوا أمر اد ونك فأبيت علي وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان علي يد غيرك فعصيتني في ذلك كله فقال أي بني اما قولك لو خرجت من المدينة حتى أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به واما قولك لا تبايع حتى يبايع اهل الامصار فان الامر امر اهل المدينة وكرهنا ان يضيع هذا الامر ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى احدا أحق بهذا الامر مني فبايع الناس ابو بكر الصديق فبايعته ثم ان ابا بكر انتقل الى رحمة الله وما أرى احدا احق بهذا الامر مني فبايع الناس عمر فبايعته ثم ان عمر انتقل الى رحمة الله وما أرى احدا احق بهذا الامر مني فجعلني سهما من ستة اسهم فبايع الناس عثمان فبايعته ثم صار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين فأنا مقاتل من خالفني بمن

اطاعني

فدخل البلد واستولى على القصر وقتل بعض مشايخ الحفصيين حنفية ثم تحقق أهل البلد بأن الرشيد ما جاء وانما هي حيلة عملها خير الدين باشا فقاموا على خير الدين باشا وقاتلوه وقتل من أهل تونس ما يزيد على ثلاثين الف نفس ما بين رجل وامرأة ثم كف عنهم خير الدين باشا وصالحهم ولما بلغ الحسن ذلك اغار في بعض الليالي على البلد فقتل من العثمانية المقيمين بها نحو ألف وثلثمائة نفس ثم ركب البحر وسار الى اسبانية واستمد من ملكهم على خير الدين باشا وقال أنت تعلم ان الناس بيت ملك قديم وان خير الدين حرامي جاءنا وأخرجنا عن ملكنا بالحيلة وانه ان تمكن هنالك مدة قطع عليكم مراكب الميرة والتجارة فيحصل لكم بذلك منه مضرة عظيمة فأجابه ملك اسبانية الى مسئوله ووعده النصر وعين له كل يوم أربعة آلاف دينار فرتجى لما كله وكان مكثه عنده سبعة أيام ثم سار بعمارة كبيرة نحو أربعمائة غراب فنازل تونس فلما رأى اهل تونس ما حل بهم من البلاء العظيم استأنسوا مع خير الدين باشا واطاعوه واتفقوا معه على ان لا يخرج هو من

أطاعني حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واما قولك ان أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير فكيف لي بذلك ومن قدر علي أو من تريدني ان أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوباها (٣) حتى يخرج واذا لم انظر فيما يلزمني من هذا الامر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عنك يا بني ولما قدم علي الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها الى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب اليهم اني اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله اعوانا وانصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا فمضيا وبقي على بالربذة وأرسل الى المدينة فأتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال ان الله تبارك وتعالى أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به اخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب امامهم حتى اصيب هذا الرجل بايدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة الا ان هذه الامة لا بد مفترقة كما افترقت الامم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن * ثم عاد ثانية وقال انه لا بد مما هو كائن ان يكون الا وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي وقد أدركتهم ورأيتهم فالزموا دينكم واهدوا بهديي فانه هدى نبيكم وانتعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما واماما فلما أراد المسير من الربذة الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين اي شيء تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذي نريد ونهوى فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فان لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم اذن وقام الحجاج بن غزية الانصاري فقال لا رضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال

درا كها درا كها قبل الفوت * فانفروا بنا واسم بنا نحو الصوت

* لا زلت نفسي ان تكرهت الموت *

والله لننصرن الله كما سمانا انصارا ثم أتاه جماعة من طيئ وهو بالربذة فقيل لعلي هذه جماعة قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كليهما خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فلما دخلوا عليه قال لهم ما شهدتموه نابه قالوا شهدناك بكل ما تحب فقال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال يا أمير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه وانى والله ما أجد لساني يعبر عما في قلبي وساجهد وباقه التوفيق اما انا فسانصح لك في السر والعلانية واقاتل عدوك في كل موطن ترى من الحق لك ما لا أراه لاحد غيرك من اهل زمانك افضلك وقربانك فقال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فتقدم معه بصفين وسار على من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد ابن الحنفية وعلى على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما نزل بفيد أتته أسد وطيئ فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا قراركم في المهاجرين كفاية وأتاه رجل بفيد من الكوفة فقال له من الرجل قال عامر بن مطر الشيباني قال اخبر عما وراءك فاخبره فسأله عن ابي موسى فقال ان اردت الصلح فأبو موسى

البلد وهم يخرجون ويقاتلون عن دينهم وعن أنفسهم فاستمر القتال بين الفريقين نحو أحد وثلاثين يوما ثم اتفق ان اشتاقت نفس خير الدين باشا الى الخروج من البلد والقتال مع الكفار فنزل من القلعة وفوض أمرها الى قائده الكبير جعفر اغا وكان افرنجيا يبطن الكفر وكان في البلد لحبوس خير الدين باشا من الاسارى نحو أربعين الف نفر فقام جعفر اغا المذكور فاطلقهم من الحبس ومكنهم من القلعة وأسوارها ومدافعها فصار المسلمون بين عدوين المدافع من البلد والسيف من امامهم فانهزموا أقبح هزيمة فصاروا اما عرضة السيف واما هلكة تحت سنابك الخيل والهاربون هلك غالبهم من العطش ودخل ملك اسبانية البلد واجلس الحسن على التخت واعطاه الحسن نفائس الاموال واعطاه من اسارى المسلمين ما يزيد على سبعين الف نفس ممن يتهموا لاة الرشيد ثم التمس الحسن ان يؤخر عنده نحو اربعة آلاف افرنجي يقيمون عند حلق الوادي وينوا هناك معقلا وذلك في حدود سنة أربعين وتسعمائة تقريبا ثم كثروا وبنوا مدينة

صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال علي والله ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا ولما نزل علي الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فاخبر أصحابه الخبر فقال اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير فلما انتهى الى الاساد اتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتله عثمان فقال الله أكبر أما يكفيني من طلحة والزبير ان اصابا ثارهما وقال

دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى الى ذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة وقيل أتاه بالربذة وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته على ما ذكرناه فقال يا امير المومنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكثا بيعتي وألبا الناس علي ومن العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافهما علي والله انهما ليعلمان اني لست بدون رجل ممن تقدم اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما في انفسهما واروهما المساءة فيما قد عملا وأقام بذي قار ينتظر محمدا ومحمدا فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس فقال عبد القيس خير ربيعة وفي كل ربيعة خير وقال

يا لهف ما نفسي على ربيعه * ربيعة الساسعة المطيعه
قد سبقتني فيهم الوقيعه * دعا علي دعوة سميعه
* حلوا بها المنزلة الرفيعه *

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطيئ واسدوا ما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فأتيا ابا موسى بكتاب علي وقاما في الناس بأمره فلم يجابا الى شئ فلما اسود اخل ناس من اهل الحجى على أبي موسى فقالوا ما ترى في الخروج فقال كان الراي بالامس ليس اليوم ان الذي تهاونتم فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون انما هما امران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب محمد ومحمد واغلظا لابي موسى فقال لهما والله ان بيعة عثمان التي عنقي وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من قتال لا نقاتل احدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا الى علي فاخبراه الخبر وهو بذي قار فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شئ اذهب أنت وابن عباس فاصلح ما افسدت فخرجا فقدما الكوفة فكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة فقام لهم ابو موسى وخطبهم وقال ايها الناس ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه اعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه وان لكم علينا لحقا وانا مؤدوا اليكم نصيحة كان الرأي ان لا تستحفوا بسلطان الله وان لا تجترؤا على الله وان تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فترد وهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعي فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وآوا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة فرجع ابن عباس والاشتر الى علي فاخبراه الخبر فأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار انطلق فاصلح ما افسدت فاقبلا حتى دخلا المسجد وكان أول

من

مسودة حتى تضرروا بهم الخلق كافة فكان الحسن هو الذي صار سببا لقرار الكفار هنالك ثم ان الحسن لما اطمأنت به الدار وحصل له القرار خرج من البلد الى قتال صاحب قيروان رجل يقال له ابن الخطيب وكان يعاديه وخلف في تونس ولده حميدة فلما ابعد الحسن قام أهل البلد وجاؤا الى حميدة وقالوا لا يخفى عليك ما حل بنا من جهة ابيك المشؤم فان كان لك حاجة بالملك فقم نبايعك والا دعونا عمك عبد الملك فبايعناه فلما رأى حميدة منهم الجد رضي بذلك فبايعوه وقلدوه الامر ولما بلغ الحسن ذلك ترك ابن الخطيب وركب البحر وعاد الى اسبانية ثانيا فقام من اسبانية بعمارة عظيمة وارسى في حلق الوادي ونازل تونس فخرج حميدة ومعه وجوه العرب فقاتلوا اسبانية قتالا عظيما حتى افنوا غالبهم بالقتل وهرب الحسن فظفر به بعض أهل تونس فاتوا به الى حميدة فحبسه ثم هجم عليه اهل البلد فقالوا لا بد من سمل عينيه فسملها واستمر في الحبس حتى مات وكان حميدة حميد الفعال في أول امره ثم تغير وظلم ومد النظر الى حريم الناس على عكس ما كان ابوه يفعله حتى اجتمع عنده اكثر

من أتاهما المسروق بن الاجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا قال فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه اليه واقبل على عمار فقال يا أبا يقظان اعدوت على امير المؤمنين فيمن عدا فاصلت نفسك مع الفجار فقال لم افعل ولم يسوئنى فقطع الحسن عليهما الكلام وأقبل على ابى موسى فقال له لم تثبط الناس عنا فوالله ما اردنا الا الاصلاح ولا مثل امير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت يا بنى انت وامى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم علينا دماءنا واموالنا فغضب عمار وسبه وقام وقال يا أيها الناس انما قال له وحده أنت فيها قاعد خير منك قائما فقام رجل من بنى تميم فسب عمارا وقال أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب اليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته وتنصرتها وكتاب الى أهل الكوفة بمعناه فأخرجهما فقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال أمرت ان تقر فى بيتها وأمرنا ان نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقال له شبث بن ربعى يا عمانى لانه من عبد القيس وهم يسكنون عمان سرقت يمينك لم لا ولا فقطعت يدك وعصيت أم المؤمنين وتهاوى الناس وقام أبو موسى وقال أيها الناس أطيعونى وكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ان الفتنة اذا أقبلت فقد شبهت فاذا أدبرت بينت وان هذه الفتنة فاقرة كداء البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والدبور تذر الحليم وهو حيران كابن امس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم خلوا قريشا اذا أبوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل علم بالامراء استعصونى ولا تستعصونى أطيعونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشق بحرة هذه الفتنة من جثماها فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس ردّ الفرات على ادراجه اردده من حيث يجئ حتى يعود كما بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك ما لست مدركه سيروا الى أمير المؤمنين وسيد المسلمين انذروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال انى لكم ناصح وعليكم شفيق أحب لكم ان ترشدوا ولا قول لكم قولا وهو الحق أما ما قال الامير فهو الحق لو أن اليه سبيلا وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الامر فلا تستنصحوه والقول الذى هو الحق انه لا بد من امارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتنتزع المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وانما يدعو الى الاصلاح فانفروا وكونوا من هذا الامر بمرأى ومسمع وقال عبد الخير الحيوانى يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير قال نعم قال هل أحدث على ما يحل به نقض بيعته قال لا أدرى قال لا درّيت نحن نترك حتى تدرى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة انما الناس أربع فرق على بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة بالحجاز لا غنا بها ولا يقاتل بها عدو فقال أبو موسى اولئك خير الناس وهى فتنة فقال عبد الخير غلب عليك غشك يا أبا موسى فقال سيحان بن صوحان أيها الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء الناس من والى يدفع الظالم ويعز

من ثلثمائة امرأة من بنات الناس وامتدت أيامه حتى بلغ خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصفا فلما حان أفول شمس حميدة خرج من تونس الى قتال بعض أحياء العرب فلما أبعد عن البلد أرسل أهلها الى نائب الجزائر قلج على باشا بتسليم البلد اليه فقام قلج على باشا فدخل تونس واستولى على أموال حميدة وكانت عظيمة على ما يحكى وخطب بها وبجميع بلاد افريقية باسم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان من آل عثمان وكان ذلك فى أواخر شوال سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ثم ان حميدة جاءت بقدار عشرة آلاف وثمانمائة رجل يريد قتال على باشا فخرج اليه على باشا فقاتله وهزمه واستقر قدم على باشا فى المملكة ثم انه أقام رجلا مكانه وسار حتى لحق بعمارة السلطان فى البحر وكانوا عازمين على ملاقاة عمارة الكفار ثم ان حميدة استمد من اسبانية كما هو دأب اسلافه فامدوه بعمارة كثيرة نحو مائة وخمسين غرابا فنازلوا تونس فلما أحس نائب تونس حيدر باشا بغلبة الكفار خرج هو وأهل البلد جميعا الى جهة قيروان

المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم انتظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه في الدين فان نهض اليه فانا سائرون معه فلما فرغ سبحان قال عمار هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى طلحة والزبير واني اشهد انهما زوجته في الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه فقال له رجل انا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال له الحسن اكفف عنا فان للاصلاح اهلا وقام الحسن بن علي فقال أيها الناس أجيبوا داعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد الى هذا الامر من ينفر اليه ووالله لأن يليه اولوا النهى امثل في العاجل والآجل وخير في العافية فاجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالما لما أو مظلوما والى اذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما اعانني وان كنت ظالما لما اخذ مني والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني واول من غدر فهل استأثرت بمال او بدلت حكما فانفروا انفروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فسامح الناس وأجابوا ورضوا وأتى قوم من طيئ عدي بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جبل والى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا بنبه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى أمره وانفروا الى أميركم فانظروا معه في هذا الامر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافا وثقالا مروا وانا أولكم فاذن الناس للمسير فقال الحسن أيها الناس اني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء فنقرمعه قريب من تسعة آلاف أخذ في البر ستة آلاف ومائتان وأخذ في الماء الفان واربعمائة وقيل ان عليا ارسل الاشتر بعد ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وابو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة وكذلك سائر الناس كما تقدم فجعل الاشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة الا دعاهم ويقول اتبعوني الى القصر فانتهى الى القصر في جماعة الناس فدخله وابو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا الا أم لك وتنح عن منبرنا وعمار ينازعه فأخرج الاشتر عمال ابي موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون يا ابا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل ابو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج لا ام لك اخرج الله نفسك فقال أجلني هذه العشية فقال هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى فنهاهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا عنه فنفر الناس في العدد المذكور وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل قال ابو الطفيل سمعت عليا يقول ذلك قبل وصولهم فتعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا وكان على كنانة واسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلي وكان على مذحج والاشعريين حجر بن عدي وعلى بجيلة وانمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدي فقدموا على امير المؤمنين بذي قار فلقيهم في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال يا اهل الكوفة انتم فاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم موارثهم فنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم

لتشهدوا

فحاصروا حلق الوادي وهو من أمنع الحصون في الدنيا فافتتحوها بعد قتال وقع من الطرفين اناس كثيرة فقتلوا من بها من الكفار وفتحوا تونس واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجي وصادفوا فيها صاحب تونس مولاي محمد قد تحصن فيها خوفا من العثمانية فأسروه ثم جاؤا به

واستولوا على تونس ثم قبضوا على حميدة فأرسلوه الى بلاد اسبانية وكان له أخ يقال له مولى محمد بن الحسن وكان هرب من أخيه حميدة الى بلاد الافرنج فجاؤا به وأجلسوه على سرير الملك وليس معه مال ولا عسكر ولا قدرة وهو كالمأسور والحكم للافرنج وتركوا في تونس ثمانية آلاف مقاتل وبنوا معاقل في عدة أماكن فلله الامر ولم يزل مولاي محمد المذكور ملكا بتونس مع ضعف الحال حتى تغلب السلطان الاعظم سليم خان العثماني وأرسل عمارة عظيمة من البحر صحبة الوزير الاعظم سنان باشا ومعه علي باشا كاشف وجه البحر بفتح قاعة حلق الوادي واسترداد تونس فوصلوا في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة الى بر تونس

لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذاك الذى نريد وان يلجوا اويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بظلم ولم ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله واجتمعوا عنده بذى قار وعبد القيس بأسرها فى الطريق بين على والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان والاشتر وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وامثالهم ليسوا دونهم الا انهم لم يؤمروا منهم جرير بن عدى فلما نزلوا بذى قار دعا على القعقاع فأرسله الى اهل البصرة وقال التق هذين الرجلين وكان القعقاع من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فادعهما الى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة قال نلقاهم بالذى امرت به فاذا جاءنا منهم ما ليس عندنا صنعنا فيه رأى اجتهدنا رأينا وكلناهم كما نسمع ونرى انه ينبغى قال انت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال اى امه ما اشخصك وما اقدمك هذه البلدة قالت اى بنى الاصلاح بين الناس قال فابغنى الى طلحة والزبير حتى تسمع كلامى وكلامهما فبعثت اليهما فجاآ فقال لهما الى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما أمتابعان ام مخالفان قالا متابعان قال فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح فوالله ان عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وأنتم قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير ففقدتموه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وان أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير قالت عائشة فماذا تقول أنت قال أقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجوا فان أنتم يا معتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا المال فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وايم الله انى لاقول هذا القول وأدعوكم اليه وانى لخائف ان لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع الى على فأخبره فابهجه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو على بذى قار قبل رجوع القعقاع ينظرون ما رأى اخوانهم من أهل الكوفة وعلى أى حال نهضوا اليهم وليعلموهم ان الذى عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال فلما القوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وادخلوهم على على فأخبروه بخبرهم وسأل على جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها وأما طلحة فيمثل الاشعار ويقول

الى القسطنطينية وحبس فى الفلال السبع وهو آخر من تولى الملك من اهل هذا البيت والله تعالى أعلم

(الباب السادس والعشرون فى ذكر دولة بنى الليث الصفار سلاطين سجستان ذوى القشاعم والفرسان والايادى والاحسان)

وهم ثلاثة أنفار ومدة ملكهم خمسون سنة وكان الليث من أهل سجستان يبيع الصفر وبعده صار من قطاع الطريق واتفق انه نقب ليلة خزانة درهم بن نصر أمير سجستان وأخذ الاموال فوقع نظره فى شئ أبيض يبرق فأخذ منه وذاقه فوجده ملحا فرد المال الذى أخذه الى مكانه وخرج هو وأصحابه ولم يأخذوا منه شيأ فلما أصبح الامير درهم واطلع على الحال نادى بالامان لمن دخل خزانته ولم يأخذ منها شيأ ليطلع على سر ذلك فحضر الليث فسأله لم أخذ المال ورده فقال وجدت فى خزانتك شيأ أبيض فذقت منه فوجدته ملحا فما رأيت ان آخذ من مالك واخونك بشئ بعد ان ذقت ملحك فجعل عند الامير منه موقع وأثبته فى ديوانه واستخدمه وفيما بعد اتخذه رأس العساكر فلما توفى الليث ولى الامير درهم

الا أبلغ بني بكر رسولا * فليس الى بني كعب سبيل
سيرجع ظالمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فضول

فقتل على عندها

ألم تعلم أباسمعان انا * نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر * وماك ياسراقة من دفاع

ورجعت وفود أهل البصرة برأى أهل الكوفة ورجع القعقاع من البصرة فقام على خطيبا فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره الا وانى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشئ من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسى وشريح بن أوفى والاشتر فى عدة ممن سار الى عثمان ورضى بسيره من سار وجاءهم المصريون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا اما الرأى وهذا على فوالله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقرب الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم يتفرد به سواهم والقليل من غيرهم فكيف به اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا فى كثرتهم وأنتم والله تراودون وما أنتم بالحى من شئ فقال الاشتر قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا واما على فلم نعرف رأيه الى اليوم ورأى الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع على فعلى دمائنا فهلموا بنا نثب على على وطلحة فنطحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأى رأيت أنتم يا قتلة عثمان بذى قار الفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا ابن الحنظلية يعنى طلحة وأصحابه فى نحو من خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا فقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أخرى ان يصطلموا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تقوون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت وقد والله الناس انكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شئ فقال عدى بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله (٣) فى خوض الحديث فأما اذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح فان أقدمتم أقدمنا وان أمسكتم أمسكنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فانى لم أرد ذلك والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع الى شئ واحلف بالله انكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم الا الى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل أن تحرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغى لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغى لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل وما أدرى ما الناس صانعون اذا ما هم التقوا وقال ابن السوداء يا قوم ان عزكم فى خلطة الناس فاذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تقرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدا

مكانه ولده السلطان (يعقوب)

ولما توفى الامير درهم تولى مكانه فى أواسط شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين فانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته فملك سجستان وبلاد خراسان وكرمان وكان ذلك فى خلافة المهتدى بالله العباسى فمالت حتى عظم جرمه جريدته واتسعت رقعة ولايته فملك بلاد فارس وخوزستان واتخذ نيسابور دار ملكه وكانت له سياسة لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من ملوك الاعاجم الغابرة من الفرس وغيرهم وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم لطاعته لما كان شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته ورغبته فمما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح للناس ان يربعوا دوابهم ثم حدث أمر أوجب الرحيل عن تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع وانه رأى رجلا من أصحابه قد أسرع الى دابته وهى ترعى والحشيش فى فيها فأخرجه من فم الدابة ومنعها ان تأكله بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة كالمخاطب لها فقال بالفارسية أمير كفت اسپان بسيز نبرند وتفسير ذلك أمر الامير بقطع

من أن يمنع و يشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فابصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون وأصبح على ظهر ومضى ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وسار من هنالك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من القرعة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور الى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج فاذا خرجت فأقبل بنا الى عسكر على فخرج فى عبد القيس و بكر بن وائل فعدلوا الى عسكر على فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال فكان يرسل على اليهم يكلمهم و يدعوهم وكان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ونزل بهم على وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير ان الرأى ان تبعث ألف فارس الى على قبل ان يوافى اليه أصحابه فقال انا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يثق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على امر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا واقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب خير من الشدة فقالا ان هذا امر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ويكون فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم على ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا ان نتركه ولا نؤخره وقد قال على ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شره وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الاحكام بين المسلمين بأعمها منفعة وقال كعب بن سور يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم فأجابوه بنحو ما تقدم وقام على فخطب الناس فقام اليه الاعور بن بنان المنقرى فسأله عن اقدامهم على اهل البصرة فقال له على على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال فان لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن انفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه ابو سلامة الدالانى فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا ارادوا الله بذلك قال نعم قال افترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لا يدرك ان الحكم فيه اجوطه واعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لارجو ان لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا ادخله الله الجنة وقال فى خطبته أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم ايديكم والسنتكم واياكم ان تسبقونا فان الخصوم غدا من خصم اليوم وبعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى نعزل وننظر فى هذا الامر وخرج اليه الاحنف بن قيس وينو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه قال الاحنف ولم ابايع عليا حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وانا اريد الحج وعثمان محصور فقلت لكل منهم ان الرجل مقتول فمن تأمرونى ابايع فكلهم قال بايع عليا فقلت اترضونه لى فقالوا نعم فلما قضيت حجى ورجعت الى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ورجعت الى اهلى ورأيت الامر قد استقام فبينما انا كذلك اذ اتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير بالحريبة يدعونك فقلت ما جاءهم قال يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان فأتانى فقطع امرا فقلت ان خذلانى ام المؤمنين وحوارى

والدرع الحديد على بدنه لا ثوب تحته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البس السلاح وكنت عريانا اغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب فلبست الدرع امتثالا لامره وقد كان انتخب من اصحابه الف رجل فجعلهم اصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها الف مثقال ومثلهم اصحاب اعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد وفى اليوم الذى يحتاج فى مثله الى مباهاة الاعداء دفع اليهم تلك الاعمدة ومشوا فى خدمته اجلالا له فكان لا يطلع على سره احد ولا يعرف تدابيره غيره واكثر نهاره هو خال بنفسه يفكر فيما يدبره وكانت وفاته لسبع بقين من شوال عام خمسة وستين ومائتين بجنديسابور وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وتولى مكانه اخوه (عمرو بن الليث) وسار سيرة حسنة وزاد فى رفعته حتى خطب له ببغداد وكان لا يذكر غير اسم الخليفة وفى سنة سبع وثمانين ومائتين كانت الحرب بين اسمعيل بن احمد السامانى وبين عمرو المذكور بناحية بلخ وكانت امرأة اسمعيل المذكور معه على

عادة الفرس فى السفر فخرجت يوما الى حافة نهر تغتسل وأخرجت عقدها الثمين ووضعته على حافة النهر فجاء طير فاختطف ذلك

البئر ثلثمائة وسبعين صندوقا مملوأة من الذهب والجواهر وهي خزينة خصمه الذي خرج لقتاله وهو عمرو بن الليث واستبشر بذلك انه يغلب عمرا وكان كذلك وفي تواريخ الفرس ان عمرو ابن الليث هذا أمسك الملك اسمعيل منفردا وأسره ولم يحصل لاحد من عسكره بأس وذلك ان فرس عمرو عشق فرسا انثى في جانب خصمه اسمعيل المذكور فحمله فرسه كرها عليه ولم يستطع ردها الى ان دخل بين عسكر عدوه فأمسكوه فلما انتصر اسمعيل وأسر عمرو ارسله الى الخليفة المعتضد بالله فلما ادخل الى مدينة بغداد وكان رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان انفذه الى الخليفة في هدايا تقدمت له فقال في ذلك الحسن بن محمد

الم تر هذا الدهر كيف يكون
يكون يسيرا امره وعسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة
يروح ويغدو في الجيوش اميرا
حباهم بإجمال ولم يدر انه
على جمل منها يقاد اسيرا

فلما مثل بين يدي الخليفة امر بحبسه ومنع الطعام عنه فهلك في السجن من الجوع وقيل اشتهى طعاما فوضعوا له قطعة لحم في سطل جاء كلب ووضع عنقه في السطل وتعلق برقبته وافترق

رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امرونى ببيعته اشد فلما اتيتهم قالوا جئتنا لكذا وكذا قال فقلت يا ام المؤمنين ويا زبير ويا طلحة نشدتكم الله أقلت لكم من تأمرونني ابايع فقلتم بايع عليا فقالوا انهم والكنه بدل وغير فقلت والله لا افاتلكم ومعكم ام المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتموني ببيعته ولكني اعتزل فأذنوا له في ذلك فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف وهي من البصرة على فرسخين فلما قدم علي أتاه الاحنف فقال له ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم قال ما مثلي يخاف هذا منه وهل يحل هذا الا لمن تولى وكفر وهم قوم مسلمون قال اختر مني واحدة من اثنتين اما ان أقاتل معك واما ان أكف عنك عشرة آلاف سيف قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال ان من الوفاء لله قتالهم قال فاكفف عنا عشرة آلاف سيف فرجع الى الناس فدعاهم الى القعود ونادى يا آل خندف فأجابه ناس ونادى يا آل تميم فأجابه ناس ثم نادى يا آل سعد فلم يبق سعدي الا أجابه فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس فلما كان القتال وظفر علي دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلي هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر الله تعالى ان يذكر وخرج طلحة فخرج اليهما علي حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لعمري قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن اخا كما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي قال طلحة ألبت على عثمان قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت اما بايعتني قال بايعتك وانا سيف على عنقي فقال علي للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أرالك لهذا الامر أهلا ولا أولى به منا فقال له علي أ لست له أهلا بعد عثمان قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وذكره أشياء وقال له تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بزهو لتقاتلنه وأنت ظالم له قال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف علي الى أصحابه فقال اما الزبير فقد أعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت الا وأنا اعرف فيه امري غير موطني هذا قالت فتريدان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب قال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الفئتين حتى اذا احتد بعضهم لبعضهم اردت ان تتركهم وتذهب لكنك خشيت راية ابن ابي طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان بحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال اني حلفت ان لا أقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه مكحولا وقيل سرجس فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي

لم ار كاليوم اخا اخوان * اعجب من يكفر الايمان

الايات وقيل انما عاد الزبير عن القتال لما سمع ان عمار بن ياسر مع علي فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله كما ذكرناه

وافترق اهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي وفرقة لا ترى القتال منهم الاحنف وعمران بن حصين وغيرهما وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحدان في الازد ورأس الازد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سوران الجوع اذا تراءت لم تستطع انما هي بحور تدفق فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فاني أخاف ان لا يكون صلح ودع مضر وربيعة فهما اخوان فان اصطلحا فالصلح أردنا وان اقتتلا كنا حكما عليهم غدا وكان كعب في الجاهلية نصرانيا فقال له صبرة أخشى ان يكون فيك شئ من النصرانية أتأمرني ان أغيب عن اصلاح بين الناس وان أخذل أم المومنين وطلحة والزبير ان ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان والله لا أفعل هذا أبدا فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد في الرباب وهم تيم وعدي ونور وعكل بنو عبد مناف بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر وضبة بن أدبن طابخة وحضر أيضا أبو الجرباء في بني عمرو بن تميم وهلال بن وكيع في بني حنظلة وصبرة بن شيمان على الازد ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم وزفر بن الحرث في بني عامر وغطفان ومالك بن مسمع على بكر والحريت بن راشد على بني ناجية وعلى اليمن ذو الاجوزة الحميري ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون في الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح وعائشة في الحدان والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا ورد واحكيما ومالكا الى علي اثنا على ما فارقنا عليه القعقاع ونزل علي بحيالهم فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الى اليمن فكان بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح وكان أصحاب علي عشرين ألفا وخرج علي وطلحة والزبير فتفاوضوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا هما محمد بن ابي طلحة الى علي وارسل علي الى رؤساء اصحابه وطلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون فاجتمعوا على انشاب الحرب فغدوا مع الغلس ومايشعر بهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم واليمن الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير الى الميمنة وهم ربيعة اميرا عليها عبد الرحمن بن الحرث والى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وثبتا في القلب وقالا ما هذا قالوا طرقنا اهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه ان يطاوعنا فرد اهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية رجلا قريبا منه يخبره بما يريد فلما قال علي ما هذا قال ذلك الرجل ما شعرنا الا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فارسل على صاحب الميمنة الى الميمنة وصاحب الميسرة الى الميسرة وقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وانهما ان يطاوعانا والسبئية لا تفتر ونادى علي في الناس كفوا فلا شئ وكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وان لا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يروا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا

ومالك بعده ولده (ابو الحسن نصر بن أحمد) فملك ثلاثين سنة وكان رفيع النجاد قوي العماد فلما توفي تلاه في ارث الملك (نوح بن

في استفاري على ثلثمائة جمل واليوم يحملها كلب في عنقه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (طاهر بن عمرو ابن الليث) خمس سنين وهذا آخر من ملك من بني الصفار وقد انقرضت دولتهم في سنة خمس وثلثمائة والله اعلم

(الباب السابع والعشرون في ذكر دولة آل سامان بما وراء النهر وخراسان)

ذكر العتبي في تاريخه ان ملك آل سامان كان بما وراء النهر الى حدود اصفهان وهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وسبعين سنة وستة اشهر اولهم (ابو ابراهيم اسمعيل) بن احمد وهو الذي قبض على عمرو ابن الليث المذكور وكان منعوتا بالعدل والرأفة موسوما بطاعة الخلافة توفي بخارا ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده (ابو نصر احمد بن اسمعيل) فملك ست سنين وثلاثة اشهر وقتل به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاخرة وكان مقتديا بسيرة أبيه في اتباع العدل الى ان طوت الدنيا صحائف ايامه

لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة واتصب منصبه (عبد الملك ابن نوح) فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وخلفه فى الولاية اخوه (منصور بن نوح) خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفى بخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولى امره ولده (نوح بن منصور) احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر فتوفى وولى بعده ولده (منصور بن نوح) ثم بعد عامين وثب عليه اخوه عبد الملك بن نوح فقبض عليه فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه (عبد الملك ابن نوح) فما استقرت قدمه فى الولاية حتى خربت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعامته وشالت نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك خان عليه وانتزع ولايته من يديه وكانت مدة ملكه ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما وتولى بعده (اسمعيل بن نوح) وهو آخر من تولى الملك من هذه الطائفة فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول (الباب الثامن والعشرون فى ذكر دولة بنى سبكتكين ذوى الرأى الصحيح والعقل الرصين صونها

وأقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال ادركى فقد ابى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الادراع فما برزت من البيوت وهى على الجمل بحيث يسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول أتقتلنى يا ابا اليقظان فيقول لا يا ابا عبد الله وانما كف الزبير عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ولولا ذلك لقتله وبينما عائشة واقفة اذ سمعت ضجة شديدة فقالت ما هذا فقالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر فما فجأها الا الهزيمة فمضى الزبير من وجهه الى وادى السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكره على واما طلحة فاتاه سهم غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادى الى عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع ابن عمرو يا ابا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى فلما امتلأ خفه دما وثقل قال لغلامه اردفنى وأمسكنى وأبلغنى مكانا انزل فيه فدخل البصرة فأنزله فى دار خربة فمات فيها وقيل انه اجتاز به رجل من اصحاب على فقال له انت من اصحاب امير المؤمنين قال نعم قال امدد يدك ابايعك له فبايعه فخاف ان يموت وليس فى عنقه بيعة ولما قضى دفن فى بنى سعد وقال لم ار شيخا اضيع دما منى وقتل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير

فان تكن الحوادث اقصدتنى ✻ واخطأهن سهمى حين ارمى
فقد ضيعت حين قتلت سهما ✻ سفاهة ما سفهت وضل حلمى
ندمت ندامة الكسعى لما ✻ شريت رضا بنى سهم برغمى
اطعتهم بفرقة آل لاى ✻ فألقوا للسباع دمى ولحمى

وكان الذى رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره واما الزبير فانه مر بعسكر الاحنف بن قيس فقال والله ما هذا الا لمجمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا الحق بينه وقال الاحنف للناس من يأتينى بخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه انا فاتبعه فلما لحقه نظر اليه الزبير قال ما وراءك قال انما اريد ان أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية انه معد قال ما بيهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه فى جربان درعه فقتله واخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام فدفنه بوادى السباع ورجع الى الناس بالخبر وقال الاحنف لابن جرموز والله ما ادرى احسنت ام اسأت فأتى ابن جرموز عليا فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال على ائذن له وبشره بالنار واحضر سيف الزبير عند على فأخذه فنظر اليه وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث به الى عائشة فلما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل اطافت بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا فى امر جديد ووقفت ربيعة بالبصرة معينة وبعضهم ميسرة وقالت عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه وناولته مصحفا فاستقبل القوم والسبئية امامهم فرموه رشقا واحدا فقتلوه ورموا ام المؤمنين فى هودجها فجعلت تنادى البقية البقية يا بنى ويعلو

صوتها كثرة الله اذكروا الله والحساب فيأبون الا اقداما فكان أول شئ أحدثته حين ابوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم واقبلت تدعو وضج الناس بالدعاء فسمع علي فقال ما هذه الضجة قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال علي اللهم العن قتلة عثمان فأرسلت الى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم علي فنخس فما ابنه محمد وكانت الراية معه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح فأخذ على الراية من يده وقال يا بني بين يدي وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا واقدام الجمل حتى ضرسوا والجمبتان على حالهما الا تصنع شيأ ومع على قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه فقال له رجل نخ الى قومك مالك ولهذا الموقف الست تعلم ان مضر بحيالك والجمل بين يديك وان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت اريد فأصيب هو واخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب فلما رأى على ذلك بعث الى ربيعة والى اليمن أن اجمعوا من يليكم فقام رجل من عبد القيس من اصحاب على فقال ندعوكم الى كتاب الله فقالوا وكيف يدعونا اليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعي الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه فقام مسلم بن عبد الله المجلي مكانه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم وأبى اهل الكوفة الا القتال ولم يريدوا الا عائشة فذكرت اصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ثم عادت يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس اخذها فثبتت في يده وهو يقول

قد عشت يا نفسي وقد عشيت * دهرا فقد لك اليوم ما بقيت

* اطلب طول العمر ما حييت *

وانما تمثلها وقال ابن ابي نمران الهمداني

جردت سيفي في رجال الازد * اضرب في كهولهم والمرد

* كل طويل الساعدين نهد *

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل على رايتهم وهم في الميسرة زيد وعبد الله بن رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم انت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا في شبهة وعلى ريبة وقتل واشتد الامر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة اهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة اهل الكوفة ان يحتلقوا بقلبهم وان كانوا الى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة اهل الكوفة بميمنة اهل البصرة فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا واطرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدي والارجل فما رؤي وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ولا رجلا مقطوعة وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله فنظرت عائشة من يسارها فقالت من القوم عن يساري قال صبرة بن شيمان بنو الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم فلا دكم الذي كنا

وهم عشرة أنفار ومدة ملكهم مائة سنة واثنتان وسبعون سنة وأول من تولى الملك منهم (سبكتكين) وسببه انه ورد بخارا في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المقدم ذكرهم وكان وروده في صحبة ابي اسحق بن ألبتكين وهو حاجبه ولما خرج ابو اسحق المذكور واليا الى غزنه انصرف الامير سبكتكين وعليه مدار أموره فلم يلبث أبو اسحق بعد موافاتها ان قضى نحبه ولم يبق من ذوي قرابته من يصلح لمكانه ثم وقع اتفاقهم على تولية الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع في الغزو والاغارة على اطراف الهند ففتح قلاعا كثيرة وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وآخر الامر انه وصل الى مدينة بلخ من طوس فرض بها فاشتاق الى غزنه فخرج اليها فمات في الطريق قبل وصوله وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (اسمعيل) بعهد منه وكان

فسمع به وقتلت

وجالد من غسان اهل حفاظها * وكعب وأوس جالدت وشبيب

فكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم عن يميني قال بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

وجاؤا البنا في الحديد كانهم * من الغرة الغسا بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك واقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت مخ بخ سيوف ابطحية قرشية فجالدوا جلادا يتفادى منه ثم اطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جرة الجمرات فلما رقوا خاطبهم بنو عدى بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدى خاطبنا اخوتنا أقاموا رأس الجمل وضربوا اضربا شديدا اليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى اذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم او يصرع الجمل وصار مجنبتا على الى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وأخذ عميرة بن يثربي برأس الجمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله فقال علي من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي فاعترضه ابن يثربي فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربي ثم حمل عليه ابن الهيثم فاعترضه ابن يثربي فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة وقال ابن يثربي

أنا لمن ينكرني ابن يثربي * قاتل علباء وهند الجملي

* وابن الصوحان على دين علي *

وقال ابن يثربي ايضا

اضربهم ولا أرى اباحسن * كفى بهذا حزنا من الحزن

* انا نمز الامر إمرار الرسن *

فناداه عمار اقدعذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة الى فترك الزمام في يد رجل من بني عدى حتى اذا كان بين الصفين تقدم عمار وهو ابن تسعين سنة وقيل أكثر من ذلك عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو أضعف من مبارزه واستراح جميع الناس وقالوا هذا لاحق بأصحابه وضربه ابن يثربي فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج واضع عمار رجله فضربه فقطعها فوقع على استه وأخذ اسيرا فأتى به الى علي فقال استبقني فقال ابعد ثلاثة تقتلهم وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثربي وان عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة مع معاوية ولما قتل ابن يثربي تولى ذلك العدوى الزمام فتركه بيد رجل من بني عدى وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلي يرتجز ويقول

يا امتا أعق ام نعلم * والام تغذو ولدا وترحم

الا ترين كم شجاع يكلم * وتختلي منه يد ومعصم

كذب فهي من ابر أم فعلم ثم اقتتلا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقام مقام العدوى الحرث الضبي فلم روى اشتد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نبارز القرن اذا القرن نزل

اخوه (السلطان محمود) بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنه فلما بلغه نعي أبيه وتولية أخيه اسمعيل قصده في جيش عظيم فظفر به وحبسه واستولى على الملك ولما انتظم له الامر سير له الامام القادر بالله العباسي خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة ثم يمين الدولة وفرض على نفسه غزو الهند في كل عام ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ولم تنل به قط سورة ولا آية فوصل الى بلد فيه الصنم المعروف بسومنات وان هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وان مد البحر وجزره عبادته على قدر طاعته ولم يبق في بلاد السند والهند احد الا وقد تقرب لهذا الصنم بما عز عليه حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية منه مورة وامتلأت خزائنه من اصناف الاموال وفي خدمته ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس جميع من ولد لهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عنده بابه ولكل طائفة

تبغى ابن عفان بأطراف الاسل * الموت احلى عندنا من العسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقيل ان هذه الابيات لوسيم بن عمرو الضبي وكان عمرو يحرض أصحابه يوم الجمل وقد أخذ الخطام ويقول

نحن بنو ضبة لا نفر * حتى نرى جماجما تخر
يحزمنها العلق المحمر

ويقول يا أمتا يا عيش لن تراعى * كل بنيك بطل شجاع
ويقول يا أمتا يا زوجة النبي * يا زوجة المبارك المهدي

ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلا قالت عائشة مازال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة قال واخذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام الجمل وكان ممن اخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة وقال يا أمتاه مريني بأمرك قالت آمرك ان تكون خير بني آدم ان تركت فجعل لا يحمل عليه احد الا حمل وقال حاميم لا ينصرون واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله المعكبر الاسدي والمعكبر الضبي ومعاوية بن شداد العبسي وعمار السعدي النصري فانفذه بعضهم بالرمح فني ذلك يقول

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا للبدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شئ غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف فجعل لا يدنو منه احد الا خبطه بالسيف فاقبل اليه الحرث بن زهير الازدي وهو يقول

يا أمتا خيرا أم نعلم * اما ترين كم شجاع يكلم
ويختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه واحدق اهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام احد الا قتل وكان لا يأخذه والراية الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وبانه للموت لا يوصل اليه الا بطلبة وعنت ومارامه احد من اصحاب على الا قتل او افلت ثم لم يعد وجعل عدى بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت من أنت فقال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وانتهى اليه الاشتر فاقتتلا فضربه الاشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال ابن الزبير

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

لو يعلمون من مالك لقتلوه انما كان يعرف بالاشتر فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوهما قال الاشتر اقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس واخرقه مالبثته ان قتلته واقيت الاسود بن عوف فلقيت أشد الناس واشجعه فما كدت النجو منه فتمنيت اني لم أكن لقيته ولحق

من هؤلاء رفيق معلوم وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصنا منيعا ففتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم ووجدوا حوله من اصنام الذهب المرصع بأنواع الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه يزعمون انها الملائكة واحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في اذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم السلطان محمود عن ذلك فقالوا كل حلقة عبادة الف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة فأدحض عنهم ادناس الشرك ومناقب هذا السلطان كثيرة وسيرته من احسن السير وكان مولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه قريبا من خمس وثلاثين سنة وقام بالامر بعده ولده (محمد) بعهد منه واجتمعت عليه الكلمة وكان اخوه ابو سعيد مسعود

غائبا فقدم نيسابور فقال
الناس اليه لان محمدا كان
سيئ الخلق والتدبير منمكا
في لذاته فأجمع الجند على
عزل محمد وتفويض الملك
الى (مسعود) ففعلوا ذلك
وقبضوا على محمد وحملوه الى
قلعة ووكلوا به فكانت مدة
ملكه سنتين واستقر الملك
للامير مسعود فجرى له مع
بني سلجوق خطوب يطول
شرحها حتى قتل في سنة
ثلاثين وأربعمائة ومدة
ملكه ثلاث عشرة سنة وتولى
بعده ولده (شهاب الدولة
مودود) ثم ابنه (أبو المظفر
ابراهيم) وكان صالحا عابدا
وكان أكثر مجالسه في
الجوامع والمساجد يدبر
الملك ويفيد الطالبين بالدرس
فكانت مدة ملكه اثنتين
وأربعين سنة ثم تولى الملك
بعده ولده (ابو الفتح ارسلان
شاه) مدة فلما مات بعده
اخوه (المظفر بهرام شاه)
ولم تزل تلاشى امورهم
ويختل نظامهم حتى ملك
ولده (ابو شجاع خسروشاه)
وهو آخر من ملك من هذه
الطائفة واستولى على الملك
السلجوقية فسبحان من
لا يزول ملكه

*(الباب التاسع والعشرون
في ذكر دولة بني طولون بالديار
المصرية ولمع من أوصافهم
السنية وخصائلهم البهية)*

جندب بن زهير الغامدي فضربته فقتلته قال ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية
قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه قال واخذ
الخطام الاسود بن ابي البختري فقتل وهو قرشي ايضا واخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه
ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته وهوازدي وجرح مروان بن الحكم وجرح عبد الله بن الزبير
سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية قال ومارأيت مثل يوم الجمل ماينهزم منا احد ونحن
الا كالجبل الاسود ومايأخذ بخطام الجمل احد الا قتل حتى ضاع الخطام ونادى علي اعقروا
الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتا قط اشد من عجيج الجمل وكانت
راية الازد من اهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل واخذها الصقعب واخوه عبد الله بن سليم
فقتل واخذها الملاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده وكانت راية عبد القيس من اهل الكوفة
مع القاسم بن سليم فقتل وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة نفر فقتلوا منهم
عبد الله بن رقيم ثم اخذها منقذ بن النعمان فدفعها الى ابنه مرة بن منقذ فانقضى الحرب وهي
في يده وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحرث بن حسان الذهلي فاقدم وقال يامعشر بكر
لم يكن احد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه
وخمسة من بني أهله وقتل الحرث فقيل فيه

انعى الرئيس الحرث بن حسان * لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من بني ذهل

تنعى لنا خير امرئ من عدنان * عند النزال والطعان الاقران

وقال أخوه بشر بن حسان

انا ابن حسان بن خوط وأبي * وصول بكر كلها الى النبي

وقتل رجال من بني محدوج وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا وقال رجل لاخيه وهو
يقاتل يا اخي احسن قتالنا ان كنا على الحق قال فانا على الحق ان الناس أخذوا يمينا وشمالا وانا
تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح يومئذ عمير بن الاهلب الضبي فمر به رجل من
اصحاب علي وهو في الجرحى يفحص برجليه ويقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف الا ونحن رواء
لقد كان في نصر ابن ضبة امه * وشيعتها مندوحة وغناء
اطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا اهل الحجاز عناء
اطعنا بني تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا عبد واماء

فقال له الرجل قل لا اله الا الله قال ادن مني فلقني فبي صمم فدنا منه الرجل فوثب عليه فعض
اذنه فقطعها وقيل في عقر الجمل ان القعقاع لقي الاشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال هل
لك في العود فلم يجبه فقال يا اشتر بعضنا اعلم بقتال بعض منك وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن
الحرث وكان آخر من أخذ الخطام فلم يبق شيخ من بني عامر الا أصيب قدام الجمل وزفر بن الحرث
يرتجز ويقول

يا أم ما ملك لا يراع * كل فتى بطل شجاع

*ليس

* ليس بوهواه ولا براع *

وقال القعقاع

اذا وردنا آجنا جهوناه * ولا بطاق وردما منعناه

وزحف الى زفر بن الحرث الكلابى وتسرعت عامر الى حربه فأصيبوا فقال القعقاع لبجير بن دلجة وهو من أصحاب على يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعقروا الجمل قيل ان نصابوا وتصاب ام المؤمنين فقال بجير يا آل ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بى اليك فدعاه فقال انا آمن حتى أرجع عنكم قال نعم فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجر جر البعير فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام ثم أطافا به وقمن وراء ذلك من الناس فلما انهزموا أمر على منادياً فنادى الا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر على نفرا ان يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر اخاها محمد بن ابى بكر ان يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شئ من جراحة فادخل رأسه فى هودجها فقالت من أنت فقال ابغض أهلك اليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت يا بابى الحمد لله الذى عافانى وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبى بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنصباه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت عق قال يا أخية هل اصابك شئ قالت ما أنت وذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقال لها عمار كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أماه قالت لست لك بأم قال بلى وان كرهت قالت فخرتم أن ظفرتم واتيتم مثل الذى نقمتم هيهات والله لئن يظفر من كان هذا أبه قابرز واهودجها فوضعوها ليس قربها احد واتاها على فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن اعين المجاشعى حتى اطلع فى الهودج فقالت اليك لعمك الله فقال والله ما أرى الا حميراء فقالت له هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا فى خربة من خرابات الازد ثم اتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع ابن عمرو فسلم عليها فقالت انى رأيت بالامس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك قال نعم ذاك الذى قال اعق ام تعلم وكذب انك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعى قالت والله لوددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة * وخرج من عندها فأتى عليا فقال له على والله لوددت انى مت من قبل اليوم بعشرين سنة وكان على يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال

اليك اشكو عجرى وبجرى * ومعشرا اغشوا على بصرى
قتلت منهم مضرى بمضرى * شفيت نفسى وقتلت معشرى

فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد بن ابى بكر البصرة فانزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية بنت الحرث بن ابى طلحة بن عبيد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهى ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فأقام على بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس فى دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وطاف على فى القتلى فلما اتى على كعب بن سور قال ان عمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون واتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا بعسوب القوم يعنى انهم كانوا يطيفون به واجتمعوا على الرصافة

نوح بن أسد الساماني عامل بخارا الى المأمون فى سنة مائتين وان احمد بن طولون ولى على مصر فى زمن المعتز بالله العباسى فى سنة خمسين ومائتين ثم أضيفت اليه نيابة الشام والثغور وأفريقية فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى قلعة يافا ولم يكن لها قبل ذلك قلعة وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به واستقل بالامر وخطب باسمه وكان كثير الصدقات فقال له يوما المتولى على صدقاته ربما امتدت الى اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم أفأمنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف احذر ان ترتدا امتدت اليك وأعط من استعطاك فعلى الله تعالى أجره وكان يتصدق فى كل اسبوع بثلاثة آلاف دينار سوى الراتب ويجرى على أهل المساجد فى كل شهر ألف دينار وفرق على العلماء والصلحاء بغداد فى أيامه ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان خراج مصر فى أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وكان لابن طولون ما بين

رحبة مالك بن طوق الى اقصى بلاد الغرب وفى النجوم الزاهرة فى اخبار مصر والقاهرة أن احمد بن طولون قدم الى دمشق فى

ابن طولون مدة يجور ويعسف في الرعية الى ان اجتمعوا عند السيدة نفيسة وشكوا من ظلمه فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ما لكم فأمرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ورقدت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأجساد أعريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجورا وافانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته توفي في عشر ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا وكانت مدة ولايته محوست وعشرين سنة وتولى بعده ابنه (أبو الجيش) خمارويه واقام مدة طويلة وكان كثير السهر فاصطنع لنفسه بستانا بقرب جامع ابيه وابتنى فيه قصورا وساق اليه مياها جارية وعمل في وسطه بركة عظيمة مملوءة بالزئبق ووضع عليها تختا كان ينام عليه لاجل سهره وفي شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق ورحل الى

اصلاتهم ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال لهفي عليك يا ابا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ٭ اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم انه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ فليأخذه الا السلاح كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من اصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة وقيل غير ذلك وقتل من ضبة ألف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون رجلا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ والفارغ على من الوقعة أتاه الاحنف بن قيس في بني سعد وكانوا قد اعتزلوا القتال فقال له علي تربصت فقال ما كنت أراني الا وقد احسنت وبأمرك كان ما كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت الى غدا أحوج منك امس فاعرف احسانى واستصف مودتي لغد ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحا ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على رياتهم حتى الجرحى والمستأمنة واتاه عبد الرحمن بن ابي بكرة في المستأمنين ايضا فبايعه فقال له علي وما عمل المتربص المتقاعد بي ايضا يعني أباه ابا بكرة فقال والله انه لمريض وانه على مسرتك لمريض فقال علي امش أمامي فمشى معه الى ابيه فلما دخل عليه علي قال له تقاعدت بي وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين واعتذر اليه فقبل عذره واراده على البصرة فامتنع وقال رجل من أهلك يسكن اليه الناس وسأشير عليه فاشر فعا على ابن عباس وولى زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع منه ويطيع وكان زياد معتزلا ثم راح الى عائشة وهو في دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي فلما رأته قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيأ ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها ثم قال جيء بتلك صفية اما اني لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج على اعادت عليه القول فكف بغلته وقال لقد هممت ان افتح هذا الباب وأشار الى باب في الدار واقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم فسكت وكان مذهبه ان لا يقتل مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالا وما خرج على من عند عائشة قال له رجل من ازد والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهجمن امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فان النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف اذا هن مسلمات ومضى على فلحقه رجل فقال له يا امير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هواء ض شتيمة لك من صفية قال ويحك لعلهما عائشة قال نعم قال احدهما جزيت عنا امنا عقوقا وقال الآخر يا امي تو بي فقد اخطأت فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان له فأحالوا على رجلين من ازد الكوفة وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة

ماتة سوط وأخرجهما من ثيابهما وسألت عائشة يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعى واحد من الجميع قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان فى الجنة وفلان فى الجنة وقال على انى لارجو ان لا يكون احد ممن قتل قبله من هؤلاء الا دخله الله الجنة ثم جهزت على عائشة بكل ما ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من احب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسيرمعها اخاها محمد بن أبى بكر فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اتاها على فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت يابنى لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وبين احمائها وانه على معتبتى لمن الاخيار وقال على صدقت والله ما كان بينى وبينها الا ذاك وانها الزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها اميالا وسرح بنيه معها يوما فكان وجوهها الى مكة فأقامت الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقال لها عمار حين ودعها اما ابعد هذا المسير من العهد الذى عهد اليك فقالت والله انك ما علمت لقوال بالحق قال الحمد لله الذى قضى على اسائك لى واما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم وكان منهم عتبة بن أبى سفيان فخرج هو وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم فساروا فى البلاد فلقيهم عصمة بن أبير التيمى فقال لهم هل لكم فى الجوار فقال نعم فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام فى أربعمائة راكب فلما وصلوا الى دومة الجندل قالوا قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك فرجع واما ابن عامر فانه خرج ايضا فلقيه رجل من بنى حرقوص يدعى مرى فأجاره وسيره الى الشام واما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك فى خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه بذلك وقيل ان مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وصحبها الى الحجاز فلما سارت الى مكة سار الى المدينة وأما عبد الله بن الزبير فانه نزل بدار رجل من الازد يدعى وزيرا فقال له انت ام المؤمنين فاعلمها بمكانى ولا يعلم محمد بن ابى بكر فأتى عائشة فاخبرها فقالت على بمحمد فقال لها انه قد نهانى ان يعلم محمد فلم تسمع قوله وأرسلت الى محمد وقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تأتينى بابن أختك فانطلق معه وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا الى دار عائشة فى دار عبد الله بن خلف ولما فرغ على من بيعة اهل البصرة نظر فى بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لهم ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى اعطياتكم فخاض فى ذلك السبئية وطعنوا على من وراءه وطعنوا فيه ايضا حين نهاهم عن اخذ أموالهم فقالوا ما يحل انا دماءهم ويحرم علينا اموالهم فقال لهم على القوم امثالكم من صفح عنا فهو منا ومن بلج حتى يصاب فتناله منى على الصدر والنحر وقال القعقاع ما رأيت شيأ اشبه بشئ من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا نداف هم باسنتنا وتشكى على ازجتنا وهم مثل ذلك حتى لوان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان الكاهلى لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت فى صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال على السيوف يابنى المهاجرين فما شهبت اصواتها الا بضرب القصارين وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل ان تغرب

وقصد خمارويه تقرير بعض الجوارى على ذلك فاجتمع جماعة من الخدم واتفقوا على قتله ولما قتل تولى مكانه ولده (جيش بن خمارويه) وكان صبيا فأقام تسعة أشهر ثم خلعه طغج بن جف أمير دمشق لصباه وتقريبه الاراذل وتهديده لقواد ابيه فقتلوه ونهبوا دار ونهبوا مصر وأحرقوها وأجلوا اخاه (هرون بن خمارويه) فى الولاية وكانت مدة ولاية اخيه جيش المذكور تسعة أشهر ولم يزل هرون واليا مع ضعف من الامر بسبب اختلاف القواد عليه واختل نظام مملكته حتى استقل (طغج بن جف) بدمشق وخرج من طاعته وفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعث المكتفى جيشا أمر عليهم محمد بن سليمان الواثقى فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر وجرى بينه وبين عسكر هرون وقعات حتى قتل هرون وتولى بالامر مكانه عمه (أبو المغانم شيبان) بن أحمد بن طولون ثم هرب من الجيش تحت الليل واستولى (محمد ابن سليمان) على مصر وقبض على أولاد طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفى اموالهم وقدرها أربعمائة حمل جمل من التبر وألف ألف دينار وحملهم الى المكتفى ببغداد وانقرضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكانت مدة ولايتهم

الشمس من نسر مر بما حول المدينة ومعه شئ معلق فسقط منه فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدى والاقدام وأراد على المقام بالبصرة لاصلاح حالها فاعجلته السبئية عن المقام فانهم ارتحلوا بغير اذنه فارتحل فى آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل فى سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة والوقعة الاولى مع عثمان بن حنيف وحكيم (واما مسير على وعزل ابى موسى) فقال فيه ان عليا لما أرسل محمد بن ابى بكر الى ابى موسى وجرى له ما تقدم سار هاشم بن عتبة بن ابى وقاص الى على بالربذة فاعلمه الحال فاعاده على الى ابى موسى يقول له ارسل الناس فانى لم اولك الا لتكون من اعوانى على الحق فامتنع ابو موسى فكتب هاشم الى على انى قدمت على رجل غال مشاقق ظاهر الشنآن وأرسل الكتاب مع المحل ابن خليفة الطائى فبعث على الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن كعب الانصارى أميرا وكتب معه الى أبى موسى انى قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب والياعلى الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فانى قد أمرته ان ينابذك فان نابذته فظفر بك يقطعك اربا اربا فلما قدم الكتاب على ابى موسى اعتزل واستنفر الحسن الناس فنفروا نحو ما تقدم وسار على عن نحو البصرة فقال جون بن قتادة كنت مع الزبير فجاء فارس يسير فقال السلام عليك أيها الامير فرد عليه فقال ان هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم ار أرث سلاحا ولا اقل عددا ولا ارعب قلوبا منهم ثم انصرف عنه وجاء فارس آخر فقال له ان القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدة فخافوا فولوا مدبرين فقال الزبير ايها عنك فوالله لو لم يجدوا على بن ابى طالب الا العرفج لدب البنا فيه فانصرف وجاء فارس وقد كادت الخيل تخرج من الرهج فقال هؤلاء القوم قد اتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لى فقال الزبير انه ليس فيهم فقال الرجل بلى والله انه لفيهم فقال الزبير والله ما جعله الله فيهم فقال الرجل بلى والله فلما كر راجعا أرسل الزبير رجلين ينظران فانطلقا ثم رجعا فقالا صدق الرجل فقال الزبير ياجدع انفاه ياقطع ظهراه ثم أخذته رعدة فجعل السلاح ينتفض قال جون فقلت لشكانى امى هذا الذى كنت أريد ان اموت معه او اعيش ما أخذه هذا الامر الا لشئ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف جون فاعتزل وجاء على فلما توافق الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدم فلما أبوا الا القتال قال على أيكم يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه فان قطعت يداخذه بيده الاخرى فان قطعت اخذه باسنانه وهو مقتول فقال شاب انا فطاف به على أصحابه فلم يجبه الا ذلك الشاب ثلاث مرات فسلمه اليه فدعاهم فقطعت يده اليمنى فأخذه باليسرى فقطعت فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل على الآن حل قتالهم فقالت ام الفتى

لاهم ان مسلما دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وامهم قائمة تراهم * تأمرهم بالقتل لا تنهاهم
* قد خضبت من علق لحاهم *

وحملت ميمنة على ميسرتهم فانتتلوا فلاذ الناس بعائشة وكان أكثرهم من ضبة والازد

المصرية والشامية ذوى المفاخر الحسنة والشمائل المرضية ونبذة من أخبار آل جدان لانهم كانوا ايتها جافى وجه الزمان) *

ذكر الصورى فى تاريخه ان هذه الطائفة منسوبون الى عبد الله بن طغج بن جف ابن يلتكين بن فور بن خاقان صاحب سرير الذهب والقصر الجوهر فى فرغانة وكان المعتصم جلب من فرغانة رجالا اصطنعهم فكان جف من جملتهم ومات جف ليلة قتل المتوكل وكان طغج اصغر اولاده فولده محمد وهو اول من استولى على مصر والشام وعبده كافور والاصل فى اخشيد آق شيد ومعناه الشمس البيضاء وكل من ملك بفرغانة يسمى الاخشيد كما يدعو الروم ملكها بقيصر والفرس بكسرى والمسلمون بالخليفة والترك بخاقان وملك جرجان صول وملك اذربيجان اصبهبذ وملك طبرستان سالار وملك الديلم كاسان وملك الانباط غمروذ وملك القبط فرعون وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشى كذا فى البيان الجامع لتاريخ الزمان ولقب محمد بن طغج

وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ثم انهزموا ونادى رجل من الازد كرّوا فضربه محمد بن علي فقطع يده فقال يا معشر الازد فرّوا واستحرّ القتل في الازد فنادوا نحن على دين علي فقال رجل من بني ليث

سائل بنا حين لقينا الازدا ● والخيل تعدو أشقرا و وردا
لما قطعوا كيدهم والزندا ● صحقا لهم في رأيهم وبعدا

وحمل عمار بن ياسر على الزبير بفحل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلني يا أبا اليقظان فقال لا يا ابا عبد الله انصرف فانصرف وجرح عبد الله بن الزبير فالقى نفسه في الجرحى ثم برأ وعقر الجمل واحتمل محمد بن ابي بكر عائشة فانزلها وضرب عليها قبة فوقف علي عليها وقال لها استنفرت الناس وقد فروا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة ملكت فاسجح نعم ما بقيت قومك اليوم فسرحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها بما تحتاج لم أذكر في وقعة الجمل الا ما ذكره ابو جعفر اذ كان اوثق من نقل التاريخ فان الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم وممن قتل يوم الجمل عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة له صحبة وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي له صحبة وفيها قتل الحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس له صحبة واستعمله عمر على مكة ثم عزله وفيها قتل معرض بن علاط السلمي اخو الحجاج بن علاط قتل مع علي وفيها قتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة لهما صحبة فاما مجاشع فلا شك انه قتل في الجمل وقتل عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدي القرشي مع عائشة وكان اسلامه يوم الفتح وفيها قتل هند بن أبي هالة الاسدي امه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع علي وقيل مات بالبصرة والاول أصح (الاسدي بضم الهمزة منسوب الى أسيد بتشديد الياء وهم بطن من تميم) وقتل هلال بن وكيع بن بشر التميمي مع عائشة له صحبة وفيها قتل معاذ بن عفراء اخو معوذ وهما ابنا الحرث بن رفاعة الانصاريان وشهدا بدرا وقتل مع علي وقيل عاش وقتل في وقعة الحرة (التيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره نون وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة وسيحان بفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء المهملة وآخره نون ومجبة بفتح النون والجيم والباء الموحدة وعميرة بفتح العين وكسر الميم وأبير بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة والخزيت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان وفي آخره تاء فوقها نقطتان)

﴿ ذكر قصد الخوارج سجستان ﴾

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان وقد نكث أهلها فأصابوا منها مالا ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها فقال الراجز

بشر سجستان بجوع وحرب ● بابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث علي عبد الرحمن بن جزء الطائي فقتله حسكة فكتب علي الى عبد الله بن العباس يأمره

بالاخشيد وتولى معمور الديار الشامية من قبل الراضي بالله العباسي ولما ضعفت أمر الخلافة وتغلب عمال الاطراف عليها استقر ملك مصر والشام في يد الاخشيد الى ان مات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكان شيخا من شيوخ المعتزلة وكان شديد التيقظ في حروبه وله ثمانية آلاف مملوك يحرسونه بالنوبة كل يوم ألف مملوك وهو لا يثق حتى يمضي الى خيم الفراشين فينام بها خوفا على نفسه وكان جيشه يحتوي على أربعمائة ألف رجل ولم يزل الى ان توفي في الوقت المعلوم وحمل تابوته الى بيت المقدس ودفن هناك وكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي السنة التي توفي فيها وجد بداره رقعة مكتوب فيها هذه الكلمات اشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات أوما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم ثقوا بقدرته كم وسلطانكم فاتقوا الله واتقون وهو حسبنا ونعم الوكيل

ان يولى سجستان رجلا ويسيره اليها فى أربعة آلاف فوجه ربعى بن كاس العنبرى ومعه الحصين بن أبى الحر العنبرى فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه وضبط ربعى البلاد وكان فيروز حصين ينسب الى الحصين بن أبى الحر هذا وهو من سجستان

﴿ ذكر قتل محمد بن أبى حذيفة ﴾

فى هذه السنة قتل محمد بن أبى حذيفة وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا فكفله عثمان بن عفان واحسن تربيته وكان فيما قيل أصاب شرابا فخذه عثمان ثم تنسك محمد واقبل على العبادة وطلب من عثمان ان يوليه عملا فقال لو كنت اهلا لذلك لوليتك فقال له انى قد رغبت فى غزو البحر فائذن لى فى اتيان مصر فاذن له وجهزه فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصوارى وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول استعمل رجلا اباح رسول الله دمه فكتب عبد الله الى عثمان ان محمدا قد أفسد على البلاد هو ومحمد بن أبى بكر فكتب اليه أما ابن ابى بكر فانه يوهب لابيه ولعائشة واما ابن أبى حذيفة فانه ابنى وابن أخى وتربيتى وهو فرخ قريش فكتب اليه ان هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق الا ان يطير فبعث عثمان الى ابن أبى حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة فوضعها محمد فى المسجد ثم قال يا معشر المسلمين ألا ترون الى عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم فكتب اليه عثمان يذكره بره به وتربيته اياه وقيامه لشأنه ويقول انك كفرت احسانى أحوج ما كنت الى شكرك فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير الى حصره ومساعدة من يريد ذلك فلما سار المصريون الى عثمان اقام هو بمصر وخرج عنها عبد الله بن سعد بن ابى سرح فاستولى عليها وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان وبويع على واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف على فسار الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد اليها اميرا فأراد دخولها فلم يقدر على ذلك فخدع محمدا حتى خرج منها الى العريش فى ألف رجل فتحصن بها فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه فقتل وهذا القول ليس بشئ لان عليا استعمل قيسا على مصر اول ما بويع له ولو أن ابن ابى حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس الى مصر لاستولوا عليها الا انه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها ولا خلاف ان استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم وقيل غير ذلك وهو ان محمد بن ابى حذيفة سير المصريين الى عثمان فلما حصروه اخرج محمد عبد الله بن سعد عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان فطلع عليه راكب فسأله فأخبره بقتل عثمان فاسترجع وسأله عما صنع الناس بعده فاخبره ببيعة على فاسترجع فقال له كأن امرة على تعدل عندك قتل عثمان قال نعم قال أظنك عبد الله بن سعد فقال نعم فقال له ان كانت لك فى نفسك حاجة فالنجاء النجاء فان رأى امير المؤمنين على فيك وفى أصحابك ان ظفر بكم أن يقتلكم أو يقتلكم وهذا بعدى أمير يقدم عليك فقال من هو قال قيس بن سعد بن عبادة قال عبد الله ابن سعد ابعد الله محمد بن ابى حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كفله ورباه واحسن اليه فاساء جواره وجهز اليه الرجال حتى قتل ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ولم يمتعه

فبقى الاخشيد بعد سماع هذه الرقعة فى فكر الى ان مات وولى الامر بعده ابنه (ابو القاسم انوجور) وكان صغيرا فأقيم كافور الاخشيدى الخادم الاسود اتابكا فكان يدبر المملكة وفى زمانه سار سيف الدولة بن حمدان الى دمشق وملكها وأقام بها واتفق أنه ركب يوما والشريف العقيقى معه فرأى الغوطة فقال ما تصلح هذه الا لرجل واحد فقال له العقيقى هى لاقوام كثيرة وغالبها وقف فقال سيف الدولة لو أخذتها انبرأ منها أهلها فاعلم العقيقى أهل دمشق بذلك فكاتبوا كافورا يستدعونه فجاءهم فاخرجه وولى على دمشق بدرا الاخشيدى (ولنذكر نبذة من اخبار آل حمدان لانهم كانوا ابناجانى وجه الزمان) فنقول هم من بنى ربيعة وسيف الدولة على هو كبيرهم وأميرهم وواسطة عقدهم ونصيرهم وأخوه ناصر الدولة الحسن ووالدهما عبد الله أبو الهيجاء ابن حمدان كان تولى امارة الحاج من جانب الخلفاء العباسيين وقتل بعد ذلك ثم ان الراضى بالله العباسى جعل للاخوين المذكورين

بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا وخرج عبد الله هاربا حتى قدم على معاوية وهذا القول يدل على ان قيسا ولى مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي وهو الصحيح وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد صفين فالقيه محمد بن أبي حذيفة في جيش فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل اليه فالتقيا واجتمعا فقال له عمرو انه قد كان ماترى وقد بايعت هذا الرجل يعني معاوية وما انا براض بكثير من أمره واني لاعلم ان صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقديما وأولى بهذا الامر فواعدني موعدا التقي معك فيه في غير جيش تأتي في مائة وآتي في مثلها وليس معنا الا السيوف في القرب فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ورجع عمرو الى معاوية فاخبره الخبر فلما جاء الاجل سار كل واحد منهما الى صاحبه في مائة وجعل عمرو له جيشا خلفه ليغطوي خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على اثره فعلم محمد انه قد غدر به فدخل قصرا بالعريش فتحصن به فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا وبعث به عمرو الى معاوية فسجنه وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة فكانت تصنع له طعاما وترسله اليه فأرسلت اليه يوما في الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى في غار فأخذ وقتل والله أعلم وقيل انه بقي محبوسا الى ان قتل حجر بن عدي ثم انه هرب فطلبه مالك بن هبيرة السكوني فظفر به فقتله غضبا لحجر وكان مالك قد شفع الى معاوية في حجر فلم يشفعه وقيل ان محمد بن أبي حذيفة لما قتل محمد بن أبي بكر خرج في جمع كثير الى عمرو فامنه عمرو ثم غدر به وحمله الى معاوية بفلسطين فحبسه ثم انه هرب فأظهر معاوية للناس انه كره هربه وأمر بطلبه فسار في أثره عبيد الله بن عمرو بن ظالم الخثعمي فأدركه بحوران في غار وجاءت حمر تدخل الغار فلما رأت محمدا نفرت منه وكان هناك ناس يحصدون فقالوا والله ان لنفرة هذه الحمر لشأنا فذهبوا الى الغار فرأوه فخرجوا من عنده فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم فقالوا هو في الغار فاخرجه وكره ان يأتي به معاوية فيخلي سبيله فضرب عنقه وكان ابن خال معاوية

﴿ ذكر ولاية قيس بن سعد مصر ﴾

وفي هذه السنة في صفر بعث علي قيس بن سعد اميرا على مصر وكان صاحب راية الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوي الرأي والبأس فقال له سر الى مصر فقد وليتكها واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك ارعب لعدوك وأعز لوليك واحسن الى المحسن واشدد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس اما قولك اخرج اليها بجند فوالله ان لم أدخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان كنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وان أردت أن تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدم ذكره فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على اهل مصر بامارته وبأمرهم بطاعته ومساعدته واعانته على الحق ثم قام قيس خطيبا وقال الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا قرية منها يقال لها خربتا فيها

القابا سلطانية فجعل لعلي سيف الدولة وللحسن ناصر الدولة واعطى سيف الدولة حلبا وما يتبعها الى آخر بلاد حمص والى حدود الموصل والى جوانب جيحان واعطى ناصر الدولة الحسن الموصل وما يتبعها وكان ناصر الدولة أكبر سنا ولكن كان سيف الدولة أعظم شانا واثقب ذهنا وكان قد صدر بين الاخوين المذكورين نوع منافسة ادت الى مناقشة فكتب سيف الدولة الى أخيه ناصر الدولة هذه الابيات يخاطبه واجاد

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
وقلت لها بيني وبين أخي قرقى
وما كان بي عنها نكول وانما
تجاوزت عن حقي فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان أكون مصليا
اذا كنت أرضى ان يكون لك السبق

(ومن غريب ما اتفق) ان ناصر الدولة ضايق مرة من معز الدولة بن بويه حين قصده بعساكر بغداد فهرب منه الى أخيه سيف الدولة المذكور ووصل الى حلب في أيام قليلة فتلقاه سيف الدولة وذكر ابن الاثير انه

نزع خف أخيه عند قدومه

يده ولقد اتسع ملك سيف الدولة حتى انه ملك دمشق في زمن كافور الاخشيدي حين كان متوليا أمور المملكة بمصر وكان سبب خروجه ماذكرناه من محادثته مع الشريف العقيقي في أمر غوطة دمشق وكان كثيرا مايغزو بلاد الكفر وله مع الدمستق الطاغي أمير النصارى وقائع وحروب وكانت حضرته محط الرحال ومنهل أرباب الكمال بحيث ان الافاضل كانوا يقصدونه من جميع الاطراف لما يجدون عنده من المكارم والالطاف وكان شاعره المتنبي الشاعر الذي لم تسمح بمثله الادوار ما دار الفلك الدوار وكان كاتبه الاميركشاجم الفاضل المشهور وكان خطيبه خطيب الخطباء ابن نباته صاحب الديوان المشهور وكان مؤدبه ابن خالويه وكان سردار ابن عمه ابو فراس الحرث صاحب النظم العجيب والشعر الغريب والمكارم الشائعة والصفات الساطعة التي تزينت بها الدفاتر وزهرها البادي والحاضر وسار صيته في الآفاق وتناقلت أحاديث فضله الرفاق فأي كتاب ماهو مزين بصفاته

ناس قد اعظموا قتل عثمان عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد بن الحرث فبعث الى قيس يدعوه الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضا بدم عثمان فأرسل اليه قيس ويحك اعلي تثب فوالله ما أحب ان لي ملك الشام الى مصر واني قتلتك فبعث اليه مسلمة اني كاف عنك مادمت وأنت والي مصر وبعث قيس وكان حازما الى اهل خربتا اني لا أكرهكم على البيعة واني كاف عنكم فهادنهم وبجي الخراج ليس أحد ينازعه وخرج امير المؤمنين الى الجمل ورجع وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية مخافة ان يقبل علي في أهل العراق وقيس في أهل مصر فيقع بينهما معاوية الى قيس سلام عليك اما بعد فانكم تقدمتم على عثمان ضربة بسوط أو شتيمة رجل أو تسيير آخر واستعمال فتى وقد علمتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا اذا فتب الى الله ياقيس فانك من المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقنا انه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت ياقيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل وتابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت مابقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز مادام لي سلطان وسلني ماشئت فالي أعطيك واكتب الي برأيك فلما جاءه الكتاب احب ان يدافعه ولا يبدي له امره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه اما بعد فقد فهمت ماذكرته من قتلة عثمان فذلك شيء لم أقاربه وذكرت ان صاحبي هو الذي اغرى به حتى قتلوه وهذا مما لم اطلع عليه وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم فأول الناس كان فيه قياما عشيرتي وأما ماعرضته من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى ان شاء الله تعالى فلما قرأ معاية كتابه رآه مقاربا مباعدا فكتب اليه اما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولا متباعدا فأعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع ويخدع للمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل والسلام فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يفيد معه المدافعة والمماطلة اظهر له مافي نفسه فكتب اليه اما بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في واستقاطك اياي أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق واهداهم سبيلا واقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ولدضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس واما قولك اني مالئ عليك مصر خيلا ورجالا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون اهم اليك انك لذو جد والسلام فلما رأى معاوية كتابه ايس منه ونقل عليه مكانه ولم تنجح حيله فيه فكاد من قبل علي فقال لاهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون مايفعل باخواننا الذين عنده من أهل خربتا يجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم وافتعل كتابا عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على أهل الشام فبلغ ذلك عليا ابلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب واعلمه عيونه بالشام فاعظمه واكبره فدعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فاعلمهم ذلك فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك الى مالا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال علي اني والله ما اصدق به فذاعنه فقال عبد الله اعزله

فان كان هذا حقا لا يعتزل لك فبينا هم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر امير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما اخوفني ان يكون ذلك مما لا تحمد عقباه فكتب اليه يأمره بقتالهم فلما قرأ الكتاب كتب جوابه اما بعد فقد عجبت لامرك اياي بقتال قوم كافين عنك مقرين بعيك اعدوك وعدو حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا امير المؤمنين واكفف عنهم فان الرأي تركهم والسلام فلما قرأ على الكتاب قال ابن جعفر يا امير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر واعزل قيسا فقد بلغني ان قيسا يقول ان سلطانا لا يستقيم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء وكان ابن جعفر اخا محمد بن أبي بكر لامه فبعث على محمد بن أبي بكر الى مصر وقيل بعث الاشتر النخعي فمات بالطريق فبعث محمدا فقدم محمد على قيس بمصر فقال له قيس مابال أمير المؤمنين ماغيره أدخل أحدا بيني وبينه قال لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم وخرج منها مقبلا الى المدينة وهو غضبان لعزله فجاءه حسان بن ثابت وكان عثمانيا يشتمت به فقال له قتلت عثمان ونزعك على فبقي عليك الاثم ولم يحسن ذلك الشكر فقال له قيس يا اعمى القلب والبصر والله لو ألقى بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عني ثم اخاف مروان بن الحكم قيسا بالمدينة فخرج منها هو ومسهل بن حنيف الى علي فشهدا معه صفين فكتب معاوية الى مروان يتغيظ عليه ويقول له لو امددت عليا بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه فلما قدم قيس على علي وأخبره الخبر علم انه كان يقاسي امورا عظاما من المكايدة وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر فعظم محل قيس عنده واطاعه في الامر كله ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب علي على أهل مصر ثم قام فخطب فقال الحمد لله الذي هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم كثيرا مما كان عمي عنه الجاهلون الا ان أمير المؤمنين ولاني أمركم وعهد الي ما سمعتم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ماترون من امارتي واعمالي طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادي له وان رأيتم عاملا لي عمل بغير الحق فارفعوه الي وعاتبوني فيه فاني بذلك اسعد وأنتم جديرون وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل وابث شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعوهم قيس فقال لهم اما ان تدخلوا في طاعتنا وأما ان تخرجوا عن بلادنا فأجابوه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمرنا فلا نعجل لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد فلما رجع علي عن معاوية وصار الامر الى التحكيم طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة فبعث محمد الحرث بن جمهان الجعفي الى أهل خربتا وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة ومن معه فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه فبعث محمد اليهم ايضا ابن مضاهم الكلبي فقتلوه وقد قيل انه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها فانها مما لا يحتمل سماعها العامة * وفيها اقدم ابرازين مرزبان مرو الى علي بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له كتابا الى دهاقين مرو والاساورة ومن بمرو ثم انهم كفروا واغلقوا نيسابور فبعث علي خليد بن قرة وقيل ابن طريف اليربوعي الى خراسان

(ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له)

قيل كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة قبل أن يقتل عثمان نحو فلسطين وسبب ذلك انه

وأي دفتر ماهو مطيب
بمحاسن سماته وغالب شعر
المتنبي في مدائحه العالية
وفي ذكر محاسنه الغالية
وهو القائل فيه

لا تطلبن كريما بعد رؤيته
ان الكرام بأسخاهم يدا اختتموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره
قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

واستمر سيف الدولة يجاهد في الله حق جهاده ويسعى في دين الاسلام بما يقربه في معاده ولقد اسر ابن عمه الامير الكبير صاحب القدر الرفيع الخطير الفاضل الشجاع الواصل الى مرتبة الاختراع والابداع الامير أبو فراس وكان حبسه في حصن خرشنة وهو من الحصون المنيعة والقلاع الرفيعة فضايقة من حبسه اشد المضايقة فأرسل الى امه وكانت مقيمة بمدينة منبج أن تذهب الى الملك سيف الدولة الى حلب وتطلب منه ان يرسل الى ملك النصارى ليفديه فذهبت اليه فردها وقال لها ولدك ابن عمي وخال أولادي ولكن انا عجزت وأنا أنصحه انه لا ينزل بنفسه الى الميدان عند وقوع الحرب لانه أمير سردار وليس للسردار شجاعة الا بثباته تحت علمه

لما احيط بعثمان قال يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل الاضربه الله بذل من لم يستطع نصره فليهرب فسار وقيل غير ذلك وقد تقدم وسار معه ابناه عبد الله ومحمد فسكن فلسطين فمر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل فما الخبر قال تركت عثمان محصورا ثم مر به راكب آخر بعد ايام فقال له عمرو ما اسمك قال قتال قال قتل الرجل فما الخبر قال قتل عثمان ولم يكن شئ الى ان سرت ثم مر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حرب قال عمرو ليكون حرب وقال له ما الخبر فقال بايع الناس عليا فقال سلم بن زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا بابا غيره فقال عمرو ذلك الذى نريده ثم ارتحل عمرو راجلا معه ابناه يبكى كما تبكى المرأة وهو يقول واعثماناه انهى الحياء والدين حتى قدم دمشق وكان قد علم الذى يكون فعمل عليه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه الى عمان فسمع من خبرها لك شيأ عرف به صدقه فسأله عن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومن يكون بعده فاخبره بأبى بكر وان مدته قصيرة ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا قال ذلك أشر ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ثم يقتل قبل ان يجتمع الناس عليه ثم يلى بعده امير الارض المقدسة فيطول ملكه وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت وقيل ان عمرا لما بلغه قتل عثمان قال أنا ابو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادى السباع ان يل هذا الامر طلحة فهو فتى العرب سيبا وان يله ابن أبى طالب فهو أكرم من يليه الى فبلغه بيعة على فاشتد عليه واقام ينتظر ما يصنع الناس فاتاه مسير عائشة وطلحة والزبير فاقام ينتظر ما يصنعون فأتاه الخبر بوقعة الجمل فارتج عليه أمره فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه بعظم شأن عثمان وكان معاوية أحب اليه من على فدعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما وقال ما تريان اما على فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشرك فى شئ من أمره فقال له ابنه عبد الله توفى النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فأرى أن تكف يدك وتجلس فى بيتك حتى يجتمع الناس وقال له ابنه محمد أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى ان يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صوت فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى وأما أنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى وشر لى فى آخرتى ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد اهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان وقال عمرو أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت اليه فقال لعمرو وابناه الا ترى معاوية لا يلتفت الينا فانصرف الى غيزه فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لاجب لك انى أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنى ان قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان فى النفس ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا انما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

﴿ ذكر ابتداء وقعة صفين ﴾

لما عاد على من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير بن عبد الله البجلى وكان عاملا على همذان استعمله عثمان والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان استعمله عثمان أيضا يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد على ان يرسل رسولا

وقد فديته قبل هذه مرتين
فلما رجعت الى منبج أرسلت
الى ولدها مكتوبا تذكر له
فيه ان الملك ردها فكتبت
اليه ما قال لها من النصيحة
فكتب الامير ابو فراس من
حصن خرشنه وهو فى الاسر
قصيدة لا نظير لها يخاطب
سيف الدولة ويعاتبه على
رد امه بغير اجابة الى الفداء
ويذكر القاءه نفسه فى رضاه
الى الردى فقال

يا حسرة ما أكاد أحملها
اخرها من عجز وأولها
حزينة بالشآم مفردة
بات بايدى العدا معللها
تسأل عنه الركبان جاهدة
بأدمع ما تكاد تهملها
يا من رأى لى بحصن خرشنة
اسدا تمرى فى القيود أرجلها
يا من رأى للدروب شامخة
دون لقاء الحبيب اطولها
بأى عذر رددت والهة
عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها
ينتظر الناس كيف تقفلها
سمعت منى بهجة كرمت
أنت على بأسها مؤملها
ان كنت لا تبذل الفداء لها
فلم أزل فى هوالك ابذلها

وهى قصيدة طويلة محاسنها جمة شاملة جليلة وأرسل الى امه مكتوبا يقول فيه

الى معاوية قال جرير أرسلني اليه فانه لي ودفقال الاشتر لاتفعل فان هواه مع معاوية فقال على دعه حتى تنظر ما الذي يرجع اليه فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا فاشار عليه ان يجمع أهل الشام ويلزم على دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوبا بالدم بأصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشئ من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الايتادا اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والاصابع معلقة فيه واقسم رجال من اهل الشام ان لا يمسهم الماء الا للغسل من الجنابة وان لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه فلما عاد جرير الى امير المؤمنين على واخبره خبر معاوية واجتمع أهل الشام معه على قتاله وانهم يكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه قال الاشتر لعلي قد كنت نهيتك ان ترسل جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت أرسلتني لكان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا ينرجو فتحه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان فقال الاشتر والله لو أتيتهم لم يعنني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك واشباهك حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير الى قرقيسيا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وقيل كان الذي حمل معاوية على رد جرير البجلي غير مقضي الحاجة شرحبيل بن السمط الكندي وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيره عمر بن الخطاب الى العراق الى سعد ابن أبي وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربه فحسده الاشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما فوفد جرير البجلي على عمر فقال له الاشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر ففعل فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس فاحسن الثناء على سعد فقال وقد قال شعرا

الا ليتني والمرء سعد بن مالك * وزبراوابن السمط في لجة البحر

فيغرق أصحابي وأخرج سالما * على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر الى سعد يأمره بارساله زبرا وشرحبيلا اليه فأرسلهما فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا الى الشام فشرف وتقدم وكان أبوه السمط من غزاة الشام فلما قدم جرير بكتاب علي الى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه اخبره معاوية بما قدم فيه جرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فاعترلنا فانصرف جرير فقال البجاشي

شرحبيل ما السدين فارقت امرنا * ولكن لبغض المالكي جرير

وقولك ما قد قلت عن أمر اشعث * فاصبحت كالحادي بغير بعير

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك فنسب الى جده مالك وخرج على فعسكر بالنخيلة وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة منهم مرة الهمداني ومسروق أخذا اعطياتهما وقصدا قزوين فاما

لولا العجوز بمنبج
ما خفت اسباب المنية
ولكان لي عما قصد
ت من الفداء نفس أبيه
لكن أردت مرادها
ولو انجذبت الى الدنيه
يا أمتا لا تحزني
لله أطاف خفيه

ثم بعد ذلك أرسل اليه وفداه واستقبله وتلقاه ولد سيف الدولة في سنة ثلاث وثلثمائة ومات في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن عند امه بميافارقين وتولى الملك بعده ولده (سعد الدولة ابو المعالي) وسعد الدولة هذا هو ابن اخت أبي فراس المذكور واتفق ان ابا فراس المذكور كان عند سيف الدولة واليا على حمص فرام بعد موت الملك ان يستقل بملك حمص فأرسل اليه ابن اخته سعد الدولة يقول له يا خال أعط حمص لنائبنا فرغويه فامتنع من تسليمها فقاتله عند صدد ومرين فانكسر عسكر أبي فراس وقتل في ذلك المكان واستمرت جثته ثلاثة أيام ملقاة في البرية حتى جاء بعض الاعراب وراها واستمر سعد الدولة والي الى ان مكان أبيه نحو عشرة اعوام ولما مات ناصر الدولة الحسن أخو سيف الدولة

مسروق فانه كان يستغفر الله من تخلفه عن علي بصفين وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرا فقال اما اذ سار علي فسر اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك فتجهز معاوية وتجهز الناس وضمهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وناوأوا حدهم وأهل البصرة مخالفون لعلي بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار علي في شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم ولعمر الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم ان تطلوه وكتب معاوية الى أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان وعقد على لواء لغلامه قنبر فقال عمرو

هل بغنين وردان عني قنبرا * أو تغني السكون عني حميرا
* اذا الكماة لبسوا السنورا *

فبلغ ذلك عليا فقال

لاصبحن العاصي بن العاصي * سبعين ألفا عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بالقلاص * مستحقبين حلق الدلاص

فلما سمع معاوية ذلك قال ما أرى عليا الا وقد وفى لك وسار معاوية وتأنى في مسيره فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث اليه يقول

ألا ابلغ معاوية بن حرب * فانك من أخي ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى * تهذر في دمشق فما تريم
وانك والكتاب الى علي * كدابغة وقد حلم الاديم
يمنيك الامارة كل ركب * لانقاض العراق بها رسيم
وليس أخو الترات بمن تولى * ولكن طالب الترة الغشوم
ولو كنت القتيل وكان حيا * لجرد لا ألف ولا غشوم
ولا نكل عن الاوتار حتى * يغيبها ولا برم جثوم
وقومك بالمدينة قد أبيروا * فهم صرعى كانهم الهشيم

فكتب اليه معاوية

ومستنجب عما يرى من أناتنا * ولو زينته الحرب لم يترمرم

وبعث على زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف وبعث مع شريح بن هانئ أربعة آلاف وسار علي من النخيلة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي ولما سار علي كان معه نابغة بن جعدة فخذله يوما فقال

قد علم المصران والعراق * ان عليا فحلها العتاق
ابيض جحاج له رواق * ان الاولى جاروك لا افاقوا
ليكم سباق ولهم سباق * قد علمت ذاكم الرفاق

ووجه على من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره ان يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة قال لاهلها اليعملوا له جسرا يعبر عليه الى الشام فأبوا وكانوا قد

بديار الموصل توفي بعده ولده (أبو تغلب) فقتل وتولى مكانه أخوه (الفضفور) ابن ناصر الدولة وصدر لابي تغلب المذكور مع الملك عضد الدولة بن بويه قصة عجيبة ومضافات غريبة اوجبت انكسار عسكر ابي تغلب وانتصار عضد الدولة فأرسل أبو تغلب الى عضد الدولة مكتوبا يلتمس منه العفو والصفح عنه فقال في ذلك عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه
يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلاركبن عزيمة عضدية
تدع الاتوف مدى الزمان رواغما

وذكر ابن خلكان أن سيف الدولة جمع لنفسه من غبار الجهاد مع الكفار كثيرا وصيره لبنة وأوصى ان توضع في قبره تحت خده ففعلوا به ذلك واستولى بنو حمدان في بلاد حلب والجزيرة وبلاد الموصل ما يقرب من سبعين سنة ولسيف الدولة شعر لطيف جدا فمن ذلك انه قال يوما هذا البيت مفردا للقاضي تعله * قدمي لم تحله

ضموا سفنهم اليهم فمضى من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الاشتر فناداهم الاشتر وقال اقسم بالله ان لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمير المؤمنين لاجردن فيكم السيف ولا قتلن الرجال ولا خذن الاموال فلقى بعضهم بعضا وقالوا انه الاشتر وانه قد ان يئى لكم بما حلف عليه أو يأتى بأكثر منه فنصبوا له جسرا وعبر عليه على وأصحابه وازدحموا عليه فسقطت قلنسوة عبد الله بن ابى الحصين الازدى فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الازدى فنزل فأخذها ثم قال لصاحبه

فان يك ظن الزاجرى الطير صادقا ٭ كما زعموا أقتل وشيكا ويقتل

فقال ابن ابى الحصين ما شئ أحب الى مما ذكرت فقتلا جميعا بصفين ولما بلغ على الفرات دعا زياد ابن النضر الحارثى وشريح بن هانئ فسرحهما امامه فى اثنى عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التى خرجا عليها من الكوفة وكان سبب عودهما اليه انهما حيث سيرهما على من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلى البر فلما بلغا عانات بلغهما ان معاوية قد أقبل فى جنود الشام فقالا لا والله ما هذا النابر أى نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين هذا البحر ومالنا خير فى ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها فرجعوا فعبروا من هيت فلحقوا عليا دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا قال ما قدمتى تأتينى من ورائى فأخبره شريح وزياد بما كان فقال سددتما فلما عبر الفرات سيرهما امامه فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمى فى جند من اهل الشام فأرسلا الى على فاعلماه فأرسل على الى الاشتر وأمره بالسرعة وقال له اذا قدمت فأنت عليهم واياك أن تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا ولا تدنن منهم دنوا من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعدا من يهاب البأس حتى أقدم عليك فانى حيث المسير فى اثرك ان شاء الله تعالى وكتب على الى شريح وزياد بذلك وامرهما باطاعة الاشتر فسار الاشتر حتى قدم عليهم واتبع ما امره وكف عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتى كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمى فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام وخرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه ابو الاعور فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر وقال ارونى اباالاعور وتراجعوا ووقف ابو الاعور وراء المكان الذى كان فيه اول مرة وجاء الاشتر فصف اصحابه بمكان ابى الاعور بالامس فقال الاشتر لسفيان بن مالك النخعى انطلق الى ابى الاعور فادعه الى البراز فقال الى مبارزتى أو مبارزتك فقال الاشتر لو أمرتك بمبارزته لفعلت قال نعم والله لو أمرنى ان اعترض صفهم بسيفى لفعلت فدعاله وقال انما ندعوه لمبارزتى فخرج اليهم فقال أمنونى فانى رسول فأمنوه فانتهى الى أبى الاعور وقال له ان الاشتر يدعوك الى أن تبارزه فسكت طويلا ثم قال ان خفة الاشتر وسوء رأيه حملا على اجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى ان سار اليه فى داره حتى قتله فأصبح متبعا به ما لاحاجة لى فى مبارزته قال له الرسول قد قلت فاسمع منى اجبك قال لا حاجة لى فى جوابك اذهب فمضى فصاح به اصحابه فانصرف عنه ورجع الى الاشتر فأخبره فقال لنفسه نظر فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد الشاميون من الليل

وطلب من الاميرابى فراس ان يجيزه فقال ارتجالا

أنت للرق مالك
فملك الامر كله
فاعطاه لذلك منبج اقطاعا

وله فى تشبيه قوس قزح وأجاد الى الغاية

كذيال خود أنبلت فى غلائل
مصبغة والبعض اقصر من بعض

وكان بنو حمدان شيعة لكن كان تشيعهم خفيفا ولم يكونوا كبنى بويه فان بنى بويه كانوا فى غاية القباحة سبابين ومن أراد استقصاء اخبار ملوك بنى حمدان فلينظر الى يتيمة الدهر للثعالبى والله تعالى اعلم * وفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة مات انوجور فأقام كافور أخاه (عليا) مكانه فتوفى وهو صغير واستقل (كافور الاخشيدى) بالمملكة يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجازية فأقام سنتين وأربعة اشهر ومات بمصر فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة قال الذهبى كان كافور عبدا حبشيا خصيا اشتراه الاخشيد بثمانية عشر دينارا ثم تقدم عنده لعقله ورأيه ولم يبلغ احد من الخصيان ما بلغ كافور قال ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوى كنت اساير نوريا يوما وهو فى موكب

واصبح على تعدوة عند الاشتر وتقدم الاشتر ومن معه فانتهى الى معاوية فواقفه ولحق بهم على فتواقفوا طويلا ثم ان عليا طاب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات وليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها فى حيزه وبعث عليها ابا الاعور السلمى بخيله ورجله وامنعها فطلب اصحاب على شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فدعا صعصعة بن صوحان فارسله الى معاوية يقول له انا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل ان نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمناله فان اردت أن نترك ما جئناله ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان اقتلهم عطشا قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء وانهم لم يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فاعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن ابى سرح لم يشهدا صفين فرجع صعصعة فاخبر بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رأيى فسرب الخيل الى ابى الاعور فامنعهم الماء فلما سمع على ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الاشعث ابن قيس الكندى انا امير اليهم فسار اليهم فلما دنوا منهم ثاروا فى وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وأرسل معاوية يزيد بن اسد البجلى القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى فى الخيل الى أبى الاعور فاقبلوا فأرسل على شبث ابن ربعى الرياحى فازداد القتال فأرسل معاوية عمرو بن العاص فى جند كثير فأخذ يمد أبا الاعور ويزيد بن اسد وأرسل على الاشتر فى جمع عظيم وجعل يمد الاشعث وسبثا فاشتد القتال فقال عبد الله بن عوف الازدى الاحمرى

خلوا لنا ماء الفرات الجارى * أو اثبتوا لجحفل جرار
لكل قوم مسقيت شارى * مطاعن برمحه كرار
ضراب هامات العدى مغوار * لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى ايدى أصحاب على فقالوا والله لا نسقيه أهل الشام فأرسل على الى أصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم وبغيهم وظلمهم ومكث على يومين لا يرسل اليهم أحدا ولا يأتيه أحد ثم ان عليا دعا اباعمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصارى وسعيد بن قيس الهمذانى وشبث بن ربعى التميمى فقال لهم ائتوا هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شبث يا أمير المؤمنين أ لا تطمعه فى سلطان توليه اياه او منزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا فى أول ذى الحجة فأتوه فدخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الانصارى فحمد الله وأثنى عليه وقال

فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول وأخذتها من الارض وناولتها له فقال ايها الشريف اعوذ بالله ومن بلوغ الغاية ما ظننت ان لزمان يبلغنى حتى يفعل بى هذا فكاد يبكى فلما بلغ باب داره ودعته وسرت فاذا بالبغال والنجائب بمراكبها وقال أصحابه أمر كافور بحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر ألف دينار (وذكر ابن الاثير) فى تاريخه ان كافورا كان يوما سائرا بمصر فى موكب عظيم ومعه الشريف بن طباطبا العلوى فنزل كافور عن فرسه ووقف الموكب من خلفه وقد امه وسجد لله تعالى على الارض فى السوق ثم ركب على فرسه وسار فسأله الشريف عن ذلك فقال قد علمت انه لا يسألنى عن هذه المسئلة غيرك كنت فى مبدأ أمرى أمر من هذا السوق وارى فى هذا المكان دكان هريسة وكنت اشتهيها ولا اقدر على ذلك فكنت اقنع بالشم واكتفى به ولما من الله على بهذه السلطنة العظيمة عزمت على شكر الله تعالى وكلما كثرت النعم وجب الشكر بمقدارها اردت ان يشيع عنى الشكر بمقدار شيوعها ونازعتنى نفسى فى ذلك عدة مواكب

يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها بينها فقطع عليه معاوية الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرو ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم قال فاذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لا والله لا أفعل ذلك ابدا قال فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاوية قد فهمت ماردت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ماتطلب انك لم تجد شيأ تستغوى به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخاص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى اصبحت تطلب وربّ متمنّ أمرا وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى امنيته وفوق امنيته ووالله مالك فى واحدة منهما خير والله ان أخطأك ماترجو انك لشر العرب حالا ولئن اصبت ماتتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ماأنت عليه ولا تنازع الامر أهله قال فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فان أقول ماعرفت به سفهك وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابى الجلف الجافى فى كل ماذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فليس بينى وبينكم الا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبث بن ربعى لتهول بالسيف اقسم بالله لنجعلنها اليك فأتوا عليا فأخبروه بذلك فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج اليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة فيقتتلان فى خيلهما ثم ينصرفان وكرهوا ان يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا ان يكون فيه من الاستئصال والهلاك فكان على يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدى الكندى ومرة شبث بن ربعى ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثى ومرة زياد بن خصفة التيمى ومرة سعيد بن قيس الهمدانى ومرة معقل بن قيس الرياحى ومرة قيس بن سعد الانصارى وكان الاشتر أكثرهم خروجا وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وابا الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وابن ذى الكلاع الحميرى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندى وحمزة بن مالك الهمدانى فاقتتلوا ايام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتال اباه صفوان وسعيد مع على بصفين بوصية أبيهما وقيل مات سنة خمس وثلاثين والاول أصح وفيها مات سلمان الفارسى فى قول بعضهم وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا اقل ماقيل فيه وقيل ثلثمائة وخمسون سنة وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه السلام وعبد الله بن سعد بن ابى سرح مات بعسقلان حيث خرج مع معاوية الى صفين وكره الخروج معه ومات فيها عبد الرحمن بن عديس

وكانت تغلبنى وتمنعنى من ذلك واليوم غلبت انا نفسى وأديت الشكر لله تعالى ولما مات كانور وقع الخلف فيمن ينصب بعده واتفقوا على نصب (أبى الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد) وخطب له وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فأقام شهورا حتى أتى جوهر القائد من الغرب فانتزعها منه فكان جملة الدولة الاخشيدية نحو خمس وثلاثين سنة

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر بنى مرداويج الديلمى ملوك جرجان الممارسين معركة الابطال والشجعان ﴾

ذكر صاحب السلوك فى دول الملوك فى أصل الديلم ان ياسل بن ضبه بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضبا لابيه فوقع فى أرض الديلم فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلم بن ياسل فهو ابو الديلم كلهم وهم الخاذ وعشائر وكانوا مجوسا لم ينقادوا الى ملة فأسلم بعضهم وأول من ظهر منهم (ابو الحجاج مرداويج ابن زياد الديلمى) فقوى امره وعظمت جيوشه واستولى على بلاد الجبل والرى وأتته الديلم من كل ناحية واتخذ له سريرا من الذهب وتاجا مرصعا

البلوى امير القادمين من مصر لقتل عثمان وكان ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل بل قتل بالشام وفيها مات قدامة بن مظعون الجمحى وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وفيها توفى عمرو بن ابى عمرو بن ضبة الفهرى ابو شداد شهد بدرا وفيها استعمل على الرى يزيد بن حجية التيمى تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه على يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال أين ما غللته من المال قال ما اخذت شيأ فخفقه بالدرة خفقات وحبسه وركل به سعدا مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فوثب معاوية المال فكان ينال من على وبقى بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه الرى فقيل انه شهد مع على الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه الرى وهو الصحيح فكان ما تقدم ذكره

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

(ذكر قتلة امر صفين)

فى هذه السنة فى المحرم منها جرت موادعة بين على ومعاوية تواد عا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضى المحرم طمعا فى الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبى وشبث بن ربعى وزياد بن خصفة فتكلم عدى بن حاتم فحمد الله وقال اما بعد فانا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين ان ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها فى الاسلام أثرا وقد استجمع له الناس ولم يبق احد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كانك انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدى كلا والله انى لابن حرب لا يقعقع له بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته وانى لارجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال له شبث وزياد بن خصفة جوابا واحدا أتيناك فيما يصلحنا واياك فاقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ينفع وأجبنا فيما ينفعه وقال يزيد بن قيس انا لم نأت الا لنبلغك ما أرسلنا به اليك ونؤدى عنك ما سمعناه منك وان ندع ان ننصح لك وأن نذكرك ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الالفة والجماعة ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله ما رأينا فى الناس رجلا قط اعمل بالتقوى ولا أزهد فى الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية ثم قال اما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التى دعوتم اليها فنحن اهلها وأما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها الان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شبث بن ربعى أيسرك يا معاوية ان تقتل عمارا فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذى لا اله غيره لا تصل الى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية الى زياد بن خصفة فخلا به وقال له يا اخا ربيعة ان عليا قطع أرحامنا وقتل امامنا وآوى قتلة صاحبنا وانى اسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه انى اوليك اذا ظهرت أى المصرين احببت فقال زياد اما بعد فانى على بينة من ربى وما أنتم الله على فان أكن ظهيرا للعجز من وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص ليس نكلم

رجلا

باالجوهر واصطنع كراسى فضة نخلواصه ولا يزل تزداد شوكته وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة استولى على جرجان وكتب ابو مسلم الكاتب الاصفهانى بذلك يعلم الخليفة اترى نارا تأجج من بعيد لهافى كل ناحية شعاع واستولى على قزوين وهمذان ودينور وقم وكاشان واصفهان وطبرستان واستولى على بقية بلاد الجبل وذهب البلاد الى ان وصل الى حلوان ، وفى سنة تسع عشرة وثلثمائة ارسل المقتدر بالله العباسى العساكر فغلبهم مرداويج وكان جبارا متكبرا ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة دخل الجمام فهجم عليه جماعة فقتلوه وتولى مكانه أخوه (وشمكير بن زياد) مدة فوقع بينه وبين ملوك الاطراف حروب كثيرة توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة وسببه انه كان يخرج للصيد فصاد فهه خنزير مجروح فهجم عليه فقام فرسه ورماه فقتله وتولى مكانه ولده (بيتون بن شمكير) مدة وتوفى فى سنة ست وستين وثلثمائة وتولى مكانه اخوه (قابوس) بن وشمكير وكان عالما فاضلا شاعرا وكان قابوس هذا حسن الخط الى الغاية حتى

ان الصاحب بن عباد كان يقول عند رؤيته هذا خط قابوس ام جناح الطاوس

وينشد قول المتنبي

من خطه في كل قلب شهوة
حتى كأن مداده الاهواء

فاستقر الى ان غضب عليه عضد الدولة واخرجه من الملك فتوجه الى خراسان وبقي معزولا عند بني سامان ثماني عشرة سنة ثم تولى بعده جرجان وطبرستان ومازندران وكيلان خمس عشرة سنة ومن نظمه

قل للذي يصروف الدهر عيرنا
هل عائد الدهر الا من له خطر

اما ترى البحر يعلو فوقه جيف
ويستقر باقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم ما لها عدد
وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومما انشدنيه بلفظه لنفسه في أواخر رجب الفرد سنة تسع بعد الالف الاستاذ البارع الكامل المولى العالم الفاضل فريد دهره ووحيد عصره العلامة البدري مولانا الشيخ حسن البوريني لازالت شموس علومه ساطعة وبدور فهومه طالعة تتدره حيث قال

صبرا على نوب الزمان فانها
مخلوقة لنكاية الاحرار

لا يكسف النجم الحقير وانما
يسري الكسوف لغرة الاقمار

وكان قابوس صاحب نف

رجلا منهم فيجيب الى خير ما قلوجهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فحمد الله حبيب واثنى عليه ثم قال اما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله ويجيب الى امره فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم اعتزل امر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمعوا عليه فقال له علي ما أنت لا ام لك والعزل وهذا الامر اسكت است هنالك ولا اباه لك فقال والله لترينني بحيث تكره فقال له علي وما أنت لا ابا لك عليك ان ابقيت علينا اذهب فتوب وصعد منابر الله وقال شرحبيل ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا فقال علي ليس عندي جواب غيره ثم حمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فانقذ به من الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله اليه فاستخلف الناس أبا بكر واستخلف ابو بكر عمر فاحسنا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الامور ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما وولي الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا اليه فقتلوه ثم اتاني الناس فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق بن طليق حزب من الاحزاب لم يزل حربا لله ولرسوله هو وأبوه حتى دخلا في الاسلام كارهين ولا يعجب الا من اختلافكم معه وانقيادكم له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم الا اني أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه واماتة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين فقالا لنشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال لهما لا أقول انه قتل مظلوما ولا ظالما فالا فمن لم يزعم انه قتل مظلوما فنحن منه برآء وانصرفا فقال عليه السلام انك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم اجد منكم في الجد في حقكم وطاعة ربكم فتنازع عامر بن قيس الحذمري ثم الطائي وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصفين وكانت حذم أكثر من بني عدي وهط حاتم فقال عبد الله بن خليفة البولاني عند علي يا بني حذم أعلى عدي تثوبون وهل فيكم وفي ابائكم مثل عدي وابيه البس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية اليس ابن ذي المرباع وابن جواد العرب وابن المنهب ماله ومانع جاره ومن لم يغدر ولم يفجر ولم يبخل ولم يمن ولم يجبن هاتوا في آبائكم مثل ابيه أو فيكم مثله البس أفضلكم في الاسلام ووافدكم الى النبي صلى الله عليه وسلم البر برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء ويوم نهاوند ويوم تستر فقال علي حسبك يا ابن خليفة وقال علي لتحضر جماعة طيء فأتوه فقال من كان رأسكم في هذه المواطن قالوا عدي فقال ابن خليفة سلهم يا امير المؤمنين البسوا راضين برياسة عدي ففعل فقالوا بلى فقال علي فعدي احقكم بالراية وأخذها فلما كان ايام حجر بن عدي طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر فسار الى الجبلين ووعده عدي ان يردّه وان يسأل فيه فطال عليه ذلك فقال شعرا منه

انسي بلاني سادرا يابن حاتم ٭ عشية ما أغنت عديك حذمرا

قد افعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت اذا الخصم الالد العذورا
فولوا وما قاموا مقامى كانما * رأونى لبثا بالاباآت مخدرا
نصرتك اذ خام القريب وابعد الـ * ـبعيد وقد أفردت نصرا مؤزرا
فكان جزائى ان أجررت بينكم * سجيبا وان اولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لى منك أنك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا

وسترد قصته بتمامها ان شاء الله تعالى فلما انسلخ المحرم امر على منادياً فنادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا الى الحق وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فاجتمع أهل الشام الى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل أمير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فانتم بحمد الله على حجة وتركهم قتالهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيأ من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وان شتمن اعراضكم وسبين امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه فى كل موطن وحرض أصحابه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا الابصار واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة والمناضلة والمعانقة والمكادمة والملازمة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الههم الصبر وأنزل عليهم النصر واعظم لهم الاجر واصبح على مجعل على خيل الكوفة الاشتر وعلى جند البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة المرقال معه الراية وجعل معبر بن فدكى على قراء الكوفة وأهل البصرة وبعث معاوية على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى وعلى ميسرته حبيب ابن مسلمة الفهرى وعلى مقدمته ابا الاعور السلمى وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المرى وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا اول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الاشتر وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا يومهم قتالا شديدا معظم النهار ثم تراجعوا وقد انصف بعضهم من بعض ثم خرج اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل ورجال وخرج اليه من أهل الشام ابو الاعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج اليه عمرو بن العاص فاقتتلوا اشد قتال وقال عمار يا اهل العراق انريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يعز دينه ويظهر رسوله اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض النبى صلى الله عليه وسلم فوالله ان زال بعده معروفا بعداوة المسلم واتباع المجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل احمل على أهل الشام فحمل وقاتله الناس وصبروا له وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص

وتجبر فخلعه عساكره وولوا مكانه ولده (فلك المعالى منوجهر) وانقطع هو فى عبادة ربه فلما توفى فى سنة عشرين وأربعمائة تولى مكانه ولده (أنوشروان شاه) ولم يتم حاله حتى استولى على الملك السلطان محمود ابن سبكتكين وكان آخر العهد بهم وقد انقرضت دولتهم والله اعلم

(الباب الثانى والثلاثون فى ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الاخلاق)

ذكر أصحاب التاريخ أن بويه كان رجلا صعلوكا من الديلم وكنيته أبو شجاع ابن فنا خسرو بن تمام وكان قرب الديلم فقيرا يصيد السمك وكان ينتسب الى الفرس ويزعم ان جده بهرام جور أحد ملوك الاكاسرة ثم ان بويه رأى فى منامه كانه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فقصه على منجم فقال له يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض فمضت السنون وولد له خمسة أولاد مات الاثنان وبقى ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه وهو أكبرهم

عن موضعه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لامه واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس وخرج من الغد محمد بن علي وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا أشد القتال وأرسل عبيد الله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليه فرك على دابته وردّ ابنه وبرز علي الى عبيد الله فرجع عبيد الله وقال محمد لابيه لو تركتني لرجوت قتله وقال يا أمير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله اني لارغب بك عن أبيه فقال علي يا بني لا تقل في أبيه الا خيرا وتراجع الناس وخرج عبد الله بن عباس اليوم الخامس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا فسب الوليد بني عبد المطلب فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شديدا وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الانصاري وخرج اليه ابن ذي الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الاشتر وخرج اليه حبيب فاقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند الظهر ثم ان عليا قال حتى متى لا ناهض هؤلاء القوم بأجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء خطيبا فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الامة في شيء ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد سابقنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء جعل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة دار القرار ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الا وانكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام واكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين فقام القوم يصلحون سلاحهم فمر بهم كعب بن جعيل فقال

أصبحت الامة في أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تملك اعلام العرب

وعبي على الناس ليلته حتى الصباح وزحف بالناس وخرج اليه معاوية في أهل الشام فسأل علي عن القبائل من أهل الشام فعرف مواقفهم فقال للازد أكفونا الازد وقال لخثعم اكفونا خثعم وأمر كل قبيلة ان تكفيه اختها من الشام الا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى من الشام ليس بالعراق منهم احد مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم الا القليل صرفهم الى لخم فتناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب فلما كان يوم الخميس صلى علي بغلس وخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهم وزحفوا معه وكان على ميمنة علي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلي في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة وأكثر من معه من أهل المدينة الانصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من أهل المدينة وزحف اليهم ورفع معاوية قبة عظيمة فالتقى عليها الشباب وبايعه أكثر أهل الشام على الموت وأحاط بقبته خيل دمشق وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في ميسرة معاوية فلم يزل

وركن الدولة ابو علي الحسن ومعز الدولة ابو الحسين أحمد وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فملكوا العراقين والاهواز وفارس وساسوا امور الرعية احسن السياسة وهم خمسة عشر نفرا ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة وكان مبدا ظهورهم في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله العباسي وذلك ان عماد الدولة سار الى مرداويج فأقبل عليه وقلده امارة الكرخ فاحسن السيرة فافتتح قلاعا ظفر منها بذخائر كثيرة فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس وعظم في أعينهم لانه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف وبعث أخاه ركن الدولة فأخذ كازرون ثم ملك شيراز وفارس فعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف فقام مرداويج وقعد فقدر الله قتله على يد غلمانه فسار أكثر جنده اليه واستولى على بغداد نهار السبت حادي عشر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ونهبوا دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء واقام الخليفة المطيع لله ولم يجعل له أمرا ولا نهيا

يحوزه ويكشف خيله حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وحرض عبد الله بن بديل أصحابه فقال ألا ان معاوية ادعى مالیس له ونازع الحق اهله وعائد من ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب الذين قد زين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة وابس عليهم الامر وزاد هم رجسا الى رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وحرض على أصحابه فقال في كلام له تسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في الاطراف فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلب وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل عليكم النصر وقام يزيد بن قيس الارحبي يحرض الناس فقال ان المسلم من سلم في دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلونا على اقامة دين ضيعناه واحياء حق امتناه ان يقاتلونا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها لو كافلو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهورا ولا سرورا الزموكم مثل سعيد والوليد وابن عامر الضبي الضال يجيز أحدهم بمثل دينه ودية أبيه وجده في جلسة ثم يقول هذا لي ولا اثم علي كأنما اعطى تراثه عن أبيه وامه وانما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم والله ما ازدادوا الى يومهم الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى الى قبة معاوية وأقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لابن بديل في الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين او ثلثمائة من القراء قد استند بعضهم الى بعض وانجفل الناس وأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى اوقفتهم في الميمنة وكان فيما بين الميمنة الى موقف علي في القلب اهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى علي فانصرف على يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد بنو علي معه حين قصد الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه فمر به فبصر به أحمر مولى ابي سفيان او عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر فأخذ علي بجيب درع احمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الارض فكسر منكبيه وعضده ودنا منه أهل الشام فازاده قربهم الا اسراعا فقال له ابنه الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من أصحابك فقال يا بني ان لابيك يوما لا يعدوه ولا يطيق به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان أبالك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكترث لما فيه الناس ان هذه الرايات فالوا رايات ربيعة قال بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبت اقدامهم وقال للحصين بن المنذر يا فتى الاتدنى رايتك هذه ذرا عا قال بلى والله وعشرا أذرع

ولم يبق بيده الا ما لا يقوم ببعض حاجته فلما البصرة والموصل وتمام البلاد فولى امرة بغداد لاخيه معز الدولة وعين لركن الدولة امارة اصفهان وهو اقام بمدينة شيراز (ومن أغرب ما اتفق) انه لما ملك شيراز اجتمع عساكره وطالبوه بالجوامك والرواتب ولم يكن عنده ما يعطيهم واشرف امره الى الاضمحلال فاغتم لذلك فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس انسه قد خلا فيه للتفكر والتدبير اذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك البيت ودخلت في موضع آخر منه فخاف ان تسقط عليه فدعا بالفراشين وأمرهم باحضار سلم وان يخرجوا الحية فلما حضروا وبحثوا فيها وجدوا ذلك السقف يفضي الى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فاذا فيها صناديق وجد فيها خمسمائة ألف دينار فحمل ذلك بين يديه فقسمه على رجاله وثبت أمره بعد ان اشرف على الانخرام ثم انه طلب خياطا فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فأمر باحضاره وكان اطروشا

فادناها حتى قال حسبك مكانك ولما انتهى على الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حى افتضحتم فى العرب فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله فلذلك قال على

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها فى الموت حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا * بأسيافنا حتى تولى وأحجما
جزى الله قوما صابروا فى لقائهم * لدى الموت قوما ما أعف وأكرما
وأطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعنى انهم أهل نجدة * وبأس اذا لاقوا اخيسا عرمرما

ومر به الاشتر وهو يقصد الميسرة والاشتر يركض نحو القلب قبل الميمنة فقال له على يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال أتت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذى ان تعجزوه الى الحياة التى لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال على ثم قال أيها الناس أنا الاشتر الى فأقبل اليه بعضهم وذهب البعض فنادى أيها الناس ما أقبح ما قاتلتم مذ اليوم اخلصوا الى مذحج انا أقبلت مذحج اليه فقال لهم ما رضيتم ربكم ولا نصحتم له فى عدوكم وكيف ذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم وما تفعلون هذا اليوم فانه مأثور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين والذى نفسى بيده ما من هؤلاء واشار الى اهل الشام رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلوا سواد وجهى يرجع فيه دمه عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله قد فضه تبعه من بجانبيه قالوا تجدنا حيث احببت فقصد نحو عظمهم مما يلى الميمنة يزحف اليهم ويردهم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا صبروا فى الميمنة حتى اصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيسا كان اولهم ذؤيب بن شريح ثم شريح جميل ثم مرثد ثم هبيرة ثم يريم ثم سميرا ولاد شريح فقتل ثم اخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشير فقتلا جميعا ثم اخذ الراية سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعا ثم اخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب بحالفونا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف او نقتل او نظفر فسمعهم الاشتر يقولون هذا فقال انهم انا احالفونهم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فرقفوا معه وفى هذا قال كعب بن جعيل

❁ وهمدان زرق تبتغى من تحالف ❁

وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من اهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعا الا جازه ورده فانه كذلك اذ مر به زياد بن النضر الحارثى يحمل الى العسكر وقد صرع وسببه انه قد كان استلحم عبد الله بن بديل واصحابه فى الميمنة فتقدم زياد اليهم ورفع رايته لاهل الميمنة فصبروا وقاتل حتى صرع ثم مر وابيزيد بن قيس الارحبى نحو العسكر وكان قد رفع رايته لاهل الميمنة لما صرع زياد وقاتل حتى صرع فقال الاشتر حين رآه هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم الا يسقى الرجل أن ينصرف ولا يقتل أو يشفى به على القتل

وكان عنده وديعة لصاحب البلد قبله فظن فى نفسه انه سعى به اليه وانه يطلب بهذا السبب فلما خاطبه حلف انه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا فلم يدر ما فيها فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروا فوجدوا فيه كنزا عظيما وكانت هذه الاسباب من أقوى دلائل سعادته توفى فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وتولى الملك بعده ابنه (مؤيد الدولة أبو منصور حسن بن بويه) وسار سيرة حسنة وتولى الملك مدة فلما توفى تولى مكانه أخوه (ركن الدولة حسن بن بويه) ثمانيا وعشرين سنة فلما توفى جلس على سرير الملك (معز الدولة احمد بن بويه) مدة وسار سيرة آبائه وتوفى فتولى مكانه (عضد الدولة خسرو شاه) ابن حسن أربعا وثلاثين سنة فلما توفى تولى مكانه ولده (أبو الفوارس شرف الدولة شرزيل) بن خسرو بن بويه وقد استولى على جميع بلاد أبيه وكان ذلك فى خلافة الطائع بالله العباسى فلما هلك ملك مكانه (فخر الدولة على بن حسن)

وقاتلهم الاشتر قتالا شديدا ولزمه الحرث بن جهان الجعفي يقاتل معه فما زال هو ومن رجع اليه يقاتلون حتى كشف اهل الشام وألحقهم بمعاوية والصف الذي معه بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبد الله بن بديل وهو في عصابة من القراء نحو المائتين او الثلثمائة قد لصقوا بالارض كأنهم خباء فكشف عنهم أهل الشام فابصروا اخوانهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال حي صالح في الميسرة يقاتل الناس امامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا انه قد هلك وهلكتم وقال عبد الله ابن بديل استقدموا بنا فقال الاشتر لا تفعل واثبت مع الناس فانه خير لهم وأبقى لك ولاصحابك فأبى ومضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان وخرج عبد الله امام أصحابه يقتل كل من دنا منه حتى قتل جماعة ودنا من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة منهم مجروحين فبعث الاشتر الحرث بن جهان الجعفي فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفسوا عنهم وانتهوا الى الاشتر وكان معاوية قد رأى ابن بديل وهو يضرب قدما فقال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل اليه لينظروا من هو فلم يعرفه أهل الشام فجاء اليه فلما رآه عرفه فقال هذا عبد الله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها وتمثل بقول حاتم

أخو الحرب اذ عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وزحف الاشتر بعك والاشعريين وقال لمذحج اكفونا عكا ووقف في همدان وقال لكندة اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديدا الى المساء وقاتلهم الاشتر في همدان وطوائف من الناس فأزال اهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل عليهم حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول اردت ان انهزم فذكرت قول ابن الاطنابة الانصاري وكان جاهليا

أبت لي عفتي فأبى بلائي * واقدامي على البطل المشيح
واعطائي على المكروه مالي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال فنهنهني هذا القول من الفرار ونظرت الى عمرو وقال اليوم صبر وغدا فخر فقلت صدقت وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس ازد الشام فقتله الشامي وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله وقتل أبو زينب بن عوف وخرج عبد الله بن أبي الحصين الازدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه وتقدم عقبة بن حديد النميري وهو يقول ألا ان مرعى الدنيا أصبح هشيما وشجرها خضيدا وجديدها سملا وحلوها مر المذاق اني قد سئمت الدنيا وعزفت نفسي عنها واني أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل جيش وغارة فأبى الله الا ان يبلغني هذا اليوم واني متعرض لها من ساعتي هذه وقد طمعت ان لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله في كلام طويل وقال يا اخوتي قد بعت هذه الدار بالتي امامها وهذا وجهي اليها فتبعه اخوه عبيد الله وعوف ومالك وقالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك فقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذي الجوشن فبارز فضرب أدهم بن محرز الباهلي بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يضره فعاد شمر فشرب ماء وكان

ظما آن

ثلاث عشرة سنة واحد عشر شهرا ثم تولى بعده ولده (مجد الدولة رستم بن فخر الدولة) فغلب عليه السلطان محمود بن سبكتكين واستولى على غالب بلاده ثم تولى الملك (بهاء الدولة خسرو بن شرف الدولة) اثنتين وعشرين سنة وشهرين فمات وخلف ولدين احدهما سلطان الدولة والآخر شرف الدولة تولى الملك بعد أبيه (سلطان الدولة) اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر فلما توفي تولى الملك أخوه (شرف الدولة) خمس سنين وشهرين ولما هلك ملك مكانه (عماد الدين مرزبان الدولة) مدة فلما مات تولى مكانه ولده (الملك الرحيم بن عماد الدولة) فجلس على سرير الملك ببغداد فظفر به السلطان طغرل السلجوقي فقتله وملك مكانه أخوه (كيخسرو بن عماد الدولة) مدة وهلك فتولى مكانه أخوه (أبو منصور فولادستون ابن عماد الدولة) فوقع بينه وبين أبي سعد خسروشاه ابن عماد الدولة محاربات آلت الى قتل أبي منصور واستقل بالملك خسروشاه المذكور وبه انقرضت دولتهم وهو آخرهم واستولى الملك السلجوقية

*(الباب الثالث والثلاثون

فلما آن ثم أخذ الرمح ثم حمل على ادهم فصرعه وقال هذه بتلك وكانت راية بجيلة مع ابى شداد قيس بن هبيرة الاحمسى وهو قيس بن مكشوح ومكشوح اقب فقال لقومه والله لانتهين بكم الى صاحب الترس المذهب وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد فقاتل الناس قتالا شديدا وشد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له مولى لروى لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتله وأشرعت اليه الرماح فقتل وأخذ الراية عبيد الله بن قلع الاحمسى فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم يومئذ وقتل أبوه أيضا له صحبة ونعيم بن صهيب بن العيلة البجليون مع على فلما رأى على ميمنة اصحابه قد عادت الى مواضعها ومواقفها وكشفت من بازائها من عدوها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى اليهم فقال انى قد رأيت جولتكم عن صفوفكم بحوركم الجفاة الطغام واعراب الشام وأنتم لها ميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليلة بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق فلولا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولى يوم الزحف وكنتم من الهالكين ولكن هوّن وجدى وشفى أحاح نفسى انى رأيتكم بآخرة حزمتموهم كما حزموكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ليعلم المنهزم انه مسخط ربه وموبق نفسه فى كلام طويل وكان بشر بن عصمة المرى قد لحق بمعاوية فلما اقتتل الناس بصفين نظر بشر الى مالك بن العقدية الجشمى وهو ينتك باهل الشأم فاغتاظ لذلك فحمل على مالك وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عصمة فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه وقد ندم على طعنته اياه وكان جبارا فقال

وانى لارجو من مليكى تجاوزا * ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس
دلفت له تحت الغبار بطعنة * على ساعة فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقدية فقال

الا أبلغا بشر بن عصمة انى * شغلت وألهانى الذين أمارس
وصادفت منى غرة واصبتها * كذلك والابطال ماض وحابس

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على أهل الشأم فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن مرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفى عبد الله واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع الرمح بين كتفى التميمى فقال له والله لئن طعنته لاطعننك فقال له عليك عهد الله وميثاقه ان رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى قال نعم فرفع التميمى سنانه ورفع يزيد سنانه فلما رجع الناس الى الكوفة عتب على يزيد ابن الطفيل فقال

الم ترنى حميت عنك مناجحا * بصفين اذ خلاك كل حميم
ونهنهت عنك الحنظلى وقد أتى * على سابح ذى ميعة وهزيم

وخرج رجل من آل عك من اهل الشأم يسأل المبارزة فبرز اليه قيس بن فهد ان الكندى فحمل عليه وتجاولا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله وقال

لقد علمت عك بصفين انشا * اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

فى ذكر ولاة بنى سلجوق بما وراء النهر ولمع من حسن سيرهم فى هذا الدهر)*

ذكر الامام عماد الدين فى تاريخه الموسوم بزبدة النصرة ونخبة العصرة ان السلجوقية كانوا ذوى عدد وعدد لا يدينون لاحد ولا يدنون من بلد ينتسبون الى ابراهيم الخليل عليه السلام وهو سلجوق بن دقاق ومعنى دقاق القوس الجديد ابن لقمان بن نعمان ابن أيوب بن داود وكان سؤسا وانتهت اليه رياسة الترك ومبدأ حاله ان ملك الترك بغوخان لما شاهد فيه النجابة جعله قائد الجيش ثم اغرته امرأته بقتله فهاجر سلجوق من دار الحرب الى دار الاسلام وأسلم هو وقومه ثم حصل لسلجوق اتصال بملوك السامانية وكان يظاهرهم بهمماتهم فلما توفى سلجوق بجند ودفن هناك وكان عمره نحو مائة سنة وخلف من البنين اربعة ان وميكائيل وموسى وكان مسكنهم موضعا يقال له نور بخارا وذلك من أعمال بخارا وهم عدة نفر ومدة ملكهم مائة وأربعون سنة وأول من ملك منهم (ميكائيل بن سلجوق) وكان زعيمهم المبجل وعظيمهم المفضل وكان السلاطين يدعونهم

ونحمل رايات الطعان بحقها * فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر الى معاوية فخرج اليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فاقتتلوا قفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما انه لقي اخاه وقاتله طيئ يومئذ قتالا شديدا فعيبت لهم جموع فأتاهم حمرة بن مالك الهمداني فقال من القوم فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعيا شاعرا خطيبا نحن طيئ السهل وطيئ الرمل وطيئ الجبل المنوع ذي النخل نحن طيئ الرماح وطيئ البطاح فرسان الصباح فقال حمرة بن مالك انك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالا شديدا فنادا هم يا معشر طيئ فداكم طارق وتالدي فاقتلوا على الدين والاحساب وحمل بشير بن العموس فقاتل ففقئت عينه يومئذ فقال في ذلك

الا ليت عيني هذه مثل هذه * ولم أمش في الاحياء الا بقائد
وياليت رجلي ثم طنت بنصفها * وياليت كفي ثم طاحت بساعدي
وياليتني لم أبق بعد مطرف * وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغد الحواضن مثلهم * اذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فأصيب منهم حيان وبكر ابنا هوذة وشعيب بن نعيم وربيعة بن مالك بن وهيبل وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه وقطعت رجل علقمة يومئذ فكان يقول ما أحب ان رجلي أصح مما كانت وانهما لمما أرجو بهما الثواب وحسن الجزاء من ربي قال ورأيت أخي في المنام فقلت له ماذا فعلتم عليه فقال لي انا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى فاحتججنا فحججناهم فلسررت بشئ سروري بتلك الرؤيا وكان يقال لابي الصلاة الكثيرة صلاته وخرجت حمير في جمعها ومن انضم اليها من أهل الشأم ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشأم فتصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة وكانت الراية مع أبي ساسان حضين بن المنذر فانصرف أهل الشأم عنهم ثم كر عبيد الله بن عمر وقال يا أهل الشام ان هذا الحي من اهل العراق قتلة عثمان وانصار علي فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت ربيعة وصبر واصبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء والفشلة وثبت اهل الرايات واهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة فلما رأى اصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وامرهم بالرجوع فرجعوا وكان خالد قد سعى به الى علي انه كاتب معاوية فاحضره علي ومعه ربيعة فسأله عن ذلك وقال له ان كنت فعلت ذلك فالحق باي بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه حكم فأنكر ذلك وقالت ربيعة يا امير المؤمنين لو نعلم انه فعل ذلك لقتلناه فاستوثق منه علي بالعهود فلما فرأيتهم بعض الناس واعتذر هو بالذي لما رأيت رجالا منا قد انهزموا استقبلتهم لارد هم اليكم فاقبلت بمن اطاعني اليكم ولما رجع الى مقامه حرض ربيعة فاشتد قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل حمير بن الريان العجلي وكان شديد البأس والتقى زياد بن عمرو بن خصفة عبد القيس فأعلهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم فأتت عبد القيس بني بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر قتله محرز بن المصمص من تيم الله بن

للمهمات ويراعونهم للملات فلما دخل السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا المساعدة قدر خان امتنع ميكائيل عليه ولم يمل اليه فاغتاظ السلطان فقبضه وعبر به وباصحابه الى خراسان فلما توفي السلطان محمود أنفذ ولده مسعود لقتالهم عسكرا فقتل منهم عدة واسر منهم جماعة ثم بعد ذلك ركب السلجوقية اليه ودخلوا طوس فملكوها وامتدوا الى نيسابور فتأهلوها وذلك في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ولم يلبثوا حتى عظمت شوكتهم واتسعت رقعة ولايتهم وتوفي ميكائيل وتولى مكانه ولده (طغرل بك محمد ابن ميكائيل) فأمر ونهى وأخذ وأعطى وسير أخاه داود مع جيش الى سرخس فملكها ونهج له طريقة في العدل فسلكها وكان شديد الاحتمال سديد الافعال ولم يزل تشتد منعته وتقوى شوكته حتى استولى على بلاد خراسان وطرأ على ملك الديلم فوجد في دورهم دفائن وخزائن فما توجه الى بلد الا ملكه وكانت وفاته بالري نهار الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وعمره سبعون سنة

ثعلبة من اهل البصرة واخذ سيفه ذا الوشاح وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق اخذه منه وقيل بل قتله هانئ بن خطاب الارحبي وقيل قتله مالك بن عمرو النهمي الحضرمي وخرج عمار بن ياسر على الناس فقال اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلته اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أضع ظبة سيفى فى بطنى ثم انحنى عليها حتى تخرج من ظهرى لفعلته وانى لا أعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملا هو ارضى لك منه لفعلته والله انى لارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت اناعلى الحق وانهم على الباطل ثم قال من يبتغى رضوان الله ربه ولا يرجع الى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان والله ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فدعوا اتباعهم وقالوا انما قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا فبلغوا ما ترون فلولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الامر فادخر لهم بما احدثوا فى عبادك العذاب الاليم ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بوادمن أودية صفين الا تبعه من كان هناك من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وهو مريض فقال له كان صاحب راية على وكان اعور فقال ياهاشم اعور واجبن الاخير فى اعور لا يغشى الباس اركب ياهاشم فركب ومضى معه وهو يقول

اعور يبغى اهله محلا ● قد عالج الحياة حتى ملا
لابد ان يفل او يفلا ● يلقهم بذى الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم ياهاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسل وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال له لا ولكن اطلب بدم عثمان قال انا اشهد على على فيك انك لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله وانك ان لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر اذا اعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ماهى بأبر واتقى ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل وقال حبة بن جوين العرنى قلت لحذيفة بن اليمان حدثنا فانا نخاف الفتن فقال عليكم بالفئة التى فيها ابن سمية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وان آخر رزقه ضياح من لبن وهو الممزوج بالماء من اللبن قال حبة فشهدته يوم قتل وهو يقول اتتولى باآخر رزق لى فى الدنيا فأتى بضياح من لبن فى قدح اروح له حلقة حمراء فقال اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت اناعلى الحق وانهم على الباطل ثم قتل قتله ابو الغادية واحتز راسه ابن حوى السكسكى وقيل قتله غيره وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو انه سيرجع البنا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية واصيب عمار بعده مع على فقال

عبد الحميد ان طفرل بك قال رأيت فى منامى فى مبدا امرى كانى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك فقلت ماشئ احب الى من طول العمر فقيل لى عمرك سبعون سنة فكان كذلك فلما هلك ملك بعده ابن أخيه (سليمان بن داود) وكان توفى أبوه داود فقام مقامه ولما خطب باسم سليمان بالرى بعد وفاة طغرل بك مضى أخوه آتسز واردم الى قزوين وخطب باسم ألب ارسلان وأقبل عضد الدولة اب ارسلان من نيسابور لما بلغه موت أبيه يطوى السهول والوعور وكان ابن عم ابيه قتلمش بن اسرائيل فى كردر وقد طمع فى الملك ولم يعلم ان ذلك يورطه الى الهلاك فعارضه فى جموعه فتقابلا وتقاتلا وانجلت المعركة عن قتل قتلمش وقتل الب ارسلان من التركمان عدة وافرة وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة فلما وصل الى الرى تلقاه الوزير عميد الملك فى حشمه وخدمه وكوسه وعلمه وعربه وعجمه وأجلسه على سرير الملك وكان ملكا كريما حليما كثير الصدقات حريصا على بناء المساجد وكان يقول أستحى من الله ان ابنى دارا ولا ابنى تحتها مسجدا ثم بعد

عمرو لمعاوية ما ادري بقتل ايهما انا اشد فرحا بقتل عمار او بقتل ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة اهل الشام الى علي فأتى جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عمارا فيقول عمرو لما سمعته يقول فيخاطبون فأتاه ابن حوى فقال انا قتلته فسمعته يقول اليوم التي الاحبه محمدا وحزبه فقال له عمرو انت صاحبه ثم قال رويدا والله ما ظفرت يداك واقد اسخطت ربك قيل ان ابا الغادية قتل عمارا وعاش الى زمن الحجاج ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له انت قتلت ابن سمية يعني عمارا قال نعم فقال من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر الى هذا الذي قتل ابن سمية ثم سأله ابو الغادية حاجته فلم يجبه اليها فقال نوطئ لهم الدنيا ولا يعطوننا منها ويزعم انى عظيم الباع يوم القيامة فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انه لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمارا قتله أهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار وقال عبد الرحمن السلمي لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لانظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا معاوية وعمرو وأبو الاعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون فأدخلت فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون فقال عبد الله لابيه يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال وما قال ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشي عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين ورغبة في الاجر وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فقال عمرو لمعاوية اما تسمع ما يقول عبد الله قال وما يقول فأخبره فقال معاوية أنحن قتلناه انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون انما قتل عمارا من جاء به فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم فلما قتل عمار قال علي لربيعة وهمدان أنتم درعي ورمحي فانتدب له نحو من اثني عشر وتقدمهم علي بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول

اقتلهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية فقال علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت انك لتعلم انه لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال له عمرو ما يحسن بك ترك مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدي وكان أصحاب علي قد وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل وكان يحمل اذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت اليكم فقال الاعمش لابي عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيئا أقدموا كانوا بكاذبين وأسر معاوية جماعة من أصحاب علي فقال له عمرو اقتلهم فقال عمرو بن اوس الاودي لا تقتلني فانك خالي قال من اين انا خالك ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة قال ان اخبرتك فهو امانى عندك قال نعم قال ليست اختك ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال بلى قال فاني ابنها وانت اخوها انا أنت خالي فقال معاوية ماله قتله ابوه اما كان في هؤلاء من يقطن لها غيره وخلى سبيله

ذلك سيرا الى الوزير المذكور غلامين فقتلاه وكان خصيا وسبب ذلك ان طغرلبك كان أنفذه في ابتداء حاله ليخطب له امرأة فتزوجها لنفسه وعصاه ولما ظفر به قره في خدمة الوزارة بعد ان خصاه ثم ان السلطان المذكور توجه الى حلب والشام فحل بحلب وشرع في حصارها وأحاط بأسوارها وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس من بني كلاب وكان قائما بدعوة العلوية فلما ضاق به الامر وخاف ان يتسع الخرق عن رقعه خرج ليلا الى السلطان ومعه والدته سعة بنت وثاب النميري بخضعان له ويتضرعان له ففعا السلطان وصفح وأعاد محمودا الى مكانه محمود المكانة وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء وبلغ السلطان خروج ارمانوس ملك الروم وقد وصل الى قرب اخلاط وكان السلطان في خواصه ومعه خمسة عشر ألف فارس من نخب رجاله فاستعد للمقاتلة والروم في ثلثمائة ألف أو يزيدون ومعهم ثلاثة آلاف عجلة تحمل اثقالهم ومن المنجنيقات التي ترمي قنطار حجر مقدار مائة عجلة فتوكل السلطان على الملك الديان وسار حتى

وكان

وكان قد أسر على أساري كثيرة فخلى سبيلهم فجاؤا معاوية وان عمر اليقول له وقد أسر أيضا أساري كثيرة أقتلهم فلما وصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الاساري لو قعنا في قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وأما هاشم بن عتبة فانه دعا الناس عند المساء وقال الامن كان يريد الله والدار الآخرة فالي فأقبل اليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مرارا ويصبرون له وقاتل قتالا شديدا وقال لاصحابه لايم ولنكم ماترون من صبرهم فوالله ماهو الاحمية العرب وصبرها تحت راياتها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ثم حرض أصحابه وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا حتى رأوا بعض مايسرون به فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان
نبأنا قراؤنا بما كان * ان عليا قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم ياهذا ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال فاني أقاتلكم لان صاحبكم لايصلي وأنتم لاتصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما أنت وعثمان أقتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء أصحابه وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين وأما قولك ان صاحبنا لايصلي فانه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لاينام الليل تهجدا فلا يغرونك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى فهل لي من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فرجع الفتى فقال له أهل الشام خدعك العراقي فقال كلا ولكن نصح لي وقاتل هاشم وأصحابه قتالا شديدا حتى رأوا الظفر فاقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول

أعور يبغي أهله محلا * لابد ان يقتل او يقلا
قد عالج الحياة حتى ملا * يتلهم بذي الكعوب تلا

فقتل يومئذ تسعة او عشرة وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط فأرسل اليه على ان قدم لواءك فقال لرسوله انظر الى يطفى فاذا هو انشق فقال الحجاج بن غزية الانصاري

فان تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا
ونحن تركنا عند معترك القنا * اخاك عبيد الله لما ملحبا
ونحن احطنا بالبعير واهله * ونحن سقينا كم سماما مقشبا

ومر على بكتيبة من اهل الشام فرآهم لايزولون وهم غسان فقال ان هؤلاء لايزولون الا بطعن وضرب يفاق الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والاكف وحتى يقرع جباههم بعمد الحديد اين اهل النصر والصبر طلاب الاجر فاتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له تقدم نحو هذه الراية مشيرا ويدا على هينتك حتى اذا اشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري ففعل وأعدلهم على مثلهم وسيرهم الى ابنه محمد وامره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم

تقاتل عن دين الله الذي وعدنا باظهاره فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر فلما اصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج واربجت السماء بالعجاج الى ان دنا وقت الزوال وصدحت على اعواد المنابر الخطباء والمجاهدون في اخلاص الدعاء فتقدم السلطان وثبت فؤاده وقوى قلبه وحمل ملك الروم بجمعه واخذ يبصر الدهر وسمعه فنبتت لهم خيل الاسلام ثم وثبت وجالت وماوجلت فوقع الحرب والضرب فماتجت من اولئك الالوف آحاد وماسلمت من اعداء الاسلام اعداد واسر ملكهم وانكسرت الروم كسرة لاتقبل جبرا (ومن عجيب ماحكي) انه كان اهدى مملوك للوزير فرده على صاحبه ولم يقبله فمنعه صاحبه فقال له الوزير عسى ان يأتينا ملك الروم وذكر ذلك استهزاء به فاتفق وقوع الملك يوم المصاف في اسر ذلك الغلام فاطلع عليه السلطان وانعم عليه وغنم المسلمون غنيمة عظيمة فأحضر ملك الروم بين يديه فسر قلب السلطان وارسله وفك قيده ووصله الى اهله وجعل

عليه في كل يوم الف دينار يرد بيت مال المسلمين ولما انصرف الى بلاده محوا من الملك اسمه وقالوا هذا من اعداد الملوك ساقط

انه لا يملك غيرها فقبلها السلطان وفي سادس ربيع الاول سنة خمس وستين واربعمائة قتل السلطان وكانت مدة ملكه تسع سنين وشهورا وقد بلغ من العمر اربعين سنة ودفن بمرو عند قبر ابيه وخلف عدة بنين وهم ملكشاه وتكش وايناز وتتش وارسلان وارغوت وبوري برس وتولى الملك ولده جلال الدولة (ابو الفتح) ملكشاه ابن الب ارسلان فلما جلس على سرير الملك نازعه عمه قاروت بك الملك ووقع بينهما حروب آلت الى انهزام قاروت وأسره فلما ظفر به امر بخنقه فخنقه غلام ارمني اعور وكان ملكشاه ملكا شجاعا مقداما سيرته العدل وكان كثير الغزو حتى بلغ في غزوه الى حدود قسطنطينية وقرر الف الف دينار تحمل الى خزانته كل سنة من تلك الممالك ووضع في البلاد التي افتتحها من الروم خمسين منبرا اسلاميا وقصد فتح عمر فندوحاصرها وظفر بخانها فأسره فحمل غاشيته وسار في ركابه فأخذه اسيرا الى العراق ثم من عليه بالاطلاق ومشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل جاء مرو كوبه وكانت ملوك الروم وغزنه وما وراء النهر في ظل حمايته وكنف رعايته وكان ملوك الاطراف فنابي

عن موافقهم وأصابوا منهم رجالا ومر الاسود بن قيس المرادي بعبد الله بن كعب المرادي وهو صريع فقال عبد الله يا اسود قال لبيك وعرفه وقال له عز علي لمصرعك ثم نزل اليه وقال له ان كان جارك لميامن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصني رحمك الله فقال أوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه المحلين حتى تظهر أو تلحق بالله وأبلغه عني السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تحجلها خلف ظهرك فانه من اصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالي ثم لم يلبث ان مات فأقبل الاسود الى علي فأخبره فقال رحمه الله جاهد عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة وقيل ان الذي اشار على امير المؤمنين علي بهذا عبد الرحمن بن الحنبل الجمحي قال فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح وهي ليلة الهرير فقطعنا حتى تقصفت الرماح وتراموا حتى نفد النبل واخذوا السيوف وعلى يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويامر كل كتيبة ان تقدم على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والاشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة وأخذ الاشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة الى ارتفاع الضحى ويقول لاصحابه ازحفوا قيد هذا الرمح وبزحف بهم نحو اهل الشام فاذا فعل ذلك بهم قال ازحفوا قيد هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل اكثر الناس الاقدام فلما رأى الاشتر ذلك قال اعبد كم بالله ان ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعي وخرج يسير في الكتائب ويقول من يشتري نفسه ويقاتل مع الاشتر يظهر او يلحق بالله فاجتمع اليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعي وغيره فرجع الى المكان الذي كان فيه وقال لهم شدوا شدة فدا لكم خالي وعمي ترضون بها الرب وتعزون بها الدين ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته اقدم بها وحمل على القوم وحملوا معه فضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى عسكرهم ثم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايته ولما رأى علي الظفر من ناحيته امده بالرجال فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه اتدري ما مثلي ومثلك ومثل الاشتر قال لا قال كالاشقران تقدم عقران تأخر عقران تأخرت لاضربن عنقك قال اما والله يا ابا عبد الله لاوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقي ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لاوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما رأى عمرو ان امر اهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لعاوية هل لك في امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من ثغور الشام بعد اهله من الثغور العراق بعد اهله فلما رآها الناس قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم علي عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرا وابن ابي معيط وحبيبا وابن ابي سرح والضحاك ليسوا باصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا لاشر رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة فقالوا له لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله

فنأبى ان نقبله فقال لهم على فانى انما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما امرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك ياعلى أجب الى كتاب الله عز وجل اذ دعيت اليه والا ندفعنا اليك برمتك الى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عنى نهيى اياكم واحفظوا مقالتكم لى فان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم قالوا ابعث الى الاشتر فليأتك فبعث على يزيد بن هانئ الى الاشتر يستدعيه فقال الاشتر ليست هذه الساعة بالساعة التى ينبغى لك ان تزيلنى عن موقفى انى قد رجوت ان يفتح الله لى فرجع يزيد فاخبره وارتفعت الاصوات وارتفع الرهج من ناحية الاشتر فقالوا والله ما نراك الا امرته ان يقاتل فقال على هل رأيتمونى ساررته اليوم كلمته على رؤسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا والله اعتزالنا فقال له ويلك يا يزيد قل له أقبل الىّ فان الفتنة قد وقعت فابلغه ذلك فقال الاشتر لرفع المصاحف قال نعم قال والله لقد ظننت انها ستوقع اختلافا وفرقة انها مشورة ابن العاهر الا ترى الى الفتح ألا ترى ما يلقون الا ترى ما صنع الله لنا ان ينبغى ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم فقال له يزيد أتحب أن تظفر وامير المؤمنين يسلم الى عدو أو يقتل قال لا والله سبحان الله فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم الاشتر وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن احين علوتم القوم وظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه فامهلونى فواقا فانى قد احسست بالفتح قالوا لا تقال امهلونى عدوا الفرس فانى قد طمعت فى النصر قالوا اذن ندخل معك فى خطيئتك قال فخيروني عنكم متى كنتم محقين احين تقاتلون وخياركم يقتلون فأنتم الآن اذ أمسكتم عن القتال مبطلون ام انتم الآن محقون فقتلاكم الذين لا تشكون فضلهم وهم خيرهم فكم فى النار قالوا دع عنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم وانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كأنظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا ارى مرادكم الا الدنيا ألا قبحا يا اشباه النيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزا ابدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح به وجوههم على فكفوا وقال الناس قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما فجاء الاشعث بن قيس الى على فقال ارى الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه فقال لمعاوية لاى شئ رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه نبعث رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه قال له الاشعث هذا الحق فعاد الى على فاخبره فقال الناس قد رضينا وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرا وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج انا قد رضينا بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن لا أرى ان أولى أبا موسى فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه قال على فانه ليس بثقة قد فر منى وخذل الناس عنى ثم هرب منى حتى امنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا والله لا نبالى أنت كنت ام ابن عباس لا نريد الا

يقبلون كتبه اجلالا وتعظيما له وكان ناقد بصيرا يعرف الناس ومقاديرهم ويضعهم فى محلهم وكان يعرف بالسلطان العادل فمن جملة عدله انه ركب يوما للصيد فرأى رجلا باكيا شاكيا فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخات بدريهمات لا يعيها واعود بربحها على عيالى واعيد منها رأس مالى فأخذها رجل من جماعتك من يدى ولم يعطنى ثمنها فقال له السلطان طب نفسا فهل تعرفه فقال لا وكان البطيخ فى أول ما كورته ولا يوجد فى البلد شئ منه فقال السلطان لبعض خواصه قد اشتهيت بطيخا فاجتهد لى فى تحصيله ولو واحدا فمازال يطلبه حتى وجده عند بعض الامراء فسأله فقال قد أحضره عبد من عبيدى فأمر السلطان باحضار ذلك العبد فتوقف فاحضر المتظلم وقال خذ هذا الامير فانه اخذ بطيخك وانه مملوكى وقد وهبته لك فبعه بما شئت فاشترى الامير نفسه بثلثمائة دينار واثرى صاحب البطيخ بهذا فتاره وكان الناس يأخذون التراب الذى وطئته دابته فيتبركون به وكان مغرما بالصيد قيل انه أحصى ما اصطاده بيده

رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال علي فاني أجعل الاشتر قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر فقال قد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أردتم فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض فأتاه مولى له فقال ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون وجاء ابو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاشتر عليا فقال ألزني بعمرو بن العاص فوالله ان لا ثبت عيني منه الا قتلته وجاء الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين انك قد رميت بحجر الارض وانى قد جمعت أبا موسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يصير في اكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان أبيت ان تجعلني حكما فاجعلني ثانيا او ثالثا فانه لم يعقد عقدة الا حللتها ولا يحل عقدة اعقدها لك الا عقدت اخرى احكم منها فأبى الناس الا أبا موسى والرضا بالكتاب فقال الاحنف ان أبيتم الا ابا موسى فادفنوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب القضية بحضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين فقال عمرو هو أميركم والله ما أميرنا فلا أقاضيه فقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فاني اخاف ان محوتها ان لا ترجع اليك ابدا الا ان تمحاها وان قتل الناس بعضهم بعضا فأبى ذلك علي مليا من النهار ثم ان الاشعث بن قيس قال امح هذا الاسم فمحاه فقال علي الله أكبر سنة بسنة والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت لا استطيع فقال ارينيه فأريته فمحاه بيده وقال انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله انشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال علي يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا فقال عمرو والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا فقال علي انى لارجو ان يطهر الله مجلسي منك ومن اشباهك وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان قاضى علي علي اهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم انا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما وأهليهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا واجل القضاء الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام ونهد الاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمي البجلي وعبد الله ابن محل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبد الله بن الطفيل العامري وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجية التميمي ومالك بن كعب الهمداني ومن أصحاب معاوية ابو الاعور السلمي وحبيب بن مسلمة وزمل ابن عمرو العذري وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد الانصاري وعتبة بن ابي سفيان ويزيد بن الحر العبسي وقيل للاشتر

ليكتب

فبلغت عدته عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار وبنى منارة من قرون الظباء وحوافر الحمر الوحشية في طريق الحج من الكوفة تسمى مأذنة الغزلان وتوفي رحمه الله في سادس عشر شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمره ثمان وثلاثون سنة وأشهر وكانت مدة ملكه عشرين سنة وحمل تابوته الى اصفهان ودفن في مدرسته التي بناها وخلف أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر ومحمود وكان (محمود) طفلا عند أبيه فبايعوه على السلطنة لان امه تركان خاتون الجلالية من الملوك الايلخانية فيما وراء النهر وكانت مستولدة في أيام ملك شاه وان الامراء كانوا من صنائعها فاختاروا ولدها فبايعوه وساروا به الى اصفهان فاجلسوه على سرير الملك فحاتم سنة حتى مات محمود وماتت امه وبقي الملك لاخيه (بركيارق) فجلس على سرير الملك وكان عالي الهمة لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للخمر والادمان عليه ودخل بلاد ممرقند وزنجان وغزا بلاد ماوراء النهر ووقعت في زمانه فتن وشرور من الامراء والاجناد بحيث يطول شرحها وتوفي في ثالث شهر

ليكتب فيها فقال له صحيفتي يميني ولا نفعتني بعدها شمالي ان خط لي في هذه الصحيفة ولست على بينة من ربي من ضلال عدوي أو استم قد رأيتم الظفر فقال له الاشعث والله ما رأيت ظفرا هل لنا الا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما انت خير عندي منهم ولا أحرم دما قال فكأنما قصع الله على انف الاشعث الحمم وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن اذية اخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن فمشى اليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكي وناس من تميم فاعتذروا فقبل وشكر وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافي امير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو باذرح في شهر رمضان وقيل لعلي ان الاشتر لا يقر بما في الصحيفة ولا يرى الاقتال القوم فقال علي وانا والله ما رضيت ولا أحببت ان ترضوا فاذا أبيتم الان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصي الله ويتعدى كتابه فقالوا لمن ترك أمر الله واما الذي ذكرتم من تركه أمري وما انا عليه فليس من أولئك فلست اخاف على ذلك يا ليت فيكم مثله اثنين يا ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوي ما أرى اذا لخفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتوني فكنت أنا وأنتم كما قال اخو هوازن

وهل أنا الا من غزية ان غوت ● غويت وان ترشد غزية ارشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة ولما كنتم الاعين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفثئوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الان تدهنوا وتجبروا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع على خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم في امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة فاذا بشيخ في ظل بيت عليه أثر المرض فسلم عليه أمير المؤمنين فرد ردا حسنا فقال له على أرى وجهك متغيرا من مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما احب انه بغيري فقال البس احتسابا للخير فيما اصابك قال بلى قال فابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من أنت يا عبد الله قال صالح بن سليم قال ممن أنت قال اما الاصل فمن سلامان طي وأما الدعوة والجوار ففي سليم بن منصور فقال سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت اليه واسم اذعانك هل شهدت معنا غزاتنا هذه قال لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعني عنها فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببروجرد وهي بلدة بقرب همدان وبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة واقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة واشهرا وتولى الملك بعده (ابو شجاع محمد بن ملك شاه) وكان وقور امهابا أديبا لبيبا فلما جلس على سرير الملك وجد قواعد الدولة بالة اخيه مختلة وعقودها منحلة فاحكم القواعد وابرم المعاقد وكان رجل السلجوقية الكامل وفحلهم الباذل وله الآثار الحميدة والآراء السديدة كان يغني الفقير ويجبر الكسير ويفك الاسير وينصر الاسلام ويكشف الظلام وصفت له الدنيا ولم ينازع ثم مرض زمانا طويلا فقيل له مرضك سحري وانما سحرتك زوجتك فاعضل داؤك وبطل دواؤك وحملوا السلطان الى ان كحلها وحبسها في بيت ضيق واعتقلها واخرجوا خاتم السلطان وقالوا انه أمر بخنقها فخنقوها ومن عجيب القدر ان الزوجين توفيا في ساعة واحدة فالخاتون في بيتها خنقت والسلطان على فراشه نفسه زهقت وذلك في أواخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وخلف ستة بنين

الآية خبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين اهل الشام قال فيهم المسرور وهم اغشاء الناس وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم وأولئك فعماء الناس لك قال صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيآتك فان المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنبا الا حطه وانما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما من عباده الجنة ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الانصاري فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ما سمعت الناس يقولون في أمرنا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له قال فما قول ذوي الرأي قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فمتى يبني ما هدم ويجمع ما فرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال على انا هدمت امرهم هدموا انا فرقت امرهم فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفي هذا عني وان كنت لسخيا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرا لي يعني الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدماني يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله ان لقيتهم بعد يومي هذا الا لقيتهم وليس معي في عسكر ولا دار ثم مضى واذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية فقال على ما هذه فقيل يا امير المؤمنين ان خباب بن الارت توفي بعدك فحز جلك وأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس انما يدفنون في دورهم وافنيتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس الى جنبه فقال على رحم الله خبابا فلقد أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ووقف عليها وقال السلام عليكم يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل ثم اقبل حتى حاذى سكة الثوريين فسمع البكاء فقال ما هذه الاصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال اما اني اشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة ثم مر بالفائشيين فسمع مثل ذلك ثم مر بالشاميين فسمع رجة شديدة فوقف فخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي فقال له على ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا الرنين قال يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس دار الا وفيها البكاء فأما نحن معشر الرجال فانا لا نبكي ولكنا نفرح بالشهادة قال على رحم الله قتلاكم وموتاكم فاقبل يمشي معه وعلى راكب فقال له على ارجع ووقف ثم قال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن ثم مضى حتى مر بالناعطيين وكان جلهم عثمانية فسمع بعضهم يقول والله ما صنع علي شيأ ذهب ثم انصرف في غير شيء فلما رأوه أبلسوا فاقبل على لاصحابه وجوه قوم مارأوا الشام ثم قال لاصحابه من فارقناهم آنفا خير من هؤلاء ثم قال

أخولي الذي ان اجرضتك ملمة ● من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس

وهم محمود ومسعود وداود وطغرل وسليمان وسلجق وكلهم تولوا السلطنة سوى سلجق ودارد وما ايس السلطان من نفسه احضر ولده محمودا وبكى كل منهما وأمره ان يخرج ويجلس على سرير الملك وينظر في أمور الناس فقال له ولده ان هذا اليوم غير مبارك فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك فامتثل أمره وجلس على سرير الملك (ابو القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه) مكان والده واحكم قواعد الملك وكان هو يومئذ في سن الحلم وكان قوي المعرفة بالعربية وكان محمود الخليقة مودود الطريقة لكنه بلي بأنواع البلاء من اعوانه فنغصوا عليه عيشه وفرقوا خزائنه واستضعفوا جانبه وطمعوا فيه وكان خلف والده من العين والاثاث مالم يخلفه أحد غيره من الملوك السلجوقية فآل الامر الى انهم احتاجوا الى بيع صناديق خزائنه التي فرغت وطلب السلطان محمود المذكور من الخازن غالية ليتطيب بها فلم يجد سوى ثلاثين مثقالا فسأل الخازن عما كان في خزانة أبيه من الغالية فقال كان ما يقارب مائة وثمانين رطلا فقال السلطان للحاضرين اعتبروا بالتفاوت

وليس أخوك بالذى ان تشعبت * عليك الامور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها وقتل أويس القرنى بصفين وقيل بل مات بدمشق وقيل بارمينية وقيل بسجستان وفيها قتل جندب بن زهير الازدى وهو من الصحابة مع على وقتل بصفين أيضا حابس ابن سعد الطائى مع معاوية وهو خال يزيد بن عدى بن حاتم فقتل يزيد قاتله غدرا فأراد عدى اسلامه الى أولياء المقتول فهرب الى معاوية وممن شهد صفين مع على خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ولم يقاتل فلما قتل عمار بن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قتل وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية وقتل مع على سهيل بن عمرو بن أبى عمرو الانصارى وهو بدرى وممن شهد وقتل فيها مع على من المهاجرين خالد بن الوليد وله صحبة (شريح بن هانئ) بضم الشين وآخره حاء مهملة الهمدانى بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن حمرة بن مالك بضم الحاء المهملة وسكون الميم وآخره راء حصين بن المنذر بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة بريم بفتح الباء فتحتها نقطتان وكسر الراء وسكون الياء الثانية وآخره ميم بديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة حازم بن ابى حازم بالحاء المهملة حبة بن جوين بفتح الحاء المهملة والباء المشددة الموحدة والعرنى بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره نون)

﴿ ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان ﴾

وفى هذه السنة بعث على جعدة بن هبيرة المخزومى الى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى الى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع الى على فبعث خليد بن قرة اليربوعى فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه اهل مرو

﴿ ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه ﴾

ولما رجع على من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلما سمع على ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له فى اعناقنا بيعة ثانية نحن اوليا من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقيتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايع أهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم اولياء من والى واعداء من عادى فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط على يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له نحن اوليا من واليت واعداء من عاديت ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل وبعث على عبد الله بن عباس الى الخوارج وقال لا تعجل الى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج اليهم فاقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقالت الخوارج أما ما جعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للعباد

بين الامرين فلما تلاشت امور محمود لكونه غير محمود واختل نظام الملك مرض ومات فى أواخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأخفوا موته نحو خمسة أشهر حتى وصل السلطان الاعظم ابو الحرث سنجر بن ملك شاه من خراسان لتمهيد البلاد واصلاح احوال العباد لانه كان عماد آل سلجق وهو شيخ البيت وعظيمه وحافظ عزه وبيضه فوصل الى الرى وأصلح ما فسد الى ان وصل (السلطان ابو طالب طغرل بن محمد بن ملك شاه ابن الب ارسلان) واجتمع مع عمه فاجلسه على سرير الملك بهمدان ودخل السلطان سنجر بعد ثلاثة أيام الى مقر مملكته خراسان ثم بعد ذلك وقع حروب بين طغرل وبين أخويه مسعود وداود آلت الى انتصار السلطان عليهما فلما استقر له الملك وامن من معارضه انتقل بالوفاة الى جوار باريه وذلك فى أوائل عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وكان رحمه الله جامعا للخلال التى تفتقر اليها السلطنة من الحزم والتحفظ والعزم الا انه كان مستبدا برأيه معجبا بأهوائه لا يستشير

ان ينتظروا فى هذا قال ابن عباس فان الله تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا اوتجعل الحكم فى الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين وقالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالامس يقاتلنا فان كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم فى أمر الله الرجل وقد امضى الله حكمه فى معاوية وأصحابه ان يقتلوا او يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة الامن أقر بالجزية وبعث على زياد بن النضر فقال انظر بأى رؤسهم اشد اطاعة فأخبره بأنه لم ير هم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج على فى الناس حتى دخل اليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فصلى فيه ركعتين وأمره على أصبهان والرى ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال الم أنهك عن كلامهم ثم تكلم فقال اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم انى أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين وذكر ما كان قاله لهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن عن حكمهما برآء قالوا فخبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم قيل والخوارج يزعمون انهم قالوا له صدقت قدكنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون فبايعنا على وقال ادخلوا فلبثت ستة اشهر حتى نجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا

(ذكر اجتماع الحكمين)

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل على أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثى وأوصاه أن يقول لعمرو بن العاص ان عليا يقول لك ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من الباطل وان زاده يا عمرو والله انك لتعلم اين موضع الحق فلم تجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت لله به ولاوليائه عدوا وكان والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيما ولظالمين ظهيرا أما انى اعلم يوم لك الذى أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تتمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة فلما بلغه تغير وجهه ثم قال متى كنت أقبل مشورة على أو انتهى الى أمره او اعتد برأيه فقال له وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته فقد كان من هو خير منك ابو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال له انك مثلى لا يكلم مثلك قال شريح يا أبا أبوبك ترغب عنى يا ابن النابغة أبأبيك الوسط ام بأمك النابغة فقام عنه وأرسل على أيضا معهم عبد الله بن عباس ليصلى بهم ويلى امورهم ومعهم ابو موسى الاشعرى وأرسل معاوية عمرو بن العاص فى اربعمائة من اهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل باذرح وكان عمر واذا أتاه كتاب من معاوية لا يدرى

أحد فى اموره ولا يسترشد فى تدبيره فلما هلك ملك مكانه (أبو الفتح مسعود بن محمد ابن ملكشاه) جلس على سرير الملك بعده وكان يصطنع الارازل ويرفع الاسافل لا يضر لعدو ولا ينفع ولا يقبل فى ولى نعمة توفى فى أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة كانها سنة وجلس مكانه ابن اخيه (السلطان ملك شاه بن محمود) على سرير الملك واشتغل بالانهماك فى القصف واللهو وفوض الامور كلها الى وزيره وما علم انه يخسر من ربحه ويظلم يومه بطلوع صبحه فبطر الوزير وقال لا مراء والاجتهاد هذا السلطان لا يصلح للملك فانه قد شغلته الخمر عن الامر وأغناه الخشف عن القمر وأنا ارى من الصواب ان نخلعه ونستدعى اخاه محمدا ونوليه الملك فوافقوه على الرأى الراتب لانهم كرهوا استيلاءه وسئموا استعلاءه فقالوا له عجل هذا الامر فقبض بلنكرى الوزير على السلطان واعتقله ببرج همدان وانفذ الى أخيه الملك محمد فقدم (السلطان أبو شجاع محمد ابن محمود) وجلس على سرير الملك بهمدان فأول ما أمر بقتل الوزير المذكور فساء

بما جاء فيه ولا يسأله اهل الشأم عن شئ وكان اهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من
على فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس اما تعقلون
أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم احد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندي كل يوم
تظنون في الظنون وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وابن الزبير وعبد
الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وابو جهم بن حذيفة العدوي
والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن ابي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له ان أبا
موسى وعمرا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأحد الشورى ولم تدخل في شئ كرهته هذه الامة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل
وقيل بل حضرهم سعد وندم على حضوره فاحرم بعمرة من بيت المقدس وقال المغيرة بن شعبة
لرجال من قريش أترون أحدا يستطيع ان يأتي برأي يعلم به ايجتمع الحكمان ام لا فقالوا لا فقال
اني اعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد
شككنا في الامر الذي استبان لكم فيها فقال له عمرو أراكم خلف الابرار أمام الفجار فانصرف
المغيرة الى أبي موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى أراكم أثبت الناس رأيا فيكم
بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان
قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال اشهد قال ألست تعلم ان معاوية
وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبينه في قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول
الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة
والتدبير وهو اخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وقد صحبه وعرض له
السلطان فقال ابو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على
الشرف تولاه اهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة بن الصباح انما هو ولاهل الدين
والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته علي بن ابي طالب واما قولك ان
معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فلم اكن لاوليه وأدع المهاجرين الاولين وأما تعريضك
لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشي في حكم الله
ولكنك ان شئت أن تحيي اسم عمر بن الخطاب رحمه الله قال له عمرو فما يمنعك من ابني وأنت تعلم
فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة فقال عمرو وان هذا
الامر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت في ابن عمر غفلة فقال له ابن الزبير فطن فانتبه
فقال والله لا ارشو عليها شيأ ابدا وقال يا ابن العاص ان العرب قد اسندت اليك أمرها بعد
ما تقارعوا بالسيوف فلا ترددهم في فتنة وكان عمرو قد عود ابا موسى ان يقدمه في الكلام يقول
له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن مني فتكلم وتعود ذلك ابو موسى وأراد عمرو
بذلك كله ان يقدمه في خلع علي فلما اراده عمرو على ابنه أو على معاوية فأبى وأراد ابو موسى ابن
عمر فأبى عمرو فقال له عمرو أخبرني ما رأيك قال أرى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى
فيختار المسلمون لانفسهم من احبوا فقال عمرو الرأي ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون
فقال عمرو يا أبا موسى اعلمهم ان رأينا قد اتفق فتكلم ابو موسى فقال ان رأينا قد اتفق على امر

ملكشاه وحملوه الى همدان فلما سمع بذلك السلطان محمد انتقل الى اصفهان بشرذمة يسيرة واستقر (سليمان) على سرير الملك وكان وزيره شريبا للخمر اذا شرب وقع سريعا ونام اسبوعا واراد وا ان يسعدوه وهو شقي فلما وصل السلطان محمد الى أصفهان منحازا عن عمه سليمان جمع العساكر ورجع الى همدان فوقع بينه وبين الخليفة المتقي بالله حتى آل الامر انه حاصر بغداد فما شعر الا وقد استولى عدوه على همدان فرجع لحربه وكانت وفاته في ثالث عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين وخمسمائة وجلس مكانه ابن أخيه (السلطان ركن الدين أبو المظفر ارسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه) فتصاغر له الكبراء وائتمر له الامراء فافنى وابعد واشقى واسعد الى ان توفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وجلس على سرير الملك ولده الصغير (السلطان طغرل ابن ارسلان بن طغرل) فشغل به السرير ونفذت أوامره في الممالك ومازال امره مستقيما وكان سيئ التدبير يعاقب على التهم بالقتل والتدمير وكان قد وقع بينه وبين أخيه قزل ارسلان حروب آلت الى قتل قزل ارسلان على فراشه ولم يعلم قاتله وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة تغلب على المملكة السلطان خوارزمشاه

(الباب الرابع والثلاثون فى ذكر دولة الخوارزمشاهية وحسن مآثرهم السنية وخصائلهم المرضية فى الرعية)

ذكر فى بحر الانساب أن عدد ملوكهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وثمان وثلاثون سنة واول من ملك منهم (محمد بن انوشتكين) وكان مملوكا تركيا لبعض امراء السلجوقية وكان مقدما عنده لشجاعته ونجابته والمسار الى خراسان وازال منها الخوارج ومهدها تظر فمن يوليه فوقع على محمد ابن أنوشتكين المذكور فولاه ولقبه خوارزمشاه وذلك فى سنة تسعين وأربعمائة لكونه تشأمثل ابيه فى النجابة والشجاعة وحسن التدبير وكان محبا لاهل العلم والدين عادلا فى الرعية فلما هلك الملك مكانه ولده (اتسز) فسار سيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش فى حياة أبيه وباشر الحروب وكان السلطان سنجر يصاحبه فى اسفاره وحروبه ثم كثرت السعاية عليه عند السلطان سنجر حتى بغضه وسار لينزع الملك من يده فانهزم اتسز وقتل ابنه وخلقا كثيرا من جماعته ثم بعد ذلك صالح سنجر واستقل بالملك من غير منازع الى ان توفى فى منتصف سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكانت مدة ملكه خمسين سنة وملك بعده ابنه (ارسلان شاه بن اتسز) فقتل جماعة من اعمامه تتوب

نرجو ان يصلح الله به امر هذه الامة فقال عمر صدق وبر تقدم يا أبا موسى فتكلم فتقدم ابو موسى فقال له ابن عباس ويحك والله انى لاظنه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فانه رجل غادر ولا آمن ان يكون قد اعطاك الرضا منه فاذا قمت فى الناس خالفك وكان ابو موسى مغفلا فقال انا قد اتفقنا وقال ايها الناس انا قد نظرنا فى امر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا الم لشعثها من امر قد اجمع رأيى ورأى عمر وعليه وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولى الناس امرهم من أحبوا وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه اهلا ثم تنحى واقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فانه ولى ابن عفان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال سعد ما أضعفك يا ابا موسى عن عمرو ومكائده فقال ابو موسى قد أصنع وافقنى على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا ابا موسى الذنب لمن قدمك فى هذا المقام قال غدرنا اصنع فقال ابن عمر انظروا الى ما صار امر هذه الامة صار الى رجل ما يلى ما صنع والى آخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبى بكر لو مات الاشعرى قبل هذا اليوم لكان خيرا له وقال أبو موسى الاشعرى لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو انك مثلك مثل الحمار يحمل اسفارا فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن العمرو على شريح فضربه بالسوط أيضا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شئ ندامتى على ضرب عمرو بالسوط ولم اضربه بالسيف والتمس اهل الشام أبا موسى فهرب الى مكة ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى على وكان على اذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والاشتر وقد قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشية فى الناس فقال اما بعد من كان متكلما فى هذا الامر فليطلع لنا قرنه قال ابن عمر فما طلعت حبوتى فاردت ان اقول يتكلم فيه رجال قاتلوك وابالك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان احب الى من ذلك فلما انصرفت الى المنزل جاءنى حبيب بن مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم قلت اردت ذلك ثم خشيت فقال حبيب وفقت وعصمت وهذا اصح لانه ورد فى الصحيح

(ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر)

لما أراد على ان يبعث ابا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فقالا له لا حكم الا لله فقال على لا حكم الا لله وقال حرقوص بن زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على قد اردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغى ان

(سلطان شاه محمود) لكونه كان عنده واستقر الملك فى تدبير أمره وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش غائبا فلما بلغه موت أبيه وتولية أخيه استنكف وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه فى أموال خوارزم وذخائرها فانجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم فملكها واستولى على نيسابور وخزائنها ولحق سلطان شاه محمود مع أمه بالمؤيد صاحب نيسابور فجمع عساكره وسار معه فلما كان على عشرين فرسخا من خوارزم خرج اليه تكش وهزمه وجىء بالمؤيد أسيرا فقتله ولحق أخاه وظفر بامه فقتلها وهرب السلطان محمود وعاد تكش الى خوارزم وتوفى محمود فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستولى (علاء الدين تكش) على بقية بلاد أخيه وكان عادلا عارفا بالاصول والفقه على مذهب الامام الاعظم رحمه الله توفى فى رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى مدرسته التى بناها وملك بعده ابنه (ملك شاه محمد بن تكش) ولقبوه علاء الدين لقب أبيه فلما بلغ أخوه الهند وخان تولية أخيه جمع عساكره

نتوب عنه فقال على ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأى وقد نهيتكم فقال زرعة يا على انى لم تدع تحكيم الرجال لا قاتلنك أطلب وجه الله تعالى فقال على بؤسا لك ما أشقاك كانى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرج من عنده يحكمان وخطب على ذات يوم فحكمت المحكمة فى جوانب المسجد فقال على الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غمناهم وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية فى ديننا فان اعطاء الدنية فى الدين ادهان فى أمر الله وذل راجع باهله الى سخط الله يا على أبالقتل تخوفنا أما والله انى لارجو أن نضر بكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة فاصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة ثم خطب على يوما آخر فقام رجل فقال لا حكم الا لله ثم تولى عدة رجال يحكمون فقال على الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانما فيكم أمر الله ثم رجع الى مكانه من الخطبة ثم ان الخوارج التقى بعضهم بعضا واجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم فزهدهم فى الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدى يا قوم ان الرأى ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فابى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح ابن أوفى العبسى فابيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذو الثفنات ثم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله فانكم أهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذها بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين أتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فاما المدائن فان بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى تنزل جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأى وكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير الكتاب اليهم فأجابوه انهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسى وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها خائفا يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة بن عدى بن حاتم الطائى فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبى فى نحو عشرين فارسا فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك التيهانى وبشر بن زيد البولانى وأرسل عدى الى

١٩ مل ث وتحارب مع أخيه فلم يقدر عليه ورجع خائبا خاسرا واستولى ملك شاه على جميع بلاد ماوراء النهر وقسم

سعد بن مسعود عامل على المدائن يحذره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج فى الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار ابن أبى عبيد وسار فى طلبهم فاخبر عبد الله بن وهب خبره فرابأ طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ فى خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله فى ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال أصحاب سعد لسعد ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم امر خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان فى ذلك عافية لك فأبى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب نحو بردجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيسوا منه وقالوا ان كان هلك ولينا الامر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها منهم القعقاع بن قيس الطائى عم الطرماح بن حكيم وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائى وبلغ عليا ان سالم بن ربيعة العبسى يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ربيعة بن أبى شداد الخثعمى وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبى بكر وعمر قال له على ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شئ من الحق فبايعه فنظر اليه على وقال أما والله لكاتبنك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكاتبنك وقد وطنتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا فى خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكى التميمى فعبر بهم ابن عباس فاتبعهم أبا الاسود الدؤلى فلحقهم بالجسر الاكبر فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل وادلج مسعر باصحابه واقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيبانى وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الى مكة ورد على ابن عباس الى البصرة قام فى الكوفة فخطبهم فقال الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان المعصية توارث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمرى ونخلتكم رأيى لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما واحييا ما اماته القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا فى حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام واصبحوا فى معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل وكتب الى الخوارج بالنهر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا

(غياث الدين) وبقية البلاد لابنه (ركن الدين) وأذن لهم فى ضرب النوب الخمس له وهى دبادب أى طبول صغار تقرع عقب الصلوات الخمس وسماها نوبة ذى القرنين سبعة وعشرين دبدبة وكانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر وكان وقع بين السلطان وبين جنكزخان وقائع أدت الى المجئ اليه فلما بلغه هجوم جنكزخان الى البلاد الاسلامية لم يزل يضمحل حاله ويذوب ويتحلل به نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن فى أطراف طبرستان فى سنة سبع عشرة وستمائة وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وكان خلع ولده قطب الدين وعهد لولده الاكبر (جلال الدين) فلما جلس على سرير الملك تيقن بحلول البوار ونزول الدمار وخراب الديار بمجئ مطامئة التتار فشرع فى تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة ظاهرة ودولة باهرة لكنه عن مقاتلة التتار عاجز ومن مقابلتهم ناجز ثم ان تلك الدواهى المصمية وصلوا الى بلاد الاسلام فى أوائل سنة خمس عشرة وستمائة وصاروا على بسيطة العالم سير الغمام فارادوا اطفاء نور الايمان

كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الاول الذى كنا عليه فكتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس حتى يلقى أهل الشام فينا جزهم فقام فى أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه من ترك الجهاد فى الله وادهن فى أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء فى الدين ولا علماء فى التأويل ولا لهذا الامر بأهل فى سابقة الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا للمسير الى عدوكم من أهل المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من أهل البصرة ليقدموا علينا فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكتب الى ابن عباس اما بعد فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد اجمعنا على المسير الى عدونا من أهل المغرب فاشخص الى الناس حتى يأتيك رسولى واقم حتى يأتيك أمرى والسلام عليك فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الاحنف بن قيس فشخص ألف وخمسمائة فخطبهم وقال يا أهل البصرة أتانى كتاب أمير المؤمنين فامرتكم بالنفير اليه فلم يشخص منكم اليه الا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم الا انفروا اليه مع جارية بن قدامة السعدى ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته متخلفا عن دعوته عاصيا لامامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان فجمع اليه رؤس أهل الكوفة ورؤس الاسباع ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخوانى وانصارى وأعوانى على الحق وأصحابى الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجو تمام طاعة المقبل وقد استنفرت أهل البصرة فأتانى منهم ثلاثة آلاف ومائتان فليكتب لى رئيس كل قبيلة ما فى عشيرته من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال وعبدان عشيرته وموا ليهم ويرفع ذلك الينا فقام اليه سعيد بن قيس الهمدانى فقال يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة أنا أول الناس أجاب ما طلبت وقام معقل بن قيس وعدى بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدى وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفا سوى اهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل وكتب الى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من عنده من المقاتلة وبلغ عليا ان الناس يقولون لو سار بنا الى قتال هذه الحرورية فاذا فرغنا منهم توجهنا الى قتال المحلين فقال لهم بلغنى أنكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين اهم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا عباد الله خولا فنادى الناس ان سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت وقام اليه صيفى بن قيل

نهر جيحون والتتار من خلفه وقد أدركوه فلما رأى ذلك خاف على حرمه وأهله فقتلهم عن آخرهم والقاهم فى نهر جيحون وعدى النهر وذهب الى باشورة آمد وصعد الى جبل الاكراد فتبعه رجل منهم وبيده حربة فقتله وفى تواريخ الفرس انه كان مختبئا فى بعض الاطراف ولا يعلم به أحد ولم يكن معه سوى رجل واحد من خواصه فسمع انسانا يقول العجب من وقائع الدنيا ان عسكر جنكزخان وصل الى القلعة التى بها نساء السلطان فلما سمع ذلك لم يزل يميل الى جانب الارض حتى وقع ميتا فاخبر الرجل الذى كان معه انه هو السلطان فتعجب الناس من ذلك ولم يجدوا له كفنا فكفن بشاشه فسبحان الذى يبقى وما سواه فان وكانت الوقعة فى منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة وبها انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والثلاثون فى ذكر دولة بنى سلجوق بحلب والشام ولمع من وقائعهم فيما مضى من الايام)

ذكر فى الدول الاسلامية

ان أول من تولى الملك بحلب والشام من السلجوقية (انسز بن ابق) السلجوقى لانه سار الى فلسطين لفتح تلك البلاد وحاصر دمشق

الشيبانى فقال يا امير المؤمنين نحن حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من اناب الى طاعتك من كانوا وايما كانوا فانك ان شاء الله ان تؤتى من قلة عدد وضعف شيعة اتباع

(ذكر قتال الخوارج)

قيل لما اقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له من انت قال انا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعنا لك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به فقال حدثنى ابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا فقالوا له هذا الحديث سألنا لك فما تقول فى ابى بكر وعمر فاثنى عليهما خيرا فقالوا اما تقول فى عثمان فى اول خلافته وفى آخرها قال انه كان محقا فى اولها وفى آخرها فقالوا فما تقول فى على قبل التحكيم وبعده قال انه اعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وافقد بصيرة فقالوا انك تتبع الهوى وتوالى الرجال على اسمائها لا على افعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها احدا فاخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فاخذها أحدهم فتركها فى فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فالقاها ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا هذا فساد فى الارض فاتى صاحب الخنزير فارضاه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم من بأس انى مسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثا ولقد أمنتمونى قالتم لا روع عليك فاضجعوه فذبحوه فسال دمه فى الماء واقبلوا الى المرأة فقالت أنا امرأة الا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم الحرث بن مرة العبدى ليأتيهم ويتظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليه ولا يكتمه فلما دنا منهم يسائلهم قتلوه واتى عليا الخبر والناس معه فقالوا يا امير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا فى عيالنا وأموالنا ونسير بنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سرنا الى عدونا من أهل الشام وقام اليه الاشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الاشعث يرى رأيهم لانه كان يقول يوم صفين أنصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه المقالة علم الناس انه لم يكن يرى غير رأيهم فاجمع على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فقلبه منجم فى مسيره فاشار عليه أن يسير وقتا من النهار فقال له ان أنت سرت فى غير هذا الوقت أنت وأصحابك ضر اشديدا فخالفه على وسار فى الوقت الذى نهاه عنه فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال لو سرنا فى الساعة التى أمرهم المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيأ سار فى الساعة التى امرهم المنجم فظفر وكان المنجم مسافر بن عفيف الازدى فارسل على الى اهل النهر أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم ثم انا تاركوكم وكاف عنكم حتى التى اهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من امركم فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم وخرج اليهم قيس ابن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله اخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا فى هذا الامر الذى خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا

بدمشق ثلاث سنين واحدا وعشرين يوما وسار السلطان ملكشاه السلجوقى الى حلب فملكها وولى عليها (قسيم الدولة آق سنقر) جد نور الدين الشهيد كما سيأتى ذكره وولى دمشق أخاه (تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقى) وما فتحه من تلك النواحى ولم يزل تتش يجاهد فى سبيل الله تعالى حتى فتح حمص ففى اثناء ذلك توفى السلطان ملكشاه فعزم تتش على طلب السلطنة لنفسه فسار الى حلب فاطاعه قسيم الدولة آق سنقر لصغر أولاد السلطان وحمل على انطاكية ثم سار الى ديار بكر وأعمالها الى آن وصل اذربيجان وهمدان فأطاعوه وخطبوا باسمه وبادر الى اصفهان فاستقبله صاحبها بركيارق فانهزم تتش منه فلحقه وقتله فاستقام الامر لبركيارق فولى مكان تتش ولده (رضوان) لكنه لم يتمكن على غالب البلاد التى كانت بيد والده لان دمشق غلب عليها أخوه شمس الملوك دقاق بن تتش فقدم أخوه رضوان لحاصرها فلم ينل مقصودا وعاد الى حلب ثم عرض لدقاق مرض طول به فتوفى وقيل ان أمته زينب أرسلت له جارية فسمته فى عنقود عنب معلق فى شجرته ثقبته بابرة فيها خيط مسموم فاكله فتهرى بالشرك

بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة السلمى ان الحق قد اضاء لنا فلسنا متابعيكم او تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال نشدتكم الله فى انفسكم أن تهلكوها فانى لا أرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم ابو ايوب الانصارى فقال عباد الله انا وايا كم على الحال الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلونا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتم غدا قال فانى انشدكم الله ان تجعلوا فتنة العام مخافة ما يأتى فى القابل وأتاهم على فقال ايتها العصابة التى اخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت فى الخطب العظيم الى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى باثناء هذا الوادى وباهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين الم تعلموا انى نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا باصحاب دين فعصيتمونى فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن ويميتا ما اماتا القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا امرهما ونحن على الامر الاول فمن اين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك وسنك وان ابيت فانا منابذوك على سواء فقال على أصابكم حاصب ولا بقى منكم وابر أبعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه لهم ياهؤلاء ان انفسكم قد سولت لكم فراقى لهذه الحكومة التى انتم بدأتموها وسألتموها وانا لها كاره وانبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة وهنا فابيتم على اباء المخالفين وعندتم عنود الناكداء العاصين حتى صرفت رأيى الى رأيكم ورأى معاشر والله أخفاه الهام سفهاء الاحلام فلم آت لا ابا لكم هجرا والله ما اختلتكم عن امورکم ولا اخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا اوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء وان كان امرنا الامر المسلمين ظاهرا فاجمع رأى ملئكم ان اختار وا رجلين فاخذنا عليهما ان يحكما بما فى القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والنقة فى ايدينا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا لهو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التى قتلها عند الله حرام فتنادوا الا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد على عنهم ثم ان الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا اغاروا به فقال لعلى اصحابه انهم قد عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعادوا واخبروهم انهم عبروا النهر وكان بينهم وبينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال انهم قد عبروا النهر فقال على والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة وتقدم على اليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه وكان الناس قد شكوا فى قوله وارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا واخبروا عليا بحالهم فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه عبى أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدى وعلى ميسرته شبث بن ربعى او معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل ابا ايوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة الانصارى وعلى اهل المدينة وهم

العراق ولحق تتش أخا السلطان ملك شاه وهو يومئذ صاحب الشام فاكرمه وولاه على القدس ثم سار مع تتش الى حلب ولكها

ابن الب ارسلان) فلم يقم غير ثلاثة أشهر ثم انه توهم وتوجه الى الشرق فهلك هنالك ولم يتم لرضوان الامر وكان مقره بحلب حتى توفى فى سنة سبع وخمسمائة وتولى مكانه ابن أخيه (ألب ارسلان بن دقاق) وكان صبيا صغيرا وكان يدبر أمره اتابكه لؤلؤ الخادم ثم تنكر له فقتله ونصب مكانه أخاه (سلطان شاه) مدة وهو مضمحل الحال وضعيف الاحوال فخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا بالغازى بن ارتق وحكموه على انفسهم فلم يجد ما لا نصادر جماعة ثم سار الى مدينة ماردين بنية العود لحاينها واستخلف عليها ابنه (حسام الدين تمرتاش) فانقرض ملك تتش من حلب والشام والله أعلم

(الباب السادس والثلاثون فى ذكر دولة بنى ارتق ملوك ماردين وديار بكر واخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر)

ذكر ابن الاثير فى تاريخه ان ارتق بن اكسب كان من مماليك السلطان ملك شاه السلجوقى وله مقام محمود فى دولتهم وكان والياعلى حلوان وما يليها من أعمال

الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمع الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود وطمع صاحب مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان فخرج سقمان وأخوه ايلغازى ابنا أرتق وابن اخيهما ياقوتى وابن عمهما سويج فلحق ايلغازى بالعراق فولى شحنكية بغداد وسار سقمان الى الرها فاقام بها واستقبل امره فملك حصن كيفا وسار سقمان الى ماردين من ديار بكر فملكها وجمع الجيوش واستولى على نصيبين ثم بعث نجم الملك بن عماد الدين صاحب طرابلس يستنجد سقمان على الافرنج عند ما ملكوا سواحل الشام وخاف على طرابلس وسار سقمان حتى وصل الى القريتين فتوفى هنالك فحمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وقد سار ايلغازى من بغداد الى ماردين فاستولى عليها ولما خشى أهل حلب على مدينتهم من الافرنج وكانوا استدعوا ايلغازى بن أرتق من ماردين سلموا له البلد وعزلوا رضوان بن تتش لضعف حاله كما تقدم وقد وقع بينه وبين الافرنج وقائع كثيرة وكان لا يطيل على

سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة وعبت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى واعطى علىّ أبا أيوب الانصارى راية الامان فناداهم أبو أيوب فقال من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ما ادرى على أى شئ نقاتل عليا أرى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى علىّ نحو مائة وكانوا أربعة آلاف فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على وكان على قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل على فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فلما بثوا ان أناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه ان انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا ان حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على فاهلكوا فى ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائى طعنته فى صدره خرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله بالنار فقال ستعلم غدا اينا اولى بها صليا فقال له على هو أولى بها صليا وجاء هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما قالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه وطعناه برمحينا فقال كلا كما قاتل وحمل جيش بن ربيعة الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله وحمل عبد الله بن زحر الخولانى على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ووقع شريح بن أوفى الى جانب جدار فقاتل عليه وكان جل من يقاتله همدان فقال

قد علمت جارية عبسمه * ناعمة فى اهلها مكفيه * انى ساحمى ثلثى العشيه

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله فجعل يقاتلهم وهو يقول القرم يحمى شوله معقولا فحمل عليه قيس أيضا فقتله فقال الناس

اقتتلوا همدان يوما ورجل * اقتتلوا من غدوة حتى الاصل
ففسح الله لهمدان الاجل

(ذكر مقتل ذى الثدية)

قد روى جماعة ان عليا كان يحدث اصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج اهل النهروان سار بهم اليهم على وكان منه معهم ما كان فلما فرغ امر أصحابه ان يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله انه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا امير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج على فى طلبه قبل ان يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفى والريان بن صبرة فوجدوه فى حفرة

على شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فاذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قاص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه وقال حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان وانفس امارة بالسوء غرتهم بالاماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم انهم ظاهرون قيل وأخذ ما في عسكرهم من شئ فاما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فانه رده على أهله حين قدم وطاف عدي بن حاتم في القتلى على ابنه طرفة فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال علي حين بلغه أنقتلوهم ثم تدفنونهم ارتحلوا فارتحل الناس فلم يقتل من أصحاب علي الا سبعة وقيل كانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من أصحابه يزيد بن نويرة الانصاري وله صحبة وسابقة وشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان أول من قتل

(ذكر رجوع علي الى الكوفة)

ولما فرغ علي من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال ان الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعادأكثرها قصدا فارجع الى مصرنا فلنستعد ولعل امير المؤمنين يزيد في عدتنا فانه اقوى لنا على عدونا وكان الذي تولى كلامه الاشعث بن قيس فاقبل حتى نزل النخيلة فأمر الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم وان يقللوا زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيه اياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس وترك المعسكر خاليا فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم ايضا ايها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم ومن في جهاده القربة الى الله عز وجل ودرك الوسيلة عنده حياري عن الحق جفاة عن الكتاب يعمهون في طغيانهم قاعدا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا فلم ينفروا ولا تيسروا فاقركهم اياما حتى اذا يئس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط فقام فيهم فقال عباد الله ما بالكم اذا امرتكم ان تنفروا اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز خلفا وكلما نادیتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكان قلوبكم مألوسة وانتم لا تعقلون فكان ابصاركم كمه وانتم لا تبصرون لله انتم ما أنتم الا اسد الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لي بثقة سجيس الليالي ما انتم بركب يصال به لعمر الله لبئس حشاش الحرب انتم افكم تكادون ولا تكيدون ويتنقص اطرافكم وأنتم لا تحاشون ولا تنام عيونكم وانتم في غفلة ساهون ثم قال اما بعد فان لي عليكم حقا وان لكم علي حقا فاما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلون وتأديبكم كي تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في

ثقضي ازواده-م ثم توفي ايلغازي بن ارتق في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة ثم توفي بعده ولده الذي بحلب (حسام الدين تمرتاش) وملك ابنه سليمان ميافارقين الى أن جاء الافرنج وحاصروا حلب وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبها ولم يكن في الوقت أقوى من البرسقي صاحب الموصل ولا أكثر جمعا فاستدعوه ليدافع عنهم الافرنج ويملكوه البلد فلما اشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى بلادهم فخرج أهل البلد فتلقوا البرسقي فدخل حلب ولم تزل بيده الى أن هلك وملكها ابنه (عز الدين) ثم هلك فولي السلطان عليها (محمود نور الدين) ورجع تمرتاش الى ماردين واستمر بها وكان ملك ميافارقين قد صار لحسام الدين تمرتاش ولم يزل تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة وملك مكانه بماردين ابنه (السبي بن تمرتاش) وبقي ملكا عليها الى ان مات وولي بعده ابنه (ايلغازي ابن السبي) الى أن مات أيضا وولي وتوفي قام بالامر بعده (بولق) وكان بينه وبين بني أيوب ملوك مصر حروب كثيرة الى أن هلك فملك

سنة ثمان وخمسين وستمائة وملك بعده أخوه (قره ارسلان بن ارتق) فلما هلك ملك بعده (شمس الدين داود) فاقام سنة ثم هلك وملك بعده اخوه (المنصور نجم الدين غازى بن قره ارسلان) الى ان توفى فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وملك بعده ابنه (الصالح شمس الدين ابن صالح) الى ان توفى لاربع وخمسين من ملكه وملك بعده ابنه (المنصور احمد) الى ان توفى فى سنة تسع وستين وسبعمائة لثلاث سنين من ملكه وملك بعده ابنه (الصالح محمود) اربعة اشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين وملك بعده ابنه (مجد الدين عيسى) وهو آخر من تولى ماردين من هذه الطائفة واستولى عليها الملك هلاكو

(الباب السابع والثلاثون فى ذكر دولة الاتابكية واوصافهم الحسنة الزكية)

ذكر فى الدول الاسلامية ان اول هذه الطائفة (قسيم الدولة آق سنقر) كان مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقى ولما ملك اخوه تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقى مدينة حلب فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة استنابه فيها فعصى عليه بعد ذلك وجرى بينهما حروب آلت الى اسر آق سنقر وقتله فدفن بمدرسته المعروفة آخذ

المغيب والمشهد والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون

(ذكر عدة حوادث)

قيل وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن عباس وكان عامل على على اليمن وكان على مكة والطائف قثم بن العباس وكان على المدينة سهل بن حنيف وقيل تمام بن العباس وكان على البصرة عبد الله بن عباس وعلى مصر محمد بن أبى بكر ولما سار على الى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الانصارى وكان على خراسان خليد بن قرة اليربوعى وكان بالشام معاوية ابن ابى سفيان وفيها قتل حازم بن أبى حازم أخو قيس الاحمسى البجلى بصفين مع على وفيها مات خباب بن الارت شهد بدرا ومابعدها وشهد صفين مع على والنهروان وقيل لم يشهدها كان مريضا ومات قبل قدوم على الى الكوفة وقد تقدم ذكره وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وفيها قتل أبو الهيثم بن التيهان بصفين مع على وقيل عاش بعدها يسيرا وقتل بها أخوه عبيد بن التيهان وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فى قول وهو بدرى وفيها قتل يعلى بن منية وهى أمه واسم أبيه أمية التميمى وهو ابن أخت عتبة بن غزوان وقيل ابن عمته وكان قد شهد الجمل مع عائشة ثم شهد صفين مع على فقتل بها وكان اسلامه يوم الفتح وشهد حنينا وقتل بصفين مع على أبو عمرة الانصارى النجارى والد عبد الرحمن وهو أيضا بدرى وفيها قتل أبو فضالة الانصارى فى قول وهو بدرى وفيها توفى سهل ابن حنيف الانصارى فى قول وهو بدرى وشهد مع على حروبه وتوفى بها صهيب بن سنان وصفوان بن بيضاء وهو بدرى وفى هذه السنة توفى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعسقلان فجأة وهو فى الصلاة وكره الخروج مع معاوية الى صفين وقيل شهدها ولا يصح

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين)

(ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبى بكر الصديق)

فى هذه السنة قتل محمد بن أبى بكر الصديق بمصر وهو عامل على عليها وقد ذكرنا سبب توليته على اياه مصر وعزل قيس بن سعد ودخوله مصر وانفاذه ابن مضاهم الكلبى الى أهل خربتا فلما مضى ابن مضاهم اليهم قتلوه وخرج معاوية بن حديج السكونى وطلب بدم عثمان ودعا اليه فاجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر فبلغ ذلك عليا فقال ما مصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذى عزلناه يعنى قيسا او الاشتر وكان الاشتر قد عاد بعد صفين الى عمله بالجزيرة وقال على لقيس اقم عندى على شرطتى حتى تنقضى الحكومة ثم تسير الى أذربيجان فلما بلغ عليا أمر مصر كتب الى الاشتر وهو بنصيبين يستدعيه فحضر عنده فاخبره خبر أهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها فانى لو لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق ابلغ وتشدد حين لا يغنى الا الشدة فخرج الاشتر يتجهز الى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع فى مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان اشد عليه من محمد بن ابى بكر فبعث معاوية الى المقدم على اهل الخراج بالقلزم وقال له ان الاشتر قد ولى مصر فان كفيتنيه لم

آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت تخرج الحابسات حتى الى القلزم واقام به وخرج الاشتر من العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل عنده فاتاه بطعام فلما أكل اتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه اياه فلما شربها مات واقبل معاوية يقول لاهل الشام ان علي اقدر وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه كل يوم واقبل الذي سقاه الى معاوية فاخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال اما بعد فانه كانت لعلي يمينان فقطعت احداهما بصفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم يعني الاشتر فلما بلغ عليا موته قال للمدين وللفم وكان قد ثقل عليه الاشياء ثقلت عنه وقيل انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من حديد لكان قيدا أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكي وهذا اصح لانه لو كان كارها له لم يوله مصر وكان الاشتر قد روى الحديث عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأبي ذر وروى عنه جماعة وقال أحمد بن صالح كان ثقة قيل ولما بلغ محمد بن أبي بكر انفاذ الاشتر شق عليه فكتب اليه علي أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي الاشتر الى عملك واني لم أفعل ذلك الا استبطاء لك في الجهاد ولا ازدياد امني لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة منه وأعجب اليك ولاية ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا وقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك وكتب اليه محمد أما بعد فقد انتهى الي كتابك وفهمته وليس احد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين ولا اجهد على عدو ولا ارأف بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا واظهر لنا خلافا وانا متبع امر أمير المؤمنين وحافظه والسلام وقيل انما تولى الاشتر مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر وكان اهل الشام ينتظرون بعد صفين امر الحكمين فلما تفرقا بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على علي فما كان لمعاوية هم الا مصر وكان يهاب اهلها القرب هم منه وشدتهم على من كان على رأي عثمان وكان يرجو أنه اذا ظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها فلما عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن ابي ارطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وابا الاعور السلمي وشرحبيل بن السمط الكندي فقال لهم اتدرون لم جمعتكم فاني جمعتكم لامر لي مهم فقالوا لم يطلع الله على الغيب أحدا وما نعلم ما تريد فقال عمرو بن العاص دعوتنا فسألنا عن رأينا في مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك فقال معاوية أهمك يا ابن العاص ما أهمك وذلك ان عمرا كان صالح معاوية على قتال علي على ان له مصر طعمة ما بقي وأقبل معاوية على اصحابه وقال اصاب ابو عبد الله فاشيروا فقالوا ما ترى الا ما رأى عمرو قال فكيف أصنع فان عمرا لم يقصر كف أصنع فقال عمرو أرى ان تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتي مصر فانه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فان اجتمع جندك

(في ظل الدولة السلجوقية فشب مرموقا بعين النجدة وكان شديد الهيبة عظيم السياسة وكان اشجع خلق الله تعالى ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة فاختصه السلطان وأضاف اليه شحنكية بغداد وولاية واسط مضافا الى الموصل وذلك في سنة احدى وعشرين وخمسمائة وسلم اليه ولده فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه ولهذا قيل له أتابك وهو الذي يربي اولاد الملوك ثم سار في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة الى مدينة حلب وملك في طريقه منبج من يد حسان وتلقاه أهل حلب واستولى عليها وأقطع اعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على صاحب حلب الامير لطلع فخنقه فمات ثم استولى على مدينة حماه وحمص وبعلبك وحاصر دمشق فلم يملكها ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها فأصيب مقتولا على فراشه قتله بعض خواصه فدفن بالرقة وعمره ستون سنة فاستولى بعده ابنه (سيف الدين) على الموصل وابنه الآخر (نور الدين الشهيد محمود) على حلب ثم توفي

٢٠ مل ث سيف الدين وتولى مكانه أخوه قطب الدين مودود على الموصل وكان نور الدين المذكور معتدل القامة أسمر اللون

ومن بها على راينار جوت ان ينصرك الله قال معاوية ارى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما اردنا بغير قتال فذاك الذى اردنا والا كان حربهم من بعد ذلك انك يا ابن العاص بورك لك فى الشدة والعجلة وانا بورك لى فى التؤدة قال عمرو افعل ماترى فما أرى أمرنا يصير الا الى الحرب فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكونى وكانا قد خالفا عليا يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب بدم عثمان ويعدهما المواساة فى سلطانه وبعثه مع مولاه سبيع فلما وقفا عليه اجاب مسلمة بن مخلد الانصارى عن نفسه وعن ابن حديج أما بعد فان الامر الذى بذلنا له انفسنا واتبعنا به امر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على امامنا وأما ماذكرت من المواساة فى سلطانك فقد الله ان ذلك أمر ما له نهضنا ولا اياه اردنا فعجل الينا بخيلك ورجلك فان عدونا قد أصبحوا الناها بين فان يأتنا مدد يفتح الله عليك والسلام فلما ورد الكتاب وهو بفلسطين فدعا أولئك النفر وقال لهم ماترون قالوا نرى ان تبعث جندا فامر عمرو بن العاص ليتجهز اليها وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فنزل ادانى أرض مصر فاجتمعت اليه العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابى بكر أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن ابى بكر فانى لا أحب أن يصيبك فى ظفرات الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها انى لك من الناصحين وبعث معه كتاب معاوية فى المعنى أيضا ويتهدده بقصده حصار عثمان فارسل محمد الكتابين الى على ويخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه رأى التفاقم ممن عنده ويستقدمه فكتب اليه على يأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله وقام محمد بن أبى بكر فى الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم مع كنانة بن بشر فانتدب معه الفان وخرج محمد بن ابى بكر بعده فى اثنين وكنانة على مقدمته واقبل عمرو نحو كنانة فلما دنا منه سرح الكاتب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة الا حمل عليها فالحقها بعمرو ابن العاص فلما رأى ذلك بعث الى معاوية بن حديج فاتاه فى مثل الدهم فاحاطوا بكنانة واصحابه واجتمع اهل الشام عليهم من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه اصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد وبلغ قتله محمد بن ابى بكر فتفرق عنه اصحابه واقبل نحوه عمرو وما بقى معه احد فخرج محمد يمشى فى الطريق فانتهى الى خربة فى ناحية الطريق فأوى اليها وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلا جالسا فقال ابن حديج هو هو قد دخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن ابى بكر الى عمرو بن العاص وكان فى جنده وقال اتقتل اخى صبرا ابعث الى ابن حديج فانهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمحمد فقال قتلتم كنانة بن بشر واخلى انا محمدا أكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر هيهات هيهات فقال لهم محمد بن ابى بكر اسقونى ماء فقال له معاوية بن حديج لا سقانى الله ان سقيتك قطرة ابدا انكم منعتم عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق فقال له محمد يا ابن اليهودية

واسع الجبهة حسن الصورة وخمسمائة بمدينة حلب ونشأ على الخير والصلاح والعبادة وكان ملكا زاهدا حنفى المذهب عابدا عادلا مستمسكا بالشريعة وكان مغرما بالجهاد فى سبيل الله فتح بانياس وحمص حصنا وملك دمشق وضبط امورها وعمر بها البيمارستان المشهور ودار الحديث وأبطل المكوس وكانت الفرنج تملكت سواحل الشام الى عسقلان ثم طمعوا فى ملك دمشق وكان اهلها يؤدون الضريبة للافرنج فلما بلغ ذلك نور الدين الشهيد تجرد لطلب دمشق ولجهاد الافرنج فعمل الحيلة وارسل الى صاحبها مجير الدين أبق بن طغتكين واستمالة ووصله بالهدايا والتحف حتى اعتمد عليه ووثق به فكان يغريه بالرجال الذين يجدبهم القوة على المدافعة واحدا بعد واحد ويرسل يقول له ان فلانا كاتبنى فى تسليم دمشق فيصدق كلامه ويقتله مجير الدين حتى قتل جميع من هو شديد من أمرائه فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب الامراء الاحداث الذين استمالهم فوعدوه فلما علم ذلك مجير الدين راسل الافرنج فى نصرته على نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه الى ذلك وشرعوا فى الحشد فسبقهم نور الدين

اليهود ذبة النساجة ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقي اولياءه ويظمئ اعداءه انت واصحابك اما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا ثم قال له اتدري ما اصنع بك ادخلك جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار فقال محمد ان فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك باولياء الله واني لارجو أن يجعلها عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو نارا تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه وقتله ثم القاه في جيفة حمار ثم احرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو واخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن ابي بكر في عيالهم ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت وقد قيل ان محمدا قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا فقتل كنانة وانهزم محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق فدل عليه معاوية بن حديج فاحاط به فخرج محمد فقاتل حتى قتل واما علي فلما جاءه كتاب محمد بن أبي بكر فاجابه عنه ووعده المدد وقام في الناس خطيبا واخبرهم خبر مصر وقصد عمرو اياها وندبهم الى انجادهم وحثهم على ذلك وقال اخرجوا بنا الى الجرعة وهي بين الكوفة والحيرة فلما كان الغد خرج الى الجرعة فنزلها بكرة واقام بها حتى انتصف النهار فلم يأته احد فرجع فلما كان العشي استدعى اشراف الناس وهو كئيب فقال الحمد لله على ما قضى من امره وقدر من فعله وابتلاني بكم أيتها القرية التي لا تطيع اذا أمرت ولا تجيب اذا دعوت لا اباً لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم فوالله لئن جاء الموت وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لدد انتم أما دين يجمعكم ولا حمية تحميكم اذا انتم سمعتم بعدو كم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أوليس عجيبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة في السنة المرة والمرتين والثلاث الى أي وجه شاء وانا ادعوكم وانتم أولوا النهى وبقية الناس على العطاء والمعونة فتتفرقون عني تعصونني وتختلفون علي فقام كعب بن مالك الارحبي وقال يا أمير المؤمنين اندب الناس لهذا اليوم كنت أذخر نفسي ثم قال أيها الناس اتقوا الله واجيبوا امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وانا سير اليه فخرج معه الفان فقال له سر فوالله ما أظنك تدركهم حتى ينقضي امرهم فسار بهم خمسا ثم ان الحجاج بن غزية الانصاري قدم من مصر فاخبره بقتل محمد بن ابي بكر وكان معه وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام وكان عينه هناك فاخبره ان البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور اهل الشام بقتله فقال علي اما ان حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد اضعافا فارسل علي فاعاد الجيش الذي نفذهم وقام في الناس خطيبا وقال الا ان مصر قد افتتحها الفجرة اولوا الجور والظلمة الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا الا وان محمد بن ابي بكر استشهد فعند الله نحتسبه أما والله ان كان كما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن اني والله ما ألوم نفسي على تقصير وانى لمقاساة الحروب لجدير خبير وانى لاقدم على الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأي المصيب واستصرخكم معلنا وانا ديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تصيروا لي الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجر جرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية في

جئنا للمجاورة فقال لهما اصدقاني وعاقبهما فاقرا انهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلان من بالحجرة الشريفة باتفاق من

جهاد العدو ولا اكتساب الاجر ثم خرج الى منكم جنيد متذائب كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف لكم ثم نزل (معاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين جارية بن قدامة بالجيم وفي آخره ياء تحتية نقطتان بسر بن ابي ارطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

(ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة)

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن ابي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله ابن الحضرمي الى البصرة وقال له ان جل اهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم امامهم فانزل في مضر وتوقد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينصرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي بالكوفة واستخلف زياد بن ابيه على البصرة فلما وصل ابن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال ان عثمان امامكم امام الهدى قتل مظلوما وقتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير اتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت امورنا فخذلنا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء أفترى ان ننتضي اسيافنا ونضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية اميرا والله ليوم من ايام علي خير من معاوية وآل معاوية فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسكت فلست باهل ان تتكلم ثم اقبل على ابن الحضرمي فقال نحن انصارك وبدك والقول قولك فاقرأ كتابك فاخرج كتاب معاوية اليهم يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم الى الطلب بدمه ويضمن انه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاءين في السنة فلما فرغ من قراءته قام الاحنف فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي واعتزل القوم وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تتكشوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة وكان عباس بن محمار العبدي مخالفا لقومه في حب علي فقام وقال انا نصرنك بايدينا والسنتنا فقال له المثنى بن مخربة العبدي والله ان لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك باسيافنا ورماحنا ولا يغرنك هذا الذي يتكلم يعني ابن محمار فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان أنت ناب من انياب العرب فانصرني فقال لو نزلت في داري لنصرتك فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال انتم يا معشر بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون واتاه من اتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر امير المؤمنين فقال حضين بن المنذر نعم وقال مالك وكان رأيه مائلا الى بني أمية هذا امر لي فيه شركاء استشيرهم فيه وانظر فلما رأى زياد تثاقل مالك خاف ان تختلف عليه ربيعة فارسل الى صبرة بن شيمان الحدانى الازدي يطلب ان يجيره ويبيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري أجرتكما فنقله الى داره بالحدان ونقل المنبر أيضا فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان ويطعم الطعام فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي يا أبا محمد اني لارى ابن الحضرمي

في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتهما ويخرجان بلقيانه في الخارج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقا بالنار وركب راجعا الى الشام بعد ان حفر خندقا حول الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس واستحفظه غاية الاحتفاظ ومحا من هذا السلطان اجل أن تحصى وتحصر فمن اراد الوقوف على مناقبه فعليه بالكواكب الدرية في السيرة النورية توفي رحمه الله نهار الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق من علة الخوانيق ثم نقل الى تربته التي انشأها بقرب سوق الخواصين وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة ولما توفي اجتمع الامراء واهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه (الملك الصالح اسمعيل) وهو ابن احدى عشرة سنة واطاعه الناس وكانوا يرجعون في جميع امورهم الى الملك صلاح الدين بن ايوب صاحب مصر ثم بعد ذلك اختلفت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الفجور وعزم الافرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين سار من مصر لحفظ

يكف واراه سيفا قاتلكم ولا ادرى ما عند اصحابه فانظر ما عندهم فلما صلى زياد جلس فى المسجد واجتمع الناس اليه فقال جابر يا معشر الازد ان تميما تزعم أنهم هم الناس وانهم اصبر منكم عند البأس وقد بلغنى انهم يريدون أن يسيروا اليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسرا فكيف انتم اذا فعلوا ذلك وقد اجرتموه وبيت مال المسلمين فقال صبرة بن شيمان وكان مفحما ان جاء الاحنف جئت وان جاء حماتهم جئت وان جاء شبابهم فقينا شباب وكتب زياد الى على بالخبر فارسل على اليه اعين بن ضبيعة المجاشعى ثم التميمى ليفرق قومه عن ابن الحضرمى فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه وكتب الى زياد يعلمه ذلك فقدم اعين فأتى زيادا فنزل عنده وجمع رجالا واتى قومه ونهض الى ابن الحضرمى ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفهم نهارا ثم انصرف عنهم فدخل عليه قوم قيل انهم من الخوارج وقيل وضعهم ابن الحضرمى على قتله وكان معهم فقتلوه غيلة فلما قتل اعين اراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناه وكتب زياد الى على يخبره خبر أعين وقتله فارسل على جارية بن قدامة السعدى وهو من بنى سعد من تميم وبعث معه خمسين رجلا وقيل خمسمائة من تميم وكتب الى زياد يامره بمعونة جارية والاشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما اصاب اعين فقام جارية فى الازد فجزاهم خيرا وقال عرفتم الحق اذ جهله غيركم وقرأ كتاب على الى اهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال صبرة بن شيمان سمعا لامير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه وقال ابو صفرة والد المهلب لزياد لو ادركت يوم الجمل ما قاتل قومى أمير المؤمنين وقيل ان اباصفرة كان توفى فى مسيره الى صفين والله اعلم وسار جارية الى قومه وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم فاجابه اكثرهم فسار الى ابن الحضرمى ومعه الازد ومن تبعه من قومه وعلى خيل ابن الحضرمى عبد الله بن خازم السلمى فاقتتلوا ساعة واقبل شريك بن الاعور الحارثى فصادع جارية فانهزم ابن الحضرمى فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم فأتته امه بحلى وكانت حبشية فامرته بالنزول فأبى فقالت والله لتنزلن اولانزعن ثيابى فنزل ونجا واحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمى وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر وكان قصر سنبيل لفارس قديما وصار لاسنبيل السعدى وحوله خندق وكان فيمن احترق دارع بن بدر اخو حارثة بن بدر فقال عمرو بن العرندس

رددنا زيادا الى داره * وجار تميم دخانا ذهب
لحى الله قوما مشوا جارهم * ولم يدفعوا عنه حر اللهب

فى أبيات غير هذه وقال جرير

غدرتم بالزبير قنا وقينتم * وفاء الازد اذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عز * وجار مجاشع امسى رمادا
فلو عاقدت حبل أبى سعيد * لذاد القوم ما حمل النجادا
وادنى الخيل من رهج المنايا * واغشاها الاسنة والصعادا

جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان وحارثة بن بدر بالحاء المهملة وبعدها ثاء مثلثة وعبد

اليها واقام بها ودخل السلطان صلاح الدين الى دمشق وتسلمها بغير قتال ومنازع وملك حمص وحماة ثم توفى الملك الصالح اسمعيل فى منتصف عام سبعة وسبعين وخمسمائة ولم يعقب فكانت مدة ملكه ثمانى سنين وعهد بالملك لابن عمه (عز الدين مسعود) صاحب الموصل ثم استولى السلطان صلاح الدين على حلب وعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج ولم يزل فيهم بقية متصرفون على الاماكن المذكورة الى ان وقع التتار بجلال الدين خوارزمشاه فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وقتلوه وانقرضت دولة الاتابكية من الشام والجزيرة اجمع كان لم تكن

(الباب الثامن والثلاثون فى ذكر دولة بنى طغتكين بالشام وحسن سيرتهم فى الانام)

ذكر فى تحفة ذوى الالباب ان اباسنصور (طغتكين) كان من رجال تاج الدولة تتش زوجه بام ابنه دقاق وكان معه لما ذهب الى الرى لقتال ابن أخيه بركيارق ورجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة وكان اتابك دقاق مدة ولايته وكان شهما مهابا شديدا على المفسدين وامتدت أيامه الى ان توفى فى سابع صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن بدمشق عند المسجد الجديد قبلى المصلى

الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي والمثنى بن مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة

﴿ذكر خبر الخريت بن راشد وبني ناجية﴾

قيل وفي هذه السنة اظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي فجاء الى امير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا معي من البصرة فشهدوا معه الجمل وصفين وأقاموا معه بالكوفة الى هذا الوقت فحضر عند علي في ثلاثين راكبا فقال له يا علي والله لا اطيع أمرك ولا اصلي خلفك واني غدا مفارقك وذلك بعد تحكيم الحكمين فقال له ثكلتك امك اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرني لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين فقال له على هلم ادارسك الكتاب وانا ظرك في السنن وافاتحك أمورا أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما انت له الآن منكر قال فاني عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتني وقبلت مني لاهدينك سبيل الرشاد فخرج من عنده منصرفا الى اهله وسار من ليلته هو واصحابه فلما سمع بسيرهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ان الشيطان اليوم استهواهم واضلهم وهو غدا متبرئ منهم فقال له زياد بن خصفة البكري يا امير المؤمنين انه لم يعظم علينا فقدهم فتأسى عليهم انهم قليلون في عددنا لو أقاموا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ولكنا نخاف ان يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من اهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى اردهم عليك فقال اتدري اين توجهوا قال لا ولكني اسأل واتبع الاثر فقال له اخرج رحمك الله وانزل دير ابي موسى وأقم حتى يأتيك امري فان كانوا ظاهرين فان عمالي سيكتبون بخبرهم فخرج زياد فأتى داره وجمع اصحابه من بكر بن وائل واعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا فقال حسبي ثم سار حتى اتى دير ابي موسى فنزله يوما ينتظر امر علي وأتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الانصاري يخبره أنهم توجهوا نحو فرأتهم فقتلوا رجلا من الدهاقين كان اسلم فارسل علي الى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم وانهم قتلوا رجلا مسلما ويأمره بردهم اليه فان ابوا اجزهم وسير الكتاب مع عبد الله بن وال فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد فأذن له وقال له اني لارجوان تكون من اعواني على الحق وانصاري على القوم الظالمين قال ابن وال فوالله ما أحب أن لي بمقالته تلك حمر النعم وسار بكتاب علي الى زياد وساروا حتى اتوا النهر فقيل انهم ساروا نحو جرجرايا فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا فأتاهم زياد وقد قطع اصحابه وتعبوا فلما رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخريت اخبروني ما تريدون فقال له زياد وكان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من التعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن تنزل ثم نخلو جميعا فنذاكر أمرنا فان رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته وان رأينا فيما تسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك قال فانزل فنزل زياد واصحابه على ما هناك وأكلوا شيأ وعلقوا على دوابهم ووقف زياد في خمسة فوارس بين اصحابه وبين القوم وكانوا قد نزلوا أيضا وقال زياد لاصحابه ان عدتنا كعدتهم وأرى امرنا يصير الى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين وخرج زياد الى الخريت

فسمعهم

محمد طبرية فحمله طفتكين المذكور لما خرج من طبرية ووضعه في الجامع الاموي بدمشق ولما توفي تولى مكانه ولده (تاج الملوك) أبو سعيد بوري بن طفتكين وكانت سيرته حسنة وكان فيه حلم وسماحة ولم يزل بدمشق حتى وثب عليه أبو جميان من الباطنية فجرحه فمات منها في حادي عشري رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتولى مكانه ولده (شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل بن بوري بن طفتكين) وكان مقدما مهابا استرد قلعة بانياس من ايدي الكفار في يومين ثم انه مد يده الى اخذ الاموال وعزم على المصادرات للكتاب والعمال فادخلت عليه امه زمردة سما ليكها ليلا فقتلوه بين يديها وهو يستغيث اليها ولما قضى نحبه جعلته في بساط ملفوف ثم امرت الامراء فدخلوا عليه فرأوه ميتا فقالت انظروا الى سلطانكم وما حل به لظلمه للناس ثم احضرت اخاه (شهاب الدين محمود بن بوري) فعقدت له السلطنة وقامت امه بتدبير المملكة الى ان خطبها وتزوجها الاتابك ابن زنكي وكانت الامور على السداد الى ان وثب عليه جماعة من خدمه فقتلوه في رابع عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتولى الملك بعده ابو المظفر

فسمعهم يقولون جاءنا القوم وهم كالون تعبون فتركناهم حتى استراحوا هذا والله سوء الرأى فدعا زياد وقال له ما الذى نقمت على امير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم اما ما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل واكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يدانى صاحبك الذى فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الاسلام فقال له ذلك لا أقول لا فقال له زياد ففيما قتلت ذلك الرجل المسلم فقال له ما قاتلته وانما قتله طائفة من أصحابى قال فادفعهم الينا قال مالى الى ذلك سبيل فدعا زياد اصحابه ودعا الخريت اصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامة خيولهم وكثرت الجراحة فيهم وقتل من اصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهم وقد كره بعضهم بعضا وجرح زياد فسار الخريت من الليل وسار زياد الى البصرة واتاهم خبر الخريت انه أتى الاهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من اصحابهم فصاروا نحو مائتين فكتب زياد الى على يخبره وانه مقيم يداوى الجرحى وينتظر امره فلما قرأ على كتابه قام اليه معقل بن قيس فقال يا أمير المؤمنين كان ينبغى ان يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة فاذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم فأما ان يلقاهم عددهم فلعمرى ليصبرن لهم فان العدة تصبر للعدة فقال تجهز يا معقل اليهم وندب معه الفين من اهل الكوفة منهم يزيد بن المعقل الاسدى وكتب على الى ابن عباس يأمره ان يبعث من اهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح فى أنفى رجل الى معقل وهو امير اصحابه حتى يأتى معقلا فاذا لقيه كان معقل الامير وكتب الى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود واجتمع على الخريت الناجى من الخوارج من اهل الاهواز كثير أرادوا كسر الخراج واللصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه وطمع اهل الخراج فى كسره فكسروه واخرجوا مهل بن حنيف من فارس وكان عاملا لعلى عليها فى قول من يزعم انه لم يمت سنة سبع وثلاثين فقال ابن عباس لعلى انا اكفيك فارس بزياد يعنى ابن ابيه فأمره بارساله اليها وتجهيل تسييره فأرسل زيادا اليها فى جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا وسار معقل بن قيس ووصاه على فقال له اتق الله ما استطعت ولا تبغ على اهل القبلة ولا تظلم اهل الذمة ولا تتكبر فان الله لا يحب المتكبرين فقدم معقل الاهواز ينتظر مددا البصرة فابطأ عليه فسار عن الاهواز يطلب الخريت فلم يسر الا يوما حتى ادركه المدد مع خالد بن معدان الطائى فساروا جميعا فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز فصف معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبى من اهل البصرة وصف الخريت أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنة ومن معه من اهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم الاكراد وحرض كل واحد منهما أصحابه وحرك معقل رأسه مرتين ثم حمل فى الثالثة فصبروا ساعة ثم انهزموا فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلا من بنى ناجية ومن معهم من العرب وقتلوا نحوا من ثلاثمائة من العلوج والاكراد وانهزم الخريت بن راشد فلحق باسياف البصر وبها جماعة كثيرة من قومه فما زال يسير فيهم ويدعوهم الى خلاف على ويخبرهم ان الهدى فى حربه حتى اتبعه منهم ناس كثير وقام معقل بارض الاهواز وكتب الى على بالفتح فقرأ على الكتاب على أصحابه

واجلس ابنه (ايتى) وكان صغيرا دون البلوغ فقام بتدبيره وتربيته اتابكه معين الدين وكان الاتابك ابن زنكى انما زوج ابنه بأم شهاب الدين المقدم ذكره طمعا فى الاستيلاء على دمشق ولم يظفر بما أمله فتسلم حمص وقلعتها ثم انه حاصر دمشق ولم ينل منها شيأ فلما أيس عن فتح دمشق احرق المرج والغوطة ونهب ما فيها ورحل عائدا الى بلاده فتوفى واستولى على الملك الاتابكية وانقرضت دولة السلجوقية من الشام والبلاد الفراتية اجمع والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء من عباده

(الباب التاسع والثلاثون فى ذكر دولة بنى مرداس اهل الشدة والباس)

ذكر الجنانى فى تاريخه ان اول من تولى الملك بمدينة حلب وتوابعها من هذه الطائفة (صالح بن مرداس) الكلبى فى سنة اربع عشر واربعمائة استخلصه من يد امراء الحاكم بامر الله الفاطمى واستقر فى الملك مدة الى أن وصل العسكر من الديار المصرية فوقع الحرب بينهم وانجلى بقتل صالح وتولى مكانه ولده (محمود بن صالح) الى سنة تسع وعشرين واربعمائة فقتل على يد انوشتكين من أمراء مصر وتولى مكانه وفى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة توفى أنوشتكين وتولى

واستشارهم فقالوا كلهم نرى أن تأمر معقلا أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه فانا لا نأمن ان يفسد عليك الناس فكتب الى معقل يثني عليه وعلى من معه ويأمره باتباعه وقتله او نفيه فسأل معقل عنه فأخبر بمكانه بالاسياف وانه قد رد قومه عن طاعة علي وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام فسار اليهم معقل فأخذ على فارس وانتهى الى اسياف البحر فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج أنا على رأيكم وان عليا لم ينبغ له أن يحكم وقال للآخرين من أصحابه ان عليا حكم ورضي بخلعه حكمه الذي ارتضاه وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة واليه كان يذهب وقال سرا للعثمانية أنا والله على رأيكم قد والله قتل عثمان مظلوما فأرضى كل صنف منهم وقال لمن منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا فلما اختلف الناس قالوا والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء لانهم دينهم عن سفك الدماء فقال لهم الخريت ويحكم لا ينجيكم من القتل الا قتل هؤلاء القوم والصبر فان حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذرا فخدعهم جميعهم واتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير فلما انتهى معقل اليه نصب راية أمان وقال من أتاها من الناس فهو آمن الا الخريت واصحابه الذين حاربونا أول مرة فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وبقي معقل أصحابه وزحف نحو الخريت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم فقال الخريت لمن معه قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبينكم فقال له رجل من قومه هذا والله ما جرته علينا يداك ولسانك فقال سبق السيف العذل وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول أيها الناس ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الاجر العظيم ان الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الاسلام ونكثوا البيعة ظلما فأشهد لمن قتل منكم بالجنة ومن بقي منكم فان الله مقر عينه بالفتح ثم حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالا شديدا وصبروا له ثم ان النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخريت فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من ادرك من حريمهم وذرياتهم وأخذ رجالا كثيرا فأما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم الا شيخا كبيرا نصرانيا منهم يقال له الرماحس لم يسلم فقتله وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين وأما النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلا بهم واقبل المسلمون معهم يشيعونهم فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض حتى رحمهم الناس وكتب معقل الى علي بالفتح ثم أقبل بهم حتى مر على مصقلة ابن هبيرة الشيباني وهو عامل علي على اردشير خره وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال يا أبا الفضل يا حامي الرجال ومأوى المعضب وفكاك العناة امنن علينا واشترنا وأعتقنا فقال مصقلة اقسم بالله لا تصدقن عليكم ان الله يجزي المتصدقين فبلغ قوله معقلا فقال والله لو اعلم انه قالها توجعا عليهم وازراء علينا لضربت عنقه ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر ثم ان مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة الف فقال له معقل بجل المال الى امير المؤمنين فقال

مكانه بحلب (عمال بن صالح بن ونولى مكانه (الظاهر نصر بن صالح) بعد حروب وقعت بينهما وعاد عمال لحلب بالعساكر المصرية وكان شجاعا قويا فتولى مدة فلما توفي تولى مكانه أخوه (عطية بن صالح) فلم تطل مدته فهرب الى قيصر فمات هناك وتولى مكانه (نصر ابن محمود) فلما توفي تولى مكانه (أحمد بن نصر بن صالح بن مرداس) الى حدود سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ثم استولى على الديار الحلبية صاحب الموصل (شرف الدولة مسلم ابن قريش) وبه انقرضت دولة بني مرداس فكانت مدتهم ثمانيا وخمسين سنة

(الباب الاربعون في ذكر دولة آل براق ملوك كرمان اولي الافكار الثاقبة والاذهان)

ذكر اصحاب السير ان آل براق ملكوا كرمان من سنة احدى وعشرين وستمائة الى سنة ست وسبعمائة وكانوا تسعة انفار واول من تولى الملك منهم (براق) ون صاحب كوخان سلطان الخطا وكان من أمره ان كوخان ارسله الى خوارزمشاه للصلح فاعجبه لحسن تدبيره ورأيه وأبقاه عنده فولاه امارة كرمان فاستمر اميرا على بلاد كرمان اثنتي عشرة سنة وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فقال

فقال انا أبعث الآن ببعضه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شئ وأقبل معقل الى علي فأخبره بما كان منه فاستحسنه وبلغ عليا ان مصقلة اعتق الاسرى ولم يسألهم ان يعينوه بشئ فقال ما اظن مصقلة الا قد تحمل حمالة سترونه عن قريب منها مبلدا وكتب اليه يطلب منه المال او يحضر عنده فحضر عنده وحمل من المال مائتي ألف قال ذهل بن الحرث فاستدعاني ليلة فطعمنا ثم قال ان امير المؤمنين يسألني هذا المال ولا أقدر عليه فقلت والله لوشئت ما مضت جمعة حتى نحمله فقال والله ما كنت لاحملها قومي اما والله لو كان ابن هند ما طالبني بها ولو كان ابن عفان لوهبها الى الم ترة أطعم الاشعث بن قيس كل سنة من خراج أذربيجان مائة ألف قال فقلت ان هذا لا يرى ذلك الرأي ولا يترك منها شيأ فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية وبلغ عليا ذلك فقال ماله نزحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما انه لو أقام فحجز مازدناه على حبسه فان وجدناله شيأ أخذناه والا تركناه ثم سار علي الى داره فهدمها واجاز عتق السبي وقال اعتقهم سيتاعهم وصارت اثمانهم دينا على معتقهم وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلي فكتب اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له ان معاوية قد وعدك الامارة والكرامة فاقبل ساعة يلقاك رسولي والسلام فأخذه مالك بن كعب الارحبي فسرحه الى علي فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة يقول

لاترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فابالي وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك ان خانا
ماذا اردت الى ارساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع * تحمي العراق وتدعى خير شيبانا
حتى تقحمت امرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا واعلانا
عرضته لعلي انه أسد * يمشي العرضنة من آساد خفانا
لو كنت أديت مال القوم مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت باهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذا الرأي أشجانا
فاليوم تقرع سن العجز من ندم * ماذا تقول وقد كان الذي كانا
أصبحت تبغض الاحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب اليه علم أنه قد هلك وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداه لهم وقال بعض الشعراء في بني ناجية

سمالكم يا خيل قوداعوابسا * اخوثقة ما يبرح الدهر غازيا
وصبحكم في رحله وخيرله * بضرب ترى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة * عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة

لعمري لئن عاب أهل العراق * علي انتعاش بني ناجيه
لاعظم من عتقهم رقهم * وكفي بعتقهم ماليه
وزايدت فيهم لاطلاقهم * وغاليت ان العلا غاليه

وتولى مكانه ولده السلطان (ركن الدين مبارك) مدة ثم عزله واستولى على الملك ابن عمه (السلطان قطب الدين) وهو اول من تسلطن من هذه الطائفة وكانوا أمراء من قبل كوخان وكان قطب الدين يميل الى فعل الخيرات والمبرات وكانت مدة تملكه ست سنين وتوفي في سنة ست وخمسين وستمائة وتولى مكانه ولده (السلطان الحاج بن قطب الدين) ثلاث عشرة سنة وسار سيرة حسنة وفي سنة تسع وستين وستمائة خاف على نفسه من الخازن وهرب الى السلطان حلو فالتجأ اليه واستمر عنده مقدار عشر سنين فأرسل معه عسكرا الى كرمان ففي اثناء الطريق توفي الحاج وتولى مكانه اخوه (السلطان سيورغتمش بن قطب الدين) واستمر في الملك الى سنة احدى وسبعين وستمائة فعزل وولي مكانه (زوجة قطب الدين) مدة ثم قتلها وولي مكانها (السلطان مظفر الدين محمد) فلم يزل في الملك الى أن توفي في سنة ثلاث وسبعمائة فتولى مكانه ابن عمه (السلطان قطب الدين شاه جهان) وكان ظالما غاشما جبارا سفاكا عديم الرأي والتدبير وهو آخر من ملك من هذه الطائفة

﴿ ذكر امر الخوارج بعد النهروان ﴾

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي بالسكرة في مائتين ثم سار الى الانبار فوجه اليه علي الابرش بن حسان في ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه اليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم في جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ثم خرج الاشهب بن بشر وقيل الاشعث وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلا فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجه اليهم علي جارية بن قدامة السعدي وقيل حجر بن عدي فاقبل اليهم الاشهب فاقتتلا بحجر جرايا من أرض جوخى فقتل الاشهب واصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ثم خرج سعيد ابن قفل التيمي من تيم الله بن ثعلبة في رجب بالمدينيين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان وهي من المدائن على فرسخين فخرج اليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين ثم خرج ابو مريم السعدي التميمي فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل اليه علي يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه علي شريح بن هانئ في سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين فانحاز الى قرية فتراجع اليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة فخرج علي بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية الى طاعة علي وحذرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم علي ايضا فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فامنهم وكان في الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر علي بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤا وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج وبلراتهم قاربوا الكوفة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي وكان عامله على مكة وكان على اليمن عبيد الله بن عباس وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعي وقيل كان ابن أبزى واما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله وفي هذه السنة مات صهيب بن سنان في قول بعضهم وكان عمره سبعين سنة ودفن بالبقيع

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

﴿ ذكر سرايا اهل الشام الى بلاد امير المؤمنين عليه السلام ﴾

وفي هذه السنة فرق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل الى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة له في ألف رجل وكان مالك قد أذن لاصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه الا مائة رجل فلما سمع بالنعمان كتب الى أمير المؤمنين يخبره ويستمده فخطب علي الناس وأمرهم بالخروج اليه فتثاقلوا واتاه مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه وكتب مالك الى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه واقتتل مالك والنعمان

واتفرضت دولتهم واستولى على الملك أمراء الغل

(الباب الحادي والاربعون في ذكر دولة غزنة من الغورية حسني الخصائل والهمم العلية)

ذكر الجنابذي ان أصلهم من تركستان الخطا سكنوا في جبال الغور فيما وراء النهر وكان ابتداء أمرهم في سنة خمس وأربعين وخمسمائة وانتهاء حالهم في سنة تسع وستمائة وأول من ملك منهم (سيف الدين محمد بن الحسين) تزوج بنت بهرام شاه الغزنوي فلما تحقق قصده له تحيل عليه الى ان أمسكه وقتله وتولى مكانه أخوه (سورون بن الحسين) فسار لغزنة لطلب ثار اخيه فغلب عليه بهرام شاه وقتله وتولى مكانه أخوه (علاء الدين حسين بن الحسين جهانسوز) وكان ملكا فوياشجاعا فسار الى بهرام شاه لطلب ثار أخويه فلم يقدر على المقاومة وانهزم الى بلاد الهند واستولى مكانه على غزنة (السلطان علاء الدين) واستناب أخاه سيف الدين مكانه وتوجه هو للغور فلما بلغ بهرام شاه ذلك عاد الى غزنة وتولى الملك فلما توفي تولى الملك بعده ولده (خسرو شاه) وبعده عاد (السلطان علاء الدين) وانتزع الملك من يد خسرو شاه

أشد فقال فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن فى خمسين رجلا فانتهوا الى مالك وقد كسر واجفون سيوفهم واستقتلوا فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا ان لهم مددا وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر ولما ثقل اهل الكوفة عن الخروج الى مالك صعد على المنبر فخطبهم ثم قال يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انجحر كل امرئ منكم فى بيته واغلق عليه بابه انجحار الضب فى جحره والضبع فى وجارها المغرور من غررتموه ومن فزتم به فاز بكم فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند النداء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمى لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون ووجه معاوية فى هذه السنة ايضا سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل وأمره ان يأتى هيت فيقطعها ثم يأتى الانبار والمدائن فيوقع بأهلها فأتى هيت فلم يجد بها احدا ثم اتى الانبار وفيها مسلحة لعلى تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائتا رجل وكان سبب تفرقهم انه كان عليهم كميل بن زياد فبلغه ان قوما بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار اليهم بغير أمر على فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها فاغضب ذلك عليا على كميل فكتب اليه ينكر ذلك عليه وطمع سفيان فى اصحاب على لقلتهم فقاتلهم فصبر أصحاب على ثم قتل صاحبهم وهو أشرس بن حسان البكرى وثلاثون رجلا واحتملوا ما فى الانبار من اموال أهلها ورجعوا الى معاوية وبلغ الخبر عليا فأرسل فى طلبهم فلم يدركوا وفيها ايضا وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزارى فى ألف وسبعمائة رجل الى تيماء وأمره ان يصدق من مر به من أهل البوادى ويقتل من امتنع ففعل ذلك وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك واجتمع اليه بشر كثير من قومه وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيب بن نجبة الفزارى فى ألفى رجل فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا حين زالت الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب الاعراب ابل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن معه ثلاثة ايام ثم القى الحطب فى الباب وحرقه فلما رأوا الهلاك اشرفوا عليه وقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وأمر بالنار فأطفئت وقال لاصحابه قد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان جندا قد أتاكم من الشام فقال له عبد الرحمن بن شبيب سرحنى فى طلبهم فأبى ذلك عليه فقال غششت أمير المؤمنين وداهنت فى أمرهم وفيها ايضا وجه معاوية الضحاك بن قيس وأمره ان يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن هو فى طاعة على من الاعراب وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه فسار الناس وأخذ الاموال ومضى الى الثعلبية وقتل وأغار على مسلحة على وانتهى الى القطقطانة فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه حجر بن عدى فى أربعة آلاف واعطاهم خمسين درهما خمسين درهما فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه وفى هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكص راجعا واختلف فيمن حج هذه السنة فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل على وقيل بل حج عبد الله أخوه وذلك باطل فان عبد الله بن عباس لم يحج فى خلافة على وانما كان هذه السنة على الحج عبيد الله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى فاختلف عبيد الله ويزيد بن

وتلقب بالسلطان الاعظم وحمل على رأسه القبة والطير على قاعدة بنى سلجوق وكان شافعى المذهب وكان حسن الخط يكتب المصاحف بخطه ويوقفها على المساجد فلما توفى تولى مكانه أخوه (شهاب الدين أبو المظفر) واستولى على الهند والسند وخراسان والغور وكان دينا شجاعا وفى سنة احدى وستمائة توجه الى السند ففى اثناء الطريق دخل عليه جماعة فى خيمته وقتلوه وهو فى الصلاة وولى امكانه ابن اخيه (بهاء الدين شاه) وكان حاكما فى بلاد بامبان فتوفى قبل ان يصل مقر سلطنته واوصى بالملك لولديه (جلال الدين وعلاء الدين) فوقع بينهما حروب آلت الى استيلاء محمود بن غياث الدين على الملك وهو آخر من تولى من هذه الطائفة وانقرضت دولتهم فغلب على الملك خوارزمشاه وقتله

(الباب الثانى والاربعون فى ذكر جنكيزخان كيف فسد وخان)

اتفق اهل التاريخ ان الترك أكثر اجناس العالم وهم امم لا يحصيهم الا خالقهم ولم يزالوا يبلاد الشرق من أول الخليقة لا يعلم احد مبتدأها وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد

شجرة واتفقا على ان يحج بالناس شيبة بن عثمان وقيل ان الذى حج من جانب على قثم بن العباس وكان عمال على على البلاد من تقدم ذكرهم

﴿ ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة ﴾

وفى هذه السنة ذعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى وهو من أصحابه فقال له انى أريدان أوجهك الى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لى البيعة بمكة وتنفى عنها عامل على فأجابه الى ذلك وسار الى مكة فى ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل على فلما سمع به قثم خطب اهل مكة واعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم الى حربهم فلم يجيبوه بشئ وأجابه شيبة بن عثمان العبدرى بالسمع والطاعة فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فان امده بالجيوش قاتل الشاميين فنهاه ابو سعيد الخدرى عن مفارقة مكة وقال له اقم فان رأيت منهم القتال وبك قوة قاتل برأيك والا فالمسير عنها أمامك فاقام وقدم الشاميون ولم يعرضوا القتال أحد وأرسل قثم الى امير المؤمنين يخبره فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن على الحنفى وابو الطفيل أول ذى الحجة وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيوم فنادى فى الناس أنتم آمنون الا من قاتلنا ونازعنا واستثنى أبا سعيد الخدرى وقال له انى اريد الالحاد فى الحرم ولو شئت لفعلت لما فيه امركم من الضعف فقال له يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس رجلا يصلى بهم فقال أبو سعيد لقثم ذلك فاعتزل الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلى بهم وحج بهم فلما قضى الناس حجهم رجع يزيد الى الشام واقبل خيل على فأخبروا بعود اهل الشام فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فادركوهم وقد رحلوا عن وادى القرى فظفروا بنفر منهم فأخذوهم اسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم الى امير المؤمنين فقادى بهم اسارى كانت له عند معاوية

(الرهاوى منسوب الى الرها قبيلة من العرب وقد ضبطه عبد الغنى بن سعيد بفتح الراء قبيلة مشهورة واما المدينة فبضم الراء)

﴿ ذكر غارة أهل الشام على اهل الجزيرة ﴾

وفيها سير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرمانى الذى كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم فسار كميل اليه نجدة له فى سبعمائة فارس فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمى فقاتلهما كميل وهزمهما فغلب على عسكرهما وأكثر القتل فى أهل الشام وأسر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان وكتب الى على بالفتح فجزاه خيرا وأجابه جوابا حسنا ورضى عنه وكان ساخطا عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحى الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين وكتب الى على فكتب اليه على بتهامه من أخذ أموال الناس الا الخيل والسلاح الذى يقاتلون به وقال رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وجمل الانتصار

﴿ ذكر غارة الحرث بن نمر النمرى ﴾

ولما

فى بلادهم وأكثر ذوابهم النخيل وأقواتهم الارز والباقلى النخيل ولحومها وتعرف ملوكهم بالخان وهى سمة ملوكهم وهم من بقايا يأجوج ومأجوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد وكانوا مبددين فى دشت قبجان فى حدود ملك الخطا والصين مسيرة أشهر شمالا بجنوب مثله أشهر وشمالا بجنوب مثله تتوالدون فى ذلك البر ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة لا حاكم يردعهم ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وكل طائفة تغير غارتها وتقصد جرتها وتاعن اختها وتنهب تختها وتأكل صحتها لا يعرفون الحلال والحرام ويعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها ويخاطبهم الجن ويرصدونها والخرما بوسهم جلود الكلاب والفأر ويأكلون الكلاب والفار وما وجدوا من صيد القفار فهم متمكنون فى ذلك المكان حتى بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين حتى نبع منهم هذا اللعين الطاغية نموجين الذى يسمى

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجهه الحرث بن نمر السنوخي الى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني تغلب وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا عليا الى معاوية فسألوه في اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا وكتب معاوية الى علي ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة فسيرهم علي الى معاوية واطلق معاوية هؤلاء وبعث علي رجلا من خثعم يقال له عبد الرحمن الى ناحية الموصل ليسكن الناس فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبي فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه فأراد علي ان يوجه اليهم جيشا فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك داخلون في طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم

﴿ ذكر أمر ابن العشبة ﴾

بعث معاوية زهير بن مكحول العامري من عامر الاجداد الى السماوة وأمره ان يأخذ صدقات الناس وبلغ ذلك عليا فبعث ثلاثة نفر جعفر بن عبد الله الاشجعي وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين ليصدقوا من في طاعته من كلب وبكر بن وائل فوافوا زهيرا فاقتتلوا فانهزم أصحاب علي وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعلي فعنفه وعلاه بالدرة فغضب ولحق بمعاوية وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه واما الجلاس فانه مر براع فأخذ جبته واعطاه جبة خز فأدركته الخيل فقالوا اين أخذوا هؤلاء التراثيون فأشار اليهم أخذوا ههنا ثم اقبل الى الكوفة

﴿ ذكر أمر مسلم بن عتبة بدومة الجندل ﴾

وبعث معاوية مسلم بن عتبة المري الى دومة الجندل وكان اهلها قد امتنعوا من بيعة علي ومعاوية جميعا فدعاهم الى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمداني في جمع الى دومة الجندل فلم يشعر مسلم الا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما واقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل الى البيعة لعلي فلم يفعلوا فقالوا لا نبايع حتى يجتمع الناس على امام فانصرف وتركهم وفيها توجه الحرث بن مرة العبدي الى بلاد السند غازيا متطوعا بأمر أمير المؤمنين علي ففتح وأصاب غنائم وسبيا كثيرا وقسم في يوم واحد ألف رأس وبقي غازيا الى ان قتل بأرض القيقان هو ومن معه الا قليلا سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية

﴿ ذكر ولاية زياد بن امية بلاد فارس ﴾

وفي هذه السنة ولى علي زيادا كرمان وفارس وسبب ذلك انه لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج فطمع اهل كل ناحية واخرجوا عاملهم واخرج اهل فارس سهل بن حنيف فاستشار علي الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا امير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف للولاية قال من هو قال زياد فأمر علي ابن عباس ان يولي زيادا فسيره اليها في جمع كثير فوطئ بهم اهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يعث في رؤسهم يعدهم نصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة

جنكيز خان وساعده قضاء الديان لامر يريده الرحمن وكان أصله من قبيلة من قبائل التاتار وتسمى قنقات ظلمة وعتاة (وفي مسالك الابصار) ان جدة جنكيز خان امرأة اسمها الان قوا وانها ولدت نوذ بحر من غير اب قالوا وكانت متزوجة ثم مات زوجها وحملت وهي ايم فتنكر عليها اقاربها فذكرت انها بعض الايام رأت نورا دخل في فرجها ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان حملي ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فافعلوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل وظهرت براءتها بزعمهم اسم احدهم يوقن والاخر قوناي والثالث نوذ بحر وهو جد جنكيز خان وكان من ابتداء حاله وأمره خدم عند ملك الخطا المسمى باونك خان فقربه الملك وادناه فحسده الوزراء وعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد حتى أثر كلامهم عند الملك فقصده ولا زال يتبعه حتى كبسه وكان معه الخبر فأعانه الله ونصره وكسر الخان وعسكره وقبض عليه فقتله واستولى على امواله وذخائره وكان ذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم بعد ذلك تقوى

واقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع الى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل اصطخر وحصن قلعة زياد قريب اصطخر ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكرى فهى تسمى قلعة منصور وقيل ابن عباس اشار بولايته وقد تقدم ذكره وفيها مات أبو مسعود الانصارى البدرى وقيل فى أول خلافة معاوية وقيل غير ذلك ولم يشهد بدرا وانما قيل له بدرى لانه نزل ماء بدر وانقرض عقبه

ثم دخلت سنة أربعين

﴿ذكر سير بسر بن أبى ارطاة الى الحجاز واليمن﴾

فى هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبى ارطاة وهو من عامر بن لؤى فى ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة وبها ابو ايوب الانصارى عامل على عليها فهرب أبو ايوب فأتى عليا بالكوفة ودخل بسر المدينة ولم يقاتله احد فصعد منبرها فنادى عليه بأيدينا رياح رديق وهذه بطون من الانصار شيخى شيخى عهدته ههنا بالامس فأين هو يعنى عثمان ثم قال والله لولا ما عهد الى معاوية ما تركت بها محتلما فأرسل الى بنى سلمة فقال والله مالكم عندى امان حتى تأتونى بجابر ابن عبد الله فانطلق جابر الى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين ان هذه بيعة ضلالة وقد خشيت ان اقتل قالت أرى ان تبايع فانى قد امرت ابنى عمر وختنى ابن زمعة ان يبايعا وكانت ابنة ابى امية تحت ابن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بالمدينة دورا ثم سار الى مكة فخاف ابو موسى الاشعرى ان يقتله فهرب منه والى على الناس على البيعة ثم سار الى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلى فهرب منه الى على بالكوفة واستخلف على على اليمن عبد الله ابن عبد المدان الحارثى فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمن وقثم فقتلهما وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فلما أراد قتلهما قال له الكنانى لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلهما فاقتلنى معهما فقتله وقتلهما بعده وقيل ان الكنانى أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول

اللبث من يمنع حافات الدار * ولا يزال مصلتا دون الجار

وقاتل حتى قتل وأخذ الغلامين فدفنهما فخرج فسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن ياهذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والاسلام والله يا ابن أبى ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبى الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء وقتل بسر فى مسيره ذلك جماعة من شيعة على باليمن وبلغ عليا الخبر فأرسل جارية ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين فسار جارية حتى اتى نجران فقتل بها ناسا من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية حتى اتى مكة فقال يابعوا امير المؤمنين فقالوا قد هلك فان تبايع قال لن ابايع له أصحاب على قبايعوا خوفا منه ثم سار حتى اتى المدينة وأبو هريرة يصلى بالناس فهرب منه فقال جارية لو وجدت اباسنور لقتلته ثم قال لاهل المدينة بايعوا الحسن بن على فبايعوه واقام يومه ثم عاد الى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلى بهم وكانت ام ابنى عبيد الله ام الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ وقيل عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان فلما قتل ولداها والهت عليهما فكانت لا تعقل ولا تصفى ولا تزال تنشدهما

وقد سلطان الخطا والصين والترون خان بعدد كالرمال ومدد كالجبال فقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسيرة والنصرة فى سنة احدى وستمائة من الهجرة وكان اميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا عجزيا لا يحسب ولا ينسب لا اطلاع له على الاخبار ولا اقتفى الآثار بل أسس بنيانه وقواعد ملوكه لو أدركه الاسكندر ودارا لماء معهما الا اقتفاء أثره كسر بصدماته الاكاسرة وقهر بسطوته القياصرة واما عساكره فكانوا اما بين مسلمين ومشركين ويهود ومن لا يدين لمعبود فلم يتعرض لاحد فى دينه واعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد سلك فيها المقارب والمباعد ثم لم يكن لهم كتاب ولا خط ولا لهم قلم يعرفون به قط فأمر عقلاء مملكته واذكياءه قبيلته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا له قلم المغل ورتبوا له كتابا سماه الياسق الكبير ذكر فيه ما اقتضاه رأيه النحيس وفكره الخسيس لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة فمن أحكامها المظلمة صلب السارق وخنق الزان وان

في المواسم فتقول

يامن أحس بابنيّ اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن احس بابنيّ اللذين هما * مخ العظام فحيى اليوم مزدهف
يامن أحس بابنيّ اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا اذ غدا السلف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من افكهم ومن القول الذي اقترفوا
احنى على ودجي ابنيّ مرهفة * من الشفار كذاك الاثم يعترف

وهي أبيات مشهورة فلما سمع امير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه رق منفوخ فلا يزال يضربه ولم يزل كذلك حتى مات ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر فقال لبسر وددت ان الارض انبتتني عندك حين قتلت ولديّ فقال هاك سيفي فاهوى عبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبسر اخزاك الله شيخا قد خرفت والله لو تمكن منه لبدأ بي قال عبيد الله أجل ثم شيت به (سلمة بكسر اللام بطن من الانصار) وقيل ان مسير بسر الى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين فأقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس لا يقال له عن احد انه شرك في دم عثمان الا قتله وفيها جرت مهادنة بين علي ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام لا يدخل احدهما بلد الآخر بغارة (بسر بضم الباء الموحدة والسين المهملة تزريق بالزاي والراء قبيلة من الانصار ايضا وجارية بالجيم والراء)

﴿ ذكر فراق ابن عباس البصرة ﴾

في هذه السنة خرج عبيد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول اكثر اهل السير وقد انكر ذلك بعضهم وقال لم يزل عاملا عليها لعلي حتى قتل علي وشهد صلح الحسن عبيد الله ابن عباس وكان سبب خروجه انه مر بأبي الاسود فقال لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى فكتب ابو الاسود الى علي اما بعد فان الله عز وجل جعلك والي امرنا وراعي مسترعيا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دمائهم ولا تأكل اموالهم ولا ترتشي في أحكامهم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعني كتمانك رحمك الله فانظر فيما هنالك واكتب الي برأيك فيما أحببت والسلام فكتب اليه علي اما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وقد كتبت الي صاحبك فيما كتبت الي ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه صلاح للامة فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام وكتب الى ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس اما بعد فان الذي بلغك باطل وانى لما تحت يدي لضابط وله حافظ فلا تصدق الظنين والسلام فكتب اليه علي اما بعد فاعلمني ما أخذت من الجزية ومن اين أخذت وفيما وضعت فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك اني مرزته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت

شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثان ومنها حقية من سبق سواء كذب او صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم فوجا بعد فوج ومنها عدم العدة وحصر الزوجات في عدة ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البريء بمرتكب الاوزار ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم ونحو هذه الخرافات الباطلة والهذيانات العاطلة من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة وكان كرسي مملكته مدينة قراقروم وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجهه عثمان مخطه الى طلب الانتقام هو انه لما استقر أمره وانتشر بالظلم والجور ذكره وقع بينه وبين السلطان خوارزمشاه من قبل أصحابه وفتح سد الثغر وبابه الى ان قتل السلطان وكان من أمره ما كان ثم نهض نهضة انام فيها الانام وقام قومة اقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركي التاتار وعساكر الكفار بالبحار الطامية وجبال النيران الحامية في سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على

فاني ظاعن عنه والسلام واستدعى اخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا وقال هذه ارزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقالت قيس والله لا يوصل اليه وفينا عين تطرف فقال صبرة بن شيمان الحدانى يا معشر الازد ان قيسا اخواتنا وجيراننا واعوانا على العدو وان الذي يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير من المال فأطاعوه فانصرفوا وانصرفت معهم بكر وعبد القيس وقاتلهم بنو تميم فنهاهم الاحنف فلم يسمعوا منه فاعتزلهم وحجز الناس بينهم ومضى ابن عباس الى مكة

﴿ ذكر مقتل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ﴾

وفي هذه السنة قتل علي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وقيل لاحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه وقيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين والاول أصح قال أنس بن مالك مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر في وجهه فقال له أبو بكر وعمر يا نبي الله ما نراه الا ميتا فقال ان يمت هذا الآن وان يمت حتى يملأ غيظا وان يمت الا مقتولا وقيل من غير وجه ان عليا كان يقول ما ينمع اشقاكم ان يخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه وقال عثمان بن المغيرة كان علي لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابي جعفر لا يزيد على ثلاث لقم يقول احب ان يأتيني أمر الله وانا خميص وانما هي ليلة أو ليلتان فلم تمض ليلة حتى قتل وقال الحسن بن كثير عن ابيه قال خرج علي من الفجر فاقبل الاوز يصحن في وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح فضربه ابن ملجم في ليلته وقال الحسن بن علي يوم قتل علي خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي يا بني اني بت اوقظ أهلي لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر فاكتنفتني عيناي فنمت فسبح لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد قال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم وابدلهم بي من هو شر مني فجاء ابن النباح فاذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان عليه السلام اذا رأى ابن ملجم قال

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

وكان سبب قتله ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا امر الناس وعابوا اعمالهم ثم ذكروا اهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا انفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وارحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وكان من اهل مصر وقال البرك بن عبد الله انا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ان لا ينكص احدهم عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله او يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا السبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي اصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان علي قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل ابوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها اخذت قلبه فخطبها فقالت

لا

ممالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهي جنة المرتاد فاحتووا على جند نيسابور وقراها وولاياتها وماوالاها واظهروا فيها اعلامات الحشر فاد هشوا وعلها وسبوا اهلها فقتلوا الخاص والعام وسدوا الى ذخائرها النهب العام ثم تنقلوا عن جند نيسابور الى ولايات اندكان وقناكث وخجند ومرغيان وكانت دار ملك ايلاخان ثم الى اطراف تركستان ثم الى نسف وانزار وبسغناق وهما من امهات البلاد في تلك الآفاق فأخذوا وقتلوا ونهبوا أهلها واودكوا جبلها وسهلها وملؤا الجبال والسهول قتلى واحاطوا بها فعظم البلا

فمشوا الى سهل الجبال ووعرها مشي الجراد على القصيل الاخضر

فكانهم موسى على شعر مشى أو منجل فوق الحصيد الاصفر أو شعلة نار الهوى فتعلقت فوق الصعيد على الهشيم الاعفر

ثم ان الدواهي المصممة في رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وصلوا الى بخارا بلدة فضلها لا يجارى قبة الايمان وكرسي مملوك بني سامان مجمع العلماء والصلحاء

لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال اما قتل علي فما ارالك ذكرتيه وانت تريدينني قالت بلى التمس غرتك فان اصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بي الا قتل علي فلك ما سألت قالت ساطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلا من اشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وماذاك قال قتل علي قال شبيب ثكلتك امك لقد جئت شيئا ادا كيف تقدر على قتله قال اكمن له في المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير علي كان اهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الاسلام وما أحبني ان اشرع لقتله قال اما تعلم قتل اهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من اصحابنا فأجابه فلما كان ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي وقتل معاوية وعمرو فأخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها على للصلاة فلما خرج علي نادى أيها الناس الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا علي ولا لاصحابك وهرب وردان فدخل منزله فاتاه رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فاخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمي الناس قد اقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب في غمار الناس ولما ضرب ابن ملجم عليا قال لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن اخته أم هانئ يصلي بالناس الغداة وقال علي أحضروا الرجل عندي فأدخل عليه فقال أي عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه فقال علي لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلي انظروا حسن ان أنا مت من ضربتي هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنة علي أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك قال فعلى من تبكين والله ان سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد ودخل جندب ابن عبد الله على علي فقال ان فقدناك لا نفقدك فنبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للاخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فاني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير

والعباد والكبراء فدخل جنكيزخان الى المدينة وطاف بها على هيبة وسكينة حتى انتهى الى باب الجامع فرأى محلا شريفا ومعبدا واسعا لطيفا فقال هذا بيت السلطان فقالوا بل بيت الرحمن فقال ان أولى ما اقتنا افراحنا في بيت من خلق أرواحنا ورزق اشباحنا فنزل عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم استدعى بالطبور والطبول والزمور فتصدر في مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة والفجار من المغل والتاتار ثم أحضر العلماء والاشراف والكبراء وانزلوا بهم الشور والويل واستحفظوهم الخيل ومن جملة الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين علي وهو اعلى سادات ماوراء النهر قد قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استنظروه مراكبهم وانشبوا فيه مخالبهم وهو واقف بباب الجامع في هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام علم العلماء الاعلام الشيخ ركن الدين ابن الامام وهو في مثل حاله فقال أيها الامام المفضال ما هذه الاحوال فأنشد معنى هذا المقال

أرى حالة تبدي لساني فليس لي

أخويك العظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه شقيقكما وابر أبيكما وقد علمتما ان أبا كما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أي بني بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك في خصلة الى والله قد أعطيت الله عهدا أن لا أعاهد عهدا الا وفيت به والى عاهدت الله عند الحطيم ان أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما فان شئت خليت بيني وبينه فلك الله علي ان لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله واخذه الناس فادرجوه في بواري وأحرقوه بالنار فقال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن علي ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة فقال كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله اما قوله هذه الشيعة فلا شك انه يعني طائفة منها فان كل شيعة لا تقول هذا انما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهوري هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفي الكوفي وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه (بجيرة بفتح الباء والجيم والبرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء وآخره كاف) واما البرك بن عبد الله فانه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضرب فيها على فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شد عليه بالسيف فوقع السيف في أليته فأخذ فقال ان عندي خبرا أسرك به فان أخبرتك فما في ذلك قال نعم قال ان أخاك قد قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال بلى ان عليا ليس معه أحد يحرسه فامر به معاوية فقتل وبعث معاوية الى الساعدي وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر اما أن احمي حديدة فاضعها موضع السيف واما أن اسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فان ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النار فلا صبر لي عليها واما الولد فان في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد وهو اول من عملها في الاسلام وقيل ان معاوية لم يقتل البرك وانما أمر فقطعت يده ورجله وبقي الى ان ولى زياد البصرة وكان البرك قد صار اليها وولد له فقال له زياد يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له فقتله وصلبه وأما عمرو بن بكر فانه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن أبي حبيبة وكان صاحب شرطته وهو من بني عامر بن لؤي فخرج ليصلي بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس الى عمرو فسألوه عليه بالامرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة قال اما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتني وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله قال ولما بلغ عائشة قتل علي قالت

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل رجل من مراد فقالت

طريق الى الى افوه بلفظة
اعض بها كفي واعمك مقلتي
افي النوم هذا ام تراه يقظتي
فأجاب الامام ماهذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ما اراده واستقروا يشربون الخمور على صوت الزمور ثم ادخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا لها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب واوعية الربعات وصبوا فيها الشعير واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فبددت الربعات المعظمة والمصاحف المكرمة تحت السنابك والحوافر ومواطئ اقدام كل كافر فلما استخلص ما عندهم من الاموال أمر بقتل الرجال واسر النساء والاطفال ثم امر بالنهب وهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فهما قال فعلوه فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعة رجل واحد فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشأن كيف كان فقال لهم بذلك اللسان وصورته هذه امدند وكندند وسوختند وكشتند وبردند ورفتند أي هجموا وهدموا وأحرقوا وارعقوا ونهبوا وذهبوا ثم توجهوا الى تيمر قند وفعلوا

فان يك نائبا فلقد نعاه * نعى ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت أبى سلمة اتقولين هذا على فقالت انى أنسى فاذا نسيت فذكرونى وقال ابن أبى مياس المرادى

فنحن ضربنا يا لك الخير حيدرا * أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذ علا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة * اذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضا

ولم ار مهرا ساقه ذو مماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا * ولا قتك الا دون قتل ابن ملجم

وقال أبو الاسود الدئلى فى قتل على

الا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثانى والمئينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرها حسبا ودينا

وقال بكر بن حسان الباهرى

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * وأعظم الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
قد كان يخبرهم هو بقتله * قبل المنية أزمانا فأزمانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
الى لاحسبه ما كان من انس * كلا ولكنه قد كان شيطانا
فلا عفا الله عنه سوء فعلته * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورد نه لظى * وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

﴿ ذكر مدة خلافته ومقدار عمره ﴾

وقد قال بعضهم كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل كان عمره تسعا وخمسين وقيل خمسا وستين وقيل ثمانيا وخمسين والاول أصح ولما قتل دفن عند مسجد

باهلها لما فعلوا بيضارا ودوز أسوارها مقدارا ثنى عشر فرسخا فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما يبرى البارى القلم ثم غاروا على جميع عراق العجم ولم يبقوا على ذى روح وقد انمحت من الوجود أمهات الامصار وشملها البوار وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان يحصر ويضبط بحساب ودفتر فاليد كاله وابير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى أدنى مدة واوهى رقدة وماذ كرذرة من طور وقطرة من بحور ثم ان جنكيزخان لما وصل الى بلاد خراسان مرض ورجع الى سرة ملكه المشؤم ايمبل وقوقاق وقراقروم ولم يزل على ذلك حتى تسلم روحه الخبيثة مالك فى رابع رمضان عام اربعة وعشرين وستمائة فكانت مدة ملكه تزيد على ثلاث وعشرين سنة وفى مسالك الابصار ان جنكيزخان لما أيس من الحياة وقنط من رحمة الله جمع جميع اولاده المشاركين له فى فساده وهم (جغتاى واوكاى وجوجان وكاكان واورخان وتولى خان) واوصاهم بوصايا وطرائق فى سياسة الرعايا وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك

الجماعة وقيل فى القصر وقيل غير ذلك والاصح ان قبره هو الموضع الذى يزار ويتبرك به

﴿ ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده ﴾

كان آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيم هامة ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو الى القصر أقرب وقيل كان فوق الربعة وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه كثير التبسم * واما نسبه فهو على بن أبى طالب واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف وهو اول خليفة أبواه هاشميان ولم يل الخلافة الى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده ومحمد الامين فان أباه هرون الرشيد وامه زبيدة بنت جعفر بن المنصور وأما أزواجه فأول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وقد ذكرانه كان له منها ابن آخر يقال له محسن وانه توفى صغيرا وزينب الكبرى وام كلثوم الكبرى ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حزام الكلابية فولدت له العباس وجعفرا وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف ولا بقية لهم غير العباس وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر قتلا مع الحسين وقيل ان عبيد الله قتله المختار بالمذار وقيل لا بقية لهما وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له محمدا الاصغر ويحيى ولا عقب لهما وقيل ان محمدا الاصغر ولد وقتل مع الحسين وقيل انهما ولدت له عونا وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهى من السبى الذين أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر وولدت له عمر بن على ورقية بنت على فعمر عمرا حتى بلغ خمسا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث على ومات بينبع وتزوج على امامة بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمدا الاوسط وله محمد بن على الاكبر الذى يقال له ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بنى حنيفة وتزوج على أيضا أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكرن انا منهن أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة كلهن من أمهات أولاد وتزوج أيضا محياة بنت امرئ القيس بن عدى الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة كانت تخرج الى المسجد فيقال لها من اخوالك فتقول وهوة تعنى كلبا فجميع ولده أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية

﴿ ذكر عماله ﴾

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس وقد ذكرنا الاختلاف فى أمره وكان اليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها وكان على قضائها من قبل على أبو الاسود الدئلى وكان على فارس زياد وقد ذكرنا مسيره اليها وكان على اليمن عبيد الله بن عباس حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبى ارطاة ماذكر وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس وكان على المدينة أبو أيوب الانصارى وقيل سهل بن حنيف وكان عند قدوم بسر عليه من أمره

واوصى بالقضاء لولده الصغير
تولى خان واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن واغار تولى خان على بقية ممالك الاسلام وغيرشرائع خير الانام فلما هلك ملك مكانه ولده
(هلاكو بن تولى خان)
والعامة يقولون هلاوون على وزن قلاوون وهو من أعظم ملوك التتار وكان حازما شجاعا داسطوة عظيمة وهو على قاعدة أسلافه فى عدم التقيد بدين وانما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت واستولى هلاكو المذكور على عراق العرب والعجم والموصل والجزيرة وديار بكر والروم والشام وغيرها واباد ملوكها ذكر الذهبى فى تاريخه ان هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا ويصفوا سوء أفعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام لان الكفار المغولية مسلوه الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ذكر البيضاوى فى تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض أوليائه بفيض فضله ان يظهر وا من كرامات المحمدية عند هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندى قدس الله سرهما فحضروا عند هلاكو

ما كان وذكر

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا العلى على بيت المال فدخل علي يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها الؤلؤة كان عرفها ببيت المال فقال من أين لها هذه لاقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جدته في ذلك فقال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال علي لقد تزوجت بفاطمة ومالي فراش الا جلد كبش تنام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالي خادم غيرها قال ابن عباس قسم علي الناس خمسة أجزاء فكان لعلي منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم علي فيه فكان أعلمهم به وقال احمد بن حنبل ماجاء لاحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماجاء لعلي وقال عمرو بن ميمون لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته قال اكره ان أتحملها حيا وميتا وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على علي مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا وقال هرون بن عنترة عن أبيه دخلت على علي بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك في هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيأ وما هي الا قطيفتي التي اخرجتها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت ام كلثوم بنت علي الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى ام كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فاخذها منها ثم قسم الجميع قبل وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا ياغوثاه بالله فخرج يحضر نحوه وهو يقول اتالك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا امير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطيني مغموزا ولا مقطوعا وكان شرطهم يومئذ فاتاني بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمني فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا أمير المؤمنين فقال اعطه شرطه فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال اوعفو يا امير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يا معشر المسلمين خذوه فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته ولما قتل علي عليه السلام قام ابنه الحسن خطيبا فقال لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى وفيها قتل يوشع بن نون والله ما سبقه احد كان قبله ولا يدركه احد يكون بعده والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية وقال سفيان ان علما لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بجبوبه من المدينة في جراب وقيل انه اخرج سيفه الى السوق فباعه وقال لو كان عندي أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وكان لا يشتري

وعظم ملة الاسلامية وأهلها وكان سبب هلاكه بعلة الصرع فكان يعتريه في اليوم الواحد مرارا فمرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وكانت وفاته في سابع ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة في بلد مراغة ونقل الى قلعة ثلث من اعمال سلماس فدفن بها وبنى عليه قبة وكان عمره نحو ستين سنة وخلف من الاولاد سبعة عشر ذكرا وتولى الملك بعده ولده (ابغا) وقيل أخوه (قيلاى) فامتدت أيامه الى أن تولى ببلاد همذان سنة خمس وتسعين وستمائة وكان كرسي مملكته مدينة مالق أم بلاد الخطا وكان مدة ملك قيلاى اثنتين وثلاثين سنة وملك بعده أخوه (احمد بن هلاكو) وكان اسمه تكدار فأظهر دين الاسلام وتسمى بأحمد فقتل في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وملك بعده (أرغون ابن ابغا) وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين ولما هلك ملك بعده اخوه (كيختو ابن ابغا) وكان ينسب الى الفواحش من اللواط والفسق واستمر حتى قتل في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة وملك بعده

(بيدو بن طوغاى بن هلاكو) فلما بلغ غازان وهو بخراسان جلوس بيدو على سرير الملك جمع من اطاعه وسار الى قتال بيدو وكان

واصطلحا ورجع غازان الى خراسان واقام نيروز عند بيدو وأخذ في استمالات قلوب المغل الى غازان فلما استوثق نيروز من المغل كتب الى غازان وأمره بالحركة فتحول غازان ثانيا وبلغ بيدو حركته فقال لنيروز في ذلك فقال نيروز ارسلني لاربط غازان وأرسله اليك فخلفه بيدو على ذلك فخلف نيروز وسار الى غازان وعمد نيروز الى قدر والقدر اسمها بالتركي غازان فوضع قدرا في جوالق وربطه وأرسله الى بيدو وفاء بيمينه والتقى الجمعان بنواحي همذان فقتل بيدو هناك وكان مقتله في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة فكانت مدة ملك بيدو نحو ثمانية أشهر وولي مكانه (غازان بن ارغون بن ابغا ابن هلاكو) وقتل اتابكه نيروز وأقام موضعه قطلوشاه وفي سنة تسع وتسعين وستمائة سار غازان المذكور الى الشام وملكها ولم يملك قلعتها وكر راجعا الى بلاده وأقام نوابه بالشام ثم خرجت العساكر المصرية لقتال التاتار فلما بلغهم ذلك تركوا المدينة وساروا الى بلادهم فلما بلغ غازان ذلك ارسل اتابكه قطلوشاه مع عساكر التاتار الى الشام وكانت الوقعة بين الصفين والكسوة فنصر الله تعالى المسلمين وولت التاتار منهزمين بدري

ممن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقي وكان يحتجم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما اعلم وقال الشعبي وجد علي درعا له عند نصراني فأقبل به الى شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته وقال هذه درعي فقال النصراني ما هي الا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك بينة قال لا وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من علي عند مسيره الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج وقيل ان عليا رؤي وهو يحمل في ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا امير المؤمنين الا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر ازهد الناس في الدنيا علي بن ابي طالب وقال المدائني نظر علي الى قوم يبابه فقال لقنبر مولاه من هؤلاء قال شيعتك يا أمير المؤمنين قال ومالي لا اراى فيهم سيما الشيعة قال وما سيماهم قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء ومناقبه لا تحصى قد جمعت قضاياه في كتاب مفرد

﴿ ذكر بيعة الحسن بن علي ﴾

وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع الحسن بن علي بعد قتل أبيه وأول من بايعه قيس بن سعد الانصاري وقال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم انكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا بذلك وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا الا القتال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل كتابا على لسان معاوية فيقال انه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفا ان يفطن لفعله وقيل فعل ذلك لانه بلغه ان عتبة بن أبي سفيان مصبحه واليا على الموسم وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالامير في بلاد الشام فلما قتل علي دعي بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم انه بويع بالخلافة بعد اجتماع الحكمين والله أعلم وكانت خلافة الحسن سنة أشهر وفيها مات الاشعث بن قيس الكندي بعد قتل علي بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي وفيها مات حسان بن ثابت وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الصحابة وفيها مات شرحبيل بن السمط الكندي وهو من أصحاب معاوية قيل له صحبة وقيل لا صحبة له وفي أول خلافة علي مات جهجاه الغفاري له صحبة * وفيها مات الحرث بن خزيمة الانصاري شهد بدرا وأحدا وغيرهما * وفيها مات خوات بن جبير الانصاري بالمدينة وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر فرجع لعذر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وهو صاحب ذات النحيين وفي خلافة علي مات قرظة بن كعب الانصاري بالكوفة وقيل بل مات في امارة المغيرة على الكوفة لمعاوية شهد أحدا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع علي ومات معاذ بن عفراء الانصاري في أول خلافة علي وهو

بدرى شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى خلافته مات أبو لبابة بن عبد المنذر الانصارى وكان نقيبا شهد بدرا وقيل بل استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ورده من طريق بدر وضرب له بسهمه * وفيها توفى معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى له صحبة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وكان مجذوما واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وكان معه الخاتم أيام عثمان فمن يده وقع الخاتم وقيل انه توفى آخر خلافة عثمان

* ثم دخلت سنة احدى واربعين *

* (ذكر تسليم الحسن بن على الخلافة الى معاوية) *

كان أمير المؤمنين على قد بايعه اربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن اهل الشام فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام واذا أراد الله أمرا فلا مرد له فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية فى اهل الشام اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الانصارى على مقدمته فى اثنى عشر الفا وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس فجعل عبد الله على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد بن عبادة فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد فى العسكر الا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا ومتاعه حتى نازعوه بساطا كان تحته فازدادا لهم بغضا ومنهم ذعرا ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن ابى عبيد فقال له المختار وهو شاب هل للثأى فى الغنى والشرف قال وماذاك قال تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له عمه عليك لعنة الله اتب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه بئس الرجل أنت فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه كتب الى معاوية وذكر شروطا وقال له ان انت اعطيتنى هذا فأنا سميع مطيع وعليك ان تفى لى به وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر انى قد رأيت معاوية فى الصلح فقال له الحسين انشدك الله أن لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثتا بك فقال له الحسن اسكت أنا اعلم بالامر منك فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية امسكه وكان قد ارسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها ماشئت فهو لك فلما اتت الصحيفة الى الحسن اشترط اضعاف الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك وامسكها عنده فلما رد الحسن الامر الى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التى فى الصحيفة التى ختم عليها معاوية فأبى ذلك معاوية وقال له قد اعطيتك ما كنت تطلب فلما اصطلحا قام الحسن فى اهل العراق فقال يا أهل العراق انه قد مضى ينقضى عنكم ثلاث قتلكم ابى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة وما بلغه خمسة آلاف الف وخراج دارابجرد من فارس وان لا يشتم عليا فلم يجبه الى الكف عن شتم على فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا وأما خراج دارابجرد فان أهل البصرة منعوه منه وقالوا هو فيئنا لا نعطيه أحدا وكان

أبيض اللون مشربا بحمرة تظليم الاطراف عريض ١٧٦ الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج اليمنى بين وعينيه كشمعتين

منعهم بأمر معاوية أيضا وقد سلم معاوية الامر لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى وقيل انما سلم الحسن الامر الى معاوية لانه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال انا والله ما بيننا وبين أهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره واما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر الا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضا فنادوه من كل جانب ابقية البقية وأمض الصلح ولما عزم على تسليم الامر الى معاوية خطب الناس فقال أيها الناس انما نحن امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس الا من بكى حتى سمع نشيجه فلما سار وا الى معاوية في الصلح فاصطلحا على ما ذكرناه وسلم اليه الحسن الامر وكانت خلافة الحسن على قول من يقول انه سلم الامر في ربيع الاول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى قول من يقول في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيأ وعلى قول من يقول في جمادى الاولى يكون سبعة أشهر وشيأ والله تعالى أعلم ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفا يأمره بالدخول في طاعة معاوية فقام قيس في الناس فقال أيها الناس اختاروا الدخول في طاعة امام ضلالة أو القتال مع غير امام فقال بعضهم بل نختار الدخول في طاعة امام ضلالة فبايعوا معاوية أيضا فانصرف قيس فيمن تبعه على ما ذكره ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص لو أمر الحسن ان يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيه فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم فقام فحمد الله بديهة ثم قال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فلما قاله قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم وجعل الناس يمرون عند مسيرهم من الكوفة قيل للحسن ما حملك على ما فعلت فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غالب ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوا مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر لقد لقي أبي منهم أمورا عظاما فليت شعري لمن يصلحون بعدي وهي أسرع البلاد خرابا ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المسلمين فقال لا تعذلني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فأنزل الله عز وجل انا أعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة وانا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية

﴿ ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد ﴾

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد وكان قيس امتنع من ذلك وسبب امتناعه ان

جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من ابهته وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكاسرة مع استقلالهم بالخطبة والسكة كانوا اذا قدموا عليه ويتوجهوا بالهدايا والتقادم اليه يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سراد قانه واذا أراد منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال ويعدو نحوه وكان بدو أمره وخروجه في حدود الستين وسبعمائة وهو من قرية تسمى خواجه ايلغار من اعمال الكش وهي مدينة من مدائن ماوراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر شهرا ذكرانه لما ولد سقط على الارض ذلك السقيط كان كفاه علوأتين من الدم العبيط فقال بعضهم يكون شرطيا وقال بعض يفشأ صاحر اميا وقال قوم يكون قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا وكان ابوه رجلا فقيرا اسكافا وهو نشأ شابا جلدا لكنه من القلة كان يتحرم في بعض الليالي سرق غنمة واحتملها فشعر به الراعي فضربه بسهمين اصاب باحدهما فخذه فاخطلها وبالاخرى كتفه فأبطلها فازداد كسرا على فقره وأوما على شره ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمنه رأس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين عبيد

عبيد الله بن عباس لما علم بما يريده الحسن من تسليم الامر الى معاوية كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره فأجابه الى ذلك وأرسل عبد الله بن عامر في جيش كثيف فخرج اليهم عبيد الله ليلا وترك جنده الذين هو عليهم بغير امير وفيهم قيس بن سعد فامر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقد هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي وان كان معه على دمائهم وأموالهم وقيل ان قيسا كان هو الامير على ذلك الجيش في المقدمة على ما ذكرنا وكان شديد الكراهة لامارة معاوية بن أبي سفيان فلما بلغه ان الحسن بن علي صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا اصابوا في الفتنة فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على اسفله وقال له اكتب في هذا ما سألت فهو لك فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فاني والله لا أقاتله ابدا حتى لا اجد من قتاله بدا فلما بعث اليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له ولشيعة علي الامان على ما اصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل في سجله ذلك مالا واعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال انهم ذوو رأي العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعي وكان قيس وابن بديل مع علي وكان المغيرة معتزلا بالطائف ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه سعد بن ابي وقاص فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا امير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكا والله ما أحب الى وليتها بما وليتها به

﴿ ذكر خروج الخوارج على معاوية ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم اعتزال فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم الى شهرزور وتركوا قتال علي والحسن فلما سلم الحسن الامر الى معاوية قالوا قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الحسن بن علي قد سار يريد المدينة فكتب اليه معاوية يدعوه الى قتال فروة فلحقه رسوله بالقادسية او قريبا منها فلم يرجع وكتب الى معاوية لو آثرت ان اقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فانك تركت اصلاح الامة وحقن دمائها فأرسل اليهم معاوية جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لا امان لكم عندي حتى تكفوهم فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت لهم الخوارج ليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فان أصبناه كما قد كفينا كم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا لا بد لنا من قتالكم فأخذت أشجع صاحبهم فروة فخادعوه وعظموه فلم يرجع فأخذوه قهرا وأدخلوه الكوفة فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء رجلا من طيئ فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم في ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر وقتل ابن أبي الحوساء وكان ابن أبي الحوساء حين ولي امر الخوارج قد خرف من السلطان ان يصلبه فقال

ما ان أبالي اذا أرواحنا قبضت ● ماذا فعلتم بأوصال وأبشار

الفاخوري في مدينة كشن

وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز وربط عنقه بالطرف الآخر وجعل يتشطط على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد الفكر فلا زال قائما في صف النعال حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعة ثم رفع رأسه الى الجماعة وقال كان هذا الرجل يبذل عرضه وعروضه واستدنا في طلب ما لا يساوي عند الله جناح بعوضة فترى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه فاشبهت قصته قصة ثعلبة ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد ما عرج الى ما عرج ولما قدم خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي وانكب على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تبور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلته ارتض ولقد تصورت ان السماء قد وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جلس بين يديه وقال يا مولانا

تجرى المجرة والنسران عن قدره * والشمس والقمر السارى بمقدار
وقد علمت وخير القول انفعه * ان السعيد الذى ينجو من النار

﴿ ذكر خروج حوثرة بن وداع ﴾

ولما قتل ابن ابى الحوساء اجتمع الخوارج فولوا امرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدى فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل لشكه فى قتال على ودعا الخوارج وسار من برازالروز وكان بها حتى قدم النخيلة فى مائة وخمسين وانضم اليه فل ابن ابى الحوساء وهم قليل فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وكلمه وناشده وقال الا أجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فقال انا الى طعنة من يد كافر برمح اقلب فيه ساعة اشوق منى الى ابنى فرجع أبوه فأخبر معاوية بقوله فسير معاوية اليهم عبد الله بن عوف الاحمرى فى ألفين وخرج أبو حوثرة فعين خرج فدعا ابنه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى سعة وقاتلهم ابن عوف وصبروا وبارز حوثرة عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل أصحابه الا خمسين رجلا دخلوا الكوفة وذلك فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود وكان صاحب عبادة فندم على قتله وقال

قتلت أخا بنى أسد سقاها * لعمر أبى فما لقيت رشدى
قتلت مصليا محيا ليل * طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لا نال دنيا * وذاك لشقوتى وعثار جدى
فهب لى توبة يارب واغفر * لما قارفت من خطا وعمد

﴿ ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله ﴾

ثم ان فروة بن نوفل الاشجعى خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فوجه اليه المغيرة خيلا عليها اشبث بن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله وقيل قتل ببعض السواد

﴿ ذكر شبيب بن بجرة ﴾

كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليا فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرب اليه فقال انا وابن ملجم قتلنا عليا فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله وبعث الى أشجع وقال لعن رأيت شبيبا أو بلغنى انه بباب لاهلكنكم أخرجوه عن بلدكم وكان شبيب اذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحدا الا قتله فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه بألطف قريب الكوفة فبعث اليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه

﴿ ذكر معين الخارجى ﴾

وبلغ المغيرة ان معين بن عبد الله يريد الخروج وهو رجل من محارب وكان اسمه معنا فصغر فأرسل اليه وعنده جماعة فأخذ وحبس وبعث المغيرة الى معاوية يخبره امره فكتب اليه ان شهد انى خليفة نخل سبيله فأحضره المغيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فقال أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فأمر به فقتل فقتله قبيصة الهلالى فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ولم يعرف قاتله حتى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد فلما قدم الكوفة

الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطانك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحمدية وهو قائل ملكت الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول جميع ما نالته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى وهمة الشيخ زين الدين الخوافى والسيد محمد بركة وكان من أمره انه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين حاكم هراة فظفر به فبعد ضربه امر بصلبه وكان للسلطان ولد رأيه غير متين يدعى الملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه هذا جغتاى حرامى مادة الفساد لئن أبقى ليهلكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرى قرحه فكان فى خدمته فقربه وزوجه بشقيقته ثم انه غاضبها فى بعض الايام فقتلها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان الى ان كان من أمره ما كان

قال يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة

﴿ ذكر خروج أبي مريم ﴾

ثم خرج أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وكان أول من أخرج معه النساء فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية فقال قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأردهما فردهما فوجه اليه المغيرة جابرا البجلي فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه بيادوريا

﴿ ذكر خروج أبي ليلى ﴾

وكان أبو ليلى رجلا اسود طويلا فأخذ بعضادتي باب المسجد بالكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالي فبعث فيه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين

﴿ ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأتاه المغيرة بن شعبة فقال له استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون اميرا بين نابي الاسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرا ما قال المغيرة فدخل على معاوية فقال استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ولا تستطيع ان تأخذه منه استعمل على الخراج رجلا يخافك ويثقيك فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري وبقي عليها الى ان ولي زياد الكوفة فأقره عليها وغزا الديلم ومعه عبد الله بن الحجاج الثعلبي وقتل ديلميا وأخذ سلبه فأخذه منه كثير فناشده الله في رده عليه فلم يفعل فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصا هشم وجهه فقال

من مبلغ ابناء خندف انني * ادركت طائلتي من ابن شهاب
أدركته ليلا بعقوة داره * فضربته قدما على الانياب
هلا خشيت وأنت عاد ظالم * بقصور أبهر رأسرتي وعقابي

﴿ ذكر ولاية بسر على البصرة ﴾

في هذه السنة ولى بسر بن ابي ارطاة البصرة وكان السبب في ذلك ان الحسن لما صالح معاوية أول سنة احدى وأربعين وثب حمران بن ابان على البصرة فأخذها وغلب عليها فبعث اليه معاوية بسر بن ابي ارطاة وأمره بقتل بني زياد بن ابيه وكان زياد على فارس قد أرسله اليها علي ابن ابي طالب فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليا ثم قال نشدت الله رجلا يعلم اني صادق الا صدقني أو كاذب الا كذبني فقال ابو بكرة اللهم انا لا نعلمك الا كاذبا قال فأمر به فخنق فقام ابو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه واقتطعه ابو بكرة مائة جريب وقيل لابي بكرة ما حملك على ذلك فقال يناشدنا بالله ثم لا نصدقه وأرسل معاوية الى زياد ان في يدك مالا من مال الله فأد ما عندك منه فكتب اليه زياد انه لم يبق عندي شيء ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه واستودعت بعضه لنازلة ان نزلت وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمة الله عليه فكتب اليه معاوية أن اقبل تنظر فيما وليت فان استقام بيننا امر والا رجعت الى مأمنك فامتنع فأخذ

حتى استصفى ممالك ماوراء النهر وذلك لاوامره جوامع الدهر وشرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد ومن رأيه انه صاهر المغل وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج بنت ملكهم فخر الدين خان فامن شرهم وكفى ضرهم ثم أرسل الى مخدومه سلطان هراه الملك غياث الدين الذي كان مغيثه عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول اما كنت خادما لي وأحسنت اليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الى الوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحسب ان يكون له بذلك منعة فامنه وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان حلف ان لا يريق له دما ولكن قتله في الحبس جوعا وظلما ثم عاد

بسر أولاد زياد الا كابرمنهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد وكتب الى زياد لتقدمن على أمير المؤمنين أولا قتلن بنيك فكتب اليه زياد اشتد بأرحامن مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب على حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله اياما حتى يأتيه بكتاب معاوية فركب ابو بكرة الى معاوية وهو بالكوفة فلما اتاه قال له يا معاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الاطفال قال وماذا الذيا ابا بكرة قال بسر يريد قتل بنى اخى زياد فكتب له بتخليتهم فأخذ كتابه الى بسر بالكف عن اولاد زياد وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد اخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون اذا بكرة اذ رفع لهم على نجيب او برذون يكدمه فوقف عليه ونزل عنه والاح بثوبه وكبر وكبر الناس معه فاقبل يسعى على رجليه فأدرك بسرا قبل ان يقتلهم فدفع اليه كتاب معاوية فأطلقهم وقد كان معاوية كتب الى زياد حين قتل على يتهدده فقام خطيبا فقال العجب من ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ورئيس الاحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس والحسن بن على فى سبعين ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم اما والله لئن خلص الى ليجدنى أحرضرابا بالسيف فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد فى القلعة التى يقال لها قلعة زياد وهو قول من قال فى هذا ان زيادا عنى ابن عباس وهم لان ابن عباس فارق عليا فى حياته وقيل ان معاوية أرسل هذا الى زياد فى حياة على فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليا وكتب زياد الى على يخبره بما كتب اليه معاوية فأجابه بما هو مشهور وقد ذكرناه فى استلحاق معاوية زيادا (كل مافى هذا الخبر بسر فهو بضم الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة)

(ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية)

ثم اراد معاوية ان يولى عتبة بن أبى سفيان البصرة فكلمه ابن عامر وقال له ان لى بالبصرة ودائع وأموالا فان لم تولنى عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة احدى وار بعين وجعل اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عمير بن يثربى الخاعمر وقد تقدم فى وقعة الجمل ان عميرة قتل فيها وقيل عمر وهو المقتول والله سبحانه اعلم بالصواب

(ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان)

وفى هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمى على خراسان وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد نكثوا فسار الى بلخ فأخرب نوبهارها وكان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى ليث وهو الخشك وانما سمى عطاء الخشك لانه اول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك واتخذ قناطر على ثلاثة انهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء ثم ان اهل بلخ سألوا الصلح وراجعة الطاعة فصالحهم قيس وقيل انما صالحهم الربيع بن زياد سنة احدى وخمسين وسيرد ذكره ثم قدم قيس على ابن عامر فحضر به وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الامان والصلح فصالحهم وحمل الى ابن عامر مالا (عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة)

الى خراسان ونوى الانتقام من اهل سجستان فوضع السيف فيهم واقناهم عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم أصيب ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرمانى ان الذين تخلصوا من القتل من اهل سجستان هزيمة لما راجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا ان يجمعوا بها فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من داهم عليه ولما خلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والاهم بلغه ان فيروزشاه سلطان الهند انتقل الى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فعسى ان يتولى تلك الوظيفة فوصل اليها وقتل اقيالها وتسلم اقبالها وقد وفد عليه المبشر بأن أحدا كم سيواس والملك الظاهر برقوق حاكم مصر والشام انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير نحوهما من الفرح فأقام فى الهند فاقبا وتوجه نحو مدينة سيواس وكان بعد وفاة والدها استولى عليها الامير سليمان بن السلطان بايزيد يلدرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان

﴿ ذكر خروج سهم بن غالب ﴾

وفي هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمي على ابن عامر في سبعين رجلا منهم الخطيم الباهلي وهو يزيد بن مالك وانما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه فنزلوا بين الجسرين والبصرة فرّ بهم عبادة بن فرص الليثي من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم الخوارج ممن أنتم قالوا قوم مسلمون قالوا كذبتم قال عبادة سبحان الله اقبلوا منا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مني فانى كذبته وقاتلته ثم اتيته فأسلمت فقبل ذلك مني قالوا أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه فخرج اليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم الى اجمة وفيهم سهم والخطيم فعرض عليهم ابن عامر الامان فقبلوه فأمنهم فرجعوا فكتب اليه معاوية يأمره بقتلهم فكتب اليه ابن عامر اني قد جعلت لهم ذمتك فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سهم والخطيم فخرجا الى الاهواز فاجتمع الى سهم جماعة فأقبل بهم الى البصرة فأخذ قوما فقالوا نحن بهود فخلاهم وقتل سعد مولى قدامة بن مظعون فلما وصل الى البصرة تفرق عنه أصحابه فاختفى سهم وقيل انهم تفرقوا عند استخفائه فطلب الامان وظن انه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر فلم يؤمنه زياد وبحث عنه فدل عليه فأخذه وقتله وصلبه في داره وقيل لم يزل مستخفيا الى ان مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك فقال رجل من الخوارج

فان تكن الاحزاب باؤا بصلبه * فلا يعدن الله سهم بن غالب

وأما الخطيم فانه سأله زياد عن قتله عبادة فأنكر فحبسه الى البصرين ثم أعاده بعد ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قيل وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس وقيل ولد سنة أربعين قبل ان يقتل علي والاول أصح وبايع على سماه وقال سميته باسم أحب الناس الى وجيء بالناس هذه السنة عتبة ابن ابي سفيان وقيل عنبسة بن ابي سفيان وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع ابن عبد قيس وهو ابن خالة عمرو على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح في سنة اثنتين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح في سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودّان وهي من برقة وافتتح عاسة بلاد بربر وهو الذي اختط القيروان سنة خمسين وسيذكر ان شاء الله تعالى وفيها مات لبيد بن ربيعة الشاعر وقيل مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة وقيل مات في خلافة عثمان وله صحبة وترك الشعر مذ أسلم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ﴾

في هذه السنة غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا فهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفيها ولد الحجاج بن يوسف في قول وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى خالد بن العاص بن هشام مكة فاستقضى مروان عبد الله بن اطرث بن نوفل وكان على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى قضائها شريح وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر وقيل استعمله معاوية فلما استقامت له الامور فلما ولى ابن عامر البصرة أقره عليها

فوصل اليها تموز بتلك السيول الهامية فقال انا فاتح هذه المدينة والقلعة في ثمانية عشر يوما وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام في محاصرتها وفتحها في اليوم الثامن عشر وذلك بعد ان حلف لاهل البلدان لا يريق دمهم وانه يرعى ذمتهم ويحفظ حرمتهم وحرمهم فلما دخل المدينة ربطهم في الرباق سربا وحفر لهم في الارض سربا والقاهم احياء في تلك الاخاديد وعدد من ألقى في تلك الحفر كان ثلاثة آلاف نفس ثم اطلق النهب للنهاب واتبع الاسر والخراب وانهمت مراسم نقوشها فهي خاوية على عروشها ولما استوفى سيوا من حصدا وريعا فوق سهام الانتقام الى نحو الممالك الشامية كالجراد المنتشر فوصل اليها وختل وقتل وفعل فعلته التي فعل وقد ذكرنا تفصيله في ذكر فرج ابن برقوق ولم يتعد منهم أحد جسر بعقوبة فرجع الى طريقته العوجاء حتى وصل الى الموصل وهو يمحو آثار الاسلام ثم توجه الى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استناب مكانه نائبا ولحق هو الى سلطان الروم بايزيد خان فاخذها عنوة يوم عيد

(ذكر الخبر عن تحرك الخوارج)

وفى هذه السنة تحرّكت الخوارج الذين كانوا انحازوا ممن قتل فى النهر ومن كان ارتث من جراحته فى النهر فبرؤا وعفا على عنهم وكان سبب خروجهم ان حيان بن ظبيان السلمى كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر فلما برأ لحق بالرى فى رجال معه فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل على فقدما أصحابه وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسى فاعلمهم بقتل على فقال سالم لاشلت يمين علمت قذاله بالسيف وحمدوا الله على قتله رضى الله عنه ولا رضى عنهم ثم ان سالما رجع عن رأى الخوارج بعد ذلك وصلح ودعاهم حيان الى الخروج ومقاتلة اهل القبلة فاقبلوا الى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية واستعمل على الكوفة المغيرة ابن شعبة فأحبّ العافية واحسن السيرة وكان يوتى فيقال له ان فلانا يرى رأى الشيعة وفلانا يرى رأى الخوارج فيقول قضى الله ان لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فامنه الناس وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر فاجتمعوا على ثلاثة تشرعلى المستورد بن علفة التيمى من تيم الرباب وعلى معاذ بن جوين الطائى وهو ابن عم زيد بن حصين الذى قتل يوم النهر وعلى حيان بن ظبيان السلمى واجتمعوا فى أربعمائة فتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا فولوا المستورد وبايعوه وذلك فى جمادى الآخرة واتعدوا للخروج واستعدوا وكان خروجهم غرّة شعبان سنة ثلاث وأربعين (علفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء)

(ذكر قدوم زياد على معاوية)

وفى هذه السنة قدم زياد على معاوية وكان سبب ذلك ان زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن ابن أبى بكرة وكان عبد الرحمن يلى ماله بالبصرة وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة ليناظر فى أموال زياد فأخذ عبد الرحمن فقال له ان كان أبوك قد اساء الى لقد أحسن عمك يعنى زيادا وكتب الى معاوية انى لم أجد فى يد عبد الرحمن مالا يحل لى أخذه فكتب اليه معاوية أن عذب عبد الرحمن فأراد ان يعذر و بلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن احتفظ بما فى يديك والق على وجهه حريرة وتنحها بالماء ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلاه وكتب الى معاوية انى عذبته فلم أصب عنده شيأ وحفظ لزياد يده عنده ثم دخل المغيرة على معاوية فقال معاوية حين رآه

انما موضع سرّ المرء ان * باح بالسرّ اخوه المنتصح
فاذا بحت بسرّ فالى * ناصح يستره اولا تبح

فقال المغيرة يا امير المؤمنين ان تستودعنى تستودع ناصحا مشفقا وماذاك فقال له معاوية ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليالى فقال المغيرة ما زياد هناك فقال معاوية داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ما يؤمنى ان يبايع لرجل من اهل هذا البيت فاذا هو قد اعاد الحرب جذعة فقال المغيرة أتأذن لى يا امير المؤمنين فى اتيانه قال نعم وتلطف له فأتاه المغيرة وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثنى اليك ولم يكن احد يمتديده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى معاوية عنك قال اشر على وارم الغرض الاقصى قال المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضى الله وكتب

الاضحى فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين ثم امر عسكره بأن يأتيه كل واحد من أهل بغداد برأسين ثم انوا بهم وطرحوا بدانهم فى تلك المبادين وجمع رؤسهم فبنى بها مياذين وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال ثم ان تيمور خرب المدينة بعد ان اخذ ما بها من الاموال والخزينة وابقاها عشش البوم والغراب فى أماكنهم فأصبحوا ترى الامساكنهم ثم الوى بتلك الاثر الى ناحية قراباغ ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازى وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد وقره يوسف حاكم اذربيجان سببا وذكرانهما من مطوات سيوفه هربا فتوجه نحوه فكان لا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد مجىء ذلك العنيد توجه الى ملاقاته فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى الى العصر فانت الى أسر ابن عثمان وكان من أمره ما كان وقتل غالب عسكره من العطش لانه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الاربعاء سابع عشر ذى الحجة

اليه معاوية بامانه بعد عود المغيرة عنه فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم فى جماعة الى فارس وقال لعلك تلقى زيادا فى طريقك فتأخذه فسار ابن خازم فلقى زيادا بارجان فاخذ بعنانه وقال انزل يازياد فقال له المنجاب تنح يا ابن السوداء والا علقت يدك بالعنان وكانت بينهم منازعة فقال له زياد قد أتانى كتاب معاوية وامانه فستركه ابن خازم وقدم زياد على معاوية وسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها الى على وبما أنفق منها فى الوجوه التى تحتاج الى النفقة وما بقى عنده وانه مودع للمسلمين فصدقه معاوية فيما انفق وفيما بقى عنده وقبضه منه وقيل ان زيادا لما قال لمعاوية قد بقيت بقية من المال وقد أودعتها مكث معاوية يردده فكتب زياد كتبا الى قوم اودعهم المال وقال لهم قد علمتم مالى عندكم من الامانة فتدبروا كتاب الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية فاحتفظوا بما قبلكم وسمى فى الكتب المال الذى اقر به لمعاوية وأمر رسوله ان يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ففعل رسوله وانتشر ذلك فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب اخاف ان تكون مكرت بى فصالحنى على ماشئت فصالحه على شئ وحمله اليه ومبلغه ألف ألف درهم واستأذنه فى نزول الكوفة فأذن له فكان المغيرة يكرمه ويعظمه فكتب معاوية الى المغيرة ليلزم زيادا وحجر بن عدى وسليمان بن صرد وشبث بن ربعى وابن الكوا بن الحق بالصلاة فى الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلاة وانما ألزمهم ذلك لانهم كانوا من شيعة على)

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة بالناس عنبسة بن أبى سفيان وفيها مات حبيب بن مسلمة الفهرى بارمينية وكان أمير المعاوية عليها وكان قد شهد معه حروبه كلها وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى له صحبة وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وهو الذى صارع النبى صلى الله عليه وسلم وصفوان بن امية بن خلف الجمحى وله صحبة وفيها مات هانئ بن نيار بن عمرو الانصارى وهو خال البراء بن عازب وقيل سنة خمس وأربعين وكان بدريا عقبيا (نيار بكسر النون وفتح الياء تحتها نقطتان وآخره راء)

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فى هذه السنة غزا بسر بن ابى ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدى وانكر ذلك قوم من أهل الاخبار وقالوا لم يشت بسر بأرض الروم قط وفيها مات عمرو ابن العاص بمصر يوم الفطر وكان عمل عليها العمر أربع سنين ولعثمان أربع سنين الا شهرين ولمعاوية سنتين الا شهرا وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر فولها نحو امن سنتين وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة فى صفر وصلى عليه مروان بن الحكم وعمره سبع وسبعون سنة

(ذكر مقتل المستورد الخارجى)

وفيها قتل المستورد بن علفة التيمى تيم الرباب وقد ذكر سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج وبيعتهم له ومخاطبته بأمير المؤمنين فلما كان هذه السنة اخبر المغيرة بن شعبة بأنهم اجتمعوا فى

ولايته وزاد فى رعايته وأمرهم بأن يحطبوا له وان يضربوا السكة باسمه فاستقلوا اوامره واجتنبوا زواجره ثم ان تيمور رجع الى

وعلم انه غير ناج من معاطبه قال لتيمور لنك ثلاث نصائح هن لخير الدنيا والآخرة لواجح أولاهن ان لاتقتل رجال الاروام فانهم ردء الاسلام وأنت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين ثانيتهن ان لاتترك التاتار بهذه الديار ولا تذر على أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم يضلوا من قبائلهم نارا وهم على المسلمين أضر من النصارى ثالثتهن ان لاتمدد يدك بالتخريب فى قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة المجاهدين هذه امانة حملتكها وولاية قلدتكها فتقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانة ذلك الجهول ولما صفا لتيمور شرب عمالك الروم من الكدر وقضى جيشه من الغارة الوطر اندرج الى رحمة ربه السلطان بايزيد وكان معه مكبلا فى قفص من حديد وبعد ما سبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الا الثلث أو الربع بعد ان جعل أهلها بين المحترقة والمختنقة والموقوذة والمنطيحة وما أكل السبع قرر كل أمير من امراء الروم على

بلاده وقد بلغ من دنياه المرام وانتهى أمله الى الكمال والتمام ووصل الى مدينة ترمذ وضعف وانقطع ثلاث ليال وعلم اجمال الانتقال الى دار الجزى والنكال وأبى الله ان يخرج تلك الروح النجسة الاعلى صفات ما اخترعه من الظلم واسسه بجعل يتناول من عرق الخمر حتى نتنت كبده ولم ينتفع بماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر في أليم رجزه وعذابه وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة بنواحي مدينة ترمذ وحملوا عظامه الى سمرقند وعمره قد جاوز الثمانين ومدة ملكه واستيلائه مستقلا ست وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتجريه رفع الله تعالى برحمته عن البلاد والعباد العذاب المهين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ما كان ذلك العيش الاسكره لذاتها رحلت وحل نحارها فلما قضى تيمور نحبه وكشف الله عن العالم كربه خلف ولديه أحدهما أمير شاه والآخر شاه رخ ولم يكن معه احد من اولاده واحفاده سوى ولد ولده (خليل بن امير شاه) حفيده فجلس على سرير الملك وكان أبوه امير شاه متولي ممالك تبريز قتله قره يوسف حاكم اذربيجان فلما توفي خليل تولى الملك (شاه رخ) واستولى على ممالك ماوراء النهر وخراسان وجميع عراق العجم وخلف تيمور بنتا تدعى سلطان بخت كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدتها فلا

منزل حيان بن ظبيان السلمي واتعدوا للخروج غرة شعبان فأرسل المغيرة صاحب شرطته وهو قبيصة بن الدمون فأحاط بدار حيان هو ومن معه واذا عنده معاذ بن جوين ونحو عشرين رجلا وثارت امرأته وهي ام ولد كانت له كارهة فأخذت سيوفهم فالقتها تحت الفراش وقاموا ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا فانطلق بهم الى المغيرة فحبسهم بعد ان قرروهم فلم يعترفوا بشئ وذكروا انهم اجتمعوا لقراءة القرآن ولم يزالوا في السجن نحو سنة وسمع اخوانهم فحذروا وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة واختلفت الخوارج اليه فرآهم حجار بن أبجر فسألوه ان يكتم عليهم ليلتهم تلك فقال لهم سأكتم عليكم الدهر فخافوه ان يذكرحالهم للمغيرة فتحولوا الى دار سليم بن محدوج العبدي وكان صهرا للمستورد ولم يذكر حجار من أخبارهم شيأ وبلغ المغيرة خبرهم وانهم عازمون على الخروج تلك الايام فقام في الناس فحمد الله ثم قال لقد علمتم اني لم أزل احب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى وخشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم وقد خشيت من ان لا نجد بدا من ان لا يؤخذ الحليم التقي بذنب الجاهل السفيه فكفوا عنها سفهاءكم قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد بلغنا ان رجالا يريدون ان يظهروا في المصر بالشقاق والنفاق والخلاف وايم الله لا يخرجون في حتى من احياء العرب الا أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال أيها الامير اعلمنا بهؤلاء القوم فان كانوا منا كفيناكهم وان كانوا غيرنا امرت اهل الطاعة فأتالك كل قبيلة بسفهائهم فقال ما اسمي لي احدا باسمه فقال معقل أنا أكفيك فوسمي فليكفك كل رئيس قومه فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم ليكفني كل رجل منكم قومه والا فوالله لا تحولن مما تعرفون الى ما تنكرون ومما تحبون الى ما تكرهون فرجعوا الى قومهم فناشدوهم الله والاسلام الا دلوهم على كل من يريد ان يهيج الفتنة وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان قد علم بمنزل حيان في دار سليم ولكنه كره ان يؤخذ من عشيرته على فراقه لاهل الشام وبغضه لرأيهم وكره مساءة أهل بيت من قومه فقام فيهم فقال أيها الناس ان الله وله الحمد لما قسم الفضل خصكم بأحسن القسم فأجبتم الى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ثم أقمتم حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدت طائفة وادهنت طائفة وتربصت طائفة فلزمتم دين الله ايمانا به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا حتى اختلفت الامة بينها فقالت طائفة نريد طلحة والزبير وعائشة وقالت طائفة نريد اهل المغرب وقالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبي وقلتم أنتم لا نريد الا اهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله عز وجل من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله عز وجل لكم وتوفيقا فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان لهم فلا قوم اعدى لله ولكم ولا هل بيت نبيكم من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فايا كم ان تؤوهم في دوركم او تكتموا عليهم شيأ فانه لا ينبغي لحي من احياء العرب ان يكون أوداء الهذه المارقة منكم وقد ذكر لي ان بعضهم في جانب من الحي وانا باحث عن ذلك فان يك حقا تفرت الى الله بدمائهم فان دماءهم حلال وقال يا معشر عبد القيس ان ولاتنا هؤلاء اعرف شئ بكم وبرأيكم

فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا فانهم أسرع شئ اليكم والى مثلكم ثم جلس وكل قوم قال لعنهم الله وبرئ منهم لا نؤويهم ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم غير سليم بن محدوج فانه لم يقل شيأ ورجع كئيبا يكره أن يخرج اصحابه من داره فيلوموه ويكره أن يؤخذوا في داره فيهلكوا ويهلك معهم وجاء أصحاب المستورد اليه فاعلموه بما قام به المغيرة في الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فسأل ابن محدوج عما قام به صعصعة في عبد القيس فأخبره وقال كرهت أن اعلمكم فتظنوا انه ثقل علي مكانكم فقال له قد اكرمت المثوى وأحسنت ونحن مرتحلون عنك وبلغ الخبر الذين في محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جوين ابن حصين في ذلك

الا أيها الشارون قد حان لامرئ * شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة * وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما * اقامتكم للذبح رأيا مضللا
الا فاقصدوا يا قوم للغاية التي * اذا ذكرت كانت أبر واعدلا
فيا ليتني فيكم على ظهر سابح * شديد القصيري دارعا غير أعزلا
ويا ليتني فيكم أعادي عدوكم * فيسقيني كأس المنية اولا
يعز علي أن تخافوا وتطردوا * ولما اجرد في المحلين منضلا
ولما يفرق جمعهم كل ماجد * اذا اقدمت قدما ولى وأدبر اقبلا
مشيحا بنصل السيف في حس الوغى * يرى الصبر في بعض المواطن امثلا
وعز علي أن تصابوا وتنقصوا * وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا
ولو انني فيكم وقد قصدوا لكم * أثرت اذا بين الفريقين قسطلا
فيا رب جمع قد فللت وغارة * شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وأرسل المستورد الى أصحابه فقال لهم اخرجوا من هذه القبيلة واتعدوا سوراء فخرجوا اليها متقطعين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا الى الصراة فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله اليهم فقال له عدي بن حاتم كلنا لهم عدو ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك فان شئت سرنا اليهم وقال له معقل بن قيس انك لا تبعث اليهم احدا ممن ترى حولك الا رأيته سامعا مطيعا ولهم مفارقا ولهلاكهم محبا ولا ارى أن تبعث اليهم احدا من الناس أعدى لهم مني فابعثني اليهم فانا كفيلكهم باذن الله تعالى فقال اخرج على اسم الله فجهز معه ثلاثة آلاف وقال المغيرة لصاحب شرطته الصق بمعقل شيعة علي فانه كان من رؤساء أصحابه فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشد استحلالا لدمائهم هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم فقد قاتلوهم قبل هذه المرة وقال له صعصعة بن صوحان لمحوا من قول معقل فقال له المغيرة اجلس فانما انت خطيب فأحفظه ذلك وانما قال له ذلك لانه بلغه انه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر علي ويفضله وكان المغيرة دعاه وقال له اياك أن يبلغني عنك انك تعيب عثمان واياك أن يبلغني انك تظهر شيأ من فضل علي فانا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع شيأ كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشئ

مماليك الروم القاتلين بسيفهم كل جبار ظلوم) * ذكر المولى الجيانى في تاريخه عن بدو أمرهم ان الذي اشتهر عن البطال الغازي هو ابو محمد جعفر ابن السلطان حسين بن ربيع بن علي بن عباس سكن بقرية المسيحية الموسومة بمدينة سيدغازي وبها قبره يزار ويتبرك به زوج اخته لعمر بن زياد بن عمرو بن معد فولدت له بنت اسمها نظير الجمال زوجها لعلي بن مضراب أمير التركمان بالديار الرومية فولد منها ولدا سماه احمد ولقبه (دانشمند الغازي) وهو اول من ملك من هذه الطائفة وكان عالما فاضلا كاملا وعاشر السلطان طورسان بن علي بن جعفر البطال بمدينة ملطية وسار سيرة جده من الجهاد في سبيل الله وطلبا من الخليفة الاذن في الجهاد فاذن لهما وولاهما على البلاد التي تفتح لهما فجمعا من العساكر نحو أربعين الفا وتوجها بنية الجهاد في شهر رجب سنة ستين واربعمائة من مدينة ملطية فعزم السلطان طورسان بنصف العساكر على ساحل البحر

الاسود وهو يغزو الكفار الى أن وصل بقرب القسطنطينية فبنى بالجبل الموسوم علم

يقال ان الدعاء هذا مستجاب والملك دانشمند سار بمن معه من العساكر حتى وصل الى مدينة سيواس فبناها وجعلها مقر سلطنته وكان جعفر البطال استخلص سيواس من يد الكفار وجعلها دار الاسلام وكان الامير عثمان جد السلاطين العثمانية اول ما وصل من بلاد الشرق لتلك الاماكن مع والده ارطغرل قاصدا للسلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي فأرسل الملك دانشمند الغازي من خدمه رجلا اسمه عثمان ومعه خمسة آلاف رجل لفتح مدينة قسطموني ففتحها واستولى على معدن الفضة وضرب دراهم باسم السلطان دانشمند وعزم دانشمند المذكور بنفسه لفتح قلعة نيكسار فأصابه سهم فقتل وتولى مكانه ولده (الملك الغازي محمد) وكان عالما فاضلا دينا مجاهدا في سبيل الله وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة هجم الفرنج على البلاد الشامية وأخربوا غالبها فوصل اليهم السلطان المذكور وأبادهم بالقتل والسبي وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفي الملك المذكور وتولى مكانه ولده (نظام الدين أبو المظفر باغي بصان) مدة الى أن توفي في سنة اثنتين وستين وخمسمائة ودفن بمدينة نيكسار

الذي لا نجد منه بد اندفع به هؤلاء القوم عن انفسنا فان كنت ذاكرا فضله فاذكره بيننا وبين أصحابك في منازلكم سرا واما علانية في المسجد فان هذا لا يحتمله الخليفة لنا فكان يقول له نعم ثم يبلغه عنه انه فعل ذلك فحقد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعة وما أنا الا خطيب فقط قال أجل فقال والله اني للخطيب الصلب الرئيس أما والله لو شهدتني يوم الجمل حيث اختلفت القنا فوق شؤن تفري وهامة تختني لعلمت اني الليث النهد فقال حسبك العمري لقد أوتيت لسانا فصيحا وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقاوة الشيعة وسار الى سوراء ولحقه أصحابه واما الخوارج فانهم ساروا الى بهرسير وأرادوا العبور الى المدينة العتيقة التي فيها منازل كسرى فمنعهم سماك بن عبيد الازدي العبسي وكان عاملا عليها فكتب اليه المستورد يدعوه الى البراءة من عثمان وعلي وان يتولاهما وأصحابه فقال سماك بئس الشيخ انا اذا واعاد الجواب على المستورد يدعوه الى الجماعة وان يأخذ له الامان فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة ايام ثم بلغه مسير معقل اليهم فجمعهم المستورد وقال لهم ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو من السبائية المفترين الكاذبين فاشهروا على برأيكم فقال بعضهم نخرج نريد الله والجهاد وقد جاؤنا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وقال بعضهم بل نتنحى ندعوا الناس ونحتج عليهم بالدعاء فقال لهم لا أرى ان نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون بل أرى ان نسير بين أيديهم فيخرجوا في طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال فساروا فعبروا بجرجرايا ومضوا الى أرض جوخى ثم بلغوا المذار فاقاموا بها وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف صنع المغيرة فأخبر بفعله فاستدعى شريك بن الاعور الحارثي وكان من شيعة علي فقال له اخرج الى هذه المارقة ففعل وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة وكان اكثرهم من ربيعة وساربهم الى المذار وأما معقل بن قيس فسار الى المدائن حتى بلغها فبلغه رحيلهم فشق ذلك على الناس فقال لهم معقل انهم ساروا لتتبعوهم وتتبددوا وتنقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم وانه لا يصيبكم شيء من ذلك الا وقد أصابهم مثل ذلك وسار في آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ الشاكري في ثلاثمائة فارس فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل فقال بعضهم لا تفعل وقال بعضهم بل نقاتلهم فقال لهم ان معقلا أمرني أن لا أقاتلهم فقالوا له ينبغي أن تكون قريبا منه حتى يأتي معقل وكان ذلك عند المساء فباتوا يتحارسون حتى اصبحوا فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج اليهم وكانوا أيضا ثلاثمائة وحملوا عليهم فانهزم أصحاب ابي الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ الكرة الكرة وحمل ومعه اصحابه فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين الا انهم لم يقتل منهم أحد فصاح بهم ابو الرواغ أيضا ثكلتكم امهاتكم ارجعوا بنا فلكن قريبا منهم لانفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا وما اقبح بنا أن نرجع الى الجيش منهزمين من عدونا فقال له بعض اصحابه ان الله لا يستحي من الحق قد والله هزمونا فقال له لا اكثر الله فينا مثلك انا ما لم نفارق المعركة لم نهزم ومتى عطفنا عليهم وكافريبا منهم فنحن على حال حسنة فقفوا قريبا منهم فان أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا فاذا حملوا عليكم وعجزتم عن قتالهم فانحازوا على حامية فاذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا منهم فان الجيش يأتيكم عن ساعة فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم فاذا عاد

الخوارج رجع أبو الرواغ في آثارهم فلم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فنزل الطائفتان يصلون ثم أقاموا الى العصر وكان اهل القرى والسيارة قد اخبروا معقلا بالتقاء الخوارج وأصحابه وان الخوارج تطرد أصحابه بين ايديهم فاذا رجعوا عاد اصحابه خلفهم فقال معقل ان كان ظني في أبي الرواغ صادقا لا يأتيكم منهزما أبدا ثم أسرع السير في سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمي على ضعفة الناس فلما اشرفوا على ابي الرواغ قال لأصحابه هذه غبرة فتقدموا بنا الى عدو نا حتى لا يرانا اصحابنا أنا تحيفنا عنهم وهبناهم فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل فلما دنا منهم غربت الشمس فصلى باصحابه وصلى ابو الرواغ باصحابه وصلى الخوارج ايضا وقال أبو الرواغ لمعقل ان لهم شدات منكرات فلا تالها بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون ردأ لهم فقال نعم ما رأيت فبينا هو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت هو فنزل الى الارض ومعه أبو الرواغ في نحو مائتي رجل فلما غشيهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف فانهزمت خيل معقل ساعة ثم ناداهم مسكين ابن عامر وكان شجاعا أين الفرار وقد نزل اميركم ألا تستحيون ثم رجع ورجعت معه خيل عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم الى البيوت ثم لم يلبثوا الا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن معه فجعلهم معقل ميمنة وميسرة وقال لهم لا تبرحوا حتى تصبحوا وتثوروا اليهم ووقف الناس بعضهم مقابل بعض فبينما هم متواقفون أتى الخوارج عين لهم فاخبرهم ان شريك بن الاعور قد أقبل اليهم من البصرة في ثلاثة آلاف فقال المستورد لاصحابه لا أرى ان نقيم لهؤلاء جميعا ولكني أرى ان نرجع الى الوجه الذي جئنا منه فان اهل البصرة لا يتبعوننا الى أرض الكوفة فيهون علينا قتال اهل الكوفة ثم أمرهم بالنزول ليريحوا دوابهم ساعة ففعلوا ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلهم على الطريق الذي اقبلوا منه وعادوا راجعين وامام معقل فانه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم يريا دوابهم فعاد اليه بالخبر انهم قد ساروا لمخافة أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا الى الصباح فلما اصبحوا أتاهم من اخبرهم بمسيرهم وجاء شريك بن الاعور فيمن معه فلقي معقلا فتساءلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم فدعا شريك أصحابه الى المسير مع معقل فلم يجيبوه فاعتذر الى معقل بخلاف اصحابه وكان صديقا له يجمعهما رأي الشيعة ودعا معقل أبا الرواغ وأمره باتباعهم فقال له زدني مثل الذين كانوا معي ليكون اقوى لي ان أرادوا مناجزتي فبعث معه سبعمائة فارس فساروا سراعا حتى ادركوا الخوارج بحر جرايا وقد نزلوا فنزل بهم أبو الرواغ مع طلوع الشمس فلما رأوهم قالوا ان قتال هؤلاء أيسر من قتال من يأتي بعدهم فحملوا على أبي الرواغ وأصحابه حملة صادقة فانهزم اصحابه وثبت في مائة فارس فقاتلهم طويلا وهو يقول

ان الفتى كل الفتى من لم يهل * اذا الجبان حاد عن وقع الاسل

قد علمت اني اذا البأس نزل * أروع يوم الهيج مقدام بطل

ثم عطف اصحابه من كل جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم الى مكانهم فلما رأى المستورد ذلك علم انهم ان أتاهم معقل ومن معه هلكوا فمضى هو واصحابه فعبروا دجلة ووقفوا في أرض بهرسير وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط فلما نزل بهم قال المستورد لاصحابه ان هؤلاء

حتى اطلقهما تيمور ونصب (محمدا) مكان والده في بلاد قرمان بعد ما حلفه وكان أخوه علي هرب والتجأ بسلطان مصر فانجده

ولما توفي السلطان علاء الدين استولى على جميع بلاده وسمي تلك البلاد باسمه واستقر في السلطنة مدة فلما توفي تولى مكانه ولده (علاء الدين) وهو الذي حارب السلطان يلدرم بايزيد وظفر به السلطان يلدرم بايزيد وقتله وقبض على ولديه علي ومحمد وحبسهما بمدينة بروسه واستقرا في السجن اثنتي عشرة سنة

نيكسار ودفن بها وتولى مكانه (ذو النون بن محمد) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على بلاده آل سلجوق وبه انقرضت دولتهم

* (الباب الخامس والاربعون في ذكر دولة آل قرمان القاعين لاهل الشرك والطغيان) *

كان يقال لجدهم نوره صوفي أصله ارمني فاسلم وسكن بمدينة اماسية وصار من توابع بابا الياس ولما قتل الشيخ الياس المذكور انتقل لمدينة قونية وسكن بها واعتقده اناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي وجعل ولده (قرمان) مقربا عنده وزوجه اخته وولاه امرة بلاد لارنده ففتح بلاد سلفكه ولما

بعساكر مع ابنه ابراهيم واستخلص بلاد قرمان من يد محمد وفوضها الى علي وبعده تحارب ناصر الدين ذو القادر مع محمد بك ابن قرمان ومسكه وارسله الى سلطان مصر فحبسه هناك فلما توفي الملك المؤيد شيخ سلطان مصر وتولى السلطنة أمير ططر ارسل محمد المحبوس الى الروم واجلسه على سرير الملك وتوفي محمد وتولى مكانه ولده (ابراهيم) وكان اعدل هذه الطائفة وأحسنهم وزوج السلطان مراد خان أخته لابراهيم المذكور وصار بينهما اتحاد عظيم وفيما بعد وقع بينهما عداوة عظيمة آلت الى الحرب بينهما ووقع الصلح بينهما وتوفي ابراهيم في سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وخلف ستة أولاد وتولى الملك بعده ولده (اسحق) وهرب بقية اخوته الى السلطان محمد خان بن عثمان فعين السلطان محمد خان بلاد قرمان لارشد تلك الاولاد الامير أحمد وارسل معه عساكر فلم يقدر اسحق على المقاومة وهرب الى بلاد الشرق الى أوزن حسن سلطان العراق وفيما بعد غضب السلطان محمد على الامير احمد المذكور وقرر امرة قرمان لولده (السلطان مصطفى) واستمر بلاد قرمان في يد بني عثمان ربه انقرضت دولتهم

هم جاءة اصحاب معقل وفرسانه ولو علمت اني آسبقهم اليه بساعة لسرت اليه فوافقته ثم أمر من يسأل عن معقل فسألوا بعض من على الطريق فاخبروهم انه نزل ديلمايا وبينهم ثلاثة فراسخ فلما أخبر المستورد بذلك ركب وركب اصحابه وأقبل حتى انتهى الى جسر ساباط وهو جسر نهر ملك وهو من جانبه الذي يلي الكوفة وأبو الرواغ من جانب المدائن فقطع المستورد الجسر ولما رآهم أبو الرواغ قدر كبواعي اصحابه واعتزل الى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بهما وقف ينتظرهم فلما قطع المستورد الجسر سار الى ديلمايا نحو معقل ليوقع به فانتهى اليه واصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدم بعض أصحابه فلما رآهم معقل نصب رايته ونادى يا عباد الله الارض الارض فنزل معه نحو مائتي رجل فحملت الخوارج عليهم فاستقبلوهم بالرماح حتاة على الركب فلم يقدروا عليهم فتركوهم وعدلوا الى خيولهم فخالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت في كل جانب ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ثم رجعوا الى معقل واصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم فلم يتجلجلوا فحملوا أخرى فلم يقدروا عليهم فقال المستورد لاصحابه لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل ففعلوا واشتد القتال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك فبينما هم كذلك اذ أقبل ابو الرواغ عليهم فمن معه وكان سبب عوده اليهم انه أقام بمكانه ينتظرهم فلما أبطؤا عليه ارسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا وظنوا منهم ان الخوارج فعلوا ذلك هيبة لهم فرجعوا الى أبي الرواغ فاخبروه انهم لم يروهم وان الجسر قد قطعوه هيبة لهم فقال لهم أبو الرواغ لعمري ما فعلوا هذا الا مكيدة وما اراهم الا وقد سبقوكم الى معقل حيث رأوا فرسان اصحابه معي وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم فالنجاء النجاء في الطلب ثم أمر اهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج فلقيه أوائل الناس منهزمين فصاح بهم الى فرجعوا اليه واخبروه الخبر وانهم تركوا معقلا يقاتلهم ومايظنونه الا قتيلا فجد في السير وردمعه كل من لقيه من المنهزمين فانتهى الى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون فحمل ابو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيد ووصل أبو الرواغ الى معقل فاذا هو متقدم يحرض أصحابه فشد واعلى الخوارج شدة منكرة ونزل المستورد ومن معه من الخوارج ونزل اصحاب معقل ايضا ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف اشد قتال ثم ان المستورد نادى معقلا ليبرز اليه فبرز اليه فمنعه اصحابه فلم يقبل منهم وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه فقال اصحاب معقل خذ رمحك فأبى واقبل على المستورد فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوقع المستورد ميتا ومات معقل ايضا وكان معقل قد قال ان قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمي فلما قتل أخذ الراية عمرو ثم حمل في الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة وقال ابن الكلبي كان المستورد من تميم ثم من بني رياح واحتج بقول جرير

ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا ... ومنا الذي لاقى المستورد في الحرب

يعني هذه الوقعة

(ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان)

(الباب السادس والاربعون في ذكر ملوك الروم من آل سلجوق الكافرين لاهل الفجور والفسوق)

في هذه

فى هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد بن الحصين الحبطى ومعه من الاشراف عمرو بن عبيد الله بن معمر وغيره فكان يغزو البلاد قد كفر أهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها المجانيق فلم سورها ثلمة عظيمة فبيات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه أهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهى غزنة وأعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها

(ذكر غزوة السند)

استعمل عبد الله بن عامر على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدى ويقال ولاه معاوية من قبله فغزا القيقان فاصاب مغنما ووفد على معاوية واهدى له خيلا قيقانية ورجع فغزا القيقان فاستنجدوا بالترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر

وابن سوار على عدائه * موقد النار وقتال الشغب

وكان كريما لم يوقد احد فى عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فامر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

(ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان)

قيل وفى هذه السنة عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم القيسى ثم السلمى عن خراسان واستعمل عبد الله بن خازم وسبب ذلك ان قيسا ابطأ بالخراج والهدية فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن عامر ولنى خراسان اكفكها فكتب له عهده فبلغ ذلك قيسا فخاف ابن خازم وشغبه فترك خراسان واقبل فازداد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر فضربه وحبسه وبعث رجلا من بشكر على خراسان وقيل بعث اسلم بن زرعة الكلابى ثم ابن خازم وقيل فى عزله غير ذلك وهو ان ابن خازم قال لابن عامر انك استعملت على خراسان قيسا وهو ضعيف وانى اخاف ان لقى حربا أن ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفضح اخوالك يعنى قيس عيلان قال ابن عامر فما الرأى قال تكتب لى عهدا ان هو انصرف عن عدو قفل مقامه فكتب له وجاش جماعة من طخارستان فشاوره قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع اليه اطرافه فلما سار رحله أو اثنتين اخرج ابن خازم عهده وقام بامر الناس ولقى العدو فهزمهم وبلغ الخبر الكوفة والبصرة والشام فغضب القيسية وقالوا اخدع قيسا وابن عامر وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر بما قيل فيه فقال معاوية قم غدا فاعتذر فى الناس فرجع الى اصحابه وقال انى أمرت بالخطبة ولست بصاحب كلام فاجلسوا حول المنبر فاذا قلت فصدقونى فقام من الغد فحمد الله واثنى عليه ثم قال انما يتكلف الخطبة امام لا يجد منها بدا او احمق يهمر من رامه ولست بواحد منهما وقد علم من عرفنى انى بصير بالفرص وثاب اليها وقاف عند المهالك انفذ بالسرية واقسم بالسوية انشد الله من عرف ذلك منى فليصدقنى فقال اصحابه صدقت فقال يا أمير المؤمنين انك فينا لشديد فقل بما تعلم فقال صدقت

(قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق) الى بلاد الروم وملك مدينة قونية واقسراى ونواحيها ثم انه توجه لبلاد الرى ليملكها فلم يقدر وهجم عليه العساكر فانهزم هو وعسكره فوجد مقتولا بين القتلى وذلك فى سنة خمس وستين ولربعمائة وقام بالامر بعده ابنه (سليمان ابن قتلمش) واستولى على ما كان بيد أبيه وافتتح مدينة انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين واربعمائة واستضافها الى بلاده وسار لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الامهال حتى يكاتبوا السلطان ملكشاه ودسوا الى تتش صاحب الشأم يستدعونه فوصل واعترضه سليمان على غير تعبية فانهزم وطعن نفسه بخنجر ومات فملك بعده ابنه (قلج أرسلان ابن سليمان) وأقام فى سلطانه وسار حتى استولى على الموصل وديار بكر واعمالها ثم سار الى الموصل لقتال جاولى فوقع بينهما حروب آلت الى قتل قلج ارسلان وضربه جاولى بسيفه فقتله وانهزم عساكره وتولى مكانه ابنه (مسعود شاه بن قلج ارسلان) فوقع بينه وبين الدانشمندية من التركمان حروب كثيرة ثم توفى مسعود سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه (عز الدين قلج ارسلان) واستولى على ما كان بيد أبيه من البلاد ثم قسمها بين اولاده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام وعلى الكوفة المغيرة وعلى البصرة عبد الله بن عامر وفيها مات عبد الله بن سلام وله صحبة مشهورة وهو من علماء أهل الكتاب وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة

(ثم دخلت سنة اربع وأربعين)

فى هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبى ارطاة فى البحر

(ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة)

وفى هذه السنة عزل عبد الله بن عامر عن البصرة وسببه ان ابن عامر كان حليما كريما لينا لا يأخذ على ايدى السفهاء وفسدت البصرة فى ايامه فشكى ذلك الى زياد فقال له جرد السيف فقال له انى اكره ان اصلحهم بفساد نفسى ثم ان ابن عامر أوفد وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم ابن الكواء واسمه عبد الله بن ابى أوفى اليشكرى فسألهم معاوية عن اهل العراق وعن اهل البصرة خاصة فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة قد اكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه فقال له معاوية تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور فلما عاد اهل البصرة ابلغوا ابن عامر فغضب وقال أى اهل العراق اشد عداوة لابن الكواء فقيل عبد الله بن ابى شيخ اليشكرى فولاه خراسان فبلغ ذلك ابن الكواء فقال ان ابن دجاجة يعنى ابن عامر قليل العلم فى ظن ان ولاية عبد الله خراسان تسوءنى لوددت انه لم يبق يشكرى الا عادانى وانه ولاه وقيل ان الذى ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكرى فلما علم معاوية حال البصرة اراد عزل ابن عامر فارسل اليه يستزيره فجاءه اليه فردّه على عمله فلما ودّعه قال انى سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وانا ابن ام حكيم قال تردّ على عملى ولا تغضب قال قد فعلت قال وتهب لى مالك بعرفة قال قد فعلت قال وتهب لى دورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر يا أمير المؤمنين انى سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وانا ابن هند فقال تردّ على مالى بعرفة قال قد فعلت قال ولا تحاسب لى عاملا ولا تتبع لى أثرا قال قد فعلت قال وتنكحنى ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية قال له اختر اما أن اتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وارد لك واما ان أعزلك واسوغك ما اصبت فاختار العزل وان لا يسوغه ما أصاب فعزله وولى البصرة الحرث بن عبد الله الازدى

(ذكر استلحاق معاوية زيادا)

وفى هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سمية فزعموا ان رجلا من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية فقال لزياد ان لابن عامر عندى يدا فان أذنت لى أتيته قال على ان تحدثنى بما يجرى بينك وبينه قال نعم فاذن له فأتاه فقال له ابن عامر هيه هيه وابن سمية يقبح آثارى ويعترض اعمالى لقد هممت ان آتى بقاسمة من قريش يحلفون بالله ان أباسفيان لم يرسمية فلما رجع سأله زياد فلم يخبره فألح عليه حتى اخبره فاخبر زياد بذلك معاوية فقال معاوية لحاجبه اذا جاءه ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الابواب ففعل ذلك به فأتى ابن عامر يزيد فشكا ذلك اليه

ومدينة ملاطية لعز الدين وبلاد البستان لغيث الدين ومدينة قيسارية لنور الدين محمود ومدينة تيكار واماسية لابنى أخيه فوقع بينهم النزاع والمخاصمة وبقى السلطان قلج ارسلان يتنقل بين اولاده وأولاد اخيه من واحد الى آخر وهم معرضون عنه ومتثقلون به حتى مرض وعاد الى قونية فتوفى بها وتولى مكانه ابنه (غياث الدين كيخسرو) فى مدينة قونية وبقية بنيه على حالهم فى ولاياتهم التى قسمها بينهم أبوهم لكن النزاع واقع بينهم واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه الى أن قتله تكور لادقية سنة سبع وستمائة فلما توفى تولى بعده ابنه (كيكاوس) ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم يطلب الامر لنفسه فسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره فى سيواس ثم أفرج عنه حتى ظفر به فقتله فى سنة عشر وستمائة وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقباد) وكان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو وقد اتسعت رقعة ملكه ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد وخدم عنده عسكر جلال الدين خوارزمشاه بعد مهلكه فاثبتهم فى ديوانه واستخدمهم وزوج ابنته لصاحب مصر فركب

وقدمت عليه وفى خدمتها أمير ومعه خمسمائة فارس من الروم وحمل جهازها على ألف جمل ومحفتها بغطاء أطلس احمر مسكل بالذهب وكان يوم وصولها اليه يوما مشهودا وعمل لها عرسا لم يسمع بمثله واول مافتح مدينة علائية بساحل البحر وبنى حصار قونية وسيواس وفتح بلاد ارزنجان وجشكزك وكماخ مع نواحيها وله حروب كثيرة مع الكفار وطائفة التاتار بحيث يطول شرحها توفى فى سنة اربع وثلاثين وستمائة وكانت مدة ملكه اربعا وعشرين سنة وملك بعده ابنه (غياث الدين) وكان ظالما غاشما جبارا عسوفا وقارن استيلاؤه انقراض دولة السلجوقية ولم يزل يضمحل حاله ويكثر حروبه الى أن قتله مملوكه فى سنة اربع وخمسين وستمائة وترك ثلاثة أولاد اكبرهم علاء الدين كيقباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين وجعل علاء الدين ولى عهده وكان يخطب باسمهم جميعا وامرهم واحد وكان جنكزخان قد هلك وولى مكانه ابنه طولو خان فملك اكثر بلاد الروم وكان ملوك الروم تحت حكم التاتار وآخر من تولى الملك من آل سلجوق بالديار الرومية (مسعود بن كيكاوس) الى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة وأصابه

فركب معه حتى ادخله فلما نظر اليه معاوية قام فدخل فقال يزيد لابن عامر اجلس فكم عسى أن يقعد فى البيت عن غير مجلسه فلما اطال اخرج معاوية وهو يتمثل

لنا سباق ولكم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ثم قعد فقال يا ابن عامر انت القائل فى زياد ماقلت أما والله لقد علمت العرب انى كنت أعزها فى الجاهلية وان الاسلام لم يزدنى الا عزا وانى لم أتكثر بزياد من قلة ولم اتعزز به من ذلة ولكن عرفت حقا له فوضعته موضعه فقال يا أمير المؤمنين نرجع الى مايحب زياد قال اذا نرجع الى مانحب فخرج ابن عامر الى زياد فترضاه فلما قدم زياد الكوفة قال قد جئتكم فى أمر ما طلبته الا لكم قالوا وما تشاء قال تلحقون نسبى بمعاوية قالوا اما بشهادة الزور فلا فأتى البصرة فشهد له رجال هذا جميع ماذكره أبو جعفر فى استلحاق معاوية نسب زياد ولم يذكر حقيقة الحال فى ذلك انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه وأنا اذكر سبب ذلك وكيفيته فانه من الامور المشهورة الكبيرة فى الاسلام لا ينبغى اهمالها وكان ابتداء حاله ان سمية أم زياد كانت لدهقان زند ورد بكسكر فرض الدهقان فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفى فعالجه فبرأ فوهبه سمية فولدت عند الحرث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقربها ثم ولدت نافعا فلم يقربها ايضا فلما نزل ابو بكرة الى النبى صلى الله عليه وسلم حين حصر الطائف قال الحرث لنافع أنت ولدى وكان قد تزوج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومى فولدت له زيادا وكان أبو سفيان بن حرب سار فى الجاهلية الى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولى واسلم ابو مريم بعد ذلك وصحب النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان لابى مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لى بغيا فقال له هل لك فى سمية فقال هاتها على طول ثديها وذفر بطنها فأتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعته سنة احدى من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الاشعرى لما ولى البصرة ثم ان عمر بن الخطاب استكتبى زيادا أمر اقتضاه فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعند عمر المهاجرون والانصار فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان وهو حاضر والله انى لا عرف اباه ومن وضعه فى رحم أمه فقال على يا أبا سفيان اسكت فانك لتعلم ان عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعا فلما ولى على الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبى سفيان اياه فلما قرأ زياد كتابه قام فى الناس وقال العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفنى بقصده اياى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار أما والله لو أذن لى فى لقائه لوجدنى أحمر مخشيا ضرابا بالسيف وبلغ ذلك عليا فكتب اليه انى وليتك ماوليتك وانا أرالله اهلا وقد كانت من أبى سفيان فلتة من امانى الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا وان معاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل على وكان من امر زياد ومصالحته معاوية ماذكرناه وضع زياد مصقلة بن هبيرة الشيبانى وضمن له عشرين الف درهم ليقول لمعاوية ان زيادا قد اكل فارس برا وبحرا وصالحك على الفى الف درهم والله ما أرى الذى يقال الا حقا فاذا قال لك وما يقال فقل يقال

انه ابن أبي سفيان ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية أن يستميل زيادا واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك واحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال انا اشهد ان ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال ائتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منيا فقال له زياد مهلا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه اول ما ردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر وكتب زياد الى عائشة من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبي سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فاضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال انما استلحق معاوية زيادا الان انكحة الجاهلية كانت أنواعا لا حاجة الى ذكر جميعها وكان منها ان الجماعة يجامعون البغي فاذا حملت وولدت الحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا أنه أقر كل ولد كان ينسب الى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شئ منها فتوهم معاوية ان ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والاسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على انكاره ولانه لم يستلحق أحد في الاسلام مثله ليكون به حجة قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه ابو بكرة وكان مهاجرا له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمع بحجه جاء الى بيته وأخذ ابنا له وقال له يا بني قل لا بيك انني سمعت انك تريد الحج ولا بد من قدومك الى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بام حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم فان أذنت لك فاعظم به خزيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منعتك فاعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيبا لاعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيرا فقد أبلغت في النصح

(ذكر غزو المهلب السند)

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله والقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من المسلمين وفي يوم بنة يقول الازدي

ألم تران الازد ليلة بيتوا * ببنة كانوا خير جيش المهلب

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس في هذه السنة معاوية وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة وهو أول من عملها بها وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي وفيها توفيت ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفيها قتل رفاعة العدوي من عدي رباب وهو بصري له صحبة

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين)

فيها ولى معاوية الحرث بن عبد الله الازدي البصرة في أولها حين عزل ابن عامر وهو من اهل الشام فاستعمل الحرث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي فبقي الحرث اميرا على البصرة

الفقر فاختل أمره واضمحل فعله وبقي الملك للتتار ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم فاستولى على غالب بلادهم بنو عثمان وتولى على البعض آل قرمان وكانت مدينة مينوب وقسطمونى بعد السلطان علاء الدين بيد أولاد قزل محمد اولهم (عادل بك) تولى تلك الديار مدة فلما توفى تولى مكانه ولده (بايزيد الزمن) وكان دينا خيرا ثم من بعده تولى مكانه ولده (اسفنديار) مدة وبعد وفاته (ابراهيم) وبعده (قزل احمد) وصار أخوه اسمعيل اتابكا له وفي ايام السلطان محمد خان العثماني ضبط تلك الديار وعين لاحمد المذكور امارة بلاد روم ايلى وهذه الطائفة يزعمون انهم من نسل خالد ابن الوليد رضي الله عنه واما ملك أيدين فتولى عليها صاحبها (أيدين بك) بعد موت السلطان علاء الدين كيقباد واستقل بتلك البلاد وتولى بعده ولده (محمد بك) ثم بعد وفاته تولى ولده (عيسى بك) وكان كريم النفس وفي زمانه صنف حاجي پاشا كتاب الشفاء في الطب فانتزع الملك منهم المرحوم السلطان مراد خان العثماني

وأما محمد كه صار وخان فتولى عليها صاحبها (صاروخان) استقلالا وبعده ولده (الياس بك) ولما توفى تولى مكانه ولده (اسحق) فظفر به السلطان يلدرم بايزيد خان وأسره وأما ممالك كرميان فتولى عليها صاحبها (كرميان بك) مدة وبعده ولده (علم شاه) وبعده ولده (يعقوب بن علم شاه) وكان صالحا مشكورا عازما هدا فى الدنيا سلم مفاتيح بلاده للسلطان مراد خان الغازى فعين له امرة ببلاد روم ايلى ولما توفى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى كان الامير عثمان تغمده الله بالرحمة والرضوان جد السلاطين العثمانية اذ ذاك بمدينة قره حصار كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الباب السابع والاربعون فى ذكر دولة بنى عثمان أبقاهم الله الى آخر الدوران)

وهم من أعظم سلاطين الدنيا بهجة وجلالة وأشدهم قوة وآثارا وأول من ملك منهم فى ممالك الروم الامير عثمان الغازى ابن الامير ارطغرل ابن سليمان شاه وله نسب يتصل الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الثالث عشر لحضرة سلطاننا الاعظم السلطان محمد خان لازالت أعلام خلافته مرفوعة وألوية سلطنته منصوبة ولما كانت اسماؤهم بلغة الترك القديمة لم نذكرها

أربعة اشهر ثم عزله وولاها زيادا

(ذكر ولاية زياد ابن ابيه البصرة)

قدم زياد الكوفة فاقام ينتظر امارته عليها فقيل ذلك للمغيرة بن شعبة فسار الى معاوية فاستقاله الامارة وطلب منه ان يعطيه منازل بقرقيسيا ليكون بين قيس فخافه معاوية وقال له لترجعن الى عملك فابى فازداد معاوية تهمة له فرده على عمله فعاد الى الكوفة ليلا وأرسل الى زياد فاخرجه منها وقيل ان المغيرة لم يسر الى الشام وانما معاوية ارسل الى زياد وهو بالكوفة فامره بالمسير الى البصرة فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس واربعين والقسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله مزيدا من نعمه اللهم كما زدتنا نعما فالهمنا شكرا على نعمك علينا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغجر الموقد لاهله النار الباقى عليهم سعيرها ما يأتى سفهاءكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام فيثب فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأن لم تسمعوا نبى الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمد الذى لا يزول أتكونون كمن طرقت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دبيج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين يعتذرون بغير العذر وتعطفون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرفوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير جبرية وعنف وانى لاقسم بالله لآخذن الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم ان كذبة المنبر مشهودة فاذا تعلقتم على بكذبة قلت حالت لكم معصيتى من بيت منكم نأما ضاما من لماذهب له اياى ودبج الليل فانى لا أوتى بمدبج الا سفكت دمه وقد أجلتكم فى ذلك بقدر ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياى ودعوى الجاهلية فانى لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكف عنكم لسانى ويدى واياى لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بينى وبين أقوام احن فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته انى لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا

٢٥ مل ث لعسر ضبطها وهى مشهورة وفى التواريخ التركية مذكورة وكان سليمان شاه المذكور سلطانا فى بلاد

في سنة احدى عشرة وستمائة
ترك البلاد مع من تركها من الملوك وغيرها وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار وتتبعه في ذلك خلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا صوب حلب من ناحية البستان فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره اليوم هناك يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه المذكور أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدي وارطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له باسين اوسي رجع سنقور وكون طوغدي ابنا سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف ارطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز آلب وصارو بني وعثمان ومكث في ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم ارسل ابنه صارو بني الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي يستأذنه في الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طومانيج وجبال ارضاك وما بينهما موضعا للسكنى فأقبل ارطغرل مع اربعمائة الى

سيبتمس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا وتذود عنكم بني الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا باعانتكم واعلموا اني مهما قصرت عنه فاني لا أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي اليه تاوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتموني أنفذ فيكم الامر فانفذوه على ذلاله وان لي نيكم امرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقال الاحنف قد قلت فأحسنت ايها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا ان نثن حتى نبتلى فقال زياد صدقت فقام اليه أبو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد انا لا نجد الى ما تريد انت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن واجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد اليه وصول الخبر فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلي فيأمر رجلا ان يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فاذا فرغ أمهل بقدر ما يرى ان انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى انسانا الا قتله فأخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال هل سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها الى موضع وأقمت لأصبح ولا علم لي بما كان من الامير فقال أظنك والله صادقا ولكن في قتلك صلاح الامة ثم امر به فضربت عنقه وكان زياد اول من شدد امر السلطان واكد الملك لمعاوية وجرد سيفه واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتى امن بعضهم بعضا وحتى كان الشيء يسقط من يد الرجل او المرأة فلا يعرض له احد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ولا يغلق احد بابه وادر العطاء وبنى مدينة الرزق وجعل الشرط اربعة آلاف وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا اعاني شيأ وراء المصر حتى اصلح المصر فان غلبني فغيره أشد غلبة منه فلما ضبط المصر واصلحه تكلف ما وراء ذلك فأحكمه

﴿ذكر عمال زياد﴾

استعمل زياد بعدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمران بن حصين الخزاعي ولاه قضاء البصرة وانس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب فأما عمران فاستعفى من القضاء فأعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفى وكانت اخته عند زياد وقيل ان زيادا اول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس ورابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد وجعل خراسان ارباعا واستعمل على مرو أمير بن احمر وعلى نيسابور خليد ابن عبد الله الحنفي وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي ثم غضب عليه فعزله وسبب تغيره عليه ان نافعا بعث بخوان باذزهر

الى زياد فوائمه منه فأخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد وكان يلى امور نافع كلها فسعى زيد بنافع الى زياد وقال انه خانك واخذ قائمة الخوان فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتابا بمائة الف وقيل بثمانمائة الف فشفع فيه رجال من وجوه الازد فأطلقه واستعمل الحكم بن عمرو الغفارى وكانت له صحبة وكان زياد قال لحاجبه ادع لى الحكم يريد الحكم بن ابى العاص الثقفى ليوليه خراسان فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفارى فاستدعاه فحين رآه زياد قال له ما اردتك ولكن الله أراد لك فوله خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغيره وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات واستخلف انس بن ابى اناس بن زنيم فعزله زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وفيها مات زيد بن ثابت الانصارى وقيل سنة خمس وخمسين وعاصم بن عدى الانصارى البلوى وكان بدريا وقيل لم يشهدها بل ردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب له بسهمه وكان عمره مائة وعشرين سنة وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى بالمدينة وشهد العقبة وبدرا وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابى وهو من أصحاب الشجرة وهو أخو أبى جبيرة بن الضحاك

(ثم دخلت سنة ست وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم الى حمص ومات

﴿ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد﴾

وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه وغنائه فى بلاد الروم ولشدة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وأمر ابن اثال النصرانى أن يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوما الى عروة بن الزبير فقال له عروة ما فعل ابن أثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن اثال فحمل الى معاوية فحبسه أياما ثم عزم معه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة ما فعل ابن أثال فقال قد كفيتك ابن اثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعنى قاتل الزبير فسكت عروة

﴿ذكر خروج سهم والخطيم﴾

وفيها خرج الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى وسهم بن غالب الهجيمى فحكما فأما سهم فانه خرج الى الاهواز فحكم بها ثم رجع فاختفى وطلب الامان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه مدة وأما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة بن مسلم اضمنه فأبى وقال ان بات خارجا عن بيته أعملتك ثم أتاه مسلم

* القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكان يحب العلماء والصلحاء وكان كثير التردد الى الشيخ

ومعه الامير ارطغرل قلعة كوناهية وهى يومئذ بيد الكفار ففوض أمر القلعة الى الامير ارطغرل وسار الى قتال التاتار بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير ارطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم من الاموال أشياء كثيرة فازداد عند السلطان قربا ومنزلة ولم يزل الامير ارطغرل بعد هذا يقاتل ويجاهد فى سبيل الله عز وجل حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فلما سمع السلطان وفاته تأسف عليه وعين مكانه ولده

* (السلطان عثمان خان الغازى ابن الامير ارطغرل)

وكان تفرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ وكان مولده سنة ست وخمسين وستمائة فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح تلك البلاد أكرمه وامده بأنواع الاعانة والامداد وارسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى السلطان عثمان نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين فما زال كذلك حتى فرغوا من ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية

حضنه وعند ذلك نبتت من سرّته شجرة عظيمة سدت اغصانها الآفاق وتحتها جبال راسيات ذات انهار وعيون والناس ينتفعون من تلك المياه فلما استيقظ الامير عثمان وقص رؤياه للشيخ فقال له الشيخ لك البشارة بمنصب السلطنة وسيعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك وانى زوجتك ابنتى هذه فقبلها عثمان وتزوجها فولد منها اولادا من جملتهم السلطان اورخان ثم ان السلطان علاء الدين عظم بلاؤه من التتار وقد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة والنهوض فاشتغل بنفسه عن غيره فتسلط عثمان الغازى فى البلاد التى افتتحها وخطب له فيها بالسلطنة وخطب خسين الشيخ اده بالى مولانا طورسون الفقيه فى مدينة قره جه حصار يوم الجمعة سنة تسع وتسعين وستمائة وهى أول خطبة خطبت فى الدولة العثمانية باسم الامير عثمان الغازى وقيل بل أجازله فى ذلك السلطان علاء الدين المذكور وهو مجاز من الخلفاء العباسيين ثم شرع الغازى عثمان شاه فى الغزو والجهاد واستخلاص البلاد ففتح قلعة بيله جك راينه كول ريكى شهر وفى سنة سبعمائة توفى السلطان علاء الدين السلجوقى وتولى على

فقال له لم يبت الخطيم الليلة فى بيته فأمر به فقتل والقى فى باهلة وقد تقدم ذلك أتم من هذا وانما ذكرناه ههنا لانه قتل هذه السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها توفى صالح بن كيسان مولى بنى غفار وقيل مولى بنى عامر وقيل الخزاعى

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية

﴿ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج﴾

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر وولّيها معاوية بن حديج وكان عثمانيا فقربه عبد الرحمن بن أبى بكر فقال له يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية قد قتلت أخى محمد بن أبى بكر لما ولى مصر فقد وليتها فقال ما قتلت محمدا الا بما صنع بعثمان فقال عبد الرحمن فلو كنت انما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالاشعرى ما عمل فوثبت أول الناس فبايعته (حديج بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم)

﴿ذكر غزوة الغور﴾

فى هذه السنة سار الحكم بن عمرو الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا ارتدّوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا ولما رجع الحكم من هذه الغزوة مات بمرو وفى قول بعضهم وكان الحكم قد قطع النهر فى ولايته ولم يفتح وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع

﴿ذكر مكيدة للمهلب﴾

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا الضيق والا قتلتك فقال له أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسيّر الاثقال نحوه فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فلعلّ ركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وحج بالناس هذه السنة عتبة بن ابى سفيان وقيل عنبسة بن ابى سفيان وكان الولاة من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى وغزوة مالك بن هبيرة السكونى البحر وغزوة عقبة بن عامر الجهنى بأهل مصر البحرين وباهل المدينة وفيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثى على خراسان وكانت له صحبة وحج بالناس مروان وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين)

فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد حزة وشتى بها وقعت

على يده وأصاب فيها شيأ كثيرا وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلى وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوى فى البحر فشتى باهل الشام وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشتى باهل مصر

﴿ ذكر غزوة القسطنطينية ﴾

فى هذه السنة وقيل سنة خمسين سيره معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس فى غزاتهم جوع ومرض شديد فانشأ يزيد يقول

ما ان ابالى بما لاقت جموعهم * بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا * بدير مرّان عندى أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته وهى ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فاقسم عليه ليلحقن بسفيان فى ارض الروم ليصيبه ما اصاب الناس فسار ومعه جمع كثيرا ضافهم اليه أبوه وكان فى هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصارى وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابى فاوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم فى بعض الايام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فانشأ يقول

قد عشت فى الدهر اطوارا على طرق * شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا ابالوت فلا النعماء تبطرنى * ولا تخشعت من لأواتها جزعا
لا يملأ الاهر صدرى قبل موقعه * ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجوه الروم برماحهم حتى قتلوه رحمه الله فبلغ خبر قتله معاوية فقال لابيه والله هلك فتى العرب فقال ابى أو ابنك قال ابنك فاجرك الله فقال

فان يكن الموت اودى به * واصبح مخ الكلابى زيرا
فكل فتى شارب كأسه * فاما صغيرا واما كبيرا

ثم رجع يزيد والجيش الى الشام وقد توفى ابو أيوب الانصارى عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فاهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع على وغيرها من حروبه

﴿ ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد ﴾

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة فى ربيع الاول واقر سعيد بن العاص عليها فى ربيع الآخر وقيل فى ربيع الاول وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثمانى سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحرث بن نوفل فعزله سعيد حين ولى واستقضى ابا سلمة بن عبد الرحمن

﴿ ذكر وفاة الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام ﴾

فى هذه السنة توفى الحسن بن على سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى ووصى ان يدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين فاستأذن الحسين عائشة فاذنت له فلما توفى اراد وا دفنه عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعرض اليهم سعيد بن العاص وهو الامير فقام مروان بن الحكم وجمع بنى أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك

فتح الامير عثمان ناحية مرمرة وكان الامير عثمان الغازى قسم البلاد بين اولاده واقطعهم اياها واستقر هو فى بلدة يكى شهر وتمكن بها وجعلها دار الامارة واسكن فيها الجند وفى هذه السنة فتح السلطان الغازى عثمان خان حصن كته وحصن لفكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار وفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة افتتح المسلمون حصن كبوه وحصن يكيجه طراقلو وحصن تكور يكارى وغيره وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة حاصر الغازى عثمان خان مدينة بروسه مدة ثم لما امتد امر الحصار امر ببناء قلعتين فى طرفى المدينة واسكن فيهما الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مكانه فلما امتد ذلك ارسل الملك عثمان ابنه أورخان وصحبته عساكر كثيرة لفتح بروسه وكان السلطان عثمان اذ ذاك مريضا من علة النقرس فتخلف عن الغزو وفى هذه الاثناء توفى الملك المذكور فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وقيل بل عاش بعد فتح بروسه بعض ايام ودفن فى قرية سوجت وله قبر هناك يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا عادلا شجاعا عالما ابطا مجاهدا

يراعي الابطال ويحسن للايتام والارامل ولم يترك من المال شيأ وانما ترك بعضا من الخيل وشيأ من الغنم فالغنم التي ترعى في نواحي بروسه باسم السلاطين العثمانية من تلك الاغنام توفي رحمه الله وله من العمر تسع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وتولى مكانه ولده

(السلطان الجاهد اورخان خان ابن السلطان عثمان خان)

جلس على سرير الملك في ابتداء سنة سبع وعشرين وسبعمائة وسنه ثمان واربعون سنة وكان مولده في سنة ثمان وسبعين وستمائة ثم انه بالغ وبذل جهده في فتح مدينة بروسه ففتحها بعد جهد جهيد واستولى على القلعة واسكنها من المسلمين وجعلها دار الاسلام بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام وانتقل الملك اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والغرباء وهذه المدينة من الاقليم الخامس وهي من أعظم المدن الاسلامية واعمرها وهي مدينة كثيرة الثمار والعيون وفي جانب منها مياه سخنة بقدرة الله تعالى جعلوها حمامات ينتفع بها خلق كثير وهي من عجائب الدنيا وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان اورخان ففتح حصون قيون حصاري وفتح ازنيكميد وفتح مدينة ازنيق

فاراد الحسين الامتناع فقيل له ان اخاك قال اذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين وهذه فتنة فسكت وصلى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لولا انه سنة لما تركتك تصلي عليه

(ثم دخلت سنة خمسين)

فيها كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدي ارض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الانصاري في البحر

(ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة)

في هذه السنة في شعبان كانت وفاة المغيرة بن شعبة في قول بعضهم وهو الصحيح وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه فلما ارتفع الطاعون عاد الى الكوفة فطعن فمات وكان طوالا عور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفي وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة احدى وخمسين وقيل سنة تسع واربعين فلما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة وهو أول من جمعا له فلما وليها سار اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة اشهر وبالبصرة ستة اشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى امسكوا ثم دعا قوما من خاصته فأمرهم فأخذوا ابواب المسجد ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا ادري من جليسي ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم اربعة أربعة يحلفون ما صنا من حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين وقيل الى ثمانين فقطع ايديهم على المكان وكان اول قتيل قتله زياد بالكوفة آوفى بن حصن وكان بلغه عنه شيء فطلبه فهرب فعرض الناس قربه فقال من هذا قال اوفى بن حصن فقال زياد انتك بحائن رجلاه وقال له ما رأيك في عثمان قال خير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته قال فما تقول في معاوية قال جواد حليم قال فما تقول فيّ قال بلغني انك قلت بالبصرة والله لآخذن البري بالسقيم والمقبل بالمدبر قال قد قلت ذلك قال خبطتم اخبط عشواء فقال زياد ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عقبة بن أبي معيط ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شيعة ابي تراب فارسل اليه زياد ما هذه الجماعات عندك من اردت كلامه فأتى المسجد وقيل الذي سعى بعمرو يزيد بن رويم فقال له زياد قد بسطت به ولو علمت ان مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج علي فاتخذ زياد المقصورة حين حصب فلما استخلف زياد سمرة على البصرة اكثر القتل فيها فقال ابن سيرين قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد اتخاف ان تكون قتلت بريأ فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت وقال ابو السوار العدوي قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمرة يوما فلقي أوائل خيله رجلا فقتلوه فمر به سمرة وهو يتشحط في دمه فقال ما هذا فقيل اصابه أوائل خيلك فقال اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا

(ذكر خروج قريب)

وفيها خرج قريب الازدي وزحاف الطائي بالبصرة وهما ابنا خالة وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة فاتيا بني ضبيعة وهم سبعون رجلا وقتلوا منهم شيخا وخرج على قريب وزحاف شباب من بني علي وبني راسب فرموهم بالنبل وقتل عبد الله بن أوس الطائي قريبا وجاء برأسه واشتد

وكانت من معظم مدائن الكفار وبجمع عظمائهم فغنم المسلمون منها غنيمة لم يعهد مثلها وفتح حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة امر السلطان اورخان ولده سليمان ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلي للجهاد ولم يكونوا

زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك فقتل منهم بشرا كثيرا وخطب زياد على المنبر فقال يا اهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء اولا بدأن بكم والله لئن افلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطياتكم درهما فثار الناس بهم فقتلوهم

﴿ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة﴾

وفي هذه السنة امر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل من المدينة الى الشام وقال لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهن عند سعد القرظ فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فاعظم الناس ذلك فتركه وقيل اتاه جابر وابو هريرة وقالا له يا أمير المؤمنين لا يصلح ان تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ولا تنقل عصاه الى الشام فانقل المسجد فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله ان تفعل ان معاوية حركه فكسفت الشمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري فليتبوأ مقعده من النار وهو مقطع الحقوق عندهم بالمدينة فتركه عبد الملك فلما كان الوليد اتيه وج هم بذلك فارسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فقال كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله والسخط له فكلمه عمر فتركه ولما ج سليمان بن عبد الملك اخبره عمر بما كان من الوليد فقال سليمان ما كنت احب ان يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد مالنا ولهذا أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد ان نعمد الى علم من أعلام الاسلام يوفد اليه فنحمله هذا ما لا يصلح وفيها عزل معاوية بن حديج السكوني عن مصر وولي مسلمة بن مخلد مع افريقية وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل ان يولي مسلمة افريقية ومصر عقبة بن نافع الى افريقية وكان اختط القيروان وكان موضعه غيضة لاترام من السباع والحيات وغيرها فدعا الله عليها فلم يبق منها شئ الا خرج هاربا حتى ان كانت السباع لتحمل اولادها وبنى الجامع فلما عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني عن مصر عزل عقبة عن افريقية وجمعها لمسلمة ابن مخلد فهو اول من جمع له المغرب مع مصر فولى مسلمة افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن ابي سفيان

﴿ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القيروان﴾

قد ذكر أبو جعفر الطبري ان في هذه السنة ولى مسلمة بن مخلد افريقية وان عقبة ولى قبله افريقية وبنى القيروان والذي ذكره اهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع افريقية كانت هذه السنة وبنى القيروان ثم بقي الى سنة خمس وخمسين وولاها مسلمة بن مخلد وهم اخبر ببلادهم * وانا اذكر ما اثبتوه في كتبهم قالوا ان معاوية بن ابي سفيان عزل معاوية بن حديج عن افريقية حسب واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري وكان مقيما ببرقة وزويلة فدفتحها ايام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا

يملكون السفن فعملوا الواحا شبيه السفن فركبوا عليها بالليل من موضع يقال له كرفو وصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا يسمى جنى فاستولوا عليه بغتة ثم هجموا على قلاع اخر فاستولوا عليها قهرا وكان الامير سليمان ابن اورخان على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده اطاعوه ورضوا به فصار امر المسلمين يقوى وصيتهم يسمو فخرج لقتالهم تكور صاحب مدينة كليبولي في عسكر كثير وكان المسلمون في نفر قليل فتوكلوا على الله واستمدوا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك وقلعة خيره بولي وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دوكور ومنها تكور طاغي وغيره وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان

المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات من وقته وجزع عليه والده جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازي ابن

من ثورة تكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان دحله مشتبكة بها من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل فرآه قبيل كثير من البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وتم امرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس وكان فى اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هنالك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

﴿ ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقية ﴾

ثم ان معاوية بن ابى سفيان استعمل على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل مسلمة على افريقية مولى له يقال له ابو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به وسار عقبة الى الشام وعاتب معاوية على ما فعله به ابو المهاجر فاعتذر اليه ووعده باعادته الى عمله وتمادى الامر فتوفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فاستعمل عقبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستين فسار اليها وقد ذكر الواقدى ان عقبة بن نافع ولى افريقية سنة ست واربعين واختط القيروان ولم يزل عقبة على افريقية الى سنة اثنتين وستين فعزله يزيد بن معاوية واستعمل أبا المهاجر مولى الانصار فحبس عقبة وضيق عليه فلما بلغ يزيد بن معاوية ما فعل بعقبة كتب اليه يامره باطلاقه وارساله اليه ففعل ذلك ووصل عقبة الى يزيد فاعاده الى افريقية والى عليها فقبض على ابى المهاجر واوثقه وساق من خبر كسيلة مثل ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين

﴿ ذكر هرب الفرزدق من زياد ﴾

وفيها طلب زياد الفرزدق استعدته عليه بنو نهشل وفقيم وسبب ذلك قال الفرزدق هاجيت الاشهب بن رميلة والبعيث فسقطا فاستعدى على بنو شهل وبنو فقيم زيادا ابن ابيه واستعدى على أيضا يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك قال فلم يعرفنى زياد حتى قيل له الغلام الاعز ابى الذى أنهب ماله وشبابه فعرفنى قال الفرزدق وكان ابى غالب قد ارسانى فى جلب له ابيعه وأمتار له فبعت الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه فى ثوبى فعرض لى رجل فقال اشد ما استوثق منها مالو كان مكانك رجل اعرفه ما صرعليها فقلت ومن هو قال غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق فدعوت اهل المربد ونثرتها فقال لى قائل ألق ردائك ففعلت فقال آخر ألق ثوبك ففعلت وقال آخر ألق عمامتك ففعلت فقال آخر ألق ازارك فقلت لا القيه وامشى مجردا انى لست بمجنون وبلغ الخبر زيادا فقال هذا احمق يضرى الناس بالنهب فارسل خيلا الى المربد لتأتونى فاتانى رجل من بنى الهجيم على فرس له وقال النجاء النجاء وأردفنى خلفه وفجوت فاخذ زياد عمين لى ذهبلا والزحاف ابنى صعصعة وكانا فى الديوان فحبسهما اياما ثم كلم فيهما فاطلقهما وأتيت ابى فاخبرته خبرى فحقدها عليه زياد ثم وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعديان والجون بن قتادة

من ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار العناد حتى فتح مدينة ديمتوقه وهى من كبار البلاد الاسلامية يوم تذ وفى سنة احدى وستين وسبعمائة توفى السلطان اورخان الغازى وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه وكانت مدة ملكه خمسا وثلاثين سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا ذا صورة حسنة وسيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر بنى بازنيق جامعا ومدرسة وهى اول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية ومن العلماء فى زمانه داود القيصرى اشتغل فى بلاده ثم انتقل الى مصر وقرأ على علمائها وغيرهم ومن المشايخ فى زمانه كيكاوبا كان يركب الغزلان وحضر فتح بروسه مع السلطان أورخان وهو راكب على غزال وله كرامات يعجز الانسان عن حصرها ومنهم الشيخ العارف بالله قره جه احمد اصله من بلاد العجم من أبناء الملوك ومنهم الشيخ المجذوب موسى بابا ومن كراماته انه أخذ جمرة فوضعها فى قطنة وارسلها الى الشيخ كيكاوبا الذى كان يركب الغزلان فلما رآها الشيخ ارسل اليه قصعة فيها لبن فلما رآه تعجب فسئل عنه فقال انه لبن الغزال وتسخير الحيوان اصعب من تسخير الجمادات

ومن المشايخ أيضا فى زمانه أخى اوران ودرغلو بابا وايدال مراد كلهم من اولياء الله تعالى ظهرت كراماتهم وبويع بالسلطنة

العبشمي والحتات بن يزيد ابو منازل الجاشعي الى معاوية بن ابي سفيان فاعطى كل رجل منهم جائزة مائة الف واعطى الحتات سبعين ألفا فلما كانوا في الطريق ذكر كل منهم جائزته فرجع الحتات الى معاوية فقال ماردك قال فضحتني في بني تميم اما حسبي صحيح اولست ذا سن الست مطاعا في عشيرتي قال بلى قال فما بالك خسست بي دون القوم واعطيت من كان على لك أكثر ممن كان لك وكان حضر الجمل مع عائشة وكان الاحنف وجارية يريدان عليا وان كان الاحنف والجون اعتزلا القتال مع علي لكنهما كانا يريدانه قال اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورايك في عثمان وكان عثمانيا فقال وانا فاشتر مني ديني فامر له باتمام جائزته ثم مات الحتات فحبسها معاوية فقال الفرزدق في ذلك

أبولك وعمي يامعاوي اورثا * تراثا فيحتاز التراث اقاربه
فمابال ميراث الحتات أخذته * وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الامر في جاهلية * علمت من المرء القليل حلائبه
ولو كان في دين سوى ذا شتمتم * لنا حقنا اوغص بالماء شاربه
الست اعز الناس قوما وأسرة * وامنعهم جارا اذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبي وآله * كمثلي حصان في الرجال يقاربه
وبيتي الى جنب الثريا فناؤه * ومن دونه البدر المضيء كواكبه
أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى * وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وكم من اب لي يامعاوي لم يزل * اغر يباري الريح از ور جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن * أبولك الذي من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى * كريما يلاقي المجد ماطر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن * قصي وعبد شمس ممن يخاطبه

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم وهما جداه لان الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلما بلغ معاوية شعره رد على أهله ثلاثين ألفا فأغضبت ايضا زيادا عليه فلما استعدت عليه بهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى بن خميلة السلمي ليلا وقال له ان هذا الرجل قد طلبني وقد لفظني الناس وقد أتيتك لتغيثني عندك فقال مرحبا بك فكان عنده ثلاث ليال ثم قال له قد بلغني ان آتي الشام فسيره وبلغ زيادا مسيره فأرسل في أثره فلم يدركه وأتى الروحاء فنزل في بكر بن وائل فأمن ومدحهم بقصائد ثم كان زياد اذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة فبلغ ذلك زيادا فكتب الى عامله على الكوفة وهو عبد الرحمن بن عبيد يأمره بطلب الفرزدق ففارق الكوفة نحو الحجاز فاستجار بسعيد بن العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد وقد قيل ان الفرزدق انما قال هذا الشعر لان الحتات لما أسلم آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الاخوة فقال الفرزدق هذا الشعر وهذا القول الذي ليس بشيء لان معاوية لم يكن يجهل ان هذه الاخوة لا يرث بها أحد (الحتات بضم الحاء وبتاءين

بعد وفاة والده (السلطان مجاهد الدين مراد خان بن السلطان اورخان) استقر على سرير الملك بمدينة بروسة وكان عمره اذ ذاك اربعا وثلاثين سنة ومولده سنة سبع وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت سنة احدى وستين وسبعمائة فلما جلس على سرير الملك سار وحاصر مدينة انكورية ففتحها عنوة وكانت من امنع الحصون وهي مدينة يجلب منها الاصواف الى العالم فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشي على بلاده فجمع خمسة من القبائل والعشائر وهم التاتار وورسق وطور غود والتركمان وغيرهم جماعة لا تحصى فنهض كل من الملكين الى قتال الآخر فجرى بينهما قتال شديد وحرب اكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد خان بن عثمان وفي سنة احدى وستين وسبعمائة ارسل السلطان مراد خان الغازي شاهين لالا الاتابك الى فتح مدينة ادرنه في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديدا وعجز عن اخذها وسألوا السلطان ان يقدم اليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه نزلوا

مئتا تين من فوقهما بينهما آلف)

(ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري)

في هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الاشل في قول وقد تقدم ذكر وفاته في قول آخر وكان زياد قد كتب اليه ان أمير المؤمنين معاوية أمرني ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه الحكم بلغني ما أمر به أمير المؤمنين واني وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا ثم قال للناس اغدوا على اعطياتكم وما لكم فقسمه بينهم ثم قال اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك قبل أن تتوفى بمرو وله صحبة

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة معاوية وقيل بل حج ابنه يزيد وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم وفيها توفي سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب الى المدينة فدفن بها وقيل توفي سنة أربع وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين وعمره أربع وسبعون وقيل ثلاث وثمانون سنة وهو أحد العشرة وكان قصيرا دحداحا وفيها توفيت صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل توفيت أيام عمر وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس توفي بالبصرة وأبو موسى الاشعري وقيل توفي سنة اثنتين وخمسين وفيها توفي زيد بن خالد الجهني وقيل توفي سنة ثمان وستين وقيل ثمان وسبعين وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم لهم صحبة

ثم دخلت سنة احدى وخمسين

وفيها كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن ابي أرطاة الصائفة

(ذكر قتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما)

في هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه وسبب ذلك ان معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين فلما اقره عليها دعاه وقال له أما بعد فان لدي الحلم قبل اليوم تقرع العصا وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت ايصالك بأشياء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تاركا ايصالك بخصلة لا تترك شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لاصحاب علي والاقصاء لهم والاطراء لشيعة عثمان والادناء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني وستبلو فتحمد أو تذم فقال بل نحمد ان شاء الله فأقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شئ سيرة غير انه لا يدع شتم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فاذا سمع ذلك حجر بن عدي قال بل اياكم فذم الله ولعن ثم قام وقال أنا اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته فان غضب السلطان يهلك أمثالك ثم يكف عنه ويصفح فلما كان آخر امارته قال في علي وعثمان ما كان يقوله فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وقال له مرارا ايها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم امير المؤمنين فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق حجر وبر مرارا بأرزاقنا فان ما أنت

عليه

أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهي من اعظم مدن الدنيا وهي مدينة كثيرة البساتين تجري من تحتها الانهار الثلاثة وهي توشجه واربله وصريح وهي من الاقاليم الخامس بينها وبين قسطنطينية خمسة وتسعون ميلا ثم ان السلطان الجليل عامله الله بالجميل ارسل لا لاشاهين الاتابك بعد ان نصبه امير الامراء بروم ايلي فسار وفتح مدينة قلبه وهي مدينة لطيفة ثم فتح زغره بنواحيها وعاد الى مدينة بروسه وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار قره خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كليبولي وكان الغزو والجهاد في بلاد روم ايلي فكانت تسبى الاسارى كالسيل الهامي والبحر الطامي فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فأمر لهم السلطان بتعليم علم المكاحل فتعلموا ثم ميزهم بان أرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا بالشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فالبسه

عليه لايجدى علينا نفعا واكثر وامن هذا القول وامثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا علي م تترك هذا الرجل يجترئ علينا فى سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة انى قد قتلته سيأتى من بعدى امير يحسبه مثلى فيصنع به ماترونه يصنع بى فيأخذه ويقتله انى قد قرب أجلى ولا أحب ان أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدون واشقى ويعز فى الدنيا معاوية ويشقى فى الآخرة المغيرة ثم توفى المغيرة وولى زياد فقام فى الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه وامن قاتليه فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث فبلغه ان حجرا يجتمع اليه شيعة على ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحجر جالس ثم قال اما بعد فان غب البغى والغى وخيم ان هؤلاء جموا فأشروا وامنوني فاجترؤا على الله ان لم تستقيموا الا داوينكم بدوائكم ولست بشئ ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان وأرسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه لاتأته ولا كرامة فرجع الرسول فأخبر زيادا فأمر صاحب شرطته وهو شداد بن الهيثم الهلالى ان يبعث اليه جماعة ففعل فبعث اليهم أصحاب حجر فرجعوا وأخبروا زيادا فجمع اهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدا انكم معى وقلوبكم مع حجر الاحق هذا والله من دخسكم والله ليظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا رأى الا طاعتك ومافيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا اكثر أصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فان تبعك فأتنى به والا فشد واعليهم بالسيوف حتى تأتونى به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من اجابته فحمل عليهم فقال ابو العمرطة الكندى لحجر انه ليس معك من معه سيف غيرى ومايغنى عنك سيفى قم فالحق بأهلك يمنعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيهم أصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعموده فوقع وحمله أصحابه الى الازد فاختفى عندهم حتى خرج وانحاز أصحاب حجر الى أبواب كندة وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمى وكسرناه وأخذ عمودا من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة وأتى حجر بغلته فقال له أبو العمرطة اركب فقد قتلنا ونفسك وحمله حتى اركبه وركب ابو العمرطة فرسه ولحقه يزيد بن طريف المسلى فضرب أبا العمرطة على نخذه بالعمود وأخذ ابو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ثم برأ وله يقول عبد الله بن همام السلولى

الوم ابن لؤم ماعدا بك حاسرا ◆ الى بطل ذى جرأة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه ◆ على الهام عند الروع غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا ◆ بصفين قرم خير نجل قروم
حسبت ابن برصاء الحمار قتاله ◆ فقالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به فى الكوفة فى اختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو

رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة والظفر وسماهم ينك جرى معناه العسكر الجديد وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد جيد خمس قلاع وهى يلواج ويكى شهر وآق شهر وقره اغاج وسيدى شهر وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازفا فتفرق مرافاته بعسكر الكفار بموضع يقال له قوس أو ايلا دروم ايلى فالتحم بين الفريقين القتال وضرب السيوف والمكاحل ورشق النبال الى ان هبت رياح النصر من طرف المسلمين وانقلب الكفار على أدبارهم صاغرين ثم انه لما انهزم الكفار اقبل من أمرائهم امير يقال له ويلوش مع خيله ورجله مظهرا للطاعة فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بحنجر كان فى كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد وتقبيل يد السلطان ان يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك فلما قتل دفنوا اعضاءه هناك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسه وقبره اليوم يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان أفنى عمره فى الجهاد وكان شجيعا مقداما

العمرطة الى دار حجر واجتمع اليهما ناس كثير ولم يأته من كندة كثير أحد فأرسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان الى جبانة كندة وأمرهم ان يأتوه بحجر وأرسل سائر أهل اليمن الى جبانة الصائدين وأمرهم ان يمضوا الى صاحبهم حجر فيأتوه به ففعلوا فدخل مذحج وهمدان الى جبانة كندة فأخذوا كل من وجدوا فأتى عليهم زياد فلما رأى جحفلة من معه أمرهم بالانصراف وقال لهم لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب ان تهلكوا فخرجوا فأردفهم مذحج وهمدان فقاتلوهم واسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون فأخذ حجر طريقا الى بني حوت فدخل دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد وادركه الطلب فأخذ سليم سيفه ليقاتل فبكى بناته فقال حجر بئسما أدخلت على بناتك اذا قال والله لا تؤخذ من داري اسيرا ولا قتيلا وأنا حي فخرج حجر من خوخة في داره فأتى النخع فنزل دار عبد الله بن الحرث أخي الاشتر فأحسن لقاءه فبينما هو عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك في النخع وسبب ذلك ان أمة سوداء لقيتهم فقالت من تطلبون فقالوا لها حجر بن عدي فقالت هو في النخع فخرج حجر من عنده فأتى الازد فاختفى عند ربيعة بن ناجد فلما اعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الاشعث وقال له والله لتأتيني به او لاقطعن كل نخلة لك واهدم دورك ثم لا تسلم مني حتى اقطعك اربا ارب فاستمهله فامهله ثلاثا وأحضر قيس بن يزيد أسيرا فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك في عثمان وبلائك مع معاوية بصفين وانك انما قاتلت مع حجر حمية وقد غفرتها لك ولكني اتقي بأخيك عمير فاستأمن له منه على ماله ودمه فأمنه فأتاه به وهو جريح فأثقله حديدا وأمر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك مرارا فقال قيس بن يزيد لزياد الم تؤمنه قال بلى قد أمنته على دمه واست أهريق له دما ثم ضمنه وخلى سبيله ومكث حجر بن عدي في بيت ربيعة يوما وليلة فأرسل الى محمد بن الاشعث يقول له ايأخذ له من زياد اما ان حتى يبعث به الى معاوية فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يرسله الى معاوية فأجابهم فأرسلوا الى حجر بن عدي فحضر عند زياد فلما رآه قال مرحبا بك أبا عبد الرحمن حرب أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على اهلها تجني براقش فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة والى علي يبعثني فأمر به الى السجن فلما ولى قال زياد والله لاحرصن على قطع خيط رقبته وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هناك فرفع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما فخرجا اليه فأما عمرو فكان قد استبقى بطنه ولم يكن عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو ما ينفعني قتالك عني ايج بنفسك فحمل عليهم فافرجوا له فنجا وأخذ عمرو اسيرا فسألوه من أنت فقال من ان تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يخبرهم فبعثوه الى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يعرف بابن ام الحكم وهو ابن أخت معاوية فعرفه فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطعنه كما طعن عثمان فأخرج وطعن فمات في الاولى منهن أو الثانية وجد زياد في طلب أصحاب حجر فهربوا وأخذ من قدر عليه منهم فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسي بامان خطه وجاء قيس بن عباد الشيباني الى زياد فقال له ان امرأ منا يقال له صيفي من رؤس أصحاب حجر

فبعث

على الهمة توفي وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وتولى الملك بعده ولده

* (السلطان السعيد يلدرم بايزيد خان الغازي ابن السلطان مراد خان) *

وكان السلطان يلدرم بايزيد واخوه يعقوب مع أبيهما في السفر فلما قضى نحبه اتفق رأي أركان الملك على تولية بايزيد فدعوه الى الوطاق فاعلموه بوفاة والده فعزوه وهنوه بالسلطنة واجلسوه على سرير الملك ودعوا اخاه يعقوب فقالوا له ان السلطان قد ضعف ويريد حضورك اليه فلما دخل الوطاق قبضوا عليه وخنقوه وكان ذلك في رمضان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم بعد ذلك فتح السلطان المذكور قره طوه وهي معدن الفضة الخالصة التي لا تظير لها وفتح بلاد اسكوب وهي من اجل البلاد الاسلامية وفي هذه السنة فتح قلعة ودين وفيها خاف ابن ايدين من السلطان وسلم مفاتيح قلاعه الى السلطان وفيها اطاع السلطان اهالي بلاد قره سي وصاروخان وفيها هرب صاحب قسطمونى وهو ابن منتشا فأرسل السلطان من يضبط تلك البلاد جميعا ولما نقض العهد صيلاء الدين صاحب بلاد

فبعث زيادة أتى به فقال ياعدو الله ما تقول فى أبى تراب قال ما أعرف أبا تراب فقال ما اعرفك به اتعرف علىّ بن أبى طالب قال نعم قال فذاك ابو تراب قال كلا ذاك ابو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة يقول الامير هو ابو تراب وتقول لا قال فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد فقال له زياد وهذا ايضا على يا لعصا فأتى بها فقال ما تقول فى على قال احسن قول قال اضربوه فضربوه حتى لصق بالارض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك فى علىّ قال والله لو شرحتنى بالمواسى ما قلت فيه الا ما سمعت منى قال لتلعننه او لاضربن عنقك قال لا أفعل فاوثقوه حديدا وحبسوه قيل وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث فى مواطنه ثم دخل الكوفة فجلس فى بيته فقال حوشب للحجاج ان هنا امر أصاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق الاوثب فيها وهو ترابى يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الاشعث حتى هلك وقد جاء فجلس فى بيته فبعث اليه الحجاج فقتله فقال بنو أبيه لآل حوشب سعيتم بصاحبنا فقالوا وأنتم أيضا سعيتم بصاحبنا يعنى صيقلا الشيبانى وأرسل زياد الى عبد الله بن خليفة الطائى فتوارى فبعث اليه الشرط فأخذوه فخرجت اخته النوار فخرضت طيا فثاروا بالشرط وخلصوه فرجعوا الى زياد فاخبروه فأخذ عدى بن حاتم وهو فى المسجد فقال ائتنى بعبد الله قال وما حاله فاخبره فقال لا علم لى بهذا قال لتأتينى به قال لا آتيك به ابدا آتيك بابن عمى تقتله والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فأمر به الى السجن فلم يبق بالكوفة يمنى ولا ربعى الا كلم زيادا وقالوا تفعل هذا بعدى بن ابن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فانى أخرجه على شرط ان يخرج ابن عمه عنى فلا يدخل الكوفة مادام لى سلطان فأجابوه الى ذلك وأرسل عدى الى عبد الله يعرفه ما كان وأمره ان يلحق بجبلى طيئ فخرج اليهما وكان يكتب الى عدى ليشفع فيه ليعود الى الكوفة وعدى يأبى فما كتب اليه يعاتبه ويرثى حجرا وأصحابه قوله

تذكرت ليلى والشبيبة اعصرا * وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غصونه * فيالك من وجد به حين ادبرا
فدع عنك تذكار الشباب وفقده * وأسبابه اذبان عنك فاجرا
وبك على الخلان لما تحرموا * ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم منايا هم ومن حان يومه * من الناس فاعلم انه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعتى وموئلا * اذا اليوم ألفى ذا احتدام مذكرا
وما كنت اهوى بعدهم متعللا * بشئ من الدنيا ولا ان أعمرا
اقول ولا والله انسى اذكارهم * بجيس الليالى او أموت فأقبرا
على أهل عذراء السلام مضاعفا * من الله واليق الغمام الكنهورا
ولاقى بها حجرا من الله رحمة * فقد كان أرضى الله حجرا وأعذرا
ولازال تهطال ملث وديمة * على قبر حجر أو ينادى فيعشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها * وللملك المفرى اذا ما تغشمرا
ومن صادق بالحق بعدك ناطق * بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الاسلام كنت واتقى * لاطمع ان تؤتى الخلود وتحبرا

قرمان وبلغ السلطان انه اغار على بعض بلاد اناطولى هجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاى فاسره وابناه محمد وعلى فنازل السلطان مدينة قونيه وهى كرسى مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك الغلال فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشئ من الغلال وان لا يظلموا احدا وأذن لاهل القاعلة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ماشاؤا فخرج اهل القلعة واصلحوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا ان ملكا بلغ مناهذا المبلغ لا ينبغى ان نعصيه ونخرج عن طاعته فحضروا رمتهم طائعين ولحكم الملك السعيد راضين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت احق بها واهلها فلما رأى اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهى عمدة بلاد قرمان رغبوا فى المتابعة فجاؤا بمفاتيح قلاعهم وهى بلدة آق سراى وينكده وقيصرية ودولى قره حصار وسلموها الى الملك السعيد بالدرم بايزيد ثم رجع السلطان الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة الى ان أطلقهما الخارجى تيمور حين قدم الروم وفى سنة

وقد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه * وتعرف معروفا وتنكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما * وبشرتما بالصالحات فأبشرا
ويا أخوى الخندفيين ابشرا * بما معنا حييتما ان تتبرا
ويا اخوتا من حضرموت وغالب * وشيبان لقيتم جفانا مبشرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم * حجا جالدى الموت الجليل واصبرا
سابكيكم ما لاح نجم وغرد الحمام بيطن الوادي بين وقرقرا
فقلت ولم أظلم أغوث بن طيئ * متى كنت أخشى بينكم ان أسيرا
هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم * وقد دث حتى مال ثم تجورا
تفرجتم عنى فغودرت مسلما * كأنى غريب من اياد واعصرا
فمن لكم مثلى لدى كل غارة * ومن لكم مثلى اذا البأس أصحرا
ومن لكم مثلى اذا الحرب قلصت * واوضع فيها المستميت وشمرا
فها انا ذا أرعى بأجبال طيئ * طريدا فلو شاء الاله لغيرا
نفانى عدوى ظالما عن مهاجرى * رضيت بما شاء الاله وقدرا
وأسلمنى قومى بغير جنابة * كان لم يكونوا لى قبيلا ومعشرا
فان ألف فى دار باجبال طيئ * وكان معانا من عصير ومحضرا
فما كنت أخشى ان أرى متغربا * لحا الله من لاحى عليه وكثرا
لحا الله قبل الحضرميين وائلا * ولاقى القنانى بالسنان المؤمرا
ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا * علينا وقالوا قول زور ومنكرا
فلا يدعنى قوم من لعوث وطيئ * اذا دهرهم اشفى بهم وتغيرا
فلم أغزهم فى المعلمين ولم أثر * عليهم حجابا بالكويفة كدرا
فبلغ خليلى ان رحلت مشرقا * جديلة والحيين معنا وبحترا
وتبهان والافناء من جذم طيئ * ولم ألف فيكم ذا الغناء العشنزرا
الم تذكروا يوم العذيب أليتى * اما مكم أن لا أرى الدهر مدبرا
وكرى على مهران والجمع حابس * وقتلى الهمام المستميت المسورا
ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم * ويوم نهاوند الفتوح وتسترا
وبالسوس يوم الشبريعة والقنا * بصفين فى اكنافهم قد تكسرا
جزى ربه عنى عدى بن حاتم * يرفضى وخذلانى جزاء موثرا
اتنسى بلائى سادرا يا ابن حاتم * عشية ما اغنت عديك جذمرا
فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الالد العذورا
تولوا وما قاموا مقامى كانما * رأونى لبنا بالاباءة مخدرا

وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدى فى وقعة صفين فلهذا لم نذكره ههنا

تصرتك اذ خان القريب وأنفض البعيد وقد افردت نصرا موزرا
فكان جزائى أن أجر رينكم * سحيبا وأن اولى الهوان وأوسرا

خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان المذكور على سيواس وامامية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وفى آخر هذه السنة بلغه ان بايزيد الزمن صاحب قسطمونى اغار على بعض البلاد التى بيد السلطان وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو الكفار الى طرف روم ايلى تركه ورجع قاصدا لقتال بايزيد فاتفق انه مات وتولى مكانه ولده اسفنديار فلما وصل السلطان استولى منها على بلدة طرقلو بولى ومدينة قسطمونى وقلعة عثمانجق وكان قصده ان يستولى على جميع البلاد التى كان يملكها بايزيد بيك كما سبق فأرسل اسفنديار الى الملك وفدا ومعه هدية يستعطفه ويسترضيه ويقول ان أبى جنى وقد مات وانا مطيع لاوامر مولانا السلطان ومن جملة مماليكه فالمناسب لعدله ان لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره وارجو من مكارمه ان يترك لى مدينة سينوب وهى مدينة أبى ومسقط رأسى ويجعلنى فيها نائبا من قبله فأجاب السلطان الى مسؤله واعطاه وعاد الى مدينة بروسة وأرسل الى تكور صاحب القسطنطينية

وكم عذلة لى منك انك راجعى * فلم تغن بالمعاد عنى حبيترا
فاصبحت أرعى النيب طورا وتارة * أهر هران راعى الشويهات هرهرا
كانى لم أركب جوادا للغارة * ولم أترك القرن الكمى مقطرا
ولم أعترض بالسيف منكم مغيرة * اذا النكس مشى القهقرا ثم جوجرا
ولم استحث الركض فى اثر عصبة * مصممة علياء جماس وأبترا
ولم أذعر الابلام مسنى بغارة * كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر فى خيل نطاعن مثلها * بقزوين اوشروين أو غزكيدرا
فذلك دهر زال عنى حميده * واصبح لى معروفه قد تنكرا
فلا يعدن قومى وان كنت عاتبا * وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم * وان كنت عنهم نائى الدار محصرا

فمات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد ثم أتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر بن عدى فقال ما اسمك قال كريم بن عفيف قال ما احسن اسمك واسم ابيك واسوأ عملك ورأيك فقال له اما والله ان عهدك برأيى منذ قريب قال وجمع زياد من أصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم رهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبا بردة بن أبى موسى على ربع مذحج واسد فشهد هؤلاء ان حجرا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا فى آل ابى طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين واظهر عذر أبى تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاحب ان يكونوا أكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح بن الحرث القاضى وشريح بن هانئ فاما شريح بن هانئ فكان يقول ما شهدت وقد لمته ثم دفع زياد حجر بن عدى وأصحابه الى وائل بن حجر الحضرمى وكثير بن شهاب وأمرهما ان يسيرا بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم شريح بن هانئ واعطى وائلا كتابا وقال ابلغه أمير المؤمنين فأخذه وسار واحتى انتهوا بهم الى مرج عذراء عند دمشق وكانوا حجر بن عدى الكندى والارقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم بن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية السعدى التميمى فهؤلاء اثنا عشر رجلا واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن نمران الهمدانى فقتلوا اربعة عشر رجلا فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما واخذ كتابهما فقرأه ودفع اليه وائل كتاب شريح بن هانئ فاذا فيه بلغنى ان زيادا كتب شهادتى وان شهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم

يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها الى وأما سرت اليك فأنيتك فى أعز ما كان لك فخاف منه والتزم له بالخراج فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يفصل الخصومات فرضى بذلك ولم يتعرض له السلطان فاستمرت هذه الحالة الى زمان وقعة تيمور فعند ذلك نقض العهد واخرب الجامع واخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر فى كتابه أنباء الغمر فى أبناء العمر واشتهر بلدرم بايزيد بالجهاد فى الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الملك الظاهر برقوق وهاداه وأرسل اليه أميرا بعد امير ولم يبق أحد من ملوك الارض حتى كاتبه وهاداه حتى كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل أحد يساعدنى عليهم وانما اخاف من ابن عثمان وفى سنة اثنتين وثمانمائة ساق ملوك الطوائف بلاد الروم الذين اقتلعهم بلدرم بايزيد خان من ممالكهم مثل ابن كرميان وابن منتشا وابن ايدين وابن اسفنديار وغيرهم الى تيمور صاحب الشرق يشيكون اليه من السلطان

والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا قد أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء فوصل اليهم الرجلان اللذان الحقهما زياد بحجر وأصحابه فلما وصلا سارعامر بن الاسود العجلي الى معاوية ليعلمه بهما فقام اليه حجر بن عدي في قيوده فقال له ابلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام واخبره انا قد أومنا وصالحناه وانا لم نقتل احدا من اهل القبلة فيحل له دماؤنا فدخل عامر على معاوية فاخبره بالرجلين فقام يزيد بن اسد البجلي فاستوهبه ابني عمه وهما عاصم وورقاء وكان جرير بن عبد الله البجلي قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما نسب عليهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر في الارقم فتركه له وشفع أبو الاعور السلمي في عتبة بن الاخنس فتركه وشفع حمزة بن مالك الهمداني في سعد ابن نمران فوهبه له وشفع حبيب بن مسلمة في ابن حوية فتركه وقام مالك بن هبيرة السكوني فقال دع لي ابن عمي حجرا فقال له هو رأس القوم واخاف ان خليت سبيله أن يفسد على مصره فيحتاج ان نشخصك اليه بالعراق فقال والله ما انصفتني يا معاوية قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمي فمننته علي ثم انصرف فجلس في بيته فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدي الى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمر وا بقتله منهم فأتوه عند المساء فلما رأى الخثعمي احدهم اعور قال يقتل نصفنا ويترك نصفنا فتركوا ستة وقتلوا ثمانية وقالوا لهم قبل القتل انا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم فقالوا السنا فاعلي ذلك فأمر فحفرت القبور وأحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدي اتركوني اتوضأ واصلي فاني ما توضأت الا صليت فتركوه فصلى ثم انصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط أخف منها ولولا ان تظنوا اني جزعت من الموت لاستكثرت منها ثم قال اللهم انا نستعديك على امتنا فان أهل الكوفة شهدوا علينا وان أهل الشام يقتلوننا اما والله ان قتلتموني بها فاني لاول فارس من المسلمين هلك في واديها وأول رجل من المسلمين بحته كلابها ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا له زعمت انك لا تجزع من الموت فما بأمر صاحبك وندعك فقال ومالي لا أجزع وأرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا واني والله ان جزعت من القتل لا اقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيهما فأذن باحضارهما فلما دخلا عليه قال الخثعمي الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ثم مسئول عما اردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول في علي قال أقول فيه قولك قال اتبرأ من دين علي الذي يدين الله به فسكت وقام شمر بن عبد الله من بني خثعمة بن خثعم فاستوهبه فوهبه له على ان لا يدخل الكوفة فاختار الموصل فكان يقول لو مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر ثم قال لعبد الرحمن بن حسان يا اخا ربيعة ما تقول في علي قال دعني ولا تسألني فهو خير لك قال والله لا أدعك قال اشهد انه كان من الذاكرين الله تعالى كثيرا من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك في عثمان قال هو أول من فتح ابواب الظلم واغلق

بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستنجدون به عليه في رد عما لكهم فأجاب تيمور الى سؤالهم بعد ان رجع من البلاد الشامية وبغداد فدخل حدود الروم في أواخر سنة أربع وثمانمائة وأرسل تيمور الى الملك السعيد بايزيد في الصلح على عادته من المكر والدهاء وقال انك رجل مجاهد في سبيل الله وأنا لا أحب قتالك ولكن انظر اي البلاد التي كانت معك من ايلك وجندك فاقنع بها وسلم لي البلاد التي كانت مع ارثنا وكان عند السلطان بايزيد خفة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة وكان اذا تكلم وهو في صدره مكان فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى خطابه قال ايخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات او يحسب انني مثل ملوك الاعاجم أو تاتار الدشت الاغنام أو ما يعلم ان أخباره عندي ان اول امره جرامي سفاك الدماء هتاك الحرم نقاض العهود والذمم وكيف تخفى على الملوك

ابو تراب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت ولا بيعة بالوادي يعني ليشفعوا فيه فرده معاوية الى زياد وامره ان يقتله شر قتلة فدفنه حيا فكان الذين قتلوا حجر بن عدي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي التميمي وكدام بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي الذي دفنه زياد حيا فهؤلاء السبعة قتلوا وقتلوا وصلى عليهم قبل ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا نعم قال حجوا هم ورب الكعبة وأما مالك بن هبيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر فجمع قومه وسار بهم الى عذراء ليخلص حجرا وأصحابه فلقيته قتالهم فلما رأوه علموا انه جاء ليخلص حجرا فقال لهم ما وراءكم قالوا قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين فسكت وسار الى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم فأرسل الخيل في اثر قتلتهم فلم يدركوهم ودخلوا على معاوية فأخبروه فقال لهم انما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنه اطفئت وعاد مالك الى بيته ولم يأت معاوية فلما كان الليل أرسل اليه معاوية بمائة ألف درهم وقال ما منعني ان أشفعك الا خوفا ان يعيد والناس حربا فيكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر فأخذها وطابت نفسه ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحرث الى معاوية فيه وفي أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم أبي سفيان قال حين غاب عني مثل ذلك من حلمك قومي وحلفي ابن سمية فاحتقات وقالت عائشة لولا انا لم نغير شيأ الا صارت بنا الامور الى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله ان كان ما علمت لمسلما حاجا معتمرا وقال الحسن البصري أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر قيل وكان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد الانصارية ترثي حجرا وكانت تشيع

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الامير
تجبرت الجبابرة بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيها مزن مطير
الا يا حجر حجر بني عدي * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديا * وشيخا في دمشق له زئير
فان تهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

وقد قيل في قتله غير ما تقدم وهو ان زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدي الصلاة فمضى في خطبته فقال له الصلاة فمضى في خطبته فلما خشي حجر بن عدي فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من حصى وقام الى الصلاة وقام الناس معه فلما رأى زياد ذلك

وختر وكيف تولى وكفر وأين للتتار الطعام الضرب بالبتار الحسام ومالهم رشق سوى النبال والسهام بخلاف ضراغم الاروام وأما نحن فالحرب دأبنا والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا رجالنا باعوا انفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنة فكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنة ولسيوفهم في قلانس الفوارس من رنة وأنا أعلم ان هذا الكلام يبعثك الى بلادنا ابعاثا فان لم تأت تكن زوجتك طالقا ثلاثا وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقابلك البتة فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا البتة ثم أنهى خطابه وردّ على هذه الطريق جوابه فلما وقف تيمور على جوابه استقبح ما ختم بالنساء لكتابه وكان السلطان بلدرم بايزيد على مدينة استانبول محاصرها وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب أوزارها فتركها وتوجه لقتاله واستعد لاستقباله وخاف من الهجوم على بلاد الروم فأجرى من عساكره السيول الهامرة وأخذ بهم على قفار غامرة حذرا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف من رعيته شفوقا

نزل فصلى بالناس وكتب الى معاوية وكثر عليه فكتب اليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله اليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة فشد في الحديد وحمل الى معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية اما والله لا أقيلك ولا استقيلك أخرجوه فاضربوا عنقه فقال حجر للذين يلون أمره دعوني حتى اصلي ركعتين فقالوا صل فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال لولا ان تظنوا بي غير الذي اردت لاطلتهما وقال لمن حضره من قومه لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما فاني لاق معاوية غدا على الجادة وضربت عنقه قال فلقيت عائشة معاوية فقالت له أين كان حلمك عن حجر فقال لم يحضرني رشيد قال ابن سيرين بلغنا ان معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول يومي منك يا حجر طويل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

﴿ ذكر استعمال الربيع على خراسان ﴾

وفي هذه السنة وجه زياد ربيع بن زياد الحارثي أميرا على خراسان وكان الحكم بن عمرو الغفاري قد استخلف عند موته أنس بن أبي أناس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفي ثم عزله وولى الربيع بن زياد أول سنة احدى وخمسين وسير معه خمسين الفا بعيالاتهم من اهل الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة وابهما صحبة فسكنوا خراسان فلما قدمها غزا بلخ فقتحها صلحا وكانت قد أغلقت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس في قول بعضهم وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقي منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلي وقيل سنة أربع وخمسين وكان اسلامه في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات سعيد بن زيد وقيل سنة اثنتين وقيل ثمان وخمسين ودفن بالمدينة وهو أحد العشرة وأبو بكرة نفيع بن الحرث له صحبة وهو أخو زياد لامه وفيها ماتت ميمونة بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم بسرف وفيه دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة ثلاث وستين وقيل ست وستين وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن معاوية وكان العمال بهذه السنة من تقدم ذكرهم (بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ﴾

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الاسدي الروم وشتى بارضهم وتوفي بها في قول فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري وقيل ان الذي شتى هذه السنة بارض الروم بسر بن أبي ارطاة ومعه سفيان بن عوف وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفي

﴿ ذكر خروج زياد بن خراش العجلي ﴾

وفي هذه السنة خرج زياد بن خراش العجلي في ثلاثمائة فارس فأتى ارض مسكن من السواد فسير اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوهم وقد صاروا الى ماه

﴿ ذكر خروج معاذ الطائي ﴾

وبالفقير من حشمه وخدمه وفيقا وكان غالب عسكر التاتار قوم ذوو بيوز وبسار فأرسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة والمعاودة وكان تيمور قد نازل انكورية فلم يفق السلطان من رقاده الا وتيمور قد مر على جميع بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة وندامة ولما تدانت الجيوش من الجيوش واضطربت الوحوش وامتلأت منهم القفار والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر العثمانية التاتار واتصلت بعساكر تيمور كارسم أولا وآشار وكانوا هم صاب العسكر والاوفر والاكثر بل قيل ان ذلك الجمهور كانوا نحوا من جند تيمور وكان مع السلطان من اولاده اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعله التاتار علم انه قد حل بأبيه البوار فاخذ باقي العسكر وقهقر عن ميدان المصاف وتاخر وترك أباه في شدة البأسا ورجع بمن معه الى جهة بروسا فلم يتوقع

وخرج على زياد أيضا رجل من طيئ يقال له معاذ فأتى نهر عبد الرحمن بن أم الحكم فى ثلاثين رجلا هذه السنة فبعث اليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل حمل لواءه واستأمن ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس سعيد بن العاص وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات عمران بن الحصين الخزاعى بالبصرة وأبو أيوب الانصارى واسمه خالد بن زيد شهد العقبة وبدرا وقد تقدم انه توفى سنة تسع وأربعين عند القسطنطينية وكعب بن عجرة وله خمس وسبعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى بارض الروم وفيها فتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن أبى أمية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شئ على الروم يعترضونهم فى البحر فيأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفى معاوية أقفلهم ابنه يزيد وقيل فتحت سنة ستين

﴿ ذكر وفاة زياد ﴾

وفى هذه السنة توفى زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان سبب موته انه كتب الى معاوية انى قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ اهل الحجاز فأتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك فقال ادعوا الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه ان قال اللهم اكفنا شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضى فقال له قد حدث ما ترى وقد امرت بقطعها فأشر على فقال له شريح انى أخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه أوان يكون فى الاجل تأخير فتعيش أجذم وتعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون فى لحاف واحد فخرج شريح من عنده فسأله الناس فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أشرت بقطعها فقال المستشار مؤتمن وأراد زياد قطعها فلما نظر الى النار والمكاوى جزع وتركه وقيل بل تركه لما أشار عليه شريح بتركه ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها فقال له يا بنى قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه أو سلب سريع فمات ودفن بالثوية الى جانب الكوفة فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك وكان مولده سنة احدى من الهجرة قال مسكين الدارمى يرثيه

رأيت زيادة الاسلام ولت * جهارا حين ودع عنا زياد

فقال الفرزدق يجيبه ولم يكن هجا زيادا حتى مات

أمسكين أبكى الله عينيك انما * جرى فى ضلال دمعها فتحدرا

بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على عدوانه أو كقيصرا

أقول له لما أتانى نعيه * به لا بظبى بالصريمة أعفرا

وكان زياد فيه حمرة وفى عينه اليمنى انكسار أبيض اللحية مخروطها عليه قميص ربما رقعه

﴿ ذكر وفاة الربيع ﴾

السلطان الا المشاة ومن دانا هم وبعض من الكماة وقليل ماهم فنبت للمجاولة بمن معه من الرفاق وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق فصبر لحادثات الدهر وما انهزم وأراد أن يفى على مذهب الامام مالك بما التزم فأحاطت به اساورة الجنود أحاطة الاساورة بالزنود ووقع السلطان فى القنص وصار مقيدا كالطير فى القفص وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة اربع وثمانمائة ووصل ولده الامير سليمان الى بروسه معقل بن عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادنه وكان للسلطان المذكور من الاولاد الذكور الامير سليمان هذا وهو اكبرهم وعيسى وموسى ومصطفى ومحمد وهو أصغرهم وكل طلب لنفسه مهربا والحجاز اليه من العسكر طائفة نجيبا فكان محمد وموسى فى قلعة اماسية وهى خوشنة شاهقة عاصية وأما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان الى أن قتل أخوه الامير سليمان وموسى فيما بعد قتل الامير

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان من قبل زياد وكان سبب موته انه سخط قتل حجر ابن عدي حتى انه قال لاتزال العرب تقتل صبرا بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ولكنها اقرت فذات ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة فقال أيها الناس الى قد ملت الحياة واني داع بدعوة فأمنوا ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلا وامن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهر بن واستخلف خليد بن يربوع الحنفي فأقره زياد ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن جندب وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فأقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا وقيل ستة أشهر ثم عزله معاوية فقال سمرة لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبدا وجاء رجل الى سمرة فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى فأمر سمرة بقتله فقتل فمر به أبو بكرة فقال يقول الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال وما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة (الثوية بضم الثاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مغيرة)

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة سعيد بن العاص وكان عامل المدينة وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى البصرة سمرة وعلى خراسان خليد بن يربوع الحنفي (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بطريق مكة في نومة نامها وقيل توفي بعد ذلك وفيها توفي فيروز الديلمي وكانت له صحبة وكان معاوية قد استعمله على صنعاء وفيها مات عمرو بن حزم الانصاري وفيها مات فضالة ابن عبيد الانصاري بدمشق وكان قاضيها لمعاوية وقيل مات آخر أيام معاوية وقيل غير ذلك شهد أحدا وما بعدها

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

(ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد)

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد قريب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا

(ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان)

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص ان يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منه فدكا وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص في ذلك فأعاد معاوية الكتاب بذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزله معاوية وولى مروان وكتب اليه يأمره بقبض اموال سعيد بن العاص وهدم داره فأخذ الفعلة وسار الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد يا أبا عبد الملك أتهدم داري قال نعم كتب الي أمير المؤمنين ولو كتب اليك في هدم داري لفعلت فقال ما كنت لافعل قال بلى والله قال كلا وقال لغلامه ائتني بكتاب معاوية بجاه بالكتابين فلما رآهما مروان قال

سليمان بعيسى ثم بعد الكل محمد قتل موسى وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين بسببه ثم انه لم يزل السلطان في أسر تيمور وقصده ان يطلقه اذا وصل الى حدود تبريز فرض فلم ينجع حتى توفي في مدينة آق شهر يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة من علة الخناق وضيق النفس ودفن في المدينة المذكورة بطريق الامانة ثم نقله ولده موسى جلبي بمعرفة تيمور الى تربته بمدينة بروسه فلما سمع تيمور بوفاته تأسف وحزن وبكى ثم ان تيمور قسم بلاد الروم على زعمه للمماليك الذين خلفهم الملك السعيد بايزيد ما كان لهم وأطلق تيمور ابني قرمان من الحبس وسلم اليهما مقاليد ما وفوض بلادا ناطولي على زعمه الى عيسى وموسى ابني السلطان يلدرم خان ثم مضى الى سبيله بعد ما خان وافسد العباد واخرب البلاد وهتك الستور واباح البكور ولم يسلم من شره من رعايا الروم لا الثلث ولا الربع وصارت جماعتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع وكان السلطان السعيد يلدرم بايزيد من خيار ملوك

كتب اليك فلم تفعل ولم تعلمنى فقال سعيد ما كنت لآمن عليك وانما أراد معاوية ان يحرض بيننا فقال مروان أنت والله خيرمنى وعاد ولم يهدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا فى قرابتنا انه يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين فى حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لو لم نكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقا على أمير المؤمنين ان يرعى ذلك فكتب اليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل وانه عائد الى أحسن ما يعهده وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيرا فقال له معاوية ما باعد بينه وبينك قال خافنى على شرفه وخفته على شرفى قال فما ذاله عندك قال أسيره شاهدا وغائبا

﴿ ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان ﴾

وفى هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب واستعمل على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة اشهر وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وكان سبب ولايته انه قدم عليه بعد موت أبيه فقال له معاوية من استعمل أبوك على الكوفة والبصرة فأخبره فقال لو استعملك أبوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله ان يقولها الى أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيأ فان فى تقواه عوضا وفرعرضك من ان تدنسه واذا أعطيت عهدا ففى به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا القيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن أحدا فى غير حقه ولا تؤيسن أحدا من حق هو له ثم ودعه وكان عمر عبيد الله خمسا وعشرين سنة وسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان أول من قطع جبال بخارا فى جيش ففتح رامنى ونسف وبيكند وهى من بخارا فمن ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ولما لقى الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فحجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقى الآخر فأخذه المسلمون فقوم بمائتى ألف درهم وكان قتاله الترك من زحوف خراسان التى تذكر فظهر منه بأس شديد وأقام بخراسان سنتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وكان على الكوفة عبد الله بن خالد وقيل الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وفى هذه السنة توفى أبو قتادة الانصارى وعمره سبعون سنة وقيل مات سنة أربعين وصلى عليه على وكبر عليه سبعا وشهد مع على حروبه كلها وهو بدرى وفيها توفى حويطب بن عبد العزى وله مائة وعشرون سنة وفيها توفى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وقيل توفى أسامة سنة ثمان وخمسين وفيها توفى سعيد بن يربوع بن عنكثة وكان عمره مائة وأربعا وعشرين سنة وله صحبة ومخرمة بن نوفل وهو من مسلمة الفتح وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة وعبد الله بن أنيس الجهنى وفيها قتل زيد بن شجرة الرهاوى فى غزوة غزاها وقيل سنة ثمان وخمسين

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ﴾

الارض وكان مجاهدا مرابطا وقد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكثار مالم يسمها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوى النفس شديد البطش عالى الهمة ذكر الحافظ ابن حجر فى تاريخه بعد ما اثنى عليه ان الحوض الذى يغتسل منه كان فضة وكذا كانت أوانيه التى كان يأكل فيها ويشرب ويستعملها وكان الامن فى زمانه بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحا بالبضاعة فلا يتعرض له احد وكانت مدة ملكه اربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وعمره ثمان وخمسون سنة وخلف خمسة أولاد ذكور وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد كما سبق وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتى عشرة سنة الى أن استقل بالملك

(السلطان محمد خان الغازى ابن السلطان يلدرم بايزيد خان)

جلس على سرير الملك بمدينة بروسه فى سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره اذ ذاك تسع وثلاثون سنة لان مولده فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحاربه قره دولتشاه من التاتار فى نواحى اماسية فسار

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الازدى فى قول وقيل بل الذى شتى هذه السنة عمرو بن محرز وقيل بل عبد الله بن قيس الفزارى وقيل بل مالك بن عبد الله

﴿ ذكر ولاية ابن زياد البصرة ﴾

فى هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيد الله بن زياد وكان سبب ذلك ان عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا ان صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فاكتب لنا كتابا الى امير المؤمنين يخرج به أحدنا اليه يخبره انك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح فكتب لهم فلما كان رأس السنة توجه عبد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا انه قطع صاحبهم ظلما فلما رأى معاوية الكتاب قال أما القود من عمالى فلا سبيل اليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى فلم يغزو ولم يفتح بها شيأ

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس وقيل ما تقدم وفيها مات الارقم بن أبى الارقم المخزومى وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختفى فى داره بمكة وكان عمره ثمانين سنة وزيادة وقيل مات يوم مات أبو بكرة وفيها توفى أبو اليسر كعب بن عمرو الانصارى وهو بدرى وشهد صفين مع على وقيل توفى قبل وحج بالناس هذه السنة مروان ابن الحكم

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ﴾

فيها كان مشتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم وقيل عبد الرحمن بن سعود وقيل غزا فيها فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحرث واعتمر معاوية فيها فى رجب وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

﴿ ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد ﴾

وفى هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك ما تولاه من المغيرة ابن شعبة فان معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فقال الرأى ان أتخلص الى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتى للولاية فسار الى معاوية وقال لاصحابه حين وصل اليه ان لم أكسبكم الا ثن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا ومضى حتى دخل على يزيد وقال له انه قد ذهب اعيان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذووا سنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا واعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين ان يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لى بهذا قال اكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد اهل البصرة وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك قال فارجع الى

علمك

عليه وهزمه وبدد شمله ثم قصد قتال اسفنديار بيك صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم اسفنديار أقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ما يملكه ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه فى ملكه ثم لما بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لاخذ بعض البلاد سار اليه بجيش كثير فقاتله وهزمه فتبعه حتى أسره وأسر ولديه محمد ومصطفى فأحضر بين يدى السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وعين لهما بعض بلادهما وأخذ عليهما العهد والميثاق بأن لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان منها قلعة سوزى حصار وقلعة قيرشهرى وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدى شهرى وقلعة اوغارى وقلعة بكشهرى وقلعة سعيد ايلى ثم سار واستولى على قلعة صامسون وغالب هذه البلاد كان افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى اصحابها وفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة مرض السلطان محمد خان من الاسهال وهو يومئذ

عملك وتحدث مع من تثق اليه فى ذلك وترى ونرى فودعه ورجع الى اصحابه فقالوا له قال لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على امة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق ابدا وتمثل

بمثلى شاهدى النجوى وغالى * بى الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبنى امية امر يزيد فاجابوا الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال اكثر من عشرة واعطاهم ثلاثين الف درهم وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال معاوية لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين ألفا قال لقد هان عليهم دينهم وقيل ارسل اربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا انما اشخصهم اليه النظر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا يا امير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهى اليه فقال اشيروا على فقالوا نشير بيزيد بن امير المؤمنين فقال او قد رضيتموه قالوا نعم قال وذلك رأيكم قالوا نعم ورأى من وراءنا فقال معاوية لعمرو سرا عنهم بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال بأربعمائة دينار قال لقد وجد دينهم عندهم رخيصا وقال لهم تنظروا قدمتم له ويقضى الله ما أراد والانا خير من العجلة فرجعوا وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فأرسل الى زياد يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميرى وقال له ان لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير أهلها وليس موضوع السر الا أحد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابها ورجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون حسبه وقد خبرتهما منك وقد دعوتك لامر اتهمت عليه بطون الصحف ان أمير المؤمنين كتب يستشيرنى فى كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسله وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالرأى أمير المؤمنين وأداليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالامر فأحرى لك ان يتم لك لا تعجل فان درك فى تأخير خير من فوت فى عجلة فقال له عبيد أفلا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأيه ولا تبغضه اليه ابنه وألنى انا يزيد فأخبره ان أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك فى البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت الامر بحجره اشخص على بركة الله فان أصبت فما لا بتكروان يكن خطأ فغير مستغش وتقول بما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر هذا أراد ان دينى عندى اذن لرخص وامتنع ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم انى قد كبرت سنى ورق عظمى وخشيت الاختلاف على الامة بعدى وقد رأيت ان أتخير لهم من يقوم بعدى وكرهت ان أقطع امرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمنى بالذى يردون عليك فقام مروان فى الناس فأخبرهم به فقال الناس اصاب ووفق وقد احببنا ان

أواخر سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمانى عشرة سنة وفى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل يدعى مصطفى

فى محل لطيف قد والده سماطا فتناول منه شيأ يسيرا ولم ينل منه غرضه فرفعوه ووضعوه بين يدى ولده العادل مراد خان وهو فى بيت غير البيت الذى هو فيه فلما انتبه علم انه لا يدوم فى الملك وان ولده سيلى الملك بعده وامر ببناء الجامع والمدرسة والعمارة بمدينة بروسه وكان ولده مراد خان يوم وفاة ابيه فى اقصى بلاد الروم ايلى فى الغزو فأخفى الوزراء موت السلطان مدة احد واربعين يوما حتى وصل السلطان مراد خان الى مدينة بروسه واستقر على التخت بها ثم بعد ذلك اظهروا موت السلطان وشيعوه الى مدينة بروسه ودفنوه قبالة جامعه الذى انشاه بالمدينة المذكورة وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وعاش ثمانية واربعين عاما وكان رحمه الله ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة من محصول اوقافه لاهل الحرمين من سلاطين بنى عثمان وتولى السلطنة بعده ولده

* (الملك العادل السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان) *

جلس على سرير الملك بعد وفاة والده بعهد منه اليه فى

يخبرانا فلا يألو فكتب مروان الى معاوية بذلك فأعاد اليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فقال كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لامة محمد ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت يا مروان يا مروان فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت أنت القائل لعبد الرحمن انه نزل فيه القرآن كذبت والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فض من لعنة نبي الله وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فكتب مروان بذلك الى معاوية وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس في وفد اهل البصرة فقال محمد ابن عمرو لمعاوية ان كل راع مسؤل عن رعيته فانظر من تولي أمر أمة محمد فأخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس في يوم شات ثم وصله وصرفه وأمر الاحنف ان يدخل على يزيد فدخل عليه فلما خرج من عنده قال له كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن أنت الذي تدعو الى بيعة يزيد وتحثني عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل وخيرا في العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو في شأن ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن في ظله وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ومن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر من الوفود فقال معاوية للاحنف ما تقول يا أبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا امير المؤمنين اعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشام فقال ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف فتفرق الناس يحكون قول الاحنف وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه فلما بايعه أهل العراق والشام سار الى الحجاز في ألف فارس فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس فلما نظر اليه قال لا مرحبا ولا أهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه قال مهلا فاني والله لست بأهل لهذه المقالة قال بلى والشر منها ولقيه ابن الزبير فقال لا مرحبا ولا أهلا لخب ضب تلعة يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه

في خلق كثير فاستفحل أمره جدا حتى قام واستولى على جميع بلاد روم ايلي وعلى مدينة ادرنه ثم اجتاز البحر الى طرف اناطولي ليقاتل السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل وزيره بايزيد باشا وصحبته عساكر كثيرة الى قتال الخارجي المذكور فقاتلوه بتربة أدرنه فانتصر الخارجي وانهزم عسكر مراد خان واسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجي فلما بلغ ذلك السلطان مراد خان اندهش فقام وتضرع الى الله تعالى والتجأ الى قطب العارفين مولانا السيد محمد البخاري وكان الشيخ اذذاك في قيد الحياة واستمده منه فوعده الشيخ بالنصر (حكى) عن الشيخ المذكور انه قال توجهت في هذا الامر توجها تاما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت قدمه المباركة وسألته النصر فلم يقل شيأ ثم توجهت ثانى مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت فلم يقل شيأ ثم توجهت ثالث مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت وقلت يا ملاذ الملهوفين يا رسول رب العالمين سألتك

ويدق ظهره لحياء عنى فضرب وجه راحلته ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية لا أهلا ولا مرحبا شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك فأقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون فخرجوا الى مكة فأقاموا بها وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم وقد أنذرت ان اغنت النذر ثم انشد متمثلا

قد كنت حذرتك آل المصطلق ٭ وقلت يا عمرو أطعني وانطلق
انك ان كلفتني مالم أطق ٭ سامك ما سرك مني من خلق
دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة وقد بلغها انه ذكر الحسين واصحابه فقال لاقتلنهم ان لم يبايعوا فشكاهم اليها فوعظته وقالت له بلغني انك تتهددهم بالقتل فقال يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم افترين ان أنقض بيعة قد تمت قالت فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله قال افعل وكان في قوله له ما يؤمنك ان أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخي ما فعلت ومعنى أخاها محمد افقال لها كلا يا أم المؤمنين انى في بيت أمن قالت أجل ومكث بالمدينة ما شاء الله ثم خرج الى مكة فلقيه الناس فقال أولئك النفر تلقاه فاعلم قد ندم على ما كان منه فلقوه يبطن مر فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية مرحبا وأهلا يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين فأمر له بداية فركب وسايره ثم فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة فكانوا أول داخل وآخر خارج ولا يمضي يوم الا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيأ حتى قضى نسكه وحمل اثقاله وقرب مسيره فقال بعض اولئك النفر لبعض لا تخدعوا فما صنع بكم هذا الحي كم وما صنعه الا لما يريد فأعدوا له جوابا فاتفقوا على ان يكون المخاطب له ابن الزبير فأحضرهم معاوية وقال قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لارحامكم وحملي ما كان منكم وبين يدي أخوكم وابن عمكم وأردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك فسكتوا فقال الا تجيبون مرتين ثم اقبل على ابن الزبير فقال هات لعمري انك خطيبهم فقال نعم نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما صنع أبو بكر او كما صنع عمر قال معاوية ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال ليس فيكم مثل ابي بكر واخاف الاختلاف قالوا صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ولا من بني أبيه قال معاوية هل عندك غير هذا قال لا ثم قال فأنتم قالوا قولنا قوله قال فاني قد أحببت ان أتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر انى كنت اخطب منكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤس الناس فأحمل ذلك وأصفح وانى قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد علي احدكم كلمة في مقامي هذا الا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع

العون في حق مراد فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم النصير له ان شاء الله تعالى فلما أصبح بعث الشيخ الى السلطان مراد وبشره بالنصر وقلده بيده السيف وقال سر باذن الله في حفظ الله فانك منصور فشكر له السلطان ذلك وقبل يده المباركة فسار بعساكره ونزل نهرا ولوباد وهو نهر كبير من جانب الدنيا لانه يجري ستة أشهر الى الشرق وستة أشهر الى الغرب لامر اقتضته قدرته فأمر برفع الجسر الراكب على النهر المذكور فرفعوه ثم قدم الخمارجي فنزل في شط النهر الى الجانب الآخر واستمر العسكر ان هناك زمانا من

كل واحد سيفان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضربا بسيفيهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يتزأمر دونهم ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب راحلته وانصرف الى المدينة فلقى الناس اولئك النفر فقالوا لهم زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم قالوا والله ما فعلنا فقالوا اما منعكم ان تردوا على الرجل قالوا كادنا وخفنا القتل وبايعه اهل المدينة ثم انصرف الى الشام وجفا بنى هاشم فأتاه ابن عباس فقال له ما بالك جفوتنا قال ان صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكر واذلك عليه فقال يا معاوية انى لخليق ان انحاز الى بعض السواحل فأقيم به ثم انطق بما نعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك قال يا ابا العباس تعطون وترضون وترادون وقيل ان ابن عمر قال لمعاوية ابايعك على انى ادخل فيما يجتمع عليه الامة فوالله لو اجتمعت على حبشى لدخلت معها ثم عاد الى منزله فاغلق بابه ولم يأذن لاحد قلت ذكر عبد الرحمن بن ابى بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين وانما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت

﴿ ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان ﴾

فى هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد وسبب ذلك انه سأل معاوية ان يستعمله على خراسان فقال ان بها عبيد الله بن زياد فقال والله لقد اصطنعك أبى حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا تجارى اليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدمت هذا يعنى يزيد وبايعت له والله لانا خير منه اباوأما ونفسا فقال معاوية اما بلاء أبيك فقد يحق علينا الجزاء به وقد كان من شكرى لذلك انى قد طلبت بدمه واما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير منى واما فضل امك على امه فلعمرى امرأة من قريش خير من امرأة من كلب وأما فضلك عليه فوالله ما أحب ان الغوطة ملئت رجالا مثلك فقال له يزيد يا امير المؤمنين ابن عمك وأنت احق من نظر فى أمره قد عتب عليك فاعتبه فولاه حرب خراسان وولى اسحق ابن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية امه ام ابان بنت عتبة بن ربيعة فلما صار بالرى مات اسحق فولى سعيد حربها وخراجها فلما قدم خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه الصغد فتواقفوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الريب

مازلت يوم الصغد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت ان تتفصرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم فى مدينتهم فصالحوه وأعطوه رهنا منهم خمسين غلاما من أبناء عظمائهم فسار الى ترمذ ففتحها صلحا ولم يف لاهل سمرقند وجاء بالغلمان معه الى المدينة وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبد المطلب وفى هذه مات جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة

غمران يجرى بينهما قتال ثم ان الله تبارك وتعالى وهو الواحد القهار ينتصر من يشاء من عباده سلط على الخارجى الرعاف فاستمر به ذلك ثلاثة أيام حتى ضعف جدا وجعل يخلط فى الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك أركان دولته ووجوه عسكره يتقنوا بخذ لانه فداخلهم الخوف فتفرقوا شذر مذر وهرب الخارجى مع ضعفه الى طرف روم ايلى فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا النهر فساقوا خلف المنهزمين فأسروا منهم خلقا كثيرا وقتلوا غالبهم وغنموا منهم اموالا وودابا كثيرة ثم امر السلطان بعض امرائه حتى لحقوا الخارجى بقرب ادرنه فظفر به فقتله وفى سنة تسع وأربعين وثمانمائة نزل السلطان مراد خان عن السلطنة لولده

واستعمل

واستعمل عليها الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وقيل لم يعزل مروان هذه السنة وحج بالناس الوليد بن عتبة وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سعيد بن عثمان وفي هذه السنة مات عبد الله بن عامر وقيل سنة تسع وخمسين وعبد الله ابن قدامة السعدي وله صحبة وقيل هو عبد الله بن عمرو بن وقدان السعدي وانما قيل له السعدي لان أباه استرضع في بني سعد بن بكر وهو من بني عامر بن لؤي وعثمان بن شيبة بن أبي طلحة العبدري وهو جد بني شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم الى الآن واسم يوم الفتح وقيل يوم حنين وجبير بن مطعم بن نوفل القرشي له صحبة وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بقيت الى قتل الحسين

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ﴾

في هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخثعمي ارض الروم وعمرو بن يزيد الجهني في البحر وقيل جنادة بن ابي امية

﴿ ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم ﴾

وفي هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي وهو ابن ام الحكم وهو ابن اخت معاوية وفي عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمي ومعاذ بن جوين الطائي فخطبا هم وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا الى بانقيا فسار اليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعا ثم ان عبد الرحمن ابن ام الحكم طرد أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال له ارجع الى خالك فلعمري لا نسيرن فينا سيرتك في اخواننا من أهل الكوفة فرجع الى معاوية ثم ان معاوية ابن حديج وفدا الى معاوية وكان اذا قدم الى معاوية زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيما لشأنه فدخل على معاوية وعنده اخته ام الحكم فقالت من هذا يا أمير المؤمنين قال يح يح هذا معاوية بن حديج قالت لا مرحبا تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فسمعها معاوية بن حديج فقال على رسلك يا ام الحكم والله لقد تزوجت فما أكرمت ولدت فما أنجبت اردت ان يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليريه ذلك ولو فعل ذلك اضر بناه ضربا يعطأ طئ منه ولو كره هذا القاعد يعني خاله معاوية فالتفت اليها معاوية وقال كفي فكفت

﴿ ذكر خروج طوّاف بن غلاق ﴾

كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون الى رجل اسمه جدار فيتحدثون عنده ويعيبون السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثم دعا بهم وعرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ويخلي سبيل القاتلين ففعلوا فأطلقهم وكان ممن قتل طوّاف فعذلهم أصحابهم وقالوا قتلتم اخواننا كم قالوا اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان وندم طوّاف وأصحابه فقال طوّاف اما من توبة فكانوا يكون وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا وعرضوا عليهم القود فأبوا

السلطان محمد خان وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فاعتزل بها عن الملك وشاع هذا الخبر في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبي صغير لا يخشى منه فاتفق قرال انكروس وقرال المان وقرال جنه وقرال له وامير لاطين وامير بوسنه وصاحب افلاق وبغدان وطائفة الافرنج على قتال المسلمين وان لا يدعوا من بلاد الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك أركان الملك خافوا واسترهبوا واستصوبوا ان يدعوا السلطان مراد من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطال ما انكى

ولقى طواف الهشهاث بن نور السدوسى فقال له اما ترى لنا من توبة فقال ما أجد لذلك الا آية فى كتاب الله عز وجل قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فدعا طواف أصحابه الى الخروج والى ان يفتكوا بابن زياد فبايعوه فى سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلا من بنى عبد القيس بالبصرة فسمى بهم رجل من أصحابهم الى ابن زياد فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء فندب ابن زياد الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى طواف فى سنة نفر وعطش فرسه فأفحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله فقال شاعر منهم

يارب هب لى التقى والصدق فى ثبت * واكف المهم فأنت الرازق الكافى
حتى ابيع الق تفنى بآخرة * تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وابى الشعثاء اذ نفروا * الى الاله ذوى اخباب زحاف

﴿ ذكر قتل عروة ابن أدية وغيره من الخوارج ﴾

فى هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة ابن أدية اخو ابى بلال مرداس ابن ادية وأدية امهما وابوهما احدير وهو تميمى وكان سبب قتله ان ابن زياد كان قد خرج فى رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع اليه الناس وفيهم عروة فاقبل على ابن زياد يعظه وكان مما قال له أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما قال ذلك ظن ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة فقام وركب وترك رهانه فقيل لعروة لقد قتلك فاختفى فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فاخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه وقتله وقيل ابنته واما اخوه ابو بلال مرداس فكان عابدا مجتهدا عظيم القدر فى الخوارج وشهد صفين مع على فانكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه وترأى على ابن عامر قباءه انكره فقال هذا لباس الفساق فقال أبو بكرة لا تقل هذا للسلطان فان من أبغض السلطان أبغضه الله وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل الا من قاتلنا ولا نجبى الا من جبانا وكانت البيجاء امرأة من بنى يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات فذكرها ابن زياد فقال لها أبو بلال ان التقية لا بأس بها فتغيبى فان هذا الجبار قد ذكرك فقالت اخشى ان يلقى أحد بنى مكروها فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها فمرت بها أبو بلال فى السوق فعض على لحيته وقال اهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ما ميتة أموتها أحب الى من ميتة البيجاء ومر أبو بلال بعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم افاق فقال سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ثم ان ابن زياد ألح فى طلب الخوارج فلا منهم السجن وأخذ الناس بسببهم وحبس ابا بلال قبل ان يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته فأذن له كل ليلة فى اتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديقا لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم فانطلق صديق مرداس اليه فاعلمه الخبر وبات السجان بليلة

الكفار فأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلوني فلم يزالوا به حتى خلون عليه حتى رضى وسار مع والده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تبارز كل من الفريقين على الآخر واتفق ان انهزم المسلمون وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مراد خان فى القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يديه الى الله تعالى وسأله النصر والعون واستغاث بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى اغتر قرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره وانفرد وجعل يدعو السلطان مرادا المبارز له ثم هجم على

سوء خوفا ان يعلم مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذى كان يعود فيه اذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الامير قال بلى قال ثم جئت قال نعم لم يكن جزاؤك منى مع احسانك الى ان تعاقب واصبح عبيد الله فقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ظفرا لعبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم انه خاف ابن زياد فخرج فى أربعين رجلا الى الاهواز فكان اذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقى فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث اليهم جيشا عليهم أسلم بن زرعة الكلابى سنة ستين وقيل ابو حصين العجلى وكان الجيش الفى رجل فلما وصلوا الى ابى بلال ناشدهم الله ان لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم اسلم الى معاودة الجماعة فقالوا أترد وتنا الى ابن زياد الفاسق فرمى أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبى بلال فقتلوه فقال ابو بلال قد بدؤكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم وقال هزمك اربعون وانت فى الفين لا خير فيك فقال لا تلومنى وانا حى خير من ان تثنى على وانا ميت فكان الصبيان اذا رأوا اسلم صاحوا به أما أبو بلال وراءك فشكا ذلك الى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويقتلهم بآلاف اربعونا
كذبتم ليس ذلك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس الوليد بن عتبة فى هذه السنة وفيها مات عقبة بن عامر الجهنى وله صحبة وشهد صفين مع معاوية وفيها توفيت عائشة عليها السلام وسمرة بن جندب وله صحبة ومالك بن عبادة الغافقى وله صحبة وعمير بن يثربى قاضى البصرة فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين ﴾

فى هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهنى بأرض الروم فى البر وغزا فى البحر جنادة بن أبى امية وقيل لم يكن فى البحر غزوة هذه السنة وفى هذه السنة عزل عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصارى وقد تقدم سبب عزله وقيل كان عزله سنة ثمان وخمسين

﴿ ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان ﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمى وأخذ اسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم ثم قدم عبد الرحمن وكان كريما سمحا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة وبقى بخراسان الى ان قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم فقال ان شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددنا اليك عملك وان شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم قال بل تعطينى ما معى وتعزلنى ففعل فأرسل عبد الرحمن الى ابن جعفر بألف ألف وقال هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف منى

المسلمين فاتفق ان تقطر به فرسه فتسارع اليه المسلمون فحز وا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم وسرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسارى فلا تحصى ولا تحصر ثم ان السلطان لما عاد من الغزو امضى سلطنة ابيه السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال على هذا المنوال الى ان تحزلط طائفة الينكجرية وعاثوا وكبسوا بيوت الامراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك فى سنة خمسين وثمانمائة فعند ذلك

﴿ ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها ﴾

وفى هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة واعاده اليها وسبب ذلك ان ابن زياد وفد على معاوية فى وجوه أهل البصرة وفيهم الاحنف وكان سيئ المنزلة من عبيد الله فلما دخلوا رحب معاوية بالاحنف وأجلسه معه على سريره فاحسن القوم الثناء على ابن زياد والاحنف ساكت فقال له معاوية ما لك يا ابابحر لا تتكلم فقال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا الباترضونه فلم يبق احد الا اتى رجلا من بنى امية او من اهل الشام والاحنف لم يبرح من منزله فلم يأت احدا فلبثوا أياما ثم جمعهم معاوية وقال لهم من اخترتم فاختلفت كلمتهم والاحنف ساكت فقال ما لك لا تتكلم فقال ان وليت علينا احدا من اهل بيتك لم نعدل بعبد الله احدا وان وليت من غيرهم فانظر فى ذلك فرد معاوية عليهم واوصاه بالاحنف وقبح رأيه فى مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الاحنف

رأى الوزراء وسائر أركان الملك ان يعبدوا السلطان مراد خان الى الملك ليسترهبوه فطلبوه واجلسوه على سرير الملك وعادا به السلطان محمد خان الى مكان ابيه مغنيسا واستقر السلطان مراد يغزو نحو بلاد ارنود واستولى على معظم بلاد الكفار وفى سابع المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة نهار الاربعاء توفى السلطان مراد خان وكان ملكا عالما عاقلا عادلا شجاعا وكان

﴿ ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميرى بنى زياد وما كان منه ﴾

كان يزيد بن مفرغ الحميرى مع عباد بن زياد بسجستان فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه ابن مفرغ واصاب الجند الذين مع عباد ضيق فى علوفاتهم وابهم فقال ابن مفرغ

الا ليت اللحى كانت حشيشا * فنعافها دواب المسلمين

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية فقيل ما اراد غيرك فطلب فهرب منه وهجاه بقصائد وكان مما هجاه به قوله

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب رحلك بانصداع
وأشهد ان امك لم تباشر * ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان امرا فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال ايضا

الا ابلغ معاوية بن حرب * مغلغلة من الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية فكتب اليه أخوه عباد بما كان منه فاعلم عبيد الله معاوية به وانشده الشعر واستأذنه فى قتل ابن مفرغ فلم يأذن له وأمره بتأديبه ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالاحنف وغيره من الرؤساء فلم يجره احد فاستجار بالمنذر بن الجارود فأجاره وأدخله داره وكانت ابنته عند عبيد الله بن زياد فلما قدم عبيد الله البصرة أخبره بمكان ابن مفرغ واتى المنذر عبيد الله مسلما فأرسل عبيد الله الشرط الى دار المنذر فأخذوا ابن مفرغ وأتوا به والمنذر عنده فقال له المنذر أيها الامير انى قد اجرته فقال يا منذر يمدحك وأباك ويهجونى وابى وتجيره على ثم امر به فسقى دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح فى ثيابه فقال يهجو المنذر

تركت قريشا ان اجاور فيهم * وجاورت عبد القيس اهل المشقر

اناس اجاروا فكان جوارهم * اعاصير من فسو العراق المبذر
فاصبح جاري من جذيمة ناعما * ولا يمنع الجيران غير المشمر

فقال لعبيد الله

يغسل الماء ما صنعت وقولي * راسخ منك في العظام البوالي

ثم سيره عبيد الله الى أخيه عباد بسجستان فكاتب اليمانية بالشام معاوية فيه فأرسل الى عباد فأخذه من عنده فقدم على معاوية وقال في طريقه

عدس ما لعباد عليك امارة * امنت وهذا تحملين طليق
لعمري لقد نجاك من هوة الردى * امام وحبل للامام وثيق
ساشكر ما اوليت من حسن نعمة * ومثلي بشكر المنعمين حقيق

فلما دخل على معاوية بكى وقال ركب مني ما لم يرتكب من مسلم مثله على غير حدث قال اولست القائل * الا ابلغ معاوية بن حرب * القصيدة فقال لا والله الذي عظم حق امير المؤمنين ما قلت هذا وانما قاله عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان واتخذني ذريعة الى هجاء زياد قال الست القائل * فاشهد ان امك لم تباشر * ابا سفيان في أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد اذهب فقد عفونا عنك فانزل اى أرض الله شئت فنزل الموصل وتزوج بها فلما كان ليلة بنائه باهر أته خرج حين أصبح الى الصيد فلقي انسانا على حمار فقال من أين أقبلت فقال من الاهواز قال فافعل ما مسر قان ٣ قال على حاله فارتاح الى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلم فيه فقال لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد فقدم البصرة على عبيد الله وقال له

لانت زيادة في آل حرب * أحب الي من احدى بناتي
اراك أخا وعما وابن عم * فلا أدري بغيب ما تراني

فقال أرأيت شاعرا سوء ورضي عنه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان وكان الوالي على الكوفة النعمان بن بشير وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى المدينة الوليد بن عتبة وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الانصاري بالمدينة وقيل سنة ستين وكان قد شهد مع علي مشاهده كلها وفيها مات سعيد بن العاص وولد عام الهجرة وقتل ابوه يوم بدر كافرا وفيها مات مرة بن كعب البهزي السلمي وله صحبة وفيها مات أبو محذورة الجمحي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده وقيل مات سنة تسع وستين وفيها مات عبد الله بن عامر بن كريز بمكة فدفن بعرفات وفيها مات أبو هريرة فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان لهواه كان في عثمان وفيها غزا المسلمون حصن كمخ ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف

يرسل لاهالي الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خاصة ماله في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار وكان يعتني بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك واتقن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار والملحدين وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وله من العمر تسع وأربعون سنة

الروم فصعد المسلمون ففتحه بعمير
وبذلك كان يفتخر
ويفخر له بذلك
تم

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله ثم دخلت سنة ستين ﴾

(فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الكامل)

صحيفة	
٢	(سنة ستين)
٢	ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان
٤	ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده
٤	ذكر بعض سيرته وأخباره وقضاياه وكتابه
٦	ذكر بيعة يزيد
٨	ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو ابن سعيد
٨	ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين ابن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل
١٦	ذكر مسير الحسين الى الكوفة
١٩	ذكر عدة حوادث
٢٠	(سنة احدى وستين)
٢٠	ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه
٤٠	ذكر اسماء من قتل معه
٤١	ذكر مقتل أبي بلال مرداس بن جدير الحنظلي
٤٢	ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان
٤٣	ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان
٤٣	ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد
٤٤	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة اثنتين وستين)
٤٤	ذكر وفد أهل المدينة الى الشام
٤٥	ذكر ولاية عقبة بن نافع أفريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله
٤٦	ذكر خروج كسيلة بن كرم البربري على عقبة
٤٧	ذكر ولاية زهير بن قيس افريقية وقتله وقتل كسيلة

صحيفة	
٤٨	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة ثلاث وستين)
٤٨	ذكر وقعة الحرة
٥٢	ذكر عدة حوادث
٥٢	(سنة اربع وستين)
٥٢	ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته
٥٣	ذكر وفاة يزيد بن معاوية
٥٣	ذكر بعض سيرته واخباره
٥٤	ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير
٥٥	ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد
٥٧	ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة
٥٨	ذكر هرب ابن زياد الى الشام
٦١	ذكر خلاف أهل الرى
٦١	ذكر بيعة مروان بن الحكم
٦٣	ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير
٦٥	ذكر فتح مروان مصر
٦٥	ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وأمر عبد الله بن خازم
٦٧	ذكر أمر التوابين
٦٩	ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم
٧١	ذكر قدوم المختار الكوفة
٧٣	ذكر عدة حوادث
٧٣	(سنة خمس وستين)
٧٣	ذكر مسير التوابين وقتلهم
٧٩	ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد
٨٠	ذكر بعث ابن زياد وحبيش
٨٠	ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه

صحيفة	
	عبد الملك
٨١	ذكر صفته ونسبه واخباره
٨١	ذكر مقتل نافع بن الازرق
٨٢	ذكر محاربة المهلب الخوارج
٨٤	ذكر نجدة بن عامر الحنفي
٨٦	ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبي فديك
٨٧	ذكر استعمال مصعب على المدينة
٨٧	ذكر بناء ابن الزبير الكعبة
٨٧	ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم
٨٨	ذكر عدة حوادث
٨٨	(سنة ست وستين)
٨٨	ذكر وثوب المختار بالكوفة
٩٦	ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام
١٠١	ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين
١٠٣	ذكر بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة
١٠٣	ذكر مكر المختار بابن الزبير
١٠٥	ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة
١٠٧	ذكر الفتنة بخراسان
١٠٨	ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد
١٠٨	ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به
١٠٩	ذكر عدة حوادث
١٠٩	(سنة سبع وستين)
١٠٩	ذكر مقتل ابن زياد
١١٢	ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة
١١٢	ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار
١١٧	ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة

صحيفة	
	ابن عبد الله بن الزبير
١١٧	ذكر عدة حوادث
١١٨	(سنة ثمان وستين)
١١٨	ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة
١١٨	ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق
١٢٠	ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطري بن الفجاءة
١٢٠	ذكر حصار الري
١٢٠	ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله
١٢٤	ذكر عدة حوادث
١٢٥	(سنة تسع وستين)
١٢٥	ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق
١٢٨	ذكر عصيان الجراجمة بالشام
١٢٨	ذكر عدة حوادث
١٢٨	(سنة سبعين)
١٢٨	ذكر يوم الجفرة
١٢٩	ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمي
١٣٠	يوم ماكسين
١٣٠	يوم الثرثار الاول
١٣٠	يوم الثرثار الثاني
١٣١	يوم الفدين
١٣١	يوم السكير
١٣١	يوم المعارك
١٣١	يوم الشرعبية
١٣٢	يوم البليخ
١٣٢	يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمي وابن هوبر التغلبي
١٣٣	يوم الكحيل
١٣٤	يوم البشر
١٣٥	(سنة احدى وسبعين)
١٣٥	ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك

صحيفة	
	العراق
١٤٠	ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة
١٤٠	ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث
١٤٢	ذكر عدة حوادث
١٤٣	(سنة اثنتين وسبعين)
١٤٣	ذكر أمر الخوارج
١٤٤	ذكر قتل عبد الله بن خازم
١٤٥	ذكر عدة حوادث
١٤٥	(سنة ثلاث وسبعين)
١٤٥	ذكر قتل عبد الله بن الزبير
١٥٠	ذكر عمر بن الزبير وسيرته
١٥٠	ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية
١٥١	ذكر قتل أبي فديك الخارجي
١٥١	ذكر عدة حوادث
١٥٢	(سنة اربع وسبعين)
١٥٢	ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة
١٥٣	ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية امية ابن عبد الله بن خالد
١٥٣	ذكر ولاية عبد الله بن امية سجستان
١٥٤	ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية
١٥٤	ذكر تخريب افريقية
١٥٥	ذكر عدة حوادث
١٥٥	(سنة خمس وسبعين)
١٥٥	ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق
١٥٨	ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله
١٥٨	ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج
١٦١	ذكر ثير زنجي والزنج معه
١٦١	ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف
١٦٣	ذكر عدة حوادث
١٦٣	(سنة ست وسبعين)

صحيفة	
١٦٣	ذكر خروج صالح بن مسرح
١٦٤	ذكر بيعة شبيب الخارجي ومحاربة الحرث بن عميرة
١٦٥	ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره
١٦٥	ذكر مسير شبيب الى بني شيبان وايقاعه بهم
١٦٥	ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي
١٦٦	ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر
١٦٦	ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد
١٦٨	ذكر مسير شبيب الى الكوفة
١٦٨	ذكر محاربة شبيب أهل البادية
١٦٩	ذكر دخول شبيب الكوفة
١٦٩	ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس
١٧٠	ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة
١٧١	ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث وقتل عثمان بن قطن
١٧٣	ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية
١٧٤	ذكر عدة حوادث
١٧٤	(سنة سبع وسبعين)
١٧٤	ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما
١٧٧	ذكر قدوم شبيب الكوفة ايضا وانهزامه عنها
١٧٩	ذكر مهلك شبيب
١٨٠	ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة
١٨٢	ذكر الاختلاف بين الازارقة
١٨٣	ذكر مقتل عبد ربه الكبير
١٨٤	ذكر قتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن

صحيفة	
	هلال
١٨٤	ذكر قتل بكير بن وساج
١٨٦	ذكر عدة حوادث
١٨٦	(سنة ثمان وسبعين)
١٨٦	ذكر عزل أمية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان
١٨٦	ذكر عدة حوادث
١٨٦	(سنة تسع وسبعين)
١٨٦	ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل
١٨٧	ذكر عدة حوادث
١٨٧	(سنة ثمانين)
١٨٧	ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر
١٨٨	ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
١٨٩	ذكر عدة حوادث
١٨٩	(سنة احدى وثمانين)
١٨٩	ذكر مقتل بحير بن ورقاء
١٩٠	ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم
١٩١	ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج
١٩٣	ذكر عدة حوادث
١٩٣	(سنة اثنتين وثمانين)
١٩٣	ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث
١٩٤	ذكر وقعة دير الجماجم
١٩٥	ذكر وفاة المغيرة بن المهلب
١٩٦	ذكر صلح المهلب أهل كش
١٩٦	ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان
١٩٧	ذكر عدة حوادث
١٩٧	(سنة ثلاث وثمانين)
١٩٧	ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم
١٩٩	ذكر الوقعة بسكن

صحيفة	
١٩٩	ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه
٢٠٣	ذكر ماجرى للشعبي مع الحجاج
٢٠٤	ذكر خلع عمر بن أبي الصلت بالري وما كان منه
٢٠٤	ذكر بناء مدينة واسط
٢٠٥	ذكر عدة حوادث
٢٠٥	(سنة أربع وثمانين)
٢٠٥	ذكر قتل ابن القرية
٢٠٥	ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس
٢٠٦	ذكر عدة حوادث
٢٠٦	(سنة خمس وثمانين)
٢٠٦	ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
٢٠٧	ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل
٢٠٨	ذكر غزو المفضل باذغيس وآخرون
٢٠٨	ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم
٢١١	ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد
٢١٢	ذكر عدة حوادث
٢١٣	(سنة ست وثمانين)
٢١٣	ذكر وفاة عبد الملك
٢١٣	ذكر نسبه وأولاده وأزواجه
٢١٤	ذكر بعض أخباره
٢١٥	ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك
٢١٥	ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة
٢١٦	ذكر عدة حوادث
٢١٦	(سنة سبع وثمانين)
٢١٦	ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة
٢١٦	ذكر صلح قتيبة ونيزك

صحيفة	
٢١٧	ذكر غزو الروم
٢١٧	ذكر غزو قتيبة بيكند
٢١٨	ذكر عدة حوادث
٢١٨	(سنة ثمان وثمانين)
٢١٨	ذكر فتح طوانة من بلد الروم
٢١٨	ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
٢١٩	ذكر غزو نومشكث وراشتة
٢١٩	ذكر ما عمل الوليد من المعروف
٢١٩	ذكر عدة حوادث
٢١٩	(سنة تسع وثمانين)
٢١٩	ذكر غزو الروم
٢١٩	ذكر غزو قتيبة بخارا
٢٢٠	ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة
٢٢٠	ذكر قتله ذاهر ملك السند
٢٢١	ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية
٢٢٢	ذكر عدة حوادث
٢٢٢	(سنة تسعين)
٢٢٢	ذكر فتح بخارا
٢٢٢	ذكر صلح قتيبة مع الصغد
٢٢٣	ذكر غدر نيزك وفتح الطالقات
٢٢٣	ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج
٢٢٤	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
٢٢٥	(سنة احدى وتسعين)
٢٢٥	ذكر تمة خبر قتيبة مع نيزك
٢٢٦	ذكر غزو شومان وكش ونسف
٢٢٧	ذكر عدة حوادث
٢٢٧	(سنة اثنتين وتسعين)
٢٢٧	ذكر فتح الاندلس
٢٣٢	ذكر غزوة جزيرة سردانية
٢٣٣	ذكر عدة حوادث
٢٣٣	(سنة ثلاث وتسعين)
٢٣٣	ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد
٢٣٤	ذكر فتح سمرقند
٢٣٦	ذكر فتح طليطلة من الاندلس
٢٣٦	ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز
٢٣٧	ذكر عدة حوادث
٢٣٧	(سنة اربع وتسعين)
٢٣٧	ذكر قتل سعيد بن جبير
٢٣٨	ذكر غزوة الشاش وفرغانة
٢٣٨	ذكر عدة حوادث
٢٣٨	(سنة خمس وتسعين)
٢٣٨	ذكر غزوة الشاش
٢٣٩	ذكر وفاة الحجاج بن يوسف
٢٣٩	ذكر نسبه ونبذ من سيرته
٢٤٠	ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله
٢٤٢	ذكر عدة حوادث

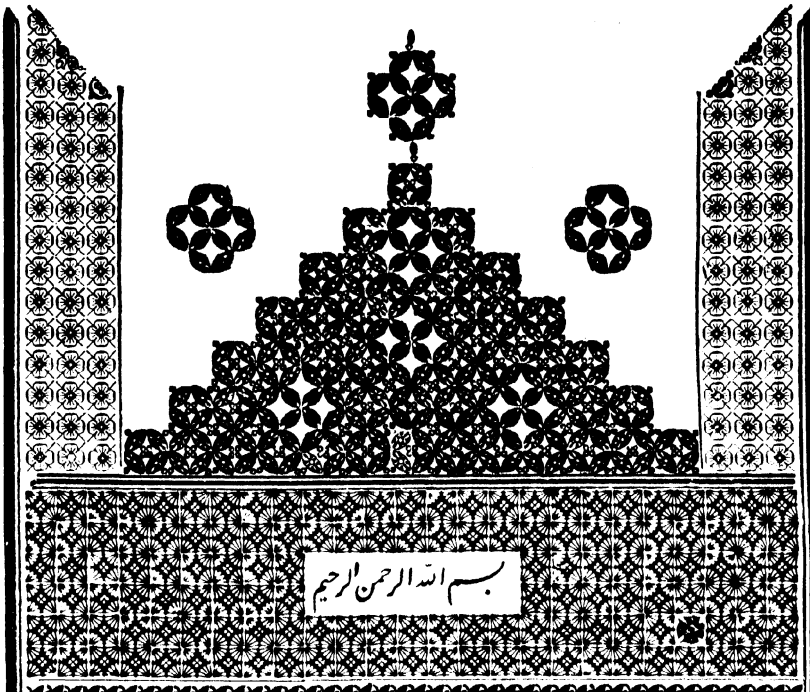
(تمت)

الجزء الرابع من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{ وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالغرماني وغيره }

(الملك المجاهد أبو المعالى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه بعهد منه اليه وكان عمره اذذاك تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة ايام وهو السلطان الظليل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا واقواهم اقدامًا واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله تعالى واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق فى اجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية فى صفحات الليالى والأيام ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن خرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه ثم لم يكن له هم الا فتح المدينة الكبرى قسطنطينية العظمى فشرع فى مهماتها ومقدماتها وهى من أعظم البلدان وأكبرها اهلا وأمنعها حصنا لانها احاطها البحر من كل صوب الا الطرف الغربى وهو طرف يسير وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع مافيها من المكاحل



(ثم دخلت سنة ستين)

فى هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة رودس وهدمه مدينتها فى قول بعضهم وفيها توفى معاوية بن أبى سفيان وكان قد أخذ على وفد اهل البصرة البيعة ليزيد

(ذكر وفاة معاوية بن أبى سفيان)

خطب معاوية قبل مرضه وقال انى كزرع مستحصد وقد طالت امرتى عليكم حتى ملتكم وملتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما ان من قبلى كان خيرا منى وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم انى قد أحببت لقاءك فأحبب لقائى وبارك لى فيه فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه فلما مرض المرض الذى مات فيه دعا ابنه يزيد فقال يا بنى انى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الامور وذللت لك الاعداء واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدو شئ فأتنصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم ان أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم وانى لست أخاف عليك ان ينازعك فى هذا الامر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر فاما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن على فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة

وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله ليس له همة الا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه اربا اربا واحقن دماء قومك ما استطعت هكذا في هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وليس بصحيح فان عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية وقيل ان يزيد كان غائبا في مرض أبيه وموته وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فامرهما ان يؤديا عنه هذه الرسالة الى يزيد اينه وهو الصحيح ثم مات بدمشق لهلال رجب وقيل للنصف منه وقيل لثمان بقين منه وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما مذ اجتمع له الامر وبايع له الحسن بن علي وقيل كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وقيل وثلاثة أشهر الا أياما وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين سنة وقيل توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل خمس وثمانين وقيل لما اشتدت علته وأرجف به قال لاهله احشوا عيني اثمدا وادهنوا رأسي ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له فجلس وأذن للناس فسلموا قياما ولم يجلس أحد فلما خرجوا عنه قالوا هو أصح الناس فقال معاوية عند خروجهم من عنده

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان به التفاتات فمات من يومه فلما حضرته الوفاة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصا فحفظته وقلم أظفاره يوما فاخذت قلامته فجعلتها في قارورة فاذا مت فألبسوني ذلك القميص واسحقوا تلك القلامة وذروها في عيني وفي فمي عسى الله أن يرحمني ببركتها ثم تمثل بشعر الاشهب بن رميلة النهشلي

اذا مت مات الجود وانقطع الندى * من الناس الا من قليل مصرد
وردت أكف السائلين وأمسكوا * من الدين والدنيا بخلف مجدد

فقالت احدى بناته كلا يا أمير المؤمنين بل يدفع الله عنك فقال متمثلا بشعر الهذلي واذا المنية أنشبت أظفارها البيت وقال لاهله اتقوا الله فانه لا واقي لمن لا يتقي الله ثم قضى وأوصى ان يرد نصف ماله الى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقي لان عمر قاسم عماله وأنشد لما حضرته الوفاة

ان تناقش يكن نقاش يا رب عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسيء مذنوبه كالتراب

ولما اشتد مرضه أخذت ابنته رملة رأسه في حجرها وجعلت تقلبه فقال انك لتقلبينه حولا قلبا جمع المال من شب الى دب فليته لا يدخل النار ثم تمثل

لقد سعيت لكم من سعي ذي نصب * وقد كفيتكم التطواف والرحلا
ويلغه ان قوما يفرحون بموته فانشد

فهل من خالد ان ماهلكنا * وهل بالموت يا للناس عار

وكان في مرضه ربما اختلط في بعض الاوقات فقال مرة كم بيننا وبين الغوطة فصاحت بنته واحزناه فأفاق فقال ان تتفري فقد رأيت منفرا فلما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر

والمدافع فاظهر السلطان مسالمة صاحب قسطنطينية وذلك في سنة ست وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده أرضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك قسطنطين وقال سبحان الله ما يفعل به فهوله فارسل السلطان المزبور شكرا لله سعيه المبرور جماعة البنائين والصناع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر بنطش وهو البحر الاسود الى بحر الروم فقدوا جلد الثور قدار رقيقا فبسطوه على وجه الارض على أضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذي احاطه ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وحصنا رفيعا باذخا وركب فيها المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان المجاهد في مقابلة ذلك الحصن في بر اناطولي حصنا آخر وهو طرف بلاده فشحنها بالآلات النارية والمرامي الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر بسلكه بعد شئ من مراكب البحر الاسود الى القسطنطينية والى بحر الروم ثم ثنى عزمه الى مدينة ادرنة فامر بانشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا في بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل المكاحل لاجل فتح

واكفان معاوية على يديه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان معاوية كان عود العرب وحد العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد الا انه قدمات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو الهرج الى يوم القيامة فمن كان يريد يشهده فعند الاولى وصلى عليه الضحاك وقيل لما اشتد مرضه أى مرض معاوية كان ولده يزيد يجوارين فكتبوا اليه يحثونه على المجى ليدركه فقال يزيد شعرا

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى كتابكم * قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى الفجاج بها لانأتلى سرعا
فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كان اعبر من اركانها انقطعا
من لم تزل نفسه توفى على شرف * توشك مقاليد تلك النفس ان تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيأ بعد طيرته * والنفس تعلم ان قد اثبت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كانا جميعا فماتا فاطمئن معا
اغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

فاقبل يزيد وقد دفن فاتى قبره فصلى عليه

(ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده)

أما نسبه فهو معاوية بن أبى سفيان واسم ابى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وكنيته ابو عبد الرحمن واما نساؤه وولده فمنهن ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية ام يزيد ابنه وقيل ولدت بنتا اسمها امة رب المشارق فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية وكان عبد الله احمق اجتاز يوما بالطحان وبغله يطحن وفى عنقه جلاجل فسأل عن الجلاجل فقال جعلتها فى عنقه لاعلم ان قد قام فلم تدر الرحا فقال ارايت ان قام وحرك راسه كيف تعلم فقال الطحان ان بغلى ليس له عقل مثل عقل الامير واما عبد الرحمن فمات صغيرا ومنهن نائلة ابنة عمارة الكلابية تزوجها وقال لميسون انظرى اليها فنظرت اليها وقالت رايتها جميلة ولكنى رايت تحت سرتها خالا اليوضعن راس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها حبيب بن مسلمة الفهرى ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير وقتل فوضع رأسه فى حجرها ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة غزا قبرس وهى معه فماتت هناك

* (ذكر بعض سيرته واخباره وقضاته وكتابه) *

لما بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى ثم عزله واستعمل زمل ابن عمرو العذرى وقيل السكسكى وكان كاتبه وصاحب امره سرجون الرومى وعلى حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل ابو المخارق مالك مولى حمير وكان اول من اتخذ الحرس وكان على حجابه سعد مولاه وعلى القضاء فضالة بن عبيد الانصارى فمات فاستقضى ابا ادريس الخولانى وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميرى وكان اول من اتخذ ديوان الخاتم

مدينة قسطنطينية فاكثروا منها ثم لما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأى حازم فى اسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخير والبركات فخيم على قسطنطينية ونازلها من طرف الشمال وكان له أربعمائة غراب قد أنشأها هو وأبوه قبل ذلك التاريخ فارساها عند الحصن الذى أنشأه على مقدار جلد الثور الموسوم ببغزكسن فاهر تلك الاغربة فسبحت الى البر بعد ان جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالعجلة وشحنها بالرجال والابطال ثم أمر بنشر قلاعها فنشرت فى ريح شديدة موافقة فسارت فى البر على هذه الهيئة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالى البلد من طرف مدينة غلطة فامتلأ الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فصارت جسرا ممدودا ومعبرا لطيفا للمسلمين وكان أهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصنوها وانما كان خوفهم من جهة البر

وكان سبب ذلك ان معاوية امر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح عمرو الكتاب وصير المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه انكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه فقضاها عنه اخوه عبد الله بن الزبير فحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية قيل وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه اهل مصر فقال لهم عمرو لا تسلموا على معاوية بالخلافة فانه اهيب لكم في قلبه وصغر وأما استطعتم فلما قدموا قال معاوية لحاجبه كاني بابن النابغة وقد صغر امري عند القوم فانظروا اذا دخل القوم فتعتعوهم أشد ما يحضركم فكان اول من دخل عليه رجل منهم يقال له ابن الخياط فقال السلام عليك يا رسول الله وتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله منهيتكم ان تسلموا عليه بالامارة فسلمتم عليه بالنبوة قيل ودخل عبيد الله بن ابي بكرة على معاوية ومعه ولده فاكثر من الاكل فلحظه معاوية وفطن عبيد الله واراد ان يغمز ابنه فلم يرفع راسه حتى فرغ من الاكل ثم عاد عبيد الله وليس معه ابنه فقال معاوية ما فعل ابنك التلقامة قال اشتكى قال قد علمت ان اكله سيورثه داء قال جويرية بن اسماء قدم ابو موسى الاشعري على معاوية في برنس اسود فقال السلام عليك يا امين الله قال وعليك السلام فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لاوليه والله لاوليه وقال عمرو بن العاص لمعاوية ألست انصح الناس لك قال بذلك نلت مائلت وقال جويرية بن اسماء كان بسر بن ارطاة عند معاوية فنال من علي وزيد بن عمر بن الخطاب حاضر وامهما كلثوم بنت علي فعلاه بالعصا وشجه فقال معاوية لزيد عمدت الى شيخ قريش وسيد اهل الشام فضربته واقبل على بسر فقال تشتم عليا وهو جده وهو ابن الفاروق على رؤس الناس اترى ان يصبر على ذلك فارضاهما جميعا وقال معاوية اني لارفع نفسي من ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعورة لا اواريها بستري واساءة اكثر من احساني وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخي انك قد لهجت بالشعر فايالك والنسيب بالنساء فتعر الشريفة والهجاء فتعركريما وتستثير لئيما والمدح فانه طعمة الوقاح ولكن افخر بفاخر قومك وقل من الامثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك قال عبد الله بن صالح قيل لمعاوية اي الناس احب اليك قال اشدهم لي تحبيبا الى الناس وقال معاوية العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطى العباد فاذا ذكر كروا اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب كظم واذا قدر غفر واذا اساء استغفر واذا وعد انجز قال عبد الله بن عمير اغلظ لمعاوية رجل فاكثر فقيل له أتحلم عن هذا فقال اني لا احول بين الناس وبين السنتهم مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا وقال محمد ابن عامر لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح ومعاوية قد وضع رجلا على رجل فقال عبد الله لبديح ايها يا بديح فتغنى فحرك معاوية رجله فقال عبد الله مه يا امير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم طروب قال ابن عباس ما رايت اخاق للملك من معاوية ان كان ليرد الناس منه ارجاء وادرحب ولم يكن كالضيق الحصحص الحصر يعني ابن الزبير وكان مغضبا وقال صفوان بن عمرو مر عبد الملك بقبر معاوية فوقف عليه فترحم فقال رجل قبر من هذا فقال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن حلم اذا اعطى

فكانوا حصنوها وغفلوا عن هذه الجهة لامر يريده الله تعالى فشرع المسلمون في الحصار والقتال من جهة البر والبحر مدة احد وخمسين يوما حتى أعيا المسلمين أمرها وكان أهل قسطنطينية لما سمعوا بقصد المسلمين اليهم استمدوا من الافرنج فامدوهم بجيش عظيم وعدد فتقووا به وكان السلطان محمد خان قد أرسل وزيره أحمد باشا ابن ولي الدين باشا قبل هذا التاريخ الى خدمة العارف بالله الشيخ آق شمس الدين والى خدمة الشيخ آق بيق يدعوهما للجهاد والحضور معه في فتح قسطنطينية فحضرا وبشر الشيخ شمس الدين الوزير المذكور بالنصر وقال ستفتح قسطنطينية ان شاء الله تعالى على يد المسلمين في هذا العام وانهم سيدخلونها من الموضع الفلاني في اليوم الفلاني من هذا العام وقت الضهوة الكبرى وأنت تكون حينئذ واقفا عند السلطان محمد فبشر الوزير السلطان بما بشر به الشيخ من خبر الفتح فلما صار ذلك الوقت الموعود له ولم تفتح القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب

الى الشيخ فمنعوه من الدخول اليه لانه أوصى جماعته ان لا يدخلوا عليه أحدا فرفع الوزير اطناب الخيمة فنظر فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكى فارفع الوزير رأسه الاوقد قام الشيخ على رجليه وكبر فقال الحمد لله الذى منحنا فتح هذه المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا باجمعهم ففتح الله ببركة دعائه فى ذلك الوقت الذى كان اشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطباق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولى الدين واقف عنده فقال هذا ما اخبر به الشيخ وقال ما فرحت بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الرجل فى زمانى ومن مناقب هذا الشيخ انه كان طبيبا يداوى الابدان كما هو طبيب لداء الارواح يحكى ان الاعشاب كانت تناديه وتقول له انا أنفع من المرض الفلانى وكان فتح المدينة نهار الاربعاء لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكانت ايام محاصرته احدا وخمسين يوما فغنم المسلمون

اغنى واذا حارب افنى ثم بجل له الدهر ما اخره لغيره ممن بعده هذا قبر ابى عبد الرحمن معاوية ومعاوية أول خليفة بايع لولده فى الاسلام وأول من وضع البريد وأول من سمى الغالية التى تتخذ من الطيب غالية وأول من عمل المقصورة فى المساجد وأول من خطب جالسا فى قول بعضهم

(ذكر بيعة يزيد)

قيل وفى رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت ابيه على ما سبق من الخلاف فيه فلما تولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن ابى سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يكن ليزيد همة الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد يخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيرا فيه اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما اتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه وبعث الى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينة من قبل الوليد فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف اليه مستكارها فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارما له حتى جاءنى معاوية فلما عظم على الوليد هلاكه وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى ان تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان أبوا ضربت أعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا الى نفسه اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب ان يلى على الناس الا ان يدفع اليه هذا الامر عفوا فارسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما فى المسجد وهما جالسان فاتاهما فى ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال اجيبا الامير فقالا انصرف الآن نأتيه وقال ابن الزبير للحسين ما تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها فقال الحسين اظن ان طاغيتهم قد هلك فبعث الينا لأخذنا بالبيعة قبل ان يفشو فى الناس الخبر فقال وانا ما اظن غير ما تريد ان تصنع قال الحسين اجمع فتياني الساعة ثم امشى اليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه قال فانى اخافه عليك اذا دخلت قال لا آتيه الا وأنا قادر على الامتناع فقام فجمع اليه اصحابه وأهل بيته ثم اقبل على باب الوليد وقال لاصحابه انى داخل فاذا دعوتكم او سمعتم صوتى قد علا فاقتحموا على باجمعكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فقال الحسين الصلة خير من القطيعة والصلح خير من الفساد وقد آن لكما ان تجتمعا اصلح الله ذات بينكما وجلس فاقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع الحسين وترحم على معاوية وقال اما البيعة فان مثلى لا يبايع سرا ولا يجتزى بها منى سرا فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحدا فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فقال له مروان لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبسه فان بايع والا ضربت عنقه فوثب عند ذلك الحسين وقال ابن الزرقاء أأنت تقتلنى ام هو كذبت والله ولؤمت ثم خرج

حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبدا فقال الوليد ويح غيرك يا مروان والله ما احب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وانى قتلت حسينا ان قال لا أبايع والله انى لأظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة قال مروان قد أصبت يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه وأما ابن الزبير فقال الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث اليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز فالح عليه الوليد وهو يقول امهلوني فبعث اليه الوليد موالي فشتموه وقالوا له يا ابن الكاهلية لتأتين الامير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد استربت لكثرة الارسال فلا تعجلوني حتى أبعث الى الامير من يأتيني برأيه فبعث اليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كف عن عبد الله فانك قد افزعته وذعرته وهو يأتيك غدا ان شاء الله تعالى فرر سلك فلينصرفوا عنه فبعث اليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فاخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وساروا نحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين لما لتهم ثم أرسل الرجال الى الحسين فقال لهم اصبحوا ترون وترى وكانوا يقولون عليه فكفوا عنه فسار من ليلته وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة وأخذ معه بنيه واخوته وبني أخيه وجل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له يا أخي أنت أحب الناس الي وأعزهم علي ولست ادخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تنح ببيعتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث رسلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك انى أخاف ان تأتي مصرا وجماعة من الناس فيختلفوا عليك فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لاول الاسنة فاذا خير هذه الامة كلها نفسا وابا واما أضيعها دما واذلها أهلا قال الحسين فاين اذهب يا أخي قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك وان نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويفرق لك الرأي فانك أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبدا اشكل منها حين تستدبرها قال يا اخي قد نصحت وأشفقت وأرجو ان يكون رأيك سديدا وموفقا ان شاء الله ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ

لا ذعرت السوام في شفق الصبـ ـح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا

ولما سار الحسين نحو مكة قرأ فخرج منها خائفا يترقب الآية فلما دخل مكة قرأ ولما توجه تلقاء مدين الآية ثم ان الوليد أرسل الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا لا يخوفونه وقيل ان ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما ما وراءكما فقالا لا موت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا قال ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخلها قال انا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية

من الاموال والاسباب والدواب مالم يسمع بمثله في عصر من الاعصار لان السلطان لما شاهد الحي والقتور من العسكر في الحصار أمر بان ينادي ان الغنائم كلها لهم ويكفيني فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله لهم فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح في الآفاق هابه ملوك العالم فارسل اليه صاحب مصر وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولاشك ان هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا همهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وافنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه وانما حباه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه اعلم الملوك وأعدلهم وأحسنهم سيرة وأخلصهم نية وطوية وضمن بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح فقال

رام أمر الفتح قوم أولون
حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ فتح المدينة بعدد حساب الحروف وقيل في تاريخها

(ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد)

في هذه السنة عزل الوليد بن عتبة عن المدينة عزله يزيد واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء فارسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا لهواهم في أخيه عبد الله منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن ابن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم فضربهم الاربعين الى الخمسين الى الستين فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله الى أخيه فقال لا توجه اليه رجلا أنكاله مني فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمائة فجاء مروان بن الحكم الى عمرو بن سعيد فقال له لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت وخلوا ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو يلوح فقال عمرو بن الزبير والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم انف من رغم وأتى أبو شريح الخزاعي الى عمرو فقال له لا تغز مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمرو نحن اعلم بحرمتها منك ايها الشيخ فسار أنيس في مقدمته وقيل ان يزيد كتب الى عمرو ابن سعيد ليرسل عمرو بن الزبير الى اخيه عبد الله ففعل فارسله ومعه جيش نحو ألفي رجل فنزل أنيس بذي طوى ونزل عمرو بالابطح فارسل عمرو الى أخيه بتجديد بيعة يزيد وكان حلف ان لا يقبل بيعته الا أن يؤتى به في جامعة وتعال حتى اجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك في بلد حرام فارسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن اجتمع اليه فهزمه ابن صفوان بذي طوى وأجهز على جريحهم وقتل أنيس بن عمرو وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو بن الزبير ففرق عن عمرو اصحابه فدخل دار ابن علقمة فاتاه أخوه عبيدة فاجاره ثم أتى عبد الله فقال له اني قد اجرت عمرا فقال أتجير من حقوق الناس هذا ما لا يصلح وما أمرتك ان تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله ثم اقاد عمرا من كل من ضربه الا المنذر وابنه فانهما أبيا ان يستقيدا ومات تحت السياط

(ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل)

لما خرج الحسين من المدينة الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع فقال له جعلت فداك أين تريد قال أما الان فمكة وأما بعد فاني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداءك فاذا أتيت مكة فاياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤمة بها قتل أبوك وخذل أخوك واعتل بطعنة كادت تأتي على نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا تعدل بك أهل الحجاز أحدا وتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة وأهلها يختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو اثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين باقيا بالبلد ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا مسير الحسين الى مكة

وكتبوا

أيضا بلدة طيبة ٨٥٧ وهي كذلك في طيب الهواء وعذوبة الماء وهي من الاقليم الخامس بينها وبين مكة المكرمة ألف ميل وثلثمائة وثمانون ميلا ونصف ميل ولما دخل السلطان المدينة سارع بالتوجه الى كنيستها العظمى اياصوفية فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحمده واثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وعين له أوقافا ومرتبات ثم ان السلطان محمدا خان التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر أبي أيوب الانصاري فقال الشيخ اني شاهدت في موضع نور العلى قبره هنالك فجاء اليه وتوجه زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهنأني بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذي خلصوني به من ظلمة الكفر فاخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هنالك فقال التمس منك يا مولانا الشيخ ان تريني علامة أراها بعيني ويطمئن بذلك قلبي فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا في هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني فلما حفروا

وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب
ابن مظاهر وغيرهم بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما
بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها
فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا امام فأقبل لعل
الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد
ولو بلغنا اقبالك الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه كتابا آخر
وسيروه بعد ليلتين فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثم اوردوا اليه رسولا ثالثا
يحثونه على المسير اليهم ثم كتب اليه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن
رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك فكتب اليهم
الحسين عند اجتماع الكتب عنده اما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت اليكم
بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته ان يكتب الي بحالكم وأمركم ورأيكم
فان كتب الي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم
اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين
الحق والسلام واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية
بنت سعد وكانت تشيع وكان منزلها للهم مألفا يتحدثون فيه فعزم يزيد بن بنيط على الخروج
الى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معي فخرج معه ابنان
له عبد الله وعبيد الله فساروا فقدموا عليه بمكة ثم سار وامعه فقتلوا معه ثم دعا الحسين مسلم بن
عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فان رأى الناس مجتمعين له
عجل اليه بذلك فأقبل مسلم الى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع أهله
واستأجر دليلين من قيس فاقبلا به فضلا الطريق وعطشا فمات الدليلان من العطش وقالا
لمسلم هذا الطريق الى الماء فكتب مسلم الى الحسين اني اقبلت الى المدينة واستأجرت دليلين
فضلا الطريق واشتد علينا العطش فماتا واقبلنا حتى انتهينا الى الماء فلم ننج الا بحشاشة
أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت فان رأيت اعفيتني وبعثت
غيري فكتب اليه الحسين اما بعد فقد خشيت ان لا يكون حملك على الكتاب الي الا الجبن
فامض لوجهك والسلام فسار مسلم حتى اتى الكوفة ونزل في دار المختار وقيل غيرها واقبلت
الشيعة تختلف اليه فكلما اجتمعت اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه
من أنفسهم القتال والنصرة واختلفت الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير وهو
أمير الكوفة فصعد المنبر فقال اما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما تهلك الرجال
وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية ثم قال اني لا اقاتل من لم
يقاتلني ولا أثب على من لا يثب علي ولا انبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا
التهمة ولكنكم ان ابديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذي لا اله غيره
لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي ولم يكن لي منكم ناصر ولا معين اما اني ارجو ان يكون

ظهر رخام عليه خط عبراني
فقرأه من يعرفه وفسره فاذا
هو قبر أبي ايوب الانصاري
فتحير السلطان محمد خان
وغلب عليه الحال حتى كاد
ان يسقط لولا ان أمسكوه
ثم أمر ببناء القبة عليه وامر
ببناء الجامع والحجرات
والقمن من الشيخ آق شمس
الدين ان يجلس في ذلك
المكان مع توابعه فامتنع
واستأذن بالرجوع الى
وطنه قصبة كوينك فاذن
له السلطان تطييبا لقلبه ولما
دخل المسلمون الى مدينة
قسطنطينية ارسل صاحب
غلطه مفاتيح قلعتها ففتحت
ودخلها المسلمون وتسارعوا
الى مسجدها القديم الذي
كان بناه مسلمة بن عبد الملك
يوم حصرها وكان الكفار
صيروه كنيسة لهم كما سيأتي
بيان ذلك في محله ان شاء الله
تعالى وفي هذه السنة بعث
اهل مدينة سلوري وهي
من امنع الحصون واحسنها
موقعا بمفتاح قلعتها وكذلك
بعث بمفتاح قلعة برغوسي
بقرب أدرنه وسلك هذا
المسلك كثير من اهل
القلاع بعد ما بلغتهم فتح
القسطنطينية وفي سنة ستين
وثمانمائة غزا السلطان محمد
خان بلاد اذكروس وانتصر
عليهم وانجرح كبيرهم

من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل فقام اليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال انه لا يصلح ما نرى الا الغشم ان هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين فقال أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب الي من ان أكون من الاعزين في معصية الله ونزل فكتب عبد الله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول له ان كان لك في الكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف وكان هو أول من كتب اليه ثم كتب اليه عمارة ابن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فاقرأه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال له سرجون أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فاخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأي معاوية ومات وقد أمرني بهذا الكتاب فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة فامره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر بالتجهز للمسير من الغد وكان الحسين قد كتب الى أهل البصرة نسخة واحدة الى الاشراف فكتب الى مالك بن مسمع البكري والاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله وان السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت فكلهم كتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف ان يكون دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب الناس وقال اما بعد فوالله ما بي تقرن الصعبة وما يقعقع لي بالشنان واني لنكل لمن عادني وسلم لمن حاربني وانصف القارة من رماها يا أهل البصرة ان امير المؤمنين قد ولاني الكوفة وأنا غاد اليها بالغداة وقد استخلف عليكم أخي عثمان بن زياد فاياكم الخلاف والارجاف فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولا خذن الادنى بالاقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق واني انا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الاعور الحارثي وحشمه وأهل بيته وكان شريك شيعيا وقيل كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه فكان أول من سقط شريك وكان رجوا ان يقف عليهم ويسبقه الحسين الى الكوفة فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بك يا ابن رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فاغلق عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون فقال له النعمان انشدك الله الا انتحيت عني فوالله ما أنا بمسلم اليك امانتي ومالي في قتالك من حاجة فدنا منه عبيد الله وقال له افتح لا فتحت فسمعها انسان خلفه فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانة ففتح له النعمان فدخل واغلقوا الباب وتفرق الناس واصبح فجلس على المنبر وقيل بل خطبهم من يومه فقال اما بعد فان أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده فانا لمحسنكم

بجرا منكرا من آل عاقبة امره ان توفي منه ثم سار فنزل مدينة بلغراد مدة ثم ارتحل منها لمصادفة الشتاء ووقوع بعض فتن في البلاد الاسلامية وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة امر السلطان ببناء دار السعادة العتيقة بقرب الجامع الذي أنشأه السلطان بايزيد خان وهي أول دار انشأتها الملوك العثمانية في مدينة قسطنطينية وفي سنة احدى وستين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد موره فافتتحها واستولى عليها وصيرها دار الاسلام واسكن فيها طائفة من العرب ثم غلب عليهم الروم فتنصر جماعة منهم ورحل جماعة عنها ثم عاد السلطان لما بلغه ذلك وافتتح نحو ستين قلعة لم يدخلها مسلم قط وبالجملة لم يبق في بلاد موره حصن حتى فتحه وفي هذه السنة خاف على نفسه من صولة السلطان محمد خان صاحب سينوب الامير فزل احمد بن اسفنديار بن بايزيد الزمن ولحق الى سلطان العجم حسن بيك الطويل يستنجده ويحركه على المسير على السلطان محمد خان كما فعله سلفه فلما بلغ السلطان ذلك سار الى بلاد اسفنديار واستولى على مدينة

كالوالد البر واطيعكم كالاخ الشفيق وسيفي وسوطي على من تركك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه ثم نزل فأخذ العرفاء والناس اخذا شديدا وقال اكتبوا الي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم الي فبريء ومن لم يكتب لنا أحدا فليضمن لنا ما في عرافته ان لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله وايما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحدا لم يرفعه الينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة ثم نزل وسمع مسلم بمقالة عبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة المرادي فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج اليه فلما رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال له هانئ لقد كلفتني شططا ولولا دخولك داري لاحببت ان تنصرف عني غيرانه يأخذني من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة اليه في دار هانئ ودعا ابن زياد مولى له واعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم انك منهم واعلم اخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن عوسجة الاسدي بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال له ياعبد الله اني امرؤ من أهل الشام انعم الله علي بحب اهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني انه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت نفرا يقولون انك تعلم امر هذا البيت واني أتيتك لتقبض المال وتدخلني على صاحبك أبايعه وان شئت اخذت بيعتي له قبل لقائي اياه فقال لقد سرني لقاؤك اياي لنيل الذي تحب وينصر الله بك اهل بيت نبيه وقد ساءني معرفة الناس هذا الامر مني قبل ان يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته فأخذ بيعته والمواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن واختلف اليه اياما ليدخله على مسلم بن عقيل ومرض هانئ بن عروة فأتاه عبيد الله يعوده فقال له عمارة بن عبيد السلولي انما جاءنا عينا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد امكنك الله فاقتله فقال هانئ ما احب ان يقتل في داري وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن الاعور وكان قد نزل على هانئ وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الامراء وكان شديد التشيع قد شهد صفين مع عمار فارسل اليه عبيد الله اني رائح اليك العشية فقال لسلم ان هذا الفاجر عائدي العشية فاذا جلس اخرج اليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس احد يحول بينك وبينه فان برئت من وجعي سرت الى البصرة حتى اكفيك امرها فلما كان من العشي اتاه عبيد الله فقام مسلم بن عقيل ليدخل فقال له شريك لا يفوتنك اذا جلس فقال هانئ بن عروة لا احب ان يقتل في داري فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فأطال فلما رأى شريك ان مسلما لا يخرج خشي ان يفوته فأخذ يقول * ما تنظرون بسلمى لا تحيوها * اسقونيها وان كانت بها نفسي فقال ذلك مرتين او ثلاثا فقال عبيد الله ما شأنه تراه يهجر فقال له هانئ نعم ما زال هذا داءه قبيل الصبح حتى ساعته هذه فانصرف وقيل ان شريكا لما قال اسقونيها وخلط كلامه فطن به مهران فغمز عبيد الله فوثب فقال له شريك ايها الامير اني أريد ان اوصي اليك فقال اعود

قسطموني وعلى سينوب وعلى قلعة طرابزون ثم توجه الى بلاد الكرج فعاث عسكره فيها وغنموا منها اشياء كثيرة وفي سنة خمس وستين وثمانمائة جهز السلطان من جهة البحر عمارة عظيمة الى فتح جزيرة مدللو وكان قد كثر الضرر منها للمسلمين في البحر فضبطوا جميع الجزيرة وصيروها دار الاسلام وشحنوها بالمسلمين وفي هذه السنة أمر السلطان محمد خان ببناء جامع في محلته المعروفة الان وثمان مدارس حوالي الجامع على ترتيب لطيف ثم بنى خلف المدارس الثمان ثمانيات للمدارس ذات حجرات كثيرة للطلبة المستعدين واستجلب العلماء الكبار من اقصى الديار وانعم عليهم وعطف باحسانه اليهم مثل مولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الرباني مولانا الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام ووقف قوانين تطابق المعقول والمنقول وجعل لهم مراتب يرتقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتبار عليها الى ان يوصلوا الى سعادة الدنيا ويتصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى

اليك فقال له مهران انه أراد قتلك فقال وكيف مع اكرامي له وفي بيت هانئ ويد أبي عنده فقال له مهران هو ما قلت لك فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل فقال له شريك ما منعك من قتله قال خصلتان اما احداهما فكراهية هانئ ان يقتل في منزله واما الاخرى فحديث حدثنيه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن فقال له هانئ لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا ولبث شريك بعد ذلك ثلاثا ثم مات فصلى عليه عبيد الله فلما علم عبيد الله ان شريكا كان حرضا على قتله قال والله لا اصلي على جنازة عراقي أبدا ولولا ان قبر زياد فيهم لنبشت شريكا ثم ان مولى ابن زياد الذي دسه بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فادخله على مسلم بن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله وجعل يختلف اليهم ويعلم أسرارهم وينقلها الى ابن زياد وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعا عبيد الله محمد بن الاشعث واسماء بن خارجة وقيل دعا معهما بعمرو بن الحجاج الزبيدي فسألهم عن هانئ وانقطاعه فقالوا انه مريض فقال بلغني انه يجلس على باب داره وقد برأ فالقوه فروه ان لا يدع ما عليه في ذلك فأتوه فقالوا له ان الامير قد سأل عنك وقال لو أعلم انه شاك لعدته وقد بلغه انك تجلس على باب دارك وقد استبطأك والجفاء لا يحتمله السلطان اقسمنا عليك لو ركبت معنا فلبس ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر احست نفسه بالشر فقال لحسان بن اسماء بن خارجة يا ابن أخي اني لهذا الرجل خائف فما ترى فقال ما اتخوف عليك شيأ فلا تجعل على نفسك سبيلا ولم يعلم اسماء مما كان شيأ واما محمد بن الاشعث فانه علم به فقال فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضي اتتك بحائن رجلاه فلما دنا منه قال عبيد الله

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرما له فقال هانئ وما ذاك فقال ياهانئ ما هذه الامور التي تربص في دارك لامير المؤمنين والمسلمين جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك يخفى لك قال ما فعلت قال بلى وطال بينهما النزاع فدعا ابن زياد مولاه ذا العين فجاء حتى وقف بين يديه فقال أتعرف هذا قال نعم وعلم هانئ انه كان عينا عليهم فسقط في يده ساعة ثم راجعته نفسه قال اسمع مني وصدقني فوالله لا أكذبك والله ما دعوته ولا علمت بشئ من أمره حتى رأيته جالسا على بابي يسألني النزول علي فاستحييت من رده ولزمني من ذلك ذمام فادخلته داري وضفته وقد كان من أمره الذي بلغك فان شئت اعطيتك الآن موثقا تطمئن به ورهينة تكون في يدك حتى انطلق وأخرجه من داري وأعود اليك فقال لا والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به قال لا آتيك بضيني تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره فقال خلني واياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه وأخذها نشا وخلا به ناحية من ابن زياد بحيث يراهما فقال له ياهانئ انشدك الله ان تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك ان هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه فادفعه اليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة انما تدفعه الى السلطان قال بلى والله ان علي في ذلك خزيا وعارا لادفع ضيفي وانا صحيح شديد الساعد كثير الاعوان والله لو كنت واحدا ليس لي ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه فسمع ابن زياد ذلك فقال أدنوه مني فادنوه منه فقال والله لتأتينني به أو لاضربن عنقك قال اذن والله تكثر

وعين للارامل والايتام في كل سنة من النفقة والكسوة ما ينيف لهم وقد اتفق الفراغ من بنائه في رجب سنة خمس وسبعين وثمانمائة وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة غزا السلطان بلاد بوسنه بعسكر كثير وقاتلهم اشد القتال واستولى على عامة بلادهم وصيرها دار الاسلام ولم يقسم للكفار بعد ذلك قائم هنالك ثم بعد ما مهد أمور تلك البلاد صوب عنان عزيمته الى فتح بلاد ارنود وهم صنف من النصارى يتصبرون على المحن ويتكلفون الاعمال الشاقة قيل اصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بها الاسلام فقدموا من هنالك الى هذه البلاد وتوطنوا بها فازدادوا وكثروا وقيل هم طائفة من عرب البربر عبروا البحر الى هذا الصوب مع يعقوب بن منصور الموحدي فبقوا فيها مدة ولم يزالوا بها حتى غلب عليهم الجهل فتنصروا ثم ان السلطان دخل بلاد ارنود فنهبها واستولى على عدة قلاع هنالك وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هنالك كالسد بيننا وبين الكفار وشحنها بالرجال

البارقة حول دارك وهو يرى ان عشيرته ستمنعه فقال يا البارقة تخوفني وقيل ان هانئا لما رأى ذلك الرجل الذي كان عينا لعبيد الله علم انه قد أخبره الخبر فقال أيها الامير قد كان الذي بلغك وان أضيع يدك عندي وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت فاطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم على رأسه وفي يده معكزة فقال واذلاه هذا الحائك يؤمنك في سلطانك فقال خذه فأخذ مهران ضفيرتي هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هانئ يده الى قائم سيف شرطي وجبذه فمنع منه فقال له عبيد الله احرري احلت بنفسك وحل لنا قتلك ثم أمر به فألقي في بيت واغلق عليه فقام اليه اسماء بن خارجة فقال ارسله يا غادر أمرتنا ان نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت انك تقتله فأمر به عبيد الله فلهز وتعتع ثم ترك فخلص فأما ابن الاشعث فقال رضينا بما رأى الامير لنا كان أو علينا وبلغ عمرو بن الحجاج ان هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حتى احاطوا بالقصر ونادى انا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوههم لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة فقال عبيد الله اشريح القاضي وكان حاضرا ادخل على صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي ففعل شريح فلما دخل عليه قال له هاني يا للمسلمين اهلكت عشيرتي أين اهل الدين اين أهل النصر ايحزر وني عدوهم وابن عدوهم وسمع الضجة فقال يا شريح اني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين انه ان دخل علي عشرة نفر انقذوني فخرج شريح ومعه عين ارسله ابن زياد قال شريح لولا مكان العين لابلغتهم قول هانئ فلما خرج شريح اليهم قال قد نظرت الى صاحبكم وانه حي لم يقتل فقال عمرو وأصحابه اذا لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه يا منصور امت وكان شعارهم وكان قد بايعه ثمانية عشر الفا وحوله في الدور اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير فعقد مسلم لعبد الله بن عزير الكندي على ربع كندة وقال سر امامي وعقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج واسد وعقد لابي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة واقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز في القصر واغلق الباب واحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس ومازالوا يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله امره وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون رجلا من الاشراف واهل بيته ومواليه واقبل اشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين والناس يسبون ابن زياد وأباه فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وامره ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك لقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجر العجلي وشمر ابن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم لقلة من معه وخرج اولئك النفر يخذلون الناس وامر عبيد الله من عنده من الاشراف ان يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا اهل الطاعة ويخوفوا اهل المعصية ففعلوا فلما سمع الناس مقالة اشرافهم اخذوا يتفرقون حتى ان المرأة تأتي ابنها واخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل

وسماها أقي حصار واودع فيها من المدافع والمكاحل ما يقيها وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة نصب السلطان محمد خان على صاحب قونية ولارندة أحمد بيك بن قرمان فانتزع الملك منه وفوض بلاد قرمان لابنه السلطان مصطفى ثم استولى على بعض قلاع عاصية هناك مثل قلعة اركلي وقلعة أق سراى وقلعة كولك وقلعة كولى وسلم الجميع الى ابنه المذكور وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة بعث صاحب العجم حسن بيك الطويل يوسنجه بيك مع عسكر التتار الى نهب بلاد ابن عثمان فجاؤا ونهبوا مدينة بوقات واضرموا فيها النار واحرقوها ثم اغتر بذلك يوسنجه بيك فهجم على بلاد قرمان واغار عليها وكان واليها يومئذ السلطان مصطفى وكان شجيعا الى الغاية فقابل العدو وقاتله وهزمه واسر رئيسهم يوسنجه بيك وكحله في الحديد وارسله مع عدة اسارى من الامراء الى أبيه السلطان محمد خان فكان ذلك عنوان الفتح ومقدمة النصر وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة استجاش كل من الملكين

ذلك فجاز الواية فترقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلا فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كندة فلما خرج الى الباب لم يبق معه أحد فمضى في ازقة الكوفة لا يدري اين يذهب فانتهى الى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة ام ولد كانت للاشعث واعتقها فتزوجها السيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته فجلس فقالت له يا عبد الله الم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى اهلك فسكت فقالت له ثلاثا فلم يبرح فقالت سبحان الله اني لا أحل لك الجلوس على بابي فقال لها ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلي اكافئك به بعد اليوم قالت وما ذاك قال انا مسلم ابن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت ادخل فادخلته بيتا في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت فقال لها ان لك لشأنا في ذلك البيت وسألها فلم تخبره فألح عليها فأخبرته واستكتمته واخذت عليه الايمان بذلك فسكت واما ابن زياد فلما لم يسمع الاصوات قال لاصحابه انظروا هل ترون منهم احدا فنظروا فلم يروا احدا فنزل الى المسجد قبيل العتمة واجلس اصحابه حول المنبر وامر فنودي برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة الا في المسجد فامتلأ المسجد فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال اما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ومن أتانا به فله ديته وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم ان يسد أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط وهو من بني تميم ودخل ابن زياد وعقد لعمرو ابن حريث وجعله على الناس فلما أصبح جلس للناس ولما اصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم ابن عقيل اتى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأخبره بمكان ابن عقيل فأتى عبد الرحمن اباه وهو عند ابن زياد فأسره بذلك فأخبره به محمد ابن زياد فقال له ابن زياد قم فأتني به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل فلما سمع الاصوات عرف انه قد أتي فخرج اليهم بسيفه حتى اخرجهم من الدار ثم عادوا اليه فحمل عليهم فأخرجهم مرارا وضرب بكير بن حمران الاحمري فم مسلم فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فأقبل يقاتلهم وهو يقول

اقسمت لا اقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
أو يخلط البارد سخنا مرا * رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوما يلاقي شرا * اخاف أن اكذب أو اغرا

فقال له محمد انك لا تكذب ولا تخدع القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاريك وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال فأسند ظهره الى حائط تلك الدار فأمنه ابن الاشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلمي فانه قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وأتى ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكأنه ايس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا أول الغدر وقال محمد ارجو ان لا يكون

سلطان الروم وصاحب العجم حسن الطويل الى قتال الاخر فسار كل من الملكين في عسكر ضخم كثيف لا يحصون وجيش عرمرم لا يعدون واتفق ملاقاتهما بقرب من بلدة بايبورد فاقتتل الفريقان وامتزج البحران وتصاول الاسود واختلط الاعلام والبنود ومال السلطان مصطفى وهو كالسيف الصارم والشجاع الحازم على طرف ولد سلطان العجم زينل شاه فقاتله قتالا شديدا حتى ظفر به وقتله فلما بلغ ذلك حسن الطويل انقصم ظهره وفتى صبره وانتصر العساكر المحمدية فلم يبق له مجال القرار حتى صوب عنان فرسه للفرار وجعل الجيوش العثمانية يطاردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم حتى اسروا منهم عدة امراء اكابر وقتلوا من عسكره ما تعرست المفاوز بجثثهم وابدانهم وجرت الشعاب والاودية بدمائهم وفاز السلطان محمد خان بالنصر والغنائم ثم سار الى قره حصار الشرقي وهي من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وادرجها في جملة ممالكه وفي هذه السنة بعث السلطان محمد خان

عليك بأمس قال وما هو الا الرجاء ابن امانكم ثم بكى فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمى من يطلب مثل الذى تطلب اذا نزل به مثل الذى نزل بك لم يبك فقال ما ابكى لنفسى ولكنى أبكى لاهلى المنقلبين اليكم ابكى للحسين وآل الحسين ثم قال لمحمد بن الاشعث انى ارالك ستعجز عن أمانى فهل تستطيع ان تبعث من عندك رجلا يخبر الحسين بحالى ويقول له عنى ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل فقال له ابن الاشعث والله لانعلن ثم كتب بما قال مسلم الى الحسين فلقيه الرسول بزبالة فاخبره فقال كل ما قدر نازل عند الله نحتسب انفسنا وفسادامتنا وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم اليه يخبره انه بايعه ثمانية عشر ألفا ويستحثه للقدوم واما مسلم فان محمدا اقدم به القصر ودخل محمد على عبيد الله فأخبره الخبر وبامانه له فقال له عبيد الله ما انت والامان ما ارسلناك لتؤمنه انما ارسلناك لتأتينا به فسكت محمد ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد فقال اسقونى من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو الباهلى اتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم فى نار جهنم فقال له ابن عقيل من أنت قال انا من عرف الحق اذ تركته ونصح الامة والامام اذ غششته وسمع واطاع اذ عصيته انا مسلم بن عمرو فقال له ابن عقيل لامك الثكل ما اجفاك وافظك واقسى قلبك واغلظك انت يا ابن باهلة اولى بالحميم والخلود فى نار جهنم منى قال فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصب له فى قدح فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دما ففعل ذلك ثلاثا فقال لو كان من الرزق المقسوم شربته وادخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالامارة فقال له الحرسى الا تسلم على الامير فقال ان كان يريد قتلى فما سلامى عليه وان كان لا يريد قتلى فليكثرن تسليمى عليه فقال له ابن زياد لعمرى لتقتلن فقال كذلك قال نعم قال فدعنى أوص الى بعض قومى قال افعل فقال لعمر بن سعد ان بينى وبينك قرابة ولى اليك حاجة وهى سر فلم يمكنه من ذكرها فقال له ابن زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك فقام معه فقال ان على بالكوفة دينا استدنته انفقته سبعمائة درهم فاقضها عنى وانظر جثتى فاستوهبها فوارها وابعث الى الحسين من يرده فقال عمر لابن زياد انه قال كذا وكذا فقال ابن زياد لا يخونك الامين ولكن قد يؤتمن الخائن اما مالك فهو لك تصنع به ما شئت واما الحسين فان لم يردنا لم نرده وان اراد نا لم نكف عنه واما جثته فانا لن نشفعك فيها وقيل انه قال اما جثته فانا اذا قتلناه لا نبالى ما صنع بها ثم قال لمسلم يا ابن عقيل اتيت الناس وامرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم فقال كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا ان أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر فاتينا هم لنأمر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة فقال وما انت وذاك يا فاسق لم يكن يعمل بذلك فيهم اذ انت تشرب الخمر بالمدينة قال أنا اشرب الخمر والله ان الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق وانى لست كما ذكرت وان احق الناس بشرب الخمر منى من يلغ فى دماء المسلمين فيقتل النفس التى حرم الله قتلها على الغضب والعداوة وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيأ فقال له ابن زياد قتلنى الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام قال اما انك احق من احدث فى الاسلام ما ليس فيه اما انك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا احد من الناس احق بها منك فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعليا وعقيلا فلم يكلمه مسلم ثم امر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته

وزيره كذلك احمد باشا لفتح بلاد كفة فلما وصل اليها حاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح هنالك عدة قلاع وحصون وفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة سار الملك المجاهد السلطان محمد خان الى قتال كفار بغدان لخلاف منه كبيرهم استفان النصرانى فهرب الى اقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان فتوغل بها وقتل من قدر عليه فكانوا خلقا لا يحصى واسر وسبى وغنم منهم أموالا لا تحصى حتى أذعن رئيسهم استفان المذكور بالطاعة واعطاء الجزية وفى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة أمر السلطان بانشاء دار السعادة الجديدة فى محلها المعروف الآن فشرع فيها فجاءت على أوسع مكان وبساتين وقصور ورتبه ترتيبا بحيث لم يدرك مثله (حكى) ان السلطان محمد خان الغازى امر ابنه السلطان بايزيد بان يبعث اليه بابنيه السلطان أحمد والسلطان سليم فلما قدما اليه جلس السلطان محمد خان على التخت وأخذ يجرم من اذن كل منهما اليمنى اليه فبكى السلطان سليم من شدة غضبه

فأمر السلطان باحضار طرائف التحف من الخزينة ليرضيهما فرضى السلطان أحمد وقام وقبل يديه وأبى السلطان سليم ان يرضى ثم أمر له بنفائس الاموال فاحضرت فاعطاها له ليرضى فلم يرض فعند ذلك قال له السلطان يا ولدى نصطلح معك فقال السلطان سليم والله ما أصطلح معك ان لى عليك حقا ابقيه الى يوم القيامة فانزعج السلطان وقال لوزرائه اعلموا ان ولدى هذا هو الذى يملك هذا الفتح ثم ختنهما وارسلهما الى والدتهما فلما تم أمر الختان بدا للسلطان محمد خان ان يسافر الى بلاد اناطولى فقام وخيم بعسكره ظاهر اسكدار بسفح جبل هناك يقال له مادل بسى فاتفق ان مرض السلطان مرض الموت فأوصى بالملك الى ولده بايزيد وذلك فى سنة ست وثمانين وثمانمائة وتوفى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فحمل وصلى عليه بجامعه الذى انشأه وكانت مدة ملكه استقلالا بعد أبيه احدى وثلاثين سنة وشهرين وعمره احدى وخمسون سنة

ويتبعوا رأسه جسده فقال مسلم لابن الاشعث والله لولا امانك ما استسلمت قم بسيفك دونى قد اخفرت ذمتك فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبح وأشرف به على موضع الحدائين فضربت عنقه وكان الذى قتله بكير بن حمران الذى ضربه مسلم ثم أتبع رأسه جسده فلما نزل بكير قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يسبح ويستغفر فلما قتلته قلت له ادن منى الحمد لله الذى امكن منك واقادنى منك فضربته ضربة لم تغن شيأ فقال اما ترى فى خدش تخدشنيه وقام من دمك ايها العبد فقال ابن زياد وفخر اعند الموت قال ثم ضربته الثانية فقتلته وقام محمد بن الاشعث فكلم ابن زياد فى هانئ وقال له قد عرفت منزلته فى المصر وبيته وقد علم قومه انى أنا وصاحبى سقناه اليك فانشدك الله لما وهبته لى فانى أكره عداوة قومه فوعده ان يفعل فلما كان من مسلم ما كان بدا له فأمر بها فحين قتل مسلم فأخرج الى السوق فضربت عنقه فقتله مولى تركى لابن زياد قال فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادى بعد ذلك بخازر مع ابن زياد فقتله فقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى قتل هانئ ومسلم وقيل قاله الفرزدق (الزبير بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة)

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوى من طمار قتيل

وهى ابيات وبعث ابن زياد برأسيهما الى يزيد فكتب اليه يزيد يشكره ويقول له وقد بلغنى ان الحسين قد توجه نحو العراق فضع المراصد والمسالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير ان لا تقتل الا من قاتلك قيل وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وقيل لتسع مضين منه قيل وكان فيمن خرج معه المختار بن ابى عبيد وعبد الله ابن الحرث بن نوفل فطلبهما ابن زياد وحبسهما وكان فيمن قاتل مسلما محمد بن الاشعث وشبث بن ربعى التميمى والقعقاع بن شور وجعل شبث يقول انظروا بهم الليل لئلا يتفرقوا فقال له القعقاع انك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرقوا

(ذكر مسير الحسين الى الكوفة)

قيل لما اراد الحسين المسير الى الكوفة بكتب أهل العراق اليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام وهو بمكة فقال له انى أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فان كنت ترى انك مستنصحى قلتها واديت ما على من الحق فيها وان ظننت انك لا مستنصحى كففت عما أريد فقال له قل فوالله ما استغشك وما اظنك بشئ من الهوى قال له قد بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك انك تأتى بلدا انيه عماله واموراؤه ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره وممن أنت احب اليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد علمت انك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمر يكن اخذت برأيك أو تركته فأنت عندى احمد مشير والصح ناصح قال وأتاه عبد الله بن عباس فقال له قد ارجف الناس انك سائر الى العراق فبين لى ما انت صانع فقال له قد اجمعت السير فى أحد يومى هذين ان شاء الله تعالى فقال له ابن عباس فانى أعيذك بالله من ذلك فخبرنى رحمك الله اتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم وقهروا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا

انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين فانى استخير الله وانظر ما يكون فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم خبرنى ما تريد أن تصنع فقال الحسين لقد حدثت نفسى باتيان الكوفة ولقد كتبت الى شيعتى بها وأشراف الناس واستخير الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشى ان يتهمه فقال له اما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما خالفناك عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين ان أبى حدثنى ان لها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون انا ذلك الكبش قال فاقم ان شئت وتولينى أنا الامر فتطاع ولا تعصى قال ولا أريد هذا أيضا ثم اسرا ما خفيا كلامهما فالتفت الحسين الى من هناك وقال أتدرون ما يقول قالوا لا ندرى جعلنا الله فداءك قال انه يقول أقم فى هذا المسجد اجمع لك الناس ثم قال له الحسين والله لان أقتل خارجا منها بشبر أحب الىّ من ان أقتل فيها ولان أقتل خارجا منها بشبرين أحب الىّ من ان أقتل خارجا منها بشبر وايم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم والله ليعتدن علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده فقال الحسين ان هذا ليس شئ من الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه بى فوددت أنى خرجت حتى يخلوا له قال فلما كان من العشى او من الغد اتاه ابن عباس فقال يا ابن عم انى أتصبر ولا أصبر انى اتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم فى هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فليخرجوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فانى أرجو ان يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية فقال له الحسين يا ابن عم انى والله لاعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير فقال له ابن عباس فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ثم قال له ابن عباس لقد اقرت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك والله الذى لا اله الا هو لو اعلم انى ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس اطعتنى فافعلت ذلك ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم أنشد قائلا

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز قيل وكان الحسين يقول والله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى فاذا فعلوا اسلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة قال والفرام خرقة تجعلها المرأة فى قبلها اذا حاضت ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى يمنعونه فأبى عليهم ومضى وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه وساروا فمروا بالتنعيم فرأى بها

فلما أوصى السلطان محمد بالملك لولده بايزيد خان وهو قد كان توجه فى ذلك العام الى سفر الحج فقيل له ذلك فقال والله ما أتثنى عن هذا السفر أبدا وان ولدى قورقود ينوب عنى فى السلطنة الى ان أعود فاستقر قرقود على التخت نيابة عن والده وأحسن الى الجند واستمال خواطرهم وضاعف عطاياهم فاحبوه محبة عظيمة وكان سنه اذ ذاك اثنتى عشرة سنة فغاب السلطان بايزيد مدة تسعة أشهر فاقام شعار الملك السلطان قورقود وخطب له على المنابر وضرب على وجوه الدراهم والدنانير باسمه فلما عاد أبوه من الحج ووصل الى أزنيق مكث هناك حتى استقبله ولده مع الوزراء والعساكر وخلع نفسه عن الملك ودعا له والده وانصرف الى مكانه مغتبطا وكان يقول والده هذه عارية السلطان قورقود

واستقر فى الملك

* (السلطان الغازى ضياء الدين بايزيد خان بن السلطان محمد خان) *

جلس على سرير الملك فى ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان السلاطين

عيرا قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان من اليمن الى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل فاخذها الحسين وقال لاصحاب الابل من احب منكم ان يمضي معنا الى العراق أوفينا كراءه واحسنا صحبته ومن احب ان يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكراء فمن فارق منهم أعطاه حقه ومن سار معه أعطاه كراءه وكساه ثم سار فلما انتهى الى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب فقال له الحسين بين لي خبر الناس خلفك قال الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء فقال الحسين صدقت لله الامر يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتمد من كان الحق نيته والتقوى سريرته قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله ابن جعفر مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فاني اسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ان هلكت اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام قبل وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له الامان فيه وتمنيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع وكان عمرو عامل يزيد على مكة ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا ان يرجع فلم يفعل وكان مما اعتذر به اليهما ان قال اني رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرت فيها بامر انا ماض له على كان اولى فقالا ما تلك الرؤيا قال ما حدثت بها أحدا وما انا محدث بها أحدا حتى القى ربي ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعاع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد في أمرهم فلما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا الحسين ابن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا رسوله اليكم وقد فارقته بالحاجر فاجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلي فامر به ابن زياد فرمي من أعلى القصر فتقطع فمات ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى الى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله ابن مطيع فلما رآه قام اليه فقال بابي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما اقدمك فاحتمله فانزله فاخبره الحسين فقال له عبد الله أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام ان تنتهك أنشدك الله في حرمة قريش أنشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية فأبى الا ان يمضي وكان زهير بن القين البجلي قد حج وكان عثمانيا فلما عاد جمعهما الطريق وكان يسايرا الحسين من مكة الا أنه لا ينزل معه فاستدعاه يوما الحسين فشق عليه ذلك ثم اجابه على كره فلما عاد من عنده نقل ثقله الى ثقل

الحسين

العظماء تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتزينت باسمه رؤس المنابر وتوشحت بذكره صدور المنائر فلما بلغ أخاه جم سلطان ذلك وافى الى طرف بروسة وهي التي قديما فاستولى عليها وصادر الناس على أموال كثيرة ثم قام منها الى قتال أخيه السلطان بايزيد خان فالتقى العسكران في المكان المعروف بسلطان أوكي على شاطئ نهر يكي شهر فوقع بينهما قتال شديد ثم انتصر السلطان بايزيد خان على أخيه جم وانهزم الى طرف حلب مستنصرا بالملك الاشرف قايتباي فلما وصل الى مدينة مصر بدا له ان يحج الى بيت الله الحرام فاكرمه السلطان قايتباي اكراما عظيما فلما تم مناسك الحج وعاد الى البلاد القرمانية استمال طائفة من الوارسق وطورغود فنهض معهم الى قتال أخيه فلما تقاتل معه انهزم مرة أخرى أقبح من الاولى فوصل الى ساحل البحر وفي هذا السفينة تريد البلاد الافرنجية فركبها حتى وصل الى بلاد الكتلان فاكرمه ملكها غاية الاكرام وعين له الاقامة في أنابولي وهي

الحسين ثم قال لاصحابه من احب منكم ان يتبعني والا فانه آخر العهد وسأحدثكم حديثا غزونا بالبحر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا اذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم فاما انا فاستودعكم الله ثم طلق زوجته وقال لها الحقي باهلك فاني لا أحب ان يصيبك في سببي الا خير ولزم الحسين حتى قتل معه وأتاه خبر مقتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض اصحابه نشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا او نذوق كما ذاق مسلم فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء فقال له بعض اصحابه انك والله ما انت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع ثم ارتحلوا فانتهوا الى زبالة وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فاتاه خبر مقتل اخيه من الرضاعة عبد الله بن يقطر وكان سرحه الى مسلم ابن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله فاخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد فقال له اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى ارى فيك رأيي فصعد فاعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد واباه فالقاه من القصر فتكسرت عظامه وبقي به رمق فاتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال انما اردت ان اريحه قال بعضهم لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عمير ولكنه رجل يشبه عبد الملك فلما اتى الحسين خبر قتل اخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل اعلم الناس ذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن احب ان ينصرف فلينصرف ليس علينا منا ذمام فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين جاؤا معه من مكة وانما فعل ذلك لانه علم ان الاعراب ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة اهله فاراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له انشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الاشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رايا فاما على هذه الحال التي تذكر فلا ارى ان تفعل فقال انه لا يخفى علي ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على امره ثم ارتحل منها

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وكان العامل على مكة والمدينة وفيها مات جرهد الاسلمي له صحبة وفي ايام معاوية مات حارثة بن النعمان الانصاري وهو بدري وفي ايامه ايضا مات دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يشبهه جبريل اذا نزل بالوحي وفي اول خلافته مات رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري وكان بدريا وشهد مع علي الجمل وصفين وفي ايامه مات عمرو بن امية الضمري بالمدينة وفي ايامه مات عثمان بن حنيف الانصاري وعثمان بن ابي العاص الثقفي وفي ايامه مات عتبان بن مالك الانصاري شهد بدرا وفي ايام معاوية مات سهل بن الحنظلية وهو ابن الربيع الانصاري بدمشق وفي ايامه بعد سنة سبع وخمسين مات السائب بن ابي وداعة السهمي ومات في ايامه سراقة بن عمرو الانصاري وهو بدري وفي ايامه مات زياد بن لبيد الانصاري في اولها وهو بدري وفي ايامه مات معقل بن يسار

من أجل بلادهم وأنزلها فلم يزل هناك حتى اغتاله أخوه السلطان بايزيد خان بان بعث رجلا من خواص غلمانه وهو مصطفى باشا الوزير الذي استوزره بعده في صورة حلاق مجيد كأنه هارب من المسلمين لحظي عند ملك الافرنج ولم يزل عنده حتى وصفه الملك عند جم سلطان بانه ماهر في صنعة الحلاقة كامل في الخدمة فاستدعاه وأمر بحلق رأسه فحلقه وكان معه موسى مسمومة فاتفق انه توفي عقيب الحلق ولم يشك الافرنج في أنه مات حتف أنفه ثم تخلص الحلاق المذكور ولحق بالبلاد الاسلامية لحظي عند السلطان بايزيد خان بذلك الى الغاية فجعله وزيرا وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة بنى السلطان المذكور لازال في عز وسرور بمدينة أدرنة على شط النهر الموسوم بتونجه جامعا ومدرسة وما كملا ثم سار من الغد الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلي وقلعة آق كرمان وفيها فتحت قلعة ملوان وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كوك وفيها كان ابتداء الفتن بين السلطان بايزيد وبين السلطان قايتباى

صاحب مصر والشام وذلك بسبب ان الملك الاشرف قايتباى كان قد آوى أخاه جم سلطان واكرمه فاغاظ من ذلك السلطان بايزيد خان ولما تعرض علاء الدين ذو الغادر الى بعض بلاد قايتباى جهز له قايتباى جيشا لقتاله استعان عليهم علاء الدين المذكور بالسلطان بايزيد فامده بعسكر وقواه ببعض امرائه الشجعان ثم لم تزل الفتن والحروب بين الفئتين واستولى جيش هذا تارة على كولك وسيس وقيساريه واذنة وعينتاب واستولى جيش ذلك عليها تارة اخرى بعد ان جرى بينهما ما لا اخبر فيه حتى تم الصلح بينهما وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد بوشنة فظفر بملكها درنجميل وقيده فى وثاق وارسله الى السلطان بايزيد خان وفى سنة احدى وتسعمائة توفى السلطان قايتباى واستولى الملك السعيد بايزيد على القلاع المتنازع فيها بينهما وفى سنة ثلاث وتسعمائة شرع السلطان بايزيد خان فى بناء الجامع بقرب دار السعادة العتيقة بمدينة قسطنطينية

المزنى واليه ينسب نهر معقل بالبصرة وقيل مات فى ايام يزيد (معقل بالعين المهملة والقاف ويسار بالياء المثناة والسين المهملة) وفى أيامه مات فاجية بن جندب بن عمير صاحب بدن النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصارى وهو الذى كان فيه مزاح ودعابة وشهد بدرا وقيل بل الذى مات ابنه وفى آخر أيامه مات عبد الله بن مالك بن بحينة له صحبة وفيها مات عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزنى بالبصرة (ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الفاء المشددة) وفى أيامه مات هند بن جارية بن هند الاسلمى وفى سنة ستين توفى حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة ستون فى الجاهلية وستون فى الاسلام وفيها مات أبو أسيد الساعدى واسمه مالك بن ربيعة وهو بدرى وقيل مات سنة خمس وستين وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ثلاثين ولا يصح وفى اول أيام معاوية مات أبو بردة هانئ بن نيار البلوى حليف الانصار وهو عقبى بدرى وشهد مع على حروبه كلها وفى أيامه مات أبو ثعلبة الخشنى له صحبة وقيل مات سنة خمس وسبعين وفى أيامه مات أبو جهم بن حذيفة العدوى القرشى فى آخرها وقيل شهد بنيان الكعبة أيام ابن الزبير وكان قد شهد قريشا حين بنتها وفى أول أيامه مات أبو حثمة الانصارى والد سهل وفى آخر أيامه مات أبو قيس الجهنى شهد الفتح وفى سنة ستين توفى صفوان بن المعطل السلمى بسميساط وقيل انه قتل شهيدا قبل هذا وفيها توفيت الكلابية التى استعاذت من النبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها فافارقها وكانت قد أصابها جنون وتوفى بلال بن الحرث المزنى أبو عبد الرحمن وفى آخر أيامه مات وائل بن حجر الحضرمى وأبو ادريس الخولانى (هند بن جارية بالجيم والياء المثناة من تحتها وحارثة بن النعمان بالحاء المهملة والثاء المثلثة ابو أسيد بضم الهمزة وفتح السين)

(ثم دخلت سنة احدى وستين)

(ذكر مقتل الحسين رضى الله عنه)

وسار الحسين من شراف فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له مما كبرت قال رأيت النخل فقال رجلان من بنى أسد ما بهذه الارض نخلة قط فقال الحسين فما هو فقالا لا نراه الا هوادى الخيل فقال وانا أيضا أراه ذلك وقال لهما أما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى هذا ذو حشم الى جنبك تميل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فمال اليه فما كان باسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى ثم اليربوعى فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه فى نحر الظهيرة فقال الحسين لاصحابه وفتيانه استقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا وكان مجىء الحر من القادسية أرسله الحصين بن نمير التميمى فى هذه الالف يستقبل الحسين فلم يزل موافقا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فامر الحسين مؤذنه بالاذان فاذن وخرج الحسين اليهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى اتتنى كتبكم ورسلكم ان اقدم الينا فليس لنا امام لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا أو كنتم بقدومى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى اقبلت منه فسكتوا وقالوا للمؤذن

اقم فاقام وقال الحسين للحر اتريد ان تصلي انت باصحابك فقال بل صل انت ونصلي بصلاتك فصلى بهم الحسين ثم دخل واجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم الحسين العصر ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن اهل البيت أولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين مالیس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ماندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر فاخرج خرجين مملوأين صحفا فنثرها بين أيديهم فقال الحر فانا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا أنا اذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله ابن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا وانصرفوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ماتريد قال له اما والله لو غيرك من العرب يقولها ماتركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ولكني والله مالي الى ذكر أمك من سبيل الا باحسن مايقدر عليه فقال له الحسين ماتريد قال الحر أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد قال الحسين اذن والله لاأتبعك قال الحر اذن والله لاأدعك فتراد الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت ان لاأفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقا لاتدخلك الكوفة ولاتردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب أنت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بامر يرزقني فيه العافية من أن ابتلى بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر سايره ثم ان الحسين خطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وانكم لاتسلموني ولاتخذلوني فان اتممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم وانا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع نفسكم وأهلي مع أهاليكم فلكم في اسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ماهي لكم بنكير لقد فعلتموها بابي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام فقال له الحر اني أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين أبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال اخو الاوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تذهب فانك مقتول فقال

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ✻ اذا مانوى خيرا وجاهد مسلما
ووامى رجالا صالحين بنفسه ✻ وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم ✻ كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه فكان يسير ناحية عنه حتى انتهى الى عذيب الهجانات كان به

وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان الغازي بايزيد خان بعساكره فاستولى على قلعة اينه بختي وعلى قلعة متون وعلى قلعة قرون وفي سنة ثمان وتسعمائة ظهر شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي في اطراف المشرق واستفحل امره وانتزع الملك من يد اخواله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة ظهر في بلدة بك بازاري من أعمال مدينة افقره رجل يقال له شيطان قولي فانتسب الى شاه اسمعيل ملك العجم واجتمع عنده كل شقي مفسد مارق عن الدين حتى صار له جماعة عظيمة فسير السلطان الى قتالهم طائفة مع الوزير الاعظم علي باشا فلما تراءى الجمعان استقبل الوزير جمعهم فهجم عليهم شرذمة من العسكر فقتلوه ثم لم يقابلهم أحد حتى اتصل الى اسمعيل المذكور وفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة نزل السلطان بايزيد خان عن السلطنة لولده السلطان سليم خان وسبب ذلك ان السلطان بايزيد خان شاخ وكبر سنه وتعطلت رجله عن الحركة بعلة النقرس فرام الفراغ عن الملك لولده السلطان أحمد أميرا ماسية

هجائن النعمان ترعى هنالك فنسب اليها فاذا هو بار بعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدى فانتهوا الى الحسين فاقبل اليهم الحر وقال ان هؤلاء النفر من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادهم فقال الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسى انما هؤلاء أنصارى وهم بمنزلة من جاءنى فان تممت على ما كان بينى وبينك والا انا جزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبرونى خبر الناس خلفكم فقال له مجمع بن عبيد الله العامرى وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم اليك واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك وقال له الطرماح ابن عدى والله ما أرى معك كثيرا أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ولقد رأيت قبل خروجى من الكوفة يوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم ترعيناى جمعا فى صعيد واحد أكثر منه قط ليسيروا اليك فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم اليهم شبرا فافعل فان أردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى انزلك جبلنا أجأ فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الاحمر والابيض والله ما ان دخل علينا ذل قط فاسير معك حتى أنزلك ثم تبعث الى الرجال ممن بأجا وسلمى من طيئ فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيئ رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك بأسيافهم فوالله لا يوصل اليك أبدا وفيهم عين تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندرى على ما تنصرف بنا وبهم الامور فودعه وسار الى أهله ووعده ان يوصل الميرة الى أهله ويعود الى نصره ففعل ثم عاد الى الحسين فلما بلغ عذيب الهجانات لقيه خبر قتله فرجع الى أهله ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا مضروبا فقال لمن هذا فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفى فقال ادعوه لى فلما اتاه الرسول يدعوه قال انا لله وانا اليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة الا كراهية ان يدخلها الحسين وأنا بها والله ما أريد أن اراه ولا يرانى فعاد الرسول الى الحسين فأخبره فلبس الحسين نعليه ثم جاءه فسلم عليه ودعاه الى نصره فاعاد عليه ابن الحر تلك المقالة قال فالا تنصرنى فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينتصرنا الا هلك فقال له أما هذا فلا يكون ابدا ان شاء الله تعالى ثم قام الحسين فخرج الى رحله ثم سار ليلة الساعة فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين فاقبل اليه ابنه على بن الحسين فقال يا ابت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت قال يا بنى انى خفقت خفقة فعن لى فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت ان انفسنا نعيت الينا فقال يا ابت لا اراك الله سوأ السنا على الحق قال بلى والذى يرجع اليه العباد قال اذن لا نبالى ان نموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خيرا ما جزى ولدا عن والده فلما اصبح نزل فصلى ثم عجل

وهو أكبر أولاده وأحبهم اليه على حسب ما فعله السلطان مراد خان بولده السلطان محمد خان فاغتاظ من ذلك ولده السلطان سليم خان فقام وتوجه الى طرف القسطنطينية كانه يريد زيارة أبيه السلطان بايزيد خان وتقبيل يده وليس له غرض فى الملك فلما وقف السلطان بايزيد خان على جلية الامر نهض نهضة من قسطنطينية بعساكره واستقبل ولده المذكور ولاقاه بين قسطنطينية وأدرنة بقرب مدينة جورلى امام قرية أوغراش فجرى بينهم ما حرب شديد ثم انجلى عن هزيمة سليم خان فرام العسكر ان يطردوه فمنعهم أبوه السلطان بايزيد خان وقال اتركوه لعله ينصلح وأما السلطان سليم فانه ركب البحر من بندر ادونه وقصد بلاد كفة فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد خان الى ولده أحمد يدعوه الى الملك وتقليد الامر اليه فلم يرض وتعلل فى ذلك بان هذا لا يمكن ان يقبله فى حياة والده وانه يخاف من الطائفة الينكجرية فان هواهم مع أخيه سليم خان وبالجملة لما علم أبوه انه ليس لابنه أحمد سهم ولا نصيب فى الملك وان

الركوب فاخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فاتى الحر فرده وأصحابه فجعل اذا اردهم نحو الكوفة ردّا شديدا امتنعوا عليه وارتفعوا فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا الى نينوى المكان الذى نزل به الحسين فلما نزلوا اذا راكب قبل من الكوفة فوقفوا ينتظرونه فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين واصحابه ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد فاذا فيه اما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابى ويقدم عليك رسولى فلا تنزله الا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد امرت رسولى ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتينى باتفاذك امرى والسلام فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الامير يأمرنى أن اجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه وقد امر رسوله ان لا يفارقنى حتى أنفذ أمره وامره واخذهم الحر بالنزول على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا ننزل فى نينوى أو الغاضرية أو شفية فقال لا استطيع هذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله ان قتال هؤلاء الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمرى ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال له زهير سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة وهى على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم فقتالهم اهون علينا من قتال من يجىء بعدهم فقال الحسين ما هى قال العقر قال اللهم انى اعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس الثانى من محرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن ابى وقاص من الكوفة فى اربعة آلاف وكان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على اربعة آلاف الى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا اليها وغلبوا عليها وكتب له عهده على الرى فعسكر بالناس فى حمام اعين فلما كان من امر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عملك فاستعفاه فقال نعم على ان تردّ عهدنا فلما قال له ذلك قال امهلنى اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه واتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته فقال انشدك الله يا خالى ان لا تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان الارض لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين فقال افعل وبات ليلته مفكرا فى امره فسمع وهو يقول

أأترك ملك الرى والرى رغبة ✽ ام ارجع مذموما بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها ✽ حجاب وملك الرى قرة عين

ثم اتى ابن زياد فقال له انك قد وليتنى هذا العمل وسمع الناس به فان رأيت ان تنفذلى ذلك فافعل وابعث الى الحسين من اشراف الكوفة من لست أغنى فى الحرب منه وسمى اناسا فقال له ابن زياد اسألت استأمرك فيمن اريد ان ابعث فان سرت بجندنا والا فابعث الينا بعهدنا قال فانى سائر فاقبل فى ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث اليه رسولا يسأله ما الذى جاءه فقال الحسين كتب الىّ اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال

الآن اذ علقت مخالبنا به ✽ يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى عمر يامره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فان فعل ذلك رأينا رأينا وان يمنعه ومن

الملك لله يؤتيه من يشاء

وخاف على الملك أرسل الى ولده السلطان سليم خان يدعوه الى الملك وتسليم الامر اليه فقدم سليم خان بالراى الحازم والسيف الصارم حتى قرب من قسطنطينية فامر السلطان بايزيد خان العسكر ووجوه الامراء والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالملك فلما اراد الدخول الى البلد رفعت الينكجرية سيوفهم ومدافعهم والعسكر رماحهم وشبكوا بعضها ببعض وقالوا فليعبر السلطان من تحت سيوفنا ورماحنا حتى يكون من تحت أيدينا فعرف السلطان قصدهم فانف من ذلك وما اختاره لشهامة نفسه ودخل البلد من باب آخر على حين غفلة من اهلها واجتاز من وسط بكى باعجمة حتى دخل دار السعادة ولم يشعر بذلك احد من العسكر الا بعد ان وصل الى مقر الخلافة ثم وعدهم بخير كثير وطيب خواطرهم فتفرقوا ودخل على ابيه وسلم عليه وقبل يديه فعند ذلك دعا له ابوه بالخير وقلده الامر واوصاه باشياء تليق بالسلطنة ثم امر من يومه بتجهيز اسباب السفر له للاقامة بمدينة دمه توقة

معه الماء فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا
بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الله بن أبي الحصين الازدى
وعداده فى بجيلة يا حسين أما تنظر الى الماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين
اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا قال فرض فيما بعد فكان يشرب الماء القلة ثم يقئ ثم يعود
فيشرب حتى يتغرغر ثم يقئ ثم يشرب فما يروى فما زال كذلك حتى مات فلما اشتد العطش على
الحسين وأصحابه أمر اخاه العباس بن على فسار فى عشرين راجلا يحملون القرب وثلاثين
فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤا القرب وعادوا ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو
ابن قرظة بن كعب الانصارى ان القنى الليلة بين عسكرى وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا
وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما الى عسكره وتحدث الناس ان الحسين قال لعمر بن
سعد اخرج معى الى يزيد بن معاوية ودع العسكرين فقال عمر اخشى ان تهدم دارى قال
ابنيها لك خيرا منها قال تؤخذ ضيعتى قال أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز فكره ذلك عمر
وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختار وامنى واحدة من ثلاث اما ان ارجع
الى المكان الذى أقبلت منه وأما ان أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبينه رأيه
وأما أن تسيروا بى الى أى ثغر من ثغور المسلمين شئتم فاكون رجلا من أهله لى مالهم وعلى
ما عليهم وقد روى عن عقبة بن سمعان انه قال صحبت الحسين من المدينة الى مكة ومن مكة الى
العراق ولم افارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم
ما يتذاكرونه من انه يضع يده فى يد يزيد ولا ان يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال
دعونى ارجع الى المكان الذى أقبلت منه أو دعونى أذهب فى هذه الارض العريضة حتى ننظر
الى ما يصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا فكتب
عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى
الحسين ان يرجع الى المكان الذى أقبل منه أو ان نسيره الى اى ثغر من الثغور شئنا أو ان يأتى
يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح فلما قرأ ابن زياد الكتاب
قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره مشفق على قومه نعم قد قبلت فقام اليه شمر بن ذى الجوشن
فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك
ليكونن اولى بالقوة والعزة ولتكونن اولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو
واصحابه فان عاقبت كنت ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغنى ان الحسين
وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رأيت اخرج بهذا الكتاب الى
عمر فليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان
ابوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان ابى فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه
وابعث الى برأسه وكتب معه الى عمر بن سعد اما بعد فانى لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه
ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل الحسين واصحابه على الحكم
واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون
فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان انت مضيت لامرنا

بمعرفة ابنة واجازة منه له
وكل لشرع ولده سليم خان فى
الاقامة معه لم يقدر وقال
السيفان لا يجتمعان فى
قراب واحد فلما كان
السلطان بايزيد خان ببعض
الطريق رام ان يتوضأ
الصلاة الظهر فوضعوا له
السم فى الماء فلما توضأ تساقط
شعر لحيته فأحس بذلك فقال
ردونى فردوه وتوفى قبل ان
يصل الى القسطنطينية
ودفن امام مدرسته التى
انشأها بالمدينة المزبورة
وكان رحمه الله ملكا جميلا
كبيرا عالما وراعيا جاهدا
مرابطا بنى المدارس
والجوامع والجسور
والقناطر وفتح فتوحات
جليلة عاش سعيدا ومات
شهيدا وكان له عدة اولاد
وصار لاولادهم اولاد منهم
السلطان احمد والسلطان
قورقود والسلطان جهان
شاه والسلطان سليم
والسلطان محمود والسلطان
عبد الله والسلطان علم شاه
فعين لاكبر اولاده السلطان
احمد مملكة اماسية
وماولاها وكان يتوقع منه
ان يكون ولى عهده ويأبى
الله الا ما اراد وكان عين
للسلطان قورقود مملكة
مغنيسا وجعل للسلطان
سليم مملكة طربزون

جزيتك جزاء السامع المطيع وان أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أخذ شمر الكتاب كان معه عبد الله بن أبي المحل بن حزام عند ابن زياد وكانت عمته ام البنين بنت حزام عند علي فولدت له العباس وعبد الله وجعفرا وعثمان فقال لابن زياد ان رأيت ان تكتب لبني اختنا امانا فافعل فكتب لهم اما نا فبعث به مع مولى له اليهم فلما رأوا الكتاب قالوا لا حاجة لنا في امانكم امان الله خير من امان ابن سمية فلما أتى شمر بكتاب ابن زياد الى عمر قال له مالك ويلك قبح الله ما جئت به والله اني لاظنك أنت ثلمته ان يقبل ما كنت كتبت اليه به افسدت علينا امرا كنا رجونا ان يصلح والله لا يستسلم الحسين أبدا والله ان نفس أبيه لبين جنبيه فقال له شمر ما انت صانع قال أتولى ذلك ونهض اليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم وجاء شمر فدعا العباس بن علي واخوته فخرجوا اليه فقال أنتم يا بني اختي آمنون فقالوا له لعنك الله ولعن امانك لمن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا امان له ثم ركب عمرو الناس معه بعد العصر والحسين جالس امام بيته محتبيا بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته وسمعت اخته زينب الضجة فدنت منه فايقظته فرفع رأسه فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال انك تروح الينا قال فلطمت اخته وجهها وقالت يا ويلتاه قال ليس لك الويل يا أخية اسكتي رحمك الله قال له العباس أخوه يا اخي أتاك القوم فنهض فقال يا اخي اركب بنفسي فقال له العباس بل أروح انا فقال اركب أنت حتى تلقاهم فتقول مالكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم فاتاهم في نحو عشرين فارسا فيهم زهير بن القين فسألهم فقالوا جاء الامير بكذا وكذا قال فلا تعجلوا حتى ارجع الى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويذكرونهم الله فلما أخبره العباس بقولهم قال له الحسين ارجع اليهم فان استطعت ان تؤخرهم الى غدوة لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار واراد الحسين أيضا ان يوصي اهله فرجع اليهم العباس وقال لهم انصرفوا عنا العشية حتى ننظر في هذا الامر فاذا اصبحنا التقينا ان شاء الله فامر ضينا وامارددناه فقال عمر بن سعد ما ترى يا شمر قال أنت الامير فاقبل على الناس فقال ماترون فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي سبحان الله والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسئلة لكان ينبغي أن تجيبوهم وقال قيس بن الاشعث بن قيس اجبهم لعمري ليصبحنك بالقتال غدوة فقال لو اعلم ان يفعلوا ما اخرتهم العشية ثم رجع عنهم فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال أثني على الله أحسن الثناء واحمده على السراء والضراء اللهم اني أحمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا اسماعا وابصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين اما بعد فاني لا أعلم اصحابا أوفى ولا أخير من اصحابي ولا أهل بيت ابر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعا عني خيرا الا واني لاظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا واني قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي * فجزاكم الله جميعا خيرا ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري فقال له اخوته وابناؤه وابناء اخوته وابناء عبد الله بن جعفر لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا ارانا الله ذلك أبدا فقال الحسين

وجعل للسلطان محمود مملكة منتشا وعين للسلطان عبد الله مملكة الكفار وما يليها من التاتار وانتقل ثلاثة منهم بالوفاة في حياة والدهم وكفاهم الله القتل والقتال (ومما يحكى) عن السلطان بايزيد عليه رحمة الملك المجيد انه كان يجمع في كل منزل حل من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا اجله المحتوم وقدم على الحي القيوم أمر بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وأمر بان توضع معه في القبر تحت خده الايمن ففعل ذلك فكأنه أراد بذلك محوى قوله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله عليه النار وكان مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الا اياما وعمره اثنتان وستون سنة لان مولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وتولى مكانه ولده

* (السلطان القاهر والملك الناصر سليم خان ابن السلطان بايزيد خان) *

ولد بمدينة اماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وامه عائشة خاتون من بنات بعض امراء التركمان الذين سكنوا في حوالي اماسية وللسلطان كان عمره

يابني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم فقالوا وما نقول للناس نقول تركنا شيخنا وسيدنا وابن عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا والله لا نفعل ولكنا نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد مواردك فقبح الله العيش بعدك وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال أنحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي والله لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك وتكلم أصحابه بنحو هذا فجزاهم الله خيرا وسمعته أخته زينب تلك العشية وهو في خبائه يقول وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فاعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسين أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي فنظر اليها وقال يا أخية لا يذهبن حلم الشيطان قالت بابي أنت وأمي استقتلت نفسي لنفسك الفداء فرد غصته وترقرقت عيناه ثم قال لو ترك القطا ليلا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه افتغصبك نفسك اغتصابا فذلك اقرح لقلبي وأشد على نفسي ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشية عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال ان في الله وتعزى بعزاء الله واعلمي ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شيء هالك الا وجه الله أبي خير مني وأمي خير مني واخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله اسوة فعزاها بهذا ونحوه وقال لها يا اخية اني اقسم عليك لا تشقي علي جيبا ولا تخمشي علي وجها ولا تدعي علي بالويل والثبور ان انا هلكت ثم خرج الى أصحابه فامرهم ان يقربوا بعض بيوتهم من بعض وان يدخلوا الاطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن وراثهم فلما أصبحوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت وقيل الجمعة يوم عاشورا خرج فيمن معه من الناس وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا فجعل زهير بن القين في ميمنة اصحابه وحبيب بن مظهر في ميسرتهم واعطى رايته العباس أخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم وامر بحطب وقصب فألقي في مكان منخفض من وراثهم كانه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من وراثهم واضرم نارا فنفعهم ذلك وجعل عمر بن سعد على ربع أهل المدينة عبد الله بن زهير الازدي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الاشعث بن قيس وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين الا الحر بن يزيد فانه عدل الى الحسين وقتل معه وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس الاحمسي وعلى الرجال شبث بن

ربعي

اذ ذاك ستا واربعين سنة جلس على سرير الملك في ثامن عشر صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة وفي السنة الثانية قصد كل واحد من الاخوين السلطان سليم خان والسلطان احمد قتال الآخر فتقاتلا امام مدينة بكي شهر فانتصر سليم خان وأمر باخيه احمد فخنق وحملوا جسده ودفنوه في مدينة بروسه ثم عين جماعة من العسكر الى قتال أخيه قورقود المتسلطن نيابة عن والده كامر وكان بمغنيسا فهزموه وظفروا به ثم خنقوه بامر أخيه السلطان سليم خان ودفنوه في مدينة بروسه ثم أمر بقتل السلطان محمود والسلطان سليمان والسلطان اورخان والسلطان موسى أولاد اخيه فخنقوهم وقتل من اهل بيت السلطنة سبعة عشر نفرا ولما استقر السلطان سليم خان على سرير الملك وهيمات اين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة من غير منازع وأتى له بالثبات والقرار وشرع في قهر المماليك واخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والممالك بدأ بقتال شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي فلما دخلت (سنة عشرين وتسعمائة) توجه

ربعي اليربوعي التميمي واعطى الراية دريدا مولاه فلما دنوا من الحسين امر فضرب له فسطاط ثم أمر بمسك فشيء في جفنة ثم دخل الحسين فاستعمل النورة ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه ويزيد بن حصين الهمداني على باب الفسطاط وازدحم أيهما يطلي بعده فجعل يزيد يهازل عبد الرحمن فقال له والله ما هذه بساعة باطل فقال يزيد والله ان قومي لقد علموا اني ما احببت الباطل شابا ولا كهلا ولكني مستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل هؤلاء علينا باسيافهم فلما فرغ الحسين دخل ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه امامه واقتتل اصحابه بين يديه فرفع يديه ثم قال اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته اليك رغبة اليك عمن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة فلما رأى اصحاب عمر النار تلتهب في القصب نادى شمر الحسين تعجلت النار في الدنيا قبل القيامة فعرفه الحسين فقال أنت اولى بها صليا ثم ركب الحسين راحلته وتقدم الى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى اعظكم بما يجب لكم علي وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك اسعد ولم يكن لكم علي سبيل وان لم تقبلوا مني العذر فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال فلما سمع اخواته قوله بكين وصحن وارتفعت اصواتهن فارسل اليهن اخاه العباس وابنه عليا ليسكتاهن وقال لعمري ليكثرن بكاؤهن فلما ذهبا قال لا بعد ابن عباس وانما قالها حين سمع بكاءهن لانه كان نهاه ان يخرج بهن معه فلما سكتن حمد الله واثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبياء وقال ما لا يحصى كثرة فما سمع ابلغ منه ثم قال أما بعد فانسبوني فانظروا من انا ثم راجعوا انفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي الست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه واولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي اولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولاخي انتما سيدا شباب اهل الجنة * وقرة عين أهل السنة فان صدقتموني بما أقول (٣) وهو الحق والله ما تعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله أو اباسعيد او سهل بن سعد او زيد بن أرقم او انسا يخبروكم انهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي فقال شمر وهو يعبد الله على حرف ان كان يدري ما يقول فقال له حبيب بن مظهر والله اني اراك تعبد الله على سبعين حرفا وان الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول ثم قال الحسين فان كنتم في شك مما اقول أو تشكون في اني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم اخبروني اتطلبوني بقتيل منكم قتلته او بمال لكم استهلكته او بقصاص من جراحة فلم يكلموه فنادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحرث الم تكتبوا الي في القدوم عليكم قالوا لم نفعل ثم قال بلى فعلتم ثم قال ايها الناس اذ كرهتموني

من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال شاه اسمعيل المذكور فالتقيا في مكان يقال له چالدران فحال وصوله لم يؤخر الحرب فالتحم القتال وتكسرت النصال على النصال فعند ذلك أمر السلطان اليكجرية وكانوا اذ ذاك أربعة عشر ألف نفر فدفعوا مكاحلهم سبع نوب ورموا ما عندهم من المدافع ولم ينج منهم الا من طول الله عمره فانهزم الاعجام وطردتهم عساكر الاسلام ونالوا منهم ما ارادوا من القتل والنهب والاسر وما نجا كبيرهم الا بجهد جهيد واستولى السلطان على خزائنه واملاكه وخيمه ونسائه ونهى السلطان العسكر عن المسير خلفهم وقال يكفيه ما حل به من البلاء ثم دخل السلطان مدينة تبريز وهي كرسي مملكته وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه ثم ارتحل الى بلاد الروم وذلك لحلول الشتاء وقلة العلف فشتى في مدينة اماسية ولما حلت ايام الربيع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كماخ وهي من امنع الحصون في الدنيا ثم افتتح مدينة بايبورد وارسل وزيره

فدعوني انصرف الى مأمني من الارض قال فقال له قيس بن الاشعث اولا تنزل على حكم ابن عمك يعني ابن زياد فانك لن ترى الا ما تحب فقال له الحسين انت اخو اخيك اتريد ان يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل لا والله ولا أعطيهم بيدي عطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد عباد الله اني عذت بربي وربكم أن ترجموني اعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم أناخ راحلته ونزل عنها وخرج زهير بن القين على فرس له في السلاح فقال يا أهل الكوفة بدا لكم من عذاب الله بدا ان حقا على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وانتم امة ان الله قد ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وانتم عاملون انا ندعوكم الى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما الا سوأ يسملان اعينكم ويقطعان أيديكم وارجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثالكم وقراءكم امثال حجر بن عدي واصحابه وهاني بن عروة واشباهه فقال فسبوه وأثنوا على ابن زياد وقالوا والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ونبعث به وبأصحابه الى الامير عبيد الله بن زياد سلما فقال لهم يا عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان كنتم لم تنصروهم فاعيذكم بالله ان تقتلوهم خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلعمري ان يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين فرماه شمر بسهم وقال اسكت اسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال زهير يا ابن البوال على عقبيه ما اياك أخاطب انما أنت بهيمة والله ما اظنك تحكم من كتاب الله آيتين وأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم فقال شمر ان الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال أفبالموت تخوفني والله للموت معه أحب الي من الخلد معكم ثم رفع صوته وقال عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي فوالله لا تنال شفاعة محمد قوما اهراقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم فامره الحسين فرجع ولما زحف عمر نحو الحسين أتاه الحر بن يزيد فقال له اصلحك الله امقاتل أنت هذا الرجل قال له اي والله قتالا ايسره ان تسقط الرؤس وتطيح الايدي قال أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا فقال عمر بن سعد والله لو كان الامر الي لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فأقبل يدنو نحو الحسين قليلا قليلا واخذته رعدة فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس والله ان امرك للمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن ولو قيل من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك فقال له اني والله اخير نفسي بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيأ ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له جعلني الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان ووالله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبدا فقلت في نفسي لا أبالي ان اطيع القوم في بعض امرهم ولا يرون اني خرجت من طاعتهم واما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه ووالله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك وانى قد جئتك تائبا مما كان مني الى ربي مواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك افترى ذلك توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال ايها القوم الا تقبلون من الحسين

فرهاد پاشا بعسكر كثير الى قتال ملك مرعش والبستان الامير علاء الدولة فانتصر عليه فرهاد پاشا وقتله وعين امارة تلك البلاد الى علي بك بن شاه سوار ابن أخي علاء الدولة وكان قد هرب من عمه والتجأ الى كنف السلطان وشرط عليه بان تكون الخطبة والسكة باسم السلطان وفي هذه السنة احب اهل آمدان يدخلوا في طاعة السلطان سليم خان فأخرجوا واليهم الذي من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون اميرا من امراء السلطان المذكور يكون والياً عليهم فعين لهم يقلو محمد بك الآمدي ونصبه امير الامراء فوصل الى تلك البلاد وقاتل مع واليها قره خان فانتصر عليه فقتله ثم ان محمد پاشا المذكور حاصر مدينة ماردين مدة اربعين يوما ففتحها ثم افتتح بلاد الموصل وعانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجشكزك وقلعة العمادية وحصن سوران وسائر بلاد الاكراد وعامة جزيرة بني عمر وفي (سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة) قصد السلطان سليم خان قتال الغوري

خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيها فكيم الله من حربه وقتاله فقال عمر لقد حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلا فقال يا اهل الكوفة لا مكم الهبل والعبر أدعوتموه حتى اذا اتاكم اسلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن اهل بيته فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشرب به اليهودي والنصراني والمجوسي ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو واهله قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمدا في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ ان لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه فرموه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين ثم قدم عمر بن سعد برايته واخذ سهما فرمى به وقال اشهدوا علي اني أول رام ثم رمى الناس وبرز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله وطلبا البراز فخرج اليهما عبد الله بن عمير الكلبي وكان قد اتى الحسين من الكوفة وسارت معه امرأته فقالا له من انت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب بن مظهر أو بريربن خضير وكان يسار أمام سالم فقال له الكلبي يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ولا يخرج اليك احد الا وهو خير منك ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبي بيده فاطار اصابع كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله واخذت امرأته عمودا وكانت تسمى ام وهب واقبلت نحو زوجها وهي تقول فداك ابي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فردها نحو النساء فامتنعت وقالت لن أدعك دون ان أموت معك فناداها الحسين فقال جزيتم من اهل بيت خيرا ارجعي رحمك الله ليس الجهاد الى النساء فرجعت فزحف عمرو بن الحجاج في ميمنة عمر فلما دنا من الحسين جثوا له على الركب واشرعوا الرماح نحوهم فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وجرحوا آخرين وتقدم رجل منهم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم الحسين فلم يجبه أحد فقالها ثلاثا فقالوا نعم فما حاجتك قال يا حسين أبشر بالنار قال له كذبت بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع فمن انت قال ابن حوزة فرفع الحسين يديه فقال اللهم حزه الى النار فغضب ابن حوزة فأقحم فرسه في نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب وجال به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقي جنبه الآخر متعلقا بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج معهم فقال لعلي اصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند ابن زياد فلما رأى ما صنع الله بابن حوزة دعاه الحسين رجع وقال لقد رأيت من اهل هذا البيت شيأ لا اقاتلهم ابدا وانشب القتال وخرج يزيد بن معقل حليف عبد القيس فقال يا بريربن خضير كيف ترى الله صنع بك قال والله لقد صنع بي خيرا وصنع بك شرا فقال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا ولا انا أشهد انك من الضالين فقال له ابن خضير هل لك ان أباهلك أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل ثم اخرج أبارزك فخرجا فتباهلا أن يلعن الله الكاذب ويقتل المحق المبطل ثم تبارزا فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل بريربن خضير فلم يضره شيأ وضربه ابن خضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ فسقط والسيف في رأسه فحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتنق ابن خضير فاعتركا ساعة ثم ان ابن خضير قعد على صدره

ملك مصر والشام وحلب واليمن فخرج من قسطنطينية بعسكر ضخم وسار حتى وصل الى مدينة حلب والتقى مع الغوري في مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهزم الجراكسة شذر مذر وقتل الغوري في المعركة وخرج اهل حلب بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف على رؤسهم يستقبلون السلطان سليم خان ويهنؤنه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم السلطان المذكور بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها ثم خرج الى طرف الشام فاستقبله اهلها بالاكرام والاحترام وسألوا منه الانعام واللطف فعاملهم بالجميل وحضر يوم الجمعة في جامع بني امية للصلاة وخطب باسمه ومكث السلطان سليم خان بالشام مدة ثلاثة أشهر ونصف شهر وأمر بعمارة قبة على قبر العارف بالله تعالى الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره ومن ما كالا للطعام ثم سار يريد البلاد المصرية ففتح في مسيره مدينة بيت المقدس وزار المشاهد وانعم على اهلها ثم سار وفتح مدينة غزة وطبريه وصفد واللجون ورملة ووصل الى مدينة

فحمل كعب بن جابر الازدى عليه بالرمح فوضعه فى ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس الرمح نزل عن رضى فعض انفه وقطع طرفه واقبل اليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله وقام رضى ينفض التراب عن قبائه فلما رجع كعب قالت له امرأته أعنت على ابن فاطمة وقتلت بربر اسيد القراء لا اكلمك أبدا وخرج عمرو بن قرظة الانصارى وقاتل دون الحسين فقتل وكان اخوه مع عمر بن سعد فنادى يا حسين يا كذاب ابن الكذاب اضللت أخى وغررته حتى قتلته فقال ان الله لم يضل اخاك بل هداه وأضلك قال قتلنى الله ان لم أقتلك او اموت دونك فحمل واعترضه نافع بن هلال المرادى فطعنه فصرعه فحمل اصحابه فاستنقذوه فبرأ وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالا شديدا وبرز اليه يزيد بن سفيان فقتله الحر وقاتل نافع بن هلال مع الحسين ايضا فبرز اليه مزاحم بن حريث فقتله نافع فصاح عمرو بن الحجاج بالناس أتدرون من تقاتلون فرسان المصر قوما مستميتين لا يبرز اليهم منكم احد فانهم قليل وقلما يبقون والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم يا اهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم لا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الامام فقال عمر الرأى ما رأيت ومنع الناس من المبارزة قال وسمعه الحسين فقال يا عمرو بن الحجاج أعلى تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين ام انتم والله لتعلمن لو قبضت أرواحكم ومتم على اعمالكم اينا المارق ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الاسدى وانصرف عمرو ومسلم صريع فمشى اليه الحسين وبه رمق فقال رحمك الله يا مسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلنا تبديلا وقال عز على مصرعك أبشر بالجنة ولولا انى اعلم انى فى اثرك لاحق بك لاحببت ان توصينى حتى احفظك بما أنت له اهل فقال أوصيك بهذا رحمك الله وأومأ بيده نحو الحسين ان تموت دونه فقال أفعل ثم مات مسلم وصاحت جارية له فقالت يا ابن عوسجة فنادى اصحاب عمر وقتلنا مسلما فقال شبث لبعض من حوله ثكلتكم امهاتكم انما تقتلون انفسكم بأيديكم وتذلون انفسكم لغيركم انفرحون بقتل مثل مسلم أما والذى اسلت له لرب موقف له قد رأيته فى المسلمين فلقد رأيته يوم سلق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل ان تنام خيول المسلمين أفيقتل مثله وتفرحون وكان من الذين قتلهم مسلم ابن عبد الله الضبابى وعبد الرحمن بن ابى خشكارة البجلى وحمل شمر فى الميسرة فثبتوا له وحملوا على الحسين واصحابه من كل جانب فقتل الكلبى وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فقتله هانى بن ثبيت الحضرمى وبكير بن حى التيمى من تيم الله ابن ثعلبة وقاتل أصحاب الحسين قتالا شديدا وهم اثنان وثلاثون فارسا فحمل على جانب من خيل الكوفة الاكشفته فلما راى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل الكوفة بعث الى عمر فقال ألا ترى ما تلقى خيلى هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعى ألا تقدم اليهم فقال سبحان الله شيخ مضر واهل المصر عامة تبعثه فى الرماة لم تجد لهذا غيرى ولم يزالوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول فى امارة مصعب لا يعطى الله اهل هذا المصر خيرا ابدا ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون انا قاتلنا مع على بن ابى طالب ومع ابنه الحسين آل ابى سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير اهل الارض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال فلما قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير فبعث معه المجففة

وخمسمائة

تصرفى ثالث عشرى محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فالتقى مع الاشرف طومان باى الدادار بالريدانية وكان معه اربعون الف جركسى فاشتد العطب وعظم الحرب فانهزم طومان باى الى بلاد ابن بقر فارسل السلطان اليه وطلبه منه فلم يمكن مخالفته فارسله اليه ولما وصل طومان باى الى السلطان الصارم والملك الحازم قربه اليه وادناه وسأله عن عوائد المملكة المصرية وأحوالها وبعد عشرة ايام صلبه فى باب زويلة ثم أمر بالقبض على كل من كان جركسيا فاحضروا عنده جمعا كثيرا ثم امر بهم فضربت اعناقهم ثم دخل المدينة وصلى بها الجمعة ثم خرج الى طرف الاسكندرية فتفرج بها ومهد امرها وقتل بها من الامراء الجراكسة المحبوسين نحو سبعة عشر أميرا ثم قدم الى القاهرة ودعا خيربناى وفوض اليه امارة مصر والقاهرة وخلع عليه ثم خرج فى شعبان من هذه السنة الى طرف الروم فلما وصل الى مدينة رملة بلغه من الثقات انهم قتلوا ما كان عندهم من

وخمسمائة من المرامية فلما دنوا من الحسين واصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم وقاتل الحر بن يزيد راجلا قتالا شديدا فقاتلوهم الى ان انتصف النهار أشد قتال خلقه الله لا يقدرون ان يأتوهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فلما رأى ذلك عمر أرسل رجالا يقوضون البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم فكان النفر من اصحاب الحسين الثلاثة والاربعة يخلون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب ويرمونه من قريب او يعقرونه فأمر بها عمر بن سعد فأحرقت فقال لهم الحسين دعوهم فليحرقوها فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك وخرجت امرأة الكلبي فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول هنيأ لك الجنة فأمر شمر غلاما اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فماتت مكانها وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على اهله فصاحت النساء وخرجن وصاح به الحسين انت تحرق بيتي على اهلي أحرقك الله بالنار فقال حميد بن مسلم لشمر ان هذا لا يصلح تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله ان في قتل الرجال لما يرضى به امير لك فلم يقبل منه فجاءه شبث بن ربعي فنهاه فانتهى وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزة الضبابي وكان من اصحاب شمر وعطف الناس عليهم فكثروهم وكانوا اذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلتهم واذا قتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم ولما حضر وقت الصلاة قال ابو ثمامة الصائدي للحسين نفسي لنفسك الفداء اراي هؤلاء قد اقتربوا منك والله لا تقتل حتى اقتل دونك واحب ان القى ربي وقد صليت هذه الصلاة فرفع الحسين رأسه وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلي فضحكوا فقال لهم الحصين انها لا تقبل فقال له حبيب بن مظهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين وخرج اليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه وقاتل حبيب قتالا شديدا فقتل رجلا من بني تميم اسمه بديل بن صريم وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل اليه التميمي فاحتز رأسه فقال له الحصين انا شريكك في قتله فقال الآخر لا والله فقال له الحصين اعطنيه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس اني شركت في قتله ثم خذه وامض به الى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه ففعل وجال به في الناس ثم دفعه اليه فلما رجعوا الى الكوفة اخذ الرأس وجعله في عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد في القصر فبصر به القاسم بن حبيب وقد راهق فاقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله فاخبره وطلب الرأس ليدفنه فقال ان الامير لا يرضى ان يدفن وأرجو ان يثيبني الامير فقال له لكن الله لا يثيبك الا سوأ الثواب ولم يزل يطلب غرة قاتل ابيه حتى كان زمان مصعب وغزا مصعب باخير دخل القاسم عسكره فاذا قاتل ابيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله فلما قتل حبيب هذا ذلك الحسين وقال عند ذلك احتسب حماة اصحابي وحمل الحر وزهير بن القين فقاتلا قتالا شديدا وكان اذا حمل احدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتى يخلصه فعلا ذلك ساعة ثم ان رجالة حملت على الحر بن يزيد فقتلته وقتل ابو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدوه

العسكر المجروحين فاضر
بقتل عامة أهل البلد بحيث
لم يبق منهم ديار ولا نافخ نار
فبينما هو في اثناء الطريق
اذ قدم عليه والي مكة
والمدينة الشريف بركات
الحسني وولده الشريف
أبو نمي محمد واجتمعا بحضرة
السلطان وهنآه بالفتوحات
واخبره الشريف بركات
بانه حين بلغه الخبر خطب له
بمكة والمدينة فشكر له
السلطان المذكور ذلك
واثنى عليه وانعم عليه وعلى
ولده بالخلع وقرر الامرة
لولده الشريف ابي نمي برضا
والده ثم قدم السلطان الى
دمشق وعين امرتها مع
اعمالها الى الامير جان بردي
الغزالي لكونه كان موالبا
لهم حين كان أميرا بحلب في
دولة الجراكسة واستولى
على مدينة ملطية وديوركي
ودارنده وبهسني وكركر
وكاختة والبيرة وعينتاب
وانطاكية وقلعة الروم
واطاعته قبائل العرب
المجاورين للشام ومصر
ثم ان السلطان لما قدم
قسطنطينية قصد ان يشتي
بمدينة ادرنة على حساب
عوائد آبائه في ذلك فلما وصل
الى منزل كان يحارب فيه
مع والده السلطان بايزيد
خان ظهر في جنبة دمل ولم

ثم صلوا الظهر وصلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصلوا الى الحسين فاستقدم الحنفي أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل وهو بين يديه حتى سقط وقاتل زهير ابن القين قتالا شديدا فحمل عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه وكان نافع ابن هلال البجلي قد كتب اسمه على فوق نبله وكانت مسمومة فقتل بها اثني عشر رجلا سوى من جرح فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ اسيرا فاخذه شمر بن ذي الجوشن فأتى به عمر بن سعد والدم على وجهه وهو يقول لقد قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت ولو بقيت لي عضد وساعد ما اسرتموني فانتضى شمر سيفه ليقتله فقال له نافع والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه فقتله شمر ثم حمل على اصحاب الحسين فلما رأوا أنهم قد كثروا وانهم لا يقدرون أن يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا ان يقتلوا بين يديه فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان اليه فقالا قد حازنا الناس اليك فجعلا يقاتلان بين يديه واتاه الفتيان الجابريان وهما سيف بن الحرث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما ابنا عم واخوان لام وهما يبكيان فقال لهما ما يبكيكما اني لارجو أن تكونوا عن ساعة قريري عيني فقالا والله ما على انفسنا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك فقال جزاكما الله جزاء المتقين وجاء حنظلة بن اسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي ياقوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ياقوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ياقوم لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له الحسين رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا ما دعوتهم اليه من الحق ونهضوا ليستبيحوا واصحابك فكيف بهم الآن قد قتلوا اخوانك الصالحين فسلم على الحسين وصلى عليه وعلى اهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل وتقدم الفتيان الجابريان فودعا الحسين وقاتلا حتى قتلا وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر الى الحسين فسلما عليه وتقدما فقاتلا فقتل شوذب وأما عابس فطلب البراز فحماه الناس لشجاعته فقال لهم عمار دعوه بالحجارة فرموه من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه فقتلوه واتى قتل جماعة وجاء الضحاك بن عبد الله المشرقي الى الحسين فقال يا ابن رسول الله قد علمت اني قلت لك اني أقاتل عنك ما رأيت مقاتلا فاذا لم أر مقاتلا فانا في حل من الانصراف فقال له الحسين صدقت وكيف لك بالنجاء ان قدرت عليه فأنت في حل فاقبلت الى فرسي وكنت قد تركته في خباء حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر وقاتلت راجلا وقتلت رجلين وقطعت يد آخر ودعا الى الحسين مرارا فاقال واستخرجت فرسي واستويت عليه وحملت على عرض القوم فافرجوا لي وتبعني منهم خمسة عشر رجلا ففتهم وسلمت وجاء أبو الشعثاء الكندي وهو يزيد بن أبي زياد بين يدي الحسين فرمى بسهامه فعقر منها خمسة اسهم وكلما رمى يقول له الحسين اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة وكان يزيد هذا فيمن خرج مع عمر بن سعد فلما ردوا الشروط على الحسين عدل اليه فقاتل بين يديه وكان أول من قتل واما الصيداوي عمرو بن خالد وجبار بن

يزل يتعاظم هذا الدمل حتى اتسع الخرق على الراقع وتعطل السلطان عن الحركة فاقام في ذلك المحل نحو أربعين يوما فلما كان تاسع شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة ليلة السبت توفي رحمه الله تعالى فاخفي موته الوزراء وارسلوا يعلمون ولده السلطان سليمان خان ويدعونه الى التخت معجلا فلما تيقنوا بوصول السلطان سليمان الى مدينة قسطنطينية اشاعوا موت سلطانهم ورجعوا به الى قسطنطينية فلما قرب من المدينة استقبله ولده السلطان سليمان خان مع وجوه العلماء والاعيان وصلوا عليه في جامع السلطان محمد ثم حملوه ودفنوه في محل قبره وأمر السلطان سليمان خان ببنائه جامع عظيم وعمارة لاطعام الفقراء عند تربته وكان رحمه الله عالما فاضلا ذكيا حسن الطبع بعيد الغور صاحب رأي وتدبير وحزم وكان يعرف الالسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية وينظم نظما بارعا حسنا وكان دائم الفكر في أحوال الرعية والمملكة وقهر الملوك وابادهم ولما كان بمصر كتب على رخام في حائط

الحرث السلمانى وسعد مولى عمرو بن خالد وجمع بن عبيد الله العائذى فانهم قاتلوا اول القتال فلما وغلوا فيهم عطفوا عليهم فقطعوهم عن اصحابهم فحمل العباس بن على فاستنقذهم وقد جرحوا فلما دنا منهم عدوهم حملوا عليهم فقاتلوا فقتلوا فى أول الامر فى مكان واحد وكان آخر من بقى من اصحاب الحسين سويد بن أبى المطاع الخثعمى وكان اول من قتل من آل بنى ابى طالب يومئذ على الاكبر بن الحسين وأمه ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفية وذلك انه حمل عليهم وهو يقول

انا على بن الحسين بن على * نحن ورب البيت أولى بالنبى
* تالله لا يحكم فينا ابن الدعى *

ففعل ذلك مرارا فحمل عليه مرة بن منقذ العبدى فطعنه فصرع وقطعه الناس بسيوفهم فلما رآه الحسين قال قتل الله قوما قتلوك يابنى ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفاء واقبل الحسين اليه ومعه فتيانه فقال احملوا اخاكم فحملوه حتى وضعوه بين يدى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه ثم ان عمرو بن صبيح الصدائى رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطع ان يحركها ثم رماه بسهم آخر فقتله وحمل الناس عليهم من كل جانب فحمل عبد الله بن قطبة الطائى على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله وحمل عثمان بن خالد بن أسير الجهنى وبشر بن سوط الهمدانى على عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب فقتلاه ورمى عبد الله بن عروة الخثعمى جعفر بن عقيل فقتله ثم حمل القاسم بن الحسن بن على وبيده السيف فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدى فضربه على رأسه بالسيف فسقط القاسم الى الارض لوجهه وقال يا عماه فانقض الحسين اليه كالصقر ثم شد شدة الليث اغضب فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بيده فقطع يده من المرفق فصاح وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا فاستقبلته بصدورها وجالت عليه فوطئته حتى مات وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم وهو يفحص برجليه والحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ثم قال عز والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته والله هذا يوم كثر واتره وقل ناصره ثم احتمله على صدره حتى القاه مع ابنه على ومن قتل معه من اهل بيته ومكث الحسين طويلا من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره ان يتولى قتله وعظم اثمه ثم ان رجلا من كندة يقال له مالك بن النسير اتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وادمى رأسه وامتلأ البرنس دما فقال له الحسين لا اكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين والقى البرنس ولبس القلنسوة واخذ الكندى البرنس فلما قدم على اهله اخذ البرنس يغسل الدم عنه فقالت له امرأته أسلب ابن رسول الله تدخل بيتى اخرجه عنى قال فلم يزل ذلك الرجل فقيرا بشر حتى مات ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فاجلسه فى حجره فرماه رجل من بنى اسد فذبحه فأخذ الحسين دمه فصبه فى الارض ثم قال رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى ابا بكر بن الحسين بن على بسهم فقتله وقال العباس بن على لاخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان تقدموا حتى ارثكم فانه لا ولد لكم فقاتلوا وقتلوا وحمل هانئ بن ثبيت الحضرمى على عبد الله بن على فقتله ثم حمل على

لو كان لى اولغيرى قدرا نملة
فوق التراب لكان الامر مشتركا

توفى رحمه الله تعالى وله من العمر اربع وخمسون سنة وكانت مدة ملكه تسعة اعوام وثمانية اشهر وتولى مكانه ولده السلطان الاعظم والخاقان المفخم سليمان خان ابن السلطان سليم خان جلس على سرير الملك فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وعمره اذذاك ست وعشرون سنة لان مولده فى سنة تسعمائة ولما بلغ جان بردى الغزالى موت السلطان سليم خرج عن الطاعة ورام ان يتسلطن بدمشق ونواحيها ولم يدر أن الدولة عنهم قد ولت وان السعادة قد ادبرت فجمع الجموع وحشد الحشود من طوائف الجنود فسار الى مدينة حلب ليستولى عليها فحاصرها مدة ولم يقدر عليها وكان نائب حلب اذ ذاك قرقجه احمد باشا الجركسى فدفعه واجتهد وكان غرضه ان يخرج من البلد ويقابل العدو ويقاتله الا انه خاف من اهل البلد لانهم كانوا قريبى العهد من الجراكسة فلما رأى الغزالى انه لم يجد الى الدخول سبيلا عاد راجعا الى دمشق فشرع

* مل ع فى تحصين القلعة وترميمها فلما بلغ السلطان سليمان خان انه غدر وخان أمر وزيره فرهاد باشا يسير مع جند الباب

يسيروا بمن معهم من الجيوش وكان معهم ثمانية عشر من المدافع الكبار فلما سمع الغزالى بقدومهم خرج من الشام لارض القابون مغترا بشهامته وحسن رايه طالبا لاخذ الانتقام من الاروام فاتفق ملاقاة اول العسكر بموضع يقال له المصطبة بارض القابون وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة فاندهش الخارجى بمن معه تحت ارجل الخيل فلم يعلم له بالجنوده اثر ولما وصل الوزير فرهاد باشا لم يجد من يقابله ويقاتله فدخل البلد ومهدها وفوض نيابة الشام الى امير الامراء بانا طولى اياس باشا وفرق امارة القدس وغزة وغيرهما الى عبيد السلطان وبعث بخبر السلطان بالفتح ففرح السلطان ولما قدم الوزير خلع عليه وزاد قدره ورتبته وفى هذه السنة قصد السلطان سليمان خان قتال قراال انكروس لارش وكان قد تكبر وتجبر واظهر العصيان فامر السلطان بتجهيز عمارة كبيرة فى البحر الابيض لحفظ البلاد من الافرنج العناد وامر بانشاء خمسين زورقا كبيرا للجهاد وبعمائة سفينة للدواب وسيرهم من بحر نيطش الاسود حتى يدخلوا فى نهر طونة

جعفر بن على فقتله ورمى خولى بن يزيد الاصبحى عثمان بن على ثم حمل عليه رجل من بنى ابان بن دارم فقتله وجاء برأسه ورمى رجل من بنى ابان ايضا محمد بن على بن أبى طالب فقتله وجاء برأسه وخرج غلام من خباء من تلك الاخبية فاخذ بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور فحمل عليه رجل قيل انه هانئ بن ثبيت الحضرمى فقتله واشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم فوقع فى فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انى اشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا وقيل الذى رماه رجل من بنى ابان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنه ويبرد له الماء فيه السكر وعساس فيها اللبن ويقول اسقونى فيعطى القلة او العس فيشربه فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول اسقونى قتلنى الظمأ فما لبث الا يسيرا حتى انقدت بطنه انقداد بطن البعير ثم ان شمر بن ذى الجوشن اقبل فى نفر نحو عشرة من رجالهم نحو منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله فقال لهم الحسين ويلكم ان لم يكن لكم دين ولا تخافون يوم المعاد فكونوا احرارا ذوى احساب امنعوا رحلى واهلى من طغاتكم وجهالكم فقالوا ذلك لك يا ابن فاطمة واقدم عليه شمر برجاله منهم أبو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفى والقشعم بن نذير الجعفى وصالح بن وهب اليزنى وسنان بن انس النخعى وخولى بن يزيد الاصبحى وجعل شمر يحرضهم على الحسين وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه ثم انهم احاطوا به واقبل الى الحسين غلام من اهله فقام الى جنبه وقد اهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة الى الحسين بالسيف فقال الغلام يا ابن الخبيثة أتقتل عمى فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطنها الى الجلدة فنادى الغلام يا امتاه فاعتنقه الحسين وقال له يا ابن اخى اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وحمزة وجعفر والحسن وقال الحسين اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض اللهم فان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاة ابدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا ثم ضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه ولما بقى الحسين فى ثلاثة أو اربعة دعا بسراويل فقعد فيه ونكثه اثلا يسلبه فقال له بعضهم لو لبست تحته التبان قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغى ان البسه فلما قتل سلبه بحر بن كعب وكانت يداه فى الشتاء تنضحان بالماء وفى الصيف تبيسان كانهما عود وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله فحمل على الذين عن يمينه فتفرقوا ثم حمل على الذين عن يساره فتفرقوا فما رؤى مكثور قط قد قتل ولده واهل بيته واصحابه اربط جأشا منه ولا امضى جنانا ولا اجرأ مقدما منه ان كانت الرجالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب فينيمها هو كذلك اذ خرجت زينب وهى تقول ليت السماء انطبقت على الارض وقد دنا عمر بن سعد فقالت يا عمر ايقتل أبو عبد الله وانت تنظر فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته وصرف وجهه عنها وكان على الحسين جبة من خز وكان معتما مخضوبا بالوسمة وقاتل راجلا قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول اعلى قتلى تجتمعون أما والله لا تقتلون بعدى عبدا من عباد الله الله اسخط عليكم لقتله منى وايم الله انى لارجو ان يكرمنى الله بهوانكم ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون اما والله لو

لو قتلتموني لا تتفرقوا عن الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الاليم قال ومكث طويلا من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقي بعضهم بعضا ويحب هؤلاء ان يكفيهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى وضرب أيضا على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو وحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فاراد أن يفعل فضعف وارعد فقال له سنان فت الله عضدك ونزل اليه فذبحه واحتز رأسه فدفعه الى خولي وسلب الحسين ما كان عليه فاخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهي من خز فكان يسمى بعده قيس قطيفة واخذ نعليه الاسود الاودي وأخذ سيفه رجل من دارم ومال الناس على الفرش والحلل والابل فانتهبوها ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى ان كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية واما سويد بن المطاع فكان قد صرع فوقع بين القتلى مثخنا بالجراحات فسمعهم يقولون قتل الحسين فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان سيفه قد أخذ فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتل قتله عروة بن بطان الثعلبي وزيد بن رقاد الجنبي وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين ثم انتهوا الى علي ابن الحسين زين العابدين فاراد شمر قتله فقال له حميد بن مسلم سبحان الله اتقتل الصبيان وكان مريضا وجاء عمر بن سعد فقال لا يدخلن بيت هذه النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيأ فليرده فلم يرد أحد شيأ فقال الناس لسنان بن انس النخعي قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت اعظم العرب خطرا اراد يزيل ملك هؤلاء فائت امرأته فاطلب ثوابك منهم فانهم لو اعطوك بيوت اموالهم في قتله كان قليلا فاقبل على فرسه وكان شجاعا شاعرا به لوثة حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى باعلى صوته

اوقر ركابي فضة وذهبا * انى قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس اما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال عمر بن سعد اشهد أنك مجنون ادخلوه علي فلما دخل حذفه بالقضيب وقال يا مجنون اتتكلم بهذا الكلام والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك واخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة الحسين فقال ما أنت فقال انا عبد مملوك فخلى سبيله فلم ينج منهم غيره وغير المرقع بن ثمامة الاسدي وكان قد نفر به فقاتل فجاء نفر من قومه فامنوه فخرج اليهم فلما اخبر ابن زياد خبره نفاه الى الزارة ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب الى الحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحق بن حيوة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين فبرص بعد فاتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلا ودفن الحسين وأصحابه اهل الغاضرية من بني اسد بعد قتلهم بيوم وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى فصلى عليهم عمر ودفنهم ولما قتل الحسين ارسل رأسه ورؤس اصحابه الى ابن زياد مع خولي بن يزيد وحميد بن مسلم الازدي فوجد خولي القصر مغلقا فاتى منزله فوضع الرأس تحت اجانة في منزله

قلاع منيعة هنالك ثم ان السلطان امر بعمارة ما هدم من قلعة بلغراد وعين لها أميرا وقاضيا وعاد الى كرسيه لان الشتاء اقبل

احاط بها نهران عظيمان وهما نهر طونة ونهر صاوة ثم ان السلطان اسكنه الله فسيح الجنان توجه بنفسه من البر فخرج من مقر سلطنته في حادي عشر جمادى الآخرة من هذه السنة الى مدينة ادرنة مع شوكة عظيمة وصحبة العساكر المنصورة وامر أمير الغزاة والمجاهدين بالي بيك ابن يحيى باشا على العساكر وامره بان يسير بجيوش الموحدين ويحاصر قلعة بلغراد وانه قادم من خلفه ثم ان السلطان عزم بعدهم من طريق قلعة بوكردلن وهي قلعة حصينة على شاطئ نهر صاوة وهو الفاصل بين بلاد الاسلام والكفر فامر أحمد باشا امير الامراء بروم ايلي ان يحاصر القلعة المذكورة فسار وحاصرها حتى اخذها بعد ايام ومقاساة آلام وحروب عظيمة ثم جاء السلطان ونزل امام بلغراد بموضع يقال له زمون فامد الغزاة بالعساكر ولم يزل يشتد الامر ويعظم القتال وتقطع الرؤس وتزهق النفوس حتى فتح الله تعالى على المسلمين وفازوا بغنائم لا تحصى فلما شاهد الكفار هذا الفتح العظيم انقادوا وجاؤا اليه بمفاتيح ثمان

ودخل فراشه وقال لامرأته النوار جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك فى الدار
فقالت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
لا يجمع رأسى ورأسك بيت ابدا وقامت من الفراش فخرجت الى الدار قالت فمازلت انظر الى
نور يسطع مثل العمود من السماء الى الاجانة ورأيت طيرا أبيض يرفرف حولها فلما أصبح
غدا بالرأس الى ابن زياد وقيل بل الذى حمل الرؤس كان شمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج
وعروة بن قيس فجلس ابن زياد وأذن للناس فأحضرت الرؤس بين يديه وهو ينكت بقضيب بين
ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن الارقم لا يرفع قضيبه قال أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين
فوالذى لا اله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم
بكى فقال له ابن زياد ابكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك
فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة
فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن يرضى بالذل فاقام عمر بعد قتله يومين
ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن
الحسين مريض فاجتازوا بهم على الحسين واصحابه صرعى فصاح النساء واطمن خدودهن
وصاحت زينب اخته يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء
مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق فلما
ادخلوهم على ابن زياد لبست زينب ارذل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من
هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهى لا تكلمه فقال بعض اماتها هذه زينب بنت فاطمة
فقال لها ابن زياد الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت الحمد لله الذى
أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر فقال فكيف
رأيت صنع الله باهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك
وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى الله غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من
أهل بيتك فبكت وقالت لعمرى لقد قتلت كهلى وابرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت
اصلى فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه شجاعة لعمرى لقد كان أبوك شجاعا فقالت
ما للمرأة والشجاعة ولما تطر ابن زياد الى على بن الحسين قال ما اسمك قال على بن الحسين قال
اولم يقتل الله على بن الحسين فسكت فقال مالك لا تتكلم فقال كان لى اخ يقال له أيضا على فقتله
الناس فقال ان الله قتله فسكت على فقال مالك لا تتكلم فقال الله يتوفى الانفس حين موتها وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله قال انت والله منهم ثم قال لرجل ويحك انظر هذا هل ادرك الى
لا احسبه رجلا قال فكشف عنه مرى بن معاذ الاحرى فقال نعم قد ادرك قال اقتله فقال على
من توكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد حسبك منا ما رويت من دمائنا وهل
ابقيت منا احدا واعتنقته وقالت اسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته لما تقتلنى معه وقال له
على يا ابن زياد ان كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر
اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله انى لاظنها ودت لو انى قتلته الى قتلتها معه دعوا الغلام يلحق
مع نسائه ثم نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فخطبهم وقال الحمد لله الذى اظهر

والصادرين والواردين من جهة كفار رودس احب الجهاد اليهم فعين لهم وزيره فرهاد باشا المذكور بان يسير الى طرف سيواس لحفظ البلاد وكان بلغه خيانة على بيك ابن شاه سوار صاحب هرعش وأمر بقتله ان ظفر به فسار فرهاد باشا حتى اذا وصل الى قريب بلاده ارسل الى على بيك المذكور بأن يقدم اليه ليشاوره فى أمر المملكة فلما اجتمع به قتله وقتل أولاده معه ثم ان السلطان امر الوزير الثانى مصطفى باشا بان يسير بالعمارة فى البحر فسار حتى رسى الاعلى جزيرة رودس وخرج السلطان بنفسه فى عساكر لا تحصى فى ثامن عشر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فسار من البر حتى نزل بقرب يكى شهر من بلاد ايدين ثم ان المسلمين الذين عينوا مع الوزير الثانى من جهة البحر ساروا فى نحو سبعمائة غراب حتى ارسوا فى مرسى من مراسى رودس يقال له انف الثور وكانت قلعة رودس من امنع حصون الدنيا وكان بانيها ماهرا فى الهندسة بحيث انه بنى سور القلعة تحت الارض وعمل لها خندقا عريضا عميقا وشحنها بالمدافع وجعل للبلد سورين فى عرض سبعة اذرع وملأ ما بينهما وهو مقدار عشرة اذرع بالتراب عوضا عن الحجارة ولها

الحق واهله ونصر امير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فوثب اليه عبد الله بن عفيف الازدي ثم الوالبي وكان ضريرا قد ذهبت احدى عينيه يوم الجمل مع علي والاخرى بصفين معه أيضا وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه الى الليل ثم ينصرف فلما سمع مقالة ابن زياد قال يا ابن مرجانة ان الكذاب ابن الكذاب انت وأبوك والذي ولاك وابوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين فقال علي به فاخذوه فنادى بشعار الازد يا مبرور فوثب اليه فتية من الازد فانتزعوه فارسل اليه من أتاه به فقتله وامر بصلبه في المسجد فصلب رحمه الله وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة وكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام على خشبة في قول والصحيح ان أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو ابن الحمق ثم ارسل ابن زياد رأس الحسين ورؤس أصحابه مع زحر بن قيس الى الشام الى يزيد ومعه جماعة وقيل مع شمر وجماعة معه وأرسل معه النساء والصبيان وفيهم علي بن الحسين قد جعل ابن زياد الغل في يديه ورقبته وحملهم على الاقتاب فلم يكلمهم علي بن الحسين في الطريق حتى بلغوا الشام فدخل زحر بن قيس على يزيد فقال ما وراءك فقال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان ينزلوا على حكم الامير عبيد الله او القتال فاختاروا القتال فعدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا اخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كالاذا الحمائم من صقر فوالله ما كان الا جزر جزور أو نومة قائل حتى اتينا على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بقاع سبسب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشيء وقيل ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وارسل الى يزيد بالخبر فبينما هم في الحبس انسقط عليهم جرفيه كتاب مربوط وفيه ان البريد سار بأمركم الى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا فان سمعتم التكبير فايقوا بالقتل وان لم تسمعوا تكبيرا فهو الامان فلما كان قبل قدوم البريد بيومين او ثلاثة اذا جرة قد ألقي وفيه كتاب يقول فيه اوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد ثم جاء البريد بامر يزيد بارسالهم اليه فدعا ابن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس فلما وصلوا الى دمشق نادى محفز بن ثعلبة على باب يزيد جئنا برأس احمق الناس وألأمهم فقال يزيد ما ولدت أم محفز ألأم واحمق منه ولكنه قاطع ظالم ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه فسمعت الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا امير المؤمنين أرأس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فما لي عليه وحدي علي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريحة قريش بجعل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم اذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره ثم قال ان هذا وايانا كما قال الحصين بن الحمام

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت ٭ قواضب في أيماننا تقطر الدما

وجعلوا عليها سلسلة من حديد ولها بعض قفل ويروح تتاخى في الرفعة والاحكام سمك السماء وفي رابع شهر رمضان اجتاز السلطان مع العسكر من البحر الى جهة رودس فنزل بجعل رفيع مشرف على الحصن وقدم خير الدين بيك الجركسي نائب مصر في أربعة وعشرين غرابا امدادا للمسلمين واستمروا في أمر الحصار بالمكاحل والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما فلم يغنوا شيأ لان سورها كان معمولا بالتراب وحجارتها رخوة فشرعوا في نقل التراب وطم الخنادق ونقب الاسوار من تحت الارض ثم انهم ملؤا النقوب بالبارود واضرموها بالنار فانفتح بسبب ذلك عدة مواضع يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك استأمنوا على انفسهم واولادهم فامنهم السلطان ثم رجعوا عن ذلك لانهم أتاهم مدد من الكفار في عدة مراكب بالليل ثم شرع المسلمون في الحرب ثانيا حتى اضطر الكفار ونادوا يا أهل الايمان الامان الامان وذلك في وقت العصر وأرسل امير القلعة خمسين نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤالهم وأذن لهم في المسير مع جماعة وأمرهم بأن يطلقوا اسارى المسلمين فاطلقوا امة كثيرة كانوا أسيرين من الاشراف والاعيان والعباد من مدة طويلة في سلاسل واغلال

بها فافسدوا طريق الحاج وغيرهم من المسلمين ثم توجه السلطان الى مدينة اسلامبول وفى رمضان سنة تسع وعشرين وتسعمائة ولى أحمد باشا نيابة مصر فلما وصل اليها رفع راية الخلاف واستمال من بقى من الجراكسة المفسدين واعلن بالملك لنفسه وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر وكان أحمد باشا استصحب معه محمد بيك وجعله وزيرا وكان عاقلا فرأى عاقبة هذا الامر خاسرة فتدارك فى تلافيه فترصد الفرصة فاتفق ان دخل أحمد باشا المذكور الحمام فكمن الوزير مع جماعة من العثمانية وظفروا به فقتلوه وضبط أحوال مصر الى ان وصل من الباب العالى الوزير كوزلجه قاسم باشا وفى سنة ثلاثين وتسعمائة كانت وليمة الوزير ابراهيم باشا فى مدينة اسلامبول وكان عرسا عظيما حضره السلطان وجميع العلماء والاعيان وفى سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة خرج السلطان سليمان الى قتال الطائفة الطاغية انكروس فلما وصل الى بلغراد لم يزل مشغولا بفتح الحصون والقلاع وجاء أكثر أربابها مستأمنين بمفاتيح القلاع ثم سار السلطان حتى انتهى الى نهر صاوه وهو من أعظم انهار الدنيا فى

يفلقن هاما من رجال اعزة * علينا وهم كانوا اعق واظلما

فقال له ابو برزة الاسلمى انتكت بقضيبك فى ثغر الحسين اما لقد اخذ قضيبك فى ثغره مأخذ الربا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه اما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولى فقال يزيد والله يا حسين لو كنت انا صاحبك ما قتلتك ثم قال اتدرون من أين أتى هذا قال أبى على خير من ابيه وفاطمة امى خير من أمه وجدى رسول الله خير من جده وانا خير منه واحق بهذا الامر منه فاما قوله ابوه خير من ابى فقد تحاج أبى وأبوه الى الله وعلم الناس ايهما حكم له واما قوله امى خير من امه فلعمرى فاطمة بنت رسول الله خير من أمى واما قوله جدى رسول الله خير من جده فلعمرى ما احد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلا ولا ندا ولكنه انما أتى من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك ثم ادخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين يتطاولان لينظرا الى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد ولولت بنات معاوية فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة ابنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يا ابنة اخى انا لهذا كنت اكره قالت والله ما تركت لنا خرص فقال ما انى لكن اعظم مما اخذ منكن فقام رجل من اهل الشأم فقال هب لى هذه يعنى فاطمة فأخذت بثياب اختها زينب وكانت اكبر منها فقالت زينب كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد وقال كذبت والله ان ذلك لى ولو شئت ان افعله لفعلته قالت كلا والله ما جعل الله لك ذلك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد واستطار ثم قال اياى تستقبلين بهذا انما خرج من الدين ابوك واخوك قالت زينب بدين الله ودين ابى واخى وجدى اهتديت انت وابوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت انت امير تشتمنى ظلما وتقهر بسلطانك فاستحى وسكت ثم اخرجن وادخلن دور يزيد فلم تبق امرأة من آل يزيد الا اتينهن واتين المأتم وسألهن عما اخذ منهن فاضعفه لهن فكانت سكينة تقول ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية ثم امر بعلى بن الحسين فأدخل مغلولا فقال لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلولين افلت عنا قال صدقت وامر بفك غله عنه فقال على لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا لاحب ان يقرينا فامر به فقرب منه وقال له يزيد ايه يا على بن الحسين ابوك الذى قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به ما رأيت فقال على ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور فقال يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر بانزاله وانزال نسائه فى دار على جده وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى الا دعا عليا اليه فدعاه ذات يوم ومعه عمرو بن الحسين وهو غلام صغير فقال لعمرو أتقاتل هذا يعنى خالد بن يزيد فقال عمرو اعطنى سكينا واعطه سكينا حتى اقاتله فضمه يزيد اليه وقال شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية الا حية وقيل لما وصل رأس الحسين الى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ثم لم يلبث الا يسيرا حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتل الحسين فكان يقول وما على لو احتملت الاذى وانزلت الحسين معى فى دارى وحكمته فيما يريد وان كان على

في ذلك وهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه اضطره وقد سأله ان يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك فقتله فبغضني بقتله الى المسلمين وزرع في قلوبهم العداوة فابغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ولما اراد ان يسيرهم الى المدينة امر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم الى المدينة ودعا عليا ليودعه وقال له لعن الله ابن مرجانة اما والله لو اني صاحبه ما سألني خصلة ابدا الا اعطيته اياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن قضى الله ما رأيت يا بني كاتبني حاجة تكون لك وأوصى بهم هذا الرسول فخرج بهم فكان يسايرهم ليلا فيكونون امامه بحيث لا يفوتون طرفه فاذا نزلوا انتحى عنهم هو واصحابه فكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت علي لاختها زينب لقد احسن هذا الرجل الينا فهل لك ان نصله بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به الا حلينا فاخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا به اليه واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما رضيني ولكن والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس وهي ام ابنته سكينة وحملت الى الشام فيمن حمل من أهله ثم عادت الى المدينة فخطبها الاشراف من قريش فقالت ما كنت لاتخذ حوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا وقيل انها اقامت على قبره سنة وعادت الى المدينة فماتت اسفا عليه وأرسل عبيد الله بن زياد مبشرا الى المدينة بقتل الحسين الى عمرو بن سعيد فلقيه رجل من قريش فقال ما الخبر فقال الخبر عند الامير فقال القرشي انا لله وانا اليه راجعون قتل الحسين ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال ما وراءك قال ما سر الامير قتل الحسين بن علي فقال نادبة تقتل له فنادى فصاح نساء بني هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * منهم اساري وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما سمع عمرو أصواتهن ضحك وقال

عجت نساء بني زياد عجة * كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والارنب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحرث بن كعب وهذا البيت لعمرو بن معديكرب ثم قال عمرو ناعية كناعية عثمان ثم صعد المنبر فاعلم الناس قتله ولما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا والله لو شهدته لاحببت ان لا أفارقه حتى اقتل معه والله انه لما يسخى بنفسي عنهما ويهون علي المصاب بهما انهما اصيبا مع اخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال ان لم تكن آست الحسين يدي فقد

برفع الجسر فرفع فبقي المسلمون في بلاد الكفار وذلك لشهامته وقوة عزيمته وقطع اطماع العسكر من الفرار الى بلادهم ولما سمع القرال لاوش رئيس كفار انكروس قصد المسلمين جمع مردته الشياطين وسار من كرسي مملكته بدون الى طرف عسكر الاسلام نحو خمس منازل وخيم في مفازة هنالك تسمى صهاريج واشرف المسلمون على محل الكفار وربوة القتال فرتبوا الميمنة والميسرة واخذوا اهبة الحرب وتضرع السلطان الى الله تعالى وسأل لهم النصر واستمد بروحانية سيد الانام صلى الله عليه وسلم وجعلوا امام الينكجرية في هيئة الحاجز بين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبوا عليها المدافع وقيدوا بعضها ببعض بالسلاسل لان غالب العسكر مشاة يخاف عليهم من خيل الكفار ووقف الينكجرية تسعة صفوف كما هي عادتهم في الحروب فجاء الكفار وهجموا باجمعهم على القلب فرأوا أنه لا سبيل الى العبور بسبب العجلات فانحازوا الى طرف اليمين فوقع بينهم وبين عسكر

روم ايلي مقتلة عظيمة فلما علم الكفار ان لا طاقة لهم بهم انحازوا الى طرف عسكر اناطولي فاقتتلوا قتالا شديدا وقد كان أصاب

المسلمون وانهزم المشركون لكمر مستنفرة فرت من قسورة فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت الاجساد كالتلال ثم أقبل الليل فباتوا وقد برت الدماء كالسيل فغنم العسكر منهم شيأ كثيرا لا يحصى ثم نهض السلطان الى فتح كرسي مملكة القرال قلعة بدون فوصل اليها فوجدها خالية لا انيس بها ولا جليس فاستولى عليها وأتى له بمفتاح بشته وهي بلدة مقابل بدون في الطرف الآخر من نهر طونة وكان هذا الفتح من اعظم الفتوحات الجليلة فلما دخل السلطان الى حدود بلاد الاسلام بلغ السلطان انه توغل في بلاد الكفار وانقطع خبره عن المسلمين فخرج في بلاد اناطولي عدة خوارج منهم قلندر ومنهم سيدي خليفة فاستفحل أمرهم وكثر جمعهم وخرج كل منهم في ناحية وقتلوا ونهبوا من المسلمين والامراء المولدين لحفظ البلاد خلقا كثيرا فعين لهم السلطان عساكر فقتلوهم وهزموهم وفي سنة أربعين وتسعمائة أمر السلطان سليمان خان لنظام الملك ابراهيم باشا الوزير الاعظم ان يشتي في حلب ثم يسير اذا حل زمن الربيع الى طرف العراق وأمره على العساكر المنصورة فوصل الى حلب وقد

آساه ولدي وأما وفد اهل الكوفة بالرأس الى الشأم ودخلوا مسجد دمشق أتاهم مروان بن الحكم فسألهم كيف صنعوا فاخبروه فقام عنهم ثم أتاهم اخوه يحيى بن الحكم فسألهم فاعادوا عليه الكلام فقال جيبتم عن محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ان اجامعكم على أمر ابدا ثم انصرف عنهم فلما دخلوا على يزيد قال يحيى بن الحكم

لهام بجنب الطف أدنى قرابة * من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية امسى نسلها عدد الحصى * وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضرب يزيد في صدره وقال اسكت قبل وسمع بعض اهل المدينة ليلة قتل الحسين مناديا ينادي

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبي وملائك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود * وموسى وصاحب الانجيل

ومكث الناس شهرين او ثلاثة كأنما تطلع الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع قال رأس جالوت ذلك الزمان ما مررت بكربلاء الا وانا اركض دابتي حتى أخلف المكان لانا كنا نتحدث ان ولد نبي يقتل بذلك المكان فكنت أخاف فلما قتل الحسين امنت فكنت أسير ولا اركض قيل وكان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل قتل وهو ابن احدى وستين وليس بشئ وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين (بربر بن خضير بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره راء وخضير بالخاء والضاد المعجمتين وثبيت بضم الثاء المثلثة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره تاء مثناة من فوقها ومحفر بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة وآخره راء) وقال التيمي تيم مرة يرثي الحسين واهله وكان منقطعا الى بني هاشم

مررت على أبيات آل محمد * فلم ارها امثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار واهلها * وان اصبحت من أهلها قد تخلت
وان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم اضحوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوما بها حيث حلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * تقتلنا قيس اذا النعل زلت

(ذكر أسماء من قتل معه)

قال سليمان لما قتل الحسين ومن معه حملت رؤسهم الى ابن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الاشعث وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن الضبابي وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأسا وجاءت بنو اسد بستة ارؤس وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة ارؤس فذلك سبعون رأسا وقتل الحسين وقتله سنان بن انس النخعي لعنه الله وقتل العباس بن علي وامه ام البنين بنت حزام قتله زيد بن داود الجنبي وحكيم بن الطفيل السنسي وقتل جعفر بن علي وامه ام البنين ايضا وقتل عبد الله بن علي وامه ام البنين ايضا وقتل عثمان ابن علي وامه ام البنين أيضا رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله وقتل محمد بن علي وامه ام ولد قتله رجل

رجل من بني دارم وقتل ابو بكر بن علي وامه ليلى بنت مسعود الدارمية وقد شد في قتله وقتل علي بن الحسين بن علي وامه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة الثقفي وامه ميمونة ابنة ابي سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدي وقتل عبد الله بن الحسين بن علي وامه الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي وقتل أبو بكر ابن اخيه الحسن أيضا وأمه ام ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم وقتل القاسم بن الحسن أيضا قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدي وقتل عون بن ابي جعفر بن أبي طالب وامه جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري قتله عبد الله بن قطبة الطائي وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وامه الخوصاء بنت خصفة بن تيم الله بن ثعلبة قتله عامر بن نهشل التميمي وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وامه ام بنين ابنة الثغر بن الهضاب قتله بشر بن الخوط الهمداني وقتل عبد الرحمن بن عقيل وامه ام ولد قتله عثمان بن خالد الجهني وقتل عبد الله بن عقيل وامه ام ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوي بسهم فقتله وقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وامه ام ولد وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وامه رقية ابنة علي بن ابي طالب قتله عمرو بن صبيح الصيداوي ويقال قتله مالك بن أسيد الحضرمي وقتل محمد بن أبي سعيد ابن عقيل وامه ام ولد قتله لقيط بن ياسر الجهني واستصغر الحسن بن الحسين بن علي وامه خولة بنت منظور بن زبان الفزاري واستصغر عمرو بن الحسين وامه ام ولد فلم يقتلا وقتل من الموالي الحسين قتله سليمان بن عوف الحضرمي وقتل منجح مولى الحسين أيضا وقتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين قال ابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الليلة التي قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دما فقلت يا رسول الله ما هذا قال هذه دماء الحسين واصحابه ارفعها الى الله تعالى فأصبح ابن عباس فاعلم الناس بقتل الحسين وقص رؤياه فوجد قد قتل في ذلك اليوم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لام سلمة اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظت ام سلمة ذلك التراب في قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فاعلمت الناس بقتله أيضا وهذا يدل على قول من يقول ام سلمة توفيت بعد الحسين ثم ان ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين يا عمر ائتني بالكتاب الذي كتبته اليك في قتل الحسين قال مضيت لامرك فوضاع الكتاب قال ائتني به قال ضاع قال لتجيئني به قال ترك والله يقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذارا اليهن أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها ابا سعد بن ابي وقاص لكنت قد ادديت حقه فقال عثمان بن زياد اخو عبيد الله صدق والله لوددت انه ليس من بني زياد رجل الا وفي انفه خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل فما أنكر ذلك عبيد الله بن زياد آخر (المقتل)

(ذكر مقتل ابي بلال مرادس بن جدير الحنظلي)

قد تقدم ذكر سبب خروجه وتوجيه عبيد الله بن زياد العساكر اليه في الف رجل فالتقاهم باسك وهزيمة عسكر ابن زياد فلما هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد ارسل اليه ثلاثة آلاف عليهم عباد بن الاخضر والاخضر زوج أمه نسب اليه وهو عباد بن علقمة بن عباد التميمي فاتبعه حتى لحقه بتوج (٢) فصف له عباد وحمل عليهم ابو بلال فيمن معه فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر فقال ابو بلال هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي

وكان فكر الوزير في استخلاص قلعة وان وعاد لجوز سائر القلاع التي في تلك النواحي فلما اقبل الربيع خرج الوزير المذكور من حلب وقارب تلك النواحي اذ أقبل رسول حاكم تلك القلاع بمفاتيحها فعين الوزير انا سالضبطها وحراستها ووصلت أيضا مفاتيح عدة قلاع من بلاد الاكراد ولما وصل الوزير مع العساكر الى بلاد العجم توقف العسكر وقالوا لا نقابل السلطان الا السلطان فنحن لا نقابل سلطان العجم مالم يكن السلطان معنا فخاف الوزير من غائلة هذا الامر فارسل يريد السلطان بالنهوض والوصول اليه والا تلاشت الامور فخرج السلطان من مدينة قسطنطينية في ثامن شهر ذي القعدة سنة أربعين وتسعمائة فاستقبله أهل تبريز وهنؤه بالقدوم وفي غد ذلك اليوم نهض السلطان فنزل بأرجان وكان الوزير ابراهيم باشا حمل ركابه فيه فتلاطم البحران واجتمع العسكران واستعد الوزير بتقبيل ركاب السلطان فخلع عليه وعلى بقية الامراء الذين كانوا معه وكان صاحب كيلان

السلطان مظفر قد قدم الى الوزير ابراهيم باشا بمدينة تبريز بعشرة آلاف من عسكره كلهم مشاة ما فيهم

الاول رحل السلطان من أرجيان ونزل بالسلطانية في سلخ الشهر وفيها ورد محمد خان بن شاهرخ بن ذي القادر طائعا الى السلطان وأذن السلطان لصاحب كيلان بالمسير لبلاده ونهض السلطان بالعسكر وقد نزل الشتاء واقبل البرد فتوجه الى طرف العراق ليشتي فوصل الى مدينة بغداد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وتسعمائة وكان النائب بها من قبل سلطان العجم بكلو محمد خان فلما سمع بوصول العسكر الى حدود العراق بعث الى السلطان بالطاعة ثم أخذ أمواله وعياله فهرب الى بلاد العجم فدخل العسكر بغداد ونصبوا الرايات العثمانية على بروجها ثم قصد السلطان زيارة سيدنا أبي حنيفة رحمه الله وكان شاه اسمعيل لما ملك بغداد أمر بنقض تربته فجدد السلطان عليه مشهدا عظيما وبنى فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبنى عليه قلعة حصينة ووضع فيها المدافع والمكاحل والحراس وزار سيدي هاشم موسى الكاظم روح الله روحه في ظاهر بغداد وقصد زيارة سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد عروضا

فاجابهم ابن الاخضر وتجاهز وافعجل ابن الاخضر الصلاة وقيل قطعها والخوارج يصلون فشد عليهم هو واصحابه وهم ما بين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم احد من حاله فقتلوا من آخرهم واخذ رأس ابي بلال ورجع عباد الى البصرة فرصده بها عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر فاقبل عباد يريد قصر الامارة وهو مردف ابنا صغيرا له فقالوا له قف حتى نستفتيك فوقف فقالوا نحن اخوة أربعة قتل اخونا فما ترى قال استعدوا الامير قالوا قد استعديناه فلم يعدنا قال فاقتلوه فقتله الله فوثبوا عليه وحكموا به فالقى ابنه فنجا وقتل هو فاجتمع الناس على الخوارج فقتلوا اخا عبيدة ولما قتل ابن عباد كان ابن زياد بالكوفة ونائبه بالبصرة عبيد الله بن ابي بكرة فكتب اليه يأمره أن يتبع الخوارج ففعل ذلك وجعل ياخذهم فاذا شفع في احدهم ضمنه الى ان يقدم ابن زياد ومن لم يكفله احد حبسه وأتى بعروة بن اذية فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم ابن زياد اخذ من في الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكفلاء عمن كفلوا به فمن أتى بخارجي اطلقه وقتل الخارجي ومن لم يات بالخارجي قتله ثم طلب عبيد الله بن ابي بكرة بعروة بن أذية قال لا اقدر عليه فقال اذن اقتلك به فلم يزل يبحث عنه حتى ظفر به واحضره عند ابن زياد فقال له ابن زياد لامثلن بك فقال اختر لنفسك من القصاص ماشئت به فامر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه وقيل انه قتل سنة ثمان وخمسين

(ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان)

قيل في هذه السنة استعمل يزيد سلم بن زياد على خراسان وسبب ذلك ان سلما قدم على يزيد فقال له يزيد يا أبا حرب اوليك عملا اخويك عبد الرحمن وعبادا فقال ما احب امير المؤمنين فولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحرث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب الى خراسان وقدم سلم البصرة فتجهز منها فوجه اخاه يزيد الى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد الى اخيه عباد يخبره بولاية سلم فقسم عباد ما في بيت المال على عبيده وفضل فضل فنادى من اراد سلما فليأخذ فاسلف كل من اتاه وخرج عباد من سجستان فلما كان ببيرفت بلغه مكان سلم وكان بينهما جبل فعدل عنه فذهب لعباد تلك الليلة الف مملوك أقل ما مع احدهم عشرة آلاف وسار عباد على فارس فقدم على يزيد فسأله عن المال فقال كنت صاحب ثغر فقسمت ما اصبت بين الناس ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى أخيه عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل الفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى ابن يعمر العدواني وصلة بن اشيم العدوي وغيرهم وسار سلم الى خراسان وعبر النهر غازيا وكان عمال خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا الى مرو والشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة عمالي خوارزم فيتعاقدون ان لا يغزو بعضهم بعضا ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطالبون الى امرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فلما قدم سلم غزا فشتى في بعض مغازيه فألح عليه المهلب بن أبي صفرة وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف وقيل أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا أنفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف وكان في صلحهم ان يأخذ منهم

عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين الف ألف فحظي بها المهلب عند سليم وأخذ سليم من ذلك ما أعجبه وبعث به الى يزيد وغزا سليم سمرقند وعبرت معه النهر امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابنا سماه صغدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليها فلم تعده اليها وذهبت به و وجه جيشا الى بخندة فيهم اعشى همدان فهزموا فقال اعشى

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهـ ـزم وغودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وتروحـ ـت الى الله بالدماء خضيبا

(ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان)

ولما استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان استعمل اخاه يزيد على سجستان فغدر أهل كابل فنكثوا واسروا أبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فمن قتل يزيد بن عبد الله بن أبي مليكة وصلة بن اشيم ابو الصهباء العدوي زوج معاذة العدوية فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان والى اعاليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فاخرجته المضرية و وقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل

(ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد)

قيل وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان سبب ذلك ان عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد وبويع بمكة بعد قتل الحسين فانه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب أهل الكوفة خاصة واهل العراق عامة فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل العراق غدراء فجراء الا قليلا وان أهل الكوفة شرار أهل العراق وانهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقالوا اما ان تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه واما ان تحارب فرأى والله انه هو واصحابه قليل في كثير فان كان الله لم يطلع على الغيب احدا انه مقتول ولكنه اختار المنية الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله الحسين واخزى قاتله لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم بما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما قدر نازل واذا أراد الله أمرا لم يدفع افبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا والله لا نراهم لذلك أهلا أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن غنا ولا بالبكاء من خشية الله حدا ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالجاسر في حلق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد فسوف يلقون غيا فثار اليه أصحابه وقالوا أظهر بيعتك فانك لم يبق أحد اذا هلك الحسين نازعك هذا الامر وقد كان يبايع سرا ويظهر انه عائذ بالبيت فقال لهم لا تعجلوا وعمرو بن سعيد يومئذ عامل مكة وهو أشد شئ على ابن الزبير وهو مع ذلك يداري و يرفق فلما استقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير بمكة من الجموع أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع

نزل في عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وتسعمائة بمنزل يقال له صار وجه قش فوصل رسول صاحب الشرق يعرض الاخلاص ويطلب الصلح فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر في مسيره الى مدينة مراغة ثم الى مدينة تبريز وفي رابع شهر محرم سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ركب السلطان ودخل مدينة تبريز ليتفرج ويصلي صلاة الجمعة فنر شواله جامع السلطان حسن فصلى فيه صلاة الجمعة وخطب الخطيب خطبة بليغة باسمه ثم نهض بالعسكر الجرار والبحر الزخار يريد قتال شاه طهماسب المذكور فتوغل في بلاده حتى وصل الى بلاد مدينة دركزين وفيها وصل وافد شاه طهماسب بالكتاب يريد الصلح وانه لا يقابل ولا يقاتل ابدا ويرجو من كرم السلطان ان يرحم الرعايا والبرايا فقد هلكت دوابهم وخربت بلادهم وان يعفو عنا فيعود بالعز والاكرام الى طرف الروم وعاهده ان لا يخونه وتكون له البلاد التي أخذها منه ولا ينازعه فيها ابدا وانه يلبيه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك أمر العسكر بالعود فعاد حتى دخل مقر سلطنته قسطنطينية في رابع عشر رجب وقد زينت المدينة واستبشروا بقدومه وفي ليلة

النوم قام الى محله على جارى عادته فأرسل السلطان بوستانجى باشى اسكندر أغا لقتل ابراهيم باشا فقتله فاصبح ميتا فتعجب الناس من قتله لانه كان أحب الناس عند السلطان وخفى عن العامة سببه والذى اشتهر ان اسكندر چلبى الدفترى وشى الى السلطان بانه يروم قتل السلطان ويتسلطن هو مكانه وكان قد اظهر هذا السر لصاحبه اسكندر المذكور وقيل ان السلطان لما بلغه ذلك سأله عنه فى مجلس انسه فقال يا ابراهيم انى اريد أن أجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان العبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال لابد من ذلك فقال ان تفضل السلطان بان يضرب وجه السكة باسم مولانا السلطان والوجه الآخر باسمى اكتفى بالمشاركة فى السكة فلما اطلع السلطان على جليه الحال قتله من غير مهلة * وفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة وصل القاسب ميرزا بن اسمعيل بن حيدر الى الروم وكان سببه ان اخاه طهماسب لما استولى على شروان جعل القاسب والبا بها من قبله وهو اخوه الصغير وكان اشجع اخوته ثم وقع بينه وبين طهماسب عدة حروب وكان النصر فيها الى القاسب المذكور ثم نهض طهماسب الى قتاله فلما سمع هجومه خاف الخزوى

ابن عطاء الاشعرى وسعد وأصحابهما ليأتوه فيها ويبعث معهم برأس خزيل يلبسوه عليها لئلا تظهر للناس فاجتاز ابن عطاء بالمدينة وبها مروان بن الحكم فاخبره ما قدم له فارسل مروان معه ولدين له احدهما عبد العزيز وقال اذا بلغته رسل يزيد فتعرض له ليقتل احدكما بهذا القول فقال

نخذها فليست للعزيز بخطة * وفيها فعال لامرئ متذال
أعامر ان القوم ساموك خطة * وذلك فى الجيران عزلا بمعزل
ارالك اذا ما كنت للقوم ناصحا * يقال له بالدلو ادبر واقبل

فلما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الابيات فقال ابن الزبير يا بنى مروان قد سمعت ما قلتما فاخبرا أباكما

انى لمن بيعة صم مكاسرها * اذا تنا وحت البكاء والعشر
فلا ألين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وامتنع ابن الزبير من رسل يزيد فقال الوليد بن عتبة وناس من بنى امية ليزيد لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزل عمرا وولى الوليد الحجاز وأخذ الوليد غلمان عمرو وموالية فحبسهم فكلمه عمرو فابى ان يخليهم فسار عن المدينة ليلتين وارسل الى غلمانه بعدتهم من الابل فكسروا الحبس وساروا اليه فلحقوه عند وصوله الى الشام فدخل على يزيد واعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس الوليد هذه السنة وكان الامير بالعراق عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سلم بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وفى هذه السنة مات علقمة بن قيس النخعى صاحب ابن مسعود وقيل سنة اثنتين وقيل خمس وله تسعون سنة وفيها توفى المنذر ابن الجارود العبدى وجابر بن عتيك الانصارى وقيل حر وكان عمره احدى وتسعين سنة وشهد بدرا وفيها مات حمزة بن عمرو الاسلمى وعمره احدى وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة له صحبة وفيها توفى خالد بن عرفطة الليثى وقيل العذرى حليف بنى زهرة وقيل مات سنة ستين وله صحبة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين)

(ذكر وفد اهل المدينة الى الشام)

لما ولى الوليد الحجاز أقام يزيد غرة ابن الزبير فلا يجده الا محترزا ممتنعا وثار نجدة بن عامر النخعى باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يفيض من المعرف ويفيض معه سائر الناس وابن الزبير واقف فى اصحابه ونجدة واقف فى أصحابه ثم يفيض ابن الزبير باصحابه ونجدة باصحابه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن أكثر الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر فى امر الوليد فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا احرق لا يجد رشدا ولا يرعوى لعظة الحكيم فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر منها او ان يجتمع ما تفرق فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن ابى سفيان وهو فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم يحنكه السن لا يكاد ينظر فى شئ من سلطانه ولا عمله فبعث الى يزيد وفدا من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة

المخزومى والمنذر بن الزبير رجالا كثيرة من أشراف اهل المدينة فقدموا على يزيد فاكرمهم واحسن اليهم وأعظم جوائزهم فاعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفا فاضلا عابدا سيد امائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فاعطى كل ولد عشرة آلاف فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد اجازه بمائة ألف فلما قدم أوائل النفر الوفد المدينة فاصوا فيهم فاظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم وقد أعطانى واكرمنى وما قبلت منه عطاءه الا لاتقوى به فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم واما المنذر بن الزبير فانه قدم على ابن زياد فاكرمه وأحسن اليه وكان صديقا لزياد فاتاه كتاب يزيد حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر فكره ذلك لانه ضيفه وصديق أبيه فدعاه واخبره بالكتاب فقال له اذا اجتمع الناس عندى فقم وقل ائذن لى لانصرف الى بلادى فاذا قلت بل تقم عندى فلك الكرامة والمواساة فقل ان لى ضيعة وشغلا ولا أجد بدا من الانصراف فانى آذن لك فى الانصراف فتلحق باهلك فلما اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فاذن له فى الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد وقال انه قد أجازنى بمائة ألف ولا يمنعنى ما صنع بى ان اخبركم خبره والله انه ليشرب الخمر والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصارى وقال له ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم ما يمنعهم شئ مما يريدون فانهم ان لم ينهضوا فى هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافى فاقبل النعمان فاتى قومه فامرهم بلزوم الطاعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انكم لا طاقة لكم باهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوى يا نعمان ما عملك على فساد ما اصلح الله من أمرنا وتفريق جماعتنا فقال النعمان والله لكانى بك لو نزل بك الجوع وقامت لك على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيف ودارت رحى الموت بين الفريقين قد ركبت بغلتك الى مكة وخلف هؤلاء المساكين يعنى الانصار يقتلون فى سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف وكان الامر كما قال

* (ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله) *

قد ذكرنا عزل عقبة عن افريقية وعوده الى الشام فلما وصل الى معاوية وعده باعادته الى افريقية ووفى معاوية وعقبة بالشام فاستعمله يزيد على افريقية فى هذه السنة وارسله اليها فوصل الى القيروان مجددا وقبض اموالها مما جرامير ها واوثقه فى الحديد وترك بالقيروان جندا مع الذرارى والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوى واحضر اولاده فقال له انى قد بعت نفسى من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار فى عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها

منه القاسب فترك شروان خالية وهرب مع جماعة من خواصه الى الروم فلما قدم القسطنطينية احسن السلطان اليه ووهب له من الذهب الاحمر شيأ كثيرا ووهب له عدة احمال من الاقمشة وعدة خيول واعطاه الطبل والعلم ووعده بتخليص بلاد ابيه وردها اليه فلما ذهب الشتاء واقبل الربيع تجهز السلطان الى المسير لقتال طهماسب وأمر القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من عسكر الباب وجعل اولاد باشا اتابكا له وفى ثامن صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان قاصدا بلاد العجم فلما قرب من حدود اذربيجان نزل ببرهان وفيها بقية من نسل ملوك شروان من الجبل فاستخلص شروان من يد جماعة طهماسب فاستولى على شروان وفى عشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وصل السلطان الى كرمى طهماسب تبريز ففوض امرها الى القاسب ميرزا واعطاه من العسكر والمدافع الكثار ما يكفيه فلما تولى القاسب امرة تبريز جعل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم ولما تحقق السلطان منه ذلك استدعيه معه فكان قصد السلطان

العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هنالك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه في جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر في عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير فاشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة في الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا فسمي ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام أمر أصحابه ان يتقدموا فوافوا جائفة منه بما نال من العدو وانه لم يبق احد ايخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها في نفر يسير فلما رآه الروم في قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه

(ذكر خروج كسيلة بن كرم البربري على عقبة)

هذا كسيلة بن كرم البربري كان قد أسلم لما ولي ابو المهاجر افريقية وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وابعدهم صوابا وصحب أبا المهاجر فلما ولي عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وامره بحفظه فلم يقبل واستخف به وأتى عقبة بغنم فامر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤنة فشتمه وامره بسلخها ففعل فقبح ابو المهاجر هذا عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فاني اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة فارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان في عسكر عقبة مضمر الغدر وقد اعلم الروم ذلك واطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبني عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه وكان أبو المهاجر موثقا في الحديد مع عقبة فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما رأى ابو المهاجر ذلك تمثل بقول ابي محجن الثقفي

كفى حزنا ان ترتدي الخيل بالقنا * وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت * مصارع من دوني تصم مناديا

فبلغ عقبة ذلك فاطلقه فقال له الحق بالمسلمين وقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فلم يفعل وقال

ان يسير على مدينة وان وأن يخلصها من ايدي العدو لانهم كانوا ملكوها بعد ان ملكها نواب السلطان فوصل اليها في عاشر رجب وكان طهماسب شهمها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخربوا منها أكثر القال فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع واستشفع به فلما شفع القاسب عند السلطان في استئمانهم والعفو عنهم عفا عنهم السلطان فخرجوا منها وملكوا القلعة لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة فنصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفتري أمير الامراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يتصوب الى طرق ديار بكر فسار ليشتي بها حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ ورد ان العدو لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذربيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع فلما بلغ ذلك السلطان امر الوزير أحمد باشا بالمسير

وانا أيضا اريد الشهادة فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد وأسر محمد بن اوس الانصاري في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال فخالفه جيش الصنعاني وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جمع أهل افريقية وقصد افريقية وبها أصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فآمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية وأقام بها الى ان قوي امر عبد الملك بن مروان فاستعمل على افريقية زهير بن قيس البلوي وكان مقيما ببرقة مرابطا

(ذكر ولاية زهير بن قيس أفريقية وقتله وقتل كسيلة)

لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين واشار عليه اصحابه بانفاذ الجيوش الى أفريقية لاستنقاذهم فكتب الى زهير بن قيس البلوي بولاية أفريقية وجهزله جيشا كثيرا فسار سنة تسع وستين الى افريقية فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رايت ان ارحل الى بمش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان ينبت هؤلاء من ورائنا فاذا انزلنا بمش أمنا هم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تحصنا بالجبال ونجونا فاجابوه الى ذلك ورحل الى بمش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح واستراح ورحل في طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بمش وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من ادركوا منهم فاكثروا وفي هذه الوقعة ذهب رجل البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بأفريقية ملكا عظيما فابى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون فخلوا البلاد من عدو أو ذي شوكة ورحل في جمع كثير الى مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا على برقة فاصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فامر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ثم سير الى افريقية حسان ابن النعمان الغساني وسنذكره سنة اربع وسبعين ان شاء الله وكان ينبغي ان نذكر ولاية زهير وقتله سنة تسع وستين وانما ذكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة ومقتله فان احادثه واحدة واذا تفرقت لم تعلم حقيقتها

اليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة طهماسب مختبون بقرب مدينة تبرزة فساروا وكبسوهم في الليل وقاتلوهم وشردوهم ثم ان القاسب مبرزا تضرع الى السلطان بأن يعطيه جماعة من العسكر ليسيرهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها عظم أموال أخيه طهماسب وخزائنه وفيها أولاد جماعته وأزواجهم واموالهم فاجاب السلطان الى مسؤله وعضده بطائفة من الاكراد والاعجام واجتاز السلطان والعسكر بنهر الفرات ووصل الى حلب وفي بعض هذه الايام وصل القاسب مبرزا الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتحريق والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأسر أولادهم وازاواجهم ثم عاد الى بغداد وشتى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا وحشة اقتضت الى ان عرض محمد باشا على السلطان بان القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الامر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها في حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة الوليد بن عتبة وفيها ولد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور وفيها توفي عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وله صحبة وسلمة بن مخلد الانصاري وكان عمر ملما مات النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وتوفي بمصر مسروق بن الاجدع وقيل توفي سنة ثلاث وستين (مخلد بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح اللام وتشديدها)

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ذكر وقعة الحرة)

كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد فلما كانت هذه السنة اخرج اهل المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان عامل يزيد وحصروا بني امية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو امية وموالیهم ومن يرى رأيهم في الف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا الى يزيد يستغيثون به فقدم الرسول اليه وهو جالس على كرسي وقد وضع قدميه في طشت فيه ماء لنقرس كان بها فلما قرأ الكتاب تمثل

لقد بدلوا الحكم الذي في سجيتي * فبدلت قومي غلظة بلیان

ثم قال اما يكون بنو امية الف رجل فقال الرسول بلى والله واكثر قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار فبعث الى عمرو بن سعيد فاقرأه الكتاب وامره أن يسير اليهم في الناس فقال قد كنت ضبطت لك الامور والبلاد فأما الآن اذ صارت دماء قريش تهراق بالصعيد فلا احب ان أتولى ذلك وبعث الى عبيد الله بن زياد يامره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال والله لاجمعتهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم ارسل اليه يعتذر فبعث الى مسلم ابن عقبة المري وهو الذي سمي مسرفا وهو شيخ كبير مريض فاخبره الخبر فقال اما يكون بنو امية الف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء باهل ان ينصروا فانهم الاذلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا انفسهم في جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج بالناس وقيل ان معاوية قال ليزيد ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته فلما خلع اهل المدينة أمر مسلما بالمسير اليهم فنادى في الناس بالتجهز الى الحجاز وان ياخذوا اعطياتهم ومعونة مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر الفا وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلد سيفا متنكب قوسا عربية وهو يقول

ابلغ ابا بكر اذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى
اجمع سكران من القوم ترى * ام جمع يقظان نفى عنه الكرى
يا عجبا من ملحد يا عجبا * مخادع بالدين يعفو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم فقال له يزيد ان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثا فان اجابوك والا فقاتلهم فاذا ظهرت عليهم فابحها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتاني كتابه وقد كان

فهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه اخوه طهماسب فقتله قتله شنيعة وفي ثامن عشر رمضان سنة ستين وتسعمائة خرج السلطان من مدينة القسطنطينية وصمم عزمه الى بلاد الشرق فارسل الى اولاده السلطان بايزيد والسلطان سليم والسلطان مصطفى بالقدوم اليه فلما وصل الى بلدة يكي شهر قدم اليه ولده بايزيد فقبل يده وفوض اليه السلطان حراسة بلاد روم ايلي وارسل ان يقيم بمدينة ادرنه ولما وصل السلطان الى بلاد ودين قدم اليه ولده السلطان سليم خان فاستسعد بتقبيل يده وأمره بالسير معه الى بلاد العجم ولما وصل الى مدينة اركلي وصل ولده السلطان مصطفى وكان قد بلغه انه يريد ان يتسلطن مكان أبيه وان قلوب العسكر معه فلما دخل وطاق السلطان لتقبيل يده أمر السلطان بخنقه فخنقوه وأرسل من يضبط أمواله وعزل في ذلك اليوم الوزير الاعظم رستم باشا ونسب اليه هذه الفتنة وولي مكانه الوزير الثاني أحمد باشا وبعث بجسد ولده المرحوم السلطان مصطفى الى مدينة بروسه ليدفن بها ويقال

مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما اخرج اهل المدينة عامل يزيد وبنى امية في ان يغيب اهله عنده فلم يفعل فكلم علي بن الحسين فقال انك حرما وحرمي يكون مع حرمك فقال افعل فبعث باهر أته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى علي بن الحسين فخرج على بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل بل ارسل حرم مروان وارسل معهم ابنه عبد الله بن علي الى الطائف ولما سمع عبد الملك ابن مروان ان يزيد قد سير الجنود الى المدينة قال ليت السماء وقعت على الارض اعظاما لذلك ثم انه ابتلي بعد ذلك بان وجه الحاج لحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير واما مسلم فانه اقبل بالجيش فبلغ اهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبني امية بدار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى تستنزلكم ونضرب اعناقكم او تعطونا عهد الله وميثاقه ان لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم ونخرجكم عنا فاعطوهم على ذلك فاخرجوهم من المدينة وكان اهل المدينة قد جعلوا في كل منهل بينهم وبين الشام زقا من قطران فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فلما اخرج اهل المدينة بني امية سارا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى فدعا بعمرو بن عثمان بن عفان اول الناس فقال له خبرني ما وراءك وأشر علي فقال لا استطيع قد اخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدونا فانتهره وقال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا اقيلها قريشا بعدك فخرج الى اصحابه فاخبرهم خبره فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلي له لعله يجتزي بك عني فدخل عبد الملك فقال هنات ما عندك فقال نعم ارى ان تسير بمن معك فاذا انتهيت الى ذي خشب نزلت فاستظل الناس في ظله فاكلوا من صقره فاذا اصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم دررت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرفت عليهم الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك فلا توذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من اتتلاق بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه انتم مادام مغربين ثم قاتلهم واستعن الله عليهم فقال له مسلم لله ابوك اي امرئ ولدت ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه فقال أيس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى واي رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا شبهته به فقال مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني ثم انه صار في كل مكان يصنع ما امره به عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم فقال ان أمير المؤمنين يزعم انكم الاصلي وانى اكره اراقة دمائكم وانى أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الحل الذي بمكة وان أبيتم كنا قد اعتذرنا اليكم فلما مضت الثلاث قال يا اهل المدينة ما تصنعون اتسالمون ام تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا على اهل هذا الملحد الذي قد جمع اليه المراقوا الفساق من كل اوب يعني ابن الزبير فقالوا له يا اعداء الله لو اردتم ان تجوزوا اليه ما تركناكم فمن قد نعلم ان تأويت الله الحرام فتتخيفوا اهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وكان اهل المدينة قد اتخذوا خندقا وعليه جميع منهم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر وهم قريش في جانب المدينة وكان معقل بن سنان

شامخة الاركان رفيعة البنيان ودورا ولادة واحفاده ووزرائه وسائر اعيان دولته فلما دخلها

بنفسه الى باب فدخلها في غرة ذي الحجة وكان والده الصغير قد انكر معه فاتفق انه مرض ومات فتأسف عليه السلطان تأسفا شديدا وصلى عليه وأرسل بجثته الى مدينة اسلامبول ولما أقبل الربيع خرج السلطان مع العساكر من حلب وتوجه الى بلاد الشرق ولما وصل الى المكان المعروف بياسين اوسى أنعم على العساكر وحوطهم على الجهاد والقتال ووعدهم بالانعام والافضال ورتب الميمنة والميسرة والقلب والساق وكان يوما مشهودا ولما وصل الى بلاد اذربيجان كتب الى الشاه ما محصله انه يدعوه للمبارزة ويعيره على ترك الحرب والاختفاء في الكمون وارسله مع رجل اطلقه من السجن من أصحاب الشاه وتوجه السلطان حتى وصل الى مدينة وان وهي من أحسن مدن الدنيا وانزهها فاخربها العسكر جميعا وكان داخلها كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشرى شعبان سنة ستين وتسعمائة الى مدينة تخجوان حضر سلطان العجم وقهاد ورؤسوه

العسكر ألفوها خالية فقطعوا اشجارها وخربوا قصورها فصارت البلدة كانها ارض قفراء ما عمرت قط وكان أمير العساكر اغار بشجعان قومه على مدينة تبريز فنهبها وقتل من قدر عليه ثم سار الى مراغة فنهب واحرق وقتل واغار على ألوف من جماعة الشاه فقاتلهم وانتصر عليهم واخذ تجائبهم المرصعة واعلامهم وطبولهم وفي اثناء ذلك وصل وافد من جانب الشاه ومعه مكتوب ما محصله انه ندم على ما اظهر من العداوة واظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فاجابه السلطان الى مسؤله وخلع على الوافد وتوجه السلطان بعد ان شتى بمدينة اماسية الى صوب كرسي مملكته وبلغ السلطان ان رجلا من المبلسين خرج عن الطاعة في مدينة كلجة بروم ايلي وادعى انه السلطان مصطفى المقتول فاجتمع عنده من اسافل الناس قدر اربعين الف رجل فاهتم السلطان في أمره وامر الوزير محمد باشا بالمسير اليه وكان السلطان بايزيد قد بعث ايضا لقتاله فلما تحقق من كان عند الخارجي هجوم العسكر عليهم تفرقوا من عنده شيأ فشيأ ثم هجم عليه الوزير فقتله وفي سنة احدى وستين وتسعمائة شرع في بناء الجامع والعمارة بمدينة قسطنطينية فجاءت من عجائب

اشجارها وخربوا قصورها فصارت البلدة كانها ارض قفراء ما عمرت

الاشجعي وهو من الصحابة على ربع آخروهم المهاجرون وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري في اعظم تلك الارباع وهم الانصار وصمد مسلم فيمن معه فاقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة وكان مريضا فامر فوضع له كرسي بين الصفين وقال يا اهل الشام قاتلوا عن اميركم وادعوا فاخذوا لا يقصدون ربعا من تلك الارباع الا هزموه ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم فانتهوا الى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جاء الى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من عشرين فارسا قتالا حسنا ثم قال لابن الغسيل من كان معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فليحملوا فوالله لا انتهي حتى ابلغ مسلما فاقتله او أقتل دونه ففعل ذلك وجمع الخيل اليه فحمل بهم الفضل على اهل الشام فانكشفوا فقال لاصحابه احملوا اخرى جعلت فداءكم فوالله لئن عاينت اميرهم لاقتلنه او اقتل دونه انه ليس بعد الصبر الا النصر ثم حمل وحمل اصحابه فانفجرت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس صاحبها فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتا وقال خذها مني وانا ابن عبد المطلب وظن انه مسلم فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال اخطأت استك الحفرة وانما كان ذلك غلاما روميا وكان شجاعا فاخذ مسلم رايته وحرض اهل الشام وقال شدوا مع هذه الراية فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل ابن عباس فقتل وما بينه وبين اطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشرة اذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف واقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل وهو يحرض اصحابه ويذم أهل المدينة ويقدم اصحابه الى ابن الغسيل فلم يقدم عليهم للرماح التي بايديهم والسيوف وكانت تتفرق عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاه الاشعري وامرهما ان ينزلا في جندهما ففعلا وتقدما اليهم فقال ابن الغسيل لاصحابه ان عدوكم قد اصاب وجه القتال الذي كان ينبغي ان يقاتلكم به وانى قد ظننت أن لا يلبثوا الا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم اما لكم واما عليكم اما انكم اهل النصرة ودار الهجرة وما اظن ربكم اصبح عن اهل بلد من بلدان المسلمين بارضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب باسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم وان لكل امرئ منكم ميتة وهو ميت بها لا محالة ووالله ما ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها ثم دنا بعضهم من بعض فاخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لاصحابه عليهم تستهدفون لهم من اراد التعجيل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مسنيت فنهض بعضهم الى بعض فاقتتلوا اشد قتال رؤى لاهل هذا القتال واخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب ويقول

بعدا لمن دام الفساد وطغى * وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصى

ثم قتل وقتل معه اخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقال ما احب ان الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري فمر به مروان

ابن الحكم فقال رحمك الله رب السارية قد رايتك تطيل القيام فى الصلاة الى جنبها وانهزم الناس وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن ابى وقاص بعد ما ابلى واباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون المتاع والاموال فافزع ذلك من بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل فى كهف الجبل فتبعه رجل من اهل الشام فاقتحم عليه الغار فانتضى ابو سعيد سيفه يخوف به الشامى فلم ينصرف عنه فعاد ابو سعيد واغمد سيفه وقال ان بسطت يدك الى لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال من أنت قال أنا ابو سعيد الخدرى قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فتركه ومضى وقيل ان مسلما نازل باهل المدينة خرج اليه اهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم اهل الشام وكرهوا ان يقاتلوهم فلما رآهم مسلم وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم فبينما الناس فى قتالهم اذ سمعوا تكبيرا من خلفهم فى جوف المدينة وكان سببه ان بنى حارثة ادخلوا اهل الشام المدينة فانهزم الناس فكان من اصيب فى الخندق أكثر ممن قتل ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم فى دمائهم واموالهم واهليهم من شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الامان ليزيد ابن عبد الله بن ربيعة ابن الاسود ولمحمد بن ابى الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الاشجعى فاتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا على الشرط فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فضرب اعناقهما فقال مروان سبحان الله اتقتل رجلين من قريش اتيا بامان فطعن بخاصرته بالقضيب فقال وانت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال مسلم أى الشراب احب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له ارويت قال نعم قال والله لا تشرب بعدها شربة الا فى نار جهنم فقال انشدك الله والرحم فقال له أنت الذى لقيتنى بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا شهرا واصبحت صفرا فانرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق ونبايع لرجل من المهاجرين او الانصار فيم غطفان واشجع من الخلق والخلافة انى آليت بيمين لا اقال فى حرب اقدر منه على قتلك الا فعلت ثم امر به فقتل وأتى بيزيد بن زهب فقال له بايع قال ابايعك على الكتاب والسنة قال اقتلوه قال أنا ابايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان اصهر كان بينهما فامر بمروان فوجئت انفه ثم قتل يزيد ثم أتى مروان بعلى بن الحسين فجاء يمشى بين مروان وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عنده فدعا مروان بشراب ليحترم بذلك فشرب منه يسيرا ثم ناوله على بن الحسين فلما وقع فى يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعد كفه ولم يأمنه على نفسه وامسك القدح فقال له أجئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندى والله لو كان اليهما امر اقتلتك ولكن أمير المؤمنين اوصانى بك واخبرنى انك كاتبته فان شئت فاشرب فشرب ثم اجلسه معه على السرير ثم قال له لعل اهلك فزعوا قال اى والله فامر بدابة فاسرجت له فحمله عليها فردّه ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على ما شرط على أهل المدينة وأحضر على بن عبد الله بن عباس ليبايع فقال الحصين بن نمير السكونى لا يبايع ابن اختنا الا كبيعة على بن الحسين وكانت ام على بن عبد الله كندية فقامت كندة مع الحصين فتركهم مسلم فقال على

* ابى العباس قرم جئ قصى * واخوالى الملوك بنو وليعه

والمأكل بمدينة دمشق بمكان يعرف بالقصر الابلق بالمرجة وفى سنة ست وستين وتسعمائة وقع بين السلطان سليم خان بسبب تبديل اماكنهما حروب لان السلطان بايزيد كان مقره بمدينة كوتاهية والسلطان سليم بمدينة مغنيسا فلما أمر السلطان ان يبدل اماكنهما لم يرض السلطان بايزيد بالبعد فوقع بينهما حروب شديدة آل الامر الى انهزام السلطان بايزيد وولده اورخان مع اخوته الى بلاد العجم فاجتمع مع الشاه طهماسب فاستقبله وراعاه فبعد ذلك ارسل والدهم السلطان سليمان يطلبهم من الشاه وأرسل امير الامراء خسرو باشا لخنقه مع اولاده الاربع وهم السلطان اورخان والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان عثمان وكان له ولد صغير فى مدينة بروسة فخنق الجميع وذلك فى سنة سبعين وتسعمائة ونقل اجسادهم من قزوين الى بلاد السلطان فدفنهم فى سيواس وسكن الله الفتنة والوسواس وكان السلطان بايزيد هذا قد سمع بان فى مدينة دمشق رجل يعرف علم الزايرجة يقال له الشيخ منصور فارسل اليه وطلبه الى

بلاده وسأله عن وصول السلطنة اليه وطلب منه ان يعين الذى يصير سلطانا هو وأولاده وكان الشيخ منصور قد دخل من السلطان

هموا منعوا ذماري يوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعه
* اراد وفي التي لا عز فيها * فخالت دونه أيد سريعه *

يعني بقوله مسرف مسلم بن عقبة فانه سمي بعد وقعة الحرة مسرفا وبنو ليعة بطن من كنانة منهم امه واللكيعة اسم امه وقيل ان عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني امية فاتى به يومئذ الى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا قالوا لا قال هذا خبيث بن الطيب هذا عمرو بن عثمان هي يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت انا رجل منكم وان ظهر أهل الشام قلت انا ابن امير المؤمنين عثمان فامر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشام ان أم هذا كانت تدخل الجمل في فيها ثم تقول يا امير المؤمنين حاجيتك جاءني في وقتها ماشاهي وباهي وكانت من يوم ثم خلى سبيله وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين قال محمد بن عمار فقدمت الشام في تجارة فقال لي رجل من أين انت فقلت من المدينة فقال خبيثة نقلت يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة فقال ان لي واليها الشأنا لما خرج الناس الى وقعة الحرة رأيت في المنام اني قتلت رجلا اسمه محمد ادخل بقتله النار فاجتهدت في اني لا اسير معهم فلم يقبل مني فسرت معهم ولم اقاتل حتى انقضت الوقعة فرويت برجل في القتلى به رمق فقال فتخ يا كاب فانتفت من كلامه وقتلته ثم ذكرت رؤياي فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذي قتلته قال انا لله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماه محمدا وكناه اباعبد الملك فاتيت اهله فعرضت عليهم ان يقتلوني فلم يفعلوا وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا ومن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الانصاري وليس بصاحب الاذان ذاك ابن زيد بن ثعلبة وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الاسود وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حاطب وزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة توفي الربيع بن خيثم الكوفي الزاهد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان يسمى يومئذ العابد وكانوا يرون الامر شوري واتاه الخبر بوقعة الحرة هلال المحرم مع المسور ابن مخرمة فاستعد لمجاوزة بامر عظيم فاعد هو واصحابه واستعاروا وعرفوا ان مسلما نازل بهم

(ثم دخلت سنة اربع وستين)

(ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته)

فلما فرغ مسلم من قتال اهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي وقيل استخلف عمرو بن مخرمة الاشجعي فلما انتهى الى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية حرشى فلما حضره الموت احضر الحصين بن النمير وقال لما برذعة الحمار لو كان الامر الي ما ولايتك هذا الجند ولكن امير المؤمنين ولاك خذ عني اربعا اسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشا من اذنك ثم قال اللهم اني لم اعمل قط بعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا احب الي من قتلي اهل المدينة ولا ارجى عندي في الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة اربع وستين وقد

يريد ان يخاطبه بان السلطنة لله سلطان من أرا د فتكن على نهج الادب فتفهم الاشارة من هذه العبارة وسار الى بلاد العجم غير ثابت على القدم وفي هذه السنة وقع في الاقليم الدشت بلاد التاتار قحط عظيم حتى باع بعضهم بعضا من أهل المملكة العثمانية بشيء من القمح والشعير وفي تاسع شوال سنة اربع وسبعين وتسعمائة نهض السلطان سليمان خان الى فتح مدينة سكدوار وهي من مدن نصارى مجر والحال ان السلطان قد شاخ وكبروهرم وازدادت عليه علة النقرس فسار بعسكر كثير متزاحم الافواج متلاطم الامواج وبعث وزيره برتوباشا الى فتح قلعة كوله فلم يلبث الا قليلا حتى فتحها واما قلعة سكدوار فكانت في المناعة الى حد الغاية وقد أحاطت بها المياه والاوحال من كل جانب فلم يزدد امر القلعة الا استصعابا واشتد مرض السلطان حتى احس بالموت فرفع يديه الى السماء وقال يا رب العالمين افتح على عبادك المسلمين وانصرهم واخزم الكفار على الكفار واوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم وكتب اليه كتابا واوصاه بالرعية والاستعجال بالمسير اليه لئلا يضيع عسكر المسلمين في بلاد الكفار

بايزيد

ليست له فكتب اليه بعد سفره عنه ملك الملوك اذا وهب * لا تسأل عن السبب

بايع أهلها واهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من اهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت وخرج ابن الزبير الى انناء أهل الشام ومعه اخوه المنذر فبارز المنذر رجلا من اهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة مات منهما ثم حمل اهل الشام عليهم حملة انكشف منها اصحاب عبد الله وعثرت بغلة عبد الله فقاتل تعسيا ثم نزل فصاح باصحابه فاقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا وضاربهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه هذا في الحصر الاول ثم اقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة ايام من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار واخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها اعواد هذا المسجد

وقيل ان الكعبة احترقت من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة واقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول اصح لان البخاري قد ذكر في صحيحه ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام واقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر

(ذكر وفاة يزيد بن معاوية)

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم وقيل تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل توفي في ربيع الاول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر والاول اصح وأمه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية وكان له من الولد معاوية وكنيته ابو عبد الرحمن وابو ليلى وهو الذي ولي بعده وخالد ويكنى اباهاشم يقال انه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لاحد وابو سفيان وامهم ام هاشم بنت عتبة بن ربيعة تزوجها بعده مروان بن الحكم وله ايضا عبد الله بن يزيد كان اوسى العرب وامه ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسود وعبد الله الاصغر وعمرو وابو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن ومحمد لامهات شتى

(ذكر بعض سيرته واخباره)

قال محمد بن عبيد الله بن عمرو العتبي نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قرظة الى يزيد وامه ترجله فلما فرغت منه قبلته فقالت ابنة قرظة لعن الله سوادا ساقي اصلك فقال معاوية آما والله لما تفرجت عنه وركاها خير مما تفرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من ابنة قرظة عبد الله وكان احق فقالت لا والله ولكنك تؤثر هذا فقال سوف ابين لك ذلك فامر فدعي له عبد الله فلما حضر قال أي بني اني اردت ان أعطيك ما أنت اهله ولست بسائل شيأ الا اجبتك اليه فقال حاجتي ان تشتري كلبا فارها وحمارا فقال اي بني انت حمار واشترى لك حمارا ثم خرج ثم احضر يزيد وقال له مثل قوله لاخيه فخر ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة واراه في هذا الرأي حاجتي ان تعتقني من النار لان من ولي امر الامة ثلاثة ايام اعتقه الله من النار فتعقد لي العهد بعدك وتوليني العام الصائفة وتأذن لي في الحج اذا رجعت وتوليني الموسم

بالاجزاء الطارة ودفن امعاءه هناك ثم لم يزالوا يجددون في أمر الفتح حتى فتحوها بالحريق نهار السبت في وقت الضحى في سابع شهر صفر الخير سنة خمس وسبعين وتسعمائة وذلك بعد وفاة السلطان المبرور بثلاثة ايام ولم يزل العسكر هناك في ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم خان يدعوه الى سكدار فنهض السلطان سليم خان وكان يومئذ على امارة كوتاهية ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين التاسع من ربيع الاول سنة اربع وسبعين وتسعمائة وقت الضحوة الكبرى وكان الطالع اذ ذاك المريخ وذلك بعد نقطة الاعتدال الخريفي الموسوم بالمهرجان بعشرة ايام ودخل عليه العلماء وعزوه بابيه وهنوه بالسلطنة ثم خرج في اليوم الثالث الى جهة سكدار فلحق بالعسكر وصلى على ابيه هناك ثم بعثه في الحال صحبة الوزير احمد باشا الى مدينة قسطنطينية فلما قرب من المدينة استقبله

وجوه العلماء والمشايخ بالذكر والتوحيد الى البلد ودفنه في مدفنه بجامعه الذي بناه بمدينة قسطنطينية وكان رحمه الله تعالى

والخيرات من بناء المدارس الاربعة بمكة واجراء عين عرفة وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو اردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات عاش رحمه الله اربعا وسبعين سنة وبقي في الملك ثمانية وأربعين سنة وكان له عدة اولاد توفي الجميع في حياته

(وتولى الملك بعده ولده السلطان الغازي سليم خان بن السلطان سليمان خان)

ثم ان السلطان سليم خان ايد الله ملكه واجرى في بحر المرادات فلكه قدم من سكدوار بالعسكر الجرار الى مدينة قسطنطينية في شهر جمادى الآخرة سنة اربع وسبعين وتسعمائة فاستقبله جميع أهل البلد واستبشروا بقدومه فلما استقر في دار الملك أمر بالجوائز فرقت على العسكر وغيرهم وزاد في معالم الجند ثم شاع في هذه السنة عصيان بني علبان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز اليهم من الباب العالي وغيره عساكر صحبة امير الامراء بالبصرة وبغداد

في

وتزيد لاهل الشام كل رجل عشرة دنانير وتفرض لايتام بني جميح وبني سهم وبني عدي لانهم حلفائي فقال معاوية قد فعلت وقبل وجهه فقال لامرأته ابنة قرظة كيف رأيت قالت اوصه به يا امير المؤمنين ففعل وقال عمر بن سبينة حج يزيد في حياة ابيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له ان ابن عباس ان وجد ريح الشراب عرفه فحجبه واذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله دوطيبك ما اطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق اباعبد الله فقال له الحسين عليك شرابك ايها المرء لا عين علي منى فقال يزيد

* ألا ياصاح للعجب * دعوتك ذا ولم تجب
الى القينات والشهوا * ت والصهباء والطرب
* وباطية مكللة * عليها سادة العرب
وفيهن التي تبلت * فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله ابن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع وظن يزيد ان امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب اليه اما بعد فقد بلغني ان الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وانك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي المواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما انسى من الاشياء فلست بناس برك وتجميل صلتك بالذي أنت له اهل فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فاعلمهم بحاله فانهم منك اسمع الناس ولك اطوع منهم للمحل فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد جاءني كتابك فاما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برك ولا احمدك ولكن الله بالذي انوي عليم وزعمت انك لست بناس بري فاحبس ايها الانسان برك عني فاني حابس عنك بري وسألت ان أحبب الناس اليك وابغضهم واخذلهم لابن الزبير فلا ولاسرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام غادرتهم خيولك بامرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لامكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وينشي بهم عرج البطاح حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم واجنوهم وبي وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذي جلست فما أنسى من الاشياء فلست بناس اطرادك حسينا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الخيول اليه فما زلت بذلك حتى اشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فتنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاعتممتم قلة انصاره واستئصال اهل بيته وتعاونتم عليه كانكم قتلتم اهل بيت من الترك والكفر فلا شيء اعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولدا بي وسيفك يقطر من دمي وانت أحد ثاري ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام قال الشريف أبو يعلى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي وقد جرى عنده ذكر يزيد انا لا نكفر يزيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان لا يسلط على بني أحدا من غيرهم فاعطاني ذلك

(ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير)

فساروا وحاربوهم عدة ايام وشهور حتى غلبوا عليهم وهزموهم بعد عدة حروب وخطوب يطول شرحها واستولوا على معظم قلاعهم واخربوا اماكنهم وعادوا سالمين وكان الفتح في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة ثم ان السلطان الاعظم سليم خان أمر الوزير مصطفى باشا بالمسير مع العسكر في البحر والتوجه الى فتح جزيرة قبرص وعين كاشف البحر على باشا القبودان أن يدور بسائر العمارة في وجه البحر صيانة للعساكر من هجوم الكفار فلما حل اول الربيع وقد تكاملت الاغربة والسفن وشحنت بالرجال وانواع السلاح خرجوا في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة من فم الخليج القسطنطيني بإجهة هائلة واهبة زائدة فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجوا من طرف ملحتها فخيم العسكر هنالك ثم استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة اولا اذهي مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر واحد ثم افتتحوها في أواسط ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم بعث الوزير المشار اليه احسن الله اليه عدة رؤس مقطوعة من عظماء اهل لفقوسة ورؤسائهم في اطباق من فضة الى أهل قلعة كرينة

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام وكان الحصار قد اشتد من الشاميين على ابن الزبير فنادا هم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فلم يصدقوهم فلما بلغ الحصين خبر موته بعث الى ابن الزبير فقال موعدما بيننا الليلة الابطح فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحصين فجاء حمام الحرم يلتقط روث الفرس فكف الحصين فرسه عنهن وقال اخاف ان يقتل فرسي حمام الحرم فقال ابن الزبير تخرجون من هذا وانتم تقتلون المسلمين في الحرم فكان فيما قال له الحصين انت احق بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معي هم وجوه الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك وبين اهل الحرم فقال له انا لا اهدر الدماء والله لا أرضى ان اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم واخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لا أفعل فقال له الحصين قبح الله من يعدك بعد ذا هبا وآبيا قد كنت أظن ان لك رأيا واذا انا كلمتك سرا وتكلمني جهرا وادعوك الى الخلافة وأنت لا تريد الا القتل والهلكة ثم فارقه ورحل هو واصحابه نحو المدينة وندم ابن الزبير على ما صنع فارسل اليه اما المسير الى الشام فلا أفعله ولكن بايعوا الى هنالك فاني مؤمنكم وعادل فيكم فقال الحصين ان لم تقدم بنفسك لا يتم الامر فان هنالك ناسا من بني امية يطلبون هذا الامر وسار الحصين الى المدينة فاجتر أهل المدينة على اهل الشام فكان لا ينفرد منهم احدا لا أخذت دابته فلم يتفرقوا وخرج معهم بنو أمية من المدينة الى الشام ولو خرج معهم ابن الزبير لم يختلف عليه أحد فوصل اهل الشام دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد فلم يمكث الا ثلاثة أشهر حتى هلك وقيل بل ملك اربعين يوما ومات وعمره احدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوما ولما كان في آخر امارته امر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم أجده فابتغيت سنة مثل سنة الشورى فلم أجدهم فانتم اولى بامركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله وتغيب حتى مات وقيل انه مات مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ثم اصابه الطاعون من يومه فمات أيضا وقيل لم يمت وكان معاوية اوصى ان يصلي الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة وقيل لمعاوية تولوا استخلفت فقال لا اتزود مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها

(ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد)

لما مات يزيد واتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران وكان رسوله الى معاوية بن ابي سفيان ثم الى يزيد بعده فلما اتاه الخبر اسره اليه واخبره باختلاف الناس في الشام فامر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فنعى يزيد وثلبه فقال الاحنف انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة ويقال في المثل اعرض عن ذي فترة فاعرض عنه عبيد الله وقال يا أهل البصرة ان مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدي فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتليكم الا سبعين ألفا ولقد احصي اليوم مائة ألف وما كان يحصى ديوان عمالكم الا تسعين الفا ولقد أحصي اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركت لكم قاطبة من اخافه عليكم الا وهو في سجنكم وان يزيد قد توفي

وقد اختلف الناس بالشام وانتم اليوم أكثر الناس عددا واعرضهم فناء واغنى عن الناس واوسعهم بلادا فاختار والانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على احد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم فقام خطباء اهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك ونحن نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لى فى ذلك فكرروا عليه فأبى عليهم ثلاثا ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا ايديهم بالحيطان وقالوا ايظن ابن مرجانة اننا نتقاد له فى الجماعة والفرقة فلما بايعوه ارسل الى اهل الكوفة مع عمرو بن مسمع وسعد بن القرحاء التميمى يعلمهم ما صنع أهل البصرة ويدعوهم الى البيعة له فلما وصلا الى الكوفة وكان خليفته عليها عمرو بن حريث جمع الناس وقام الرسولان فخطبا اهل الكوفة وذكرا لهم ذلك فقام يزيد بن الحرث ابن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فقال الحمد لله الذى اراحنا من ابن سمية انحن نبايعه لا ولا كرامة وحصبهما اول الناس ثم حصبهما الناس بعده فشرفت تلك الفعلة يزيد بن رويم فى الكوفة ورفعته ورجع الرسولان الى البصرة فاعلماه الحال فقال أهل البصرة ايخلعه اهل الكوفة وتوليه نحن فضعف سلطانه عندهم فكان يأمر بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر بحبس الخطئ فيحال بين اخوانه وبينه ثم جاء الى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلى التميمى فوقف فى السوق وبيده لواء وقال ايها الناس هلموا الى انى أدعوكم الى ما لم يدعكم اليه احد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير فاجتمع اليه ناس وجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم وذكر لهم امره معهم وانه دعاهم الى من يرتضونه فبايعه منهم اهل البصرة وانهم أبوا غيره وقال الى بلغنى انكم مسحتم اكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم وانى آمر بالامر فلا ينفذ ويرد على رأيى ويحال بين اعوانى وبين طلبتى ثم ان هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف فقال الاحنف والناس نحن نأتيك بسلمة فاتوه بسلمة فاذا جمعه قد كشف والفتق قد اتسع فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه فدعا عبيد الله رؤساء محاربة السلطان واراد هم ليقاتلوا معه قالوا ان امرنا فؤاد نا فعلنا فقال له اخوته ما لنا خليفة فنقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فامدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم اموالا فان ظفروا بنا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك بقية فلما رأى ذلك ارسل الى الحرث بن قيس بن صهباء الجهضمى الازدى فاحضره وقال له يا حرث ان ابى اوصانى انى ان احتجت الى العرب يوما أن اختارهم فقال الحرث ان قومى قد اختبروا ابالك فلم يجدوا عنده مكانا ولا عندك مكافاة ولا اردك اذا اختر تنا فما ادرى كيف امانى لك ان اخرجتك نهارا اخاف أن تقتل واقتل ولكنى اقيم معك الى الليل ثم أردفك خلفى لئلا تعرف فقال عبيد الله نعم ما رأيت فاقام عنده فلما كان الليل حمله خلفه وكان فى بيت المال تسعة عشر الف الف فقسم ابن زياد بعضها فى مواليه وادخر الباقى لاكل زياد وسار الحرث بعبيد الله بن زياد فكان يمر به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية وعبيد الله يسأله اين نحن والحرث يخبره فلما كانوا فى بنى سليم قال اين نحن قال فى بنى

سليم

فلما شاهدوها خافوا وذلوا فطلبوا الامان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها وصيرها دار الاسلام بعد ان كانت مقرا لاهل الشرك والازلام ثم توجه الوزير المذكور لازال فى عز وسرور بعدما مهد قواعد مدينة لفقوسة وبنى ماخرب منها الى حصار قامة ماغوسة وهى من امنع الحصون واصعب المعاقل واكرب المناهل وهى فى ساحل البحر الابيض على صخرة صماء وقد حصنوها بشئ كثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بجماعة من اسود الفجار بين وقد احاطها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة اذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت فى هذه القلعة سبعمائة واربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق مالا يعلم عددها الا الله تعالى فحاصره العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار المنضبقية وشقوا بطون الارض شقا ونقبوا اقمورها فنقبوا وحرروا فى سورها جريا وتصوبوا الى صوب الحصن نحويا

سليم فقال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بني ناجية قال أين نحن قال في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحرث بن قيس وكان يعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة وارسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحرث فانزله في داره نفسه في الجهاضم فقال له ابن زياد يا حرث انك أحسنت فاصنع ما اشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بي اليه فاكون في داره فهي في وسط الازد فانك ان لم تفعل فرق عليك امر قومك فأخذه الحرث فدخل على مسعود وهو يشعر وهو جالس يصلح خفاله فلما رآهما عرفهما فقال للحرث أعوذ بالله من شر ما طرقتني به قال ما طرقتك الا بخير قد علمت ان قومك انجوا زيادا وفوالله فصارت مكرمة يفتخرون بها على العرب وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا من مشورة وبيعة أخرى قبل هذه يعني بيعة الجماعة فقال مسعود أترى لنا ان نعادي أهل مصر نافي عبيد الله ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكرا فيما صنعنا معه فقال الحرث انه لا يعاديك أحد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بعد ما دخله عليك فاهره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عمرو ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحرث وجماعة من قومه فطافوا في الازد فقالوا ان ابن زياد فقدونا الا نامن ان تلحظوا به فاصبحوا في السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا ما هو الا في الازد وقيل ان الحرث لم يكلم مسعودا بل أمر عبيد الله فحمل معه مائة ألف وأتى بها ام بسطام امرأة مسعود وهي بنت عمرو بن الحرث ومعه عبيد الله فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب وتتجملين به الغنى وأخبرها الخبر وأمرها ان تدخل ابن زياد البيت وتلبسه ثوبا من ثياب مسعود ففعلت فلما جاء مسعود أخذ بر أسها يضربها فخرج عبيد الله والحرث عليه وقال له قد اجرتني وهذا ثوبك علي وطعامك في بطني وشهد الحرث وتلطفوا به حتى رضي فلم يزل ابن زياد في بيته حتى قتل مسعود فسار الى الشام ولما فقد ابن زياد بقي أهل البصرة في غير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمي وبالنعمان بن سفيان الراسبي الحرمي ليختاروا من يرضيان لهم وكان رأي قيس في بني أمية ورأي النعمان في بني هاشم فقال النعمان ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من فلان لرجل من بني أمية وقيل بل ذكره عبد الله بن الاسود الزهري وكان هوى قيس فيه وانما قال النعمان ذلك خديعة ومكرا بقيس فقال قيس قد قلدتك أمري ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال قيس قد رضيت من رضي النعمان

(ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة)

لما اتفق قيس والنعمان ورضي قيس بمن يؤمره النعمان اشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا ثم أتى عبد الله بن الاسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس انه بايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببيبة واشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله واثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته وقال أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم وامه هند بنت أبي سفيان قد كان الامر فيهم فهو ابن أختكم ثم اخذ بيده وقال رضيت لكم به فنادوه قد رضينا وبايعوه واقبلوا به الى دار الامارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين

فاد كاشف البحر الى طرف الروم وبقي العسكر بصحبة الوزير هنالك لا يفترون الليل والنهار عن الحصار فلما انقضى زمن الشتاء وطاب الهواء عاد كاشف البحر على باشا بالمسير الى طرف قبرس عونا للمسلمين ومددا لمن هنالك من الموحدين فلما عاين الكفار ذلك وكانوا يرجون أن يصل اليهم مدد من بلاد الافرنج يئسوا ونادوا بالامان فامنهم الوزير المذكور فبعثوا بمفاتيح القلعة وطلبوا أن يمكنوا من المسير الى بلادهم كما فعل باشياعهم من قبل أهل رودس وكانوا نحو سبعة آلاف محارب فاجاب الوزير قبل الله سعيه المشكور الى ما اقترحوا عليه فخرجوا من المدينة وخيموا خارجها فدخلها المسلمون ونصبوا فيها الاعلام الاسلامية وعمروا ما وهن وخرب وشيدوا بروجها واحكموا حصونها وكان الوزير المذكور قاسى من صاحب هذه القلعة أمورا حقد عليه بذلك فلم يراطلاقه ومعه من المقاتلة والاسباب مالا مزيد عليه فاراد الاحتيال عليه وكان قد عين لهم عشرين غرابا فلما كبروا في الاغربة واستقروا فيها جميعا مع

أموالهم وارزاقهم جاء أمير هم ليسلم على الوزير ويودعه فأمر به الوزير فقيد وقطع أذنيه في مجلسه

ثم غدر به فقتله أشر قتلة ثم أمر بمن فى المراكب فاخرجوا واستوسروا واستولى على جميع ما معهم من الغنائم ثم سار بعمارة لنهب جزائر الكفار فطلعوا على جزيرة كفالينة فنهبوها وهدموا بنيانها ثم الى جزيرة كورفس وهى مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعاثوا فيها نهبا وتخريبا ثم فعلوا ذلك بعدة جزائر هناك فلما طال مكثهم على وجه البحر وراوا أن العدو ما قابلهم اغتروا فاذن الوزير برتو باشا بالتفرق فتفرق العسكر غالبهم وقد ملؤا المراكب باسباب الغنائم وشحنوها فسابقته العساكر مرسين فى ميناء اينه بختى اذ وصل اليهم الخبر بان الكفار استخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون عليكم وواصلون اليكم فى ملل كثيرة وقبائل شتى من اهل الاوثان وغيرهم فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأى الوزير الاعظم برتو باشا فى ذلك أن لا يقاتلهم ولا يقاتلهم وكان ذلك مقتضى طبعه لانه كان جبانا الى الغاية وكان ما رآه هو الانسب بمقتضى الحال وخالفه كاشف البحر على باشا فى ذلك وكان رجلا شجاعا بطلا مغوارا فقال لا بد من لقاء الكفار فان وهج العار أشد من وهج النار وقد أيدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة وبسطا فلو سارت اغربتنا وهى خالية من عسكر الاسلام لكفت قبائل الكفار فكيف وأنا بينكم وفينا من العسكر ما يفى بالمقابلة وانهزم

وقال الفرزدق فى بيعته

وبايعت اقواما وفيت بعهدهم * وبيعة قد بايعته غير نادم

(ذكر هرب ابن زياد الى الشام)

ثم ان الازد وربيعة جددوا الحلف الذى كان بينهم وبين الجماعة واتفق ابن زياد مالا كثيرا فيهم حتى تم الحلف وكتبوا بذلك بينهم كتابين فكان أحدهما عند مسعود بن عمرو فلما سمع الاحنف ان الازد طلبت الى ربيعة ذلك قال لا يزالون لهم اتباعا اذا أتوهم فلما تحالفوا اتفقوا على ان يردوا ابن زياد الى دار الامارة فسار واو رئيسهم مسعود بن عمرو وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وارسل معه موالية على الخيل وقال لهم لا تجدوا بخبر ولا بشر الا تيتونى به فجعل مسعود لا يأتى سكة ولا يتجاوز قبيلة الا أتى بعض أولئك الغلمان ابن زياد بالخبر وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة المربد وجاء مسعود فدخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحرث فى دار الامارة فقيل له ان مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو اصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم فقال أبعدهم الله لا والله لا افسد نفسى فى اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لنكحن بيه * جارية فى قبه * تمشط راس لعبه

هذا قول الازد واما مضر فيقولون ان أمه كانت ترقصه وتقول هذا وصعد مسعود المنبر وسار مالك بن مسمع نحو دور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدوية فخرق دورهم لما فى نفسه لاستعراض بنى حازم وربيعة بهراة وجاء بنو تميم الى الاحنف فقالوا يا أبا بحر ان ربيعة والازد قد تحالفوا وقد ساروا الى الرحبة فدخلوها فقال لستم بأحق بالمسجد منهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فاتته امرأة تجمر وقالت له مالك وللرياسة انما أنت امرأة تجمر فقال ليست امرأة احق بالمجمر منك فما سمع منه كلمة أسوأ منها ثم أتوه فقالوا ان امرأة منا قد نزعت خلخالها وقد قفلوا الضباع الذى على طريقك وقفلوا المقعد الذى على باب المسجد وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العدوية فخرق فقال الاحنف أقيموا البينة على هذا فى دون هذا ما يحل قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف اجاءه عباد بن الحصين فقالوا لا وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس من بنى عمرو بن تميم ثم قال اجاءه عباد فقالوا لا قال اههنا عبس ابن طلق بن ربيعة الصريمى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم فقالوا نعم فدعاه فانتزع مجمرا فى رأسه فعقده فى رمح ثم دفعه اليه وقال سر فلما ولى قال اللهم ان لم تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زيرا وهى أم الاحنف كنوا بها عنه فسار عبس الى المسجد فلما سار عبس جاء عباد فقال ما صنع الناس فقيل سار بهم عبس فقال لا أسير تحت لواء عبس وعاد الى بيته ومعه ستون فارسا فلما وصل عبس الى المسجد قاتل الازد على أبوابه ومسعود على المنبر يحضض الناس فقاتل غطفان بن أنيف التميمى وهو يقول

بال تميم انها مذكوره * ان فات مسعود بها مشهوره

فاستمسكوا بجانب المقصوره

أى لا يهرب وانوا مسعودا وهو على المنبر فاستنزلوه وقتلوه وذلك أول شوال سنة أربع وستين

وانهزم أصحابه وهرب اشيم بن شقيق بن ثور فطعنه أحدهم فنجا بها فقال الفرزدق

لو أن اشيم لم يسبق أسنتنا * وأخطأ الباب اذ نيرانا تقد
اذ الصاحب مسعود وصاحبه * وقد تهافت الاعفاج والكبد

ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فتهيأ ليجيء الى دار الامارة فأتوه وقالوا له انه قتل مسعود فركب ولحق بالشام فاما مالك بن مسمع فأتاه ناس من مضر فحصروه في داره وحرقوا داره ولما هرب ابن زياد تبعوه فاعجزهم فنهبوا ما وجدوا له وفي ذلك يقول واقد بن خليفة التميمي

يارب جبار شديد كلبه * قد صار فينا تاجه وسلبه
منهم عبيد الله يوم نسلبه * جياده وبزه ونهبه
يوم التقى مقنبنا ومقنبه * لولم يفز ابن زياد هربه

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدم وهو انه لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو اجاره ثم سار ابن زياد الى الشام وارسل معه مسعود مائة من الازد حتى قدموا به الى الشام فبينما هو يسير ذات ليلة قال قد ثقل علي تركوب الابل فوطؤا لي على ذي حافر فجعلوا له قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلا قال مسافر بن شريح اليشكري فقلت في نفسي لئن كان نائما لاوقظن عليه قومه فقلت انائم أنت قال لا كنت احدث نفسي قلت أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك قال هات قلت كنت تقول ليتني كنت لم اقتل حسينا قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن قتلت من قتلت مال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن لمست البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت تقول ليتني كنت امضي مما كنت قال اما قتلي الحسين فانه أشار الي يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله واما البيضاء فاني اشتريتها من عبد الله ابن عثمان الثقفي وأرسل الي يزيد بألف ألف فانفقتها عليها فان بقيت فلا هلي وان هلكت لم آس عليها واما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبي بكرة أراد ان يروح فوقع في عند معاوية وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف فخيرني معاوية بين العزل والضمان فكرهت العزل فكنت اذا استعملت العربي كسر الخراج فان اغرمت عشيرته اوطالبته اوغرمت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا اعرف مكانه فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية واوفى بالامانة واهون بالمطالبة منكم مع اني قد جعلتكم امناء عليهم لئلا يظلموا احدا واما قولك في السخاء فما كان لي مال فاجود به عليكم ولو شئت لاخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما اسخاه واما قولك ليتني لم اكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الاخلاص عملا هو اقرب الى الله عندي من قتل من قتلت من الخوارج ولكني سأخبرك قلت ليتني كنت قاتلت أهل البصرة فانهم بايعوني طائعين ولقد حرصت على ذلك ولكن بني زياد قالوا ان قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا احدا وان تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله واصهاره فرفقت بهم وكنت اقول ليتني اخرجت اهل السجن فضربت اعناقهم واما اذ فاتتني هاتان فليتني اقدم الشام ولم يبرموا امرا فاقال فقدم الشام ولم يبرموا امرا فكان معه صبيان وقيل بل قدم وقد ابرموا فنقض عليهم ما ابرموا فلما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها فقال بنو تميم وقيس لا نرضى به ولا نولي الا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود قد استخلفني ولا ادع ذلك ابدا وخرج حتى انتهى الى القصر ودخله

سنة تسع وسبعين وتسعمائة التقى الجمعان وتقابل الفريقان في طرف من بلاد المسلمين فهبت الريح على المسلمين والجأتهم الى البرفانكسروا وذلك بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس الى الغروب وقتل المرحوم علي باشا المذكور وجماعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار غنائمهم من الاموال والاسباب والاغربة والشواني وما فيها وقل من سلم من هذه الوقعة فسبحان الحكيم الصمد القادر يفعل ما يشاء فاهتم السلطان في انشاء عمارة اخرى مع ما يناسبها من المدافع فجدوا حتى تم لهم ما راموا في مدة سبعة أشهر وما كان ذلك الا عناية من الله تعالى فصاروا كان لم يمسهم ضر ولا شر وفي هذه السنة برز أمر السلطان بان تهدم روافات المسجد الحرام لوهنها ونفوذ المطر منها وأن يبنى مكانها قباب عالية فشرع فيها فصارت في غاية ما يكون من الحسن واللطافة وجدد أبواب الحرم فلم يبق فيه من البناء القديم الا البيت العتيق وفي سنة ثمانين وتسعمائة خربت عمارة السلطان من

فم الخليج القسطنطيني صحبة كاشف البحر قليج علي باشا القبودان في مائة وخمسين غرابا غير ما انضم اليهم من المراكب فسار يحمي

واجتمعت تميم الى الاحنف فقالوا له ان الازد قد دخلوا المسجد قال انما هو لهم ولكم قالوا قد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فغزلوا نهر الاساورة حين خرج عبيد الله الى الشام فزعم الناس ان الاحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر هو انا ولكم عدو فامنعكم عنه فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايع من أتاه فرماه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فاسلم ثم دخل فى الخوارج فأصاب قلبه فقتله فقال الناس قتله الخوارج فخرجت الازد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا فطردوهم من البصرة ثم قيل للازد ان تميما قتلوا مسعودا فارسلوا يسألون فاذا ناس من تميم تقوله فاجتمعت الازد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود بن عمرو ومعهم مالك ابن مسمع فى ربيعة وجاءت تميم الى الاحنف يقولون قد خرج القوم وهو يتمكث لا يخف للفتنة فجاءته امرأة تجمر فقالت اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فخرج الاحنف فى بنى تميم ومعهم من بالبصرة من قيس فالتقوا فقتل بينهم قتلى كثيرة فقال لهم بنو تميم الله الله يا معشر الازد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فان كان لكم علينا بينة فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه وان لم تكن لكم بينة فانا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم له قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم واتاهم الاحنف واعتذر اليهم مما فعل وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فطلبوا عشر ديات فأجابهم الى ذلك واصطلحوا عليه واما عبد الله بن الحرث بينة فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل ابن الزبير وقيل بل كتب ابن الزبير الى عمر بعهده على البصرة فأتاه الكتاب وهو متوجه الى العمرة فكتب عمر الى اخيه عبيد الله يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر فبقى عمر أميرا شهرا حتى قدم الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى بعزله وولايها الحرث وهو الضباع وقيل اعتزل عبيد الله بن الحرث بينة أهل البصرة بعد قتل مسعود بسبب العصبية وانتشار الخوارج فكتب اهل البصرة الى ابن الزبير فكتب ابن الزبير الى أنس بن مالك يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم اربعين يوما وكان عبيد الله بن الحرث يقول ما احب ان أصلح الناس بفساد نفسى وكان يتدين وفى ايامه سار نافع بن الازرق الى الاهواز من البصرة واما أهل الكوفة فانهم لما ردوا رسل ابن زياد على ما ذكرناه قبل عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث واجتمع الناس وقالوا نؤمر علينا رجلا الى ان يجتمع الناس على خليفة فاجتمعوا على عمر بن سعد فجاءت نساء همدان يبكين الحسين ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا بالمنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمر غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمر بن سعد لانهم اخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحى فخطب أهل الكوفة فقال ان لكل قوم اشربة ولذات فاطلبوها فى مظانها وعليكم بما يحل ويحمد واكسروا شرابكم بالماء ودعوا عنكم هذه الجدران فقال ابن همام

اشرب شرابك وانعم غير محسود * واكسره بالماء لا تعص ابن مسعود
ان الامير له فى الخمر مأربة * فاشرب هنيأ مريأ غير مرصود
من ذا يحرم ماء المزن خالطه * فيها ويحبنى قول ابن مسعود

واصاب عدة مدافع لبعض سفن العدو فاغرقها ثم انجلى كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفى هذه السنة أمر السلطان بهدم البيوت والحيطان الملاصقة لجامع أياصوفية بمدينة قسطنطينية وكان الناس قد أكثروا من البنيان حتى استتر الجامع واعتم ونفذت القاذورات الى داخل الجامع فهدمت نحو أربعين ذراعا وصار حوالى الجامع مفازة لطيفة فصارت فى غاية ما يكون من الحسن وأمر السلطان بترميم الجامع المذكور وأن يبنى منارتان أخريان وامر ان يبنى حوالى الجامع مدرستان جليلتان فشرع فى ذلك وقضى السلطان نحبه وفى هذه السنة ورد الخبر بان عين عرفة وصلت الى مكة المشرفة وجرت على وجه الارض فى أماكن متعددة وكان من امرها انه كان انهى الى السلطان سليمان خان اسكنه الله غرف الجنان بان عين حنين قد ضعفت الى الغاية وان أهل مكة فى ضيق عظيم بسبب الماء فأمر باجراء عين عرفة الى مكة فصرفوا فى ذلك أموال الدنيا ولم يزالوا يباشرونها من ذلك العهد حتى تيسر مجيئها فى عهد ولده السلطان سليم خان وهذه نعمة الى

انى لا كره تشديد الرواة لنا * في قعر خابية ماء العناقيد

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك الى ابن الزبير اقره عليها وكان يلقب دحروجة الجعل وكان قصيرا فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الخطمي الانصاري على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج من عند ابن الزبير واستعمل محمد ابن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة ومن يالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام الا اهل الاردن في امارة عمر بن عبيد الله بن معمر وكان طاعون الجارف بالبصرة فمات امه فما وجد لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة اعلاج فحملوها

(ذكر خلاف أهل الري)

في هذه السنة بعد موت يزيد خالف اهل الري وكان عليهم الفرخان الرازي فوجه اليهم عامر ابن مسعود وهو امير الكوفة محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي فلقيه أهل الري فانهزم محمد فبعث اليهم عامر عتاب بن ورقاء الرياحي التميمي فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الفرخان وانهزم المشركون وكان محمد بن عمير هذا مع علي بصفين على تميم الكوفة ثم عاش بعد ذلك فلما ولي الحجاج الكوفة فارقها وسار الى الشام لكراهته ولاية الحجاج

(ذكر بيعة مروان بن الحكم)

في هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام وكان السبب فيها ان ابن الزبير لما بويع له بالخلافة ولى عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهري مصر واخرج بني امية ومروان ابن الحكم الى الشام وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة فلما قدم الحصين ابن نمير ومن معه الى الشام اخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبني أمية ترا كم في اختلاط فأقيموا أميركم قبل ان يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عمياء صماء وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق وبلغه ما يريد مروان ان يفعل فقال له قد استحييت لك من ذلك انت كبير قريش وسيدها تمضي الى أبي خبيب فتبايعه يعني ابن الزبير لانه كان يكنى بابنه خبيب فقال ما فات شئ بعد فقام اليه بنو امية وموالي بني أمية وتجمع اليه أهل اليمن فسار الى دمشق وهو يقول ما فات شئ بعد فقدم دمشق والضحاك بن قيس قد بايعه أهلها على ان يصلي بهم ويقيم لهم امرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا وكان زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين يبايع لابن الزبير والنعمان ابن بشير بحمص يبايع له أيضا وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية ولابنه يزيد وهو يريد بني امية فسار الى الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي فشار ناتل بن قيس بروح فاخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير وكان حسان في الاردن يدعو الى بني أمية فقال لاهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة قالوا نشهد انه منافق وان قتلى الحرة في النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد انه على الحق وان قتلانا في الجنة قال فانا أشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه قالوا له صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك

يوم الاثنين وقت الزوال واحتفى موته أحد عشر يوما وشاع بين الناس فلم يتيقنوا موته حتى قدم ولده الحبيب السلطان مراد خان

علبه وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة في سفن واغربة وقلايين وشوانى مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير سنان باشا وصحبة كاشف البحر علي باشا قاصدين فتح قلعة حلق الوادى وتخليص مدينة تونس من أيدى الافرنج وقد مر ذكرها في قصة بني حفص الى ان آل الحال الى فتح القلعة والمدينة وتحصينها فلله الحمد والمنة وفي هذه السنة أنشأ السلطان حماما بدار السعادة على صفة قبلوجة بروسة بحيث لم يبصر مثله فلما تم دخل السلطان الحمام المذكور فبينما هو يمشي اذ زلق قدمه فسقط سقطة عظيمة اسود منها جنبه الذي سقط عليه فلما برز من الحمام عرض ذلك على رئيس الاطباء محمد بن غرس الدين وكان جاهلا فعالجه ببعض ضمادات فلم ينجع وكان الواجب فصده من غير تأخير وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم لم يلبث ان حم السلطان واشتد مرضه فلم ينجع الطب فيه وتوفي في ثامن عشري شعبان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة

أمر الوزير لرئيس الاطباء ان يتولى غسله وعدة من خواصه الطواشية وكفنوه وجعلوه فى تابوت من غير اشعار احد ووضعوه فى المكان الذى توفى فيه فلما وصل السلطان ولم يشعر به أحد وكان أكثر الناس من القول بموته وخيف الاضطراب من العسكر أخبر الوزير اركان الملك بان السلطان طيب وانه يعمل الموكب يوم الثلاثا فأنهوا فلما كان يوم الثلاثا توجه الوزير وقضاة العسكر وسائر أركان الدولة الى الديوان فدخل الوزراء على السلطان كما كانوا يدخلون أولا للعرض فشاهدوه ميتا فى جوف التابوت فقال الوزير محمد باشا هذا اسلطانكم قدمات وان الذى لايموت الحى القيوم فترحموا عليه وخففوا عنكم هذا وسلطانكم الجديد قد وصل فبايعوه وافترحوا عليه وخرجوا فلما شاهد الناس منهم هذه الحالة تيقنوا بموت السلطان فلما كان صبيحة يوم الاربعا أذن المؤذنون على المنارات ونادى المنادون فى الاسواق بان السلطان سليم توفى الى رحمة الله تعالى وان سلطانكم السلطان مراد خان أيده الله تعالى وانه استقر على سرير الملك فذهب العلماء والكبراء الى دار السعادة تذكرون

واطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين يعنون ابنى يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره ان يأتينا الناس بشيخ وأتيهم بصبى وكتب حسان الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بنى امية وحسن بلائهم عنده ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين وأمره ان يقرأ كتابه على الناس وكتب كتابا آخر وسلمه الى الرسول واسمه باغضة وقال له ان قرأ كتابى على الناس والا فاقرأ هذا الكتاب عليهم وكتب حسان الى بنى أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم باغضة فدفع كتاب الضحاك اليه وكتاب بنى أمية اليهم فلما كانت الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال له باغضة لتقرأ كتاب حسان على الناس فقال له الضحاك اجلس فقام اليه الثانية والثالثة وهو يقول له اجلس فاخرج باغضة الكتاب وقرأه على الناس فقال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقيل كان الوليد قدمات بعد موت معاوية بن يزيد وقام يزيد بن أبى الغمس الغسانى وسفيان بن الابرد الكلبى فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمى فشتم حسانا واثنى على ابن الزبير فأمر الضحاك بالوليد ويزيد بن ابى الغمس وسفيان فحبسوا وجال الناس ووثبت كاب على عمرو بن يزيد الحكمى فضربوه وعزقوا ثيابه وقام خالد ابن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى الجمعة ودخل القصر فجاءت كاب فأخرجوا سفيان وجاءت غسان فاخرجوا يزيد وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله معهما اخوالهما من كاب فأخرجوا الوليد بن عتبة وكان اهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون الاول ثم خرج الضحاك الى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبه فقام اليه شاب من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم الى بعض فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكاب تدعو الى بنى أمية ثم الى خالد بن يزيد لانه ابن اختهم ودخل الضحاك دار الامارة ولم يخرج من الغد الى صلاة الفجر وبعث الى بنى امية فاعتذر اليهم وانه لايريد ما يكرهون وامرهم ان يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليسير من الاردن الى الجابية ويسيروا هم من دمشق فيجتمعوا معه بالجابية ويبايعوا الرجل من بنى امية فرضوا وكتبوا الى حسان وسار الضحاك وبنو امية نحو الجابية فأتاه نور بن معن السلمى فقال دعوتنا الى ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الاعرابى من كاب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد فقال الضحاك فما الرأى قال الرأى ان تظهر ما كانكتم وتدعو الى ابن الزبير فرجع الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو امية وحسان وغيرهم بالجابية فكان حسان يصلى بهم أربعين يوما والناس يتشاورون وكان مالك بن هبيرة السكونى يهوى خالد بن يزيد والحصين بن نمير يميل الى مروان فقال مالك للحصين هل نبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غدا يعنى خالدا فقال الحصين لا والله لا تأتينا العرب بشيخ وأتيها بصبى فقال مالك والله لئن استخفت مروان ليحملنك على سوطك وشر النعال وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة واخو عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن اختكم فقال الحصين انى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يلى الخلافة يتناوله فلم ينله أحد الا مروان والله لنستخلفنه وقام روح بن زنباع الجذامى فقال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه فى الاسلام وهو كما

تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون انه ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ابن ذات النطاقين ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس المنافق بصاحب امة محمد واما مروان بن الحكم فوالله ما كان فى الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذى قاتل على ابن أبى طالب يوم الجمل وانا نرى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشيروا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد بن يزيد فدعا حسان خالدا فقال يا ابن أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنك وانى والله ما اريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما ابايع مروان الا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا قال والله ما عجزت عنكم ولكن الرأى لك ما رأيت ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين وقال مروان حين بويع له

لما رأيت الامر أمرا نهبا * سرت عشاة لهم وكلبا
والسكسكين رجالا غلبا * وطيبا بأباه الاضربا *
والقين يمشى فى الحديد نكبا * ومن تنوخ مسمحرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا * فان دنت قيس فقل لا قربا

(خيبب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة)

(ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير)

ثم ان مروان لما بايعه الناس سار من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن قيس ومعه ألف فارس وكان قد استمد الضحاك النعمان بن بشير وهو على حمص فامده بشرحبيل بن ذى الكلاع واستمد أيضا زفر بن الحرث وهو على قنسرين فامده بأهل قنسرين وامده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وكان يزيد بن أبى الغمر الغسانى مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق وأخرج عامل الضحاك بن قيس وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح فكان أول فتح على بنى أمية وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك قتله دحية بن عبد الله وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة وقتلت قيس مقتلة لم يقتل مثلها فى موطن قط وكان فيمن قتلها فى بن قبيصة النميرى سيد قومه كان مع الضحاك فقتله وازع بن ذؤالة الكلبى فلما سقط جر يحا قال

تعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ * يرى الموت خيرا من فرار والزما
* ولا تتركنى بالحشاشة انني * صبور اذا ما الناكس مثلك احجما

فعاد اليه وازع فقتله وكانت الوقعة فى المحرم سنة خمس وستين وقيل بل كانت فى آخر سنة أربع وستين ولما رأى مروان رأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل طمر الحمار اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض ولما انهزم الناس من المرج

بعد وقعة الهزيمة وجهزها من البصرا خلص النية وتوضأ ودخل بيت خلوته فصلى فيه ما شاء الله وبكى وتضرع وخر ساجدا زمانا

صلى عليه بدار السعادة وهو شئ لم يسبق اليه وهو أول سلطان توفى بمدينة قسطنطينية وتقدم للصلاة عليه العالم الكامل أبو حامد المفتى باشارة من السلطان اليه ثم ذهبوا بالجنازة فوضعت تحت خيمة جعلوها فى جنب أياصوفية لعدم تهيؤ القبر ثم عاد الناس الى دار السعادة لاجل الصلاة على أولاد السلطان سليم خان وكانوا خمسة اخوة خنقوا فى ذلك اليوم على ما جرت به عوائدهم فصلوا عليهم بعد صلاة العصر ثم جاؤا بجسم عند أبيهم ولما اصبح الصباح من يوم الخميس التاسع من رمضان حضر العلماء والوزراء والاعيان فدفنوا جميعهم فى ذلك الموضع وكان رحمه الله شهما شجاعا ذكيا ما تلا الى التقوى ووجوه الخير وكان مهيب الشكل جليل القدر صحيح العقيدة حنفى المذهب مواظبا على الصلوات الخمس وكان مع ذلك متهما بالميل الى اللهو والطرب والتوغل فى التنعم وقد صح انه رجع فى مدة مرضه قبل موته بشهرين (وما يحكى) عن صفاء مشربه وحسن حاله انه لما انشأ العمارة الجديدة من الاغربة والسقن

لحقوا باجنادهم فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية وثقله وأولاده فتحير ليلته كلها واصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي طلبه عمرو بن الجلي الكلاعي فقتله وردّ أهله والرأس معه وجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها معها ولما بلغت الهزيمة زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشي كان يزيد ولاه اياها فطلب منه ان يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق على انه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها فاذن له فدخلها فغلب عليها وتحصن بها ولم يدخل حمامها فاجتمعت اليه قيس وهرب نائل بن قيس الجذامي من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان واستعمل عماله عليها وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بني أمية وهم بتدمر ومروان يريد ان يسير الى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الامان لبني امية فردّه عن ذلك وأمره ان يسير باهل تدمر الى الضحاك فيقاتله ووافقه عمرو بن سعيد واشار على مروان بأن يتزوج ام خالد بن يزيد ليسقط من أعين الناس فتزوجها وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة ثم جمع بني أمية فبايعوه وبايعه اهل تدمر وسار الى الضحاك في جمع عظيم فخرج الضحاك اليه فتقاتلا فانهزم الضحاك ومن معه وقتل الضحاك وسار زفر بن الحرث الى قرقيسيا واجتمعت عليه قيس وصحبه في هزيمته الى قرقيسيا شابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فقال الشابان لزفر انج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى زفر وتركهما فقتلا وقال زفر في ذلك

أريني سلاحي لا أبالك انني * اذا الحرب لا تزداد الا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب انه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
فني العيش منجاة وفي الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المبانيا
فلا تحسبوني ان تغيبت غافلا * ولا تفرحوا ان جئتكم بلقائيا
فقد يثبت المرعى على دمن الثرى * له ورق من تحته الشر باديا
وتمضي ولا يبقى على الارض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيننا متنائيا
فلم ترمني ثبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي وراثيا
عشية ادعو في القران فلا أرى * من الناس الا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح ايامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تشمط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تغيثن غارتي * منوحا واحيي طيأ من سقائيا

فأجابه جواس بن القعطل

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * على زفر مرا من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا اعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بالسلاح ثم أحجم اذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا

الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فاستبشر السلطان وحمد الله واثنى عليه وسكن ما به من الاضطراب وكانت مدة سلطنته ثمانية اعوام وخمسة أشهر وتسعة عشر يوما وكان مولده في أواخر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة بالقسطنطينية

* (وتولى الملك بعده ولده السلطان المعتصم بالله مراد خان بن السلطان سليم خان) *

ولد في مدينة قسطنطينية سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وتاريخ ولادته خير النسب ٩٥٣ بحساب الجمل وتربى في حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق أكثر اسلافه العظام وله نظم في الالسن الثلاثة واشتغل بعلم التصوف ولم يصدر منه شئ من الكبائر وكان عمره حين جلس على سرير الملك ثلاثين سنة وكان أكبر همه قتال صاحب أذربيجان وخراسان من أولاد حيدر الصفوي فعين الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارص وشحنها بالمدافع والمكاحل عليها

عليها كاسد الغاب تيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطوال العواليا

وقال عمرو بن الجلى الكلبى

بكى زفر لقيس من هلاك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
تبكى على قتلى أصيبت براهط * تجاوبها هام القفار وبومها
ايبكى حمى للحى قيس براهط * وولت شلالا واستباح حريمها
تبكيهم حوران تجرى دموعها * ترجى نزارا أن تؤب حلومها
فمت كمدا او عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها

فى أبيات (يزيد بن أبى الغمس بالسين المهملة وقيل بالشين المعجمة وكان قد ارتد عن الاسلام ودخل الروم مع جبلة بن الايهم ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان وناتل بالنون والتاء المعجمة من فوق باثنتين)

(ذكر فتح مروان مصر)

فلما قتل الضحاك واصحابه واستقر الشام لمروان سار الى مصر فقدمها وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشى يدعو الى ابن الزبير فخرج الى مروان فيمن معه وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر فقيل لابن جحدم ذلك فرجع وبايع الناس مروان ورجع الى دمشق فلما دنا منه بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا فى جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل ان يدخل الشام فقاتله فانهزم مصعب واصحابه وكان مصعب شجاعا ثم عاد مروان الى دمشق واستقر بها وقد كان الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما ولخالد بن يزيد فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعنى مالكا وكان يتطيب و يتكحل فقال مالك هذا ولما تردى تهامة و يبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما دعيناك فقال هو ذاك

(ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وامر عبد الله بن خازم)

ولما بلغ سلم بن زياد وهو بخراسان موت يزيد كتم ذلك فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بحسمى والذبير بكابل * ويزيد أغلق بابه المكتوم
أبنى امية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرقوم
ومرنة تبكى على نسوانه * بالصبح تقعد مرة وتقوم

فلما أظهر شعره اظهر سلم موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين وكان محسنا اليهم محبوبا فيهم فلما خلع عنهم استخلف عليهم المهلب بن ابى صفرة ولما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة بن ربيعة فقال له ضاقت عليك نزارتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعنى المهلب وكان ازديا والازد من اليمن فولاه مرو الروذ وذا القار باب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة فلما وصل الى

الاطراف وتمكن منها ثم ترك فيها الوزير عثمان باشا ابن ازدمر واليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير الى

وفيها مزار الشيخ العارف بالله أبى الحسن الخرقانى من كبراء الصوفية فلما استولى عليها الكفار اخربوها ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج حتى وصل الى مكان يسمى جلدر من بلاد الشاه فحاصر هناك قلعة الكفار والكرج تسمى يكى قلعة فاستولى عليها ثم هجم عليه عسكر الشاه صحبة وزيره دقماق فبعث الوزير مصطفى باشا عسكرا الى قتاله فهزموهم وحصدوهم بالسيوف واستولوا على اموالهم وخيولهم ثم استولى الوزير المذكور هناك على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار حتى افتتح قلعة تفليس من بلاد اورخان قاعدة مملكة الكرج وكان المسلمون افتتحوها قديما ثم غلب الكرج واستولوا عليها ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت أم منوجهر الكرجى ملكة تلك البلاد ابنها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمان قلاع من القلاع الستة عشر التى تملكها فرحب به الوزير وآنس به وعين له امرة تلك البلاد وذلك بعد ان اسلم منوجهر بين يدى الوزير ثم قام الوزير المذكور بعد ان نصب فى تفليس أمير الامراء الى طرف شروان وهى شماخى وبث سراياه الى

نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فاخبره فقال اما وجدت فى المضر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لى عهدا على خراسان فكتب له واعطاه مائة الف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فاقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلما وصلها ابن خازم منعه الجشمى وجرت بينهما مناوشة فاصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجز واودخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين ثم سار ابن خازم الى سليمان بن مرثد بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان ثم سار الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع ابن خازم الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليهم من كان بكور خراسان من بكر وكثر جمعهم وقالوا لاوس بن ثعلبة نبايعك على ان تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فأبى عليهم فقال له بنو صهيب وهم من بنى جدم لا نرضى ان نكون نحن ومضر فى بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمرا ابنى مرثد فاما ان تبايعنا على هذا والا بايعنا غيرك فاجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على وادبينه وبين هراة فاشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا ما نريد فابوا عليه فخرجوا وخندقوا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة وقال له هلال الضبى انما تقاتل اخوتك وبنى أبيك فان نلت منهم الذى تريد فما فى العيش خير لو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر وقال والله لو خرجنا اليهم من خراسان ما رضوا فقال هلال والله لا أقاتل معك ابدا ولا رجل أو تطيعنى حتى تعتذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فأرضهم فاتى هلال أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة فى نزار وان يحفظ ولاءها فقال هل لقيت بنى صهيب قال لا قال فالقهم قال فخرج فلقى جماعة من رؤساء أصحابه فاخبرهم ما أتى له فقالوا له هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم أمر بنى صهيب عندكم فاتاهم فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا من خراسان واما ان تقيموا وتخرجوا الناس عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيه من مضر وأقام ابن خازم يقاتلهم فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا ونادا هم يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم فاحفظهم ذلك فتنادوا للقتال فنهاهم أوس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون فعصوه فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه بوكم فيكون الملك لمن غلب واذا لقيتم الخيل فاطعنوها فى مناخرها فاقتتلوا ساعة وانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وتفرقوا يمينا وشمالا وسقط الناس فى الخندق وقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة الى سجستان فمات بها أو قريبا منها وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف وغلب ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح الثقفى على شرطته ورجع ابن خازم الى مرو وأغارت الترك على قصر اسغاد وابن خازم على هراة وكان فيه ناس من الازد فحصروهم فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم زهير بن حيان فى بنى تميم وقال له ايالك ومشاواة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فواقاهم فى يوم بارد فلما التقوا حمل عليهم فانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل

بنحو اثنى عشر الف عسكرى لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد فاتفق ان انتصر عثمان باشا وقتل ارس خان وغالب عسكره ثم وقع بينه وبين عسكر الشاه هنالك ما ينوف عن عشرين وقعة وكانت النصرة دائما فى جانب عثمان باشا وآخر ذلك ان عدل امام قولى بعسكر يقرب من ثلاثين الف مقاتل على اوض شروان فقاتل عثمان باشا مدة اربعة ايام ثم نزل نصر العثمانية وقتل غالب الشاهية وبنى عثمان باشا بعد هذه الوقعة فى شماخى حصارا عظيما فى دور سبعة آلاف ذراع بذراع البناء فى مدة اربعين يوما ثم ترك فيها بعض باشا نائبا بها وبعد مدة قدم الى مدينة قسطنطينية وصار وزيرا اعظم وذلك بعد ان قاتل فى مسيره عدة امم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ثم لما وصل الى بلاد كفه بلغه ان خاقان التاتار اظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه وفى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث السلطان مراد خان وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم وارسل اليه الشاه فى الصلح وبعث السلطان احمد وزرائه يدعى ابرهيم خان بنصف سنية

الليل فرجع زهير وقد بيست يده على رمحه من البرد فجعلوا يمخنون الشحم فيضعه على يده ويدهنوه واوقدوا له نارا فانتفخت يده ثم رجع الى هراة فقال فى ذلك ثابت قطنة

فدت نفسى فوارس من تميم * على ما كان من ضنك المقام
بقصر الباهلى وقد أرانى * أسامى حين قل به المحامى
بسبعين بعد كسر الرمح فيهم * اذودهم بذى شطب حسام
أكر عليهم البحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
فلولا الله ليس له شريك * وضربى قونس الملك الهمام
اذا فاضت نساء بنى دثار * أمام الترك بادية الخدام

(ذكر أمر التوابين)

قيل لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقته الشيعة بالتلاوم والمنادمة ورأت ان قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل الى جانبهم ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا القتل من قتله والقتل فيهم فاجتمعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤساء الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من اصحاب على والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل والى رفاعة بن شداد البجلى وكانوا من خيار اصحاب على فاجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله اما بعد فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فان أميرا المؤمنين عليا قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية انفسنا فوجدنا الله كاذبين فى كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله واعذر الينا فسألنا نصره عودا وبدأ وعلانية فبخلنا عنه بانفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بايدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينا ولد حبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه او تقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا ان يرضى عنا عند ذلك ولا انا بعد لقائه اهقوبته يا قوم ايها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من امير تفزعون اليه ورايه تحفون بها وقام رفاعة بن شداد وقال اما بعد فان الله قد هداك لاصوب القول وبدأت بارشد الامور بدعائك الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فسموع منك مستجاب الى قولك وقلت ولوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتحفون برايته وتدر أينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عند ناما رضيا وفينا منتصحا وفى جماعتنا محبوبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان ابن صرد الخزاعى المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك واثنيا على المسيب وسليمان فقال المسيب قد أصبتم فولوا امركم سليمان بن صرد فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله اما بعد فانى لخائف ان لا يكون أخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت

واقام مقامه فرهاد باشا وفى سنة تسعين وتسعمائة احتفل السلطان بختان ولده النجيب السلطان محمد خان وصنع لذلك وليمة عظيمة بحيث لم يقع فى زمن من الازمان مثلها وامتدت الوليمة والفرجة واللهو والطرب مدة خمسة واربعين يوما وكان جالسا يتفرج فى دار ابراهيم باشا بحملة آط ميدانى وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا الى بلاد العجم فسار وتوغل فى بلاد اذربيجان نحو سبعة أيام واستولى على مدينة روان وبنى عليها حصنا حصينا ونصب فيها يوسف باشا واليا وأميرا وفى هذه السنة خرج ابراهيم باشا من مدينة قسطنطينية الى الديار المصرية والشامية ليصلح منها ما فسد وفى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة سار فرهاد باشا بعسكر عظيم للغزو ببلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفى هذه السنة بعث السلطان الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال الاعجام فتوجه بعد ان شتى فى بلاد قسطمونى وسار فى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة بمعه من العساكر

فيه الرزية وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا غدا عنا قنا الى قدوم آل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم النصر ونحن هم على القدوم فلما قدموا وتينا وعجزنا واذهلنا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه النصف الا انهم ضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله الا لانتهابون الموت فما هابه أحد قط الا ذل وكونوا كبني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا وجثوا على الركب ومدوا الاعناق حين علموا انهم لا ينجيهم من عظيم الذنب الا القتل فكيف بكم لو دعيتم الى ما دعوا أحدوا السيوف وركبوا الاسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا وتستنفروا فقال خالد بن سعد بن نفيل اما أنا فوالله لو أعلم انه يجيبني من ذنبي ويرضى ربي عني قتلي نفسي لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين قال أبو المعتمر بن حبس بن ربيعة الكناني مثل ذلك فقال سليمان حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت به عبد الله بن وال التيمي فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوي الحلة والمسكنة من أشياعكم وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فاجابوا الى ذلك فكتبوا الى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة اليه والمساعدة له وكتب سليمان أيضا كتابا الى المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة مثل ما كتب الى سعد بن حذيفة فاجابه المثنى اتامعشر الشيعة حدثنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك ان شاء الله للاجل الذي ضربت وكتب في أسفل الكتاب

تبصر كأني قد أتيتك معلما * الأبلغ الهادي أجش هذيم
طويل القرا نهد أحق مقلص * صلاح على فأس اللجام أروم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه * محش لنار الحرب غير سؤوم
أخي ثقة يثوي الالا بسعيه * ضروب بنصل السيف غير اثيم

فكان أول ما ابتدؤا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة احدى وستين فغازوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس في السر الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين فلما مات بزيد جاء الى سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا الطاغية والامر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم اظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقال سليمان بن صرد لا تعجلوا انى قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت ان قتلة الحسين هم اشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم ونظرت فمن تبعني منكم فعلت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثارهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزر العدو وهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا الى أمركم فمن فعلوا واستجاب لهم

الناس فقابلهم الوزير باللطف ثم شرع اولا في بناء القلعة في مكان يسمى هشت بهشت وكان ذلك في طرف المدينة ثم شرع في بناء سور المدينة فأتم الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من اهل تبريز بعض غدر في امر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا اموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ومرض الوزير في تلك المدة ثم لما تم أمر القلعة وسور المدينة وخنادقها خرج الوزير مع العسكر متوجهين الى بلاد الروم وذلك بعد ان بقي في المدينة نحو ثلاثين الف مقاتل صحبة امير الامراء جعفر باشا وشرط له ان يكون وزير السلطان فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض الوزير حمزة ميرزا ابن شاه محمد خدابنده صاحب عراق العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير لقتالهم وركب بغلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامر امر الوزير برمي المدافع الكبار وكانت غنائمه مدفع فاصابت من عسكر الاروام وجيش العجم ما قدر الله اجله فانجلى الامر عن هزيمة العجم ثم نزل الوزير في ذلك المحل وفتح ابواب وطاقه لاجل اعطاء الترفي

الامراء بمدينة وان فلما رحلوا اعترضهم العدو يمينا وشمالا ووقع بينهما مناوشة فلما وصلوا الى حدود المملكة العثمانية امام قلعة سلماس هجم حمزة ميرزا المذكور في نحو ثلاثين الف راكب فوقع بين العسكرين قتال كثير حتى انجلى الحرب عن هزيمة الاعجام بعد ان حصدهم بالسيف فلما دخلوا مدينة وان شقوا بطن الوزير عثمان باشا وحشوه بالطيب وبعثوا جسده فدفنوه بمدينة آمد وكان أوصى بذلك وكان الوزير المذكور رأى مناما وهو بمدينة تبريز انه راكب فرسا أبيض فالقاه الفرس الى الارض وسقطت عمامته عن رأسه فعرف انه يموت من مرضه الذي اعتراه ما وصى بما اراد وكان الوزير المذكور تقبل الله سعيه المشكور من الشجاعة بجانب عظيم كان تولى عدة صناجق في ابتداء حاله ثم صار أمير الامراء ببلاد الحبشة فسار حتى انتهى الى تخوم ارض الحبشة فرأى مكانا ينبت الذهب فيه في سفح جبل كما ينبت القصب فوصل الى اقليم الميمون أي القرود وقاتل معهم كثيرة مرات عديدة فكان النصر

ناس كثير بعد هلاك يزيد ثم ان أهل الكوفة اخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير وسليمان واصحابه يدعون الناس فلما مضت ستة اشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن ابي عبيد الكوفة في النصف من رمضان وقدم عبد الله بن يزيد الانصاري أميرا على الكوفة من قبل ابن الزبير لثمان بقين من رمضان وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فاخذ المختار يدعو الناس الى قتال قتلة الحسين ويقول جئتكم من عند المهدي محمد ابن الحنفية وزيرا أمينا فرجع اليه طائفة من الشيعة وكان يقول انما يريد سليمان ان يخرج فيقتل نفسه ومن معه وليس له بصرة بالحرب وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد بالخروج عليه بالكوفة في هذه الايام وقيل له ليحبسه وخوف عاقبة امره ان تركه فقال عبد الله ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم ان هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن علي فرحم الله هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ظاهرين وليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم يعني ابن زياد وانا لهم ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل اخياركم وامثالكم قد توجه اليكم وقد فارقوه على ليلة من جسر منبج فالقتال والاستعداد اليه أولى من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتم وتلك امنيته وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم هو وابوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذي من قبله اتيتم والذي قتل من تنادون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بجدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بانفسكم انى لكم ناصح وكان مروان قد سير ابن زياد الى الجزيرة ثم اذا فرغ منها سار الى العراق فلما فرغ عبد الله بن يزيد من قوله قال ابراهيم بن محمد بن طلحة ايها الناس لا يغرنكم من السيف والغشيم مقالة هذا الداهن والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بمن في عرافته حتى يدينوا اللحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الساكنين انت تهددنا بسيفك وغشمك انت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك واما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا فقال ابراهيم والله لتقتلن وقد اوهن هذا يعني عبد الله بن يزيد فقال له عبد الله بن وال ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت علينا بامير انما أنت أمير هذه الجزيرة فاقبل على خراجك ولئن افسدت أمر هذه الامة فقد افسده والدك وكانت عليهما دائرة السوء فشتمهم جماعة ممن مع ابراهيم فشاتموه فنزل الامير من على المنبر وتهدده ابراهيم بانه يكتب الى ابن الزبير يشكوه فجاءه عبد الله في منزله واعتذر اليه فقبل عذره ثم ان اصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين ويتجهزون

(ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم)

وفي هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قد صاروا مكة عبد الله بن الزبير وكانوا قد قاتلوا معه اهل الشام وكان سبب قدومهم عليه انهم لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل ابي بلال اجتمعوا فتذاكروا ذلك فقال لهم نافع بن الازرق ان الله قد انزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد واحتج عليكم وقد جردا هل الظلم فيكم السيوف فاخرجوا بنا الى هذا الذي قد ثار بمكة فان كان على رأينا جاهدنا معه وان يكن على غير رأينا دافعناه عن البيت وكان عسكر الشام قد سار نحوه

وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان فرهاد باشا الوزير المذكور مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى مدينة

تبريز وحصنوا قلعتها ورموا سورها وكانت وبين تبريز قلعتين وشحنهما رجالا وسلاحا ولم يزل الوزير المذكور يغزو في بلاد الروم ويرجع في الصيف الى بلاد الجبل حتى مهد البلاد التي اخذت من الكرج وبنى قلعة كوري ووصل الى بلاد قره باغ وكنجة وبنى هنالك حصنا على كنجة وحصنا على بردعه وقاتل صاحب قره باغ محمد خان فكسره وغنم امواله وعاد الى بلاد الروم وقد وقع فتح بلاد شروان في هذه السنة لان امارات الفتح اتصال الممالك العثمانية بشروان واستمر القتال والحرب بينهما سجال الى ان وقع الصلح بينهما وجعل حد لا يتعداه احد منهما وفي نهار الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة احدى بعد الالف وقعت الحادثة العظمى بمدينة قسطنطينية التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر وكنت اذ ذاك هنالك وذلك ان العساكر من طائفة غرباء اليمين واليسار والسلحدارية وغيرهم اتفقوا ودخلوا الى ديوان السلطان بسبب ابطاء جوامكهم عن العادة وارسلوا يطلبون محمدا الشريف الدفتري يومئذ فامتنع السلطان من تسليمه لهم خوفا ان يقتلوه ولم تزل قضاة العساكر يترددون لهؤلاء الجماعة لدفع هذه الفتنة فلم يقدروا فرجوهم واستمروا واقفين وعلى ما هم لا يحل

ابن الزبير فسار الخوارج حتى قدموا على ابن الزبير فسير بمقدمهم واخبرهم انه على مثل رايهم من غير تفتيش فقاتلوا معه اهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف اهل الشام ثم انهم اجتمعوا وقالوا ان الذي صنعتم امس لغير رأي تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على مثل رأيكم وقد كان امس يقاتلكم هو وابوه وينادي يا ثارات عثمان فائتوه واسألوه عن عثمان فان برئ منه كان وليكم وان ابى كان عدوكم فاتوه فسألوه فنظر فاذا اصحابه حوله قليل فقال انكم اتيتموني حين اردت القيام ولكن روحوا العشية حتى اعلمكم فانصرفوا وبعث الى اصحابه فجمعهم حوله بالسلاح وجاءت الخوارج واصحابه حوله وعلى راسه وبأيديهم العمد فقال ابن الازرق لاصحابه ان الرجل قد أزمع خلافكم فتقدم اليه نافع بن الازرق وعبيدة بن هلال فقال عبيدة بعد حمد الله اما بعد فان الله بعث محمدا يدعو الى عبادته واخلاص الذي له فدعا الى ذلك فاجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عملا بكتاب الله وسنة نبيه ثم ان الناس استخلفوا عثمان فحمى الاحماء وآثر القربى واستعمل الغنى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكر الجور وآوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ في ء الله الذي افاء عليهم فقسمه في فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير فقال قد فهمت الذي ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت ونهمت الذي ذكرت به عثمان وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم اعلم بابن عفان وأمره مني كنت معه حيث نقم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ الا اعتبهم ثم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه وثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عتبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وانا اشهدكم ومن حضر فى انى ولي لابن عفان وعدو لأعدائه فبرئ الله منكم وتفرق القوم فاقبل نافع بن الازرق الحنظلي وعبد الله بن الصفار السعدي وعبد الله بن اباض وحنظلة ابن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بني سليط بن يربوع وكلهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بني بكر بن وائل وابو فديك عبد الله بن نور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود البشكري الى اليمامة فوثبوا بها مع أبي طالوت ثم اجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفي وتركوا أبا طالوت فاما نافع وأصحابه فانهم قدموا البصرة وهم على رأي أبي بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وثوب الناس بابن زياد وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا واشتغل الناس عنهم بحرب الازد وربيعة وتميم فلما خرج نافع تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحرث فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم فلحق نافع بالاهواز في شوال سنة اربع وستين وخرج من بقي منهم بالبصرة الى ابن الازرق الا من لم يرد الخروج يومه ذلك منهم عبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع فرأى ان ولايته من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وان من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ذلك ودعاهم الى البراءة منهم وانهم

لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم ورأى قتل الاطفال والاستعراض وان جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل فاجابه الى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم وممن فارقه نجدة بن عامر وسار الى اليمامة فاطاعه الخوارج الذين بها وتركوا اباطالوت فكتب نافع الى ابن اباض وابن الصفار يدعوهما ومن معهما الى ذلك فقرا ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على اصحابه خشية ان يتفرقوا ويختلفوا فاخذه ابن اباض فقرأه فقال قاتله الله أي رأى رأى صدق نافع لو كان القوم مشركين كان اصوب الناس رأيا ولو كانت سيرته كسيرته في المشركين ولكنه قد كذب فيما يقول ان القوم برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والاحكام ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا فقال له ابن الصفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا فقال الآخر برئ الله منك ومنه فتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه واقام بالاهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم اقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة من أهل البصرة (عبيس بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة وعبيدة بن بلال بضم العين المهملة والباء الموحدة)

* (ذكر قدوم المختار الكوفة) *

كانت الشيعة نصب المختار وتعيبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي حين طعن في ساباط وحمل الى ابيض المدائن حتى كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة كان المختار في قريته له تدعى لثغا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر ولم يكن خروجه عن ميعاد كما سبق فاقبل المختار في موالية فانتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد اقعد عبيد الله بن زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدري ما يصنع فبلغ خبره عمرا فاستدعاه وآمنه فحضر عنده فلما كان الغد ذكر عمارة بن الوليد بن عقبة أمره لعبيد الله فاحضره فيمن دخل وقال له انت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل قال لم افعل ولكني اقبلت ونزلت تحت راية عمرو فشهد له عمرو فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال لولا شهادة عمرو لقتلتك ثم حبسه حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع فيه وكان ابن عمر تزوج اخت المختار صفية بنت ابي عبيد فكتب ابن عمر الى يزيد يشفع فيه فارسل يزيد الى ابن زياد يأمره باطلاقه فاطلقه وأمره ان لا يقيم غير ثلاث فخرج المختار الى الحجاز فلقيه ابن العرق وراء واقصة فسلم عليه وسأله عن عينه فقال خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى ثم قال قتلني الله ان لم اقطع انامله واعضاءه اربا اربا ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال انه عائذ بالبيت وانه يبايع سرا ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر فقال المختار انه رجل العرب اليوم وان اتبع رأيي اكفه أمر الناس ان الفتنة ارعدت وابرقت وكان قد انبعث فاذا سمعت بمكان قد ظهرت به في عصابة من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيدها الحسين بن علي فوربك لاقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ثم سار وابن العرق يعجب من قوله قال ابن العرق فوالله لقد رأيت ما ذكره وحدثت به

يضربونهم بالحجارة التي رجوابها فازدحموا عند خروجهم من الباب الوسطاني حتى تراكم بعضهم على بعض بين البابين وانسد الباب فكان الناس يعثرون عليهم فقتل منهم ومن المتفرجين نحو من مائة وسبعة عشر انسانا فامر السلطان بالقاء أجسادهم في البحر وسلم الدفتر دار المذكور وفي هذه السنة عين السلطان الوزير الاعظم سنان باشا لمحاربة كفار البحر وأرسل معه العسكر ففتح تلك السنة قلعة بستريم وقلعة طاجة وشتى بمدينة بلغراد وفي السنة الثانية فتح قلعة بانق وهي من أحصن القلاع واصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة مات الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومتانتها تنقطع الاطماع عن طلبها وتقصر العزائم عن فتحها لقوة قسيمها وكان فتحها عند النصارى بمنزلة المحال لصعوبة مراقيها واستعلاء مرامیها وفتحها الله تعالى على يد الوزير الاعظم سنان باشا لطفا منه تعالى لا بضرب سيف ولا بطعن سنان * وتوفي السلطان مراد خان في تاسع جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف وله من العمر خمسون سنة

وكانت مدة ملكه عشرين سنة وثمانية أشهر وخلف عشرين ولدا ذكرا غير الاناث فلما استقر ولده الاكبر على سرير الملك أمر

الحجاج بن يوسف فضحك وقال لله دره أى رجل دنيا ومعمر حرب ومقارع اعداء كان ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم عنه ابن الزبير أمره ففارقه وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل انه بالطائف وانه يزعم انه صاحب الغضب ومسير الجبارين فقال ابن الزبير ماله قاتله الله لقد اتبع كذابا متكهنا ان يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم فهو فى حديثه اذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس فأتاه معارفه يحدثونه ولم يأت ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد فاتاه وسأله عن حاله ثم قال له مثلك يغيب عن الذى قد اجتمع عليه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ولم تبق قبيلة الا وقد اتاه زعيمها فبايع هذا الرجل فقال انى اتيته العام الماضى وكنت عنى خبره فلما استغنى عنى احببت ان اريه انى مستغن عنه فقال له العباس القه الليلة وانا معك فاجابه الى ذلك ثم حضر عند ابن الزبير بعد العتمة فقال المختار ابايعك على ان لا تقضى الامور دونى وعلى ان أكون أول داخل واذا ظهرت استعنت بى على افضل عملك فقال ابن الزبير ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال وشر غنما انى تبايعه على ذلك والله لا ابايعك ابدا الا على ذلك فبايعه فاقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبى احسن بلاء وقاتل اشد قتال وكان اشد الناس على أهل الشام فلما هلك يزيد بن معاوية واطاع أهل العراق ابن الزبير اقام عنده خمسة اشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه احدا من أهل الكوفة الا سأله عن حال الناس فاخبره هانئ بن جبة الوداعى باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم اكل بهم الارض الى يوم فقال المختار انا أبو اسحق انا والله لهم ان اجمعهم على الحق والقى بهم ركبان الباطل واهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل الى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل ولبس ثيابه ثم ركب فمر بمسجد السكون وجبانة كندة لا يمر على مجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصرة والفلج انا كم ما تحبون ومر بيني بدء فلقى عبيدة بن عمرو البدئى من كندة فسلم عليه وقال له ابشر بالنصر والفلج انك أبو عمرو على رأى حسن لن يدع الله لك معه انما الاعقره لك ولاذنبا الا ستره وكان عبيدة من اشجع الناس واشعرهم واشدهم تشيعا لحب العلى وكان لا يصبر عن الشراب فقال له بشرك الله بالخير فهل انت مغنينا قال نعم القنى الليلة ثم سافر بنى هند فلقى اسمعيل بن كثير فرحب به وقال له القنى انت واخوك الليلة فقد اتيتكم بما تحبون ومر على حلقة من همدان فقال قد قدمت عليكم بما يسركم ثم اتى المسجد واستشرف له الناس فقام الى سارية فصلى عندها حتى اقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم انصرف الى داره واختلف اليه الشيعة واتى اسمعيل بن كثير واخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم فاخبروه خبر سليمان بن صرد وانه على المنبر فحمد الله ثم قال ان المهدى ابن الوصى يبعثنى اليكم امينا ووزيرا ومشيخا وأميرا وأمرنى بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده وبايعوه وبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم نحو ذلك وقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور وانما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه وانا اعمل على مثال مثل لى وأمرين لى أعين وليكم واقتل عدوكم واشفى صدوركم فاسمعوا قولى واطيعوا امرى ثم انتشروا ومازال يهذا ونحوه يغرى

بخنق اخوته فخنقوهم وصلوا عليهم مع أبيهم ودفنوهم معه نجاه اياه وفيه وجلس على سرير الملك خليفة الله على كافة العباد وظله الشامل لجميع البلاد وهو سلطان هذا الزمان خلاصة خواقين آل عثمان

(السلطان المجاهد الغازى محمد خان ابن المرحوم السلطان مراد خان)

لازال أمره ماضيا بلا مضارع ونافذا فى الاقطار بدون منازع جلس على سرير الملك نهار الجمعة وقت الضحى سادس عشر جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف فهو امام عصرنا وغمام شامنا ومصرنا فى ثامن يوم من جلوسه أمر بقتل ابراهيم باشا الشهير بدالى ابراهيم باشا الذى كان نائبا بديار بكر فظلم العباد واضعف البلاد وكان محبوسا فى احدى القلل البحرية وكان حبسه ابوه المرحوم السلطان مراد خان عليه الرحمة والرضوان بسبب انه ظلم العباد وقتل فى البلاد حتى ان الناس جلوا عن اماتهم وخلوا من مساكنهم من ديار بكر فى ايامه وبرز أمره العالى باخراج كل من كان بدار السلطنة الجديدة من المساخر والجوارى وامهات

استمال طائفة من الشيعة وصار يختلفون اليه ويعظمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحدا وهو أثقل خلق الله على المختار وهو ينظر الى ما يصير أمر سليمان فلما خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي وابراهيم بن محمد بن طلحة ان المختار اشد عليكم من سليمان انما خرج يقاتل عدوكم وان المختار يريد ان يثب عليكم في مصركم فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فاتوه فاخذوه بغتة فلما رآهم قال مالكم فوالله ما ظفرت اكفكم فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة اعبد الله شده كافا ومشه حافيا فقال عبد الله ما كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا غدره انما أخذناه على الظن فقال ابراهيم ليس هذا بعشك فادرجي ما هذا الذي بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال ما بلغك عني الا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك ثم حمل الى السجن غير مقيد وقيل بل كان مقيدا فكان يقول في السجن أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامة والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الانصار ليس بمثل اغمار ولا بعزل اشرار حتى اذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وادركت ثأر النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم أجفل بالموت اذا أتى وقيل في خروج المختار الى الكوفة وسببه غير ما تقدم وهو ان المختار قال لابن الزبير وهو عنده اني لاعلم قوما لو آن لهم رجلا له فقه وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا تقاتل بهم أهل الشام قال من هم قال شيعة علي بالكوفة قال فكن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه واحبوه فنقلوه الى وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير فلما قوى أمره سار الى ابن مطيع

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن عمر التيمي وعلى خراسان عبيد الله بن حازم وفيها مات شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن أخي حسان بن ثابت وفيها توفي المسور بن مخرمة بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية وكان سبب موته ان أصابته فلقة حجر منجنيق في جانب وجهه فمرض اياما ومات وفيها توفي أبو برزة الاشهلي بخراسان وفيها توفي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في قول وفي ايام يزيد مات أبو ثعلبة الخشني وقيل مات سنة خمس وسبعين له صحبة وفي أيامه أيضا مات عائذ بن عمرو المزني بالبصرة وشهد بيعة الرضوان وفي ايام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خرشة وهو صحابي وخبر موته عجيب مع ابن زياد لانه كان قوالا بالحق وفي أيامه مات نوفل بن معاوية بن عمرو الدؤلي وفي أيامه مات أبو خيثمة الانصاري شهد أحدا وذكره في تبوك مشهور وفي ايامه مات عتبان بن مالك وهو بدري وفي هذه السنة توفي شقيق بن ثور السدوسي

(ثم دخلت سنة خمس وستين)

(ذكر مسير التوابين وقتلهم)

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث الى رؤس أصحابه فأتوه

اخوته وأرسلهم الى السرايا العتيقة وأمر لهم بما يكفيهم من الجوامك والرواتب وكانوا شيأ كثيرا فصاروا كان لم يكونوا شيأ مذكورا (ومن محاسنه) أنه وفى دين والده ومن جملة ما وفى عن خضروات المطبخ ثمانين ألف دينار ذهبا وقس على ذلك ما يناسبه ولما استقر على سرير الملك وجد الحرب قائمة بين المسلمين والكفرة على ساق ورأى ان يشاور العلماء والوزراء في قتال اجناد الشقاوة والشقاق احياء لسنة الجهاد وقطعا لدابر أهل الكفر والعناد فأشاروا جميع بذلك وحسنوا له السير في هاتيك المسالك فنادى بالسير في الغزاة وعزم بنفسه على الجهاد في سبيل الله فنهض نهضة الاسد الضاري وأعاد ما السلطنة الى ما كان له من المجاري وأخرج الاموال الكثيرة وابرز كل اسد باسل تخشى الاسود زئيره ووافقه في الجهاد شيخه سعد الدين وقال أنا معك أسير حتى اخلص وجودي من الذنوب فانني بها أسير ففرح باستصحاب المذكور وعين له من المؤن ما يكفي الجمهور وخرج بعساكر مجرورة بالفتح المبين مصروفة الى

فلما أهل ربيع الآخر خرج فى وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة فلما أتى النخيلة دار فى الناس فلم يجبه عدد هم فارسل حكيم بن منقذ الكندى والوليد بن عصير الكنانى فناديا فى الكوفة يا لثارات الحسين فكانا أول خلق الله دعيا لثارات الحسين فاصبح من الغد وقد أتاه نحو مما فى عسكره ثم نظر فى ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ممن بايعه فقال سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفا الا أربعة آلاف فقيل له ان المختار يثبط الناس عنك انه قد تبعه ألفان فقال قد بقى عشرة آلاف أما هؤلاء مؤمنين أما يذكرون الله والعهود والمواثيق فاقام بالنخيلة ثلاثا يبعث الى من تخلف عنه فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام اليه المسيب بن نجبة فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظر أحدا وجد فى أمرك قال نعم ما رأيت ثم قام سليمان فى أصحابه فقال أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا فوالله ما يأتى فى فأخذه رغبة نغنمها ما خلا رضوان الله وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو الا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة فمن كان ينوى هذا فلا يصحبنا فنادى أصحابه من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا انما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل انى قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله الموفق وان يكن ليس صوابا فمن قبلى اتانا خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤس الارباع والقبائل فاين نذهب من هنا وندع الاوتار فقال أصحابه كلهم هذا هو الرأى فقال سليمان لكن انا لا أرى ذلك ان الذى قتله وعبى الجنود اليه وقال لا امان له عندى دون ان يستسلم فامضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا اليه على بركة الله فان يظهركم الله عليه رجونا ان يكون من بعده أهون علينا منه ورجونا ان يدين لكم أهل مصركم فى عافية فينظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للابرار انى لا احب ان تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل ان يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلا يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد فاتياه فى اشراف أهل الكوفة ولم يصبهم من شرك فى دم الحسين خوفا منه وكان عمر بن سعد تلك الايام يبيت فى قصر الامارة خوفا منهم فلما أتياه قال عبد الله بن يزيد ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا واحب اهل مصر خلقه الينا فلا تفجعونا بانفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى ننهيا فاذا سار عدونا الينا خرجنا اليه بجماعتنا فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه خراج جوخى ان أقاموا وقال ابراهيم بن محمد مثله فقال سليمان لهما قد محضتمانا النصيحة واجتهدتما فى المشورة فنحن بالله وله ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا الا سائرين فقال عبد الله فاقيموا حتى نعبى معكم جريدا كثيفا فتلقوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام فى جنود كثيرة فلم يقم سليمان فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الاهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال ما احب ان تتخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم

الا

باطف الله المعين فوقعت الصواعق فى هاتيك الديار وعلموا انه قد وقع بهم البلاء والدمار فتجهزوا بما يقدرون عليه من العساكر وبرزوا لجنود الاسلام بجندهم الكافر وقد وصل السلطان المذكور بعسكره المنصور الى مدينة بلغراد ومنها يتقرب الى معاقل الكفر فى هاتيك البلاد ثم استمر يتقدم بعساكره المنصورة ورايته المشهورة الى ان نزل على حصن عظيم يقال له اكرى ومعناه الاعوج وهو حصن مشهور بالمتانة معروف عند الغزاة بالحصانة قد قهر من نازله وغلب من يحاوله وعلت شرفاته الى مقارنة النجوم وما عهد طائر هناك يحوم ومع ذلك فأبطال المسلمين قد نبتوا حتى كانهم فى مواقف حربهم قد نبتوا الى ان اضمحل عمرانها وتداعى بنيانها فعلم أهلها انها صائرة الى الخراب راجعة الى ان توصف بالتباب فصاحوا الامان الامان على سلامة الارواح والابدان واعطاهم السلطان امانا من المهالك فخرجوا من حصن اكرى وأعناقهم اليه ملتوية واجسامهم الى مشاهدته منحنية ودخل المسلمون اليها

الا خبا الا ان الله كرم انبعاثهم فشبطهم واخصكم بفضل ذلك ثم ساروا فاتوا الى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم فترجوا عليه وتابوا عنده من خذلانه وتركه القتال معه وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه وكان من قولهم عند ضريحه اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد ابن المهدى ابن المهدى الصديق ابن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم وأولياء محييهم اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا فارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وانا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وزادهم النظر اليه حنقا ثم ساروا بعد ان كان الرجل يعود الى ضريحه كالمودع له فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاسود ثم ساروا على الانبار وكتب اليهم عبد الله بن يزيد كتابا منه ياقومنا لا تطيعوا عدوكم انتم فى أهل بلادكم خيار كلكم ومتى يصبكم عدوكم يعلموا انكم اعلام نصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ياقومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم وان تفلحوا اذا أبدا ياقوم ان أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ياقومنا لا تستغشوا نصحى ولا تخالفوا أمرى وأقبلوا حين يقرأ كتابى عليكم والسلام فقال سليمان وأصحابه قد أتانا هذا ونحن فى مصرنا لخين وطأنا أنفسنا على الجهاد دونا من أرض عدونا ما هذا برأى فكتب اليه سليمان يشكره ويثنى عليه ويقول ان القوم قد استبشروا ببيعهم انفسهم من ربهم وانهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم فلما جاء الكتاب الى عبد الله قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراما مسلمين ثم ساروا حتى انتهوا الى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابى قد تحصن بها منهم ولم يخرج اليهم فارسل اليه المسيب بن نجبة يطلب اليه أن يخرج اليه سوقا فأتى المسيب الى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الاذن على زفر فأتى هذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك فقال أبوه أما تدرى يابنى من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها اذا عد من اشرافها عشرة كان أحدهم هو وهو متعبد رجل ناسك له دين ايذن له فاذن له فلما دخل عليه اجلسه الى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه فقال زفر انا لم نغلق أبواب المدينة الا لنعلم ايانا تريدون ام غيرنا وما بنا عجز عن الناس وما بحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ثم أمر ابنه فاخرج لهم سوقا وامر المسيب بالف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال اعلى احتاج اليه اذا عرج فرسى وبعث زفر اليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق الا ان كان الرجل يشترى سوطا أو ثوبا ثم ارتحلوا من الغد وخرج اليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان انه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع واد هم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد فى عدد كثير مثل الشول والشجر فان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم قال زفر فبادروهم الى عين الوردة

افواجا واشعلوا من نور الايمان فى ظلمة الكفر سراجا فلما تم ذلك جاء الخبر من جواسيس الاسلام أن الكفار مرادهم من المسلمين الانتقام فنهض اليهم السلطان فى جموعه قبل ان يقابلوه فى رجوعه فوقعت بينهم وقعة ما سمع بمثلها فى غابر الازمان ولم يحدث مثلها فى حوادث الحدثان فوقع بين الفريقين ودارت رحى الحرب بين العسكرين وكان عزم المسلمين قد فتر عن الكفار وضعفت القوى وتخاذلت الانصار فهجم الكفار على سراد ق السلطان هجمة واحدة ودخلوا الى مخيمه بهمة ليست راقدة حتى ان علجا من الكفار دخل الى المخيم وركز رمحه فوق الخزينة وعندها خيم فرآه واحد من خواص السلطان فشار اليه ثورة الاسد الغضبان وضربه بالسيف فقده وقطع بحذه قده وبعد ساعة أو ساعتين نادى على الكفار منادى المؤمنين وسمعوا من هاتف الغيب كسر الكافرون من غير ريب وتراجعت الوزراء وأكابر الامراء خوفا على وجود السلطان من أصحاب النيران لانهم سمعوا دخولهم اليه وهجومهم عليه وفر تغالب العسكر

وهى رأس عين فاجعلوا المدينة فى ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فى أيديكم وما بيننا وبينكم فانتم آمنون منه فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط اكرم منكم فانى ارجو أن تسبقوهم وان قاتلتموهم فلا تقاتلوهم فى فضاء تراموهم وتطاعنوهم فانهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تتفقوا لهم فيصرعوكم ولا تصفوا لهم فانى لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان بعضهم يحمى بعضا ولكن اقوهم فى الكتائب والمقانب ثم ثوبوا فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين رحلت الاخرى فنفست عنها ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم صفا واحدا لزحفت اليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعالهم ودعوا له واثنوا عليه ثم سار وا مجدين فانتهوا الى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمسا فاستراحوا وأراحوا واقبل أهل الشام فى عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة فقام سليمان فى أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال اما بعد فقد أتاكم عدوكم الذى دأبتم اليه فى السير آناء الليل والنهار فاذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا للقتال او متحيزا الى فئة ولا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد ان تأسروه فان هذه كانت سيرة على فى اهل هذه الدعوة ثم قال ارأيتك فامير الناس مسيب بن نجبة فان قتل فالامير عبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالامير عبد الله بن وال فان قتل فالامير رفاعة بن شداد رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب فى اربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم فان رأيت ما تحبه والا رجعت واياك ان تترك واحدا من أصحابك أو تستقبل آخر حتى لا تجد منه بدا فسار يومه وليلته ثم نزل السحر فلما أصبحوا أرسل أصحابه فى الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه باعرابى فسأله عن أدنى العساكر منه فقال ادنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذى الكلاع وهو منك على رأس ميل وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد فسار المسيب ومن معه مسرعين فاشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا فى جانب عسكرهم فانهزم العسكر واصاب المسيب منهم رجالا فاكثروا فيهم الجراح واخذوا الدواب وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه اصحاب المسيب ما أرادوا ثم انصرفوا الى سليمان موفورين وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفا فخرج أصحاب سليمان اليه لاربع بقين من جمادى الاولى وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة وسليمان فى القلب وجعل الحصين على ميمنته جملة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشأم الى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى خلع عبد الملك وتسليم عبد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يردّ الامر الى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضا على الميمنة وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم فانهزم اهل الشأم الى معسكرهم ومازال الظفر لاصحاب سليمان الى ان حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين

ولم يلاحظوا فزع اليوم الاكبر فقال المولى سعد الدين اثبت أيها الملك فانك منصور بعون مولاك الذى أعطاك وبالنعم أولاك فركب السلطان جواده فطلب من مولاه اسعافه واسعاده وتضرع الى مولاه بعد ما تحقق ان لا ناصر له سواه فما مضت ساعة من النهار الا وقد هب نسيم الانتصار وارتفع علم الاسلام وانخفض اعلام الكفر الى الرغام ولولا لطف الله بهذه الدولة السعيدة لتزلزلت قواعدها السديدة ولكن ردها الله تعالى ردا جميلا وما جعل عليها للكافرين سبيلا ولعمرى انها دولة ترف ظلالها ويظهر اعتدالها لما فيها من اتباع الشرائع التى هى الى دخول الجنة أقوى الذرائع وكان السلطان أعز أنصاره الرحمن عزل ابراهيم باشا من الوزارة العظمى وولى مكانه سنان باشا ابن جقال فلما رجع الى دار الملك قسطنطينية المحمية اعاد الوزارة لابراهيم باشا واعاده لمحاربة المجر ففتح فى تلك السنة حصن قنجه واستقام حاله حتى أحبه العساكر محبة عظيمة واستمر يجاهد فى سبيل الله الى ان توفاه الله وولى مكانه حسن

جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية آلاف امدهم بهم عبيد الله بن زياد وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم الا الصلاة فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح فى الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم فلما أصبح اهل الشام اتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ورأى سليمان ما لقى أصحابه فنزل ونادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه فالى ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل والرجال فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مرارا ثم قتل رضى الله عنه بعد أن قتل رجالا فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وحف به من كان معه من الازد فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره فى سبعين ومائة من أهل المدائن ويخبرون أيضا بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدى فى ثلثمائة فسر الناس فقال عبد الله بن سعد ذلك لو جاؤنا ونحن احياء فلما نظر الرسل الى مصارع اخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخى ربيعة بن مخارق وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالدا وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه فأتى فاخذ الراية وقاتل مليا ثم قال لاصحابه من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فليتقرب الى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح الى الجنة وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالا وكشفوهم ثم ان أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم الى المكان الذى كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى الا من وجه واحد فلما كان المساء تولى قتالهم ادهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله فوصل ابن محرز الى ابن وال وهو يتلو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية فغاظ ذلك ادهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فابانها ثم تنحى عنه وقال انى أظنك وددت انك عند اهلك قال ابن وال بئسما ظننت الله ما أحب ان يدلنى مكانها الا ان يكون لى من الاجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم اجرى فغاظه ذلك أيضا فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول وكان ابن وال من الفقهاء العباد فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلى وقالوا التأخذ الراية فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا اليوم شرهم فقال له عبد الله بن عوف بن الاحمر هلكنا والله لئن انصرفنا ليركبن اكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك عن آخرنا وان نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به اليوم فقتل صبرا هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى

باشا الشهير باليمشجى فى الوزارة العظمى فتأهب لسفر الحجر فبعد مدة رجع ولم ينفتح له حال مع وجود العساكر والابطال وتوفى المرحوم السلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران نهار الاحد ثامن عشر رجب سنة اثنتى عشرة وألف ومدة ملكه تسع سنين وشهران ويومان وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وتولى مكانه بعده ولده

* (السلطان الاسعد والخاقان الامجد السلطان أحمد خان)*

ثبت الله قواعد سلطنته وجعل ملائكة السماء من انصاره واعوانه جلس على سرير الملك نهار الاثنين تاسع عشر رجب سنة اثنتى عشرة وألف وهو ثانى يوم وفاة والده ولم يسبق لغيره ان يتسلطن وهو عند والده لان العادة المعروفة والطريقة المسلوكة الملوفة فى ملوك آل عثمان أدام الله دولتهم الى انقضاء الدوران انه اذا كبر ولد هم ولوه السنجق الشريف وأخرجوه من عندهم الى المقام المنيف وكان عمره حين جلوسه على كرسى الملك ما يقرب من خمس عشرة سنة فسار سيرة الاكابر من الملوك وتعجب الناس مما شاهدوه من

نأخذه فقال رفاعة نعم مارأيت وأخذ الراية وقاتلهم قتالا شديدا ورام أهل الشام اهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا الى ذلك لشدة قتالهم وتقدم عبد الله بن عزيز الكناني فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلم ولده اليهم ليوصلوه الى الكوفة فعرضوا عليه الامان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل وتقدم كرب بن يزيد الحميري عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكلاع الحميري الامان قال قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدم صخر بن هلال المزني في ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا فلما أصبحوا رجع اهل الشام الى معسكرهم ونظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته وأصبح الحصين للتقيهم فلم يرهم فلم يبعث في آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاقامة فأقاموا ثلاثا فاضافهم ثم زودهم وساروا الى الكوفة ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقي المثنى بن مخربة العبدي في اهل البصرة بصدود فاخبره فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم الى بعض وأقاموا يوما وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة الى بلدهم ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوسا فارسل اليه اما بعد فمرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضي فعلهم حين قتلوا أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله له اعظم من الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه ونوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون اني أنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من اعداء الدين المقيد من الاوتار فاعدوا واستعدوا وابشروا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم اهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام * وكان قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد اهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد الازدي وعبد الله بن وال البكري ولم يبق بعدهم من عنده امتناع وفي هذا نظر فان أباه كان حيا قال اعشى همدان في ذلك وهي مما بكتم ذلك الزمان

* ألم تخيال صنك يا أم غالب * فحيت عنا من حبيب مجانب
ومازلت في شجو ومازلت مقصدا * لهم غيراني من فراقك ناصب
فما أنس لا انس انتقالك في الضحى * البنامع البيض الحسان الخراعب
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طي الكشح ريا الحقائب
مسيكة غزار ودسي بهائها * كشمس الضحى تنكل بين السحائب
فلما تغشاها السحاب وحوله * بدا حاجب منها وضنت بجانب
فتلك النوى وهي الجوى لي والمنى * فاحبب بها من خلة لم تصاقب
ولا يبعد الله الشباب وذكره * وحب تصافي المعصرات السواكب

ويزداد

حسن السلوك حتى كانه تعلم
سير الملوك من عالم الارواح
وتكمل في علمه وفهمه
وعدله قبل التصور في عالم
الاشباح أذعنت له رقاب
الاكاسرة ودانت لحكمه
عرانين القياصرة فهو البدر
الكامل في السلطنة
العلمية الطالع في مطالع
أربعة عشر من ملوك
العثمانية فمراتب سلاطين
الزمان دون مراتبه
ومواكبهم تابعة في النصر
لمواكبه التجؤا الى بابه
باذلين للطاعة وخدموه
اختيارا منهم بقدر الاستطاعة
ورأسلوه طلبا للامان وان لم
يكن بعضهم من أهل الايمان
لازالت سلسلة سلطنته
متسلسلة الى سلسلة انتهاء
الدوران وارواح اسلافه
متنزهة في الروضة
والرضوان وكانت الطغاة
والبغاة في زمانه قاموا
واغبر استحقاقهم من غارات
بلاد الاسلام راموا فخالطوا
طاعة الملك العلام ونبذوا
طاعة سلطان الاسلام
واستحلوا من دماء المسلمين
واعراضهم وأموالهم
الحرام وكانوا قد تمكنوا في
بلاد اناطولي وقرمان وتملك
بعضهم من ديار العرب الى
حدود حوران فاجتمع
عندهم من القبائل
والشعوب أصناف وضروب

ويزداد ما احبيته من عتابنا * لصابا وسقما للخدين المقارب
فاني وان لم انسهن لذاكر * روية مخباة كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خير تكساب كاسب
وخل عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها * فلست اليها ما حييت بآيب
وما أنا فيما يكره الناس فقده * ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
بقوم هم وأهل التقية والنهى * مصاليت انجاد سراة مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة * ولم يستجيبوا للامير المخاطب
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش ناضلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
بمائية تذرى الاكف وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم * فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
فاضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كان لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى شمخ وفارس قومه * شنوأة والتيمى هادى الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع * اذا شد لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد اصيبت زعيمهم * وذا حسب فى ذروة المجد ثاقب
أبو اغير ضرب يفلق الهام وقعه * وطعن باطراف الاسنة صائب
وان سعيدا يوم يدمر عامرا * لاشجع من ليث بدرب مواثب
فيا خير جيش بالعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض ابدت عن خدام الكواعب
وما قاتلوا حتى اثاروا عصابة * تجللن نورا كالشموس الصوارب

وقيل قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر (الخزاعى الذى هو فى هذا الشعر هو سليمان ابن صرد الخزاعى ورأس بنى شمخ هو المسيب بن نجبة الفزارى وفارس شنوأة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى ازد شنوأة والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والوليد ابن عصير الكنانى وخالد هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله * نجبة بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات)

* (ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد) *

فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وكان السبب فى ذلك ان عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله الى فلسطين

بحيث لا يحصيه العد ولا يحصره الحد فشوا على ممالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من ظلمهم بظلام فادهشوا سمعها وأمسكوا أهلها ومدوا الى ذخائرها النهب العام بعد ان قتلوا غالب الخواص والعوام فقتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال وبعض أهل البلدان الذين أظهروا عدم الطاعة والايمان أمروا بهدمها والاحراق واعدام عينها على الاطلاق ولم يبق على طريقهم من الرعايا ديار ولا نافخ نار وانمحت من الوجود امهات الامصار وشملها البوار واما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان تحصر وتضبط بحساب دفتر فايدكاه وأبير فالحكم لله العلى الكبير فانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها وانقطعت الطرقات مدة فلم يسلك الى بلاد الروم فيها نفس واحدة واما ما فعله على باشا ابن جانبولاد فى الشام من النهب العام وتخريب البلاد فانه لما ولى نيابة حلب جمع كل شقى من القبائل والعشائر مقدار ما رام وطلب وتوجه الى الديار الشامية ليأخذ ثأره

رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر
لى بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بحدل فاخبره انه يريد ان يبايع لابنيه عبد
الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال انا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان
عشيا قام حسان فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون امانى قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز
من بعده فبايعوا عن آخرهم

(ذكر بعث ابن زياد وحبيش)

فى هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر
ابن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق
وأخذه من ابن الزبير فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان
يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير الى العراق والبعث الآخر الى المدينة مع
حبيش بن دلجة القينى فسار بهم حتى انتهى الى المدينة وعليها جابر بن الاسود بن عوف ابن أخى
عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ثم ان الحرث بن أبى ربيعة وهو أخو
عمرو بن أبى ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان واليا عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن
السجف التميمى لحرب حبيش فلما سمع بهم حبيش سار اليهم من المدينة وأرسل عبد الله بن الزبير
العباس بن سهل بن سعد الساعدى الى المدينة أميرا وأمره ان يسير فى طلب حبيش حتى يوافى
الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف فأقبل عباس فى آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم
حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على
جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة فقال العباس بن سهل انزلوا على حكمى
فنزلوا فقتلهم ورجع قتل حبيش الى الشام ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض
فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب

(ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك)

فى شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم وكان سبب موته ان معاوية بن يزيد لما
حضرته الوفاة لم يستخلف احدا وكان حسان بن بحدل يريد ان يجعل الامر من بعده فى أخيه
خالد بن يزيد وكان صغيرا وحسان خال ابيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد ان
يجعل الامر بعده لخالد فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد وهى بنت ابى هاشم
ابن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة
وهو يمشى بين صفين فقال مروان والله انك لاحمق فقال يا ابن الرطبة الاست تقصر به لتسقطه
من اعين أهل الشام فرجع خالد الى امه فاخبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك الا انا فأكفيكه
فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيأ قالت لا انه اشد لك تعظيما من ان يقول
فيك شيأ فصدقها ومكث اياما ثم ان مروان نام عندها يوما فغطته بوسادة حتى قتلته فمات
بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل احدى وستين واراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر
عند الخلق ان امرأة قتلت ابا الذفتركها ولما توفى مروان قام بامر الشام بعده ابنه عبد الملك
وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان

الناس

من جماعة الينكجرية فلما
بلغهم ذلك استقبلوه الى
مدينة حماه ومعهم محمد
باشا الطواشى نائب الشام
وعامة الجيوش من الكماه
فالتقى الجمعان وتلاطم
البحران فما كان غير ساعة
حتى دهمهم خلق ليس بهم
لمقاومتهم طاقة فولوا على
أدبارهم منهزمين وقالوا
الفرار مما لا يطاق من ستن
المرسلين فغنم الاشقياء
اموالهم وأرزاقهم وخيمهم
ودوابهم وكانت ساعة الله
بها عليم مما شاهدوه من
العذاب الاليم واستمر ابن
جانبولاد فى أثرهم حتى وصل
الى حدود الشام فاستقبله
الامير فخر الدين بن معن
بمن معه من الدروز وطائفة
السكمانية فوصل الى البقاع
وأناخ هناك مدة وجعل
يراسل طائفة الينكجرية
وهم لا يتحركون بحركة
فجعل يقدم رجلا ويؤخر
أخرى حتى قوى قلبه بعض
الاشقياء فنهض نهضة أنام
منها الانام وقام قومة أقام
بها ساعات القيام فتوجه
نحو مدينة الشام فلما بلغ
العساكر الشامية ذلك
خرجوا الى أرض العراق
ومعهم من العشائر
والقبائل والعربان وعامة
الرعايا ومشايخ البلدان
بحيث لا يحصيهم الا الملك

الناس يذمونه لذلك قيل انه اجتمع عنده قوم من الاشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكرى بلغنى انك لا تشبه ابالك فقال بلى والله انى لاشبه به من الماء بالماء والقرات بالقرات ولكن ان شئت اخبرتك بمن لم تنضجه الارحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال من ذاك قال سويد بن منجوف فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد ماسرنى بعقاتلك له حمر النعم فقال عبيد الله وماسرنى والله باحتمالك اياى وسكوتك سودها

(ذكر صفته ونسبه واخباره)

هو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان ابن أمية من كنانة وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة وكان أبوه قد اسلم عام الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف لانه يتجسس عليه ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما يمشى ويتحلج فى مشيه كأنه يحكيه فقال له كن كذلك فما زال كذلك حتى مات ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابا بكر فى رده لانه عمه فلم يفعل فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه أيضا فى رده فلم يفعل فلما ولى عثمان رده وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان يرده الى المدينة فكان ذلك مما انكر الناس عليه وتوفى فى خلافة عثمان فصلى عليه وقد رويت اخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحافظ وفى اسانيدها كلام وكان مروان قصيرا أحمر أوقص يكنى ابا الحكم وابا عبد الملك واعتق فى يوم واحد مائة رقبة وولى المدينة لمعاوية مرات فكان اذا ولى يبالغ فى سب على واذا عزل وولى سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد ابن على الباقر وعن سعيد فقال كان مروان خيرا لنا فى السر وسعيد خيرا لنا فى العلانية وقد أخرج حديث مروان فى الصحيح وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة وهو اول من قدم الخطبة فى صلاة العيد قبل الصلاة ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهى الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لابيه وكانت من ذوات الروايات التى يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها ولعل هذا كان منها قبل ان يتزوجها ابو العاص بن أمية والد الحكم فانه كان من اشراف قريش ولا يكون هذا من امرأته وهى عنده والله أعلم (حبيش ابن دلجة بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ودلجة بفتح الدال واللام)

(ذكر مقتل نافع بن الازرق)

فى هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الازرق وهو الذى ينتسب اليه الازارقة من الخوارج وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرت جموعه واقبل نحو الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج اليه فدفعه عن ارض البصرة حتى بلغ دولاب من ارض الاهواز فاقتتلوا هناك وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغدانى وجعل ابن الازرق على ميمنته عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزمن بن الماحوز التميمى واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير اهل البصرة وقتل نافع بن الازرق امير الخوارج فى جمادى الآخرة فأمر اهل البصرة عليهم

الديان فلما كان نهار الاحد ثامن عشرى جمادى الاولى اجتمع الفريقان وامتزج البحران فما كان غير ساعة من نهار حتى رأوا ان لا طاقة لهم على القرار ولم يكن لهم الا الفرار فتفرق عنهم القبائل والعشائر ورجع الى المدينة بعض العساكر والغالب منهم توجهوا نحو البلاد فوصل ابن جانبولاد بمن معه الى خيمهم واستولوا على أموالهم وارزاقكم ونصب خيمه بارض قرية المزة فلما رأى أهل دمشق ما حل بهم من البوار ودخل القلعة نائبها محمد باشا الطواشى فاراد حصن أسوار المدينة واغلق أبوابها وعين ما يكفيه من الرجال لحفظها وحراستها وكان قاضيها بدر الموالى وصدر العلماء الاعالى ابراهيم افندى وصحبته أمير الامراء الكرام حسن باشا ومحمد باشا بن منجك اليوسفى فكانوا يطوفون داخل السور ويتفقدون ليلا ونهارا الذى يحفظهم مأمور فهجم جيش الاشقياء فنهبوا محلة القبيبات والميدان وسويقة المحروقة الى ان وصلوا سوق سارو جا ومحلة السودان حتى وصلوا الى الصالحية فما ابقوا شيأ لاصحابها فارسل ابن

الحجاج بن باب الحيرى واسرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمى واقتلوا فقتل عبد الله والحجاج فاسر اهل البصرة عليهم ربيعة بن الاجرم التميمى واسرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمى ثم عادوا فاقتتلوا حتى امسوا وقد كره بعضهم بعضا وملوا القتال فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون اذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير اهل البصرة ربيعة بعدان قتل أيضا دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة وأخذ الراية حارثة بن زيد فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم اقبل حتى نزل بالاهواز وبلغ ذلك اهل البصرة فافزعهم وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن ابى ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فاقبلت الخوارج نحو البصرة

(ذكر محاربة المهلب الخوارج)

لما قربت الخوارج من البصرة أتى اهلها الاحنف بن قيس وسألوه ان يتولى حربهم فاشار بالمهلب بن أبى صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان فقال الاحنف ما لهذا الامر غير المهلب فخرج اليه اشراف اهل البصرة فكلموه فابى فكلمه الحرث بن ابى ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحرث واهل البصرة كتابا اليه عن ابن الزبير يامره بقتال الخوارج واتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله لا اسير اليهم الا ان تجعلوا لى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما اقوى به من معى فاجابوه الى ذلك وكتبوا له به كتابا وارسلوا الى ابن الزبير فامضاه فاختار المهلب من اهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر الفا منهم محمد بن واسع وعبد الله بن رياح الانصارى ومعاوية ابن قرة المزنى وأبو عمران الجونى وخرج المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الاصغر فحاربهم وهو فى وجوه الناس واشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقى الا ان يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ حارثة بن زيد تأمير المهلب على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس كرنبوا ودلبوا حيث شئتم فاذهبوا واقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحرث بن ابى ربيعة الى المهلب وركب حارثة فى سفينة فى نهر دجيل يريد البصرة فاتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمى بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة الى شاطئ النهر وهو جرف فوثب التميمى اليها فغاصت بجميع من فيها ففرقوا واما المهلب فانه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز فسير المهلب الى عسكرهم الجواسيس تأتيه باخبارهم فلما اتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف اخاه المغيرة بن ابى صفرة على نهر تيرى فلما وصل الاهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة فجال اصحابه ثم عادوا فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الاهواز الى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم واقدم مولى ابى صفرة الى نهر تيرى وبها المغيرة فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر المهلب فسير ابنه المغيرة الى نهر تيرى فانزل عمه المغيرة ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد الى أبيه وقد نزل ولاف وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل الا فى خندق وهو على تعبية ويتولى

جانبولاد يطلب من اهلها مائتين وخمسين الف غرش حتى يرحل عنهم فاجتمع به حسن باشا ولم يزل يتلطف معه فى الكلام حتى ارضاه بمائة وعشرين الف غرش وكان يوسف باشا ابن سقا اذ ذاك بدمشق وكان مقصوده ان يأخذ أهله ويرحل تلك الليلة الى بلاده فاجتمع به بدر الموالى ابراهيم أفندى والاعيان ومنعوه من السفر مالم يعط ماهو المراد فاعطاهم ذلك ورحل ليلته نحو حصن الاكراد فلما قبض المبلغ المذكور ابن جانبولاد رحل من ساعته مع من معه من الرجال وكفى الله المؤمنين القتال ولما حصل ابلاد الاسلام هذه الوعكة واندعكت اجسام رعاياها أقوى دعكة بلغ ذلك سلطان الاسلام ممن يثق به من الخواص والعوام وأمر عبده المقتدر بالقدرة الربانية وزيره الاعظم الاعز بالعزة السبحانية القائم بخدمة العباد بطريق النصيحة والسداد المبشر بأنه أمير البلاد وغفير العباد الباشا مراد لازالت آيات جلاله فى صحائف الايام مسطورة ورايات اقباله فى صناجق الاعلام منشورة وعين معه من العساكر عددا كالرمال

الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب واصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وابى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه اثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا اليه معهم جمع كثير نحو اربعة آلاف فارس فلما كان الغد اراد القتال بمن معه فنهاه بعض اصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى الا من جهة واحدة وفى يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات

الا طرقت من آل ميـة طارقه * على انها معشوقة الدل عاشقه
تميس وارض السوس بينى وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شتى صاد قتنا عصابة * حرورية اضحت من الدين مارقه
احادت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال فيه بعض الخوارج

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * اسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

واكثر الشعراء فيه فلما وصل المهلب الى العاقول نزل فيه واقام ثلاثة ايام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى وسابرى فنزل قريبا منهم وكان كثيرا ما يفعل اشياء يحدث بها الناس لينشطوا الى القتال فلا يرون لها اثرا حتى قال الشاعر

انت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وسماه بعضهم الكذاب وبعض الناس يظن انه كذاب فى كل حال وليس كذلك انما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو فلما نزل المهلب قريبا من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح واذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ثم ان الخوارج ارسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى عسكر ليلا الى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم يثبتوا لهم شيأ وأصبح المهلب فخرج اليهم فى تعبية وجعل الازد وعيما ميمنة وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة وأهل العالية فى القلب وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلا من أهل البصرة لانهم مخروا الارض وجردوها ما بين كرمان الى الاهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فاجفلوا وانهزموا لا يلوى أحد على احد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء واسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثة آلاف اكثرهم من قومه من الازد فلما رآهم رضى عدتهم فحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم ان يأخذ كل رجل منهم عشرة احجار وقال سيروا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم فى طلب اخوانهم فوالله انى لارجو ان لا يرجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا اميرهم فاجابوه فاقبل بهم راجعا فما شعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم فى جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز

ومددا كالجبال ومعه من الآلات النارية والمدافع الرعدية كجبال النيران الحامية وجنود كابصار الطامية فلما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض من مدينة اسكدار بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأى حازم فى اسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخير والبركات بنية اصلاح البلاد ورفع أهل الضلال والفساد نحو مدينة حلب الشهبا لما بلغه ان على باشا ابن جانبولاد الهب قلوب الخلق ابا فسار نحوه فما نزل فى مرحلة الا وضع العساكر بين يدى مخيمه رؤسا كالتلال واسراء بعضهم على بعض كالجبال والاشقياء متباعدون عنه وهو لا يلتفت الى وجودهم واستمر الحال على هذا المنوال حتى وصل الى مدينة اذنة فبلغه ان ابن جانبولاد بعد ان وضع اثقاله بقلعة حلب وحصن أسوار البلد لئلا يصيبه الكدر ذهب الى ملاقاة العساكر وأرسل جندا من أجناده لتحصين جبل بقراص لمنعوا العساكر من المرور فلما رحل الوزير المذكور شكر الله سعيه المشكور من مدينة اذنة اعرض عن

والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالاحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم واقبل من كان فى طلب اهل البصرة راجعا وقد وضع المهلب لهم خيلا ورجالا تحتطفهم وتقتلهم وانكفؤا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصبهان وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة

انا نا باحجار لقتلنا بها * وهل تقتل الاقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم اقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميرا وعزل الحرث بن ابى ربيعة وفى هذا اليوم يقول الصلتان العبدى

بسلى وسلبرا مصارع قتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز وكتب المهلب الى الحرث ابن ابى ربيعة يعرفه ظفره فارسل الحرث الكتاب الى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هذا لك وكتب الحرث الى المهلب اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيأ لك يا أخا الازد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال اما يعرف فى الا بأخى الازد فما هو الا اعرابى جاف وقيل ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج ونافع بن الازرق قبل مسلم فقتل عثمان وانهزم اصحابه بعد ان قتل من الخوارج خلق كثير فسير اليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد العبدانى فلما رآهم عرف انه لا طاقة له بهم فقال لاصحابه كربنوا ودولبوا كيف شئتم فاذهبوا يعنى ماشاء ثم سار بعده مسلم بن عبيس وقيل ان المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الاهواز أقام بقية سنته يجبى كور دجلة ورزق أصحابه واتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفا فعلى هذا يكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين

(ذكر نجدة بن عامر الحنفى)

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سادس المفرج الحنفى كان مع نافع بن الازرق ففارقه لاحداثه فى مذهبه ما تقدم ذكره وسار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه فمضى الى الحضارم فنهبها وكانت لبنى حنيفة فاخذها منهم معاوية بن أبى سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة ابنائهم ونسائهم اربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين اصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه ثم ان عبيرا خرجت من البحرين وقيل من البصرة تحمل مالا وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها نجدة فاخذها وساقها حتى اتى بها اباطالوت بالحضارم فقسمها بين اصحابه وقال اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الارض لكم فان ذلك انفع فاقتسموا المال وقالوا نجدة خير لنا من ابى طالوت فخلعوا اباطالوت وبايعوا نجدة وبايعه ابو طالوت وذلك فى سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم سار فى جمع الى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذى الجاز فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا وانهزم قيس بن الرفاد الجعدى فلحقه أخوه لابيه معاوية فسأله ان يحمله ردفا فلم يفعل ورجع نجدة الى اليمامة فكثر اصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم سار نجدة

الى

السلوك على بقراص وتوجه نحو جبل فازفا شعر ابن جانبولاد الا والجيوش قد أحاطت بالجنود كاحاطة الاساور بالزنود وكان الحرب والقتال نهار الثلاثاء ثالث رجب سنة ست عشرة وألف بارض مرج دابق من أعمال قنسرين وكان من الجانبين عسكر ضخم كثير لا يحدون وجيش كبير عرمرم لا يعدون واقتتل الفريقان وامتزج البحران وتصاول الاسود واختلط الاعلام والبنود وارتجت السماء بالعجاج والارض بالفجاج والوزير المكرم كالسيف الصارم والشجاع الحازم قد أطال السجود ومرغ وجهه على التراب وهو يبكى ويتضرع ويطلب النصر من الملك الوهاب واستمر الحرب الى آخر النهار فانتصرت العساكر الاسلامية المحمدية والجيوش الاحمدية فلم يبق لابن جانبولاد مجال للقرار فصوب عنان فرسه للفرار فجعل الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم فقتلوا من عسكره ما تغرست المذاوز بجيشهم وأبدانهم وجرت الشعاب والاودية بدمائهم فوصلوا الى خيمهم واستولوا على اموالهم وخيولهم

الى البحرين سنة سبع وستين فقالت الازد نجدة احب الينا من ولا تنا لانه ينكر الجور وولاتنا يجورون فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة اقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حروري مارق نجري علينا احكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير وسبي نجدة من قدر عليه من اهل القطيف فقال الشاعر

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها ٭ وما نفع نصح قبل لا يتقبل

واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع الى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من اصحابه وارسل نجدة سرية الى الخط فظفر بأهله واقام نجدة بالبحرين فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة تسع وستين بعث اليه عبد الله بن عمير الليثي الاعور في اربعة عشر الفا فجعل يقول اثبت نجدة فانا النفر فقدم ونجدة بالقطيف فاتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا ان انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما في عسكرهم واصاب جواري فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة لي الى من فزعني وتركني وبعث نجدة ايضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفي وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان بعشران السفن ويجبيان البلاد فلما اتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها اشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد واهل عمان ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره ان شاء الله فعاد الى عمان فلم يقدر عليها فركب في البحر واتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان فارسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فلقيه خيل المهلب بقندابيل فقتلته وقيل قتله الخوارج ثم بعث نجدة الى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضا من يأخذ من أهلها الصدقة فقاتل اصحابه بني تميم بكاظمة واعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجدة الى أهل طويلع من اغار عليهم وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء في خف من الجيش فبايعه اهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم اقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة وبعث نجدة اياقديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها وجع نجدة سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلا وقيل في الفي رجل وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على ان يصلي كل واحد باصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صد نجدة عن الحج سار الى المدينة فتأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا فلما كان نجدة بخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند طائر لها فضمها اليه فقال بعض اصحابه ان نجدة ليتعصب لهذه الجارية فاتصنعوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبي منها فهي حرة قال فتزوجني اياها قال هي بالغ وهي املك بنفسها فانا استأمرها

واما ما كان من أمر ابن جانبولاد فانه في بحر الحيرة سبح وعمل بقول من نجا برأسه فقد ربح فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وأخذ من الاموال ما استخف حمله وتوجه الى بلاد الروم فالتجا الى العتبة العلية السلطانية فارسل يقول انه رجع وتاب عما فعله وقال أنا عبد من عبيد هذا الباب فقال السلطان عفا الله عما سلف ولو كان ذنبه يستحق به الخلق والتلف فولاه نيابة مدينة دمشق من اعمال روم ايلي وفي نهار السبت سابع رجب دخل الوزير مدينة حلب وتسلم قلعتها من غير نكد ولا تعب واستولى على ما ادخره ابن جانبولاد من الذخائر ونفائس الاموال التي جمعها من العباد وأقام بها الى ان بلغه ان الشقي قرمسعيد ومن معه من كل طريد وعنيد عليهم مقامع من حديد يوم تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد عازمين على لقائه متع الله المسلمين ببقائه بمحاربة جيوش الموحدين فتوجه الى لقائهم في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتلاقيا نهار الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر بأرض

فقام من مجلسه ثم عاد فقال قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل ان عبد الملك او عبد الله بن الزبير كتب اليه والله لئن احدثت فيها حدثا لاطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى وكتب نجدة الى ابن عمر يسأله عن اشياء فقال سلوا ابن عباس فسألوه ومسائلة ابن عباس مشهورة ولما سار نجدة من الطائف اتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم ياذا الوجهين بايعت نجدة قال اى والله وذو عشرة اوجه اعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومي وبلدي واستعمل الحارق وهو حراق على الطائف وتبالة والسراة واستعمل سعد الطلائع على مأبلي نجران ورجع نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن اهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس ان ثمامة بن اثال لما اسلم قطع الميرة عن اهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة اهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فاما الحارق فطالبوه بالطائف فهرب فلما كان في العقبة في طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه

(ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية ابي فديك)

ثم ان اصحاب نجدة اختلفوا عليه لاسباب نقموها منه فمنها ان أباسنان حيان بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له نجدة كف الله أحدا علم الغيب قال لا قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان الى نجدة ومنها ان عطية بن الاسود خالف على نجدة وسببه ان نجدة سير سرية بحرا وسرية برا فاعطى سرية البحر اكثر من سرية البر فنازعه عطية حتى اغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه واليب الناس عليه وكلم نجدة في رجل يشرب الخمر في عسكره فقال هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين وكتب عبد الملك الى نجدة يدعوه الى طاعته ويوليه اليمامة ويمده بالرجال والاموال والدماء فطعن عليه عطية وقال ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا في الدين وفارقه الى عمان ومنها ان قوما فارقوا نجدة واستتابوه فخلف ان لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا ونقموا عليه أشياء أخر فخالف عليه عامة من معه وانحاز واعنه وولوا امرهم ابافديك عبد الله ابن ثور احد بني قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة فارسل أبو فديك في طلبه جماعة من اصحابه وقال ان ظفرتم به فجيئوني به وقيل لابي فديك ان لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فالح في طلبه وكان نجدة مستخفيا في قرية من قرى هجر وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف اليها راع لهم فاخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعي عن أمر الطيب فاخبرته فاخبر الراعي اصحاب أبي فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم فاتى اخوالا من بني تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير الى عبد الملك فاتى بيته ليعهد الى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق اليه رجل منهم فاعلمه فخرج وبيده السيف فنزل الفديكي عن فرسه وقال ان فرسي هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو عليه فقال ما احب البقاء ولقد عرضت للشهادة في مواطن ما هذا باحسنها وغشيه اصحاب أبي فديك فقتلوه وكان شجاعا كريما وهو يقول

وان جر مولانا علينا جريرة * صبرنا لها ان الكرام الدعائم

ولما

كوكسون من اعمال مدينة
هرعش فتقابل العسكران
وتلاطم البحران فاطلقوا
بعد ان وضعت الحرب
اوزارها المدافع البكار
فاظلم الافق فصار لها دوى
فحفلت الخيل وهربت
الغلمان فهزموهم وحصدوهم
بالسيف فشق المطرود
سعيد وتمزق جلد رفيقه ابن
قلندر وهو صحيق بعيد ولم
يزل الطارد والعسكر في
اعقابهم وقطع السيوف
وطعن الرماح في مناكبهم
ورقابهم حتى خرجوا من
حدود البلاد والتجؤا الى
ملة الالحاد فاجتمعوا
باشياعهم من اهل الضلال
وكفى الله المؤمنين القتال
فصارت المملكة الاحمدية
منهم مطهرة وبيعد ظلمهم
مبتسمة منورة ثم توجه الى
قتال ابن الطويل فاجتمعا
بارض يقال لها كل وارش نابع
قضاء شروان فاجتمعا نهار
الثلاثاء ثاني عشر جمادى
الاولى من السنة المذكورة
فالتحم القتال وتكسرت
النصال على النصال ولم ينج
منهم الا من طول الله عمره
وطردتهم عساكر الاسلام
وغالوا منهم ما راموا من
القتل والنهب وسائر المرام
وما نجا كبيرهم الا بجهد
جهيد فلحق برفقائه من
ابن قلندر وقره سعيد فلما

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من اصحاب ابى فديك ففارقوه وثاروا به مسلم بن جبير فضربه اثنى عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك الى منزله فبرئ

(ذكر استعمال مصعب على المدينة)

فى هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل اخاه مصعبا وسبب ذلك ان عبيدة خطب الناس فقال لهم تدرون ما صنع الله بقوم فى ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى مقوم الناقة فبلغ ذلك اخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا

(ذكر بناء ابن الزبير الكعبة)

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير ايام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على اهل الشام فلما مات يزيد واستقر الامر لابن الزبير شرع فى بنائها فامر بهدمها حتى الحقت بالارض وكانت قدمات حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها الستور وادخل فيها الحجر واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر فحفر ابن الزبير فوجد اساسا امثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على أساسها وبنائها وجعل لها بابا بين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر وقيل كانت عمارتها اسنة اربع وستين

(ذكر الحرب بين ابن خازم وبنى تميم)

فى هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمى وبنى تميم بخراسان وسبب ذلك ان من كان بخراسان من بنى تميم اعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك فلما صفت له خراسان جفا بنى تميم وكان قد جعل ابنه محمدا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وكانت ام محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بنى تميم اتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى ابنه محمد والى بكير وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة فاما شماس فصار مع بنى تميم واما بكير فانه منعهم فاقاموا ببلاد هراة فارسل بكير الى شماس انى اعطيتك ثلاثين الفا فأعط كل رجل من بنى تميم ألفا على ان ينصرفوا فابوا عليه واقاموا يترصدون محمدا ليخرج يتصيد فاخذوه وشدوه وثاقا وشربوا البلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس اما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا فقاموا اليه ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشجعة الضبى والقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمدا فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل وكان الذى تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا واقبلت تميم الى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعى واجمع اكثرهم على قتال ابن خازم فقاتل الحريش بن هلال عبد الله ابن خازم سنتين فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له طالت الحرب بيننا فهلم نقتتل قوى وقومك ابرز الى فايناقتل صاحبه صارت الارض له فقال له ابن خازم قد انصفت وبرز اليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على

إسرف هذا الشقى وأخوه من قبله فى قتل الرجال ونهب الاموال وافتضاض البكور وانتهاك الستور من النساء المخدرات والكواعب الناهدات عاملهما الله بما يقتضيه عدلا وجلالا لا بما يرتضيه فضلا وجمالا فلما مهد البلاد ورجعت الى اوطانها العباد وامنت الطرقات وسكنت الدهماء وأمنت الشهباء توجه الوزير المذكور الى دار السلطنة ايدها الله تعالى وابدها وفى اثناء سنة ثمانى عشرة والف خرج الوزير الاعظم المذكور عامله الله بلطفه المشكور الى مدينة اسكدار ونصب خيمه هنالك واجتمع عليه العساكر ومقصوده تطهير الارض ممن بقى من الاشقياء والطغاة وهو يوسف باشا ورفقاه فاطاعوه وتشرفوا بتقبيل اقدامه راغبين ولاحسانه شاكرين

(الباب الثامن والاربعون فى ذكر دولة أق قويونلى ووقائع قره قويونلى)

وهم طائفتان من التركمان وكانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا عنها فى زمن ارغون خان الملك الى بلاد اذربيجان ثم تحولت طائفة قره قويونلى

رأسه فالقى فروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه ثم غاداهم القتال فكانوا بذلك بعد الضربة اياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فرقة الى نيسابور مع بحير بن ورقاء وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة فيها الحريش الى مرو الروذ فاتبعه ابن خازم الى قرية تسمى الملحمة والحريش فى اثنى عشر رجلا وقد تفرقت عنه أصحابه وهم فى خربة فلما انتهى اليه ابن خازم خرج اليه فى اصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال الحريش لرجل معه ان سيفى لا يصنع فى سلاحه شيأ فأعطنى خشبة فاعطاه عودا من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيدا ثم قال لابن خازم ماتريد منى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال لا اعود فصالحه على ان يخرج من خراسان ولا يعود الى قتاله فاعطاه ابن خازم أربعين ألفا وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلا وطارت قطنة عن الضربة التى برأس بن خازم فاخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش معذرة الى الله واليك أما والله لولا ركابى انقطع الخالط السيف رأسك وقال الحريش فى ذلك

أزال عظم ذراعى عن مركبه * حمل الرديني فى الادلاج بالسحر
حولين ما اغمضت عيني بمنزلة * الا وكفى وساد لى على حجر
يرى الحديد وسربالى اذا هجعت * عنى العيون مجال القالح الذكر

(بحير بن ورقاء بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة والحريش بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فمات ام عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجر وا من حملها وهو الاميروج بالناس عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة مصعب وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومى وعلى خراسان عبيد الله بن خازم وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى وكان قد عمى آخر عمره وكانت وفاته بمصر وقيل توفى سنة ثمان وستين

(ثم دخلت سنة ست وستين)

(ذكر وثوب المختار بالكوفة)

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاول وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير وسبب ذلك ان سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقى من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوسا قد حبسه عبد الله بن يزيد الحطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك فكتب اليهم من الحبس يثنى عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم انه هو الذى أمره محمد بن على المعروف بابن الحنفية بطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الاحمسى وعبد الله بن شداد الجلى وعبيد الله بن كامل فلما قرؤا كتابه بعثوا اليه ابن كامل يقولون له انا بحيث يسرك فان شئت ان نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فاتاه فاخبره فسر بذلك وقال لهم انى اخرج فى ايامى

الى نواحى ارزنكان وسيواس واستعمل بها أمرهم وتحولت طائفة آق قويونلى الى ديار بكر واستولوا على الملك والسلطنة وأول من ظهر منهم وتأمر فى البلاد (علاء الدين طورعلى بك) التركمانى وكان قد تأمر فى حدود آمد وموصل ثم توفى وقام مقامه (فخر الدين قطلى بك) بن طورعلى ثم توفى وتولى بعده (قره ايلوك عثمان) وكان شجاعا وله مع الترك والعرب وقائع ولما تصرف يتمور فى البلاد وحضر معه الشام انتمى اليه ودخل فى طاعته ودله على مسالك الروم واستنابه تيمور فى بلاده وكان له من البلاد آمد وأرزنجان ومارد بن والرها وعامة ديار بكر ثم استولى على غير تلك البلاد وكانت له وقعة مع برسباى صاحب مصر قبل ان يلى الملك وهو يومئذ أمير طرابلس انكسر فيها برسباى وسبب هذه الوقعة انه غزا برسباى فى سلطنته بلاد آمد وكانت وقعة أخرى مع برهان الدين صاحب سيواس فقتل بها برهان الدين واستولى قره ايلوك على سيواس وفى سنة تسع وثمانمائة اقتتل قره ايلوك واسكندر بن قره يوسف وانهزم قره ايلوك فوقع فى خندق بارض ارزن

هذه وكان المختار قد أرسل الى ابن عمر يقول له انى قد حبست مظلوما ويطلب اليه ان يشفع فيه الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب اليهما ابن عمر فى أمره فشفعاه وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه انه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فان فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه احرار ذكرهم واناثهم فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون انى أفى لهم اما حلفنى بالله فانى اذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها ان أكفر عن يمينى وخروجى عليهم خير من كفى عنهم واما هدى البدن وعتق المماليك فهو اهون على من بصقة فوددت أن تم لى امرى ولا أملك بعده مملوكا أبدا ثم اختلفت اليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ولم يزل اصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن ريسان الحميرى عند مسيره الى الكوفة فقال له لا تسر الليلة فان القمر بالناطح فلا تسر فقال له وهل نطلب الا القطع فلقى قطعا كما يريد فكان البلاء موكلا بمنطقه وكان شجاعا وسار ابراهيم الى المدينة وكسر الخراج وقال كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير وكان قدوم ابن مطيع فى رمضان لخمس بقين منه وجعل على شرطته اياس بن ابى مضارب العجلى وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب * ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال اما بعد فان أمير المؤمنين يعنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجبايته فيئكم وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضاء منكم وان اتبع وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم فان لم تفعلوا فلوموا أنفسكم فوالله لا وقعن بالسقيم العاصى ولا قيمن درء الاصغر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الاشعرى فقال اما حمل فيئنا برضانا فانا نشهدا لا نرضى ان يحمل عنا فضله وان لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت اهون السيرتين علينا وقد كان يفعل بالناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب وبر فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار فابعث الى المختار فليأتك فاذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس فان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر فبعث ابن مطيع الى المختار زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمى من همدان فقالا أجب الامير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فالقى المختار ثيابه وقال ألقوا على قطيفة فقد وعكت انى لاجد بردا شديدا ارجعا الى الامير فأعلماه حالى فعادا الى ابن مطيع فاعلماه فتركه ووجه المختار الى أصحابه فجمعهم حوله فى الدور وأراد ان يثب فى الكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحاب شبام وشبام حى من همدان وكان شريفا اسمه عبد الرحمن بن شريح فالقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والاسود بن جراد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فقال لهم ان المختار يريد يخرج بنا ولا ندرى ارسله ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فان رخص لنا فى اتباعه

الروم فمات وكان بلغ من العمر التسعين بل زاد عليها قدفنوه هناك ثم اخرجه اسكندر المذكور من قبره بعد ثلاثة أيام وحز رأسه وأرسله الى القاهرة فنصب رأسه على باب زويلة وفرح أهل مصر بذلك لان الناس كانوا فى خوف من جهته لكثرة حروبه وشدة فتكه فلما هلك ملك بعده ولده حمزة بك وبقى ولده يعقوب فى ارزن الروم وجهانكير بن على بك بن عثمان شريكا له فى الامر وفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة توفى حمزة بك المذكور وكان مثل أبيه فى قبح سيرته وكثرة شروره وفسقه وملك بعده ولد أخيه

(جهانكير) بن على بك وفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة وجه اخاه حسنا الطويل صاحب العجم مع عسكره فالتقى مع الشيخ حسن فقتله وهذا أول ظهور حسن الطويل وقتل جماعة من عسكر جهان شاه وتأكدت عداوته مع جهان شاه ثم ان حسنا الطويل مازال يطمع فى الملك حتى وثب على أمد فأخذها بالحيلة مع وجود جهانكير المذكور وهو احسن هذه الطائفة خيرا ودينا وعفة وعدلا وفى سنة احدى

تنهاه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغي ان يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا قالوا له أصبت فخرجوا الى ابن الحنفية فلما قدموا اعلمه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم اليه واستأذنوه في اتباعه فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم واما ما ذكرتم ممن دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن اعلموه بحالهم وكان ذلك قد شق على المختار وخاف ان يعودوا بامر يخذل الشيعة عنه فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم الى بيوتهم فقال لهم ماوراءكم فقد فقتم وارتبتم فقالوا له انا قد أمرنا بنصرك فقال الله أكبر اجمعوا الي الشيعة فجمع من كان قريبا منهم فقال لهم ان نفرا قد أحبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى الامام المهدي فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم اني وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح واخبرهم بحالهم ومسيرهم وان ابن الحنفية أمرهم بظاهرته ومؤازرته وقال لهم ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتاهبوا وقام جماعة من اصحابه فقالوا نحوا من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبي وابو عمرة احيل فلما تهيأ امره للخروج قال له بعض أصحابه ان أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فان اجابنا الى امرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا القوة على عدونا فانه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار فالقوه وادعوه فخرجوا اليه ومعهم الشعبي فاعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء على واهل بيته فقال لهم اني قد أجبتكم الى الطلب بدم الحسين واهل بيته على ان تولوني الامر فقالوا له انت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو المأمور بالقتال وقد امرنا بطاعته فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فاخبروا المختار فمكث ثلاثا ثم سار في بضعة عشر من أصحابه والشعبي وابو عمرة فيهم الى ابراهيم فدخلوا عليه فالقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الارض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم يعدا نبياء الله ورسله وهو يسألك ان تنصرنا وتوازرنا قال الشعبي وكان الكتاب معي فلما قضى كلامه قال لي ادفع الكتاب اليه فدفعه اليه الشعبي فقرأه فاذا فيه من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد بعثت اليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي والطلب بدماء اهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان تنصرني واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام فلما فرغ من قراءة الكتاب قال قد كتب الي ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب الي الا باسمه واسم ابيه قال المختار ان ذلك لزمان وهذا زمان قال فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن انس واحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم الا الشعبي فلما شهدوا تأخر ابراهيم عن صدر

الفراش

وسبعين وثمانمائة وقع بين حسن الطويل صاحب ديار بكر وبين جهان شاه صاحب العراقين حروب كثيرة انتصر فيها حسن الطويل المذكور فقتله وقتل أولاده وكثيرا من عسكره واستولى على بلاد العراق واذربيجان وفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة قصد صاحب ماوراء النهر الملك أبو سعيد بن ميرشاه ابن تيمورلان يستردّ ما كان لجهان شاه من البلاد من حسن الطويل فقابله بحدود اذربيجان فالتحم الحرب بينهما الى ان قتل خلقا كثيرا من عظماء خراسان واسر الملك أبو سعيد في يد زينل بن حسن الطويل ثم أمر بقتله فقتل وارسل براسه الى صاحب مصر فاكرمه صاحب مصر فدفن اجلالا له لانه كان من اكابر ملوك الاسلام وارسل معه كتابا سلك فيه طريقة الملوك وابرق فيه وارعد وكان قبله يتلطف بهم واستولى حسن الطويل على ما كان بيد أبي سعيد المذكور على ملك سمرقند وغيره وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة وصل يوسفجه بك بعسكر حسن الطويل الى مدينة توقات فنهبها وخرب اسوارها ثم

الفراش واجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده وقال ابراهيم للشعبي قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا ابوك افترى هؤلاء شهدوا على حق فقال له هؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا يقول مثلهم الا حقا فكتب اسماءهم وتركها عنده ودعا ابراهيم عشيرته ومن اطاعه واقبل يختلف الى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم واجتمع رأيهم على ان يخرجوا ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم باصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح وقد أتى اياس ابن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له ان المختار خارج عليك باحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابنى الى الكناسة فلو بعثت فى كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلا من اصحابك فى جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى الى جبانة السبيع وقال اكفنى قومك ولا تحدثن بهما حدثا وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمى الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الجعفى الى جبانة كندة وبعث عبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائدين وبعث شمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وبعث يزيد بن رويم الى جبانة المراد واوصى كلا منهم ان لا يؤتى من قبله وبعث ثبيت بن ربعى الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم وكان خروجهم الى الجبانين يوم الاثنين وخرج ابراهيم بن الاشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء وقد بلغه ان الجبانين قد ملئت رجالا وان اياس بن مضارب فى الشرط قد أحاط بالسوق والقصر فاخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الانبية فقال له أصحابه تجنب الطريق فقال والله لامرن وسط السوق بجنب القصر ولارعبن عدونا ولادينهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم اياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح فقال من أنتم فقال ابراهيم انا ابراهيم بن الاشتر فقال اياس ما هذا الجمع الذى معك وما تريد ولست بتاركك حتى آتى بك الامير فقال ابراهيم خل سبيلا قال لا افعل وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان يكرمه وكان صديقا لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر ادن منى يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه ان يشفع فيه الى اياس فلما دنا منه أخذ محاكان معه وطعن به اياسا فى ثغرة نحره فصرعه واهوى رجلا من قومه فاخذ رأسه وتفرق أصحاب اياس ورجعوا الى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن اياس على الشرط وبعث مكان راشد الى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقرى أبا القعقاع بن سويد واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار وقال له انا قد عدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة واخبره الخبر ففرح المختار بقتل اياس وقال هذا أول الفتح ان شاء الله تعالى ثم قال لسعيد بن منقذ قم فاشعل النيران فى الهوادى والقصب وارفعها وسر أنت يا عبد الله بن شداد فنادها منصورا مت وقم أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قدامة بن مالك فنادوا بالثارات الحسين ثم لبس سلاحه فقال له ابراهيم ان هؤلاء الذين فى الجبانين يمنعون أصحابنا من اتيانا فلو سرت الى قومى بمن معى ودعوت من أجابنى وسرت بهم فى نواحى الكوفة ودعوت بشعارنا للخروج الينا من أراد الخروج ومن أتاك حبسته عندك الى من معك فان عوجلت كان عندك من يمنعك الى ان آتيك فقال له افعل وعجل وايالك ان تسير الى أميرهم فتقاتله

ثم مسيره الى بلاد قرمان وكان بها السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان فاتح القسطنطينية فكبسه السلطان مصطفى وظفر به فاسره وقتل غالب عسكره ثم بعث به الى أبيه السلطان محمد خان كما مر وفى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة نهض كل من الملكين السلطان محمد خان وحسن الطويل الى قتال الآخر فالتقى العسكران بقرب مدينة باورد فوقع بينهما قتال شديد ثم نزل النصر للسلطان محمد خان فانهزم حسن الطويل وقتل ولده زين على يد السلطان مصطفى كما ذكر فى محله وفى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة توفى حسن الطويل فى ليلة عيد الفطر وخلف خمسة اولاد وهم خليل ميرزا وكان حاكم فارس ومقصود بك وكان حاكم بغداد ويعقوب ومسيح ويوسف وملك بعد أبيه (خليل بن حسن الطويل) بن على بك بن عثمان بن قطلوبك بن طور على التركمانى بعهد من أبيه اليه وكان أكبر أولاده وأحبهم اليه فملك جميع ما كان يملكه أبوه من البلاد الشرقية الا انه لم يتهن بالملك لانه لما تولى أخذ بالعنف والشدة وقتل كثيرا

من الامراء وقتل أخاه وخلقا
كثيرا من أقاربه ومع ذلك
اشتغل باللهو والملاهي
وكانت الفتن قائمة في اطراف
البلاد بسبب بعض الملوك
ولم يمكن احدا أن يعرض
عليه شيأ من ذلك لسوء
خلقه وشدة جبروته
فاتفقوا على خلعه وتولية
أخيه الملك الصغير (يعقوب
بك) صاحب ديار بكر فخلع
خليل واستولى يعقوب
بك على ملكه وكانت مدة
سلطنته ستة أشهر ونصف
شهر واستولى على سرير
الملك بعده اخوه يعقوب
المذكور وفي سنة تسع
وثمانين وثمانمائة بعث
يعقوب شاه عسكرا كثيرا
الى بلاد المشعشع فكسروه
كسرا شنيعا وكان المشعشع
بعد نفسه علويا ثم تغالى
حتى قال انتقلت روح علي
ابن أبي طالب رضي الله
عنه الي واستفحل امره
واستولى على بلاد ابن عملان
وفي سنة ثلاث وتسعين
وثمانمائة ظهر الشيخ حيدر
ابن الشيخ صفي الدين بن
جنيد الاردبيلي شيخ
الصوفية بمردته وهجم على
شروان شاه صاحب شماخي
فغلب عليه واستنجد
صاحب شماخي بيعقوب
شاه المذكور وكان بينهما
علاقة للصهارة فاستنجده

ولا تقاتل احدا وانت تستطيع ان لا تقاتله الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم واصحابه
حتى اتى قومه واجتمع اليه جل من كان أجابه وسار بهم في سكك المدينة ليلا طويلا وهو يتجنب
المواضع التي فيها الامراء الذين وضعهم ابن المطيع فلما انتهى الى مسجد السكون أتاه جماعة
من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم ابراهيم فكشفهم حتى ادخلهم جبانة
كندة وهو يقول اللهم انك تعلم اني ما غضبت لاهل بيت نبيك وثرتاهم فانصرنا على هؤلاء ثم رجع
ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم ثم سار ابراهيم حتى اتى جبانة أثير فتناوشوا بالشعار هم فوقف فيها فاتاه
سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا ان يصيبهم فيحظى بهما عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم الا
وهو معه فقال ابراهيم لاصحابه باشرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين
خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم الى الصحراء فانهزموا
فركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لابراهيم أصحابه اتبعهم
واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال لا ولكن ناتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من
نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع اني لا آمن ان يكون قد اوتي ثم سار ابراهيم حتى اتى باب
المختار فسمع الاصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فبعى له
المختار يزيد بن انس وجاء حجار بن ابجر العجلي لجعل المختار في وجهه احمر بن شميط فبينما الناس
يقتتلون اذ جاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد اتاهم من وراءهم
فتفرقوا في الازقة قبل ان يأتيهم وجاء قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب
المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا واقبل
شبث الى ابن مطيع وقال له اجمع الامراء الذين بالجبانين وجميع الناس ثم انفذ الى هؤلاء القوم
فقاتلهم فان امرهم قد قوي وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ قوله المختار خرج
في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند في السبخة وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في
شاكريه وهم مجتمعون في دورهم يخافون ان يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم وكان قد أخذ
عليهم افواه السكك فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور
امت أمت يا أيها الحي المهتدون ان أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني اليكم
داعيا وبشيرا فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا يتداعون يا لثارات الحسين وقاتلوا كعبا حتى
خلى لهم الطريق فاقبلوا الى المختار فنزلوا معه وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل
مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم وخرجت شبام وهم حي
من همدان من آخر اليتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فارسل اليهم ان كنتم
تريدون المختار فالحقوا وان على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف
وثمانمائة من اثني عشر ألفا كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فاصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى
باصحابه بغلس وارسل ابن مطيع الى الجبانين فامرهم ان يأتوا المسجد وأمر راشد بن اياس
فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يأت المسجد الليلة فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شبث
ابن ربعي في نحو ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في اربعة آلاف من الشرط فسار
شبث الى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فارسل من أتاه بخبرهم وأتى الى المختار ذلك

الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه الا تلك الساعة فرأى راشد بن اياس في طريقه فاخبر المختار خبره أيضا فبعث المختار ابراهيم بن الاشتر الى راشد في سبعمائة وقيل في سقائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة اخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وان لا يستهدفا لعدوهما فانه أكثر منهما فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن انس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه فتوجه نعيم الى شبث فقاتله قتالا شديدا فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخيل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى اشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت فناداهم شبث وحرضهم فرجع اليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر وجماعة من أصحابه فاطلق العرب وقتل الموالي وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل نعيم وبعث ابن مطيع يزيد ابن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا امكانهم فقال لهم يزيد بن أنس يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وارجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم اذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عينا تطرف ولا قتلانكم صبرا ولتورثون منهم في اولادكم وازواجكم واموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم الا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم واما ابراهيم بن الاشتر فانه لقي راشدا فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لاصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة والله مع الصابرين وقدم خزيمة بن نصر اليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بها هؤلاء وبها هؤلاء واقتتل الناس قتالا شديدا وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم وخزيمة ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وارسل البشير الى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وأرسل ابن مطيع حسان بن قائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو الفين فاعترض ابراهيم ليرده عن السبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم اليهم ابراهيم فانهزموا من غير قتال وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة انت آمن فلا تقتل نفسك وكف عنه الناس وقال لابراهيم هذا ابن عمي وقد امنته فقال احسنت وأمر بفرسه فأحضر فاركبه وقال الحق باهلك واقبل ابراهيم نحو المختار وشبث بن ربعي محيط به فالقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فاقبل الى ابراهيم ليصده عن شبث واصحابه فبعث ابراهيم اليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه فلما دنا منهم ابراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد ابن الحرث فهزمه وازدحموا على افواه السكك وفوق البيوت واقبل المختار فلما انتهى الى افواه

على حسة ثم بعسكر كثير
كثيف فاوقعوا بحيدر
المذكور فقتلوه واعادوا
شروان شاه الى مقر ملك
شماخي وفي سنة اربع
وتسعين وثمانمائة تحيل
يعقوب شاه بحيلة غريبة
حتى استولى على بلاد ديار
بكر ونزعها من يد الاكراد
والتركمان وانتصر عليهم
وفي سنة ست وتسعين
وثمانمائة مات أم يعقوب
شاه وكان موتها سببا
لاختلاف حصل بين أهل
هذا البيت وكان دأبها
ان تجمع في كل أسبوع
اهل هذا البيت بمكان
اعتدته لهم وتتكلم بكل
ما يناسب الحال التي فيها
اتصال البعض الى البعض
وانها لما ماتت انقطع
هذا التدبير وتفرقت
الكلمة فكان سببا
ووسيلة لدس السم على
يعقوب شاه بعد وفاة والدته
بثمانية عشر يوما وأخيه
مبرزا يوسف بك وكان
وفاتهم في نواحي قره باغ
وكانت مدة ملك يعقوب
شاه اثنتي عشرة سنة
وشهرين وخلف ثلاثة
اولاد وهم بايسنقر وحسن
ومراد وتسلطن بعده
اخوه (مسيح بك) ابن حسن
الطويل فوقع بين الامراء
خلاف الى أن آل الحال

السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول الى الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس
من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل واشد بن اياس فسقط في يده فقال له عمرو بن الحجاج
الزبيدي ايها الرجل لا تلق بيدك واخرج الى الناس وانذبهم الى عدوك فان الناس كثير وكلهم
معك الا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها وانا اول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري
طائفة فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج الى المختار
وأصحابه ولما رأى المختار انه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل الى بيوت مزينة
وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة فسقوا أصحابه الماء ولم يشربوه فانه كان صائما فقال أحمر بن
شميط لابن كامل اتراه صائما قال نعم قال لو افطر كان أقوى له قال انه معصوم وهو اعلم بما يصنع
فقال أحمر صدقت استغفر الله فقال المختار ثم المكان للقتال هذا فقال ابراهيم ان القوم قد
هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم سر بنا نو الله ما دون القصر مانع فترك المختار هناك كل شيخ
ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم ابا عثمان النهدي وقدم ابراهيم امامه وبعث ابن مطيع
عمرو بن الحجاج في الفين فخرج عليهم فارسل المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه واقام
وأمر المختار يزيد بن أنس ان يواقف عمرو بن الحجاج فمضى اليه وسار المختار في اثر ابراهيم ثم وقف
في موضع مصلى خالد بن عبد الله ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج اليه
شمر بن ذي الجوشن في الفين فسرح اليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني في اثره وارسل الى
ابراهيم يأمره بالمسير فسار حتى انتهى الى سكة شبث فاذا نوفل بن مساحق في الفين وقيل خمسة
آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع مناديا فنادى في الناس ان الحقوا بابن مساحق وخرج
ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع
فامر اصحابه بالنزول وقال لهم لا يهولنكم ان يقال جاء شبث وآل عتيبة بن النهاس وآل الاشعث
وآل يزيد بن الحرث وآل فلان فسمى بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو وجدوا حر
السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك وأخذ ابن الاشتر اسفل
قبائه فادخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم ان انهزموا يركب
بعضهم بعضا على افواه السكك وازدحموا وانتهى ابن الاشتر الى ابن مساحق فاخذ بعنان
دابته ورفع السيف عليه فقال له يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من احنة او تطلبني
بثار فخلى سبيله وقال اذكرها فكان يذكرها له ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق
والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فانه اتى داره ثم
خرج الى البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن انس
واحمر بن شميط لحصرهم ثلاثا فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع انظر لنفسك ولمن
معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن انفسهم فقال اشيروا علي فقال شبث الرأي ان تأخذ
لنفسك ولنا امانا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك فقال ابن مطيع اني لاكره ان آخذ منه امانا
والامور لامير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة
عند من تثق اليه حتى تلحق بصاحبك واشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد واسماء بن خارجة وابن
مخنف واشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم قد علمت ان الذين صنعوا هذا بكم انهم

الى تولية علي بك ابن خليل
بك ابن حسن الطويل ثم
لم ينتظم به الامر أيضا حتى
اقاموا باي سنقر بن يعقوب
ابن حسن الطويل صبيا
صغيرا دون عشر سنين ثم وقع
بين الامراء عدة حروب
ونشاجر بسبب أن كل جماعة
منهم اختاروا واحدا من
أهل بيت الملك ومالوا اليه
وقتل جماعة منهم ثم اتفق
الامر أن قتل باي سنقر في
بعض الحروب بعد ان ملك
سنة وثمانية أشهر واستقر
على سرير الملك (رستم ميرزا)
ابن مقصود بن حسن
الطويل وكان رستم هذا
مغرما بحب النساء مغلوبا
لهن فاستولت كل واحدة
منهن على امور المملكة
واركانها فاختل نظام الملك
وارسلوا الى الروم يدعون
السلطان أحمد وكان قد
هرب من عمه يعقوب شاه
بعد قتل ابيه والتجأ الى
السلطان السعيد بايزيد خان
العثماني فصاهره السلطان
المذكور وزوجه ابنته
فوصل الى بلاد العجم وقتل
رستم المذكور بعد ان ملك
خمسة أعوام ونصف عام
واستولى على مكانه (السلطان
أحمد ابن اوغورلى محمد بن
حسن الطويل) ورام أحمد
المذكور ان يجرى في تلك
البلاد نواب الشرع

أراذلكم واخساؤكم وان اشرافكم واهل الفضل منكم سامعون مطيعون وانا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فاثنوا عليه خيرا وخرج عنهم واتى دار أبي موسى فجاء ابن الاشتر ونزل القصر ففتح اصحابه الباب وقالوا يا ابن الاشتر آمنون نحن قال انتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه واصبح اشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى ايها الناس انا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية ان ارفعوها وفي الغاية ان اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواغية وبعدا لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى الا فادخلوا ايها الناس وبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي بن ابي طالب وآل على اهدى منها ثم نزل ودخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء اهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا وكان ممن بايعه المنذر بن حسان وابنه حسان فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة فلما رأوهما قالوا هذان والله من رؤس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا امر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه واقبل المختار يعني الناس ويستجر مودة الاشراف ويحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار ابي موسى فسكت فلما امسى بعث له بمائة الف درهم وقال تجهز بهذه فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف الف فأعطى اصحابه الذين قاتلوا بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم واعطى ستة آلاف من اصحابه الذين احاط بالقصر واقاموا معه تلك الليلة وتلك الايام الثلاثة مائتين مائتين واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان ابا عمرة فقام ابو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الاشراف يحدثه ووجهه فقال لابي عمرة بعض اصحابه من الموالي اما ترى ابا اسحق قد اقبل على العرب ما ينظر الينا فسأله المختار عما قالوا له فاخبره فقال قل لهم لا يشق عليهم ذلك فانتم مني وانا منكم وسكت طويلا ثم قرأ انا من المجرمين منتقمون فلما سمعوها قال بعضهم لبعض أبشروا كأنكم والله قد قتلتم يعني الرؤساء وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرث اخي الاشتر على أرمينية وبعث محمد بن عمير بن عطارد على اذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس على الموصل وبعث اسحق بن مسعود على المدائن وارض جوخى وبعث قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الاوسط وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واقامة الطرق وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الاشعث بن قيس فلما ولى المختار وبعث عبد الرحمن بن سعيد الى الموصل اميرا سار محمد عنها الى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم

وساسة الملك على ما شاهدته في الروم فلم يعجب ذلك امراء تلك البلاد المطبوعين على الظلم واراقة الدم فثقل عليهم ذلك واتفقوا على خلعه فارسلوا الى مراد بن يعقوب شاه فجاء وقاتل أحمد ميرزا وهزمه ثم ظفر به فقتله وكانت مدة ملك أحمد نحو سنة ثم اتفق الامراء والعساكر وارسلوا الى الوند ميرزا ابن يوسف بن حسن الطويل وكان في بعض بلاد الاكراد وعدوه بالملك فحضر واجتمع عليه الامراء والعساكر فقاتلوا مراد ميرزا فكسروه واستقر مكانه في سرير تبريز وامضى من ملكه مدة سنة واحدة فخرج عليه محمد ميرزا بن يوسف بك وادعى الملك لنفسه واستفحل امره بعراق العجم فخرج الوند لقتاله فلم يلبث ساعة حتى انهزم الى طرف فارس وتمكن بالملك (محمد ميرزا) فعند ذلك خرج السلطان مراد بن يعقوب شاه وكان محبوسا وجلس على سرير الملك وذلك بعد ان تمكن محمد ميرزا من التخت ثم انه التقى مع محمد ميرزا فقاتله وهزمه ثم ظفر به فقتله ثم سار منها الى ديار بكر وانتزعها من ايدي اعمامه * وفي سنة ثمان وتسعمائة قصد شاه

سار الى المختار فبايعه فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ثم قال ان لي فيما احاول لشغلا عن القضاء ثم اقام شريحا يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فقارض وكانوا يقولون انه عثماني وانه شهد على حجر بن عدي وانه لم يبلغ هانئ بن عروة ما ارسله به وان عليا عزله عن القضاء فلما بلغ شريحا ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي

(ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام)

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين وكان سبب ذلك ان مروان بن الحكم لما استوسق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله والجيش الآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره وامر التوابين وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره ان ينهب الكوفة ثلاثا فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على ما كان أبو مولاه وأمره بالجد في امره فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل وانه قد تنحى له عن الموصل الى تكريت فدعا المختار يزيد بن أنس الاسدي وأمره ان يسير الى الموصل فسار حتى نزل بادنى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلني انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلني مما توجهني اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه فلما ودعه قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وان احتجت الى مدد فاكتب الي مع اني ممدك وان لم تستمدني لانه أشد لعضدك وارعب لعدوك ودعا له الناس بالسلامة ودعا لهم فقال لهم سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة فكتب المختار الى عبد الرحمن ابن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن ثم سار الى ارض جوخى والزاذانات الى ارض الموصل فنزل بباقلى وبلغ خبره ابن زياد فقال لابعثن الى كل ألف ألفين فارسل ربيعة ابن مخارق الغنوي في ثلاثة الاف وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل بيزيد بن أنس بباقلى فخرج يزيد بن انس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمكه الرجال فوقف على اصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال ان هلكت فاميركم ورقاء ابن العازب الاسدي فان هلك فاميركم عبد الله بن عمرة العذري فان هلك فاميركم سعر بن أبي سعر الحنفي وجعل على ميمنته عبد الله وعلى ميسرته سعرا وعلى الخيل ورقاء ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال قاتلوا عن أميركم ان شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم يغمى عليه ثم يفيق واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم الى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد الى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق انا ابن مخارق انما تقاتلون العبيد الاباق ومن ترك الاسلام وخرج منه فاجتمع اليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال ثم انهزم أهل الشام وقتل ربيعة بن

مخارق

إسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوي بغداد وبها السلطان مراد المذكور وكانت قد ضعفت دولتهم جدا وقويت شوكة الاسماعيلية الاردبيلية جدا وكانوا قد استولوا على غالب بلادهم التي بأيديهم فلم يطق مراد المقاومة فترك بغداد وأتى الى الروم مستغيثا مستجيرا فلم ينل بها قبولا ثم ذهب والتجأ الى علاء الدولة بن ذي القادر فأخذ منه مددا وذهب الى بغداد واستردها واستقر على سريرها وكان اسمعيل مشغولا بحرب بعض الملوك ثم قضى اربه وهجم على مراد المذكور ببغداد وطرده عنها واستولى عليها واضمحل حال مراد ميرزا ولم يعلم له خبر وهو آخر من ملك عراق العجم من أهل هذا البيت

(الباب التاسع والاربعون في ذكر دولة الغادرية ذوي الهمم العلية المرضية)

وهم طائفة من التركمان توطنوا في نواحي البستان ومرعش ثم كثروا واستفحل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعينتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودارنده وقيسارية وحصن المنصور وقلعة

مخارق فقتله عبد الله بن ورقاء الاسدى وعبد الله بن ضمرة العذرى فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله بن جلة فى ثلاثة آلاف فردّ معه المنهزمين ونزل يزيد بيا تلى فباتوا الليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا يوم الاضحى خرجوا الى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا الى القتال فانهزم أهل الشام وترك ابن جلة فى جماعة فقاتل قتالا شديدا فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمى فقتله وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم وقتلا ذريعا وأسروا منهم ثلثمائة أسير وامر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخره ق فقتلوا ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط فى أيديهم وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الاسدى فصلى عليه ثم قال لاصحابه ماذا ترون انه قد بلغنى ان ابن زياد قد أقبل اليكم فى ثمانين ألفا وانما انا رجل منكم فاشيروا على فانى لا أرى لنا يا اهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد وتفرق عنا بعض من معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قالوا انما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا الناها بين وان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فان هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم بالامس فقالوا نعم ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فارجف الناس بالمختار وقالوا ان يزيد قتل ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له سر فاذا لقيت جيش يزيد بن أنس فانت الامير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعى وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد آذانا بوائنا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا وكان شبث شيخهم وكان جاهليا اسلاميا فقال لهم شبث دعونى حتى القاه فذهب اليه فلم يدع شيأ انكروه الا ذكره له فاخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار انا أرضيهم فى هذه الخصلة وآتى لهم كل ما أحبوا وذكر له الموالى ومشاركتهم فى الفىء فقال له ان أنا تركت موالىكم وجعلت فيئكم لكم تقاتلون معى بنى أمية وابن الزبير وتعطرنى على الوفاء عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث حتى أخرج الى أصحابى فاذكرهم ذلك فخرج اليهم فلم يرجع اليه وأجمع رأيهم على قتاله فاجتمع شبث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعيد ابن قيس وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمى فكلموه فى ذلك فاجابهم اليه فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الازدى فدعوه الى ذلك فقال لهم ان اطعتمونى لم تخرجوا فقالوا له لم فقال لانى أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم وموا ليكم وكلمة هؤلاء واحدة وموا ليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشام ومجىء أهل البصرة فيكفونه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا ننشدك الله ان تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه فقال انما أنا رجل منكم فاذا شئتم فاخرجوا فوثبوا بالمختار بعد مسير ابراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصدا مجدّا الى ابراهيم بن الاشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار اليهم فى ذلك أخبرونى ماذا تريدون فانى صانع كل ما أحببتم قالوا نريد ان تعتزلنا فانك عزمت ان ابن الحنفية يعثك ولم يعثك قال فارسلوا اليه وفدا من قبلكم وأرسل

وضمانتى واوديه عمق وكوند زلى وغير ذلك وهم يزعمون ان نسبهم ينتهى الى كسرى انوشروان العادل ملك فارس ويعرفون من بين التركمان بالشهامة والشجاعة واول من ظهر منهم (قرجا بن ذى الغادر) فى نواحى البستان تأمر بين قومه فلما توفى قام مقامه ابنه (خليل بن قرجا) بن ذى الغادر واستقل أمره وكان من شانه ان مبارز شاه الطازى نائب البستان نازل خليلا المذكور ليقاتله فى سنة ثمانين وسبعمائة فانكسر خليل وتبعه عسكر مبارز شاه المذكور ثم عاد عليه خليل المذكور مع طائفة من التركمان فكسروه وظفروا به فقتلوه وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة جمع خليل واخوته جموعا كثيرة فوصلوا الى تبريز وخاف أهل حلب منهم فامر الملك الصالح صاحب مصر نائب حلب والشام بالمسير على التركمان فسار العسكر من حلب الى مرعش ثم الى البستان ثم الى ملطية والتركمان تفرقوا منهم وتحصن بالجبال المنيعة ثم رجع التركمان فهزموا العسكر وشرعوا فى النهب وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

أنا اليه وقد ائم انظروا في ذلك حتى يظهر لكم وهو يريد ان يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بانواء السكك فلا يصل اليهم شيء الا القليل وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله بنوشاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان في جبانة سلول ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع ولما سار رسول المختار وصل الى ابن الاشتر عشية يومه فرجع ابن الاشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها ومن الغد وصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن ان يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا اول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة ثم ان المختار عبى أصحابه في السوق وليس فيه بنيان فامر ابن الاشتر فسار الى مضر وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة وخشي ان يرسله الى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي وعبد الله بن كامل الشاكري وأمرهما بلزوم طريق ذكره له يخرج الى جبانة السبيع وأمر اليهما أن شباما قد أرسلوا اليه يخبرونه انهم يأتون القوم من وراثهم فضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا اليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب احمر بن شميط وأصحاب ابن كامل ووصلوا الى المختار فقال ما وراءكم قالوا هزمنا وقد نزل احمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه وقال أصحاب ابن كامل ما ندري ما فعل ابن كامل فاقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ ذا راي عبد الله الجدلي فوقف ثم ارسل عبد الله بن قراد الخثعمي في اربعمائة الى ابن كامل وقال له ان كان قد هلك فانت مكانه وقاتل القوم وان كان حيا فاترك عنده ثلثمائة من اصحابك وامض في مائة حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من اصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلثمائة رجل وسار في مائة حتى أتى مسجد عبد القيس وقال لاصحابه اني أحب ان يظهر المختار وأكره ان تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لان اموت احب الي من ان يهلكوا على يدي ولكن قفوا فقد سمعت ان شباما يأتونهم من وراثهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فاجابوه الى ذلك فباتوا عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعا وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة الى أحمر بن شميط فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك واما ابن الاشتر فانه مضى الى مضر فلقي شبث بن ربعي ومن معه فقال لهم ابراهيم ويحكم انصروا لما أحب ان يصاب من مضر على يدي فابوا وقاتلوه فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل الى أهله فمات فكان مع شبث وجاءت البشارة الى المختار بهزيمة مضر فارسل الى احمر بن شميط وابن كامل يبشرهما فاشتد امرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا الفلوص ليأتوا اليمن من وراثهم فقال بعضهم لبعض لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان اصوب وأبو الفلوص ساكت فقالوا ما تقول فقال قال الله

تعالى

قتل خليل بن قرجا ولبعض العمر ستون سنة فتك به بعض امراء التركمان في جماعة بمواطأة صاحب مصر وارسل رأسه الى مصر فعند ذلك امر صاحب مصر نواب الشام بالتوجه الى قتال التركمان فوصلوا الى طنون ما بين مرعش والبستان فالتقى جم سولي ابن قراجا بن ذي الغادر فكسرهم وقتل من جماعة صاحب مصر سودون العلائي نائب حماة وكذا نائب بهسنى فبلغ ذلك صاحب مصر فشق عليه ولم يزل يعمل الحيلة حتى دس على سولي بن قراجا من يقتله كما قتل أخاه فقتله رجل يقال له علي خان ضربه بسكين في خاصرته وهرب فنام في مكان بقرب مرعش وهرب القاتل وذلك في سنة ثمانمائة ولما قتل توجه ولده الى الملك الظاهر فقرره مكان ابيه وكان ناصر الدين محمد بن خليل بن قرجا قد استقر في الملك عوض عمه فوقع بينه وبين بن عمه الذي ولاه الملك الظاهر مقتلة عظيمة قتل فيها خلق كثير من التركمان وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فوض الملك المؤيد شيخ صاحب

تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فسار وامعه نحو أهل اليمن فلما خرجوا الى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فقتلوه وناد وافى الجبانة وقد دخلوها بالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران الهمدانى فقال بالثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا افاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأيتنا قوما تأخذهم السيوف قلت انصر فوا ودعوهم نعطف عليهم وهو يقول شعر

انا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن اروى بولى

لاصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة فقال فنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من اتهمه رجل على دمه فقتله فانا منه برىء فلما كان هذا اليوم قاتل مع اهل الكوفة فلما سمع يزيد بن عمير يقول بالثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران والنعمان بن صهبان الجرمى وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن ابن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم ومايشعر وقاتل حوله رجال من الازد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار باحضارهم وعرضهم عليه وقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى فقتل كل من شهد قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر باطلاق كل من بقى من الاسارى وأخذ عليهم المواثيق ان لا يجامعوا عليه عدوا ولا يغوه وأصحابه غائلة ونادى منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يره خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عاتشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين الى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لاصحابه تباعدوا عنى لعله يطمع فى فتباعدوا عنه فطمع زربى فيه ثم حمل عليه شمر فقتله وسار شمر حتى نزل مساء ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم ارسل الى أهل تلك القرية فاخذ منها علجا فضربه وقال امض بكتابى هذا الى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل القرية وفيها ابو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار الى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القرية فشكا اليه ما لقى من شمر فبينما هو يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبى الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج أين هو فاخبره فاذا ليس بينه وبينهم الا ثلاثة فراسخ قال فاقبلوا يسيرون اليه وكان قد قال لشمر أصحابه لو ارتحلت بنا من هذه القرية فانا نتخوف منها فقال كل هذا فزعا من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعبا فانهم لنيام اذ سمع وقع الحوافر

مصر نيابة قيسارية وطرابلس الى ناصر الدين المذكور مضافا الى نيابة البستان وفى هذه السنة كسر ناصر الدين محمد بن قرمان وابراهيم ابن رمضان على قيسارية كسرا منكرا قتل مصطفى ابن محمد بن قرمان فى المعركة وقبض على أبيه محمد بن قرمان فاعتقله وارسله مغيدا الى مصر مع رأس ولده صحبة ابنه داود بن ناصر الدين محمد فخلع عليه واكرم نزله وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة توفى ناصر الدين وقرر صاحب مصر مكانه (ملك ارسلان ابن سليمان) وفى سنة سبعين وثمانمائة قدم ارسلان المذكور الى القاهرة فقتله صاحب مصر لكونه سلم بلاد خربوت لحسن الطويل وعين مكانه لاخيه شاه بداق بن سليمان واعتضد اخوه شاه سوار بك بسلطان الروم فاستولى على البستان ولما بلغ ذلك صاحب مصر أرسل لقتالهما كثيرا من العسكر فهزمهم شاه سوار وافناهم بالقتل وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة التقى شاه سوار بن رمضان التركمانى صاحب اذنه فهزمه الى قلعة ياس وشاه سوار فى اثره فلما بلغ صاحب

فقالوا فى أنفسهم هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فاذا بالخيل قد أشرفت من التل فكبروا واحاطوا بالابيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم وقام شمر وقد اتزر ببرد وكان ابرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلا يقول قتل الخبيث قتله ابن ابى الكنود وهو الذى رأى الكتاب مع العلج والقيت جثته للكلاب قال وسمعته بعد ان قاتلنا بالرمح ثم القاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعر

نبهتم ليث عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا
لم يرنوا عن عدونا كلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا
ينزحهم ضربا ويروى العاملا

واقبل المختار الى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقى اسيرا فناداه شعر

امنن علىّ اليوم يا خير معد * وخير من حل بتجر والجند * وخير من ابى وحيا وسجد

فارسله المختار الى السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول شعر

ألا أبلغ أبا اسحق انا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا
لقيناهم ضرابا طلحفا * وطعنا صائبا حتى أثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنمى حسينا
كنصر محمد فى يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأمسى اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فانى * سأشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى الى المختار قال أصلح الله الامير احلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له انى قد علمت انك لم ترشيأ وانما أردت ما قد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عنى حيث شئت لا تفسد على أصحابى فخرج الى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعر

* الا أبلغ أبا اسحق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عينىّ مالم تبصراه * كلانا عالم بالترهات

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى واذعى قتله سعر بن أبى سعر وأبو الزبير الشبامى وشبام من همدان ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لابى الزبير الشبامى أقتلت أبى عبد الرحمن سيد قومك فقر لا انجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه وكان اكثر القتل ذلك اليوم فى أهل اليمن وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال ما من ديننا ان نترك قتلة الحسين احياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا اذا فى الدنيا انا اذا الكذاب كما سموني وانى أستعين

مصر اهتم فى امره فجهز عسكرا ضخما الى قتاله صحبتهم شاه بداق بن ذى الغادر فوصلوا الى مدينة البستان فهرب شاه سوار فقبض عليه بالامان فاتى به الى مصر فى السلسلة وامر به صاحب مصر فصلب حيا مكلبا بكلاليب من حديد فى لوحى اكتافه وكان عمره دون الخمسين سنة وكان أديبا عاقلا ذا رأى وشجاعة وضرب اسمه على سكة الدراهم والدنانير ودعى له على المنابر بمدينة البستان وماوا لاهما من الممالك واستقر فى الامرة شاه بداق ابن سليمان الى أن غلب عليه اخوه (علاء الدولة) بن سليمان ثم لم يزل يضخم أمره حتى ملك بلادا لم يملكها آباؤه الاقدمون واستمر فى الملك وبعد صيته واستولى على مدينة سيس وطرسوس ثم على مدينة آمد وسائر بلاد ديار بكر وفى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة قصد صاحب اذربيجان شاه اسمعيل استرداد ديار بكر من أيدى ذى الغادرية فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسر بعض أولاد علاء الدولة وقتل بعضهم فى المعركة واستولى شاه اسمعيل على آمد وغيرها

بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ الى الطعام والشراب حتى أطهر الارض منهم فدل على عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن بشير البدى وحمل بن مالك المحاربى فبعث اليهم المختار فاحضرهم من القادسية فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن على أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا كارهين فامتن علينا واستبقنا فقال لهم هلا منعتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه وكان البدى صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضبعى وبعمران بن خالد القشيرى وبعبد الرحمن بن أبى خشارة البجلى وبعبد الله بن قيس الخولانى فأحضروا عنده فلما رآهم قال يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس فى يوم نحس وكانوا نهبوا من الورس الذى كان مع الحسين ثم أمر بهم فقتلوا وأحضروا عنده عبد الله وعبد الرحمن ابنى صلخب وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمدانى وهو ابن عم اعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد الدهمانى الجهنى وأبو أسماء بشر بن شميط القائفى وكانا قد اشتركا فى قتل عبد الرحمن بن عقيل وفى سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ثم أرسل الى خولى بن يزيد الاصبحى وهو صاحب رأس الحسين فاختفى فى مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ما تريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدرى وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فاخرجوه وقتلوه الى جانب أهله وأحرقوه بالنار

(ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين)

ثم ان المختار قال يوما لاصحابه لاقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عنده الهيثم بن الاسود النخعى فعلم انه يعنى عمر بن سعد فرجع الى منزله وأرسل الى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك خيرا كيف يقتلنى بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة اكرم الناس على المختار لقرابته بعلى وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أمانا من المختار ففعل وكتب له المختار أمانا وشرط فيه ان لا يحدث وعنى بالحدث دخول الخلاء ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فاتى حمامه فاخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأى حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت الى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلا فرجع وأتى المختار فاخبره باطلاقه فقال كلا ان فى عنقه سلسلة سترده وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة فاتاه وقال أجب الامير فقام عمر فعثر فى جبته فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فاحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير فى العيش بعده فامر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلى بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا قتيله من انامله وكان السبب فى تهييج المختار على قتله ان يزيد بن شراحيل الانصارى اتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث الى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفية انه يزعم انه لنا شيعة وقتله الحسين عنده على الكراسى يحدثونه فلما

الى ان أخذها منه السلطان سليم خان بن بايزيد خان فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما توجه السلطان المذكور لقتال شاه اسمعيل وجاوز حدود البستان أغار جماعة من عسكر علاء الدولة صحبة بعض أولاده على احمال ذخائر عسكر السلطان المبرور فأخذ منه شيأ كثيرا فلم يلتفت اليهم السلطان حتى عاد من غزو العجم وشتى بمدينة اماسية وعين جماعة من العسكر صحبة سنان باشا الطواشى الى قتال علاء الدولة واقتتل الفريقان بقرب البستان فانهزم عسكر علاء الدولة وقتل هو وكان عمره اكثر من تسعين سنة فعين مكانه السلطان المبرور الامير (على بك بن شاه سوار) بن علاء الدولة وفى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة أرسل السلطان فرهاد باشا الوزير امامه فلما وصل بقرب مدينة توقات أرسل الى على بك يدعوه اليه ليدبر معه فلما وصل اليه على بك مع ابنه البطل الصارم صار وأرسلان وعدة أولاد له قبض عليهم وأمر بخنقهم فخنقوا ولم يبق منهم أحد ودخلت بلادهم جميعا تحت

عادين يداخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه يعلمه انه قد قتل من قدر عليه وانه فى طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين قال عبد الله ابن شريك أدركت اصحاب الازدية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السوارى اذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله وقال ابن سيرين قال على لعمر ابن سعد كيف أنت اذا قمت مقاما تخيرفيه بين الجنة والنار فتختار النار ثم ان المختار أرسل الى حكيم بن طفيل الطائى وكان أصاب دم العباس بن على ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمى بسرباله وماضره فاتاه أصحاب المختار فاخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدى بن حاتم فكلمهم عدى فيه فقالوا ذلك الى المختار فمضى عدى الى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة انا نخاف ان يشفعه المختار فيه فقتلوه رميا بالسهام كما رمى الحسين حتى صار كانه القنفذ ودخل عدى بن حاتم على المختار فاجلسه معه فشفع فيه عدى فقال المختار انستحل ان تطلب فى قتلة الحسين فقال عدى انه مكذوب عليه قال اذا ندعه لك فدخل ابن كامل فاخبر المختار بقتله فقال ما اعجلكم الى ذلك الا أحضرتموه عندى وكان قد سره قتله فقال ابن كامل غلبتنى عليه الشيعة فقال عدى لابن كامل كذبت ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعنى فقتلته فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك وبعث المختار الى قاتل على بن الحسين وهو مرة بن منقذ من عبد القيس وكان شجاعا فاحاطوا بداره فخرج اليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجبانى كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقى النبل فاثبت كفه فى جبهته فما استطاع ان يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حين رميته اللهم انهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جثته وهو ميت فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه ولم أزل انفض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقى النصل فلما أتاه أصحاب المختار خرج اليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فاحرقوه حيا وطلب المختار سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل الحسين فرآه قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب عبد الله بن عقبة الغنوى فوجده قد هرب الى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاما وطلب آخر من بنى أسد يقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلا من أهل الحسين ففاته وطلب أبيضر جلا من خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمى كان يقول رميت فيهم باثنى عشر سهما ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائى كان يقول لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحدا فاتى ليلا فاخذوا حضر عند المختار فامر باحضار الرماح وطعن بها حتى مات وأرسل الى محمد بن الاشعث وهو فى قرية له الى جنب القادسية فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب الى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى كان زياد قد هدمها (بحير بن ريسان بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة شبام بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان وهمدان بسكون الميم وبالدال المهملة وسعر بكسر

السين

تصرف الملوك العثمانية فسبحان من لا يزول ملكه وكل شئ هالك الا وجهه

(الباب الخمسون فى ذكر الدولة الرمضانية ذوى المحاسن السنية)

وهم من طائفة التركمان الذين تغلبوا على بعض بلاد الروم واول من ظهر منهم واشتهر واستفحل أمره (احمد بن رمضان) وكان له من البلاد اذنه وميس واياس وتوابعها ولى الامارة من قبل الثمانين وسبعمائة واستمر يشاقق العساكر الشامية تارة ويصالحونه اخرى وفى سنة ثمانين وسبعمائة سار تمربك نائب حلب بعساكر ضخمة على بلاد اذنه فنهب أموالهم وسبى نساءهم فانتهكت محارمهم فلما رجعوا أخذت التركمان عليهم مضيقا من طرف البحر فقتلوا منهم غالب العسكر فلم ينج منهم الا الشارد النادر واسروا تمربك نائب حلب وملكوا سيس واستعدوا لقتال أهل حلب ونهبها وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة تجمع عسكر الشام وحلب صحبة الامير بلبغا فساروا الى جهة التركمان فتواقعوا عند الجسر على الفرات

السين المهملة وأحمر بن شميط بالحاء المهملة والراء المهملة وشميط بالشين المعجمة وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة جبانة أثير بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة عتيبة بن النهاس بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة حسان بن فائد بالفاء)

(ذكر بيعة المثنى العبدى للمختار بالبصرة)

وفى هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة الى بيعة المختار وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره الى البصرة يدعو بها اليه فقدم البصرة ودعا بها فاجابه رجال من قومه وغيرهم ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة فوجه اليهم القباع أميرا البصرة ودعاهم عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فخرجوا الى السبخة ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج احد وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيسا مكانه فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلا وقال لهم اذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد الى قيس وانشبوا القتال مع المثنى وسمع الرجال الذين فى دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعباد ولم يتبعوهم وأتى المثنى قومه عبد القيس فارسل القباع عسكرا الى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه فلما رأى زياد بن عمرو العتكى ذلك أقبل الى القباع فقال له لترد نّ خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فارسل القباع الاحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا بين الناس فاصلح الاحنف الامر على ان يخرج المثنى واصحابه عنهم فاجابوه الى ذلك واخرجوهم عنهم فسار المثنى الى الكوفة فى نفر يسير من أصحابه (مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة)

(ذكر مكر المختار بابن الزبير)

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة وهو ابن مطيع سار الى البصرة وكره ان يأتى ابن الزبير مهزوما فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب اليه قد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتنى عليه فان تردد راجعتى ومناصحتى فعلت والسلام وكان قصد المختار ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشئ من أمره فأراد ابن الزبير ان يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى فولاه الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم الى أربعين ألفا وسار نحو الكوفة وأتى الخبر الى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن فى طريقه الينا وأمره ان يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة ويأمره بالعود فان فعل والا فأره الخيل فاخذ زائدة بن قدامة المال وسار حتى اتى عمر فاعطاه المال وأمره بالانصراف فقال له ان امير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من اتيانها فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد اقبلت أخذ المال وسار

فانكسر التركمان واسر اخواحمد بن رمضان وابنه وامه فقتلهم يلبغا الناصرى ثم جمع التركمان وواقعوا يلبغا عند اذنه فكسروه وقلعت عين الناصرى وجرح ولما كانت الفتنة الكبرى فى حدود الثمانمائة رجع تيمور الى العراق واستقرت قدم احمد فى الامرة ولم يزل فى ذلك الى ان مات فى أواخر سنة تسع عشرة وثمانمائة وكان شجاعا مهابا ثم اختلف أولاده بعده حتى استقر فى الامرة (داود بك بن رمضان) فاستمر الى ان توفى ثم قام مكانه ولده (محمود بك) فمات واستقر بعده اخوه (خليل بك) بن داود وكان شهما شجاعا عاقلا وقورا صاحب خيرات ومبرات بنى فى مدينة اذنة جامعا كبيرا للمحاسن جامعا وهو من نوادر الدنيا حسنا واتقانا ثم توفى فى حدود سنة ست عشرة وتسعمائة ففوض السلطان سليمان خان امرة ولاية اذنة وسيس وتوابعهما الى ولده النجيب (بيرى بك) ثم ولاه السلطان المبرور نيابة حلب ثم الشام ثم رده الى مكان أبيه وجده بطلبه ولم يزل بها الى ان مات فى حدود سنة سبعين وتسعمائة

نحو البصرة فاجتمع هو وابن مطيع فى امارة الحرث بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوّغتنى ذلك وأمرت لى بالف ألف درهم سرت الى الشام فكفيتك ابن مروان فقال ابن الزبير الى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرنى ثم تمثل شعر

غارى الجواعر من ثمود أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

وكتب اليه والله ولا درهم

ولا أمترى عبد الهوان بيدرتى * وانى لآتى الحتف مادمت أسمع

ثم ان عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبى الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى وكان المختار قد ودع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لاهل الشام فكتب المختار الى ابن الزبير قد بلغنى ان ابن مروان قد بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بمدد فكتب اليه ابن الزبير ان كنت على طاعتى فبايع لى الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمدانى فسيره فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وليس منهم من العرب الا سبعمائة رجل وقال سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة ان يبعث عليهم أميرا ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى الفين وأمره ان يستنفر الاعراب وقال له ان رأيت القوم على طاعتى والا فاكايدهم حتى تهلكهم فاقبل عباس ابن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى اصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس مرا ألستم على طاعة ابن الزبير قال بلى قال فسر بنا على عدوه الذى بوادى القرى فقال ابن ورس ما أمرت بطاعتكم انما أمرت ان آتى المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيى فقال له عباس ان كنتم فى طاعة ابن الزبير فقد أمرنى أن اسيركم الى وادى القرى فقال لا أتبعك اقدم المدينة وأكتب الى صاحبى فيأمرنى بامره فقال عباس رأيك أفضل وفطن لما يريد وقال أما انا فسائر الى وادى القرى ونزل عباس أيضا وبعث الى ابن ورس بجزائر وغنم مسلحة وكانوا قد ماتوا جوعا فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من اصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس فلما رآهم نادى فى اصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس واقتتلوا يسيرا فقتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس راية امان لاصحاب ابن ورس فاتوها الا نحو من ثلثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمدانى وعباس بن جعدة الجدلى فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم وافلت الباقون فرجعوا فمات اكثرهم فى الطريق وكتب المختار بخبرهم الى ابن الحنفية يقول انى أرسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فان رأيت ان أبعث الى المدينة جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا انى فى طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقكم اعرف وبكم اهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فقد قرأت كتابك

وكان على جانب عظيم من الصلاح وكان كثير الخيرات والمبرات وقد بنى بمدينة اذنة جامعا حسنا وعمارة لطيفة يفرق منها الطعام للفقراء وابناء السبيل وبنى بها حماما وخانا وسوقا وخلف ولدين درويش بك وابراهيم بك ثم توفى درويش بك بعد أبيه بستة أشهر تقريبا وفوض السلطان الامرة لاخيه (ابراهيم بك) مكان أبيه ثم توفى وتولى مكانه ولده (محمد بك بن ابراهيم) فاما قباد پاشا فهو اخو بيرى بك المقدم ذكره تولى امرة طرابزون اولا ثم ولى أمير الامراء بحلب فى حدود سنة ست وستين وتسعمائة ثم تولى مدينة وان فتوفى بها وخلف ولدا اسمه سليمان ولاه السلطان سليمان امرة الكرك والشوبك ثم انتقل الى امرة نابلس ثم الى بيت المقدس وفعل فعلته التى فعل ثم ولى أمير الامراء بمدينة بغداد وكان سفاكا فتاكا لا يصبر عن قتل النفس عامله الله بما يستحق وتولى نيابة مدينة دمشق مدة شهرين فنزل قتيل عبيده وهو نائم على فراشه بداره التى انشأها بدمشق فى محلة عيسى الفارى

وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوه به من سروري وان أحب الامور كلها الي ما أطيع الله فيه فاطع الله ما استطعت واني لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والاعوان لي كثيرا ولكن أعتزلكم واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمره بالكف عن الدماء

(ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة)

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا لا نبايع حتى نجتمع الامة فاكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبد الله بن هانئ الكندي وقال ان لم يضرك الا تركنا يعتك لا يضرك شئ وان صاحبنا يقول لو بايعتني الامة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته وانما عرض بذكر سعد لان ابن الزبير أرسل اليه فقتله فسبه عبد الله وسب أصحابه واخرجهم من عنده فاخبر وا ابن الحنفية بما كان منهم فامرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فالح عليه وعلى أصحابه في البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطاه الله عهدا ان لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك اجلا فاشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث الى المختار يعلمه حالهم فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال ان هذا مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار است أبا اسحق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب الخيل في اثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل يعني ابن الزبير وذلك ان أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة فبكى الناس وقالوا سرحنا اليه وعجل فوجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وسيرا أبا المعمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وعمير بن طارق في أربعين ويونس بن عمران في أربعين فوصل أبو عبد الله الجدلي الى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكبا فبلغوا مائة وخمسين رجلا فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا اخل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم اني لا أستحل القتال في الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية يعنون الحسين كانى أنا قتلته والله لو قدرت على قتله لقتلتهم وانما قيل لهم خشبية لانهم دخلوا مكة وبايديهم الخشب كراهة اشهار السيوف في الحرم وقيل لانهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير وقال ابن الزبير أتحسبون اني أخلي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون فقال الجدلي اي ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجادلنك باسيافنا فجاد الايرتاب منه المبطلون فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون

(الباب الحادي والخمسون في ذكر دولة الدربندية ملوك شروان الباسقة الاغصان المشرقة اللمعان)

وأول من ملك من هذه الطائفة (الشيخ ابراهيم) الدربندي ونسبه على ما قيل يتصل بالملك كسرى أنوشروان وكان لهم الملك في تلك البلاد الى أن أتى الله بالاسلام وكان الشيخ ابراهيم المذكور أبوه وعشائره من أهل الفلاحة يسكنون في قرية من قرى شروان فاتفق أن تعصب أهل المملكة على من يسوسهم فاجتمعت كلمتهم على تقليد الملك الشيخ ابراهيم المذكور فسار وا اليه بالمطايا السلطانية والركائب الملوكية فوجدوه قد حرث وتعب ونام في طرف الحرث فنصبوا عليه خركاه ووقفوا له من بعيد كهيئة الملوك وحرمتهم ولم ينبهوه فلما انتبه سلموا عليه وبايعوه بالملك وجاؤا به الى المدينة وأجلسوه على سرير الملك وجعل يفتح البلاد ويعدل بين العباد ويؤالف القلوب ويحسن الى الناس حتى عظم ملكه وانتشر في الآفاق ذكره وهو من جملة الملوك الذين نحمد سيرتهم وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة قصد تيمور المسير الى دشت قبجاق وجعل

محمدا فيه فأبى عليهم فاجتمع مع محمد فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فأرسل الى ابن الحنفية ادخل فى بيعتى والا نابذتك وكان رسوله عروة بن الزبير فقال ابن الحنفية بؤسا لاخيك ما أجهله فيما استحفظه الله وأغفله عن ذات الله وقال لاصحابه ان ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن احب الانصراف عنا فانه لاذمام عليه منا ولا لوم فانى مقيم حتى يفتح الله بينى وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين فقام اليه أبو عبد الله الجدلى وغيره فأعلموه انهم غير مفارقيه وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب اليه يعلمه انه ان قدم عليه أحسن اليه وانه ينزل الى الشام ان أراد حتى يستقيم أمر الناس فخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعر

هديت يا مهديا ابن المهتدى * أنت الذى نرضى به ونرتجى
أنت ابن خير الناس من بعد النبى * أنت امام الحق لسنا نمترى
يا ابن على سر ومن مثل على

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على اتيانه وخافه فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عباداته وزهده وحسن هديه فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له فى قدومه بلاده فكتب اليه انه لا يكون فى سلطانى من لم يبايعنى فارتحل الى مكة ونزل شعب أبى طالب فأرسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه وكتب الى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن ام أة أبى الطفيل عامر بن وائلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعر

ان يك سيرها مصعب * فانى الى مصعب متعب
أقود الكتيبة مستلئما * كأنى أخو عزة أحرب

وهى عدة أبيات وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال الى مكة فاستأذنه أصحابه فى قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذى يسوم الناس ثم سار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره وخرج ابن عباس ايضا فلحق بالطائف ثم توفى فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وبقى ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية الى عبد الملك يطلب منه الامان له ولمن معه وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال قد كتبت الى عبد الملك فاذا جاءنى جوابه بايعت وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فترك فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبد الله الجدلى ومعه كتاب عبد الملك بامانه وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلا فأزال حكم الحجاج عنه وقيل انه ابن الزبير أرسل الى ابن عباس وابن الحنفية تأمرهما أن يبايعا فقالا حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع فانك فى فتنة فعظم الامر بينهم واغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية فى زمزم وضيق على ابن عباس

طريقه الى بلاد الشيخ ابراهيم المذكور فاستشار الشيخ ابراهيم قومه فى أمر تيمور وما يفعله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فقال لا أجعل عسكرى عرضة للسيف ولا أترك رعيتى تحت سنابك الخيل ولا يكون ذلك ولا أقاتل ولكنى أتوجه اليه بنفسى وأمثل بين يديه سامعا مطيعا فان رد نى الى مكانى فهو غاية الامانى وان قتلنى فقد سلمت رعيتى من القتل والخسار والنهب والاسار ثم أمر بالتقادمات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وأمر باقامة الخطبة باسم تيمور وبضرب السكة باسمه ثم حمل التقادم وورد عليه وتمثل بين يديه وكان من عادة الخطاى فى تقديم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعة فقدم الشيخ ابراهيم المذكور من كل جنس من أصناف ما قدم من الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف تسعة ومن المماليك ثمانية فقال له المتسلمون لذلك وأين التاسع من المماليك فقال التاسع نفسى الفانية فلما بلغ تيمور هذا الكلام أعجبه وقال من قاله بمكان ومقام وقال له أنت رائدى وخليفتى فى هذه البلاد ومعتمدى وخلع عليه خلع الملوك وردّه

في منزله وأراد احراقهما فارسل المختار جيشا كما تقدم فازال عنهما ضرار ابن الزبير فلما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير وقال لانجاو رانى فخرجا الى الطائف وأرسل ابن عباس ابنه عليا الى عبد الملك بالشام وقال لأن يربني بنو عمي أحب الى من أن يربني رجل من بني أسد يعني ببني عمه بني أمية لانهم جميعهم من ولد عبد مناف ويعني برجل من بني أسد ابن الزبير فانه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ولما وصل علي بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال اسمي علي والكنية أبو الحسن فقال لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري أنت ابو محمد ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية

(ذكر الفتنة بخراسان)

في هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم ابنه محمدا وقد تقدم ذكره فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريبا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري وزهير بن ذؤيب العدوي وجهان بن مشجعة الضبي والحجاج بن ناشب العدوي ورقبة بن الحر في فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر فخرج ابن خازم يوما في ستة آلاف وخرج اليه أهل القصر فقال لهم بشر ارجعوا لئلا تطيقوه فخالف زهير بن ذؤيب بالطلاق انه لا يرجع حتى يتعرض صفوفهم فاستبطن نهرا قديما فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتى حمل عليهم فخطأوا لهم على آخرهم واستدار وكر راجعا واتبعوه يصيحون به وليجسر أحد ينزل اليه حتى رجع الى موضعه فحمل عليهم فانهزموا له حتى رجع فقال ابن خازم لاصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا في رماحكم كلاليب ثم علقوها في سلاحه فخرج اليهم يوما فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة أرماح بالكلاليب فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر اربعة أرماح حتى دخل القصر فارسل ابن خازم الى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة لبنائه فلم يجبه فلما طال الحصار عليهم أرسلوا الى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال لا الا على حكمي فاجابوا الى ذلك فقال زهير شكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وان طبتم بالموت نفسا فموتوا كراما اخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا كراما واما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم فأبوا عليه فقال سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر وغلام تركي لابن ظهير فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فاما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير الى من بالقصر قال قد رأيتم اطيعوني قالوا انا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال لا اكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فارسل اليهم فقيدهم وحملوا اليه رجلا رجلا فاراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له ان عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم الا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فاطلقه والآخر جهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبد الله كما تقدم والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحقوه وقال انصرفوا عن فارس مضر وقال لما اراد واحمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبي

الى بلاده مستبشرا يبلوغ الامنية وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة مات صاحب شروان الشيخ ابراهيم المذكور وتولى مكانه ولده الجليل (أولوسلطان خليل) ابن الشيخ ابراهيم فقصده قره يوسف التركماني بستة آلاف فارس فسار الى شماخي فواقعه بعسكر شروان فهزمه وقتل من عسكره أناسا كثيرة ومكث السلطان خليل في الملك مدة متطاولة مع ماله من الخير والعدل والنصر حتى توفي وتولى مكانه ولده النجيب (شروان شاه) ابن خليل ابن الشيخ ابراهيم وفي أيامه ظهر الشيخ حيدر الصوفي الاردبيلي صاحب عراق العجم واستفحل أمره وجعل يركب في عشرة آلاف مقاتل فلك بعض البلاد ثم ظهر في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وحاصر بلاد شروان فاستنجد عليه صاحب شروان من صاحب العراق السلطان يعقوب بن حسن الطويل فانجده بجيش كثيف فسار الى قتال حيدر المذكور فقاتله وهزمه وظفر به فقتله وقتل عدة أولاده وكان شاه اسمعيل ابن حيدر مع أبيه في الوجبة فكان ممسوكا فهم شروان شاه بقتله أيضا فشفع فيه

واعقد على رجله وثب الخندق ثم اقبل الى ابن خازم يجر فى قيوده فجلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان اطلقتك واطعمتك ميسان قال لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من اطلاقه فقال له ابوه ويحك تقتل مثل زهير هن اقتال عدوا المسلمين من لحمى تساه العرب فقال والله لو شركت فى دم اخى اقتلتك فأمر بقتله فقال زهير ان لى حاجة لا تقتلنى ويختلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وامرتهم ان يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين وايم الله لو فعلوا لاذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثار أخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به ابن خازم فقتل ناحية فلما بلغ الخبر اش قتلهم قال

أعاذل انى لم ألم فى قتالهم * وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما
أعاذل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل افنانى السلاح ومن يطل * مقارعة الابطال يرجع مكلما
أعيتى ان ارفقا الدمع فاسكبا * دما لا زمالى دون ان تشكفا دما
أبعد زهير وابن بشر متابعا * ووردا رجى فى خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته * اكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى زهير بن ذؤيب وابن بشر هو عثمان ووردبن الفلق

(ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد)

وفى هذه السنة لثمان بقين من ذى الحجة سار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبيد الله بن زياد وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه فلما بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم لقيه أصحاب المختار معهم الكرسى يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه وكان سادن الكرسى حوشب البرسمى فلما رآهم المختار قال

أما ورب المرسلات عرفا * لتقتلن بعد صف صفا * وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له خذ عنى ثلاثا خف الله عز وجل فى سر أمرك وعلانيتك وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ورجع المختار وسار ابراهيم فانتهى الى أصحاب الكرسى وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بنى اسرائيل والذى نفسى بيده اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار الى قصده

(ذكر حال الكرسى الذى كان المختار يستنصر به)

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة أصقنا اصابة شديدة فخرجت يوما فاذا جارلى زيات عنده كرسى ركبه الوسخ فقلت فى نفسى لو قلت للمختار فى هذا شيأ فاخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو بيض قال فقلت للمختار انى كنت اكتمك شيأ وقد بدا لى أن اذكره لك ان أبى جعدة كان يجلس على كرسى عندنا ويروى ان فيه أثرا من على قال سبحان الله أخرته الى هذا الوقت ابعث به فاحضرته عنده وقد غشى فأمر لى باثنى عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن فى الامم الخالية أمر الا وهو كائن فى هذه الامة

بعض أمرائه وقال أيها الملك استبقه فانه منا لان أمه كانت بنت حسن بك الطويل فعفا عنه شروان شاه وطرده عن حوزة ملكه ونفاه فلما تخلص شاه اسمعيل من هذه الوقعة تغرب بوادى الحيرة ثم سار الى بلاد لاهجان وتعلم فيها الرفض ثم سار منها الى اذربيجان وهو دائما يدعو الخلق اليه فاجتمع عليه من أسافل الناس وأشرارهم خلق كثير فسار بهم فى سنة ست وتسعمائة الى طرف شروان ليأخذ بثار أبيه حيدر فخرج اليه شروان شاه فقاتله فانهزم فظفر به شاه اسمعيل فقتله واستولى على بلاد شروان ودخلها وجلس على سريرها ثم تركها بعد ان مكث مدة شهر ثم استولى الملك (غازى بك) ابن شروان شاه ابن خليل بك فلما مضى من ملكه ستة أشهر بغى عليه ولده السلطان محمود بن غازى فقتله واستولى على ملك أبيه وكان ظالما غشوما فاسقا وامتنع الناس عن طاعته وأرسلوا الى أخيه صاحب كيلان شيخ شاه ابن غازى فلما أحس السلطان محمود بقدوم شيخ شاه انهزم الى شاه اسمعيل صاحب اذربيجان فوصل شيخ شاه ورأى التخت خاليا فجلس

مثله وانه كان فى بنى اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا ان أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسى على بغل وقد غشى فقتل أهل الشأم مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس فى ذلك تعييه وقيل ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة ام هانى أخت على بن أبى طالب لابويه ائتونى بكرسى على فقالوا والله ما هو عندنا فقال لتكونن حق اذهبوا فأتونى به قال فظنوا أنهم لا يأتونه بكرسى الا قال هذا هو وقبله منهم فأتوه بكرسى وقبضه منهم وخرجت شبام وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير وكان اول من سدنه موسى بن أبى موسى الاشعرى كان يلم بالمختار لان أمه ام كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمى حتى هلك المختار وقال أعشى همدان فى ذلك شعر

شهدت عليكم انكم سبئية * وانى بكم يا شرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة * وان كان قد لفت عليه اللفائف
وان ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبام حواليه ونهد وخارف
وانى امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وبايعت عبد الله لما تتابعت * عليه قريش شطها والغطارف

وقال المتوكل الليثى

أبلغ ابا اسحق ان جئته * انى بكرسيكمو كافر
تراشبام حول أعواده * وتحمل الوحى له شاكر
محمرة أعينهم حوله * كانهن الحامض الخازر

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملا لاخيه عبد الله وعلى البصرة عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى لابن الزبير أيضا وكان بالكوفة المختار متغلبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم وفى هذه السنة توفى أسماء بن حارثة الاسلمى وله صحبة وهو من أصحاب الصفة وقيل بل مات بالبصرة فى امارة ابن زياد وتوفى جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص وقيل مات فى امارة بشر بن مروان وتوفى أسماء بن خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى سيد قومه (حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة)

(ثم دخلت سنة سبع وستين)

(ذكر مقتل ابن زياد)

ولما سار ابراهيم بن الاشتر من الكوفة أسرع السير لقتال ابن زياد قبل أن يدخل ارض العراق وكان ابن زياد قد سار فى عسكر عظيم من الشأم فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولا فسار ابراهيم وخلف أرض العراق وأوغل فى ارض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى وكان شجاعا فلما دنا من ابن زياد عبى اصحابه ولم يسر الا على تعبية واجتماع الا أنه يبعث الطقيل على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد

عليه وأحسن السيرة وعدل بين الرعية وبعد ان مضى على ذلك مدة رجع السلطان محمود من بلاد الهند ومعه جماعة من العسكر فحاصر أخاه شيخ شاه بقلعة كلستان اكثر من ثلاثة أشهر فاتفق ان مملوكا من مماليك السلطان محمود ذبح مخدومه على فراشه تحت الليل وبعث برأسه الى أخيه شيخ شاه فسر به الشيخ شاه وأمر بالطبول فضربت وبالاعلام فنشرت ولما أصبحوا فتحوا باب القلعة وهجموا على الذين أتوا مددا فجعلوهم حصيدا وطريدا وشريدا ولم يتركوا منهم أحدا أبدا واستمر شيخ شاه فى الملك الى أن توفى فى حدود سنة خمس وعشرين وتسعمائة وكان ملكا دينا منصفا حسن السيرة محبا للعلوم والعلماء والمشايخ وخلف سبعة أولاد ذكور تسلطن منهم بعده ولده (خليل باد شاه) ودام فى الملك نحو عشرين سنة ولم يخلف من الاولاد من يصلح للملك فسلطنوا بعده ابن أخيه (شاه رخ بادشاه) ابن فرح ميرزا ابن الشيخ شاه ابن شروان بن خليل بن شيخ ابراهيم وكان سنه خمس عشرة سنة وكان قد ضعفت فى زمانه شوكة الدولة

اليه حتى نزل قريبا منهم على شاطئ الخابور وأرسل عمير بن الحباب السلمي وهو من اصحاب ابن زياد الى ابن الاشتر أن القني وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب فاجتمع عمير وابن الاشتر فاخبره عمير انه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس فقال له ابن الاشتر ما رأيك أنحندق علينا ونقف يومين أو ثلاثة فقال عمير لا تفعل وهل يريدون الا هذا فان المطاولة خيرا لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن فاجزا القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا وان هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم فقال ابراهيم الآن علمت انك لي مناصح وبهذا أوصاني صاحبي قال عمير أطعه فان الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد واذا اصبحت فأتاهم وعاد عمير الى أصحابه واذكى ابن الاشتر ضرسه ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان السحر الاول عبى اصحابه وكتب كتائبه وامر أمراءه فجعل سفيان بن يزيد الازدي على ميمنته وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخوا الاحوص وجعل عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة وكانت رايته مع مزاحم بن مالك فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس ثم خرج فصف أصحابه والحق كل أمير بمكانه ونزل ابراهيم يمشي ويحرض الناس ويمنيهم الظفر وسار بهم رويدا فاشرف على تل عظيم مشرف على القوم واذا أوائل القوم لم يتحرك منهم احد فارسل عبد الله بن زهير السلولي ليأتيه بخبر القوم فعاد اليه وقال له قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام الا ياشيعة أبي تراب ياشيعة المختار الكذاب قال فقلت له الذي نحنا أجل من الشتم وركب ابراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكرهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله وتقدم القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي وعلى الخيل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم فثبت له علي بن مالك الجشمي فقتل ثم أخذ رايته قرة بن علي فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل المنهزمين فقال الى ياشرطة الله فاقبل اليه اكثرهم فقال هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا اليه فرجعوا واذا ابراهيم كاشف رأسه ينادي الى شرطة الله أنا ابن الاشتر ان خير فزاركم كزاركم ليس مسيأ من أعتب فرجع اليه اصحابه وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتلهم عميرا قتالا شديدا وأنف من الفرار فلما رأى ذلك ابراهيم قال لاصحابه اقصدوا هذا السواد الاعظم فوالله ان هزمناه لا نجفل من ترون بميمنة وبسرة انجفال طير ذعرت فمشى أصحابه اليهم فتطاعنوا ثم صاروا الى السيوف والعمد فاضربوا بها طويلا وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته اغمس برايتك فيهم فيقول ليس لي متقدم فيقول بلى فاذا تقدم شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب رجلا الا صرعه وكر ابراهيم الرجالة بين يديه كانهم الجلان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم

جدا وقويت دولة بني حيدر الصوفي وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة بعث شاه طهماسب بن اسمعيل بن حيدر الصوفي أخاه القاسب ميرزا الى فتح شروان فانتزعها من يد شاه رخ بادشاه فحاصر القاسب مدينة شماخي مدة سبعة أشهر ولم ينل منها بطائل فلما طال أمر الحصار نهض طهماسب بنفسه في جيش كثيف وارسل الى صاحبها بالامان وبذل الايمان ووعده بالاقطاعات والمواهب وكانت كاذبة فاغتر بظاهر ذلك شاه رخ فخرج طائعا ولما وعده طامعا فلم يرعه الاخلاف ما وعد وشرط ثم أمر بمن في القلعة من كبار القوم فقتل غالبهم وعين طهماسب لاخيه القاسب إمرة شروان ورجع هو الى تبريز واستصحب معه صاحب شروان شاه رخ وكان بهينه ويوقفه بين يديه كالعبد واستخدمه في نعله ثم غدر به فقتله ثم ان برهان الدين على سلطان وهو من أعمام شاه رخ جمع جيشا كثيرا فسار الى شروان لقتال القاسب ميرزا فقاتله مرارا فلم يظفر به وأتى الى الروم يستمد من سلطانها المرحوم سليم خان فاكرم نزله وقواه ببعض العسكر فسار بهم الى أن

اصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وقيل ان عمير بن الحباب أول من انهزم وانما كان قتاله أولا تعذيرا فلما انهزموا قال ابراهيم انى قد قتلت رجلا تحت راية منفردة لى شاطئ نهر الخازر فالقوه فانى شممت منه رائحة المسك ثم رقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو ابن زياد قتيلا بضربة ابراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر ابراهيم فاخذ رأسه وأحرقت جثته وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتلوا الحصين وقيل ان الذى قتل ابن زياد شريك بن جدير وكان هذا شريك شهد صفين مع علي وأصيبت عينه فلما انقضت أيام على لحق شريك بيت المقدس فأقام به فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى ان ظهر من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل اليه وسار مع ابراهيم بن الاشتر فلما التقوا حمل على خيل الشأم بهتكها صفا صفا مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا الى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع الا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما قتيلان شريك وابن زياد والاول أصح وشريك هو القائل

كل عيش قد أراه باطلا * غير ذكر الرمح في ظل الفرس

قال ورقتل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن عازب الاسدى وعبيد الله بن زهير السلمى وكان عبيدة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز

ان تصرمي خيالنا فربما * أرديت في الهيجا الكمي المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق اكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شئ وأرسل ابراهيم البشارة الى المختار وهو بالمدائن وأنفذ ابراهيم عماله الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله الى نصيبين وغلب على سنجار وداراوما والاهما من أرض الجزيرة فولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلي حران والرها وسميساطوناحيتها وولى عمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام ابراهيم بالموصل وانفذ رأس عبيد الله بن زياد الى المختار ومعه رؤس قواده فألقيت في القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مرارا أخرج هذا الترمذى في جامعه وقال المغيرة أول من ضرب الزبوف في الاسلام عبيد الله بن زياد وقال بعض حجاب ابن زياد دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم في وجهه نارا فقال بكمه هكذا على وجهه وقال لاتحدثن بهذا أحدا وقال المغيرة قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاترى الجنة أبدا وقال ابن مقرغ حين قتل ابن زياد

ان المنايا اذا ما زرن طاغية * هتكن أستار حجاب وأبواب

أقول بعدا وسحقا عند مصرعه * لابن الخبيثة وابن الكودن الكابى

لا أنت زوجت عن ملك فتمنعه * ولا مشت الى قوم بأسباب

لا من نزار ولا من جذم ذى يمن * جلود ذا ألقيت من بين ألهاب

وصل الى حدود شروان فرأى ان العدو قد تقوى وتمكن من البلاد واكثر من العدد فانحاز الى طرف داغستان ومكث بها نحو ثلاثة أعوام فلما سار الملك الغازى السلطان سليمان خان في سنة خمس وخمسين وتسعمائة لقتال طهماسب المذكور انتقل طهماسب الى أقصى بلاده فوجد برهان الدين غنيمة الفرصة فنزل عن مكانه واستولى على بلاد شروان وانتزعها من أيدى نواب طهماسب فبقى واليا بها مدة سنين ثم توفى ولم يترك من يصلح للملك فرجعت أولاده وعياله الى طرف بلاد داغستان خوفا من الشاهية واسترد طهماسب جميع بلاد شروان وخلف برهان الدين المذكور ولدين أحدهما خلف ميرزا توفى صغيرا والآخر أبو بكر ميرزا وهو الآن حى في الجبل وكانت مدة تمكنه اكثر من عشرين سنة ثم انه اتصل الى حاكم التتار دولة كراى خان وتزوج ابنته وأرسل يشفع فيه فقبل السلطان سليمان خان سؤله وعين له كل يوم وظيفة جليلة ولم يزل في عزة مع صاحب الدشت حتى سار معه الى فتح شروان وتولى

لاتقبل الارض موتاهم اذا قبروا * وكيف تقبل رجسا بين أثواب

وقال سراقة البارقي يمدح ابراهيم بن الاشتر

أتاكم غلام من عرانين مذحج * جرىء على الاعداء غير نكول

فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك * وذق حد ما في الشفرتين صقيل

جزى الله خيرا شرطة الله انهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وقال عمير بن الحباب السلمي يذم جيش ابن زياد

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا * محلا اذا لاقى العدو لينصرا

(ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وهو التباع عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعبا فقدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس أمير أمير وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الامير فسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحرث بالصعود اليه فاجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله من المفسدين فأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار نحو الكوفة وقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار

(ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار)

ولما هرب اشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم الى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غزوتاه فرفع خبره الى مصعب فقال هذا شبث بن ربعي فأدخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الاشعث ايضا واستحثه على المسير فأدناه مصعب واكرمه لشرفه وقال لاهل الكوفة حين أكثروا عليه لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة وكتب اليه وهو عامله على فارس يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج فأمر مصعب محمد بن الاشعث ان يأتي المهلب يستحثه فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له أما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا بريد لاحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا فاقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة فأمره أن يخرج اليه من قدر عليه وان يثبط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ففعل ودخل بيته مستترا ثم سار مصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحبطي التميمي وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته والمهلب على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على بكر ومالك بن المنذر على عبد القيس والاحنف بن قيس على تميم وزياد بن عمرو العتكي على الازد وقيس بن الهيثم على أهل العالية وبلغ الخبر المختار فقام

هنالك الامرة حين الفتح البلاد الشروانية الوزير الاعظم مصطفى باشا وهو الآن هنالك والله أعلم

(الباب الثاني والخمسون في ذكر ملوك العجم من آل حيدر الصوفي الاردبيلي الاسماعيلي)

وأول من قام من هذه الطائفة وجمع العسكر (الشيخ جنيد) بن الشيخ ابراهيم بن خواجه علي بن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين بن جبرائيل قيل كان جنيد هذا من العلوية الحسينية الاسماعيلية والله أعلم بصحته وانه جمع طائفة من محبيه ومحبي آبائه فغزا البكرج وقاتلهم وغنم منهم شيأ كثيرا ثم ان ابنه الشيخ حيدر بن جنيد سلك مسلك أبيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة واجتمع عنده من العسكر نحو ستة آلاف أو اكثر فغزا البكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر باثنتي عشرة رقعة وسمي بتاج الحيدرية ثم هجم على صاحب شروان ووقع بينهما حروب وانجلت عن انهزام الشيخ حيدر المذكور وقتله هو وأولاده سوى ولديه اسمعيل وبارعلي فسارا الى طرف لاهجان فاجتمع عليهما من مردة أبيهما فلما بلغ ذلك يعقوب

في اصحابه فاعلمهم ذلك وندبهم الى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر فبعثهم مع احمر بن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري فوصلوا الى المذار ورأى مصعب فعسكر قريبا منه وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا فجعل ابن شميط بن كامل على ميمنته وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي وجعل أباعمرة مولى عرينة على الموالي فجاء عبد الله بن وهيب الجشمي الى ابن شميط فقال له ان الموالي والعبيد أولجور عند الصدوقة وان معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشي فحرهم فليمشوا معك فاني اتخوف ان يطيروا عليها ويسلبوكه وكان هذا غشا منه للموالي لما كان لقي منهم بالكوفة فاحب ان كانت عليهم الهزيمة وان لا ينجو منهم أحد فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما اشار به فنزل الموالي معه وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر واصحابه وقال انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار والى ان نجعل هذا الامر شورى في آل الرسول فرجع عباد فأخبر مصعبا فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فخال بعضهم في بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ثم قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان ساعة ثم انهزم وحمل عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر فنادا هم المهلب الفرار اليوم النجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ثم قال والله ما ارى كثرة القتل اليوم الا في قومي ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت وبعث مصعب عبادا على الخيل فقال أيما أسير اخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الاشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال دونكم ثاركم فكانوا اشد على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون اسيرا فيعفون عنه فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة أصحاب الخيل واما الرجالة فأبيدوا الا قليلا قال معاوية بن قرة المزني انتهيت الى رجل منهم فادخلت السنان في عينه فاخذت اخضخض عينه به فقيل له أفعلت هذا فقال نعم انهم كانوا عندنا احل دماء من الترك والديلم وكان معاوية هذا قاضي البصرة فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم يكن بيت بعد فأخذ في كسكر ثم حمل الرجال اثقالهم والضعفاء في السفن فاخذوا في نهر خرشاد ثم خرجوا الى نهر قوسان ثم خرجوا الى الفرات وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب الي من ان أموت ميتة ابن شميط فعلموا انه ان لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ولما بلغه ان مصعبا قد أقبل اليه في البر والبحر سار حتى وصل السلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الخريرة ونهر السلحين ونهر القادسية ونهر رسف فسكر الفرات فذهب ماؤها في هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلما رأى ذلك خرجوا من السفن الى ذلك السكر فاصلحوه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وادخل اليه عدة الحصار وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد

بيك صاحب بتبريز قبض عليهما وحبسهما في قلعة اصطخر فكانا بها مدة حياة يعقوب بيك فلما توفي يعقوب بيك واستولى على ملكه رستم ميرزا عفا عنهما وأطلقهما وقال لهما اذهبا فلا زما قبرا بيكما وكونا كانكما من زمرة الفقراء فلم يزالا كذلك مدة حياة رستم ميرزا فلما توفي رستم ميرزا تولى مكانه (أحمد بيك) ابن أوغورلوخانا من صولته وشدة بأسه فهربا الى كيلان والتجآ الى الملك الشريف حسن خان فلما سمع أحمد بيك بفرارهما والتجائهما الى صاحب كيلان ارسل يطلبهما منه فانكر صاحب كيلان كونهما عنده فعين جماعة من العلماء والاعيان ليستحلفوه بالكلام المنزل انهما ليسا في أرضه فلما تحقق ذلك سلك صاحب كيلان مسلك الحيلة واصطنع عريشا من الاخشاب في محل خفي ثم أمر ابني الشيخ حيدر فصعدا عليه ولما قدم الذين بعثهم أحمد ميرزا باستحلاف صاحب كيلان بادر بالحلف فحلف بالله العظيم والكلام المنزل القديم انهما ليسا في أرضه ثم استقر اسمعيل وأخوه يارعلي عند صاحب كيلان حتى قتل أحمد بيك

الكندى وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى وعلى الخيل عمرو بن عبد الله النهدى وعلى الرجالة مالك بن عبد الله النهدى وأقبل محمد بن الاشعث فمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل جيش من أهل البصرة رجلا من أصحابه وتدانى الناس فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس وهم فى ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالا شديدا فارسل مصعب الى المهلب ليحمل على من بازائه فقال ما كنت لاجزر الازد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتى وبعث المختار الى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا الى مصعب فجثا مصعب على ركبته وبرك الناس عنده فاقتتلوا ساعة وتحاجزوا ثم ان المهلب حمل فى أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمرو النهدى وكان ممن شهد صفين اللهم انى على ما كنت عليه بصفين اللهم ابرأ اليك من فعل هؤلاء لاصحابه وابرأ اليك من نفس هؤلاء يعنى أصحاب مصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وانقضت أصحاب المختار كأنهم اجمة قصب فيها نار وحمل مالك بن عبد الله النهدى وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الاشعث جملة منكرة فقتل ابن الاشعث وقتل عامة أصحابه وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس وقاتلت معه همدان أشد قتال وتفرق الناس عن المختار فقال له من معه أيها الامير اذهب الى القصر فجاءه حتى دخله فقال له بعض أصحابه ألم تكن وعدتنا الظفر وانما نهزم فقال اما قرأت فى كتاب الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقيل ان المختار أول من قال بالبداء فلما أصبح مصعب اقبل يسير فمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب يا له فتحاماها فلم يقتل محمد بن الاشعث قال صدقت ثم قال مصعب للمهلب ان عبيد الله بن على بن أبى طالب قد قتل فاسترجع المهلب فقال مصعب قد كنت أحب ان يشهد هذا الفتح أتدرى من قتله انما قتله من يزعم انه شيعة لابيه ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالا ضعيفا واجترأ الناس عليهم فكانوا اذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر وكان أكثر معاشهم من النساء فمنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروى به بعضهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا فوالله ما انا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم اما انا فوالله لا أعطى بيدى ولا احكمكم فى نفسى واذا خرجت فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثبت اعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر الى بعض فتقولون يا ليتنا أطعنا المختار ولو انكم خرجتم معى كنتم ان اخطأتم الظفر متم كراما فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من اخوانه فاختفى عندهم ثم راث ان المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر فى تسعة عشر رجلا منهم السائب بن مالك الاشعرى وكانت تحته عمرة بنت أبى موسى الاشعرى فولدت له غلاما اسمه محمدا فلما أخذ القصر وجد صبيا فتركوه فلما خرج المختار

وتولى مكانه (الوندميرزا) فخرج عند ذلك شاه اسمعيل وأتى الى لاهجان وكان بها شيعة من احباء والده فهيجوه وشيعوه وعلموه الرفض ووعدوه بالنصر وقالوا الآن نحن قليل مستضعفون ولا بيك احباء فى بعض بلاد الروم وعرفوه مكانهم فارحل اليهم واتفق معهم فان أطاعوك وتجمعوا عندك فات بهم الينا فترى منا ما يسرك ويشرح به صدرك فسار شاه اسمعيل الى الروم واستصحب بعضا من الخلق معه وعاد الى لاهجان وفى اواسط محرم سنة خمس وتسعمائة توجه شاه اسمعيل من لاهجان بطائفة من العسكر فقصد بلاد أذربيجان وغلب على صاحبها الوندميرزا بن يوسف ابن حسن الطويل وقتل عدة مملوك منهم وهم اخواله حتى استولى على بلاد اذربيجان وسمى بالشاه وخطب له على منابرها وهو أول من تجبر وطغى من هذه الطائفة وفى سنة ست وتسعمائة قصد صاحب شروان ونبتله واستولى على بلاده ثم سار الى ديار بكر فقاتل صاحبها واستولى على غالب بلاده وتوجه الى العراق واستولى بغداد

قال للسائب ماذا ترى قال ماترى أنت قال ويحك يا احمق انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كاحدهم الا انى قد طلبت بثار أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن للدينة فقال انا لله وانا اليه راجعون ما كنت أصنع ان أقاتل على حسبى ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان أحدهما طرفة والآخر طراف اتيا عبد الله بن دجاجة فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله السكى ومن معه بالقصر الى مادعاهم المختار فأبوا عليه وامتنعوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فاخرجوهم مكتفين فاراد اطلاق العرب وقتل الموالى فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فامر بقتلهم وعرض عليه بحير السكى فقال لمصعب الحمد لله الذى ابتلانا بالاسر وابتلاك بان تعفو عنا هما منزلتان احداهما رضا الله والاخرى سخطه من عفا عنا الله عنه وزاد عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم واسنا تركا ولا ديلما فانما خالفنا اخواننا من أهل مصرنا فاما ان يكن اصبنا أو اخطأنا فاقتلنا بنا كما اقتتل اهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رق لهم الناس ومصعب وأراد ان يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال انخلى سبيلهم اختزنا أو اخترهم وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمدانى فقال مثله وقام اشراف الكوفة فقالوا مثلهما فامر بقتلهم فقالوا له يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك الى أهل الشام غدا فنكايدكم عنا غنى فان قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فابى عليهم فقال بحير السكى لا تخلط دمى بدمائهم اذ عصونى فقتلهم وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى ما تقول يا ابن الزبير لربك غدا وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك فى أنفسهم صبرا اقتلوا منا بعشرة من قتلنا منكم فقتلنا رجال لم يشهدوا موطنا من حربنا يوما واحدا كانوا فى السواد وجباية الخراج وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ولما أراد قتلهم استشار مصعب الاحنف بن قيس فقال أرى ان تعفوا فان العفو أقرب للتقوى فقال اشراف أهل الكوفة اقتلهم وضحوا فقتلهم فلما قتلوا قال الاحنف ما ادركتم بقتلهم ثارا فليته لا يكون فى الآخرة وبالا وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب اليه فى اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا وأمر مصعب بكف المختار ابن أبى عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها فقيل هذا كف المختار فامر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أطعتنى فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب مادام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك وكتب عبد الملك بن مروان الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت اجبتنى فلك العراق فاستشار ابراهيم أصحابه فاختلفوا فقال ابراهيم لو لم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك مع انى لا اختار على اهل مصرى وعشيرتى غيرهم فكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه مصعب أن اقبل فاقبل اليه بالطاعة فلما بلغ مصعبا اقباله اليه بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان ثم ان مصعبا دعا م ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن

واستولى على جميع العراق وعدى على صاحب خراسان وماوراء النهر يشبك خان بن اوزبك خان فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب منه الخمر مدة حياته وتيسر له فتح بلاد خراسان وفى سنة عشرين وتسعمائة وقع بينه وبين المرحوم السلطان سليم خان قتال شديد كما مر آنفا وتوفى فى سنة ثلاثين وتسعمائة وكان عمره الى يوم وفاته ثمانيا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ومدة ملكه أربع وعشرون سنة وكان مقداما هجاما شجيعا باسلا وكان مشغولا باللعب والملاهى وترك عدة أولاد وتولى الملك أكبرهم (شاه طهماسب) وكان فيه من الرأى وحسن التدبير والحزم مالا مزيد عليه وكان شفوقا على الرعية مراعيا لاحوال المملكة وقد وقع بينه وبين سلطان الروم وقهرمان القروم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان وقائع آل ذلك الى انهزامه وأخذ غالب بلاده ووقع بينه وبين اوزبك خان وقائع وحروب يطول شرحها حتى توفى فى سابع صفر سنة أربع وثمانين وتسعمائة مسموما سمته زوجته أم حيدر فى النورة

بشير الانصارية امرأته الاخرى فاحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فاطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله ابن الزبير انهم انزعم انه نبي فأمره بقتلها فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول يا ابتاه يا عمرتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطي بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى امرا فظيعا فقال عمرو بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك

ان من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري في ذلك أيضا

أتى راكب بالامر ذي النبأ العجب * بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة الاخلاق في الخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبي المصطفى ونصيره * وصاحبه في الحرب والضرب والكرب
أتاني بان الملحدين توافقوا * على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كانهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بملكة العرب
ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب
من الغافلات المؤمنات بريبة * من الذم والبهتان والشك والكذب
علينا ديات القتل والبأس واجب * وهن العفاف في الجمال وفي الحجب
على دين اجداد لها وابوة * كرام مضت لم تخزها لا ولم ترب
من الخفرات لا خروج برزة * ولا دمثة تبغي على جارها الجنب
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب
عجبت لها اذ كتفت وهي حية * الا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره ارسل اليه أحمر بن شميط وأمره ان يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار لانه بلغه ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب عبادا الحطمي بالمسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين وخرج المختار في عشرين ألفا وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لاصحابه لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فلما طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد فحملوا على اصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده احد وأصحابه قد اوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر

وكان متحرزا في ماكله ومشربه من هذه الجهة فاتفق ان دخل الحمام فتنور فجعل السم في النورة فتقطعت مذاكيره فدعا ابنه حيدرا فقال لم فعلت بي هذا يا حيدر ولم عجلت على هب انك ملكت ووصلت الى مارمت فهل تتمتع بعدي فلما مات أخذت بنته بيري خان خاتم أخيها حيدر فقالت يا أخي ادخل الى الخزانة وانظر الى ما فيها فان الملك لا يتم الا بالمال وكانت دست فيها رجالا مسلحين فهجموا عليه فقتلوه وأخرجت جنازته مع جنازة أبيه طهماسب وكانت مدة ملك طهماسب المذكور أربعا وخمسين سنة ثم ركبت بيري خان وسارت الى أخيها اسمعيل وكان محبوسا في قلعة الموت مدة حياة أبيه وهي خمس وعشرون سنة وكانت هي واسمعيل من أب واحد وأم واحدة فعمدت اليه فاخرجته وفوضت الامر اليه جميعا ثم ان اسمعيل قتلها ولم يمهلها وكان اسمعيل المذكور شيعيا ثم صار سنيا وسببه ان ذات يوم ضاق صدره وهو محبوس فاراد ان يقتل نفسه فغلب عليه النوم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه الاربعة

الكوفة وجاء أصحابه حين اصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر قد خلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقا كثيرا منهم محمد بن الاشعث واقبل مصعب فاحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعا وستين سنة وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين قيل ان مصعبا لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك فقال مصعب انهم كانوا كفرة فجرة فقال والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم يبلغك قتل الكذاب قال ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كانك نكرت تسميته كذابا ومتوجع له قال ذا الذي رجل قتل قتلتنا وطلب ثارنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة وقال عروة بن الزبير لابن عباس قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه فقال ابن عباس قد بقيت لكم عقبة كؤود فان صعدتموها فانتم أنتم والا فلا يعني عبد الملك ابن مروان وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن الحنفية فيقبلانها وقيل رد ابن عمر هديته

(ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا عن العراق بعد ان قتل المختار وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله وكان حمزة جوادا مخلطا يجود احيانا حتى لا يدع شيأ لمكه ويمنع احيانا ما لا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما فرأى فيض البصرة فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم فلما كان بعد ذلك رآه جازرا فقال قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الاحنف الى أبيه وسأله ان يعزله عنهم ويعيد مصعبا فعزله فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فاودعه رجالا فجحدوه الا رجلا واحدا فوفى له وبلغ ذلك أباه فقال أبعده الله اردت ان أباهي به بني مروان فنكص وقيل ان مصعبا أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة ثم ان مصعبا وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة وقيل بل انصرف مصعب الى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن ابي ربيعة فكانا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الاحنف وأهل البصرة ورد مصعبا

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشام عبد الملك بن مروان وبخراسان عبد الله بن خازم * وفي هذه السنة مات الاحنف بن قيس بالكوفة مع

رضوان الله عليهم أجمعين فاقبل نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليظهر له المحبة فاعرض عنه الامام ولم يلتفت اليه فسأله عن سبب اعراضه فقال له الامام لبغضك لابي بكر فأقبل نحو الصديق واعتذر عنده وقبل رجليه وتاب ورجع عن بغضه اياه فبشره الصديق بالفرج من هذا المضيق بعد سنتين وعين له في شهر كذا ويوم كذا وأخبره بان يأتيه رجل يخبره بموت أبيه ويدعوه الى الملك وأوصاه بان لا يجتمع بذلك الرجل ولا يلتفت الى كلامه ثم بعد ذلك يأتيه رجل آخر في ذلك اليوم بعد الظهر فيجتمع بذلك الرجل ويصدق كلامه ويتوجه معه فلما توفي والده وتولى الملك حيدر ارسل من يقتله فلما قتل حيدر في تلك الساعة أرسلت اليه اخته فصدق كلامها وخرج واستولى على سرير الملك ورجع عن اعتقاده وصار من أهل السنة والجماعة وقتل غالب الروافض وكان متجبرا متعاظما الى الغاية فتجبب عن الخلق على خلاف قاعدة اسلافه وفوض الامر الى وكيله وهو الوزير الاعظم عندهم فكل من له حاجة يعرضها

مصعب وقيل مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان وقتل هبيرة بن مريم مولى الحسين بن علي بالخازروه ومن أصحاب المختار وثقات المحدثين * وفيها توفي جنادة بن أبي أمية وادرك الجاهلية وليست له صحبة وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبرا بعد قتل المختار وبعد قتل أصحابه

(ثم دخلت سنة ثمان وستين)

(ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة)

وفي هذه السنة رد عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا الى العراق وسببه ان الاحنف رأى من حمزة ابن عبد الله اختلاطا وحمقا فكتب الى أبيه فعزله ورد مصعبا واستعمل على الكوفة الحرث ابن أبي ربيعة وقيل كان سبب عزله حمزة انه قصر بالاشراف وبسط يده فنزعوا الى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل الى حمزة الحق بابيك واخرجه عن البصرة فقال العديل العجلي

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا اباسفيان يوما فعسكرا

(ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق)

في هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم ايام مصعب الاولى وايام حمزة بن عبد الله بن الزبير فلما عاد مصعب أراد ان يولي المهلب بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك بن مروان فكتب اليه وهو بفارس في القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن معمر فلما سمع الخوارج به قال قطري بن الفجاءة قد جاءكم شجاع وهو شجاع وبطل وجاءه يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثله الا حدما حضر حربا الا كان أول فارس يقتل قرنه وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ما ذكرنا سنة خمس وستين فجاءت الخوارج الى اصطخر فقدم اليهم عمر ابنه عبيد الله في خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له قطري ان عمر موتور فلا تقاتله فابى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلا وطعن عمر صالح بن مخارق فشترعينه وضرب قطريا على جبينه فقلقه وانهزمت الخوارج وساروا الى سابور فعاد عمر ولقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه اربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر يهلك في هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل في ذلك

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرة بينهم ما يمتنع من طلبهم وقصدوا نحو اصبهان فاقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ثم اقبلوا حتى مروا بفارس وبهم عمر فقطعوها في غير الموضع الذي هم به اخذوا على سابور ثم على أرجان حتى أتوا الاهواز فقال مصعب العجب لعمر قطع هذا العدو الذي هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان اعذر له وكتب اليه يا ابن معمر ما انصفتني تجبي الي وتحيد عن العدو فاكفني أمرهم فسار عمر من فارس

في

الى الوكيل فيرفعه الوكيل اليه وكان يرجى منه حالات كثيرة من الشجاعة والشهامة وكان يخاف منه أهل البلاد فلما تولى الملك صار اجبن الخلق وعجز عن ضبط المملكة وكان أخوه محمد خدابنده بخراسان ما أطاعه وكذلك أكثر القبائل هنالك وكان عمره جاوز خمسين سنة وتوفي في ثالث عشر رمضان سنة خمس وثمانين وتسعمائة مسموما لانه كان يتعاطى أكل الترياق ويبالغ فيه فسموه في الترياق فمات وقيل هجم عليه خواص ملكه في صورة النساء فقتلوه لانه كان متغضبا على عسكر أبيه حيث يزعم انهم صاروا سببا لحبسه فشرع في قتلهم حتى بلغ من قتل ثلاثين الفا وكان يقول اذا تجدد رأس الخيمة ينبغي ان تجدد الاطناب أيضا فأبغضوه وملوا منه ثم تولى الملك بعده أخوه الكبير صاحب خراسان (محمد خدابنده) بن طهماسب فلما بلغه موت أخيه قدم من خراسان الى قزوين واستقر على سرير الملك وكان يرجى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك وطغى وتجبر عن قبول الهدنة بينه وبين السلطان

في اثرهم مجدا يرجوان يلحقهم قبل ان يدخلوا العراق وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الاكبر وعسكر الناس معه وبلغ الخوارج وهم بالاهواز اقبال عمر اليهم وان مصعبا قد خرج من البصره اليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز من سوء الرأى وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهروانات فاتى المدائن وبها كردم بن مرثد القرادى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون اجواف الحبالى فهرب كردم وأقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف فى الناس يقتلون وارسلوا جماعة الى الكرج فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم قتالا شديدا فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه وافسد الخوارج فى الارض فأتى أهل الكوفة أميرهم وهو الحرث بن أبى ربيعة ولقيه القباع فصاحوا به وقالوا اخرج فان العدو قد أبطلنا ليست له بقية فخرج حتى نزل النخيلة فاقام اياما فوثب اليه ابراهيم بن الاشتر فخنقه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فاقام به حتى دخل اليه شبث بن ربعى فأمره بالمسير فلما رأى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلا أقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات فى بضعة عشر يوما فاتاها وقد انتهى اليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه واخذوا رجلا اسمه سمال بن يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا أهل الاسلام ان أبى مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فجارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها باسيافهم وبقى سمال معهم حتى اشرفوا على الصراة فاستقبل أهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خميث فضربوا عنقه وصلبوه فقال ابراهيم بن الاشتر للحرث اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤسهم فقال شبث واسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وغيرهم أصلح الله الامير دعهم فليذهبوا وكانهم حسدوا ابراهيم فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتم ذلك الحرث فتحبس ثم جلس للناس فقال اما بعد فان أول القتال الرمية بالنبل واشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزرا ثم السلة آخر ذلك كله فقال له رجل قد أحسن الامير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم فرويدك هذا الجسر فليعقد ثم عبرنا اليهم فان الله سيريك ما تحب فعقد الجسر وعبر الناس فطاردا الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طرادا ضعيفا فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف فى ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له اذا وقعوا فى أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا فى أرض اصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الرى وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى فقاتلهم فأعان أهل الرى الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم

فلو كان حرا حوشب ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

يعنى ان عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل وقال بشر بن مروان يوما وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعى من يدانى على فرس جواد فقال عكرمة فرس حوشب

هراد خان أيده الله تعالى واستقر على قاعدة أخيه من الخلاف ووقوع النزاع والقتال بين الفئتين وآل ذلك الى دخول وهجوم عساكر الروم الى بلاد العجم وعاثوا فيها نهبا وتخريبا وسبيا وقتلا كما مر آنفا وانجلى الامر عن استيلائهم على غالب بلاد العجم والآن وقع الصلح بينهما ولله الحمد وكان محمد خدابنده هذا أعمى لا يبصر شيأ ولذلك أخره أخوه شاه اسمعيل عن القتل مع انه قتل من يصلح للسلطنة من أولاد طهماسب فاقتضت الحكمة الربانية انه تسلطن سنين عديدة ويتولى الملك بعده (شاه عباس) بن خدابنده وهو اليوم صاحب بلاد العجم

(الباب الثالث والخمسون فى ذكر دولة الازبكية والدوحة الشيبكية)

ملوك ما وراء النهر وخراسان فهو (أوزبك) بن طقطاى القاآن بن القاآن صاحب بلاد اوزبك ومملكته من بحر القسطنطينية الى نهر أرس مسافة ثمانمائة فرسخ وعرضها من باب الابواب مدينة بلغار نحو ستمائة فرسخ ولكن أكثر ذلك مراعى وقرى وأهلها

فانه نجا عليه يوم الرى وقال بشرا أيضا يوما من يدلنى على بغلة قوية الظهر فقال حوشب بغلة واصل بن مسافر كان عكرمة يتم يا مرأة واصل فتبسم بشر وقال لقد انتصفت والما فرغ الخوارج من الرى انحطوا الى أصبهان فحاصروها وبها اعتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شدة أبى هريرة الهزار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبى ماحوز والاشرار
* كيف ترى حربى على المضمار *

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج اليهم على عادته ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى نفدت اطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فقال لهم عتاب أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقى الا ان يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه ان استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلى عليه والله ما أنتم بالقليل وانكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا الى هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل ان تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله انى لارجو ان صدقتموهم أن تظفروا بهم فاجابوه الى ذلك

(ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطرى بن الفجاءة)

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه الى ذلك جمع الناس وأمرهم بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فأتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا الى الزبير بن الماحوز فنزل فى عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الازارقة الى قطرى بن الفجاءة المازنى وكنيته أبو نعامة فبايعوه وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره ما شاؤا وجاء قطرى فنزل فى عسكر الزبير ثم سار عن اصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وجبى المال وقوى ثم أقبل الى اصبهان ثم أتى الى أرض الاهواز فاقام بها والحرث بن أبى ربيعة عامل مصعب على البصرة فكتب الى مصعب يخبره بالخوارج وانهم ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فامره بقتال الخوارج وبعث الى الموصل ابراهيم بن الاشتر وجاء المهلب الى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو الخوارج ثم اقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتال رآه الناس

(ذكر حصار الرى)

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحى عامله على اصبهان بالمسير الى الرى وقتال أهلها لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم وامتناعهم من مدينتهم فسار اليهم عتاب فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرخان والح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوة وغنم ما فيها وافتتح سائر قلاع نواحيها وفيها كان بالشام قحط شديد حتى انهم لم يقدروا من شدته على الغزو وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان وهو قريب قنسرين وشتى بها ثم رجع الى دمشق

(ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله)

فى ايديهم ما ينيف على المائة سنة وكان أوزبك خان ذا بأس شديد وعبادة فى المحراب ولما اسلم وحسن اسلامه اسلم غالب رعيته ولم يلبس سراقوجا ولا شيأ من شعارهم ولا رغب فى درهمهم ولا فى دينارهم وكان يستعمل حياصة من فولاذ من غير ذهب وكان يؤثر الفقراء ويجبهم ويتردد الى بعض مشايخ الصوفية وكان السلطان الملك الناصر قد خطب ابنته أو اخته فأجابه الى ذلك وجهزها فى البحر الى الاسكندرية وتوجه القاضى كريم الدين للقائها الى الاسكندرية وعمل لها ضيافة فى الميدان تحت القلعة وبعد ذلك طلعت الى القلعة وجرى من امرها ما جرى ولم يزل القاآن اوزبك على حاله الى ان خانته امدفروا متلأ فمه وعينه من العفر وكانت وفاته سنة اثنتين واربعين وسبعمائة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة هذا ما وصل الينا من اخباره (واما شيبك خان) بن برق خان بن ابى الخير فينتهى نسبه الى اوزبك خان ابن طقطاى بن طغرلجه بن تقوقا آن بن باتوى بن جوجى بن جنكزخان وكان بدو حاله فى بلاد

في هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفي وكان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين علي ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها أخوها رجلا يقال له عكرمة بن الخبيص وبلغ ذلك عبيد الله فاقبل من الشام فخاصم عكرمة الى علي فقال له ظاهرت علينا عدونا فعلت فقال له اينبغي ذلك من عدلك قال لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق اليه حتى وضعت فالحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله وعاد الى الشام فاقام به حتى قتل علي فلما قتل اقبل الى الكوفة فاتى اخوانه فقال ما أرى احدا ينتفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقالوا وكان من أمر علي كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك فلما مات معاوية وقتل الحسين بن علي لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمدا فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الاشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضا قال مريض القلب أم مريض البدن فقال اما قبلي فلم يمرض واما بدني فقد من الله علي بالعافية فقال ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدونا قال لو كنت معه لرؤي مكاني وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب الساعة فقال علي به فاحضر الشرط خلفه فقالوا اجب الامير فقال ابلغوه عني اني لا آتيه طائعا ابدا ثم اجرى فرسه واتى منزل احمد بن زياد الطائي فاجتمع اليه اصحابه ثم خرج حتى اتى كربلا فنظر الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى الى المدائن وقال في ذلك

يقول أمير غادر وابن غادر * الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمه
ونفسي على خذلانه واعتزاله * وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمي ان لا أكون نصرته * الا كل نفس لاتسدد نادمه
واني لاني لم أكن من حماته * لذو حسرة ان لا تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا * الى نصره سقيا من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومحالهم * فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى * سراعا الى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم * باسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا في كل نفس بقية * على الارض قد اضحت لذلك واجمه
وما ان رأى الراؤن أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهرا قمائمه
بقتلهم ظلما ويرجو ودادنا * فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمه
اهم مرارا ان اسير بجحفل * الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا والا ادعكم في كتائب * أشد عليكم من زحوف الديالمه

وأقام ابن الحر بمنزلة على شاطئ الفرات الى ان ملك يزيد ووقعت الفتنة فقال ما أدري قرشيا ينصف ابن ابناء الحرائر فاتاه كل خليع ثم خرج الى المدائن فلم يدع ما لا قدم به للسلطان الا أخذ

تركستان ثم وصل الى خدمة السلطان أحمد ميرزا ابن السلطان أبي سعيد حاكم ماوراء النهر فوقع بينهما منافرة آلت الى مفارقته فرجع الى تركستان وجمع العساكر وهجم على السلطان أحمد ميرزا المذكور وأخذ بعض بلاده ولما مات السلطان حسين ميرزا حاكم خراسان وقعت المخالفة بين أولاده فهجم عليهم واستولى على بلاد خراسان وفي سنة ست وتسعمائة جمع الجموع الشاه اسمعيل وحاربه عند مدينة مرو وقتل يشبك المذكور وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب فيه الخمر مدة حياته وكان يشبك نقاشا ماهرا وكان حسن الخط ولما قتل يشبك خان هجم عبيد الله خان ابن السلطان محمود ابن أخي يشبك خان المذكور وتحارب مع الشاه اسمعيل وانتصف منه وهذا ما انتهى اليه من اخبارهم

* (الباب الرابع والخمسون في ذكر السلاطين المتقدمين والاساطين المقدمين وفيه عدة فصول) *

* (الفصل الاول في ذكر ملوك الفرس الاولى والثانية وسيرهم المتوافقة والمتباينة) *

منه عطاءه وعطاء أصحابه ويكتب لصاحب المال بذلك ثم جعل ينقص الكور على مثل ذلك الا انه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وجمع ما يعمل في السواد فاخذ امرأته فحبسها فاقبل عبيد الله في اصحابه الى الكوفة فكسر باب السجن واخرجها واخرج كل امرأة فيه وقال في ذلك

* الم تعلمي يا ام توبة انني * انا الفارس الحامي حقائق مذحج
وانى صبحت السجن في سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما ان برحنا السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد اسيل عن فتاة حبيبة * الينا سقاها كل دان مشجج
فما العيش الا ان ازورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما زلت محبوسا لحبسك واجما * وانى بما تلقين من بعده شجي

وهي طويلة وجعل يعبث بعمال المختار واصحابه فأحرقت بهمدان داره ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله الى ضياع همدان فنهبها جميعها وكان يأتي المدائن فيعبث بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من المال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار وقيل انه بايع المختار بعد امتناع واراد المختار ان يسطو به فامتنع لاجل ابراهيم بن الاشتر ثم سار مع ابن الاشتر الى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد اظهر المرض ثم فارق ابن الاشتر واقبل في ثلثمائة الى الانبار فاغار عليها واخذ ما في بيت مالها فلما فعل ذلك امر المختار بهدم داره واخذ امرأته ففعل ما تقدم ذكره وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية انا لا نأمن ان يثب ابن الحرباء السواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال

فمن مبلغ الفتيان ان اخاهم * اتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام عنه كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب اسود صامت * شديد يداني خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جرمته * ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه
وقد كان في الارض العريضة مسلك * وأي امرئ ضاقت عليه مذاهبه

وقال

بأي بلاء أم بأية نعمة * تقدم قبلي مسلم والمهلب

يعني مسلم بن عمرو والدقيمية والمهلب بن ابي صفرة وكلم عبيد الله قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له الى مصعب وارسل الى فتيان مذحج وقال البسوا السلاح واستروه فان شفعهم مصعب فلا تعترضوا الاحد وان خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فاني ساعيتكم من داخل فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب واطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم ان هذا الامر لا يصلح الا بمثل الخلفاء الماضين الاربعة ولم نرلهم فينا شبيها فتلقى اليه أزمتنا فان كان من عز بز فعلام نعقد في اعناقنا بيعة وليسوا باشجع منا لقاء ولا اعظم منا مناعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وكلهم عاص مخالف قوي الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فاني

اتفق المحققون من أصحاب التواريخ ان اول ملوك الفرس أربع طبقات الاولى الفيشدادية والثانية الكيانية والثالثة الاشغانية والرابعة الساسانية وهم الاكاسرة وكانت قاعدة ملكهم المدائن بالعراق ومدة ملكهم أربعة آلاف ومائة واحدى وثمانون سنة وشهور وهؤلاء من نسل كيومرث أولهم كيومرث وآخرهم يزدجرد المقتول في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه (الطبقة الاولى) الفيشدادية لكل واحد منهم يقال فيشداد ومعناه أول سيره العدل وهذه الطبقة قديمة وقد نقل ان سلاطين الدنيا صنفان الصنف الاول قبل نبينا والصنف الثاني بعد ظهور الاسلام وفي سير الملوك للغزالي رحمه الله ان آدم عليه السلام لما كثرت أولاده وبلغ حدهم أربعين ألفا اختار من جميعهم اثنين احدهما شيث عليه السلام والآخر كيومرث فولى شيثا حفظ أمور الدين والآخرة وجعله ولي عهده واعطاه أربعين صحيفة وولى كيومرث لحفظ أمور نظام الدين والسياسة وتعمير

قد قلبت لكم ظهر المجن واظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وخرج عن الكوفة وحاربهم واغار فارسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فعرض عليه خراج بادوريا وغيرها ويدخل فى الطاعة فلم يجب الى ذلك فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى فقاتله فهزمه عبيد الله وضربه على وجهه فبعث اليه أيضا حريث بن يزيد فقتله عبيد الله فبعث اليه مصعب الحجاج ابن جارية الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما فارسل اليه مصعب يدعوه الى الامان والصلة وان يوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسى ففرد هقانها بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فالتجأ اليهم الدهقان فخرجوا الى عبيد الله فقاتلوه ووافاهم الحجاج بن جارية الخثعمى فحمل على عبيد الله فأسره عبيد الله واسر أيضا بسطام بن مصقلة وناسا كثيرا وبعث ناسا من اصحابه فأخذوا المال الذى مع الدهقان واطلق الاسرى ثم ان عبيد الله أتى تكريت فاقام يجبى الخراج فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى الف وامدهم المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وانما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل المنايا تدلى باطرافها الغنى * فنجدى كراما نجتدى ونؤمل
ألم تران الفقر يزرى باهله * وان الغنى فيه العلى والتجمل
وانك الا تركب الهول لا تنل * من المال ما يرضى الصديق ويفضل

وقاتلهم عبيد الله يومين وهو فى ثلثمائة ولما كان عند المساء تحاجزوا وخرج عبيد الله من تكريت وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال انى خائف ان اموت ولم اذعر مصعبا واصحابه وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فاخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل بحمام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وضم اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر ابن عبيد الله بن معمر فقاتلوه باجمعهم وكثرت الجراحات فى عسكر عبيد الله بن الحر وعقرت خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى امسوا وخرج ابن الحر من الكوفة وكتب مصعب الى يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم واقبل ابن الحر الى المدائن فتحصنوا منه فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الاسدى فنزل الجون بجولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم اتى الجون بن كعب بجولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فقتله ابن الحر وهزم اصحابه وخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير البجلى فقاتله بسوراء قتالا شديدا فرجع عنه بشير واقام ابن الحر بالسوا ديغير ويجبى الخراج ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه أكرمه واجلسه معه على السرير وأعطاه مائة الف درهم واعطى أصحابه مالا فقال له ابن الحر توجه معى جندا أقاتل بهم مصعبا فقال له سر باصحابك وادع من قدرت عليه وانا امدك بالرجال فسار باصحابه نحو الكوفة فنزل بقرية الى جانب الانبار فاستأذنه اصحابه فى اتيان الكوفة فأذن لهم وأمرهم ان يخبروا أصحابه

العالم وكانت مدة ملك كيومرث مائتى سنة وثلاثا وعشرين سنة وعمره ألف سنة وكان فى عهد آدم عليه السلام والمامات بقيت الدنيا بغير ملك زمانا طويلا وقد نقل عنه اشياء يأباها العقل واختلفوا فى مدة ملك الفيشدادية وحروبهم فاوردنا منها ما يقرب الى الذهن صحته وهم تسعة أنفار أولهم (هوشنج) تولى الملك بعد وفاة كيومرث فى عهد آدم عليه السلام وهو اول من رتب الملك ونظم الاعمال ووضع الخراج وكان ملكه اربعين سنة وهو الذى بنى بابل والسوس وكان فاضلا محمود السيرة والسياسة ونزل الهند وتنقل فى البلاد وعقد على رأسه التاج وجلس على سرير الملك كذا ذكره صاحب المختصر فى اخبار البشر وفى نظام التواريخ ان اول الملوك كيومرث وهو الذى ابتنى مدينة اصطخر ومدينة دماوند وهو أول من بنى وسكن الدور وكانوا قبل ذلك يسكنون الكهوف والمغار وكان ملكه قريبا من مائتين وأربعين سنة وعمره ألف سنة كما مر وملك بعده (طهمورث) وهو سبط

هو شيخ ملك الاقاليم السبعة
وملك سيرة جده وهو اول
من أمر بالصوم وسبب ذلك
انه ظهر الغلاء والقحط في
زمانه فامر الاغنياء باطعام
واحد بعد غروب الشمس
وبامساكهم في النهار شفقة
على الفقراء وايثارا عليهم
بالطعام وهو اول من كتب
بالفارسية وكان مطيعا لاوامر
الله تعالى وكانت مدة ملكه
نحو اربعين سنة ثم هلك
وملك بعده (الملك جشيد)
معناه شعاع الشمس سمي
بذلك لوضاءة وجهه وهو
اخو طهمورث لابويه وملك
جشيد ايضا الاقاليم السبعة
وملك السيرة الصالحة
المتقدمة وزاد عليها وهو
اول من استخرج الحرير من
ديدانه تعلمه من الجن وكانوا
مسخرين له كذا في زبدة
التواريخ ورتب الناس
على طبقات كالحجاب
والكتاب واحدث النيروز
وجعله عيدا يقيم الناس
فيه ثم بعد ذلك بدل سيرته
الصالحة بأن اظهر التكبر
والجبروت على وزرائه
وقواده وآثر اللذات وترك
كثيرا من السياسات التي
كان يتولاها بنفسه وعلم
بيوراسب وكان من جملة
جهاله باستيحاش الناس من

بقدومه ليخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحرث بن ابي ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة
فسألوه ان يرسل معهم جيشا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق اصحابه فبعث
معهم جيشا كثيفا فساروا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه نحن نقر بسير وهذا الجيش
لا طاقة لنا به فقال ما كنت لادعهم وحمل عليهم وهو يقول

بالك يوما فات فيه نهبي * وغاب عني ثقتي وصحبي

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك وأذن لاصحابه
في الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا
كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكتبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول أهذه نبل ام مغازل فلما
انخنته الجراح حاص الى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح
حتى توسط الفرات فاشرفت عليه الخيل وكان معه في السفينة نبط فقالوا لهم ان في السفينة
طلبة أمير المؤمنين فان فاتكم قتلناكم فوثب ابن الحر ليرمي نفسه في الماء فوثب اليه رجل
عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجري دما وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى انه يقصد
به نحو القيسية قبض على الذي معه وألقى نفسه معه في الماء فغرقا وقيل في قتله انه كان يغشى
مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب الى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها
مصعبا ويخوفه مسيره الى ابن مروان يقول فيها

ابلغ أمير المؤمنين رسالة * فلست على رأي قبيح اواربه
اني الى الحق ان اجفى ويجعل مصعب * وزيره من كنت فيه احاربه
فكيف وقد آتيتكم حتى يعتى * وحتى يلوى عندكم واطالبه
وابليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والامر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدى * وادرك من ملك العراق رغائبه
جنا مصعب عني ولو كان غيره * لاصبح فيما بيننا لا اعاتبه
لقد رابني من مصعب ان مصعبا * ارى كل ذي غش لنا هو صاحبه
وما انا ان خليتموني بوارد * على كدر قد غص بالماء شاربه
وما لامرئ الا الذي الله ساتق * اليه وما قد خط في الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب ادخل مسلما * فيمنعني ان ادخل الباب حاجبه

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها

الم تر قيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فارسل زفر بن الحرث الكلابي الى مصعب اني قد كفيتك قتال ابن الزرقاء يعني عبد الملك
ابن مروان وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بني سليم أسروا ابن الحر فقال انما قلت

الم تر قيسا قيس عيلان اقبلت * وسارت الينا في القنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عياش

(ذكر عدة حوادث)

قيل في هذه السنة واقي عرفات أربعة ألوية لواء لابن الحنفية واصحابه ولواء لابن الزبير واصحابه

ولواء لبني امية ولواء للحرورى ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة وكان اصحاب ابن الحنفية اسلم الجماعة وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الاسود بن عوف الزهرى وعلى البصرة والكوفة مصعب اخوه وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاقفا لابن الزبير ومات عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره اربع وسبعون سنة وقيل غير ذلك وفيها مات عدى بن حاتم الطائى وقيل سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ومات ابو واقد الليثى واسمه الحرث بن مالك وفيها توفى ابو شريح الخزاعى واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبى (شريح بالشين المعجمة) وعبد الرحمن بن حاطب بن ابى بلتعة وقيل انه ولد زمن النبى صلى الله عليه وسلم (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات)

ثم دخلت سنة تسع وستين

(ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق)

فى هذه السنة خالف عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله وقيل كانت هذه الحادثة سنة سبعين وكان السبب فى ذلك أن عبد الملك بن مروان اقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ماشاء الله ان يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلابى وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حلب رجع عمرو ليلا ومعه حميد بن حريث الكلبى وزهير بن الابرد الكلبى فاتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنه وهدم دار ابن ام الحكم واجمع الناس اليه فخطبهم ومناهم ووعدهم واصبح عبد الملك وقد فقد عمرا فسأل عنه فاخبر خبره فرجع الى دمشق فقاتله اياما وكان عمرو اذا أخرج حميد بن حريث على الخيل اخرج اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبى واذا أخرج عمرو زهير بن الابرد أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وامنه عبد الملك فخرج عمرو فى الخيل الى عبد الملك فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك باربعة أيام ارسل الى عمرو ان ائتنى وقد كان عبد الملك استشار كرنب بن ابرهة الحميرى فى قتل عمرو فقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل فى مثل هذا هلكت حمير فلما اتى الرسول عمرا يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو يا ابا أمية انت احب الى من معى ومن بصبرى وارى لك ان لا تأتيه فقال عمرو لم قال لان تبيعا ابن امرأة كعب الاحبار قال ان عظيما من ولد اسمعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث ان يقتل فقال عمرو والله لو كنت نائما ما انتبهت ابن الزرقاء ولا اجترأ على اما انى رأيت عثمان البارحة فى المنام فالبسنى قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ثم قال عمرو للرسول انا رائح العشية فلما كان العشاء لبس عمرو درعا ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبى فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد والله لو اطعتنى لم تأته وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم

جمشيد وتنكر خواصه عليه فقصده بعدان كثرت اتباعه وقويت شوكته وهرب جمشيد وتبعه بيوراسب حتى ظفر به فقتله بأن وضعه بين دفتين ونشره بمنشار ثم ملك (بيوراسب الضحاك) وكان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات فلما عرب قيل الضحاك وملك الارض كلها وسار فيها بالجور والعسف وبسط يده بالقتل وسن الاعشار والمكوس واتخذ المغنين والملهين ويقال انه هو النمروذ لعنه الله وكان اول من سن الصلب والقطع وكان على منكبيه سلعتان ويدعى انهما حيتان تضطربان اذا جاعتا فلا تسكنان حتى تطعما بدماغ انسان وكان يذبح لهما كل يوم رجلين من الذين كانوا يستحقون القتل فلما تم من كان فى سجنه امر بأن يجمع من العامة من كان مجرما وغير مجرم وكانوا يقرعون القرعة على اهل الامصار والقرى فمن وقع عليه أخذوه فلم تزل الناس فى هذا البلاء نحوا من خمسمائة سنة حتى اراد الله اهلاكه وكان لرجل حداد من اهل اصفهان يقال له كابى

الحداد اربعون ولدا ولم يزالوا يذبحون من اولاده حتى لم يبق له سوى ولد واحد فلما أرادوا ذبح ذلك الولد اخذ كابي المذكور عصا طويلة وعلق بطرفها الجلد الذي يستتر به عند شغله ويتوقى به النار ورفعه وصاح في الناس ودعاهم الى المجاهدة مع الضحاك فاجتمع عنده خلق كثير وبقي ذلك العلم معظما عند الفرس ورصعوه بالجوهر وسموه درفش كابيان وجعلوه علمهم الاكبر الذي يتبركون به وهو الذي صار الى المسلمين في وقعة القادسية وكانت الفرس لا ينشرونه الا في أمور عظيمة ولما قوى أمر كابي قصد الضحاك فهرب منه الضحاك وسأل الناس كابي ان يملك عليهم فابى لكونه ليس من بيت الملك فامرهم ان يملكوا أحدا من ولد جمشيد وكان (افريدون) بن اتقيان من أولاد جمشيد كان رجلا جسيما مليحا وهو من بقية العمالقة مقدار قامته سبعة ارماح وعرض صدره رمح وكان مستخفيا من الضحاك فاستبشر الناس به وولوه الامر مكان الضحاك وكان

يلتقت ومضى في حاشية من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان فلما بلغ الباب اذن له فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قارعة الدار وما معه الا وصيفه فنظر عمرو الى عبد الملك واذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم احس بالشر فالتفت الى وصيفه وقال انطلق الى أخي يحيى فقل له يأتيني فلم يفهم الوصيف فقال له ليبك فقال عمرو اعزب عني في حرق الله ناره واذن عبد الملك لحسان وقبيصة فقاما فلقيا عمرا في الدار فقال عمرو لوصيفه انطلق الى يحيى فمره ان يأتيني فقال ابيك فقال عمرو اعزب عني فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الابواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ههنا ههنا يا أبا أمية فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انا لله يا امير المؤمنين فقال عبد الملك اتطمع ان تجلس معي متقلدا بسيفك فاخذ السيف عنه ثم تحذثا ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حيث خلعتني آليت بيمين ان انا ملأت عيني منك وانا مالك لك ان أجعلك في جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت ان اصنع بابي امية فقال بنو مروان ابر قسم امير المؤمنين فقال عمرو قد ابر الله قسمك يا أمير المؤمنين فاخرج من تحت فراشه جامعة وقال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو اذكرك الله يا امير المؤمنين ان تخرجني فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكرا يا أبا أمية عند الموت لا والله ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو اذكرك الله يا أمير المؤمنين كسر عظم مني فلا تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو اعلم انك تبقى علي اذا أبقيت عليك ونصلح قريش لا طلقتك ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قط على ما نحن عليه الا اخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو انه يريد قتله قال اتعدني يا ابن الزرقاء وقيل ان عمرا لما سقطت ثنيتاه جعل يمسحهما فقال عبد الملك يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعا لا تطيب نفسك لي بعدها وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر أخاه عبد العزيز ان يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو أذكرك الله والرحم ان تلي قتلي ليقتلني من هو أبعد رحما منك فالقى السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فاقبل في الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من اصحابه كثير فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك اسمعنا صوتك يا أبا أمية فاقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فادخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فرأى عمرا بالحياة فقال لعبد العزيز ما منعك ان تقتله فقال انه ناشدني الله والرحم فرققت له فقال له اخزى الله امك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها ثم اخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرا فلم تحز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال ودرع ايضا ان كنت لمعدا فأخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي * اضرب بك حيث تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال ما رأيت مثل هذا قط

قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى ومن معه على بنى مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى واصحابه وجاء عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فالقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان واخذ المال فى البدر فجعل يلقيها الى الناس فلما رأى الناس الرأس والاموال تفرقوا وانتهبوا ثم امر عبد الملك بتلك الاموال فجيئت حتى عادت الى بيت المال وقيل ان عبد الملك انما امر بقتل عمرو حين خرج الى الصلاة غلامه ابن الزعيزية فقتله والقى رأسه الى الناس ورمى يحيى بصخرة فى رأسه واخرج عبد الملك سريره الى المسجد وخرج وجلس عليه وقد قال الوليد ابنه فقال والله وان كانوا قتلوه لقد ادركوا ثارهم فاتاه ابراهيم ابن عربى الكنانى فقال الوليد عندى وقد جرح وليس عليه بأس واتى عبد الملك بيحيى بن سعيد وامر به ان يقتل فقام اليه عبد العزيز بن مروان فقال جعلت فداك يا امير المؤمنين اترك قاتلا بنى امية فى يوم واحد فامر بيحيى فحبس واراد قتل عنبسة بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز ايضا واراد قتل عامر بن الاسود الكلبى فشفع فيه عبد العزيز وامر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا ثم اخرجهم مع عمهم يحيى فالحقهم بمصعب بن الزبير ثم بعث عبد الملك الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى كتاب الصلح الذى كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع فاعلمه ان ذلك الصلح معه فى اكفانه ليخاصمك عند ربه وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان فى النسب فى امية هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية وذاك عمرو بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ام عمرو ام البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصعبا واجتمع الناس عليه دخل اولاد عمرو على عبد الملك وهم اربعة امية وسعيد واسمعيل ومحمد فلما نظر اليهم قال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا تورثون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين ابيكم لم يكن حديثا ولكن كان قديما فى انفس اوليائكم على اوليائنا فى الجاهلية فاقطع بامية وكان اكبرهم فلم يقدر ان يتكلم فقام سعيد بن عمرو وكان الاوسط فقال يا امير المؤمنين ما تبغى علينا امرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا واما الذى كان بينك وبين عمرو فانه كان ابن عمك وانت اعلم بما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا واما مرى لئن اخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الارض خير لنا من ظهره فرق لهم عبد الملك وقال ان اباكم خيرنى بين ان يقتلنى او قتله فاخترت قتله على قتلى واما انتم فما ارغبنى فيكم واوصلنى لقرابتكم واحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم وقيل ان خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم عجبت كيف اصبت غرة عمرو فقال عبد الملك

ادنيته منى ليسكن روعه * واصول صولة حازم متمكن

غضبا ومحميه لدينى انه * ليس المسى سبيله كالمحسن

وقيل انما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب فقال له عمرو انك تخرج الى العراق وقد كان ابوك جعل لى هذا الامر بعده وعلى ذلك قاتلت معه فاجعل هذا الامر لى بعدك فلم يجبه عبد الملك الى ذلك فرجع الى دمشق وكان من قتله ما تقدم وقيل بل كان عبد الملك قد استخلف عمرا على دمشق فخالفه وتحصن بها والله اعلم ولما سمع عبد الله بن الزبير بقتل عمرو قال ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

كابى أحد اعوانه فلما استولى افريذون على منازل الضحاك وجلس على سرير الملك تبع الضحاك مدة ثم أسره بدماوند فلما مثل بين يديه سأله كيف قتل جده جمشيد قال وضعته بين دفتين وأمرت بنشره فعند ذلك غضب وأمر بأن يضعوا عودا من حديد على فم بئر ويربطوا رجليه فى العمود ويعلقوه منكوسا ويبنوا على فم البئر ففعلوا كما أمر واحدثوا المهرجان يوم قتله وكان ابراهيم الخليل عليه السلام فى أواخر أيام الضحاك وكان نمروذ عاملا من عماله استعمله على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وكانت مدة ملك الضحاك الف سنة ولما ملك افريدون سار فى الناس باحسن سيرة ورد جميع ما اغتصب به الضحاك على اصحابه وكان مؤثرا للعلم واهله وكان عارفا بعلم الطب والفلسفة والنجوم وكان لافريدون ثلاثة اولاد فقسم الارض بينهم اثلاثا خوفا من تفرق المشاق بعده احدهم ايرج فجعل له العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض اليه الولاية على اخويه

والثانى سلم وجعل له الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب والثالث ثور وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه فلما مات افريدون وثب ثور وسلم على ايرج فقتله واقتسما بلاده وملكا الارض ثم نشأ ابن ابن لايرج المقتول يقال له (منوجهر) بن ايران بن ايرج فحقد على عمى أبيه وجمع العسكر وتغلب على ملك جده ايرج فقوى امره وكان موصوفا بالعدل والاحسان فى مملكته ويقال انه أول من حفر الخنادق وجمع آلة الحرب واول من وضع الدهقنة وجعل لكل قرية دهقانا ولما قوى منوجهر المذكور قتل عمى أبيه نوذر وسلم واخذ ثاره منهما ثم نشأ من ولد نوذر ابن افريدون المذكور (افراسياب) واليه تنسب الترك فجمع العسكر وحارب منوجهر المذكور وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا وضربا بينهما حدا لا يتجاوزه أحد منهما وهو نهر بلخ وكان تغلب افراسياب المذكور على مملكة فارس فى ايام منوجهر اثنتى عشرة سنة واكثر الفساد واخرب البلاد وطم الانهار فقحط

وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته

(ذكر عصيان الجراجمة بالشأم)

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضا قائد من قواد الضواحى فى جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى البتان فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد فى البلاد ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطف حتى وصل اليه متنكرا فاظهر له مما لأته وذم عبد الملك وشتمه ووعده ان يدله على عوراته وما هو خير له من الصلح فوثق اليه ثم ان سحيما عطف عليه وعلى اصحابه وهم غارون غافلون بجيش معه والى عبد الملك وبنى امية وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان اعدهم بمكان خفى قريب وأمر فنودى من اتانا من العبيد يعنى الذين كانوا معه فهو حر وينبت فى الديوان فانقض اليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه ففتل الخارج ومن اعانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادى بالامان فيمن بقى منهم فتفرقوا فى قراهم وسد الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل زهير بن قيس اميرا فريقية وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه وكانوا جماعة فامسك الله ايديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على البصرة والكوفة له اخوه مصعب وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفى ابو الاسود الدؤلى وله خمس وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة سبعين)

فى هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفيها اشخص مصعب الى مكة فى قول بعضهم ومعه اموال كثيرة ودواب كثيرة فسمها فى قومه وغيرهم ونهض فتحربدنا كثيرة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم

(ذكر يوم الجفرة)

وفى هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعبا فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ان وجهتنى الى البصرة واتبعتنى خيلا يسيرة رجوت ان اغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا فى خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع وقيل نزل على على بن اصمع الباهلى فارسل عمرو الى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ورجا ابن اصمع ان يبايعه عباد بن الحصين وقال له انى قد اجرت خالدا واحببت ان تعلم ذلك لتكون ظهرا لى فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد قل له والله لا اضع لبدا فرسى حتى آتيك فى الخيل فقال ابن اصمع لخالد ان عبادا يأتينا الساعة ولا اقدر ان امنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض فدا خرج رجليه من الركابين حتى اتى مالكا فقال اجرنى

فاجاره

فاجاره وارسل الى بكر بن وائل والازد فكان أول راية اتته راية بنى يشكر وأقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان وغيرهم وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة واصحاب ابن معمر زبيرية وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبى بكرة وحمران بن أبان والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمى ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفى مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد فارسل عبيد الله الى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد اليه فاخبره بتفرق القوم فرجع الى عبد الملك فاقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على ان يخرج خالد من البصرة فاخرجه مالك ثم لحق مالك بالنباج وكان عبد الملك قد رجع الى دمشق فلم يكن لمصعب همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشقهم وسبهم فقال لعبيد الله بن أبى بكرة يا ابن مسروح انما أنت ابن كابية تعاورها الكلاب فجاءت باحمر واصفر وأسود من كل كلب بما يشبهه وانما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادعيتم ان أباسفيان زنى بامكم ووالله لئن بقيت لالحقنكم بنسبكم ثم دعا عمران فقال له انما أنت ابن يهودية عالج نبطى سبيت من عين التمر وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ولعبد الله بن فضالة الزهرانى ولعلى بن اصمع ولعبد العزيز بن بشر وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع وضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصحرهم فى الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجن أولادهم فى البيوت وطاف بهم فى أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وهدم دار مالك بن مسمع واخذ مافيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب واقام مصعب بالبصرة ثم شخص الى الكوفة فلم يزل بها حتى خرج الى حرب عبد الملك بن مروان (المغيرة بضم الميم وبالغين والراء خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين والجفرة بضم الجيم وسكون الفاء) وفى هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب وهو جد عمر بن عبد العزيز لامه وولد قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين

(ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى)

فى هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتغلب حتى آل الامر الى قتل عمير وكان سبب ذلك انه لما انقضى أمر مرج راهط وسار زفر بن الحرث الكلابى الى قرقيسيا على ماذكرناه وبايع عمير مروان بن الحكم وفى نفسه مافيها بسبب قتل قيس بالمرج فلما سير مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد الى الجزيرة والعراق كان عمير معه فلقوا سليمان بن صرد بعين الوردة وسار عبيد الله الى قرقيسيا لقتال زفر فشيعه عمير واشار عليه بالمسير الى الموصل قبل وصول جيش المختار اليها فسار اليها ولقى ابراهيم بن الاشتر بالخازر فقال عمير معه فانهزم جيش عبيد الله وقتل هو فاتى عمير قرقيسيا وصار مع زفر فجعلا يطلبان كلبا واليمانية بمن قتلوا من قيس وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما وشغل عبد الملك عنهما بمصعب وتغلب عمير على نصيبين ثم انه مل المقام بقرقيسيا فاستأمن الى عبد الملك فآمنه ثم غدر به

الناس ثم ظهر (زوا) بن طهماسب وقيل زاب وهو من أولاد منوجهر فتنازع اليه الناس وطردا فراسياب عن مملكة فارس حتى رده الى بلاد الترك بعد حروب كثيرة وسار زاب المذكور باحسن سيرة حتى عمر البلاد واصلح ما كان أخرب من البلاد ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد واستخرج للسواد نهرا وسماه الزاب وبنى على حافته مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ونقل اليها أنواع الرياحين والاشجار وهذا أول من اتخذ انواع الاطعمة وقسم الغنائم على جيوشه وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وكان لزاب بن طهماسب المذكور وزير يقال له كرشاسب من اولاد توز بن افريدون تولى الملك ويقال انهما اشتركا فى الملك وكان مسكنه بيابل ومدة ملكه عشرون سنة وبعض المؤرخين لم يذكره فى الملوك وهو آخر من تولى من طائفة الفيشدادية *(الطبقة الثانية الكيانية)* ولما هلك كرشاسب ملك بعده (كيقباذ) بن زاب وهو أول ملوك الكيانية سلك سيرة أبيه فى الخير وعمارة البلاد

فجاءه عند مولاه الريان فسقاه عبيرا ومن معه من الحرس خمرا حتى أسكرهم وتسلق في السلم من حبال وخرج من الحبس وعاد الى الجزيرة ونزل على نهر البليخ بين حران والرقة فاجتمعت اليه قيس فكان يغير بهم على كلب واليمانية وكان من معه يستأوون جواري تغلب ويستخرون مشايخهم من النصارى فهاج ذلك بينهم شرا لم يبلغ الحرب وذلك قبل مسير عبيد الملك الى مصعب وزفر ثم ان عميرا أغار على كلب ثم رجع فنزل على الخابور وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة وكانت بحيث نزل عمير امرأة من تميم ناكحة في تغلب يقال لها أم دويل فاخذ غلام من بني الحريش اصحاب عمير عيرا من عمها فشكت الى عمير فلم يمنع منها فاخذوا الباقي فمانعهم قوم من تغلب فقتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبي وجاء دويل فشكت امه اليه وكان فارسا من فرسان تغلب فسار في قومه وجعل يذكرهم ما تصنع بهم قيس ويشكو اليهم ما أخذ من غنم امه فاجتمع منهم جماعة وأمروا عليهم شعيث بن مليك التغلبي واغاروا على بني الحريش ومعهم قوم من نمير فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذود الامرأة منهم يقال لها أم الهيثم فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم فقال الاخطل

فان تسألونا بالحريش فانها * منينا بنوك منهم وفجور
غداة تحاماتنا الحريش كانها * كلاب بدت انيابها لهرير
وجاؤا بجمع ناصري ام هيثم * فارجعوا من ذودها بعير

(يوم ماكسين)

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير وعلى تغلب شعيث غزا عمير بني تغلب وجماعتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالا شديدا وهي اول وقعة لهم فقتل من بني تغلب خمسمائة وقتل شعيث وكانت رجله قطعت فقاتل حتى قتل وهو يقول

قد علمت قيس ونحن نعلم * ان الفتى يقتل وهو أجذم

(يوم الثرثار الاول)

والثرثار نهر أصل منبعه شرقي مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها اسرق ويفرغ في دجلة بين الكحيل ورأس الايل من عمل النهروان لما قتل بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب واجتمعت اليها النمر بن قاسط واتاها المشمرج بن الحرث الشيباني وكان من ساداتهم بالجزيرة واتاها عبيد الله بن زياد بن ظبيان منجدا لهم على قيس فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى قتل اخاه النابي بن زياد واستنجد عميرا وأسدا فلم ينجده منهم أحد فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر ويقال يزيد بن هوبر التغلبي فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت قيس وقتلت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سليم وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية وقيل هي للاخطل

لما رأونا والصليب طالعا * ومارس جيش وسماناقعا
والخيل لا تحمل الادارعا * والبيض في ايمانها قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا * وخطة طيسا وكرمانيعا

(يوم الثرثار الثاني)

وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة وكان مقيما بقرب نهر بلخ وهو نهر جيحون يمنع الترك عن العبور الى ارض فارس وقيل كان في زمانه من الانبياء حزقيل والياس واليسع وشمويل عليهم السلام ثم ملك كيقباذ بعد ان ملك مائة وعشرين سنة وقام مقامه بعده ابنه ابنه (كيكاوس) بن كيبيه بن كيقباد المذكور فشدد على اعدائه وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن مدينة بلخ وولد له فيها اولاد بديع في الجمال وكان يفتن بحسنه فسماه سياوش ثم انه سلمه الى رستم الشديد الذي كان نائبا على سجستان قرباه رستم واديه حتى صار في نهاية الادب والفروسية ولما قدم به الى ابيه امتحنه فاعجبه ثم انه كان لابيه الملك زوجة بارعة الجمال يقال لها آب رخ يقال انها ابنة افراسياب ملك الترك وهي غير ام سياوش فعشقت سياوش وأرادت منه المواصلة فابى سياوش وقال معاذ الله انه أبي ومولاي لا اخونه في أهله فلما ثابت المراة واستشعرت من سياوش انه ينم بها الى الملك قصدت اهلاكه فذكرته عند الملك بسوء حتى تنفر الملك عنه فرام

ثم ان قيسا تجمعت واستمدت وعليها عمير بن الحباب واتاهم زفر بن الحرث من قرقيسيا وكان رئيس بني تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا اشد قتال اقتتله الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مجنبة قيس وصبرت سليم واعصرت حتى انهزمت تغلب ومن معها وقتل ابنا عبد يشوع وغيرهما من اشراف تغلب فقال عمير بن الحباب

فدا لفوارس الثرثار نفسي * وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فاجلت * وحولي من ربيعة كالجبال
اكالفهم بدهم من سليم * واعصر كالمصاعيب النهال

وقال زفر بن الحرث

الا من مبلغ عني عميرا * رسالة ناصح وعليه زاري
اتترك حي ذي يمن وكلبا * ونجعل جدنا بك في نزار
كمعتمد على احدى يديه * فخانته بوهن وانكسار

(يوم الفدين)

واغار عمير بن الحباب على الفدين وهي قرية على الخابور وقتل من بها من بني تغلب فهزمهم فقال نفيع بن صفار المحاربي

لو تسأل الارض الفضاء عليكم * شهد الفدين بها لكم والصور

والصور قرية من الفدين

(يوم السكير)

وهو على الخابور يسمى سكير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب

وافلتنا يوم السكير ابن جندل * على سابح عوج اللبان مشابر
ونحن كررنا الخيل قدما شوازبا * دقاق الهوادي دامیات الدوائر

وقال ابن صفار

صبحنا كم بهن على سكير * ولاقيتم هنالك الاقورينا

(يوم المعارك)

والمعارك بين الحضر والعتيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار

ولقد تركنا بالمعارك منكم * والحضر والثرثار اجسادا جثا

فيقال ان يوم المعارك والحضر واحد هزموهم الى الحضر وقتلوا منهم بشرا كثيرا وقال بعضهم هما يومان كانا لقيس والله أعلم والتقوا أيضا بلبى فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا

(يوم الشرعبية)

ثم التقوا بالشرعبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر فكان بينهم

اهلاكه في يد العدو خوفا من لحوق العار في قتل ولده فكتب الى رستم في ذلك وأرسله في جيش كثيف فلما التقى سياوش بالعدو وانتظم الصلح بينهما من غير حرب كتب سياوش الى ابيه يخبره بأمر الصلح فلم يرض بذلك فرأى سياوش نقض العهد عارا عليه فامتنع من انفاذ أمر ابيه واجمع على الفرار الى افراسياب فلحق به بعد ان أخذ منه على نفسه الامان فاكرمه افراسياب وزوجه ابنته حتى اذا حبلت البنت من سياوش عدا افراسياب على سياوش فقتله خوفا منه على كرسيه لميل الناس اليه واجتهد افراسياب في اسقاط الولد فلم يمكن وأمر قيران وهو اكبر امرائه وهو الذي استأمن لسياوش من افراسياب ان تكون ابنته عنده حتى اذا وضعت الحمل قتل الولد فلما ظهر الولد امتنع قيران من قتله وستر أمره فكان عند قيران حتى بلغ أشده فلما جمع كيكاوس بقتل ابنه سياوش وانه ولد له ولد من بنت افراسياب تحيل في ذلك وارسل قوما شطارا في زي التجار بالمال وأمرهم بسرقة ابن سياوش وزوجته فسرقوهما واحضروهما

قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمى وكان لتغلب على قيس قال الاخطل

ولقد بكى الجحاف لما أوقعت * بالشرعبية اذ رأى الاهوالا

يعنى أوقعت الخيل والشرعبية من بلاد تغلب والشرعبية أيضا بلاد منبج فبعضهم يقول ان هذه الوقعة كانت ببلاد منبج وذلك خطأ

(يوم البليخ)

واجتمعت تغلب وسارت الى البليخ وهنالك عمير فى قيس والبليخ نهر بين حران والرقة فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار فقال ابن صفار

رزق الرماح ووقع كل مهند * زلزلن قلبك بالبليخ فزالا

(يوم الحشالة ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى)

لما رأت تغلب الحاح عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها وسارت الى الحشالة وهو تل قريب من الشرعبية والى جنبه براق ودلف اليه عمير فى قيس ومعه زفر بن الحرث الكلابى وابنه الهذيل بن زفر وعلى تغلب ابن هوبر واقتتلوا عند تل الحشالة أشد قتال وابرحه حتى جن عليهم الليل ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد الى الليل ثم تحاجزوا وأصبحت تغلب فى اليوم الثالث فتعاقدوا ان لا يفروا فلما رأى عمير جدهم وان نساءهم معهم قال لقيس يا قوم أرى لكم ان تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وسار والى سرحهم وجهنا الى كل قوم منهم من يغير عليهم فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى قتلت فرسان قيس امس واقول امس ثم ملئ سحرك وجبنت ويقال ان عيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى قال له ذلك وكان أتاه منجدا فغضب عمير وقال كانى بك وقد حمى الوغى أول فار فنزل عمير وجعل يقاتل رجلا وهو يقول

انا عمير وأبو المغلس * قد أحبس القوم بضنك فاحبس

وانهزم زفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا وذلك انه بلغه ان عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة اليه بقرقيسيا فبادر للتأهب وقيل انه ادعى ذلك حين فر اعتذارا وانهزمت قيس وركبت تغلب ومن معها اكتافهم وهم يقولون اما تعلمون ان تغلب تغلب وشد على عمير جميل ابن قيس من بنى كعب بن زهير فقتله وقيل بل تقاوى على عمير غلامان من بنى تغلب فرميا بالحجارة وقد أعيياه فاثخناه وكر عليه ابن هوبر فقتله واصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب اوصى بنى تغلب بان يولوا أمرهم مراد بن علقمة الزهيرى وقيل خرج ابن هوبر فى اليوم الثانى من أيامهم هذه الثلاثة واوصى انهم يولوا أمرهم مرادا ومات من ليلته وكان مراد رئيسهم فى اليوم الثالث فعباهم على راياتهم وأمر كل بنى أب ان يجعلوا نساءهم خلفهم فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره قال الشاعر

أرقت بانثاء الفرات وشفنى * نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر

ولم تظلمى ان نحت أم مغلس * قتيل النصارى فى نوائح حسر

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميرا

وان عميرا يوم لاقته تغلب * قتيل جميل لا قتيل ابن هوبر

وكثر القتل يومئذ فى بنى سليم وغنى خاصة وقتل من قيس أيضا يومئذ بشر كثير وبعثت بنو تغلب

وكان اسم الولد المذكور كيخسرو وكان كيكاوس عقيما فقرر الملك لولد ولده (كيخسرو) المذكور ولما ملك كيخسرو وقوى أمره قصد ملك الترك افراسياب طالبا الثار لأبيه سياوش فجرت بينهما حروب كثيرة وظفر كيخسرو بجده افراسياب واوثقه فى حديد ثقيل وو بخه على غدره بأبيه ثم ذبحه وقد غنم غنائم عظيمة فلما استقر فى الملك مدة تزهد وخرج عن الدنيا وترك الملك وعين مكانه اعظم قواده (بهراسب) وفقد كيخسرو وكانت مدة ملكه ستين سنة وكان ذلك فى ايام سليمان بن داود عليهما السلام ثم ملك بعده (بهراسب) ويقال انه ابن أخى كيكاوس فاتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر وكان يجلس عليه وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ الحسناء وسكنها لقتال الترك وكان يحتنصر عاملا من جانبه على العراق والاهواز وعلى الروم وتولى سبعا وخمسين سنة وسبب تسميته يحتنصر انه وجد وهو رضيع عند صنم اسمه نصر ولم يعلم له أبوان وكلبة ترضعه اسمها بخت فسمى باسمهما فلما هلك يحتنصر بعد ما مسخ تولى

رأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فاعطى الوفد وكساهم فلما صالح عبد الملك زفر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الاخطل

بنى أمية قد ناضلت دونكم * أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
وقيس عيلان حتى اقبلوا رقصا * فيا يعوالك قسرا بعد ما قهروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم * وقيس عيلان من اخلافها ضجروا

فى أبيات كثيرة فلما قتل عمير بن الحباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزارى بالكوفة فقال قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب فقال لا بأس انما قتل الرجل فى ديار القوم مقبلا غير مدبر ثم قال

يدى رهن على سليم بغارة * تشيب لها اصداغ بكر بن وائل
وتترك أولاد الفدوكس عالة * يتامى ايامى نهرة للقبائل

(يوم الكحيل)

وهو من أرض الموصل فى جانب دجلة الغربى وسببه انه لما قتل عمير بن الحباب السلمى اتى تميم بن عمير زفر بن الحرث فسأله ان يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار علينا وان ظفروا بتغلب وقد خذلتهم ان ذلك لاشد فاستخلف زفر على قرقيسيا اخاه أوس بن الحرث وعزم على ان يغير على بنى تغلب ويغزوهم فوجه خيلا الى بنى فدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حمران ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل فى جيش الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلى الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل ثم قصد زفر ابنى تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما احست به ارتحلت تريد عبور دجلة فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر فى القيسية فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقر وا بطون نسائهم وغرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف فاتى قتلهم ابى فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الا من عبر فيها وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صبرا فقال زفر

الا يا عين بكى بانسكاب * وبكى عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا * ورهطا من غنى فى الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر * وغرهم فوارس من كلاب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وما عدلوا عمير بن الحباب

وقال ابن صفار المحاربى

ألم ترحو بنا تركت حبيبا * محالفها المذلة والصغار
وقد كانوا أولى عز فأضحوا * وليس لهم من الذل انتصار

وأسر القطامى التغلبى فى يوم من أيامهم وأخذ ماله فقام زفر بامره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه

انى وان كان قومى ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادى
لمثن عليك بما اوليت من حسن * وقد تعرض لى من مقتل بادى

(حبيب الذى فى الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو فى نسب بنى تغلب)

مكانه ابنه اولاق سنة واحدة ثم قتل وتولى مكانه ابنه بلطاش سنتين ثم قتل وانقرضت به ذرية بختنصر وقد ذكرت قصته فى ذكر ارميا عليه السلام وكان بهراسب المذكور رشيد القمع للملوك وكانت ملوك الروم والعرب والهند يؤدون اليه الاتاوة فى كل سنة ويقرون له انه ملك الملوك هيبة له ثم انه كبر سنه واحس بالضعف فتنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه (كيشاشب) وقيل اسمه بشتاسف ولما تولى غضب على بختنصر بسبب تخريبه البلاد وقتله العباد فعزله وعين اقطاعه الى أمير عظيم يقال له كورس ثم أمر باطلاق اسارى بنى اسرائيل فجهزهم الى بيت المقدس وظهر فى ايامه زرادشت الحكيم وهو مؤلف كتاب دين المجوس وكان من تلامذة عزير النبى عليه السلام سمعه وقرأ عليه ثم خالفه فدعا عليه عزير عليه السلام فتجذم ثم الف كتابه المذكور فى اثنى عشر مجلدا كل جلد فى جلد ثور فحمله بحمله واحدة اباح فى كتابه تزويج الام والاخت وأحل شرب الخمر وأمر بعبادة النيران فتوقف

(يوم البشر)

لما استقر الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخطل الشاعر التغلبي وعنده الحجاف بن حكيم السلمي فقال له عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال نعم هذا الذي أقول فيه

ألا سائل الحجاف هل هو ثائر * بقتلي أصيبت من سليم وعامر

وانشد القصيدة حتى فرغ منها وكان الحجاف يأكل رطبا فجعل النوى يتساقط من يده غيظا وأجابه وقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند * وتبكي عمير بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت أظن ان تجترئ علي بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثم قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك وانا لك جار ثم قام الحجاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهدا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال لاصحابه ان أمير المؤمنين قد ولاني هذه الصدقات فمن اراد اللحاق بي فليفعل ثم سار حتى أتى رصافة هشام فاعلم أصحابه ما كان من الاخطل اليه وانه افتعل كتابا وانه ليس بوال فمن كان أحب ان يغسل عني العار وعن نفسي فليصحبني فاني قد أقسمت ان لا اغسل رأسي حتى أوقع في بني تغلب فرجعوا عنه غير ثلثمائة قالوا لنموت بموتك ونحيا بحياتك فسار ليلته حتى صبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر الاخطل وعليه عباءة وسبخة فظنه الذي أسره عبدا فسأله من هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه في جب وخاف ان رآه من يعرفه ان يقتله فلما انصرف الحجاف خرج من الجب واسرف الحجاف في القتل وبقر البطون عن الاجنة وفعل امرا عظيما فلما عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد أوقع الحجاف بالبشر وقعة * الى الله منها المشتكى والمعول

فهرب الحجاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

أيا مالك هل لمتني أو حضضتني * على القتل أم هل لامني كل لائم

ألم أفنكم قتلا واجدع انوفكم * بفتيان قيس والسيوف الصوارم

بكل فتى يعني عمير ابن سيفه * اذا اعتصمت ايمانهم بالقوائم

فان تطردوني تطردوني وقد جرى * بي الورد يوما في دماء الاراقم

نكحت بسيفي في زهير ومالك * نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم

في أبيات ولم يزل الحجاف يتردد في بلاد الروم من طرابزندة الى قالية لا ويعث الى بطانة عبد الملك من قيس حتى اخذ واله الامان فامنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات من قتل واخذ منه الكفلاء وسمى فيما فاتى الحجاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتني خائنا فقال له ولكنك سيد قومك ولك عمالة واسعة فقال لقد الهمت الصدق فاعطاه مائة الف درهم وجمع الديات فاوصلها ثم تنسك بعد وصلح ومضى حاجا فتعلق باستار الكعبة وجعل ينادي اللهم اغفر لي وما اظن تفعل فسمعه محمد بن الحنفية فقال يا شيخ قنوطك اشر من ذنبك وقيل ان سبب عوده كان ان الحجاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال ما ابتغيك رغبة عن الاسلام ولقي الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبروا عبد الملك

كيشاشب عن الدخول في دينه ثم صدقه فدخل في دينه وجرى بين كيشاشب وبين خرزاسب ملك الترك حروب عظيمة قتل بينهما فيها خلق كثير بسبب دخوله في دين زرادشت وكان لكيشاشب ولد يقال له اسفنديار هلك في حياة أبيه وخلف ولدا يقال له اردشير بهمن فلما تولى (اردشير بهمن) المذكور انبسطت يده وتناول الممالك حتى ملك الاقاليم السبعة وراعى وجوه بني اسرائيل واحسن اليهم وكان كريما متواضعا علامة كتبه من اردشير بهمن عبد الله وخادمه والسائس لامركم وغزا رومية في ألف ألف مقاتل ومعه بهمن بالعربية الحسن النية وكان أردشير بهمن متزوجا بابنته جهانى وذلك حلال في دين المجوس فتوفي بهمن وهي حاملة منه بداراب وكانت قد سألت بهمن ان يعقد التاج على ما في بطنها ويخرج ابنه ساسان من الملك فاجابها بهمن الى ذلك واوصى اكابر دولته ففعلوا ذلك وعظم على ساسان تولية اخيه فلحق باصطخر وتزهد وتجرد من حلية الملك واتخذ عصا وتولى رعيها بنفسه وساسان المذكور هو ابو الاكاسرة

انهم هزمهم الخوارج فارسل اليه عبد الملك يؤمنه فسار وقصد البشر وبه حي من بشر وقد لبس اكفانه وقال قد جئت اليكم اعطي القود من نفسي وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فعفر عنه وحج فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الخوارج مازدت على هذا قال فانا الخوارج

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين)

(ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق)

في هذه السنة قتل مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق وسبب ذلك ان عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره وضع السيف فقتل من خالفه فصفا له الشام فلم يبق له مخالف فيه اجمع المسير الى مصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه في ذلك فاشار يحيى بن الحكم بن ابي العاص عمه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى وقال بعضهم ان العام جدب وقد غزوت سنتين فلم تظفر فاقم عامك هذا فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من اشراف العراق يدعونني اليهم وقال أخوه محمد بن مروان الرأي ان تطلب حقك وتسير الى العراق فاني ارجو ان الله ينصرك وقال بعضهم الرأي ان تقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قرشي له رأي ولعلي ابعث من له شجاعة ولا رأي له وانى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يجب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي فلما عزم على المسير ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قائل الله كثير عزة لكانه يشاهدنا حين يقول

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درين بنها

نهنهه فلما لم تر النهي عاقه * بكت وبكى مما عناها فقطنها

وسار عبد الملك الى العراق فلما بلغ مصعبا مسيره وهو بالبصرة أرسل الى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل أحضره عنده فقال لمصعب اعلم ان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعد عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد أبوا ان يسيروا حتى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا أكره اذا سار عبد الملك الي ان لا اسير اليه فاكفني هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف فتوفي بالكوفة واحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلما حضر عنده جعله على مقدمته وسار حتى نزل بانبرا وهي قريب من واسط وهي من مسكن فعسكر هناك وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصروا زفر بن الحرث الكلابي ثم صالحهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسير زفر ابنه الهذيل مع عبد الملك وكان معه ثم لحق بمصعب بن الزبير فلما اصطلحا سار عبد الملك ومن معه فنزلوا بمسكن قريبا من عسكر مصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه و بذل لجميعهم اصبهان طعمة وقيل ان كل من كاتبه طلب منه امرة اصبهان فقال اي

وساست (جماني) المذكورة بعده أحسن سياسة ثم وضعت ولدا سمته داراب وهو ابنها وأخوها وكانت جماني صاحبة رأي وتدبير وعقل وحزم ولم تزل قائمة بأمر الملك ضابطة له واغزت الروم جيشا وظفرت فقمعت الاعداء واشغلتهم عن العاريق الى شئ من بلادها وكان ملكها سبع عشرة سنة ولما بلغ داراب رشده عزلت جماني نفسها وتولى (داراب بن بهمن) الملك فضبطه بشجاعة وحسن سياسة وكان صاحب العزيمة والفزع وولد له ولد سماه داراب باسمه وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة وتولى الملك بعده ابنه (داراب بن داراب) وكان حقودا ظالما فتنفرت منه قلوب الخاصة والعامة وفي زمنه تملك الاسكندر بن فيلقوس المشهور مملكة فارس لانه عرف بوحشة خواطر أصحاب داراب منه فقصده بجيشه فلحق بالاسكندر لما دنا من داراب بعض من يختص بداراب وشكوا اليه من داراب وشجعوه عليه وطال بينهما القتال وذكر الشيخ جمال الدين بن الجوزي في شرح القصيدة العبدونية ان الاسكندر ذا القرنين

شئ اصبهان هذه حتى كلهم يطلبها فكل منهم اخفى كتابه الا ابراهيم بن الاشتر فانه أحضر كتابه عند مصعب مختوما فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال له مصعب أتدرى ما فيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وان هذا ما يرغب فيه فقال ابراهيم ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه مني واقد كتب الى اصحابك كلهم مثل الذى كتب الى فاطعني واضرب اعناقهم قال اذا لا يناصحني عشائرهم قال فاوقرهم حديدا وابعث بهم الى ابيض كسرى واحبسهم هنالك ووكل بهم من ان غلبت وتفرقت عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرت منيت على عشائرهم باطلاقهم فقال انى لفى شغل عن ذلك فرحم الله أبا بحر يعنى الاحنف بن قيس ان كان ليحذرنى غدر أهل العراق ويقول هم كالموسة تريد كل يوم بعلا وهم يريدون كل يوم أميرا فلما رأى قيس بن الهيثم ما عزم أهل العراق عليه من الغدر بمصعب قال لهم ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان ارسله فى حاجة ولقد رأينا فى الصوائف وان زاد أحدنا على عدة اجمال وان الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه فلم يسمعوا منه فلما تداني العسكران أرسل عبد الملك الى مصعب رجلا من كاب وقال له أقرئ ابن أختك السلام وكانت أم مصعب كلبية وقل له يدع دعاءه الى أخيه وادع دعائى الى نفسى ويجعل الامر شورى فقال له مصعب قل له السيف بيننا فقدم عبد الملك اخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل صاحب لواء محمد وجعل مصعب يدا براهيم فازال محمدا عن موقفه فوجه عبد الملك عبد الله بن يزيد الى اخيه محمد فاشتد القتال فقتل مسلم بن عمرو الباهلى والدقيشية وهو من اصحاب مصعب وامده مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلت له لا تعدنى بعتاب وضربائه وانا لله وانا اليه راجعون فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلما انهزم صبر ابن الاشتر فقتل قتله عبيد بن مسيرة مولى بنى عذرة وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشام فقاتلهم مصعب وقال لقطن بن عبد الله الحارثى قدم خيلك أباعثمان فقال اكره ان تقتل مذحج فى غير شئ فقال لحجار بن أبجر يا أبا أسيد قدم خيلك قال الى هؤلاء الاتتان قال ما تتأخر اليه انتن فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك فقال ما فعل أحد هذا فافعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه فقال له اخبرنى عن الحسين بن على كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فاخبره فقال

الا ان لى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت انه لا يبرح حتى يقتل ثم دنا محمد بن مروان من مصعب وناداه انا ابن عمك محمد ابن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين بمكة يعنى أخاه عبد الله بن الزبير قال فان القوم خاذلوك فابى ما عرض عليه فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له فقال له مصعب أنظر ما يريد منك فدنا منه فقال له انى لك ولا يلك ناصح ولكما الامان فرجع الى ابيه فاخبره فقال انى أظن القوم يفون لك فان احببت ان تأتيهم فافعل فقال لا تتحدث نساء قريش الى خدلتك ورغبت بنفسى عنك قال فاذهب أنت ومن معك الى عمك بمكة فاخبره بما صنع اهل العراق

ودعنى

قد منع داراب من حمل الجزية التى كانت تعطيها الملوك بزمانه وكانت الملوك تحمل الجزية فى كل سنة وتؤديها الى ملك فارس وذلك مائة بيضة ذهبا وزن كل بيضة ألف مثقال فلما أظهر الاسكندر منع ذلك وهو ان يؤدى الى ملوك فارس ما كان غيره يحمله فخرج داراب لقتاله فالتقيا بنصيبين من بلاد الجزيرة فاقتتلا سنة كاملة وكان داراب قد ملك قومه واحبوا الراحة منه فلحق كثير منهم بالاسكندر واطاعوه على عورته وقووه عليه ثم وثب على داراب حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه الى الاسكندر فامر الاسكندر بقتلهما وقال هذا جزاء من يتجرأ على استاذه وصار ملك داراب الى الاسكندر بن فيلقوس اليونانى وفى شرح رسالة ابن زيدون ان الاسكندر لما امتنع من ارسال الاتاوة لداراب بعث اليه كرة وصولجانا وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبى فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم واتيت بك فى وثاق فكتب اليه الاسكندر اما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان

ودعني فاني مقتول فقال لا اخبر عنك قريشا أبدا ولكن يابت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة أو الحق بامير المؤمنين فقال مصعب لا تتحدث قريش أني فررت وقال لابنه عيسى تقدم اذن احتسبك فتقدم ومعه ناس فقتل وقتلوا وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فحمل عليه مصعب فقتله وشد على الناس فانشرجوا له وعاد ثم حمل ثانية فانفرجوا له وبذل له عبد الملك الامان وقال انه يعز علي أن تقتل فاقبل امانى ولك حكمك فى المال والعمل فابى وجعل يضارب فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممنا هر بالولا مستسلما

ودخل مصعب سرادقه فحنظ ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة فقال له يا كاب اعزب مثلي يبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه فرجع وعصب رأسه وترك الناس صعبا وخذلوه حتى بقي فى سبعة انفس وأثخن مصعب بالرمي وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنع شيأ لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله وقيل بل نظر اليه زائدة بن قدامة الثقفي فحمل عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك فألقاه بين يديه وانشد

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

فلما رأى عبد الملك الرأس سجد قال ابن ظبيان لقد هممت ان اقتل عبد الملك وهو ساجد فأكون قد قتلت ملكي العرب وارحت الناس منهما وقال عبد الملك لقد هممت ان أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال لم اقتله على طاعتك وانما قتلته على قتل أخي النابي بن زياد ولم يأخذ منها شيأ وكان قتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا وقال كانت الحرمة بيننا قديمة ولكن الملك عقيم وكان سبب قتل النابي أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا عند مطرف بن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابي وضرب النميري وأطلقه فجمع عبيد الله جمعا وقصد مطرفا بعد أن عزله مصعب عن شرطته وولاه الاهواز وسار عبيد الله الى المطرف فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف فى طلب عبيد الله فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك وقيل فى قتله غير ذلك فلما أتى عبد الملك برأس مصعب نظر اليه وقال متى تغذو قرشية مثلك وكانا يتحدثان الى حبى وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وابأبي القاتل والمقتول ثم دعا عبد الملك بن مروان جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتى دخل الكوفة فأقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة فوعد المحسن وتوعد المسيء فقال ان الجامعة التي وضعت فى عنق عمرو بن سعيد عندي والله لا اضعها فى عنق رجل فانتزعها الا صعدا لا افكها عنه فكا فلا ينقين امرؤ الا على نفسه ولا يبلغن دمه والسلام ودعا الناس الى البيعة فبايعوه فحضرت قضاعة فقال لهم كيف سلمتم وأنتم قليل مع مضر فقال عبد الله بن يعلى النهدي نحن أعز منهم وامنع لك وبمن معك منا ثم جاءت مذحج فقال ما أرى لاحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ

والصولجان فان الدنيا مثل الاكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكي واما السمسم فقد تبنت أيضا به فانه بعيد من الحرافة والمرارة واما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه فصار من أمره ما صار والله أعلم (الطبقة الثالثة الاشغانية) وهم ملوك الطوائف وكان من أمرهم ان الاسكندر لما غلب على الفرس واسر ملوكهم وعظماءهم قتل منهم جماعة واراد قتل الباقين عن آخرهم فمنعه ارسطاليس وقال له الرأى ان تملك عدة منهم على الفرس فيقع بينهم التشاجر والتباغض فلا يجتمعون فتأمن اليونان غائلتهم فمال الاسكندر الى ذلك وملك من كبار الفرس عشرين ملكا على الفرس وهم المسمون بملوك الطوائف واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتي عشرة سنة حتى قام اردشير بن بابك وجمع ملك الفرس ولم يبق منهم ملك غيره وكانت عدة ملوك الطوائف تزيد على تسعين ملكا ولم يؤرخ فى مبتدا امرهم اسماؤهم ولا عدد

ثم جاءت جعفى فقال ائتوني بابن اختكم يعني يحيى بن سعيد وكانت امه من جعفى فقالوا هو آمن فقال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم انا ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال نعم انتم الحي ان كنتم لفرسانا في الجاهلية ليحضرنهم وآمن فأتوه به فبايعه ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلا جميلا وسيما فقال عبد الملك

عذيرا الحي من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالفرض

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايه فقال لا أدري فقال معبد بن خالد الجدلي وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز الحج * بالسنة والفرض
وهم من ولدوا سنوا * سيرا النسب المحض

فأقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال من هو فقال لا أدري فقال معبد من ورائه هوذ والاصبع فأقبل على الجميل فقال لم تسمى ذا الاصبع فقال لا أدري فقال معبد لان حية نهشت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه قال لا أدري فقال معبد حرثان بن الحرث فقال للجميل من أيكم هو قال لا ادري فقال معبد من بني ناج ثم قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلاثمائة فقال لكاتبه اجعل معبدا في سبعمائة وانقص من عطاء هذا أربعمائة ففعل ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحق بن الاشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان وأقبل دواد بن قحذم في جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريره فاقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءني ما اعطاني أحد منهم طاعة ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشر بن مروان ثم استعمل محمد بن عمير الهمداني على همذان ويزيد بن رويم على الري ولم يف لاحد شرط له اصبهان وقال على بهؤلاء الفساق الذين امعلوا الشام وافسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسري قد لجأ الى علي بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى ابن معيوف الهمداني ولجأ الهذيل بن زفر بن الحرث وكان مع عبد الملك على ما ذكره عمرو بن يزيد الحكمي الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهروا فصنع عمرو بن حريث لعبد الملك طعاما كثيرا وأمر به الى الخورنق واذن اذنا عاما فدخل الناس وأخذوا مجالسهم فدخل عمرو ابن حريث فاجلسه معه على سريره ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما الذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا اميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك في القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما

ملوكهم فانهم كانوا ملوكا صغارا في الاطراف ولم يشتهر منهم الا الاشغانية فضبط أصحاب السير والتواريخ ايامهم وعدد ملوكهم واساميهم فاول من اشتهر منهم (اشغا بن اشغان) ويقال اشك بن اشكان وكان أول ملك اشغا المذكور لمضي مائتين وأربعين سنة من غلبة الاسكندر وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعده (شابور بن اشغان) ستين سنة وكان مولد المسيح عليه السلام في بضع وأربعين سنة خلت من ملك شابور فلما هلك ملك بعده (جور ابن اشغان) وقيل جودرز عشرين سنة فلما هلك ملك بعده (يزن الاشغاني) احدى وعشرين سنة وهلك ثم ملك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة وهلك ثم ملك بعده (ترسى الاشغاني) أربعين سنة وقال يوم ملك اني محب ومكرم من انفذ امري وهلك ثم ملك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة سنة وقال يوم ملك يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير ثم هلك وملك بعده (اردوان الاشغاني) اثنتي عشرة سنه وهلك لمضي اربعمائة وسبع

فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى * وكأن ماهو كائن قد كان

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسير مصعب اقتتال عبد الملك قال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلب قيل لا استعمله على الخوارج قال امعه عباد بن الحصين قيل استخلفه على البصرة قال وأنا بخراسان

خذيني فجزيني جعار وأبشري * بلجم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولما قتل مصعب بعث عبد الملك رأسه الى الكوفة أو حمله معه اليها ثم بعث به الى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما رآه وقد قطع السيف انفه قال رحمك الله اما والله لقد كنت من أحسنهم خلقا واشدهم بأسا واسخاهم نفسا ثم سيره الى الشام فنصب بدمشق وأرادوا ان يطوفوا به فى نواحى الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رضيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به فى المدن هذا بغى وكان عمر مصعب حين قتل ستا وثلاثين سنة قال يوما عبد الملك لجلسائه من أشد الناس قالوا امير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عمير بن الحباب قال قبح الله عميرا الص ثوب ينازع عليه اعز عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال ان للحرورية لطريقا قالوا فمن قالوا مصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثم هو أكثر الناس مالا جعلت له الامان وولاية العراق وعلم انى سأفى له للمودة التى كانت بيننا فحمى انفا وأبى وقاتل حتى قتل فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ قال كان ذلك قبل ان يطلب المروأة فاما مذ طلبها فلو علم ان الماء ينقص مروأته ماذاقه قال الاقشر الاسدى

حمى انفه ان يقبل الضيم مصعب * فمات كريما لم تذم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه * فعاش ملوما فى الرجال طرائقه
ولكن مضى والبرق يبرق خلفه * يشاوره مرا ومرا يعانقه
فولى كريما لم تنله مذمة * ولم يك رعدا تطيبه فمارقه

وقال عرفجة بن شريك

مالابن مروان اعمى الله ناظره * ولا أصاب رغيبات ولا نفلا
يرجو الفلاح ابن مروان وقد قتلت * خيل ابن مروان حرفا ماجدا بطلا
يا ابن الحوارى كم من نعمة لكم * لو رام غيركم أمثالها شغلا
حملتم فحملتم كل معضلة * ان الكريم اذا حملته حملا

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزبير بفتح الزاى وكسر الباء)

سأبكى وان لم تبك فتيان مذحج * فتاها اذا الليل التمام تأوبا
فتى لم يكن فى مرة الحرب جاهلا * ولا بمطيع فى الوغى من تهيبا
ابان انوف الحى قحطان قتله * وانف نزار قد أبان فأوعبا
فمن يك امسى خائنا لاميره * فخان ابراهيم فى الموت مصعبا

وحين قتل مصعب كان المهلب يحارب الازارقة بسولاف بلد بفارس على شاطئ البحر ثمانية أشهر فبلغ قتله الازارقة قبل المهلب فصاحوا باصحاب المهلب ماقولهم فى مصعب قالوا أمير هدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده (خسروالاشغانى) أربعين سنة وقال يوم ملك تسطع نارى مادامت مضطرمة ثم هلك وملك بعده (بلاش الاشغانى) اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (اردوان الاصغر) ثلاث عشرة سنة وظهر امر أردشير بن بابك وقتل اردوان وغيره من الاردوانيين واجتمع له ملك جميع الطوائف فيكون انقضاء ملك اردوان لمضى خمسمائة واثنتى عشرة سنة للاسكندر (الطبقة الرابعة الساسانية) وهم الاكاسرة أولهم (اردشير ابن بابك) وهو ولد ساسان بن ازدشير بن من المقدم ذكره وساسان المذكور هو الذى تزهد لما اخرجه أبوه من الملك وجعله للدارا قبل ولادته حسبما تقدم وعدة ملوك الساسانية من اردشير الى يزدجرد المقتول فى زمن عثمان رضى الله عنه ثلاثون ملكا منهم امرأتان وقيل اثنان وثلاثون واردشير هذا هو أبو الملوك الساسانية جميعا وكان شجاعا عارفا طويل الفكر وكان ينزل اصطخر وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاختلاع فمنهم من اقر له بالطاعة ومنهم من تربص

وهو ولينا في الدنيا والآخرة ونحن أولياؤه قالوا فما قولكم في عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو أحل دمائكم قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وستجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فصاح بهم الخوارج يا اعداء الله ما تقولون في مصعب قالوا يا اعداء الله لا نخبركم وكرهوا ان يكذبوا أنفسهم قالوا وما قولكم في عبد الملك قالوا خليفتنا ولم يجدوا بدا اذ يابعوه ان يقولوا ذلك قالوا يا اعداء الله أنتم بالامس تبرؤن منه في الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل أميركم الذي كنتم تولونه فايهما المهتدي وأيهما المبطل قالوا يا أعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولى أمرنا ويرتضي بهذا قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وعبيد الدنيا وأما عبد الله ابن الزبير فلما انتهى اليه قتل أخيه مصعب قام في الناس فخطبهم فقال الحمد لله الذي له الخلق والامر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الا وانه لم يذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعز من كان وليه الشيطان وان كان الناس معه طرا الا وانه قد أتانا من العراق خبر احزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمه الله وأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة واما الذي أحزننا فان افتراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوي بعدها ذوو الرأي الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من اعواني الا وان أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فيه والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص والله ما قتل رجل منهم في زحف في الجاهلية ولا في الاسلام ولا نموت الا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الا على الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها اخذ البطر وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم (حجار بن ابجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحبي بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة المالة وآخره ياء مثناة من تحتها وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي)

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة)

وفي هذه السنة تنازع ولاية البصرة حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة فقال ابن أبي بكرة أنا أعظم منك كنت انفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الاهيم فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران منزلة عند بني أمية وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكرة اليها خليفة له فلما قدم على حمران قال قد جئت لاجئت فكان عبيد الله عليها حتى قدم خالد ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد الى الشام

(ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث)

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب في استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفي طاعته فلما مات مروان بن الحكم وولي ابنه عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبي معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر فسار اليه

حتى قدم عليه ومنهم من عصاه فلما غلب عليهم لم يبق أحد منهم الا من اخفى نفسه وكان قد أخذ في جملة من اخذ منهم ابنة الملك تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال فلما رآها قال لها انت من بنات ملوكهم قالت بل من خدمهم وكان اردشير قتل اباها وأخاها فاتخذها لنفسه واصطفاها فحملت منه فلما علمت بالحمل اشهرت نفسها وقالت أنا ابنة الملك فخاف اردشير من ضرره الثلاثة تذكر قتلاها فيستولي طلب الثار عليها فامر شيخا من رجاله يقال له جندبان بأن يودعها بطن الارض اشارة الى قتلها فحملها الى منزله ووقع في صعب الامر ومشكله ثم تدبر في المآل وناداته ربة الجمال مهلا أيها الناصح المشير ذو الراي والتدبير هبني انا اخطأت وعن مرضاة الملك ابطأت فما ذنب الذي في بطني المودع من الملك ولم يجن فامهلني الى ان اضع ثم تهلك الام ويبقى التبع وانه لا بد اذا برد قلبه وهمد كربه يطالبك بالفرع ان لم يطلب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل فرأى الشيخ المشير الرأي في إلقائها خسيرا فعمل لها سربا

وعلى مقدمته عبد الله بن زميت الطائى فواقع عبد الله زفر قبل وصول أبان وكثر فى اصحابه القتل فقتل منهم ثلثمائة فلامه أبان على عجلته وأقبل ابان فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر وادركت طيئ ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن نمير النساء والحقهن بزفر بقرقيسيا فقال زفر

علقن بجبل من حصين لوانه * تغيب حالات دونهن المصائر
أبوكم أبونا فى القديم وانتى * لغابركم فى آخر الدهر شاكر

وكان يقال لزفر انه من كندة ثم ان عبد الملك لما اراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فأمر زفر أن ينادى فى عسكر عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق قال لنقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم وثلمت المجنيق من المدينة برجا مما يلى حريث بن بحدل فقال زفر

لقد تركتنى منجنيق ابن بحدل * احيد عن العصفور حين يطير

وكان خالد بن يزيد بن معاوية يجد فى قتالهم فقال رجل من أصحاب زفر من بنى كلاب لاقوان لخالد كلاما يعود عما يصنع فلما كان الغد خرج خالد للصحار به فقال له الكلابى

ماذا ابتغاء خالد وهمه * اذ سلب الملك ونيكت أمه

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم وقالت كلاب لعبد الملك انا اذا القينا زفر انهزمت القيسية الذين معك فلا تخلطهم معنا ففعل فكتبت القيسية على نبلها انه ليس يقاتلكم غدا مضرى ورموا النبل الى قرقيسيا فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنى وقيل كان يكنى ابا الكوثر فقال اخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لاقتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا فقبل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط افعلت فقال زفر

ألا لا ابالى من أتاه حمامه * اذا ما المنايا عن هذيل تجلت
تراه أمام الخيل أول فارس * ويضرب فى أبجازها ان تولت

ولما لم يرج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم واقبل روح بن زنباع الجذامى الى برج منها فسأل أهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يقتل منا أحد ولم يجرح الا رجلى واحد ولا بأس عليه ثم قالوا نشدناك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع روح الى عبد الملك وقال ان ابن بحدل يمنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل وكان رجل من كلب يقال له الذيال يخرج فيسب زفر فيكثر فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه اما تكفينى هذا قال انا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادى من يعرف بغلا من صفته كذا وكذا حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل ردا الله عليك ضالتك فقال يا عبد الله انى قد عييت فلو أذنت لى فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل

تحت الارض وجعلها نبية ثم عمد الى مذاكيره فجبها ووضعها فى حق وختم عليه ورجع الى الملك وقال قد أودعتها بطن الارض ودفع اليه الحق وقال ان لى فيه وديعة وتضرع اليه ان يرفعها له واقامت الجارية الى ان أخذت مدتها النبية فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فسماه ذلك الشيخ سابور واقام بتربيته واصلاح رضاعه واغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين فركب كسرى ازدشير فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا نفر ووقع ازدشير فى ناحية منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا فهجم عليهما فلما قصدهما تركا ولدهما نفوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت امه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كيد القوس بكيدها فاراد اطلاق السهم من الكبد المصيب به نحر أم الولد فاعترضه الفعل بصدره وتلقاه دون نحرها وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداها بروحه وحسده فتذكر

والرجل وحده فى خبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فايقظه وقال والله لئن تكلمت لاقتلنك قتلة أوسلت فماذا ينفعك قتلى اذا قتلت أنت ولئن سكت وجئت معى الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد ان يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو ينادى من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فاعلمه انه قد أمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن وبعث معه رجلا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه أهل العسكر عرفوه واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يعدم الله رجلا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم لحسرة وكف الرجل فلم يعد بسبب زفر وقيل انه هرب من العسكر ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمدا ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على انفسهما ومن معهما ومالهم وان يعطيا ما احبا ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل وكلم أباه وقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار فى بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير فبينما الرسل تختلف بينهما اذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة ابراج فقال عبد الملك لاصاحبهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى ادخلوهم عسكرهم فقال اعطوهم ما أرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا الكان احسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له فى عنقه وان يعطى مالا يقسمه فى أصحابه وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فأرسل اليه بقضيب النبى صلى الله عليه وسلم امانا له فنزل اليه فلما دخل عليه اجلسه معه على سريره فقال ابن عضاة الاشعرى أنا كنت احق بهذا المجلس منه فقال زفر كذبت هنالك انى عاديت فضربت واليت فنفعت ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت انه فى هذه القلة لحاصرته أبدا حتى ينزل على حكمى فبلغ قوله زفر فقال ان شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفى لك يا أبا الهذيل وقال له عبد الملك يوما بلغنى انك من كندة فقال وما خير من لا يبغى حسدا ولا يدعى رغبة وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن لاخويها الهذيل والكوثر فى أول الناس وأمر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له أنت لا عهد عليك فسار معه فلما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلما قتل ابن الاشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه كما تقدم

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية فى قول الواقدى وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبيد الله بن عوف وهو آخر وال كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير وفى امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة ويزيد بن مفرغ الحميرى الشاعر بها أيضا وعبد الله بن أبى حدرد الاسلمى شهد الحديبية وخيبر وفى ايامه مات شتير بن شكل القيسى الكوفى وهو من اصحاب على وابن مسعود (شتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وشكل بفتح الشين المعجمة والنكاف وآخره لام)

ازدشير ولده وامه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يده ورجع متفكرا وعلى ما فرط منه متحسرا ودعا الشيخ وذكر له ذلك النكد وما رآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتأرق لمصاب فلذة كبده ولم يكن له ولد ولا من يرث الملك بعده احد ثم دعا له الشيخ وانصرف وعمى جملا من الهدايا والتحف والبس ابن الملك الخز ملبوس رجهزا مه كما يجهز العروس واقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال متعك الله بهما ومتعهما بك فسر صدر ازدشير بذلك وانشرح وانجلى عليه من شدة الفرح فدعا الشيخ بالحق المودع عند الملك فقص خاتمه فاذا فيه مذاكير الشيخ وكتاب يقول فيه لما أمرنى الملك بقتل المرأة التى علقت من ملك الملوك ازدشير لم ار أن ابطل زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما امرنى فبرئت اليه من نفسى لئلا يجد عائب الى عيبنا سبيلا فاعجب الملك منه ذلك وافاض عليه خلع الانعام والرضا والاكرام فعند ذلك

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين)

(ذكر أمر الخوارج)

لما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبد الله على البصرة فلما قدمها خالد كان المهلب يحارب الازارقة فجعله على خوارج الاهواز ومعونتها وسير أخاه عبد العزيز بن عبد الله الى قتال الخوارج وسير معه مقاتل بن مسمع فخرج اليطلبان الازارقة فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير مهلا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مقاتل بن مسمع حتى قتل وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف فجاء رجل من قومها من رؤس الخوارج فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم وضرب عنقها ولحق بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا والله ما ندري انحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وانتهى عبد العزيز الى رامهرمز وأتى المهلب خبره فارسل اليه شيخا من الازد وقال له ان كان منهزما فعزه فاتاه الرجل فرآه نازلا في نحو ثلاثين فارسا كئيبا حزينا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلب بالخبر فارسل المهلب الى أخيه خالد بن عبد الله يخبره بهزيمته فقال للرسول كذبت فقال والله ما كذبت فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فاعطني جبتك ومطرفك قال قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه وأحسن اليه حتى صح خبر الهزيمة قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القرى باصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم * فارجع بعار في الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكي العيون برنة وعويل

فكتب خالد الى عبد الملك يخبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فاخبرني انه عامل على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة المقاسي للحرب ابنها وابن ابنائها أرسل الى المهلب يستقبلهم وقد بعثت الى بشر بالكوفة ليمدك بجيش فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام وكتب عبد الملك الى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم سار وا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فكتب له عهدا على الري عند الفراغ من قتاله وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمن ابن محمد في أهل الكوفة وجاءت الازارقة حتى دنوا من الاهواز فقال المهلب لخالد اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فانهم سيحرقونها فلم يفض الاساءة حتى ارسلوا اليها فاحرقوها وجعل خالد المهلب على ميمنته وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة وصير المهلب على عبد

امر الملك ازدشير بعقد التاج لولده وكان لسانهم الفهلوي وهي من اللغات التي لم يبق لها مترجم وكان ازدشير من اهل العقل والمعرفة وله اشياء رتبها واقتدى بها المتأخرون من الملوك وكان قد رتب أصحابه على ثلاث طبقات الطبقة الاولى على نحو من عشرة اذرع مجلسهم من مجلسه وهم بطانته وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم والطبقة الثانية على نحو من عشرة اذرع من هؤلاء وهم وجوه المرازبة والطبقة الثالثة على مقدار عشرة اذرع من الثانية وكان يقول ما من شئ أضر على نفس ملك او رئيس من معاشرة سخيف او مخالطة لئيم كما ان الريح اذا مرت بطيب حملت طيبا تحيا به النفوس وكان مدة ملك ازدشير اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ثم ملك بعده ابنه (سابور) المقدم ذكره احدى وثلاثين سنة وكان جميل الصورة حازما وظهر في ايامه مانى الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وكان جمع له كتب فلسفة لليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية فرجع سابور عن مذهب المجوسية الى مذهب

الرحمن بن محمد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال هم اهون علي من شرط الجمل قال لا يهجونا عليك فانهم سباع العرب ولم يبرح المهلب حتى خندق عبد الرحمن عليه فأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم زحف خالد اليهم بالناس فرأوا أمراهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون طاقة بقتال جماعة الناس فأرسل خالد داود بن محذم في آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك فلما وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى أخيه بشر يأمره ان يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس في طلب الازارقة ويأمر صاحبه بموافقة داود بن محذم ان اجتمعا فبعث بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فساروا حتى لحقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هلكت خيول عامتهم واصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة الى الاهواز وفي هذه السنة كان خروج ابي فديك الخارجي وهو من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الاهواز وأمر ابي فديك فبعث اخاه امية بن عبد الله في جند كثيف الى ابي فديك فهزمه ابو فديك واخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك

(ذكر قتل عبد الله بن خازم)

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي التميمي بنيسابور فكتب عبد الملك الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له ويطمعه خراسان سبع سنين وارسل الكتاب مع سوادة بن اشتم النميري وقيل مع مكمل الغنوي فقال ابن خازم لولا ان اضرب بين سليم وعامر لقتلتك ولكن كل كتابك فاكله وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميري وقيل مع مكمل الغنوي فقال له ابن خازم انما بعثك ابو الذبان لانك من غني وقد علم اني لا اقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو يعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك فاجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف ان يأتيه بكير فيجتمع عليه اهل مرو واهل نيسابور فترك بحيرا واقبل الى مرو ويزيد ابنه بترمذ فاتبعه بحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقتل ابن خازم وكان الذي قتله وكيع بن عمرو القريعي اعنره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلته قال غلبته بنصل القناة فلما صرع قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت بالثارات دويلة وهو اخو وكيع لامه قتل في بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله أتقتل كبش مضر باخيك وهو لا يساوي كفا من نوى او قال من تراب قال فما رأيت اكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم الى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالراس وبعث بحير بكير ابن وشاح في اهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فاراد اخذ الراس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وحبسه وسير الراس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذي قتله فلما قدم الراس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ما هذا قال لا ادري وما فارقت القوم حتى قتل ابن

مانى والقول بالنور والبراءة من الظلمة ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية والحق مانى بارض الهند لاسباب اوجبت ذلك ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن سابور) سنة واحدة وستة اشهر وكان عظيم الخلق شديد القوة وكان يلقب هرمز البطل لشجاعته وبنى مدينة هرمز من كور الاهواز ثم ملك بعده ابنه (بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وثلاثة اشهر وكانت له حروب مع ملوك الشرق واتبع سيرة آبائه في حسن السياسة والرفق بالرعية ويقال انه اتاه مانى يعرض عليه مذهبه فصلبه على باب من ابواب المدينة وقتل الرؤساء من اصحابه ثم ملك بعده ابنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة فاقبل في اول ملكه على القصف واللهو والنزهة والصيد لا يفكر في ملكه ولا رعيته واقطع الضياع لخواصه وخدمه فخربت البلاد وقل مافي بيوت الاموال وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فلما ان كان في بعض الايام ركب الى بعض نزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء

خازم وقيل ان ابن خازم انما قتل بعد قتل عبد الله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى أهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف ان لا يطيع عبد الملك أبدا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(ذكر عدة حوادث)

كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان فى قول بعضهم بكير بن وشاح وفى قول بعضهم عبد الله بن خازم وفى هذه السنة مات عبيدة السلمانى وهو من أصحاب على (عبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحدة)

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين)

(ذكر قتل عبد الله بن الزبير)

لما بويع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عروة بن أثيف فى ستة آلاف من أهل الشام وأمره ان لا يدخل المدينة وان يعسكر بالعرصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحى فهرب الحرث وكان ابن أثيف يدخل ويصلى بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فاقام شهرا ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحدا وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومن معه وكان يصلى بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظى ثم عاد الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقى الانصارى وكان رجلا صالحا عاملا على خيبر وفدك فنزل فى عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم وقيل اسمه عبد الملك وهو أصح فى أربعة آلاف فسار حتى نزل وادى القرى وسير سرية عليها أبو القمقام فى خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلا مسلما صالحا بغير ذنب وعزل ابن الزبير الحرث واستعمل مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهرى فوجه جابرا أبا بكر بن أبى قيس فى ستمائة فارس وأربعين فارسا الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم أصحاب أبى القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلا فقتلوا صبرا وقيل بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ووجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره ان ينزل بين أيلة ووادى القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسد خلال ان ظهر له فوجه طارق الى أبى بكر خيلا فاقتتلوا فاصيب أبو بكر فى المعركة واصيب من أصحابه أكثر من مائتى رجل وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع ايام كان عامله على البصرة يأمره ان يرسل اليه الفى فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجه اليه الفى رجل فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسير جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقا الخبر فسار نحوه فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلا ذريعا وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع طارق الى وادى القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذى يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة

فدعا بالموبذان لامر خطر له فجعل يحادثه فانتهى بهم المسير الى خرابات كانت من أمهات القرى قد خربت فى ملكه لا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك هل ترى أحدا من الناس أعطى فهم كلام هذا الطائر فقال الموبذان أنا أيها الملك ممن خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما يقول فقال هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى وهو يقول لها متعينى نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى ويبقى لنا فى العالم عقب يذكرون الله تعالى ويكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى دعوتنى اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر الا انى اشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه منى قالت ان تعطينى من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك

حتى أخرجه طارق فلما قتل عبد الملك مصعبا وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في الفين وقيل في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في تسييره دون غيره انه قال لعبد الملك قد رأيت في المنام اني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني اليه وولني قتاله فبعثه وكتب معه اما بعد فان ابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار في جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير أيضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتفرق اصحابه ويستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة وكان مع ذلك شديدا على أهل الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة آلاف وأما الحجاج فانه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجه فنزل بئر ميمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بدنه بمكة ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد ابن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل في دينه وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل الى الحجاج ان اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت ووردت الله من اقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد وأول ما رمى بالمنجنيق الى الكعبة ارعدت السماء وابرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فاخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم فلما اصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا فلما كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج الا ترون انهم يصابون وانتم على الطاعة وهم على خلافها وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف وكان أهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا * وطالما عنيتنا اليكا * لتجرين بالذي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا قد منا للقتال معك فنظر فاذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من عنده فقال يا معشر الاعراب لا قر بكم الله فوالله ان سلاحكم لرث وان حديثكم لغث وانكم لقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا ولم يزل

القتال

السعيد أقطعتك مما يخرب ألف قرية فما تصنعين بها قالت في اجتماعنا ظهور الفسل وكثرة الولد فنقطع كل ولد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر اردتيه وايسر شئ طلبتيه مني وقد مضى لك الوعد وانا ملي ء ثقة بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وخلا بالموبذان فقال ايها الملك ان الملك لا يتم الا بالشريعة ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قيام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين البرية نصبه الرب وجعله قيما وهو الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الصناع من الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة فانتظم ملكه حتى كانت ايامه تدعى بالاعياد لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل وكانت الفرس تهدي الى

القتال بينهم دائما فغلت الاسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الدرة بعشرين درهما وان بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الا ما يمسك الرمق ويقول أنفس أصحابي قوية مالم يفن فلما كان قبيل مقتله تفرق الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالامان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممن فارقه ابناه حمزة وخبيب أخذا لانفسهما امانا فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك أمانا كما فعل أخواك فوالله اني لاحب بقاءكم فقال ما كنت لارغب بنفسي عنك فصبر معه فقتل ولما تفرق اصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فلما رآهم الحجون الى الابواء فدخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق والى الحق تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فقال يا اماه أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني قالت يا بني ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيي والذي خرجت به داعيا الى يومي هذا ما كرهت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكني أحببت ان أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا اماه فاني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلي الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد اثما ولا منكرا ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لامي حتى تسلوني فقالت أمه لا ارجو ان يكون عزائي فيك جميلا ان تقتلتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعي الدعاء لي قالت لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بابيه وبي اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يديها ليقبلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت موتعا لاني أرى هذا آخر ايامي من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن مني حتى اودعك فدنا منها فعانقها وقبلها فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا اصنع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لاشتد متنك قالت فانه لا يشد متني فنزعها ثم درج كميه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثياب مشمرة فخرج وهو يقول

انى اذا اعرف يومي أصبر * وانما يعرف يومه الحر * اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب فحمل على

الكعبة اموالا وجواهر وقد كان ساسان اهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا فقدفه في زمزم فوصل ذلك لعبد المطلب ثم ملك بعده (هرام بن هرام بن هرام) فكان مدة ملكه أربع سنين واربعة اشهر وسلك سبيل آبائه من العدل والسياسة وهو الذي يقول له نهنشاه ثم ملك بعده اخوه (ترسى بن بهرام) تسع سنين ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن ترسى) تسع سنين ايضا ولما مات هرمز لم يكن له ولد وكانت بعض نسائه حاملا فعقد التاج على ما في بطنها فولدت ولدا سموه (سابور) فلما اشتد ظهرت منه نجابة عظيمة من صباه فكان اول ما ظهر منه انه سمع ضجيج الناس بسبب الزحمة على الجسر الذي على دجلة بالمدائن فقال ما هذه الجلبة فقيل بسبب زحام المارين على الجسر فامر ان يعمل الى جانب الجسر جسر آخر يكون احد الجسرين للخارجين والآخر للداخلين ففعلوه وزال الزحام وكان سنه اذ ذاك خمس سنين فتعجب الناس من نجابته وفي ايام صباه طمعت

أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه لو لحقت بموضع كذا قال بئس الشيخ انا اذا فى الاسلام ابن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها *

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلا من أهل كل بلد فكان لاهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بنى شيبة ولاهل الاردن باب الصفا ولاهل فلسطين باب بنى جمح ولاهل قنسرين باب بنى تميم وكان الحجاج وطارق من ناحية الابطح الى المروة فترة يحمل ابن الزبير فى هذه الناحية ومرة فى هذه الناحية فكانه أسد فى أجمة ما يقدم عليه الرجال بعد وفى أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال أو كان قربى واحدا كفيته فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف اى والله والف فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم فانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بنى شيبة وصار العلم بايدى أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلا من أهل الشام وقال خذها وانا ابن الحوارى وضرب آخر وكان حبشيا فقطع يده وقال اصبر أبا جمعة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول

انا الذى فررت يوم الحرة * والحر لا يفر الا مرة * واليوم أجزى فرة بكره

وقاتل حتى قتل وقيل انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام وقال ابن الزبير لاصحابه وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير لوطبتم بى نفسا عن أنفسكم كما أهل بيت من العرب اصطلحنا فى الله فلا يرعكم وقع السيوف فان الم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل أمرئ قرنه ولا تسألوا عنى فمن كان سائلا عنى فانى فى الرعيل الاول احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بآجرة رماه رجل من السكون فاصابته فى وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالا شديدا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكونى والمرادى الى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار وسار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذرا نا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو فى غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحا بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فارسلت اليه

العرب فى بلاده واخربوها فلما بلغ من العمر ست عشرة سنة انتخب من فرسان عسكره عدة كثيرة وسار بهم الى العرب وهم من ولد اياد بن نزار وملكهم يومئذ الحرث الاغر الايادى وكانوا يصيفون بالجزيرة ويشتون بالعراق وقتل من وجد منهم ووصل الى الحسا والقطيف وشرع يقتل ولا يقبل فداء ثم سار الى اليمامة وسفك بها الدماء ولم يمر بماء للعرب الا غوره ولا يثير الا طمها فعمهم القتل فما افلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وصار ينزع اكناف العرب حتى نزع فيما قيل كتف سبعين ألف رجل فلذلك سمى سابور ذو الاكتاف وصار لقبا عليه وقد اتى فى سيره على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم ابن مر وله من العمر ثلثمائة سنة وكان يعلق فى عود البيت فى قفة قد اتخذت له فلما سمعوا بسير سابور اليهم رحلوا واراد واحمله معهم فابى عليهم الا ان يتركوه فى ديارهم وقال انا هالك اليوم او غدا ولعل الله يصيبكم من صولة هذا الملك فخلوا عنه وتركوه فاصبحت خيل

أسماء قاتلك الله على ماذا صلبتيه قال استبقت انا وهو الى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته في تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول الا خليت بينه وبين أمه فاذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبد الله بن عمر فقال السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت انهاك عن هذا ولقد كنت صواما قواما وصولا للرحم أما والله ان قوما أنت شرهم لنعم القوم وكان ابن الزبير قبل قتله بقي أياما يستعمل الصبر والمسك لئلا يتنن فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلبا ميتا فغلب على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنورا ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقة لم يرمثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة

متت بارحام اليك قريبة * ولا قرب للارحام مالم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا فقال عروة ان الحجاج صلبه فهب جثته لامه قال نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له ان عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالا من مال الله فهرب فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعا وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فاياك وعروة وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوما فانزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته وقيل ان عروة لما كان غائبا عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده في انفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه وليس بملوم من صبر فمات ولكن الملوم من فر من الموت فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك يا أبا عبد الله لن تسمع مناشيأ تكرهه وان عبد الله لم يصل عليه أحد منعه الحجاج من الصلاة عليه وقال انما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل صلى عليه غير عروة والذي ذكره مسلم في صحيحه ان عبد الله بن الزبير ألقي في مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلا وماتت وكانت قد أضرت وهي أم عروة أيضا فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين فاساء الى أهلها واستخف بهم وقال أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد ثم عاد الى مكة فقال حين خرج منها الحمد لله الذي أخرجني من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه لامير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتهم مثل جوف الحمار أعوادا يعودون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال ان وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد ان أنظره وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما فعله

سابور في الدينار فلم يجدوا
احدا فلما سمع عمرو صهيل
الخيل وهمهمة الرجال اقبل
يصيح بصوت ضعيف فنظروا
الى قفة معلقة في شجرة
فاخذوه وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
دلائل الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له سابور
من انت ايها الشيخ الفاني
قال انا عمرو بن تميم وقد
بلغت من العمر ما ترى وقد
هرب الناس منك لاسرافك
في القتل وانا اسالك عن
أمر ان انت أذنت لي فيه
فقال له سابور قل يسمع فقال
ما الذي حملك على قتل رعيتك
من رجال العرب فقال
اقتلهم لما ارتكبوا
في بلادي وأهل مملكتي
فقال عمرو فعلوا ذلك ولست
عليهم بقيم فلما ملكت
رجعوا عما كانوا عليه من
الفساد هيبة لك قال سابور
واقتلهم أيضا لانا نجد في
مخزون علمنا وباخبار أوائلنا
ان العرب ستدال علينا قال
عمرو وهذا أمر تظنه أم
تحققه قال بل اتحققه ولابد
ان يكون ذلك قال عمرو
فان كنت تعلم ذلك فلم تسع
الى العرب والله لئن بقي
العرب وتحسن اليهم
ليكافئون قومك عند ادالة
الدولة لهم باحسانك اليهم

باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين فى صفر (خبيب بن عبد الله ابن الزبير بضم الخاء المعجمة وبائين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبد الله يكنى به وبابى بكر ايضا)

(ذكر عمر ابن الزبير وسيرته)

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لانه بويع له سنة أربع وستين وكانت له جمة مفروقة طويلة قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده وقال غيره قسم عبد الله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح وليلة راكع حتى الصباح وليلة ساجد حتى الصباح وقيل أول ما علم من همة ابن الزبير انه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبى فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال ياصبيان اجعلونى أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر مالك لم تفر معهم فقال لم أجرم فاخافك ولم يكن الطريق ضيقة فاوسع لك وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجمعة الى الجمعة قال خالد بن أبى عمران كان ابن الزبير يفطر فى الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره وقال مجاهد لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة قال هشام ابن عروة كان أول ما أفصح به عمى عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وايام قال ابن سيرين قال ابن الزبير ماشئ كان يحدثنا به كعب الا وقد جاء على ما قال الا قوله فتى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدى يعنى المختار قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير ان الحجاج قد خبئ له وقال عبد العزيز بن أبى جميلة الانصارى ان ابن عمر مر بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله أبا خبيب انك كنت صواما قواما واقدا فلحت قريش ان كنت شرها وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه فى مقابر اليهود وأرسل الى امه يستحضرها فلم تحضر فارسل اليها لتأتينى أو لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام اليها فلما حضر قال لها كيف رأيتنى صنعت بعبد الله قالت رأيتك أفسدت على ابنى دنياه وأفسد عليك آخرتك أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار وأما المبير فانت هو وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت فاخذ بنى فاطمة فقال نعم فخلى لنا وتركك ولو علم انه يقول له هذا ما سأله

(ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية)

وفى هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن العدو وكانت بصيرة الطريخ التى بارمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهى الى الآن على هذه الحال من الطير ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أوزارهم شئ وهذا الطريخ

من

وان أنت طالت بك المدة
كان قتلك عندها مصير الامر
اليهم فيقتلون عليك فقال
سابور الرأى ما قلت ولقد
صدقت ونصحت فرفع السيف
وانكف عن قتلهم ويقال
ان عمر ابقى بعد ذلك ثمانين
سنة وفى سلوان المطاع ان
سابور لما أراد ان يدخل
بلاد الروم متنكرا نهاه
نصحاؤه وحذروه فلم يسمع
كلامهم فساروا وصحب
وزيرا كان له ولابيه من
قبله وكان شيخا ذا دهاء
وسداد ورأى عالما بالديانات
واللغات والمكايد فتوجها
معا نحو الشام فتزيا الوزير
بزى الرهبان وتكلم بلسان
الجلالقة وتحرف بصناعة
الطب الجراحى وكان معه
الدهن الصينى اذا دهنت
به الجراحات برئت واندملت
فى الحال ولا يأخذ على تلك
المداواة اجرا فانتشر صيته
فى البلاد فلما طافا بلاد الشام
وقصدا القسطنطينية
فقدماها فصادفا وليمة
لقيصر وقد اجتمع بها
الخاص والعام فدخلاها
فى جملتهم وجلسا على
موائدهم وقد كان قيصر
قد امر مصورا فصور صورة
سابور على أوانيه والستائر
والابواب وكان فى المجلس
رجل من حكماء الروم

من عجائب الدنيا لان سمك صغيره كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصب اليها كثيرا يؤخذ بالايدى والالات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شئ

(ذكر قتل أبى فديك الخارجى)

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجى وطاعة أصحابه أبا فديك وثبت قدم أبى فديك الى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر ان يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فاخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك واصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف أهل الكوفة باليمنة وجرح عمر بن موسى فلما رأى أهل الميسرة أهل اليمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أميرلان أميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوا معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من اليمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا اصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله ابن أمية حبلى من أبى فديك وعادوا الى البصرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشرا فى قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وحج بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة واليمن واليمامة وكان على الكوفة والبصرة فى قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح وفى هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكة ودفن بذى طوى وقيل بفخ وكان سبب موته ان الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه برمح مسموم فمات منها وعاده الحجاج فى مرضه فقال من فعل بك هذا قال أنت لانك أمرت بحمل السلاح فى بلد لا يحمل حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعا وثمانين سنة وفيها مات سلمة بن الاكوع وأبو سعيد الخدرى ورافع بن خديج ومالك بن صعصعة أبو غسان البكرى وقيل مات سنة أربع وستين وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن مروان واسماء بنت أبى بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مثلى لا توطأ امه فطلقها وفيها مات عوف بن مالك الاشجعى وكان أول مشاهده خيبر ومعاوية ابن حديج قبل ابن عمر بيسير وفيها مات معبد بن خالد الجهنى وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة وفيها

ودهائهم وقعت عينه على سابور فانكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة وتأمل صورة سابور فى كأس كانت بيده فتحقق انه سابور فعند ذلك نقر الحكيم جامه الذى بيده ووضعه على اذنه فقال له قيصر ماذا تسمع ايها الحكيم فقال يعلم الملك ان الجام يقول لى ان صاحب هذه الصورة التى عليه حاضر معنا فى مجلسنا هذا وبحثوا عنه فعرفوه فعرض ذلك على قيصر فقبض عليه فلما مثل بين يديه سأله عن خبره فقال أنا من اساورة سابور وهربت منه لامر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه فعملت له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر تسع طاقات واتخذ له باب من أعلاها فى ظهر الصورة يدخل اليها ويخرج منها وجعل من أسفلها موضع المبال فامر بسابور فجعلت يداه الى عنقه بسلسلة من الذهب بحيث يتناول ما يصلحه من طعام وغيره فسار قيصر فى جنوده وقد عزم على خراب بلاد الفرس وحمل معه تلك الصورة التى سجن فيها سابور بعد ان وكل عليها مائة رجل من ذوى البأس

قتل عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله وله صحبة (رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين)

في هذه السنة عزل عبد الملك طارقا عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فاقام بها شهرا وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخرج عنها معتمرا وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها الى البناء الاول وأخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة في ان الحجر من البيت فلما قيل له قال غير ابن الزبير انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددت اني تركته وما يحمل وفيها استقضى عبد الملك ابا ادريس الخولاني

(ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة)

لما استعمل عبد الملك أخاه بشرا على البصرة سار اليها فاتاه كتاب عبد الملك يأمره ان يبعث المهلب الى حرب الازارقة في أهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم من أراد ان يتركه وراءه في الحرب وأمره ان يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة والتجربة في جيش كثيف الى المهلب وأمرهم ان يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم فارسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وامره أن ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر ان امر أة المهلب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتى كانه اذنب اليه فدعا عبد الرحمن ابن مخنف فقال له قد عرفت منزلك عندي وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش الذي أسيره من الكوفة للذي عرفته منك فكن عند أحسن ظني بك وانظر الى هذا كذا كذا يقع في المهلب فاستبد عليه بالامر ولا تقبل له مشورة ولا رأيا وتنقصه قال عبد الرحمن فتركت أن يوصيني بالجيش وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كاني من السفهاء ما رأيت شخصا مثلي طمع منه في مثل هذا قال فلما رأى اني لست بناشيط الى جوابه قال لي مالك قلت أصلحك الله وهل يسعني الا انفاذ أمرك فيما أحببت وكرهت وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فلقي بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن في أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث وزحر بن قيس فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن مروان توفي بالبصرة فتفرق ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد فانوا الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم يأمرهم بالرجوع الى المهلب وتهددهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطرا أو سطرين قال زحر أوجز فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا الى جانب الكوفة وأرسلوا الى عمرو بن حريث ان النفر لما بلغهم وفاة الامير تفرقوا فاقبلنا الى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الا باذن الامير فكتب اليهم ينكر عليهم

عودهم

والقوة يحفظونها ويحملونها دولا بينهم فاذا نزل العسكر ضربت حولها قباب الحرس وجعل المطران رئيسا عليهم فقدم وزير سابور على المطران في صورة راهب طبيب وصاحبه فعرف له حقه وانزله عنده وجعل زمام أمره ونهيه بيده وهو في كل ليلة يجتمع المطران باخبار ظريفة رافعا صوته ليسمع سابور حديثه ويتسلى بذلك ويدس في احاديثه ما يجب ان يعلمه سابور ويفطن له من الاسرار وكان سابور يجد لذلك أعظم راحة ولم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى وصل الى أرض فارس فافتتح المدن وشن الغارات وعقر النخل حتى انتهى الى مدينة جنديسابور وهي دار الملك لسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها ونصب المجانيق فلما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل على الطباخ فالقى في جميع الاطعمة سما فلما أكلوا استمروا صرعى في مضاجعهم فبادر الوزير بفتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال الجامعة من عنقه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد نحو

عودهم ويأمرهم بالرجوع الى المهلب ولم يأذن لهم فى دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فاقاموا حتى قدم الحجاج اميرا

(ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وساج عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتين وكان سبب عزله ان تميما اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحير ويطلبون بكيرا وصارت أوف والابناء يتعصبون لبكير وكل هذه بطون من بنى تميم فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد الملك بذلك وانه لا يصلح الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال أمية يا أمير المؤمنين ندارككهم برجل منك قال لولا انهزامك عن أبى فديك كنت لها قال يا أمير المؤمنين والله ما انهزمت حتى خذلنى الناس ولم أجد مقاتلا فرأيت ان الحجازى الى فئة أفضل من تعرض عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله يعذرى وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان وكان عبد الملك يحبه فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض امية فلما سمع بكير بسيره ارسل الى بحير وهو فى حبسه وقد تقدم ذكر ذلك فى مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بحير وقال ظن بكير أن خراسان تبقى له فى الجماعة ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبى فقال أرأيت أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس امرك فقبل منه وصالح بكيرا فارسل اليه بكير باربعين ألفا وأخذ عليه ان لا يقاتله وخرج بحير فاقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب نيسابور سار اليه والقيه بها فأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة اهلها ورفع على بكير أمورا لا أخذها وحذره غدره وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية كريما ولا يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فابى فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من قومه فقال كنت بالامس أمير اتحمل الحراب بين يدى فاصير اليوم أحمل الحربة ثم خير أمية بكيرا ان يوليه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال فتجهز لها فانفق مالا كثيرا فقال بحير لامية ان أتى طخارستان خلعك وحذره فلم يوله (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء)

(ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان)

لما وصل أمية بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا رتبيل الذى ملك بعد المقتول الاول وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح ويبذل ألف ألف ويبعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لى هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غزا فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ ففعل رتبيل وقال بل يأخذ ثلثمائة ألف درهم صلحا ويكتب لنابه كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل وبلغ ذلك عبد الملك فعزله

المدينة وهم يتحارسون على سورها فراطنهم بالفارسية فعرفوهما ورفعوهما اليهم بالحبال فلما دخل سابور المدينة فتح خزائن السلاح وخرج على الروم فكبسهم وهم غافلون مطمئنون فظفر بقيصر فاسره واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا القليل وفى ذلك يقول الحرث

هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم رتقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أباقابوس غصبا
وهم اخذوا البسيطة من اياد

ثم أمر سابور بقصر ومن معه من الاسارى أن يغرسوا بالعراق الزيتون بدلا مما قطروه من النخل ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وأمر أن يعمر ما أخربه من البلاد من تراب بلده حتى يطلقه فامر قيصر رعيته بنقل التراب من بلادهم الى فارس فلم يزل قيصر فى اسره حتى أثمر ما غرس وعمر ما خرب وأطلق ما كان فى أسره من الفرس ثم أطلقه بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عدتك فانى غاز أرضك عن قريب وقد كانت ملوك الساسانية تسكن بطسوس غربى المدائن فسكن سابور

(ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية)

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فاسرعوا اليه خوفا فاهرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فاقام بها حتى صحوا

(ذكر تخريب افريقية)

لما صلح الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا وسار حسان حتى فارق افريقية وأقام وكتب الى عبد الملك يعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه أمره فاقام بعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولا وأودعه قرطوس السرج فسار حسان فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن اخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها

وهدموا

في الجانب الشرقي وبقي هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الباقي آثاره الى هذه الغاية واستقر الايوان في ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة وهي مدة ملكه ومدة عمره ثم ملك بعده أخوه (اردشير ابن هرمز) اربع سنين بوصية له من سابور بالملك لان ابن سابور يومئذ كان صغيرا فخلع وملك بعده (سابور بن سابور) وملك سيرة أبيه وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فسقط عليه فسطاط كان منصوبا عليه فمات من ذلك ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) وهو الذي يدعى كرمان شاه لانه كان على كرمان وملك السيرة الحسنة وملك احدى عشرة سنة فوثب عليه جماعة من الفرس فقتلوه فلما هلك ملك بعده ابنه (يزدجرد بن بهرام) المعروف بالاثيم وكان فظا غليظا لئيم الاخلاق فسلك أقبح سيرة فاجتمع الناس ودعوا الله عليه وذكروا انه تقبل الله دعاءهم وذكروا انهم رأوا فرسا اقبل بشدة عدو حتى وقف على بابه فتعجب الناس من

وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك وسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولدين لها وخالدين يزيد وقالت لهم اني مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا الامان منه اما ان فسار والبه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فامنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابني الكاهنة ثم فشا الاسلام في البربر وعاد حسان الى القيروان في رمضان من تلك السنة واقام لا ينازعه احد الى ان توفي عبد الملك فلما ولي الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان فعزل عنها حسانا واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر الواقدي أن الكاهنة خرجت غضبا للقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال من بالقيروان من المسلمين اذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسان بن النعمان فسار في جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزما الى نواحي برقة فاقام بها الى سنة اربع وسبعين فسير اليه عبد الملك جيشا كثيفا وأمره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان وقيل انه لما قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه أبو صالح اليه ينسب خص صالح

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقيل ان عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ اندولية وفيها مات جابر بن سمرة السوائي في امارة بشر بن مروان بالكوفة وفي امارته أيضا مات أبو جحيفة بالكوفة وفيها مات عمرو بن ميمون الاودي وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمي وله صحبة وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحي وكان مولده بارض الحبشة وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وفيها مات ابو سعيد بن معلى الانصاري وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفي (ضمعج بالضاد المعجمة والجيم)

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين)

في هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش

(ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق)

حسنه فأخبره بذلك فنظر اليه فاعجبه وأمر باسراجه والجامه فلما أسرج صبح وجهه وناصيته واستدار حوله فرفسه رفسة أصاب بها كبده فقتله ثم هرب الفرس فلم يعلم أحد أين ذهب وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم ملك بعده ابنه (بهرام جور بن يزدجرد) وكان أبوه يزدجرد سلمه للنعمان بن امرئ القيس أحد ملوك اليمن من العرب وهو صاحب الخورنق ليربيه ويعلمه الفروسية فلما مات أبوه تولى الملك شخص يسمى كسرى من ولد اردشير فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بالنعمان ووقع بينهما مراسلات كثيرة وآخر الامر اصطلحا على ان يجعلا التاج بين اسدين شبلين فمن تناوله فهو الملك فلما حضر كلاهما الموعد دخل بهرام ووثب على أحد الاسدين فعصره بفخذيه ثم تناول الاسد الآخر من اذنه فلم يزل يضرب رأس أحدهما بالآخر حتى قتلهما فأخذ التاج ولبسه واستقر على سرير الملك وكان عادلا عاقلا ذا شغف بالقتال صؤلا على اعدائه وكان

في هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير الى العراق فسار في اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة وقد كان بشر بمبعث المهلب الى الخوارج فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال قاتله الله ما أغباه وأذمه والله اني لاحسب خبره كرواته فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تتناثر من يده وهو لا يعقل به ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله اني لاحمل الشر محمله وآخذه بفعله وأجزيه بمثله واني لارى رؤوسا قد اينعت وقد حان قطافها اني لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا اوان الحرب فاشتدي زيم * قد لفها الليل بساق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على لحم وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبي * اروع خراج من الدوي * مهاجر ليس باعرابي

ليس اوان بكرة الخلاط * جاءت به والقلص الاعلاط * تهوي هوي سائق العطاط

اني والله يا أهل العراق ما أحفز بالتين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكا وجريت الى الغاية القصوى ثم فررت وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك ان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فوجهني اليكم ورماني بي في نحوركم فانكم اهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فانكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم الهوان ولاميرنكم به حتى تدروا ولاحوننكم لحو العود ولاعصينكم عصب السلمة حتى تذلوا ولاضربنكم ضرب غرائب الابل حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا اني والله ما اعد الاوفيت ولا أخلق الا فريت فاياي وهذه الجمعيات فلا يركبن رجل الا وحده أقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وقيلا وقالا وما تقول وما يقول وأخبرني فلان أولادعن لكل رجل منكم شغلا في جسده فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على الحق أولاضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء أيامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهى وتقلعوا عن هواها الا انه لو ساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جبى في ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين واني أقسم بالله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وانهبت داره ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرئ على أهل الكوفة فلما قال القارئ أما بعد سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم قال له اقطع ثم قال يا عبيد العصا يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم

السلام

يقول الشعر بالعربية ومما حفظ من شعره يوم ظفر بخاقان ملك الترك

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع صهيلات بهرام

وأني حامي ملك فارس كلها * وما خير ملك لا يكون له حام

وله اشعار كثيرة بالعربية والفارسية اعرضنا عن ذكرها طلبا للايجاز وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخطار ويقال انه دخل ارض الهند متنكرا فمكث حينا لا يعرف حتى بلغه ان فيلا ها تجا بموضع قد قطع الطريق واهلك الناس فسألهم ان يدلوه عليه فرفع امره الى الملك فارسل معه من يدله فلما انتهى اليه صعد الى شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل فلما رآه الفيل اقبل اليه فجعل بهرام يرميه بالنبل ويثبت النشاب بين عينيه ثم دنا واخذ بخرطوم الفيل وجذبه جذبة خر منها ميتا ثم احتز رأسه واتى به الى الملك فحباه الملك واحسن اليه ثم ان ملكا من اعداء ذلك الملك اقبل نحو بلاد الملك الذي بهرام عنده فجزع ذلك الملك منه من كثرة جنود الآتي نحوه فقال بهرام له لا يهولنك

السلام اما والله لاؤدبنكم غير هذا الادب ثم قال للقارئ اقرأ فلما قرأ السلام عليكم قالوا باجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب وأتوني بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن ابواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضي هذه المدة (تفسير هذه الخطبة) قوله انا ابن جلا فابن جلا هو الصبح لانه يجلو الظلمة وقوله فاشتدي زيم هو اسم للحرب والحمام الذي يحمام كل ماء هربه والوضم ما وقي به اللحم عن الارض والعصلبي الشديد والاعلاط من الابل التي لا ارسان عليها وقوله فنعجم عيدانها اي عضها واختبرها وقوله لاعصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شجر من العضاه وقوله لا اخلق الافريت فالخلق التقدير ويقال فريت الاديم اذا اصلحته والسمهى الباطل واصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق الى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يابى اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلفه ويحسن حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لا وشك ان اوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها فقام عمير بن ضابئ الحنظلي التميمي فقال أصلح الله الامير انا في هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابني هذا اشب مني فقال الحجاج هذا خير لنا من ابيه ثم قال ومن انت قال انا عمير بن ضابئ قال اسمعت كلامنا بالامس قال نعم قال ألست الذي غزا عثمان بن عفان قال بلى قال ياعدو الله افلا الى عثمان بعثت يدا وما حملك على ذلك قال انه حبس أبي وكان شيخا كبيرا فقال اوأست القائل

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

اني لاحسب أن في قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله وقيل ان عنبسة ابن سعيد بن العاص قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة عثمان فقال الحجاج أي عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت يدا ثم أمر به فضربت عنقه وأمر منادیا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فامر نا بقتله الا ان ذمة الله بريئة ممن لم يأت الليلة الى جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلب وهو براهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو فلما قتل الحجاج عميرا الفى ابراهيم بن عامر الاسدى عبد الله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال

أقول لابراهيم لما لقيته * أرى الامر أضحى منصبا متشعبا
تجهز وأسرع فالحق الجيش لا أرى * سوى الجيش الا في المهالك مذهبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البيل أشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا
فكائن ترى من مكره الغزو مسمرا * تحمم حنوا السرج حتى تحنبا

تحمم أي لزمه حتى صار كالحميم وتحنب اعوج والزبير ههنا بفتح الزاي وكسر الباء قيل وكان

امره فركب بهرام وقال لاساورة الهند احرسوا ظهري وانظروا الى عملي وكانوا قوما لا يعرفون الرمي وأكثرهم رجالة فحمل عليهم حملة هزمهم ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه نصفين ويأتي الفيل فيضرب مشفره ويكبه على أم راسه ويتناول من عليه فيقتله ويأخذ الفارس فيذبحه على قربوس سرجه ويتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان معا ورمى فلا تقع له نشابة في الارض فولوا منهزمين وحمل أصحابه الذين كانوا معه يحرسون ظهره عليهم فاكثروا القتل فيهم فانكحه ملك الهند ابنته واقطعه من بلاده جانبا كبيرا ثم انصرف بهرام الى مملكته ولم يزل تحمل اليه أموال تلك البلاد وذكر في زهرة الادب ان بهرام جور خرج يوما متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه وقد انفرد عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه وهو براع فقال له امسك لي فرسي وتشاغل بذبح الحمار وحانت منه التفاتة فرأى الراعي يقلع جوهر عذار فرسه وكان العذار ياقوتا

قدوم الحجاج فى شهر رمضان فوجه الحكم بن ايوب الثقفى على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فبلغ خالدا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيعه أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف فكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبى كان الرجل اذا اخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلى نزعت عمامته ويقام للناس ويشهر امره فلما ولى مصعب قال ماهذا بشئ واضاف اليه حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويسمر فى يديه مسمارا ان فى حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بشر وعقوبته * وان يثوط فى كفى مسمار

اذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم * ان المحب لمن يهواه زوار

فلما كان الحجاج قال هذا لعب اضرب عنق من يخل مكانه من الثغر

(ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله)

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمى الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اما كن من قندابيل ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

ما من مشاهدك التى شاهدتها * الا يزيدك ذكرها مجاعا

(ذكر ثوب أهل البصرة بالحجاج)

فى هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب فاتاه شريك بن عمرو اليشكرى وكان به فتق وكان أعور يضع على عينه قطعة كرسفة فلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب الا لحق به فقال المهلب لقد أتى العراق رجل ذكر وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كثر جمعه ثم سار الحجاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وانما أراد أن يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبا حين نزلها فقال يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ثم انه خطب يوما فقال ان الزيادة التى زادكم اياها ابن الزبير انما هى زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة فقال عبد الله بن الجارود انه ليست بزيادة ابن الزبير انما هى زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر فقال له الحجاج ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لاسلبنك اياه فقال ولم انى لك لناصح وان هذا القول من ورائى فنزل الحجاج ومكث أشهرا لا يذكر الزيادة ثم اعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الاول فقام مصقلة بن كرب العبدى ابو رقبة بن مصقلة المحدث عنه فقال انه ليس للرعية أن ترد على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعا وطاعة فيما احببنا وكرهنا فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانية ما انت وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق فى مثل هذا وانى الوجوه

أحمر فحول بهرام جور وجهه عنه وقال فى نفسه تأمل العيب عيب وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه والعفو من أفعال الملوك وسرعة العقوبة من أفعال العامة فلما رجع الى العسكر قال له الوزير أيها الملك السعيد انى أرى جوهر عذار قد رسك مقلعا فتبسم وقال أخذه من لا يرده ورآه من لا يمنعه فمن وجد منكم صاحبنا فلا يطالبه وكان مغرما بالصيد فبنى منارة من قرون الظباء وحوافر حمر الوحش وفى أواخر حالاته كان كلما اصطاد حمار وحش دمغ اذنه وأطلقه وآخر أمره انه هلك بان خرج للصيد وامعن فى طرد الوحش حتى توحل فى سبخة هو وفرسه وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة واحد عشر شهرا ثم ملك بعده ولده (يزدجرد بن بهرام) فسار سيرة أبيه وقمع الاعداء وعمر البلاد واحضر حين ملك رجلا فاضلا من حكماء عصره فقال له أيها الفاضل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وانصاف المظلوم

عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله وقال الهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن زياد الهاشمي وغيرهما نحن معك واعوانك ان هذا الرجل غير كاف حتى ينتقصنا هذه الزيادة فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولي علينا غيره فان ابى خلعناه فانه هائب لنا مادامت الخوارج فبايعه الناس سرا واعطوه المواثيق على الوفاء واخذ بعضهم على بعض العهود وبلغ الحجاج ما هم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه فلما تم لهم امرهم اظهروه وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتى لقي الحجاج وليس معه الا خاصته واهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر وكانت خزائن الحجاج والسلاح من وراءه فارسل الحجاج اعين صاحب حمام اعين بالكوفة الى ابن الجارود يستدعيه اليه فقال ابن الجارود ومن الامير لا ولا كرامة لابن ابي رعال ولكن ليخرج عنا مذموما مدحورا والا قاتلناه فقال اعين فانه يقول لك اتطيب نفسا بقتلك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذي نفسي بيده لئن لم تأتني لادعن قومك عامة واهلك خاصة حديثا للغابرين وكان الحجاج قد حمل اعين هذه الرسالة فقال ابن الجارود لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة واهوى نحوه

كذلك أيضا ومر عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال أشركونا في نجواكم فقالوا ما يهمك ان يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط فغضب وصار الى الحجاج في مائة رجل فقال له الحجاج ما بالي من يخلف بعدك وسعى قتيبة بن مسلم في قومه في يحيى أعصر وقال لا والله لا ندع قيسا يقتل ولا ينهب ماله يعني الحجاج واقبل الى الحجاج وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هؤلاء اطمأن ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلم فاداه منه وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي وارسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت الناس عنك فقال أقم وثبط الناس عني فلما اجتمع الى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فبعى أصحابه وتلاحق الناس به فلما أصبح اذ حوله نحو ستة آلاف وقيل غير ذلك فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما الرأي قال ترك الرأي امس حين قال لك الغضبان تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأي وبقي الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فقطر وحرض الحجاج أصحابه وقال لا يهولنكم ماترون من كثرتهم وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصين وعلى ميسرته سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميتا ونادى منادي الحجاج بامان الناس الا الهذيل وعبد الله بن حكيم وأمر ان لا يتبع المنهزمون وقال الاتباع من سوء الغلبة فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عباد بن الجلندى الازدي بعمان فقيل لسعيد انه رجل فاتك فاحذره فلما جاء البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة مسمومة وقال هذا اول شئ جاءني من البطيخ وقد اكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فاكلها عبيد الله فاحس بالشر فقال أردت أن أقتله فقتلني وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا من وجوه اصحابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج ويتأسوا بالاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج تأتينا لتمنعك وحبس الغضبان بن القبعثرى وقال له انت القائل تعش بالجدي قبل ان يتغدى بك فقال ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه فكتب عبد الملك الى الحجاج باطلاقه وقتل مع ابن الجارود عبد الله بن انس ابن مالك الانصاري فقال الحجاج ولا ارى انسانا يعين علي فلما دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل عليه انس قال لا مرحبا ولا اهلا بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة جوال في الفتن مرة مع ابي تراب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود أما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصبنك عصب السلمة ولاقلعنك قلع الصمغة فقال انس بمن يعني الامير قال اياك اعني اصم الله صداك فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابا يشكو فيه الحجاج وما صنع به فكتب عبد الملك الى الحجاج اما بعد يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وجاوزت قدرك يا ابن المستقرية بعجم الزبيب لاغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنك خبطة تود لها انك رجعت في مخرجك من بطن امك اما تذكر حال آبائك في الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بايديهم في اوديتهم ومياههم أما نسيت حال آبائك

ذلك مدة سبع سنين وبعد ذلك ارسل الله المطر وعادت الاكوان الى احسن ما كان وكان ملكه سبعا وعشرين سنة وتنازع في الملك ابناه قباذ وبلاش فغلب بلاش على أخيه ثم ملك (بلاش) وكان حسن السيرة الى ان هلك بعد أربع سنين وكان قباد قد سار الى خاقان ملك الترك يستمده على أخيه فحطله في ذلك أربع سنين ثم وجه معه جيشا فلما قدم المدائن وجد اخاه قد هلك فملك عليهم (قباذ) المذكور وكان ضعيفا مهينا في ملكه وفي أيامه ظهر مزدق الزنديق وتفسير مزدق جديد الملك واليه تضاف المزدقية ادعى النبوة وأمر الناس بالتساوي في الاموال وأن يشتركوا في النساء لانهم اخوة لاب وام آدم وحواء ودخل قباذ في دينه فشق ذلك على الناس وعظم عليهم وأجمعوا على خلع قباذ وانضم الى مزدق جماعة وقالوا نحن نقسم الناس ونرد

في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك الى انس بن مالك جرأة واقداما وأظنك اردت أن تسير ما عند امير المؤمنين في امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوّغك ما كان منك مضيت عليه قدما فعليك لعنة الله من عبد احفش العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا ان امير المؤمنين يظن ان الكاتب كثر في الكتابة عن الشيخ الى أمير المؤمنين فيك لارسل من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتي بك انسانا فيحكم فيك فأكرم أنسا واهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن في شيء من حوائجه ولا يبلغن امير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه اليك من أمر انس وبره واكرامه فيبعث اليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك والقه في منزله متنصلا اليه وليكتب الى أمير المؤمنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام وبعث بالكتاب مع اسمعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم فأتى اسمعيل أنسا بكتاب أمير المؤمنين اليه فقرأه وأتى الحجاج بالكتاب اليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتغير وجبينه يرشح عرقا ويقول يغفر الله لامير المؤمنين ثم اجتمع بانس فرحب به الحجاج واعتذر اليه وقال أردت أن يعلم اهل العراق اذ كان من ابنك ما كان اذ بلغت منك ما بلغت اني اليهم بالعقوبة أسرع فقال أنس ما شكوت حتى بلغ مني الجهد وحتى زعمت انا الاشرار وقد سمانا الله الانصار وزعمت انا أهل النفاق ونحن الذين تبوّؤا الدار والايمان ويحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبهه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلما الى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني ولم يكن لي عليك قوة فوكلتك الى الله ثم الى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظ فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى بن مريم يوما واحدا لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقي وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وبعده فان رأينا خيرا حمدنا الله عليه وأثبنا وان رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان وردّ عليه الحجاج ما كان أخذ منه

(ذكر شيرزنجي والزنج معه)

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولي خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا وافسدوا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشا فلما بلغهم ذلك تفرقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج ايضا فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلا اسمه رياح ويلقب شيرزنجي يعني أسد الزنج فافسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة أن يرسل اليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير اليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ثم ارسل اليهم جيشا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

(ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف)

لما أتى كتاب الحجاج الى المهلب وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيأ من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال وساروا الخوارج حتى نزلوا كازرون وساروا المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل فقال أصحابه نحن نخندق فناسيوفنا فاتى الخوارج

على الفقراء حقوقهم من الاغنياء فكانوا يدخلون على الرجل فيقتلونه على أمواله ونسائه فوثب رجل من الاشراف يعرف بابن ساجور في جماعة من أصحابه على مزدق فقتله ولم تبق ناحية الا خرج منها خارج فخلعوا قباد وولوا مكانه أخاه (جاماسب بن فيروز) ولحق قباد بالهياطلة فأنجدوه واتصر على اخيه جاماسب وحبسه واستمر (قباد) في الملك حتى قتل في يد العرب بمدينة الري وكان ملكه الى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (أنوشروان العادل) ولما تولى الملك كان صغيرا فلما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه اني عاهدت الله تعالى ان صار الملك الي أني أعيد آل المنذر الى الحيرة ثانيا وأن اقتل طائفة المزدقية الذين أفسدوا في اموال الناس ونسائهم وكان مزدق قائما الى جانب السرير فقال هل تقتل الناس جميعا هذا فساد في الارض والله قد ولاك لتصلح لا لتفسد فقال له أنوشروان يا بن الخبيثة أتذكر وقد سألت ابي قباد بان يأذن لك في المبيت عند امي فامرك فحضت نحو

المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فقالوا لنحو ابن مخنف فوجدوه لم يحتفد فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل في أناس من اصحابه فقتل وقتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلل بالصر * عي فهم بين ميت وقتيل
فتراهم تسفي الرياح عليهم * حاصب الرمل بعد جر الذيول

هذا قول اهل البصرة فاما أهل الكوفة فانهم ذكروا انه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالا شديدا ومالت الخوارج الى المهلب فاضطروه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمن يستمده فامده عبد الرحمن بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف اصحابه فجعلوا يازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الاحوص صاحب ابن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا وانكشف الناس عنه وبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا الناس قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل في تلك العصابة فلما اصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج الى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج الى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره ان يسمع للمهلب فجاءه ذلك ولم يجد بدا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو يقضي أموره ولا يكاد يستشير المهلب فوضع عليه المهلب رجالا اصطنعهم وأغراهم به منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغاظ كل منهما اصاحبه ورفع المهلب القضيب على عتاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال أصلح الله الامير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت بعض ما تكره فاحتمله له فانه لذلك أهل ففعل فافترقا فارسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقي أشراف الكوفة من سببه فاستقدمه وامره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيبا وقال سراقة بن مرداس البارقي يرثي عبد الرحمن ابن مخنف

نوى سيد الازد ابن أزد شنوءة * وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات اكرم ميتة * بابيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع عن تل وتحت لوائه * كرام المساعي من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وادبر عنه كل ألوث غادر
أصد ولم يعدد فراح مشهرا * الى الله لم يذهب باثواب غادر

واقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة

نجرتها فلحقت بك وقبلت رجلك ومازال نفر جوارك في انتي منذ ذلك اليوم الى الآن وسألتك حتى وهبتها لي ورجعت فقال نعم فامر بقتله فقتل بين يديه وأخرج واحرقت جثته وامر بقتل توابعه فقتل منهم خلقا كثيرا واثبت ملة المجوسية القديمة وكتب بذلك الى اصحاب الولايات وقوى جنده بالاسلحة والكراع وعمر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء ورد الاموال التي لها اصحاب الى اصحابها واجرى الارزاق للضعفات اللاتي مات عنهن أزواجهن وامر أن يزوجن من مال كسرى وكذلك فعل بالبنات اللاتي لم يوجد لهن أب واما البنون الذين لم يوجد لهم أب فاضافهم الى عمالكه ورد المنذر الى الحيرة وطرد الحرث عنها وكان الحرث مزدقيا ثم سار الى الهياطلة مطالبا بدم فيروز فقتل ملكهم وخلقا كثيرا من اصحابه وتجاوز بلخ وماوراءها وأرسل جيشا الى اليمن فطردوا الحبشة عنها وغزا برجان واذعن له قيصر بالطاعة وهو الذي بنى سور باب الابواب وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه بلبن الحديد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة من تميم وكان يرى رأى الصفرية وهو أول من خرج فيهم وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين واشباههم وحج فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شبيب أن يقتله فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان شيخا صالحا يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعدهم ما يحتاج اليه فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى الغنيق من ناحية مرعش وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد فانى لست بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا بالخليفة المأفون يعنى يزيد الا وانى لأداوى هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل اعمالهم وانكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ثم نزل وفى هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمى وهو من اهل الصفة وقيل بل مات بالشام فى فتنة ابن الزبير وفيها توفى الاسود بن يزيد النخعى وهو ابن أخى علقمة بن قيس

(ثم دخلت سنة ست وسبعين)

(ذكر خروج صالح بن مسرح)

كان صالح بن مسرح التميمى رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وأرض الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه ويقص عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وحثهم عليهم فراسل اصحابه بذلك وتلاقوا بينا هم فى ذلك اذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له انك كنت تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فانت شيخ المسلمين وان نعدل بك أحدا وان أردت تأخير ذلك أعلمنى فان الآجال غاديه ورائحة ولا آمن أن تحترمنى المنية ولم أجاهد الظالمين فكتب اليه صالح انه لم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فاقبل الينا فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الامور فلما قرأ شبيب كتابه دعا نفرا من اصحابه منهم اخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيبانى والمحل بن وائل اليشكرى وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد الادور سا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله وواعد أصحابه بالخروج الى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده فقال بل ندعوهم فانه اقطع لحجتهم فقال له كيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول فى دمائهم وأموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فوسع علينا ثم وعظ أصحابه وامرهم بامره وقال لهم ان اكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدؤا بها فاعملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا تلك الليلة فاخذوا الدواب فاحتملوا عليها وأقاموا بالرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم اهلها وأهل نصيبين ومنبج وكان خروجه وهو فى مائة وعشرين وقيل وعشرة وبلغ محمدا مخرجهم وهو أمير الجزيرة

والرصاص وفى البر على جبل الفتح نحو اربعين فرسخا حتى وصل الى بلاد طبرستان وجعل على ثلاثة اميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل ولما بنى أنوشروان هذا السور هابته الملوك وهادنته وكان فيمن ورد عليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وتحف فنظر الى ايوانه وحسن بنائه ورأى اعوجاجا فى ميزانه فسئل عن سبب ذلك فقيل ان عجوزا لها منزل فى جانب الاعوجاج وان الملك رغبها فى الثمن فابت ولم يكرهها وبقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومى هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ولاربع وعشرين سنة خلت من ملكه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ولد النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية والاربعين من ملكه وكفى بعدله شهادة النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه حيث قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى أنوشروان وكان ملكا عادلا عاقلا مهيبا محببا للرعية وله افعال حسنة وآثار جميلة وكان يسمى كسرى الخير وكان وزيره

فأرسل عدى بن عدى الكندى اليهم فى الف فارس فسار من حران فنزل دوغان وكانوا أول جيش سار الى صالح وسار عدى وكأنه يساق الى الموت وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد و يعلمه انه يكره قتاله وكان عدى ناسكا فاعاد صالح ان كنت ترى رأينا خرجنا عنك والا فنرى رأينا فارسل اليه عدى انى لا أرى رأيك ولكنى اكره قتالك وقتال غيرك فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فاتى عديا وهو يصلى الضحى فلم يشعر والا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى ميمنته وسويد بن سليم فى ميسرته ووقف فى القلب فاتاهم وهم على غير تعبية و بعضهم يجول فى بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأتى عدى بن عدى بدابته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل فى معسكره وأخذوا ما فيه ودخل اصحاب عدى على محمد بن مروان ففضب على عدى ثم دعا خالد بن جزء السلمى فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحرث بن جعونة العامرى فبعثه فى ألف وخمسمائة وقال اخرجا الى هذه المارقة وأغذا السير فايكما سبق فهو الامير على صاحبه فخرجا متساندين يستلان عن صالح فقيل لهما انه نحو آمد فقصداه فوجه صالح شبيبا فى شطر من أصحابه الى الحرث بن جعونة وتوجه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تثبت خيل محمد لخيل صالح فلما رأى امير اهم ذلك ترجلا وترجل معهما اكثر أصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم خيالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح فى الفريقين وقتل من اصحاب صالح نحو ثلاثين رجلا ومن أصحاب محمد اكثر من سبعين فلما امسوا تراجعوا فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب ان القوم قد اعتصموا بجندقهم فلا أرى ان نقيم عليهم فقال صالح وأنا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة وارض الموصل وانتهوا الى الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح اليهم الحرث بن عميرة بن ذى العشارى فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية يقال لها مدبج على نحو ما بين الموصل وجوخى وصالح فى تسعين رجلا فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم فى ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صرع عن فرسه فحمل عليهم راجلا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فاصابه قتيلا فنادى الى يا معشر المسلمين فلا ذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصن جميعهم وهم سبعون رجلا وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه (مسرح بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره النون)

(ذكر بيعة شبيب الخارجى ومحاربة الحرث بن عميرة)

فلما احرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبهم غدا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة انه لهلاككم فقالوا امرنا بامرك فقال بايعونى أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فانهم آمنون فبايعوا شبيبا وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى

وانوا

بزرجمهر الحكيم وفى المستطرف ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه فى حال صباه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما بغير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه وكانت مدة ملكه ثمانيا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن أنوشروان) وكان عادلا يأخذ للدنى من الشريف و بالغ فى ذلك حتى أبغضه خواصه وكان اصطنع صندوقا ليلقى المتظلم قصته فيه والصندوق مختوم بخاتمه لئلا يصل اليه أيدى بطانته ومرزبانيته ثم أمر باتخاذ سلسلة من الطريق نافذة الى مكانه وجعل فيها اجراسا وكان المتظلم يجىء فيحرك السلسلة فيعلم به ويتقدم باحضاره وازالة ظلامته وكان مهيبا سائسا جوادا مضى من ملكه عشر سنين ولم يتحرك أحد بحركة لان أباه كان مهد الملك وحضر الرعية ثم خرج عليه عدة اعداء منهم صاحب الروم فى ثمانين ألف فارس

وأتوا بالنبود فبسطوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث الا وشيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شيب عسكرهم وكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شيب

(ذكر الحرب بين أصحاب شيب وغيره)

ثم ان شيبا لقي سلامة بن سنان التميمي تيم شيبان بارض الموصل فدعاه الى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ينطلق بهم نحو عنزة فيشفي نفسه منهم فانهم كانوا قتلوا اخاه فضالة وذلك ان فضالة كان خرج في ثمانية عشر رجلا حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه اثلة عظيمة وعليه عنزة نازلون فلما رأوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدو على أمير نا فيه طيبا شيأ فقال اخوالة من بني نصر لا نساعدكم على قتل ابن أختنا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الا قليلة فقال سلامة أخو فضالة يذكر قتل اخيه وخذلان أخواله اياه

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه * لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح فاجابه شيب فخرج حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل محلة بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد اكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فاخرجت ثديها وقالت أنشدك الله يا سلامة فقال والله ما رأيت فضالة مذ أناخ باصل الشجرة يعني أخاه لتقومن عنه أو لاجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله

(ذكر مسير شيب الى بني شيبان وايقاعه بهم)

ثم أقبل شيب في خيله نحو راذان فهرب منه طائفة من بني شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتى نزلوا دير اخربا الى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشيب في نحو سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فحصنوا منه ثم ان شيبا سرى في اثني عشر رجلا الى أمه وكانت في سفح جبل ساتيدما فقال لا تبرحا تكونن في عسكري لا تفارقني حتى تموت أو أموت فسار بهم ساعة واذا هو بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين لا يرون ان شيبا يترجهم ولا يشعر بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ومضى شيب الى أمه فحملها وأشرف رجل من الدير على أصحاب شيب وكان قد استخلف شيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد وهم قد حصروا من في الدير فقال يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فكفوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان وتعرضوا علينا أمركم فان قبلناه حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا وان نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فاجابوهم فخرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شيب قولهم فقبلوه كله ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شيب فاخبروه بذلك فقال أصبتم ووفقتم

(ذكر الوقعة بين شيب وسفيان الخثعمي)

ثم ان شيبا ارتحل فخرج معه طائفة وأقامت طائفة وسار شيب في أرض الموصل نحو اذربيجان وكتب الحجاج الى سفيان بن أبي العالية الخثعمي يأمره بالقفول وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بها طبرستان فلما اتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع فاخبره

ومنهم ملك الخزر ومنهم ملك الترك في جمع عظيم فارسل هرمز اليه رجلا من اهل الري يقال له بهرام جوبين وكان بهرام من قواده وكان رجلا مبارزا شجاعا بطلا وكان وحيد دهره وكان رجلا طويلا أعجف كأنه الخشب اليابس ومن ثم لقب بجوبين فقاتل بهرام الترك وهزمهم ونهب أموالهم وطردهم واستولى على بلاد جمة ارسل بها الى هرمز ثم بعد ذلك خاف هرمز على ملكه من بهرام جوبين وجرى بينهما قتال واكثر العسكر مع بهرام وكان ابرويز بن هرمز مطرودا عن أبيه مقيما باذربيجان فبلغه ضعف أمر ابيه وخشي من استيلاء بهرام جوبين على الملك فقصد ابرويز أباه وأمسكه وسمل عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك فكان من أول ملك هرمز الى استقرار ابنه ابرويز في الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة وخالفه بهرام جوبين وقصد أن ينتقم من ابرويز لما فعله في ابيه هرمز من سمل عينيه وجرى بينهما مراسلات وآخر الحال ان بهرام جوبين تغلب وخشي ابرويز أن يقيم والده الاعمى صورة ويستولي على الملك فاتفق مع خواصه

الحجاج بنزول العسكرة حتى يأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمداني وهو الذي قتل صالحا حتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير الى شبيب فاقام بالعسكرة ونودي في جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحر التميمي فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان في طلب شبيب فلحقه بخانقين وارتفع شبيب عنهم حتى كأنه يكره قتالهم واكمن أخاه مصادا في هرم من الارض في خمسين رجلا فارسا ومضى في سفح الجبل فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني لا تعجلوا حتى نبصر الارض لئلا يكون قد اكمن فيها كمينا فلم يلتفتوا فاتبعوه فلما جازوا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج أخوه في الكمين فانهزم الناس بغير قتال وثبت سفيان في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالا شديدا وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض ثم تجاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته وركبه وقاتل دونه فقتل الغلام ونجا سفيان حتى انتهى الى بابل مهروذ وكتب الى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند الا سورة بن الحر فانه لم يشهد معي القتال فلما قرأ الحجاج الكتاب أثنى عليه

(ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر)

فلما وصل كتاب سفيان الى الحجاج كتب الى سورة بن الحر يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم وبمن معه الى شبيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شبيب وشبيب يجول في جوخى وسورة في طلبه حتى انتهى الى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد أقبل فخرج حتى أتى النهروان فصلوا وترحموا على اصحابهم الذين قتلهم على وتبرؤا من علي واصحابه واخبرت سورة عيونه بمنزل شبيب فدعا اصحابه فقال ان شبيبا لا يزيد على مائة رجل وقد رأيت ان انتخبكم فاسير في ثلثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن بياتكم فاني ارجو من الله أن يصرعهم فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلثمائة وساربهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب فلما انتهى اليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرضة وشبيب يقول

من بنات العير بنك نياكا * جندلتان اصطكنا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان واهل القوة فحمل بهم واقبل نحو المدائن واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن وخرج ابن أبي العصيفر أمير المدائن في اهل المدائن فرموا اصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كلواذى فاصاب بها دواب كثيرة للحجاج فاخذها ومضى الى تكريت وارجف الناس بالمدائن بوصول شبيب اليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ولام الحجاج سورة وحبسه ثم اطلقه

(ذكر الحرب بين شبيب والمنزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد)

فلما

على قتل ابيه هرمز فخنقه فلحق ابرويز بملك الروم مستنجدا به واقبل (بهرام جوبين) وابس التاج وجلس على سرير الملك فوصل ابرويز الى ملك الروم موريقش وقدم اليه هدايا كثيرة فحمل اليه موريقش ملك الروم ألفي الف دينار وانجده بمائة ألف فارس والف ثوب من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة وغيرهم من الاجناس المختلفة على رؤوسهن اكاليل الجوهر وزوجه بابنته ماريه فسار اليه بمن كان معه من العساكر فالتقيا وجرى بينهما قتال كثير وولى بهرام جوبين هاربا الى خراسان ثم ملك (ابرويز خسرو بن هرمز) من بعد طرد بهرام جوبين وفرق في عسكر الروم أموالا جليلة ثم أعادهم الى ملكهم وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل اليه الكتاب مع دحية الكلبي يدعوه الى دين الاسلام فمزقه ابرويز فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه كل ممزق فارسل ابرويز يأمر باذان ملك اليمن بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فعين باذان الى المدينة الشريفة قاصدا بنظر في

فلما قدم القل الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندى واسمه عثمان نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة فقال له لا تبعث معى من الجند المهزوم أحدا فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون قال قد أحسنت فاخرج معه أربعة آلاف فساروا معه فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبى ابنة الكندى فسار وافى طاب شبيب وجعل شبيب يريه الهيبة له فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم ارادة أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلا ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلا من أصحابه فجعل أخاه مصادا فى أربعين ومويد بن سليم فى اربعين والمحال بن وائل فى اربعين وبقى هو فى اربعين وأتته عيونه فاخبروه ان الجزل بدير يزدجرد فامر شبيب أصحابه فعلقوا على دوابهم ثم سار بهم وأمر كل رأس من اصحابه ان يأتى الجزل من جهة ذكرها له وقال انى أريد ان ابيته وأمرهم بالجد فى القتال فسار أخوه فانتهى الى دير الخوارز فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبى ابنة فحمل عليهم مصادا فى اربعين رجلا فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد ادركهم شبيب فقال اركبوا اكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم واتبعوهم ملحين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم اصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح أخرى فرجعت فمنعتهم من دخول الخندق وقال انضحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتى اضطرهم الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل فلما رأى شبيب انه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ثم أقبل بهم راجعا الى الجزل ايضا على التعبية الاولى وقال أطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد دخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فما شعروا الا بوقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم قبل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم ثم ان شبيبا أرسل الى اخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبل الينا وخل لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى اصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم يظفر بهم فنزل على ميل ونصف ثم صلى الغداة ثم سار الى جرجرايا واقبل الجزل فى طلبهم على تعبية ولا ينزل الا فى خندق وسار شبيب فى أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجاج فكتب الى الجزل يشكر عليه ابطاءه ويأمره بمناهضتهم فجد فى طلبهم وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره بالجد فى قتال شبيب وترك المطاولة فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقام فى العسكر وبجنهم وعجزهم ثم خرج وأخرج معه الناس وضم اليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة الى شبيب ويترك الباقين مكانهم فقال له الجزل ما تريد أن تصنع قال أقدم على شبيب فى هذه الخيل فقال له الجزل أقم انت فى جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرز لهم فوالله ليقدمن علينا ولا نفرق اصحابنا فقال قف أنت فى الصف فقال الجزل يا سعيد ليس لى فيما صنعت رأى انا برى منه ووقف الجزل فصف اهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس وقد أخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وأمر دهقانا أن يصلح لهم غداء ففعل وأغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد فى ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم شبيبا بهم فقال لا بأس قرب الغداء فقربه فاكلوا وتوضا

قتل النبى صلى الله عليه وسلم حيلة فاوحى الله الى نبيه ما اضمر بازان وقاصده فاحضر القاصد وأخبره النبى صلى الله عليه وسلم ان كسرى ابرويز قتله أولاده اليوم فرقد خا باخاسرا فلما صح ذلك اسلم بازان وحسن اسلامه وكان مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة (وفى أيامه) كانت حروب دقيار وجمع فى أيامه من الاموال مالم يجمعه غيره من الملوك روى انه أصاب سفينة اتت بها الريح وقصته انه لما وقع بين كسرى وقيصر مخالفة وقصد كسرى ملكه وسار اليه فخاف قيصر وحمل خزائن آبائه وأجداده فى السفن فأدتها الريح الى كسرى والفرس بالغوا فى ملكه وسلطنته وروى حزة الاصفهانى ان ابرويز كان له احد عشر الف جارية وستة آلاف خادم وفارس وثلاثمائة آلاف امرأة وعشرون الفا وخمسمائة فرس ويقال انه خرج فى بعض أعياده وقد صفت له الجيوش وفيها صف ألف فيل وقد أحدقت به خمسون الف فارس دون الراجلة فلما رأته الفيلة سجدت فمارفعت رؤسها حتى ضربت بالمحاجن ورأتها الفيالون بالهندية وفى عهده ولد

وصلى ركعتين وركب بغلاله وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لاحكم الا للحكم أنا ابو بدلة اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يقول هؤلاء انما هم اكلة رأس وجعل يجمع خيله ويرسلها في اثر شبيب فلما رأى شبيب تفرقهم جمع اصحابه وقال استعرضوهم فوالله لا قتلن أميرهم أو ليقتلني وحمل عليهم مستعرضا فهزمهم وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله وانهزم ذلك الجيش وقفلوا حتى انتهوا الى الجزل فناداهم أيها الناس الى الى وقاتل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى جريحا وقدم المنهزمون الكوفة وكتب الجزل الى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن وكتب اليه الحجاج يثني عليه ويشكره وارسل اليه حيان بن أبجر ليداوي جراحته والفي درهم لينفقها وبعث اليه عبد الله بن عصيفر بألف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهدية وسار شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل الى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليها فارسل الى سوق بغداد فامنهم وكان يوم سوقهم وبلغهم انهم يخافونه واشترى اصحابه دواب وأشياء يريدونها

(ذكر مسير شبيب الى الكوفة)

ثم سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد الرحمن السعدي في الفي رجل اليه وقال له ان شبيبا فان استطرد لك فلا تتبعه فخرج وعسكر بالسبخة فبلغه أن شبيبا قد أقبل فسار نحوه فكأنما يساقون الى الموت فامر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس في السبخة وسار سويد الى زرارة فهو يعبي اصحابه اذ قيل قد اتاك شبيب فنزل ونزل معه جل اصحابه فاخبر ان شبيبا قد ترك الكوفة وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى في اصحابه فركبوا في آثارهم وبلغ من بالسبخة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصاح بعضهم ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويدا في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شئ وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويدا وقام حتى اصبح وأرسل الى الحجاج يعلمه بمسير شبيب

(ذكر محاربة شبيب أهل البادية)

وكتب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب حتى اغار اسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر وراء خفان فاصاب رجالا من بني الورثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومضى شبيب حتى أتى بني امية على اللصف وعلى ذلك الماء الفزر بن الاسود وهو احد بني الصلت وكان ينهى شبيبا عن رأيه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة اعنة لاغزون الفزر فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزر فرسا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع وقد أخاف اهل البادية فاخذ على القطقطانة ثم على قصر بني مقاتل ثم على الحصاصة ثم على الانبار ومضى حتى دخل دقوقا ثم ارتفع الى اذنا اذربيجان فلما أبعد سار الحجاج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فاشعر الناس الا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره ان شبيبا قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجاج بالبصرة فاقبل مجدا

الفيل بخراسان ولم يعهد هنالك للفيل ولادة وكان حين يركب يمشي معه مائتا انسان معهم المجامر والمعاطر لشم الرائحة الطيبة وكان له ألف انسان برسم رش الماء في الطريق لاطفاء الغبار وكان رجلا حسن الوجه حسن الشمائل شجاعا ذا قوة وكانت له قطعة ذهب لين كالشمع يصنع منها ما يريد من غير مساس النار وكانت له قصعة اذا شرب ماؤها تملئ بنفسها من غير أن يملأها احد وكان تزوج بشيرين المغنية معشوقة فرهاد ولهما أخبار وسير يطول شرحها وقد صنف في وقائعهما كتب بالفارسية والتركية وبنى لها قصرا بقرب حلوان ثم ان ابرويز طغى وبغى واحتقر الاكابر وظلم الرعية وكان في حبسه ستة وثلاثون ألف رجل وكان متولي الحبس رجلا يقال له زاذان قد تغير على ابرويز فاتفق مع المحبوسين فأفرج عنهم وساروا وهجموا على كسرى ابرويز في داره

نحو الكوفة يسابق شبيبا اليها

(ذكر دخول شبيب الكوفة)

واقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال حرب يصلى به عدوكم ثم سار فنزل عقر قوف فقال له سويد بن سليم يا امير المؤمنين أرتحولت من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت ايضا والله لا اسير الى عدوى الا منها انما شؤمها على عدوتاوا العقر لهم ان شاء الله ثم سار منها يبادر الحجاج الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه أعنى الحجاج يحثه على العجل اليهم فطوى الحجاج المنازل فنزلها الحجاج صلاة العصر ونزل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فاكلوا شيأ ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فاثر فيه أثرا عظيما ثم رقف عند المصطبة وقال

عبد دعى من ثمود أصله * لابل يقال أبوا بيهم يقدم

يعنى الحجاج فان بعض الناس يقول ان ثقيفا بقايا ثمود وبعضهم يقول هم من نسل يقدم الايادى ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلون فقتلوا عقيل بن معقب الوادعى وعدى ابن عمرو الثقفى وابا البيث بن أبى سليم ومروان بدار حوشب وهو على الشرط فقالوا ان الامير يطلبه فاراد الركوب ثم انكرهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثم أتى الحجاف بن نبيط الشيبانى فقال له انزل لنقضيك ثمن البكرة التى اشتريت منك بالبادية فقال الحجاف ماذكرتك امانيك الا والليل اظلم وانت على فرسك يا سويد قبح الله دينا لا يصلح الا باراقة الدماء وقتل القرابة ثم مر وابمسجد ذهل فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن قعقاع بن شور الذهلى فقال له السلام عليك أيها الامير فقال له سويد أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين فقال له شبيب يا نضر لا حكم الا لله وأراد يلعنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فشد أصحاب شبيب عليه فقتلوه وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه وكانت أم النضر ناجية بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى فاحب شبيب لجاته ثم خرجوا نحو الرمة وأمر الحجاج مناديا فنادى يا خيل الله اركبى وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى القصة فقال اعلموا الامير بمكانى فقال له غلام للحجاج قف بمكانك وجاء الناس من كل جانب ثم ان الحجاج بعث بشير بن غالب الاسدى فى الفى رجل وزائدة بن قدامة الثقفى فى الفى رجل وابا الضرباس مولى بنى تميم فى الفى رجل وعبد الاعلى ابن عبد الله بن عامر وزياد بن عمرو العتكى وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله على سجستان وكتب الى الحجاج ليجهزه ويسيره سريعا فى ألف رجل الى عمله فاقام ينجهز وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال له الحجاج تلقى شبيبا وهذه الخارجة فجاهدهم ويكون الظفر لك ويطير اسمك ثم تمضى الى عملك فسيره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فامير كم زائدة بن قدامة فسار هؤلاء الامراء فنزلوا أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى هم فيه وأخذ نحو القادسية

(ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس)

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له اتبع شبيبا حتى

فهرب فوجدوه وقيدوه وحبسوه فى دار رجل ووكل به جماعة ومضى الى ابنه شيرويه وأجلسه مكان والده واطاعه الخاص والعام وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع وآخر الامر قال شيرويه لابيه لا تعجب ان أنا قتلتك فانى أقتدى بك فارسل شيرويه بعض أولاد الاساورة الذين قتلهم ابرويز وأمرهم بقتله فقتلوه ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وخلف أبرويز ثمانية عشر ولدا غير شيرويه فقتلهم شيرويه ولما قتل شيرويه أباه أبرويز راود زوجته شيرين على نفسها فامتنعت فضيق عليها ورماها بالزنا واراد قتلها ان لم تفعل فقالت افعل على ثلاث شرائط قال وما هى قالت تسلمى قتلة زوجى أقتلهم وتصعد المنبر فتبرئنى مما قذفتنى به وتفتح لى ناووس أبيك فان له وديعة عندى عاهدنى ان تزوجت بعده ردتها اليه فدفع لها قتلة زوجها فقتلهم وابر أها مما قال لها وفتح ناووس ابيه وبعث الخدم معها فجاءت الى أبرويز فما تفقده وصاح فصاح بصوته وما كان معها فانت من

توافقه اين أدركته الا ان يكون ذاهبا فاتركه مالم يعطف عليك أو يقيم فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى الى زحر فقاتل زحر حتى صرع وانهزم أصحابه وظنوا انهم قتلوه فلما كان السحر وأصابه البرد قام يمشي حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة ورأسه بضع عشرة جراحة فمكث اياما ثم أتى الحجاج فاجلسه معه على السرير وقال لمن حوله من أراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا

(ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة)

فلما هزم اصحاب زحر قال أصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندا انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين في طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله لئن قاتلناهم فادون الحجاج مانع وناخذ الكوفة ان شاء الله تعالى فقالوا نحن لرأيك تبع فسار وسأل عن الامراء فأخبرانهم يرودون بارعلى أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقصدهم فاوصل اليهم الحجاج يعلمهم بسيره ويقول لهم ان أمير الجماعة زائدة بن قدامة وانتهى اليهم شبيب وقد تعبوا للعرب فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتهم بشر بن غالب الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغر في ثلاث كتائب كتيبة فيها سويد بن سليم فوقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال ويطمعهم في عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وانهم على الحق ثم انصرف الى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم حمل عليهم ثانية فقطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالا شديدا وقاتل سويد أيضا قتالا شديدا وانه لاشجع العرب ثم ارتفع سويد عنهم فاذا أصحاب زياد يتفرقون فقال لسويد أصحابه الا تراهم يتفرقون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فاتركهم قليلا ثم حمل الثالثة فانهزموا وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فاضربه منها شئ للبسته التي عليه ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرا ولحق بزياد بن عمرو فضاء انهزمين وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالا شديدا وصبر لهم ثم ان مصادا اخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلا فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم اصحابه وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نادى يا أهل الاسلام الارض الارض لا يكروا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلوهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا حمل عليه في جماعة من أصحابه فقتله وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن أحد الحكمين فاراد قتله فقال

وقتها وابطأت على الخدم فصاحوا فلم تتكلم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة وأم شيرويه ماريه بنت قيصر ملك الروم وكان ردئ المزاج كثير الامراض صغير الخلق وكانت اخوته كانهم عوالي الرماح قد كملوا في الخلق والخلق والادب ثم ندم على قتل اخوته وجزع عليهم جزعا شديدا وكان ابوه أبرويز وضع في الخزائن برانى سم وكتب عليها نافع مجرب للجماع فلما قتل شيرويه وصفاله الامر دخل الخزينة فنظر الى البرنية مكتوبا عليها وكان مغرما بالجماع فلما ذاق منها مات في الحال والفرس تسميه الغشوم وكانت عدة ملكه ثمانية أشهر وعمره اثنتان وعشرون سنة ثم ملك بعده (أردشير بن شيرويه) وكان عمره سبع سنين وحضنه رجل يقال له بهادر حشيش فاحسن سياسة الملك فساء به شهريار الى انطاكيه فقتله وقتل بهادر حشيش معه وكانت مدة ملكه سنة وستة أشهر ثم ملك بعده (شهريار) وكان من مقدمي الفرس وكانت الشام انطاعه فاستولى على الملك ولبس التاج

شبيب ماذنب هذا وتركه وسلموا على شبيب بامرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر
الفجر فلما ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذنه فاذن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال
ماهذا قالوا محمد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننت ان حتفه وخيلاءه يحمله على هذا ثم نزل
شبيب فاذن هو وصلى باصحابه الصبح ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه فانهزمت طائفة منهم
وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان فى العسكر وانهزم الذين كانوا
بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه
فاقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه مادون الكوفة أحد يمنع فنظر فاذا أصحابه قد
جرحوا فقال لهم ماعليكم أكثر مما فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فأتى خانيجار فاقام بها
فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذها كان فى يده من
السواد أكثره فهال ذلك الحجاج فبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وجوخى والانبار وعزل
عنها عبد الله بن أبى عصيفر وكان بها الجزل يداوى جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبى
عصيفر يفعل فقال الجزل اللهم زد ابن أبى عصيفر جودا وفضلا وزد عثمان بن قطن بخلا وشقاء
وقد قيل فى مقتل محمد بن موسى غير هذا والذى ذكر من ذلك ان محمد بن موسى كان قد شهد مع
عمر بن عبيد الله بن معمر قتال ابى فديك وكان شجاعا باسا فزوجه عمر ابنته وكانت أخته
تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وفيها الحجاج فقيل له ان صار هذا
بسجستان مع صهره عبد الملك فجاء اليه احد ممن تطلب منعك منه فقال وما الحيلة قال تأتيه
وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وان شبيبا فى طريقه وانه قد عيا به وترجو ان يريح الله منه
على يديه فيكون له ذكره وفخره ففعل الحجاج ذلك فاجابه محمد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب
انك مخدوع وان الحجاج قد اتقى بك وأنت جار لك حتى فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أوذيك فابى
الا محاربته فوافقه شبيب وأعاد اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قعنب وسويد
ابن سليم فابى الا شبيبا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له انشدك الله فى دمك فان لك
جوارا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم البيضة
ورأسه فسقط ميتا ثم كفنه ودفنه واتباع ماعنموا من عسكره فبعثه الى أهله واعتذر الى أصحابه
وقال هو جارى ولى ان اهب ماغنمت لاهل الردة

* (ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن) *

ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأمره ان ينتخب من الناس ستة آلاف فارس
ويسير فى طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يهددهم
بالقتل والتنكيل ان انهزموا فوصل عبد الرحمن الى المدائن فاتى الجزل يعوده من جراحته
فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه واعطاه فرسا كانت له تسمى الفسفسا
وكانت لا تجارى ثم ودعه عبد الرحمن وسار الى شبيب فسار شبيب الى دقوقا وثم رزور فخرج عبد
الرحمن فى طلبه حتى اذا كان بالنخوم وقف وقال هذه أرض الموصل فلبثوا عنها فكتب اليه
الحجاج امابعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان
سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن فى اثر شبيب فكان شبيب يدعه

وجلس على سرير الملك
ولم يكن من أهل بيت
المملكة فوثب عليه جماعة
من الحرس وهو سائر الى
الصيد والقوه عن فرسه
وقتلوا جماعة من أصحابه
وشدوا فى رجل شهريار
حبلا وجروه اقبالا وادبارا
لكونه تعرض للملك وليس
من أهله ثم ولوا المملكة
(بوران بنت كسرى
أبرويز) فاحسنت السيرة
ودارت مع الروم وملكت
سنة وأربعة أشهر ثم هلكت
فملك (خشنشد) من بنى عم
كسرى أبرويز ولما ملك
لم يهتد الى تدبير المملكة
فقتل فكانت مدة ملكه
نحوا من شهر ثم ملكت
(ازرميدخت بنت كسرى
أبرويز) واظهرت العدل
والاحسان وكان أعظم
الفرس حينئذ فروخ هرمز
والى خراسان وكانت
ازرميدخت من أحسن
النساء صورة فخطبها فروخ
هرمز ليتزوجها فامتنعت
من ذلك ثم أجابته بالاجتماع
به فى الليل ليقضى وطره
منها فلما حضر أمرت
متولى حرسها فقتله وكان
لفروخ ابن يقال له رستم
وقد ولاه على خراسان نيابة
عنه حين توجه بباب
أزرميدخت فلما سمع بقتل

حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فيتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغ شبيبا مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غرة ثم جعل اذا دانا منه عبد الرحمن يسير عشر بن فرسخا وما يقاربها فينزل في ارض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن فاذا دانا منه فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه واحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين وجلولاء وسامرا ثم اقبل الى البث وهي من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر حولايا وهو في واذان الاعلى من ارض جوخى ونزل عبد الرحمن في عواقيل من النهر لانها مثل الخندق فارسل شبيب الى عبد الرحمن يقول ان هذه الايام عيد لنا ولكم يعني عيد النحر فهل لك في الموادعة حتى تمضي هذه الايام فاجابه الى ذلك وكان يحب المطاولة وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج اما بعد فان عبد الرحمن قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وكسر خراجها وخلى شبيبا يأكل اهلها والسلام فكتب اليه الحجاج يأمره بالمسير الى الجيش وجعله اميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن وبعث الحجاج الى المدائن مطرف ابن المغيرة بن شعبة وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء يوم التروية فنادى الناس وهو على بلغة ايها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبية وهو يقول لا ناجز نهم فلتكونن الفرصة لي او لهم فاتاه عبد الرحمن فانزله وكان شبيب قد نزل ببعقبة البث فاتاه اهلها فقالوا له انت ترحم الضعفاء واهل الذمة ويكلمك من تلي عليه ويشكون اليك فتنظر اليوم وان هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم في بيعتنا ليقتلننا اذا ارتحلت عنا فان رايت ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالا ففعل فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه فلما اصبح يوم الاربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له نشدك الله ان لا تخرج بنا والريح علينا فاقام بهم ذلك اليوم ثم خرج بهم يوم الخميس وقد عبى الناس فجعل في الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولي ونزل هو في الرجالة وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فوقف هو في الميمنة وجعل اخاه مصادا في الغلب وجعل سويد بن سليم في الميسرة وزحف بعضهم الى بعض وقال شبيب لاصحابه اني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فاذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه امري وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل ايضا مالك بن عبد الله الهمداني عم عياش بن عبد الله المتوف ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتله قتالا شديدا وحمل شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء واشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه مصاد اخو شبيب في نحو من ستين رجلا فلما دانا منهم عثمان شد عليهم فمن معه فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه الا والرماح في اكنافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم ايضا في خيله ورجع مصاد واصحابه فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن احر قتال ثم انهم احاطوا به وضربه مصاد اخو شبيب

ضربة

ابيه جمع عسكرا وقصدها فقتلها آخذا بثار ابيه وكان ملكها ستة أشهر واختلف عظماء الفرس فيمن يولونه الملك فلم يجدوا غير رجل من عقب اردشير ابن بابك اسمه (كسرى) فملكوه ولم يلق به الملك فقتلوه بعد ايام فلم يجدوا من يملكونه من بيت الملك فوجدوا رجلا يقال له فيروز يزعم انه من نسل انوشروان فملكوا (فيروز) المذكور ووضعوا التاج على رأسه وكان رأسه ضخما فقال ما اضيق هذا التاج فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق وقالوا هذا لا يصلح له الملك فقتلوه ثم ملكوا مكانه (فرخ زاد خسرو) من اولاد انوشروان ملك ثلاثة أشهر ثم ملك بعده (يزدجرد بن شهر يار) الساساني وكان مختفيا باصطخر لما قتل أبوه مع اخوته حسبما ذكرناه آنفا وكان ملك يزدجرد المذكور كالخيال بالنسبة الى ملك آبائه وكانت الوزراء تدبر ملكه وضعف ملك فارس واجترأ عليهم أعداؤهم وغزا المسلمون بلادهم وكان رستم الشديد الارمني وزيره وقائد جيوشه فقال له خذ من الخزائن والسلاح والعساكر ما تريد

ضربه بالسيف استدار لها وقال وكان امر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن فاتاه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغله فعرفه فاركبه معه ونادى في الناس الحقوا بدير ابي هريم ثم انطلق واذا هيين ورأى واصل السكوني فرس عبد الرحمن التي اعطاها له الجزل تجول في العسكر فاخذها بعض اصحاب شبيب فظن انه قتل فطلبه في القتلى فلم يجده فسأل عنه فاعطى خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دنا منهما نزل عبد الرحمن وابن أبي سبرة ليقاتلا فلما رآهما واصل عرفهما وقال انكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمن بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا احدهما بعبد الرحمن طويلا ثم نزلا فتبين ان ذلك الرجل كان شبيبا وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة وسار عبد الرحمن حتى أتى دير ابي هريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له ان سمع شبيب بمكانك اتاك فكنت له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجاج حتى اخذ له الامان منه

(ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية)

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الاسلام فانتفع الناس بذلك وكان سبب ضربها انه كتب في صدور الكتب الى الروم قل هو الله احد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ثم ان الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لان الجنب والحائض يمسها ونهى ان يضرب أحد غيره فضرب سمير اليهودي فاخذه ليقتله فقال له عيار دراهمي أجود من دراهمك فلم تقتلني فلم يتركه فوضع للناس صنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انما يزنون بعضهم ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض وأول من شدد في أمر الوزن وخلص الفضة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ثم كان خالد بن عبد الله القسري ايام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ثم ولي يوسف بن عمر فافرط في الشدة فامتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب في حبة مائة ألف سوط وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها فسميت الدراهم الاولى مكروهة وقيل ان المكروهة الدراهم التي ضربها الحجاج ونقش عليها قل هو الله أحد فكرهها العلماء لاجل مس الجنب والحائض وكانت دراهم الاعاجم مختلفة كبارا وصغارا وكانوا يضربون مثقالا وهو وزن عشرين قيراطا ومنها وزن اثني عشر قيراطا ومنها وزن عشرة قراريط وهي أصناف المثاقيل فلما ضرب الدراهم في الاسلام أخذوا عشرين قيراطا واثني عشر قيراطا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطا فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة

واكفني أمر العرب النازلين بلادنا فذهب رستم في مائتي الف مقاتل مع خمسة آلاف أمير تدور عليهم رحا الحرب ونقضت دهاقنة العراق عهودهم مع المسلمين فوصل الخبر الى أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه فوجه العساكر المنصورة من المدينة المحمدية مستمدا من الحضرة النبوية صلوات الله عليه وسلامه وسعد بن أبي وقاص صاحب الجيش فلما اجتمع عساكر المسلمين مع عسكر رستم رأى رستم رؤيا هالته وكان منجما كاهنا كأن يزدجرد يجمع السلاح من ممالك فارس ويعطيها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطيه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يقسمها بين العساكر الاسلامية فازداد رستم غما فجبن وكان يكره حرب العرب فلما التقى الفريقان وتزاحف الناس اقتتلوا اياما فهرب رستم ورمى نفسه في نهر العتيق فاقتحم هلال بن علقمة رضي الله عنه النهر فاخرجه منه الى البر فقتله ثم صعد الى السرير وصاح قتلت رستما ورب الكعبة وفي المستطرف ان عمرو بن معد يكرب الزبيدي

عشر قيراطا فوزن الدرهم العربى أربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك أيام عبد الملك والاول أصح فى ان عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك وفيها ولى عبد الملك المدينة ابان بن عثمان وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان على العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطية وفيها مات حبة بن جوين العرنى صاحب على (حبة بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو منسوب الى عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون)

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

(ذكر محاربة شيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما)

وفى هذه السنة قتل شيب عتاب بن ورقاء الرياحى وزهرة بن حوية وسبب ذلك ان شيبا لما هزم الجيش الذى كان وجهه الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن كان ذلك فى حر شديد وأتى شيب ماهبهر اذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات فلما ذهب الحر خرج شيب فى نحو ثمانمائة رجل فاقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قنطرة حذيفة بن اليمان فكتب عظيم بابل مهرون الى الحجاج بذلك فلما قرأ الكتاب قام فى الناس فقال أيها الناس انتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لا بعثن الى قومهم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيئكم فقام اليه الناس من كل جانب ومكان فقالوا نحن نقاتلهم ونعين الامير فانتدب الامير اليهم وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصلح الله الامير انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة وابعث اليهم رجلا شجاعا مجربا ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فانت ذلك الرجل فاخرج فقال زهرة اصلح الله الامير انما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس وانا لا اطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصرى ولكن أخرجنى مع الامير فى الناس فاكون معه وأشير عليه برأيى فقال الحجاج جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله فى أول أمرك وآخره فقد نصحت ثم قال أيها الناس سيروا اليهم جميعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون ولا يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ان شيبا قد شارف المدائن وانه يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله فى مواطن كثيرة بقتل أمرائهم وبهزم جنودهم ويطلب اليه ان يبعث اليه جندا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد فلما اتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبى فى أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى الفين فبعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى وهو مع المهلب يستدعيه وكان عتاب قد كتب الى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله ان يضمه اليه لان عتابا طلب من المهلب

صاحب الصمصامة حل يوم القادسية على رستم وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقد بلغ ثمن تاجه مائة ألف دينار فهزموهم وطردوهم وفر يزدجرد الى أرض الجبال وبعث خزائنه الى الصين ولم يجتمع شملهم فقتل منهم ثلاثون الفا وكان قتل رستم سنة أربع عشرة من الهجرة وغزا المسلمون بلادهم فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقتل يزدجرد بعد ذلك بمدة وكان عمره الى ان قتل عشرين سنة وهو آخر من ملك من ملوك الفرس وزال ملكهم بالاسلام زوالا لا يرجى له القيام وكانت عدة ملوك الفرس من كيومرث الى يزدجرد المذكور ثمانين ملكا منهم ثلاث نسوة والله أعلم بغيبه واحكم فسبحان من لا يزول ملكه

(الفصل الثانى فى ذكر ملوك الهند وأنبائها وبدء ممالكها وآرائها)

ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان الهند كانت فيها الصلاح والحكمة فانه

أن يرزق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وجرت بينهما مناضفرة فكادت تؤدى
الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فاصلح الامر والزم أبا يرزق اهل الكوفة فاجابه الى
ذلك وكتب يشكو منه فلما ورد كتابه سرا الحجاج بذلك واستدعاه ثم جمع الحجاج اهل الكوفة
واستشارهم فيمن يوليه امر الجيش فقالوا رأيك افضل فقال قد بعثت الى عتاب وهو قادم عليكم
الليلة أو القابلة فقال زهرة أيها الامير رميتهم بحجرهم والله لانرجع اليك حتى نظفر او نقتل
وقال له قبيصة بن والق ان الناس قد تحدثوا ان جيشا قد وصل اليك من الشام وان اهل الكوفة
قد هزموا وهان عليهم الفرار فقلوبهم كانها ليست فيهم فان رأيت ان تبعث الى اهل الشام
ليأخذوا حذرهم ولا يثبتوا الاوهم محناطون فانك تحارب حوّلا قلبا ظهرا نارحالا وقد جهزت
اليهم اهل الكوفة واستوثقا بهم كل الثقة وان شيبا بيناهو في ارض اذا هو في اخرى
ولا آمن ان يأتي اهل الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال له الله ابوك
ما احسن ما اشرت به وارسل الى اهل الشام يحذرهم ويأمرهم ان يأتوا على عين التمر ففعلوا
وقدم عتاب بن ورقاء ثلث الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين واقبل شيب
حتى انتهى الى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين
مطرف دجلة وقطع مطرف الجسر وبعث الى شيب أن ابعث الىّ رجالا من وجوه اصحابك
ادارسهم القرآن وأناظر فيما يدعون اليه فبعث اليه قعنب بن سويد والمحلل وغيرهما وأخذ منه
رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده اربعة أيام ثم لم يتفقوا على شئ فلما لم يتبعه مطرف تهيأ
للمسير الى عتاب وقال لاصحابه انى كنت عازما ان آتى أهل الشام جريدة والقاهم على غرة قبل
ان يتصلوا بامير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطنى عنهم مطرف وقد جاءتنى عيونى فاخبرونى
ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد أخبرونى ان عتابا ومن معه
بالبصرة فما اقرب ما بيننا وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب وخاف مطرف بن المغيرة ان يبلغ
خبره مع شيب الى الحجاج فخرج نحو الجبال فارسل شيب اخاه مصادا الى المدائن وعقد الجسر
وأقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفا ومن الشباب
والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين ألفا وكان الحجاج قد قال لهم حين سار وان للسائر المجتهد
الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذى لا اله غيره لئن فعلتم في هذه المواطن كفعلكم
في المواطن الاخر لاوينكم كنفا خشنا ولاعركنكم بكلكل ثقيل فلما بلغ عتابا سوق حكمة
أتاه شيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فخفهم على القتال وسار بهم فخالف عنه بعضهم
ثم صلى الظهر بساباط وصلى العصر وسار حتى اشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلى
المغرب وكان عتاب قد عبى اصحابه فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن
أخي انك شريف صابر فقال والله لاصبرن ما ثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق العقيلي
اكفني الميسرة فقال انا شيخ كبير لا استطيع القيام الا ان أقام فجعل عليها نعيم بن عليم وبعث
حنظلة بن الحرث اليربوعي وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف
صف فيهم أصحاب السيوف وصف فيهم أصحاب الرماح وصف فيهم الرماة ثم سار في الناس
يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال أين القصاص فلم يجبه أحد ثم قال أين من يروى شعر

نجيات الاجيال وتجربة الاحزاب فيها فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهى وفينا هبط آدم عليه السلام من الجنة ومنا سرى الى الارض فالرياسة لنا ونصبت لها ملكا وهو (البهرمن الاكبر) والملك الاعظم ظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت الاطباء والعلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت في أيامه السيوف والخناجر واكثر من أنواع المقاتلة وسبل الهياكلة ورصعها بالجواهر المنيرة وصوّر فيها الافلاك والبروج وكيفية العالم فكانت مدة ملكه الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة والهند تعظمهم وهم اعلى اجناسهم واشرفهم ولا يأكلون شيأ من الحيوان ولما هلك أكبرهم جزعت عليه الهند جزعا شديدا وملك ابنه (الباهبوذ) فسار فيهم سيرة أبيه وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم فكان مدة ملكه الى ان هلك مائة سنة وفي أيامه عمل النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لاتنال بالحيل في هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق

عنترة فلم يجبه أحد فقال انا لله كالى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جاس فى القلب ومعه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب وهو فى ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فجعل سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة وجعل المحلل بن وائل فى مائتين فى القلب ومضى هو فى مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين اضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات فقالوا رايات لربيعة قال طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنكم محتسبا انا شبيب لا حكم الا لله للحكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم فعضهم فثبت اصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بنى ثعلبة قتل قبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله كما قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ثم وقف عليه وقال ويحك لو ثبت على اسلامك الاول سعدت وقال لاصحابه ان هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم جاء يقاتلكم مع الفسقة ثم ان شبيبا حمل من الميسرة على عتاب وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتلهم فى رجال من تميم وهمدان فما زالوا كذلك حتى قيل لهم قتل عتاب فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة فى القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم شبيب فقال عتاب يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهفى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس ألا صابر لعدو ألا مواس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعلا لا يفعله مثلك أبشر فانى أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى الينا الشهادة عند فنائنا عمارنا فما دنا منه شبيب وثب فى عصابة قليلة صبرت معه وتذهب الناس فقيل له ان عبد الرحمن بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رأيت ذلك الفتى يبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعة فرآه رجل من اصحاب شبيب يقال له عامر بن عمر التغلبى فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فاخذ يذب بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل ابن عامر الشيبانى فقتله فانتهى اليه شبيب فرآه صريعا فعرفه فقال هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من ايام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وقريه من قراهم حم أهلها قد افتتحتها ثم كان فى علم الله انك تقتل ناصرا للظالمين وتوجع له فقال له رجل من أصحابه انك لتتوجع لرجل كافر فقال انك لست باعرف بضلالتهم منى ولكنى أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه لكانوا اخواننا فاستسلك شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما فى العسكر وبعث الى أخيه فاتاه من المدائن وأقام شبيب بعد الوقعة ببيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها وكان سفيان بن الابرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجاج واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة فقام على المنبر فقال يا أهل الكوفة لا أعز الله من أرادكم العز ولا نصر من أرادكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل معنا الا من لم يشهد قتال عتاب

ثم ملك مكانه (رامان) بعد الباهبوذ فكان مدة ملكه مائة سنة وخمسين سنة وله سير واخبار وحروب مع ملوك الفرس وملوك الصين ثم ملك بعده (فور) وهو الذى حارب الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة فكان ملك فور الى ان هلك مائة وأربعين سنة ثم ملك بعده (ديشليم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ترجمه ابن المقفع بلسان العربية من لسان الهند وكان مدة ملكه مائة سنة وعشرين سنة ثم ملك بعده (بلهيث) ووضع فى ايامه الشطرنج والواضع له صصه ابن داهر الهندى فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذى ينال الحازم والنكبة التى تلحق الخامل وكان مدة ملكه ثمانين سنة ثم ملك بعده (كورش) فاحدث للهند آراء فى الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وخرج من مذاهب من سلف وعمل له كتاب فى معرفة العلل والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملكه مائة وعشرين سنة ولما هلك اختلفت الهند فى آرائها وانفرد كل

(ذكر قدوم شيبب الكوفة أيضا واهزامه عنها)

ثم سار شيبب من سوراء فنزل حمام أعين فدعا الحجاج الحرث بن معاوية الثقفي فوجهه في ناس من الشرط ليشهد اليوم عتاب وغيرهم فخرج في نحو الف فنزل زرارة فبلغ ذلك شيبا فعجل الى الحرث بن معاوية فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم اصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة وجاء شيبب فعسكر بناحية الكوفة واقام ثلاثا فلم يكن في اليوم الاول غير قتل الحرث فلما كان اليوم الثاني اخرج الحجاج موالي فاخذوا باقواه السكك وجاء شيبب فنزل السبخة وابتنى بها مسجدا فلما كان اليوم الثالث اخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه بجفاف ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شيبب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد ارحتكم منه ثم اخرج الحجاج غلامه طهمان في مثل تلك العدة والحالة فقتله شيبب وقال ان كان هذا الحجاج فقد ارحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلا يركبه الى السبخة فأتي ببغل فركبه ومعه اهل الشام فخرج فلما راى الحجاج شيبا واصحابه نزل وكان شيبب في سبعمائة فارس فاقبل نحو الحجاج وجعل الحجاج سرية بن عبد الرحمن بن مخنف على افواه السكك في جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسي فقعد عليه ثم نادى أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة واليقين فلا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقتلوهم باطراف الاسنة ففعلوا واشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء واقبل شيبب في ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل وقال لسويد احمل عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا في وجهه باطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف هو واصحابه وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم وأمر شيبب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ثم ان شيبا حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلا ثم ان اهل الشام طاعنوه حتى الحقوه باصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل عليهم باصحابك على اهل هذه السكة لعلك تزيل اهلها وتأتي الحجاج من ورائه وتحمل نحن عليه من امامه فحمل سويد فرمى من فوق البيوت وافواه السكك فرجع وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة رجل من اهل الشام رداء له لئلا يؤتوا من خلفهم فجمع شيبب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شيبب بجميع أصحابه فوثبوا في وجهه ومازالوا يطاعنونه ويضاربونه قدما ويدفعونه واصحابه حتى اجازوهم مكانهم وامر شيبب أصحابه بالنزول فنزل بصفهم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شيبب ثم قال يا اهل الشام هذا اول الفتح وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار اشد قتال رآه الناس حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لي في قتالهم فاني موتور فاذن له فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من وراثهم فقتل مصادا الخا شيبب وقتل امرأته غزالة وحرق في عسكره واتى الخبر الحجاج وشيبا فكبر الحجاج وأصحابه واما شيبب فركب هو واصحابه وقال الحجاج لاهل الشام احملوا عليهم فانهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شيبب في حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله ان دعوه فتركوه ورجعوا ودخل

رئيس بناحية فملك على ارض السند ملك وملك على ارض الفتوح ملك وملك على ارض قشمير ملك وقتل ملك مدينة المادكين وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى (البلهرا) وهذا أول ملك سمي بهذا الاسم فصارت سمة لمن ولي هذه الحوزة من الملوك والملك مقصور في اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم كذلك بيت الوزارة ومن عادة ملوكهم وخاصتهم وعامتهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم وليس هو عندهم عيبا واقبح ما يكون عندهم السعال والخشوة لان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب صاعدا سمي جشاء وما يذهب سافلا سمي فسوا ولا فرق بينهما الا باعتبار المخارج واعظم ملوك الهند في وقتنا هذا (جلال الدين الاكبر) وغالب ملوك الهند تتوجه اليه وله جيوش وفيله لا يدرى كثرتها واكثر اهل الهند يحرقون اموتاهم ويذرون رمادهم في الرياح لغرض يذكرونه في المستقبل وفي الهند نهر يسمى بالكند وهو نهر حاد الانصباب سريع الجريان بحيث يخطف

الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى والله هاربا وترك امرأته يكسر
فى استها القصب ثم دعا حبيب ابن عبد الرحمن الحكمى فبعثه فى ثلاثة آلاف فارس من اهل
الشام فى اثر شبيب وقال له احذر بيانه وحيث لقيته فانزله فان الله تعالى قد قتل جده وقصر نابه
فخرج فى أثره حتى نزل الانبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاء بامنكم فهو آمن
فتفرق عن شبيب ناس كثير من اصحابه فلما نزل حبيب الانبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلى
المغرب وكان حبيب قد جعل أصحابه اربعا وقال لكل ربع منهم ليمنع كل ربع منكم جانبه فان
قاتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الآخر فان الخوارج قريب منكم فوطنوا أنفسكم على انكم
مبيتون ومقاتلون فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلا فما زالت قدم
انسان عن موضعها ثم تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثم أتى ربعا آخر فكانوا كذلك
ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ثم نازلهم راجلا فسقطت منهم
الايدى وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلا ومن اهل الشام
نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتين حتى ان الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيأ
وحتى ان الرجل ليقاتل جالسا فما يستطيع ان يقوم من التعب فلما يئس شبيب منهم تركهم
وانصرف عنهم ثم قطع دجلة واخذ فى ارض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ثم اخذ
نحو الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ليستريح هو ومن معه وقيل فى هزيمته غير ذلك وهو ان
الحجاج كان قد بعث الى شبيب اميرا فقتله ثم اميرا فقتله احدهما اعين صاحب حمام اعين ثم جاء
شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلى فى جامع الكوفة ركعتين
تقرأ فيهما البقرة وال عمران واتخذ فى عسكره اخصاصا فجمع الحجاج ليلا بعد ان لقى من شبيب
الناس ما لقوا فاستشارهم فى امر شبيب فاطرقوا وانصل قتيبة من الصف فقال اتأذن لى فى
الكلام قال نعم قال ان الامير ما راقب الله ولا امير المؤمنين ولا نصح الرعية قال وكيف ذلك قال
لانك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا فينهزمون ويستحيى ان ينهزم فيقتل قال فما
الرأى قال الرأى ان تخرج اليه فتحاكمه قال فانظرلى معسكرا فخرج الغامر يلعنون عنبسة بن
سعيد لانه هو الذى كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع
الناس واقبل قتيبة وقد رأى معسكرا حسنا فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور وخرج
الحجاج يتبعه حتى خرج الى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الاربعاء فتواقفوا وقيل للعجاج
لا تعرفه مكانك فاخف مكانه وشبهه له ابا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود
فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على
مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه فنزل عند ذلك الحجاج ونزل اصحابه وجلس على عباءة
ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبى لجام شبيب وقال ما تقول
فى صالح بن مصرح وبم تشهد عليه قال اعلى هذه الحال قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له
مصقلة برئ الله منك وفارقه الا أربعين فارسا فقال الحجاج قد اختلفوا وارسل الى خالد بن عتاب
فاتى بهم فى عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فامر
رجلا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغسل ثم دفنه ومضى القوم على حاميتهم

البصر عليه وتعذب اكثر اهل الهند انفسها بالحديد وتفرقها زهدا فى العالم ورغبة فى النقل عنه وذلك انهم يقصدون موضعا فى اعالى هذا النهر وهذه الجبال عالية واشجار عادية على حافة هذا النهر ورجال عندهم جلوس وحداد وسيوف منصوبة على تلك الشجرة وقطع من الخشب منحورة فتأتيهم اهل الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم فى هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون انفسهم من اعالى تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحديد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر اجزاء وما ذكرناه مشهور عندهم واهل الهند تعذب نفسها بانواع العذاب وقد تيقنت لما نالها من النعيم فى المستقبل فيصير الواحد الى باب الملك فيستأذن فى احراقه لنفسه فيدور فى الاسواق وقد اجيجت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بما يقدها ثم يسير فى الاسواق وقد امه

ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فامر باتباعهم فاتبعهم يحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة واتى شبيب بخوط بن عمير السدوسى فقال يا خوط لا حكم الا لله فقال ان خوطا من اصحابكم ولكنه كان يخاف فاطلقه واتى بعمير بن القعقاع فقال يا عمير لا حكم الا لله فقال فى سبيل الله شبابى فرد عليه شبيب لا حكم الا لله فلم يفقه ما يريد فقتله وقتل مصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالدا فابطؤا ولم يقدم اصحاب الحجاج على شبيب هيبة له واتى الى شبيب أصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه فحوفر سخين فالقوا أنفسهم فى دجلة منهزمين وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا أسد الناس فقيل هو خالد بن عتاب فقال يعرف فى الشجاعة ولو عرفته لاقتصمت خلفه ولو دخل النار ثم سار الى كرمان على ما تقدم ذكره وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسير سفيان ابن الابرد فى جيش اليه

(ذكر مهلك شبيب)

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك ان الحجاج اتفق فى اصحاب سفيان بن الابرد مالا عظيما بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وامر سفيان واصحابه بقصد شبيب فصار نحوه وكتب الحجاج الى الحكم بن ايوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يامره ان يرسل اربعة آلاف فارس من اهل البصرة الى سفيان فسيرهم مع زياد بن عمر والعتكى فلم يصل الى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد اقام بكرمان فاستراح هو واصحابه ثم اقبل راجعا فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وجعل مهاصر بن سيف على الخيل واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا اشد قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان فيه ثم حمل عليهم هو واصحابه اكثر من ثلاثين حملة ولا يزول اهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرقوا وليزحف الرجال اليهم زحفا فمازالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء واوقعوا باهل الشام من الضرب والطعن مالم يروا مثله فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينصرفوا عليه امر الرماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدموا ورموا شبيبا ساعة فحمل هو واصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم فلما انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا اصبحنا بكرناهم ان شاء الله فعبروا امامه وتخلف فى آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس انثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله امرا كان مفعولا وانغمس فى الماء ثم ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق وقيل فى قتله غير ذلك وهو انه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا فكان قد اوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم ابن شيبان فلما قتل شبيب من بنى تيم أغار هو على بنى مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له

الطبول والصنوج وعلى بدنه انواع من خرق الحرير قد خرقها على نفسه وحوله أهله وقرابته وقد سلخ جلد رأسه ووضع عليه أكليل من الريحان وقد جعل على بدنه الكبريت والسندروس وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق الفلفل تجلدا فاذا أشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ثم ادخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منه قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر ودفعها الى بعض اخوانه متهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات ملك من ملوكهم او قتل نفسه احرق خلق كثير من الناس انفسهم لموته وللهند اخبار كثيرة عجيبة تجزع من سماعها النفوس

(الفصل الثالث فى ذكر ملوك الصين فى سالف الدهر والحين)

قد تنازع الناس فى انساب أهل الصين وبدئهم فذهب كثير منهم ان عامور بن شويل بن يافث بن نوح عليه السلام لما قسم الارض بين اولاده وانتشروا فى الارض

شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمري فقال له قتلت كفار قومي فقتلت كفار قومك ومن ديننا قتل من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطي أكثر مما أصبت من رهطك وما يحل لك يا امير المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين قال لا أجد وكان معه أيضا رجال كثير قد قتل من عشائرهم فلما تخلف في آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع في الماء فغرق والاول اصح واشهر وكان اهل الشام يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان ان رجلا منهم وقع في الماء فنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذا ليس فيه أحد واذا هو أكثر العساكر خيرا ثم استخرجوا شبيبا فشقوا جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبا كانه صخرة فكان يضرب به الصخرة فيشب عنها قامة الانسان قيل وكان شبيب ينمي الى امه فيقال قتل فلا تقبل ذلك فلما قيل لها غرق صدقت ذلك وقالت اني رأيت حين ولدته انه خرج مني شهاب نار فعلمت انه لا يطفئه الا الماء وكانت امه جارية رومية قد اشتراها ابوه فاولدها شبيبا منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت اني رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قلبي شهاب نار فذهب ساطعا في السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع في ماء كثير فخمد وولدته في يوم كم هذا الذي تهريقون فيه الدماء وقد اوتيت ذلك ان ولدي يكون صاحب دماء وان امره سيعلو فيعظم سريعا وكان ابوه يختلف به الى النصف ارض قومه وهو من بني شيبان

(ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة)

قيل ان بني المغيرة بن شعبة كانوا اصطناعا اشرافا انفسهم مع شرف ابيهم ومنزلتهم من قومهم فلما قدم الحجاج ورآهم علم انهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان وكانوا في اعمالهم احسن الناس سيرة واشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق فكتب الى الحجاج يستمده فامده بسبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وغيره واقبل شبيب حتى نزل بهرسير وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهي التي فيها ايوان كسرى فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض اصحابه لينظر فيما يدعون فبعث اليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وان الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف ما دعوتم الا الى حق وما نقمتم الا جورا ظاهرا انا لكم متابع فما يعوني على ما ادعوكم اليه ليجتمع امري وامركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه قال ادعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم فقالوا هذا ما لا نجبك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم يجتمع كلمتهم فسار وامن عنده وأحضر مطرف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج وعبد الملك وانه مازال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وانه يرى ذلك دينا لو وجد عليه أعوانا وذكر لهم ما جرى بينه

فصار واعدة ممالك فمنهم الديلم والجيل والطيلسان والبربر وفرغانة واهل جبل الفتح من انواع الامم فبغوا المدن والضياع وكوروا الكور ومصروا المدن وكان اول من ملك عليهم منهم (نسطرصاص) بن عامور وكان دار ملكه مدينة انموا وهي مدينة عظيمة وكان مدة ملكه ثلثمائة سنة وفرق اهله في تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار واطعم الثمار فلما هلك ملك ولده (غزوان) فجعل جسد ابيه في تمثال من الذهب جزعا عليه وتعظيما واجلسه على سرير من الذهب مرصع بالياقوت والجوهر واقبل يسجد لابيه وهو في جوف تلك الصورة هو واهل مملكته في طرف النهار اجلالا له وعاش مائتي سنة وخمسين سنة فلما هلك ملك ولده يقال له (غيزور) فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وجعله دون مرتبته واجلسه على سرير من الذهب فكان يبدأ بالسجود للاول ثم لابيه مع اهل مملكته فكان مدة ملكه فيهم مائتي سنة ثم هلك فملك ولده (عينان)

وبين اصحاب شبيب وانهم لو تابعوه على رأيه يخلع عبد الملك والحجاج واستشارهم فيما يفعل فقالوا له اخف هذا الكلام ولا تظهره لاحد فقال له يزيد بن ابى زياد مولى ابيه المغيرة بن شعبة والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة ويزاد ان على كل كلمة عشر امثالها ولو كنت فى السحاب لاتمسك الحجاج حتى يهلكك فالنجاء النجاء فوافقه أصحابه على ذلك فسار عن المدائن نحو الجبال فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى بدير يزدجرد فاحسن اليه واعطاه نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ثم ذكر مطرف لاصحابه بالسكرة ما عزم عليه ودعاهم اليه وكان رأيه خلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين يرتضون لانفسهم من احبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض وكان ممن رجع عنه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيبا مع اهل الشام وسار مطرف نحو حلوان وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدى من قبل الحجاج فاراد هو والاكراد منعه ليعذر عند الحجاج فجازه مطرف عواطأ منه واوقع مطرف بالاكراد فقتل منهم وسار فلما دنا من همذان وبها اخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصد ماه دينار وارسل الى اخيه حمزة يستمده بالمال والسلاح فارسل اليه سرا ما طلب وسار مطرف حتى بلغ قم وقاشان وبعث عماله على تلك النواحى واتاه الناس وكان ممن اتاه سويد بن سرحان الثقفى وبكير بن هرون النخعى من الرى فى نحو مائة رجل وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان اليه يعرفه حال مطرف ويستمده فامده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد وكتب الحجاج الى عدى بن زياد عامل الرى يامره بقصد مطرف وان يجتمع هو والبراء على محاربته فسار عدى من الرى فاجتمع هو والبراء ابن قبيصة وكان عدى هو الامير فاجتمعوا فى نحو ستة آلاف مقاتل وكان حمزة بن المغيرة قد ارسل الى الحجاج يعتذر فاظهر قبول عذره وأراد عزله وخاف ان يمتنع عليه فكتب الى قيس بن سعد المجلى وهو على شرطة حمزة بهمذان بعهده على همذان ويامره ان يقبض على حمزة بن المغيرة وكان بهمذان من بجل وربيعة جمع كثير فسار قيس بن سعد الى حمزة فى جماعة من عشيرته فاقرأه العهد بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه وقال سمعا وطاعة فقبض قيس على حمزة وجعله فى السجن وتولى قيس همذان وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف مكان حمزة بهمذان لكثرة اخواله بالمال والسلاح ولعله يجده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه وتفرغ باله ولما اجتمع عدى ابن زياد الايادى والبراء بن قبيصة سارا نحو مطرف فخندق عليه فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة كثيرة من اصحابه قتله عمير بن هبيرة الفزارى وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بنى امية وقاتل ابن هبيرة ذلك اليوم وابلى بلاء حسنا وقتل يزيد بن ابى زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدى وكان ناسكا صالحا وبعث عدى بن زياد الى الحجاج أهل البلاء فأكرمهم واحسن اليهم وامن عدى بكير بن هرون وسويد بن سرحان وغيرهما وطلب منه الامان للحجاج ابن حارثة الخثعمى فبعث اليهم كتاب الحجاج يأمرهم بارساله اليه ان كان حيا فاختفى ابن حارثة حتى عزل عدى ثم ظهر فى امارة خالد بن عتاب بن ورقاء وكان الحجاج يقول ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة انما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيبانى وكان مصقلة

فجعل أباه كما سبق من افعالهم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك فعاش اربعمائة سنة ثم هلك فملك ولده (بوبايان) فجعل جسد أبيه كما تقدم فاستقامت له الامور وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل لان العدل ميزان الرب وضم الناس الى ديانة اخترعها برأيه وأمرهم ان يعملوا بها فكانت مدة ملكه نحو اثنين مائة وخمسين سنة وجعلوا يوم وفاته عيدا يجتمعون فيه عنده وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وجعلوه فى تمثال من الذهب كما فعل بآبائه ولم يستقم لهم حال حتى حدث فى الملك امر زال به النظام وانتقضت به الاحكام وهو ان نبغ خارجى من غير بيت الملك يقال له (بابشو) فاجتمع اليه ارباب الشرور واستولى على الملك الى ان استنجد ولد الملك بخاقان ملك الترك فالتقى الفريقان واستمر الحرب نحوا من سنة حتى قتل الخارجى وتولى الملك ولد الملك اسمه (يعفور) وهو الذى ذكره صاحب السكردان انه راسل كسرى انوشروان بكتاب مضمونه من يعفور

والمغيرة يدعيانه فالحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد فلما أظهر رأى الخوارج قال الحجاج ذلك لان كثيرا من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان

(ذكر الاختلاف بين الازارقة)

قد ذكرنا مسير المهلب الى الازارقة ومحاربتهم الى ان فارقه عتاب بن ورقاء الرياحى ورجع الى الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالا شديدا ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشد قتال وكانت كرمان يد الخوارج وفارس يد المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى اتوا كرمان وتبعهم المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهى مدينة كرمان فقاتلهم قتالا شديدا فلما صارت فارس كلها فى يد المهلب ارسل الحجاج العمال عليها فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب فسادارا بجرد وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب فتركها له وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة ليحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وانه لا عذر له عنده فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة الى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عال يراهم فجاء الى المهلب فقال ما رأيت كتيبة ولا فرسانا اصبر ولا اشد من الفرسان الذين يقاتلونك ثم ان المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم اول مرة لا يصد كتيبة عن كتيبة وخرجت كتيبة من كتائب الخوارج لم تقاتل من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال الى ان حجز بينهم الليل فقالت احداهما للاخرى من انتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم وانصرفوا عند المساء فقال المهلب للبراء بن قبيصة كيف رأيت قوما يعينك عليهم الا الله جل ثناؤه فاحسن المهلب الى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف البراء الى الحجاج وعرفه عذر المهلب ثم ان المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شئ ثم ان عاملا لقطرى على ناحية كرمان يدعى المقعطر الضبى قتل رجلا منهم فوثبت الخوارج الى قطرى وطلبوا منه ان يقيدهم من المقعطر فلم يفعل وقال انه تأول فاخطأ التأويل ما أرى ان تقتلوه وهو من ذوى السابقة فيكم فوقع بينهم الاختلاف وقيل كان سبب اختلافهم ان رجلا كان فى عسكرهم يعمل النصول المسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منها فقال اكفيكموه فوجه رجلا من أصحابه ومعه كتاب وأمره ان يلقيه فى عسكر قطرى ولا يراه أحد ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطرى فرأى فيه اما بعد فان نصالك وصلت وقد انفذت اليك ألف درهم فاحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطرى فانكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ثم وضع المهلب رجلا نصرانيا وامره ان يقصد قطريا ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج ان هذا قد اتخذ الها وثب بعضهم الى النصرانى فقتله فزاد اختلافهم وفارق بعضهم قطريا ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقى مع قطرى منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحوا من اشهر وكتب المهلب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يأمره ان يقاتلهم على حال اختلافهم قبل ان يجتمعوا فكتب اليه المهلب انى لست ارى ان اقاتلهم مادام يقتل بعضهم بعضا فان تمادوا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رق بعضهم بعضا فانا هضهم حينئذ وهم اهون ما كانوا واضعفه شوكة ان شاء الله تعالى والسلام فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون

ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور الذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات الف ملك والذى فى مربطه الف فيل ابيض الى اخيه كسرى انوشروان واهدى اليه فرسا وفارسا من درمنضد عينا الفرس والفارس من ياقوت أحمر وقائم سيفه منضد بالجوهر وثوب صينى فيه صورة الملك يتلون بالوان مختلفه فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا وغير ذلك مما تهديه الملوك الى امثالها

(وفى كتاب الفرج) بعد الشدة ان الاسكندر لما انتهى فى مسيره الى الصين وحاصرها اتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره فقال له اتى رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك فقال ائذن له فلما دخل وقف بين يديه وقبل الارض ثم قال ان رأى الملك ان يخلى المجلس فليفعل فامر الملك من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا حاجبه فقال له الرسول ان الذى جئت له

شهر الا يحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع الباقون عبد ربه الكبير

(ذكر مقتل عبد ربه الكبير)

لما سار قطري الى طبرستان واقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا وحصرهم بجيرفت وكر رقتالهم وهو لا ينال منهم حاجته ثم ان الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم الى ان لحقهم على اربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة الى نصف النهار وكف عنهم وأقام عليهم ثم ان عبد ربه جمع اصحابه وقال يامعشر المهاجرين ان قطريا ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم وهبوا انفسكم لله ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا انساهم ما قبله فبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب ما مر بي مثل هذا ثم ان الله تعالى انزل نصره على المهلب واصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير وكان عدد القتلى اربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم الا قليل واخذ عسكرهم ومافيه وسبوا لانهم كانوا يسبون نساء المسلمين وقال الطفيل بن عامر ابن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه

لقد مس منا عبد رب وجنده * عقاب فامسى سبيهم فى القماسم
سمالهم بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوى من الارض ناعم
وما قطرى الكفر الا نعامة * طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فر منا هاربا كان وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت * به الفلك فى لج من البحر دائم

وهى أكثر من هذا تركناها للشهرتها واحسن الحجاج الى اهل البلاء وزادهم وسير المهلب الى الحجاج ببشرا فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم واخباره عن بنى المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدركه وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولى كرمان من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم اليه فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار الى الحجاج فلما قدم عليه أكرمه واجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت كما قال لقيط بن يعمر الايادى فى صفة امراء الجيوش

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم * يروم منها الى الاعداء مطلعا
انقاك يحلب هذا الدهر اشطره * يكون متبعا طورا ومتسعا
وليس يشغله مال يثمره * عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا

لا يحتمل ان يسمعه احد غيرك فامر الملك بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شئ من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مصلتا وقال له قف مكانك قل ما شئت وأمر حاجبه بالانصراف فلما خلى المكان تقدم الرسول وقال له اعلم انى أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت بين يديك لاسألك عما تريد منى فان كان مما يمكن الانقياد له ولو على اصعب الوجوه اجبت اليه واستغنيت أنا وأبالك عن الحرب فقال له الاسكندر وما امنك منى قال لعلمى بانك رجل عاقل وانه ليس بيننا عداوة متقدمة ولعلمى انك تعلم ان اهل الصين متى قتلتنى لا يسلمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياى بان ينصبوا ملكا من اولادى ثم تنسب انت الى عين الجهل وضد الحزم فاطرق الاسكندر مفكرا فى مقالته ورفع رأسه اليه وقد تبين له صدق مقالته وعلم انه رجل عاقل فقال اريد منك ارباع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارباعه فى كل سنة فقال ملك الصين هل غير هذا

حتى اسمرت على شزر مريرته * مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا

وهي قصيدة طويلة هذا هو الاجود منها

(ذكر قتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال)

قبل وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبيدة بن هلال ومن معهم من الازارقة وكان السبب في ذلك ان أمرهم لما تشتت بالاختلاف الذي ذكرنا وسار قطري نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سير اليه سفيان بن الابرد في جيش عظيم وسار سفيان واجتمع معه اسحق بن محمد بن الاشعث في جيش لاهل الكوفة بطبرستان فاقبلا في طلب قطري فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه اصحابه ووقع عن دابته فقعد على اسفل الشعب واتاه علج من أهل البلد فقال له قطري اسقني الماء فقال العلج اعطني شيأ فقال ما معي الا سلاحي وانا اعطيك اذا اتيتني بالماء فانطلق العلج حتى اشرف على قطري ثم حدر عليه حجرا من فوقه فاصاب وركه فأوهنه فصاح بالناس فاقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير انه يظن انه من اشرافهم لكمال سلاحه وحسن هيئته فجاءه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذان مولاهم وعمر بن أبي الصلت وكل هؤلاء ادعى قتله فجاء اليهم أبو الجهم بن كنانة فقال لهم ادفعوا رأسه الي حتى نصطلحوا فدفعوه اليه فاقبل به الى اسحق بن محمد وهو على الكوفة فارسله معه الى سفيان فسير سفيان الرأس مع ابي الجهم الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك فجعل عطاءه في الفين ثم ان سفيان سار اليهم فاحاط بهم ثم امر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاء الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال في ذلك

لعمري لقد قام الاصم بخطبة * لدى الشك منها في الصدور غليل

لعمري لئن اعطيت سفيان بيعتي * وفارقت ديني اني لجهول

الى الله اشكو ما ترى بجيادنا * تساوك هزلى مخهن قليل

تعاورها القذاف من كل جانب * بقوم مس حتى صعبهن ذلول

فان يك افناها الحصار فربما * تشحط فيما بينهن قتيل

وقد كن مما ان يقدن على الوجى * لهن بابواب القباب صهيل

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل سفيان دنباوند وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم وقال بعض العلماء انقرضت الازارقة بعد مقتل قطري وعبيدة انما كانوا دفعة متصلة اهل عسكر واحد واول رؤسائهم نافع بن الازرق وآخرهم قطري وعبيدة واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا اني أشك في صبيح المازني التميمي مولى سوار بن الاشعر الخارج أيام هشام قيل هو من الازارقة أو الصفرية الا انه لم تطل أيامه بل قتل عقيب خروجه

(ذكر قتل بكير بن وساج)

في هذه السنة قتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بكير بن وساج وكان سبب ذلك ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان أمر بكيرا بالتجهيز لغزو ما وراء النهر وقد كان قبل ذلك ولاه طخارستان فتجهز له فوشى به بجير بن ورقاء الى امية فنعه

قال لا قال قد اجبتك الى ذلك قال الاسكندر قنعت منك لاجل مجيئك على السدس فشكره وانصرف فلما اصبح الصباح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض كثرة واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واستعدوا فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعلى رأسه التاج فلما وصل الى الاسكندر ترجل ومشى اليه وقبل الارض بين يديه فقال الاسكندر ما غدرت فقال لا والله فقال ما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا ذلة والذي غاب عنك من الجيش أكثر مما ترى لكني لما رأيت العالم الاثير مقبلا عليك علمت انك لا تمالك ممن هو اقوى منك وأكثر عددا فعلمت ان من حارب الاله غلب وقهر فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لك فقال له الاسكندر ليس ينبغي ان يؤخذ من مالك وما رأيت احدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك

عنها

عنها فلما أمره بغزو ماوراء النهر تجهز وانفق نفقة كثيرة وادان فيها فقال بحير لامية ان صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة فارسل اليه امية ان اقم لعلي اغزو فتكون معي ففضب بكير وقال كانه يضارني وكان عقاب اللقوة الغد الى أستدان ليخرج مع بكير فاخذه غرماؤه فحبس حتى ادى عنه بكير ثم ان امية تجهز للغزو الى بخارا ثم يعود منها الى موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وتجهز الناس معه وفيهم بكير وساروا فلما بلغوا النهر واراد واقطعه قال أمية لبكير انى قد استخلفت ابنى على خراسان واخاف انه لا يضبطها لانه غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فانى قد وليتكها فقم بامر ابنى فاتخب بكير فرسانا كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى امية الى بخارا للغزاة فقال عقاب اللقوة لبكير انا طلبنا الامير من قريش فجاءنا الامير يلعب بنا ويحولنا من سجن الى سجن والى ارى ان تحرق هذه السفن ونمضى الى مرو ونخلع أمية ونقيم بمرو ونأكلها الى يوم ما ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبري على هذا قال بكير أخاف ان يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي قال ان هلك هؤلاء فأنا آتيك من أهل مرو بمائتين قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك ان ينادي منادٍ من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون الفا اسمع من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ليقاتلون عن انفسهم حتى يبلغوا الصين فحرق بكير السفن ورجع الى مرو فاخذ ابن أمية فحبسه وخلع امية وبلغ امية الخبر فصالح اهل بخارا على فدية قليلة ورجع وامر باتخاذ السفن وعبر وذكر للناس احسانه الى بكير مرة بعد اخرى وانه كافأه بالعصيان وسار الى مرو واتاه موسى بن عبد الله بن خازم وارسل امية شماس بن دثار في ثمانمائة فسار اليه بكير وبيته فهزمه وامر اصحابه ان لا يقتلوا منهم احدا فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم وقدم امية فتلقاه شماس فقدم امية ثابت بن قطبة فلقيه بكير فاسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل امية وقاتله بكير فانكشف بكير فاسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل امية وقاتله بكير فانكشف يوما اصحابه فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر فاقتتلوا قتالا شديدا ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير ثابت بن قطبة على راسه فحمل حريث بن قطبة اخو ثابت على بكير فالحاز بكير وانكشف اصحابه واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة وناداه الى اين يابكير فرجع فضربه حريث على راسه فقطع المغفر وعض السيف رأسه فصرع واحتمله أصحابه فادخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم فكان اصحاب بكير يغدون في الثياب المصبغة من احمر واصفر فيجلسون يتحدثون وينادي مناديهم من رمى بسهم رميناه اليه برأس رجل من ولده واهله فلا يرميهم احد وخاف بكير ان طال الحصار ان يخذله الناس فطلب الصلح واحب ذلك أيضا اصحاب امية فاصطلحوا على ان يقطى امية عنه اربعمائة الف ويصل اصحابه ويوليه اى كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه ريب فهو آمن اربعين يوما ودخل امية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد الى ما كان من اكرامه واعطى امية عقابا عشرين القا وقيل ان بكيرا لم يصب امية الى النهر بل كان امية قد استخلفه على مرو فلما سار امية وعبر النهر خلعه فجرى الامر بينهما على ما ذكرناه وكان امية سهلا ليناً سخيا وكان مع ذلك ثقيلا على اهل خراسان وكان فيه زهو شديد وكان يقول ما تكفيني خراسان لمطبخي وعزل امية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن ابي السائب وطالب امية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان يوما بكير في المسجد وعنده الناس فذكر واشدة أمية وذمه وبحير وضرار بن حصين

عن جميع ما اردته منك وأنا منصرف عنك فقال له ملك الصين اما اذ افعلت فانك لا تخسر ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف اضعاف ما أمله ورحل الاسكندر عنه وفي ابتلاء الاخبار ان الاسكندر لما سار في الارض سمعت به ملكة الصين الاقصى فاحضرت من ابصر صورة الاسكندر ممن يعرف التصوير وأمرتهم ان يصوروا صورته فصوروه في البسط والاواني والحيطان وصارت تنظر الى ذلك حتى اثبتت معرفته فلما قدم عليها الاسكندر ونازل بلدها قال الاسكندر للخضر يوما قد خطر لي شيء اقوله لك قال وما هو قال اريد ان ادخل هذا البلد متنكرا وانظر كيف يعمل فيها قال افعل ما بدا لك فلما دخلها الاسكندر نظرت اليه الملكة من حصنها فعرفته بالصورة التي عندها فامرت باحضاره فلما مثل بين يديها امرت به فوضع في مطمورة لا يعرف الليل من النهار فبقي فيها ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب حتى كادت قوته ان تسقط واختبط عسكره لاجل غيبته والخضر يكتمهم ويسليهم فلما كان في اليوم

وعبد الله بن جارية بن قدامة فى المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء فشهد منهم بن ابى الجهشم السلمى انه كان يمزح فتركه أمية ثم ان بحيرا اتى امية وقال له والله ان بكيرا قد دعانى الى خلعك وقال لو لا مكانك لقتلت هذا القرشى وأكلت خراسان فلم يصدقه أمية فاستشهد جماعة ذكر بكير انهم اعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بدل وشمردل ابنى اخيه ثم أمر أمية بعض رؤسا من معه بقتل بكير فامتنعوا فامر بحيرا بقتله ففقله وقتل أمية ابن أخى بكير

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو واصحابه ثم نجوا بعد ما اشرفوا على الهلاك ورجعوا الى مرو وحج هذه السنة بالناس ابان بن عثمان وهو امير المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج وعلى خراسان امية وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك وفيها مات جابر بن عبد الله بن عمرو الانصارى

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين)

(ذكر عزل امية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان امية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وضمهما الى اعمال الحجاج بن يوسف ففرق عماله فيهما فبعث المهلب بن ابى صفرة على خراسان وقد فرغ من الازارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فاجلسه معه على السرير ودعا اصحاب البلاء من اصحاب المهلب فاحسن اليهم وزادهم وبعث عبيد الله بن ابى بكرة على سجستان وكان الحجاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره الى البصرة المغيرة بن عبد الله بن ابى عقيل فلما استعمل المهلب على خراسان سير ابنه حبيبا اليها فلما ودع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها واصحابه على البريد فسار عشرين يوما حتى وصل خراسان فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب فنفرت البغلة فجبوا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلما وصل خراسان لم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان أمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وكان نائبه بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن ابى بكرة وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس فيما قيل * وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله القارى وله ثمان وسبعون سنة ومسح النبى صلى الله عليه وسلم برأسه (القارى بالياء المشددة) وفيها مات زيد بن خالد الجهنى وقيل غير ذلك وتوفى عبد الرحمن بن غنم الاشعرى ادرك الجاهلية وليست له صحبة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين)

(ذكر غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل)

لما ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان رتبيل مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكرة يامره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله فى اهل

الرابع مدت ملكة الصين بساطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه اوانى الذهب والفضة وانواع الجواهر وما فى ذلك شئ يؤكل الا انه مال لا يعلمه الا الله تعالى واحرت فوضع فى اسفل البساط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء وبقية اوانى البساط مملوأة ذهبا وفضة واحرت باخراج الاسكندر واجلسته على رأس البساط فنظر اليه فابصره ذلك وكان يبصر الجواهر فى الاوانى ولم ير فيها شيأ مأكولا ثم نظر فرأى فى ادنى البساط اناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى اليه وجلس عنده فأكل فلما فرغ من اكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام فجلس مكانه اولا فخرجت عليه الملكة وقالت ياسلطان اما قصدت عند هذا الذهب والفضة والجواهر سلطان الجوع وقد اغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد فما لك والتعرض الى اموال الناس وانت بهذه المثابة فقال لها الاسكندر لك بلادك واموالك ولا بأس عليك بعد اليوم فقالت اما اذا فعلت هذا فانك لا تخسر ثم قدمت له جميع

البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانئ وكان من اصحاب علي ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في ايدي المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فاصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتني اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن ابي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالي فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول

أصبحت ذا بث اقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين اعصرا
ثمة أدركنا النبي المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تستر * والجمع في صفينهم والنهر
وما جيرات مع المشقر * هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالاطعمة فكان أحدهم اذا أكل وشبع مات فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمروا وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره انه قد جهز من أهل الكوفة واهل البصرة جيشا كثيفا ويستأذنه في ارساله الى بلاد رتبيل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة أحد فيما قيل وفيها أصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم وفيها استعفى شريح بن الحرث عن القضاء فاعفاه الحجاج واستعمل على القضاء ابا بردة بن أبي موسى وحج بالناس في هذه السنة أبان ابن عثمان وكان على المدينة وكان على العراق والشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وفيها مات محمود بن الربيع وكنيته ابو ابراهيم وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

(ثم دخلت سنة ثمانين)

في هذه السنة اتى سيل بمكة فذهب بالحجاج وكان يحمل الابل عليها الاحمال والرجال ما لا احد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن فسمي ذلك العام الجحاف وفي هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف

(ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر)

في هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كمش وكان على مقدمته ابو الادهم الزماني في ثلاثة آلاف وهو في خمسة آلاف وكان ابو الادهم يغني غناء الفين في البأس والتدبير والنصيحة فاتى

ماقد كانت احضرته وكان شيأ يحير الناظر ويسر الخاطر فنزل الى عسكره وقبل هديتها ورحل عنها وانه دعاها الى الله تعالى فآمنت وآمن اهلها

(الفصل الرابع في ذكر ملوك السريانيين وماوقع لهم قبل هذا الحين)

ذكر أهل العناية باخبار ملوك العالم ان أول ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد نوزع فيهم وفي النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك رجل منهم يقال له (سوسان) وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة باغيا في الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك بعده ولده (بريد) وكانت مدة ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده (سماسير) سبع سنين ثم ملك بعده (اهريموز) عشر سنين نخط الخطط وكور الكور وجد في أمره واتقن ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الامور وانقادت له الجمهور وقع بينه وبين ملوك الهند

المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل الشبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى اربعين ألفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقبل له لو تقدمت الى ما وراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ولما كان المهلب بكش أتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد اخطأت باطلاقهم وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

(ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث)

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابى بكرة بلاد رتبيل واستأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فأذن له عبد الملك فى ذلك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفى الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء منهم عبيد بن ابى سجن الثقفى وغيره فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول ما رأيته قط الا اردت قتله وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فاخبر عبد الرحمن به فقال والله لاحاولن ان ازيل الحجاج عن سلطانه فلما اراد الحجاج ان يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش اتاه اسمعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعته وانى اخاف خلافه فقال الحجاج هو اهيب لى من ان يخالف امرى وسيره على ذلك الجيش فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع أهلها فخطبهم ثم قال ان الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم أحد فتقسم عقوبته فعسكر وامع الناس وتجهز واوساربا جمعهم وبلغ الخبر رتبيل فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه أعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من أرض عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى ارض رتبيل وقال نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ما وراءها ان شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ونقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل وقد قيل فى ارسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا وهو ان الحجاج كان قد ترك

حروب نحو امن سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك الغرب وملك العراق ورد الملك للسريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له (سرا) وكان ولد الملك المقتول فكان مدة ملكه الى ان هلك ثمانى سنين ثم ملك بعده (اهريمون) وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وملك بعده ابنه يقال له (هوريا) فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعية وغرس الاشجار فكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (ماروت) واستولى على الملك فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (ازود) (وجلجاس) ويقال انهما كانا اخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ولم يتم لهما الامر

(الفصل الخامس فى ذكر ملوك بابل وهم النبط الاوائل)

ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان ملوك بابل هم اول ملوك العالم وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار ونصبوا قوانين الحرب واما الفرس الاولى فانما

بكرمان هميان بن عدي السدوسي يكون بها مسلحة ان احتاج اليه عامل سجستان والسند فعصى هميان فبعث اليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد فحاربه فانهزم هميان واقام عبد الرحمن بموضعه ثم ان عبيد الله بن ابي بكرة مات وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز اليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان امير المدينة وكان على العراق والمشرق الحجاج وكان على خوسان المهلب من قبل الحجاج وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وعلى قضاء الكوفة ابو بردة * وفي هذه السنة مات اسلم مولى عمر بن الخطاب وفيها توفي ابو ادريس الخولاني وفيها مات عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وقيل سنة اربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وثمانين وقيل سنة تسعين وفيها قتل معبد بن عبد الله بن عليم الجهني الذي يروى حديث الدباغ وهو اول من قال بالقدر في البصرة قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك بن مروان بدمشق وفيها توفي محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية وفيها توفي جنادة بن ابي امية وله صحبة وكان على غزو البحر ايام معاوية كلها وفيها مات السائب بن يزيد ابن اخت النمر وقيل سنة ست وثمانين ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيها توفي سويد بن غفلة (بفتح الغين المعجمة والفاء) وفيها توفي عبد الله بن ابي أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة وجبير بن نفير بن مالك الحضرمي ادرك الجاهلية وليس له صحبة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين)

في هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا

(ذكر مقتل بحير بن ورقاء)

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي وكان سبب قتله انه لما قتل بكير بن وشاح وكلاهما تميميان بأمر امية بن عبد الله بن خالد اياه بذلك كما تقدم ذكره قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بني عوف بن سعد من الابناء يحرض بعض آل بكير من الابناء والابناء عدة بطون من تميم معوا بذلك

لعمري لقد اغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثارا طل واخترت نومة * ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذوابة * تركت بحيرا في دم متدفق
فقل لبحير ثم لا تخش ثائرا * ببكر فعوف اهل شاء حبلق
دعوا الضان يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين غرب ومشرق
وهبوا فلوا مسنى بكير كعهده * لغادا هم زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا

فلو كان بكر بارزا في ادانه * وذي العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر ان ابقاني الدهر مطلب * وفي الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرا ان رهط بكير من الابناء يتوعدونه فقال

توعدني الابناء جهلا كانما * يرون فناني مقفرا من بني كعب

اخذت الملك من هؤلاء فكان منهم نمروذ الجبار فكانت مدة ملكه نحو ثمانمائة سنة منها أربعمائة كان صحيحا واربعمائة كان سقيما وهو الذي احتفر انهارا بالعراق أخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى من طريق الكوفة وعاش نمروذ بعد القاء ابراهيم عليه السلام في النار أربعمائة سنة لا يزداد الا عتوا فبعث الله اليه ملكا فدعاه للاسلام فلم يؤمن فقال نمروذ للملك ألربك جنود قال نعم قال فليقاتلني قال اجمع جنودك الى ثلاثة ايام فجمع جنوده وحشد فامر الله خزنة البعوض ان يفتحوا منها بابا ففتحوا فلما كان في اليوم الثالث احاطت بهم البعوض فاكلت منهم اللحوم وشربت الدماء فلم يبق من جنوده ودوابهم الا العظام ونمروذ على حاله لم يصبه شئ وهو ينظر فقال له الملك اتؤمن بالله فقال لا فامر الله بعوضة فدخلت منخره ووصلت الى دماغه فاكلت منه حتى صارت كالفارة فاقام اربعمائة سنة فلا يستريح حتى يضرب رأسه بالمطارق حتى هلك

رفعت له كفي بسيف مهند * حسام كون الثلج ذي رونق عضب

فتعاقد سبعة عشر رجلا من بني عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن انه قد قتله فقال الناس خارجي وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصعة بن حرب العوفي من البادية وقد باع غنيمات له ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى الى بني حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ثم قال لهم ان لي بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير كتابا يعينني على حقي فكتبوا له وسار فقدم على بحير وهو مع المهلب في غزوته فاتى قوما من بني عوف فاخبرهم أمره ولقي بحيرا فاخبره انه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود الى اليمامة فانزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصعة أقيم عندك حتى يرجع الناس فاقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر انه من حنيفة أصفه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقعد خلفه ودنا منه كانه يكلمه فوجأه بخنجر معه في خاصرته فغيبه في جوفه ونادى يا للثارات بكير فأخذوا وأتي به المهلب فقال له يؤسالك ما ادركت بثارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطانه في يدي فحبسه فدخل عليه قوم من الابناء فقبلوا رأسه ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم ليس قد حلت نذورا بناء بني عوف وأدركت بثاري والله لقد امكنني منه خاليا غير مرة فكرهت ان اقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا اسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل ان المهلب بعثه الى بحير قبل ان يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والابناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما أخذ بثاره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم حتى خاف الناس ان يعظم الامر فقال اهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا
مازال يدئب نفسه وركابه * حتى تناول في الحروب بحيرا

(ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم)

كانت قزوين ثغرا للمسلمين من ناحية ديلم فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلا ونهارا فلما كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمد بن أبي سبرة الجعفي وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء في حروبه فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم اتخافون ان يدخل عليكم العدو مدينتكم قالوا نعم قال لقد انصفوكم ان فعلوا افتحوا الابواب ولا بأس عليكم ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فسارو اليهم وبيتوهم وهجموا الى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبي سبرة اغلقوا ابواب المدينة علينا وعليهم فقد انصفونا وقاتلوهم فاغلقوا الابواب وقاتلوهم وابلى ابن أبي سبرة بلاء عظيما وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مناوقة أرضهم فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار اليه وكان يدمن شرب الخمر وبقي كذلك الى ايام عمر بن عبد العزيز فاصر بتسييره الى زرارة وهي

(الفصل السادس في ذكر ملوك اليونانيين وما من اخبارهم وما قالته الناس في بدو شأنهم)

ذكر المسعودي في مروج الذهب ان الناس تنازعوا في نسبهم فذهبت طائفة الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى عيص بن اسحق وقالت طائفة ان يونان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وذهب قوم الى انهم جيل متقدم في الزمان الاول ينتمون الى جدهم ابراهيم عليه السلام لان الديار كانت مشتركة والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في السحنة والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الآباء واحدة وكانت اليونان من اعقل الناس وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم مثل العلوم المنطقية والطبيعية والالهية والرياضية وكانت خزائن ملوكهم وكتب علومهم بقبرس فحملت الى المأمون فأمر بنقلها الى العربية فهذه التي في ايدي الناس اليوم من العلوم المذكورة منها وكان العالم بهذه العلوم

دار الفساق بالكوفة فسير اليها فاغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده فكتبوا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه ان يردعليهم ابن ابى سبرة فكتب بذلك الى عمر فاذن له فى عوده الى الثغر فعاد اليه وحماه ولم يحمد أحد يقال له خثيمة بن عبد الرحمن وهو اسم ابى سبرة وكان من الفقهاء

(ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج)

وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ومن معه من جند العراق على الحجاج واقبلوا اليه لحربه وقيل كان ذلك سنة اثنتين وثمانين وكان سبب ذلك ان الحجاج لما بعث عبد الرحمن بن محمد على الجيش الى بلاد رتبيل فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون وكتب الى الحجاج يعرفه ذلك وان رأيه ان يتركوا التوغل فى بلاد رتبيل حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها على ما سبق ذكره فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وعناؤهم عظيما وانك حيث تكف عن ذلك العدو يجتدى وحدى نسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ثم اردفه كتابا آخر بنحو ذلك ونيه اما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها ادارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب اليه ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك والا فاخلع لعبد الرحمن بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل ما يحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى بما رضيه ذوو أحلامكم واولوا التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى ارض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضى اذ مضيتم وآبى اذ أبيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقال بعد حمد الله اما بعد فان الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك ان الحجاج ما يبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالى عنتهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فانى اشهدكم انى اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجركم بجميرفرعون الجنود فانه بلغنى انه اول من جر البعوث وان تعانوا الاحبة او يموت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض ابن هميان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه ابدا ما بقى وان هزم فأراد منعه ثم رجع الى العراق فسار بين يديه اعشى

بسمى فيلبوفا وتفسيره محب الحكمة وكانت ملوكهم من اعظم الملوك ودولتهم من اخر الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم وفى كتاب أبى سعيد المغربى ان بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطينى من شرقيه وغربيه الى البحر المحيط وهذا هو الخليج الذى ينصب من بحر القلزم الذى يسمى فى القديم بحر نيطس والآن البحر الاسود الى بحر الروم وذكر المسعودى ان يونان أخو قحطان وانه ولد عابر ابن شالخ بن ارفخشذ وانه انفصل عن ديار أخيه فى جماعة من ولده واهله فخرج من أرض اليمن حتى وافى ديار العرب فاقام هنالك ونسك فى تلك الاماكن واستعجم لسانه فزالت نسبته وصار منسيا غير معروف وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان جزيل الرأى كبير الهمة وذكر بطليموس فى كتابه ان اول من اشتهر منهم الملك (فيلقوس بن مضير) ابن هرمز بن هروس بن منصور بن رومى بن نبط بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ومعنى فيلقوس

صاحب الفرس وكان مقر ملكه مدينة مقدونية وهى مدينة حكماء اليونانيين وهى مدينة على جانب الخليج القسطنطينى من شرقيه وكانت مدة ملك فيلقوس سبع سنين فلما مات ملك بعده ابنه (الاسكندر) وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين صاحب الخضر وابن خالته وهو المذكور فى القرآن ومنهم من رأى انهما اثنان أحدهما الاسكندر المذكور والآخر فى الفترة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى ذكر اقيال اليمن وكان ملوك اليونانيين يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم فى كل سنة بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما فلما ملك الاسكندر بعث اليه دارا نيوش ملك الفرس يطالبه بما جرى من الرسوم وهو دارا بن دارا فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض هذا البيض واكلتها فكان من حربهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى ارض الشام وقتل

أهمدان وهو يقول

شطت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق امسى برابلستان * ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * امكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أتى من عدنان
بجحفل جم شديد الاركان * فقل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذج وهمدان * فانهم ساقوه كاس الذيفان

وملحقوه بقرى ابن مروان

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك تيجان بن أبجر من تيم الله ابن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان كخلع قميصى فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثة الجنود اليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان اما بعد فان أهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يردهم شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه سبه وقال ما الى نظر وانما النظر لابن عمه يعنى عبد الرحمن ولما وصل كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فاقرأه الكتاب فقال يا أمير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى اتخوفه فجهز عبد الملك الجند الى الحجاج فكانوا يصلون الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فسار الحجاج من البصرة ليلقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال لله دره أى صاحب حرب هو وفرق فى الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم فاقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وكان السبب فى سرعة اجابتهم الى بيعته ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد اسلموا والحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له

أصل من قرية فليخرج اليها فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وخندق الحجاج على نفسه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حج ام الدرداء الصغرى وفيها ولد ابن ابى ذئب وكان العامل على المدينة ابان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج وعلى خراسان المهلب وعلى قضاء الكوفة ابو بردة وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن اذينة وكان سجستان وكرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين)

(ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث)

قيل فى المحرم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجاج وعسكر عبد الرحمن بن الاشعث قتالا شديدا فتزاحفوا فى المحرم عدة دفعات فلما كان ذات يوم فى آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم اصحاب الحجاج حتى انتهوا اليه وقاتلوا على خنادقهم ثم انهم تزاحفوا آخر يوم من المحرم فحمل اصحاب الحجاج وتقوض صفهم فجثى الحجاج على ركبتيه وقال لله در صعب ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على انه لا يفر فحمل سفيان بن الابرد الكلبى على الميمنة التى لعبد الرحمن فهزمها وانهزم اهل العراق واقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الازدى وجماعة من القراء فتلوا ربضة واحدة معه ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه اهل القوة واصحاب الخيل من أهل البصرة واجتمع من بقى فى البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال اشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الاشعث وتبعه طائفة من اهل البصرة وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال ابو مريثه وهو من الصحابة

خلى طفيل على الهم فانشعبا * وهد ذلك ركنى هدة عجبا
مهما نسيت فلا انساه اذ حدقت * به الاسنة مقتولا ومنسلبا
واخطأتنى المنايا لا تطالعنى * حتى كبرت وهم يتركن لى نسبا
وكنت بعد طفيل كالذى نضبت * عنه السيول وغاض الماء وانصبا

وهى ابيات عدة وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية فاقام الحجاج اول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن ايوب الثقفى وسار عبد الرحمن الى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره الى البصرة عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمى حليف بنى امية فقصده مطر ابن ناجية اليربوعى فتحصن منه ابن الحضرمى فى القصر ووثب اهل الكوفة مع مطر فاخرج ابن الحضرمى ومن معه من اهل الشام وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتى درهم مائتى درهم فلما وصل ابن الاشعث الى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج اهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق اليه همدان فكانوا حوله فاتى القصر

دارا كما مر وسار الاسكندر بعد ما ملك بلاد فارس واحتوى على ملوكها وتزوج ابنة ملكها متوجها نحو السند والهند فوطئ ملوكها فذلت له جميع الملوك وحملت اليه الهدايا وكان معلم ارسطاليس حكيم اليونانيين ولما اجتمع مع الفيلسوف فى الهند امره عند الوداع بجواهر كثيرة فلم يقبل فسأله عن عدم قبوله الهدية فقال له الفيلسوف لواهب المال ما أردت العلم فلست ادخل على علمى ما يضاده ويثافيه واعلم أيها الملك ان العطية توجب الخدمة وليس بحر عاقل من خدم غير ذاته والذى يصلح النفس الناطقة العلم وهو صفاؤها وغذاؤها وتناول اللذات الحيوانية وغيرها من الموجودات ضرر لها والحكمة سبيل الى العلم وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة من انواع العلوم ولما توفى الاسكندر عرض الملك على ابنه فابى واختار النسك فانقسمت ممالك الاسكندريين ملوك الطوائف وبين ملوك اليونان

فنزعه مطر بن ناجية ومعه جماعة من بني تميم فاصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم الى القصر فاخذوه فأتى عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم اطلقه وصار معه فلما استقر عبد الرحمن بالكوفة اجتمع اليه الناس وقصده اهل البصرة منهم عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة الهاشمي بعد قتاله الحجاج بالبصرة وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر الفا خذعهم بالامان وامر منادياً فنادى لا امان لفلان بن فلان فسمى رجالا فقال العامة قد أمن الناس فحضروا عنده فامر بهم فقتلوا

(ذكر وقعة دير الجماجم)

وكانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وقيل كانت سنة ثلاث وثمانين وكان سببها ان الحجاج سار من البصرة الى الكوفة فقال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دير الجماجم فقال الحجاج ان عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القرة اما تزجر الطير واجتمع الى عبد الرحمن اهل الكوفة واهل البصرة والقراء واهل الثغور والمسالح بدير الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة الف ممن ياخذ العطاء ومعهم مثلهم وجاءت الحجاج ايضا امداد من الشام قبل نزوله بدير قرة وخندق كل منهما على نفسه فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال احدهما يدني خندقه من الآخر ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان وكان محمد بارض الموصل الى الحجاج في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجري على اهل الشام وان ينزل عبد الرحمن بن محمد اي بلد شاء من بلد العراق فاذا نزله كان والياً عليه مادام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان امير العراق وان ابى أهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة وو الى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلما بات الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو أعطيت اهل العراق نزعي لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك الم تر ويبلغك وثوب اهل العراق مع الاشعث على ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا الى عثمان فقتلوه وان الحديد بالحديد يفلح فابى عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله ومحمد مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية نرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امر انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم يوم الزاوية فانتم تعتدون عليهم يوم تسترفاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم اعزاء اقوياء لقوم هم اكم هائبون وانتم لهم منتقضون فوالله لا زلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا في الضنك والجماعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير

وملك مصر والشام والمغرب البطالسة وهم ملوك اليونان وكان يسمى كل واحد منهم بطليموس وهي لفظة مشتقة من الحرب معناها اسد الحرب وكان عدة البطالسة الذين ملكوا بعد الاسكندر ثلاثة عشر ملكا واول البطالسة بطليموس (ششوس ابن لاغوش) كان يلقب بالمنطقي وملك المذكور عشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس الثاني واسمه (فيلودقوس) ومعناه محب اخيه وهو الذي نقلت له التوراة من العبرانية الى اليونانية وهو الذي عتق اليهود الذين وجدهم اسرى لماه ملك وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس الثالث واسمه (أورا خطيس) ملك خمسا وعشرين سنة وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذي بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناءها احد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا وجعل عدد الابراج فيها مائة وستة وثلاثين برجا وجعل عدد شرافاتها اربعا وعشرين الف شرافة وجعل كل برج من الابراج بسكنه بعاريق

الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة لا والله لا نقبل واعاد واخلعه ثانية وكان اول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمي وعمير بن تيحان وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم اجمع من خلعهم اياه بفارس فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة فلما اجتمع اهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن الا ان بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب اصح منه الا ان بني العاص اعلاج من اهل صفورية فان يكن هذا الامر من قريش فبني تقويت بيضة قريش وان يك في العرب فانا ابن الاشعث ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبي وعلى رجاله عبد الله بن خبيب الحكمي وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي وعلى رجاله محمد بن سعد بن ابي وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثي وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبي وابو البختري الطائي وعبد الرحمن بن ابي ليلة ثم اخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون واهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم في خصب واهل الشام في ضنك شديد قد غلت عليهم الاسعار وفقد عندهم اللحم كانهم في حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون فلما كان اليوم الذي قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد وكان رجلا ركينا فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبى الحجاج صفوفه وعبى عبد الرحمن اصحابه وعبى الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي فاقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا

(ذكر وفاة المغيرة بن المهلب)

وفي هذه مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه ابوه المهلب على عمله بخراسان فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين فاتى الخبر يزيد بن المهلب واهل العسكر فلم يخبروا المهلب فامر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامه بعض خاصته ثم دعا يزيد ووجهه الى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته فكان المهلب مقيما بكش بما وراء النهر يحارب اهلها فسار يزيد في ستين فارسا ويقال سبعين فلقيهم خمسمائة من الترك في مفازة بست فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فاعطونا شيأ فابى يزيد فاعطاهم مجاعة ابن عبد الرحمن العتكي ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد اخذه فقال استبقني فاستبقاه فحمل الخارجي عليهم حتى يخالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلا ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلا ورجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورمى يزيد في ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جازوهم فقالوا قد غدرنا ولا ننصرف حتى نموت او تموتوا او تعطونا شيأ فلم يعطهم يزيد شيأ

من البطارقة برجاله وخيله ثم ملك بعده بطليموس الرابع واسمه (فيلوبطول) ومعناه محب ابيه وملك سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الخامس واسمه (افيفنوس) اربعا وعشرين سنة وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي وكان نقش خاتمه من صان لسانه كثرت اخوانه وكان حسن النطق كثير التزهد والصيام نظيف الثياب مات وعمره سبع وستون سنة ثم ملك بعده بطليموس السادس واسمه (فيلومنطول) ومعناه محب امه وملك خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس السابع واسمه (اورانطيس) ملك تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس الثامن واسمه (سوطيرا) ملك ست عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس التاسع واسمه (سيديرنطيس) ملك تسع سنين ثم ملك بعده بطليموس العاشر واسمه (اسكندروس) ثلاث سنين ويقال لهذا بطليموس الحديث ثم ملك بعده بطليموس الحادي عشر واسمه (فيلوذوس) ثماني سنين ثم ملك بعده بطليموس الثاني عشر واسمه (سوسيوس) تسعا

فقال مجاعة اذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله ان تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال ان المغيرة لم يعد اجله واست اعد واجلى فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فاخذوها فانصرفوا

(ذكر صلح المهلب اهل كش)

وفى هذه صالح المهلب اهل كش وكان سبب ذلك انه اتهم قوما من مضر فحبسهم وصالح وقفل رخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب الى حريث انى لست آمن ان رددت عليهم الرهن ان يغيروا علينا فاذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم ارض بلخ فقال حريث لملك كش ان المهلب كتب الى كذا وكذا فان عجلت الفدية سلمت اليك الرهن وسرت واخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن فعجل ملك كش الفدية واخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب فقدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم واسر منهم اسرى ففدوهم فاطلقهم وردعليهم الفداء وبلغ المهلب قوله فقال يانف العبد ان تلده ام يزيد فغضب فلما قدم عليه بلخ قال اين الرهن قال خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ماخفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وامر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب ان به مرضا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث ودت انه ضربنى ثلثمائة ولم يجردنى افقة وحياء وحلف ليقتلن المهلب فركب يوما مع المهلب فامر غلامين له ان يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا نخاف عليك ان تقتل وترك حريث اتيان المهلب فارسل اليه اخاه ثابت ابن قطبة لياتيه به وقال له انك كبعض ولدى ادبه كبعضهم فاتى ثابت أخاه وسأله ان يركب الى المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلنه فقال ثابت ان كان هذا رأيك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله ابن خازم وخاف ثابت أن يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعا فخرجا فى ثلثمائة من أصحابهما المنقطعين اليهما

(ذكر وفاة المهلب بن ابى صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان)

لما صالح المهلب اهل كش رجع يريد مرو فلما كان بمرو الروذ اخذته الشوصة وقيل الشوكة فمات منها واوصى الى ابنه حبيب فصلى عليه وقال لهم قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه واحضر ولده فوصاهم واحضر سهاما فحزمت فقال اتكسرونها مجتمعة قالوا لا قال افتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة ثم قال اوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وانهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والقلة والذلة وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينتعش منها وتزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل واحيوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده عليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها انفع من الشجاعة واذا كان اللقاء فزل القضاء فان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل انى الامر من وجهه فظفر فحمد وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع

وعشرين سنة ثم ملك بقته (قيلوطورا) وهى الثالثة عشر من ملوك اليونان وهى آخرهم فملكت اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والرقية وكان لها زوج يقال له افطرنيوس مشاركا لها فى ملك مصر فلما اراد الله ذهاب ملك اليونان سلط عليهم ملوك الروم وقيلوطورا المذكورة هى آخر ملوك اليونانيين الى ان انقضى ملكهم ودرست رسومهم وزالت علومهم الا ما بقى فى ايدى الناس وكان لهذه الملكة خبر عجيب فى موتها وقتلها نفسها اعرضنا عن ذكره واتفق أهل المعرفة باخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا وان عدد جميع سنى ملكهم ومدة ايامهم واعتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة والله اعلم بغيبه واحكم

(الفصل السابع فى ذكر ملوك الروم وهم بنو الاصفر وكل ملك منهم يسمى قيصر)

تنازع الناس فى الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم قال المسعودى فى مروج الذهب

ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وادب الصالحين وايا كم وكثرة الكلام في مجالسكم ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التميمي يرثيه

الاذهب المعروف والعز والغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
اقام بمرو الروذ رهن ضريحه * وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلنا هو ولم نتهيب

فلما توفي كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته فاقر يزيد على خراسان

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في جمادى الآخرة واستعمل عليها هشام ابن اسمعيل المخزومي فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو ابن خالد الزرقي وفيها غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروا به فقتلوه وقيل بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين وفيها قتل عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي بدجيل وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي وعطاء بن عبد الله السليمي العابد (السليمي بفتح السين المهملة وكسر اللام) وفيها مات زاذان وأبو وائل وعمر بن عبيد الله ابن معمر التيمي وعمره ستون سنة وفيها مات ابو امامة الباهلي وقيل سنة احدى وتسعين

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين)

(ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم)

فلما حملت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن ابي ليلى يا معشر القراء ان الفرار ليس أحد باقبح به منكم انى سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البختري ايها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فقال الشعبي أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الارض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم وقال سعيد بن جبير نحو ذلك وقال جبلة احملوا عليهم حملة صادقة ولا ترد وا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فازالوه عن مكانه ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا لا يدرون كيف قتل وكان سبب قتله ان اصحابه لما حملوا على أهل الشام ففرقوهم فوقف لاصحابه ليرجعوا اليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية فلما رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض هذا جبلة احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلم يول لكنه حمل عليهم فقتلوه وكان الذي قتله الوليد بن نحيت الكلبي وبعث برأسه الى الحجاج فبشر اصحابه بذلك فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلا سقط في أيديهم وتنازعوه بينهم فقال لهم أبو البختري

سمواء وما الاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية فعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما (وفي كتاب البيان في تاريخ بني الزمان) ان الروم ينسبون لروم بن عيص ابن اسحق عليه السلام وكان أول ظهورهم سنة ست وسبعين وثلثمائة من وفاة موسى عليه السلام وذكر أبو سعيد المغربي في كتابه ان الروم يعرفون ببني الاصفر وكانوا يدينون بدين الصابئة ويعبدون اصناما على أعداد اسماء الكواكب السبعة وقد ملك رومية عدة ملوك منهم من لم يشتهر ولا وقعت الينا اخبارهم وكان أول من اشتهر من ملوكهم وملك الروم بعد اليونانيين بر ومية (بولوس) سبع سنين ونصفا وقد كانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة ثم ملك بعده (أغسطس قيصر) ستا وخمسين سنة وهذا الملك أول من سمي من ملوك الروم قيصر وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر فتق عنه وذلك ان أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها عنه فكان هذا الملك يفتخر في وقته ان النساء لم تلدني وكذلك

لا يظهرن عليكم قتل جبلة انما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر وظهر الفشل في القراء ونادا هم أهل الشام يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل طاغيتكم وقدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فقرحوا به وقالوا تقدم مقام جبلة وكان قدومه من الري فلما أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعا فقاتل يوما فدخل عسكر الحجاج فاخذ أصحابه ثلاثين امرأة فاطلقهن فقال الحجاج منعوا نساءهم لو لم يردوهن اسيبت نساءهم اذا ظهرت عليهم وخرج عبد الرحمن بن عوف الرواسي أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه رجل من أهل الشام فتضاربا فقال كل واحد منهما انا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت واذا هما ابنا عم فتصاجوا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي فطلب المبارزة فخرج اليه رجل من عسكر الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا جاء لاجياء الله به فطلب المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح ما هو قال عبد الله أنهزم لك وترجع الى الحجاج وقد احسنت عنده وحمدك وأما انا فاحتمل مقالة الناس في انهزامي حسبا لسلامتك فاني لا احب قتل مثلك من قومي قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وحمل عليه الجراح يريد قتله فصاح لعبد الله غلامه وكان ناحية معه ماء ليشربه وقال له يا سيدي ان الرجل يريد قتلك فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه وقال له يا جراح بئسما جزيتني اردت بك العافية وأردت قتلي انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة وكان سعيد بن جبير وأبو البختري الطائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر حتى يخالطوهم وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لانه كان نزولهم بالجماجم لثلاثة مضت من ربيع الاول وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا اشد قتال واستظهر اصحاب عبد الرحمن على اصحاب الحجاج واستعلوا عليهم وهم آمنون ان يهزموا فبينا هم كذلك اذ حمل سفيان بن الابرد وهو في ميمنة الحجاج على الابرد بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال يذكر فظن الناس انه قد كان صولح على ان ينهزم بالناس فلما انهزم تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضا وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس الى عباد الله فاجتمع اليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام فقاتل من معه ودخل أهل الشام العسكر فاتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الازدي فقال له انزل فاني أخاف عليك ان تؤسر وعلي ان انصرفت ان تجمع لهم جمعا يلحقهم الله به فنزل هو ومن معه لا يلوون على شيء ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس وكان لا يبايع احدا الا قال له اشهد انك كفرت فان قال نعم باتعه والا قتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له أنت متربص أفتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتني فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق الا رحمه ثم دعا بكميل بن زياد فقال له أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب الي من ان أجد عليك سبيلا قال على أينا انت أشد غضبا عليه حين افاد من نفسه ام على حين عفوت

عنه

يفتخر من كان من ولده واحتوى هذا الملك على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وخرج اغسطس المذكور في السنة الثانية عشر من ملكه من رومية بعساكر عظيمة في البر والبحر وسار الى الديار المصرية واستولى على ملك اليونان وكانت قبل نطورا هي مملكة اليونان وكان مقامها في الاسكندرية ولما ملك اغسطس ديار مصر والشام دخلت بنو اسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت طاعة البطالسة فولى بيت المقدس لهردوس اليهودي وفي أيام اغسطس المذكور ولد المسيح عليه السلام وكانت مدة ملكه ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده (طيباريوس) اثنتين وعشرين سنة وهو الذي بنى طبرية بالشام ولهذا اشتق اسمها من اسمه ثم ملك بعده (غالبوس) أربع سنين ولمضي السنة الاولى من ملكه رفع المسيح عليه السلام ولما هلك هذا الملك اختلفت الروم فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانيا وتسعين سنة لانظام لهم ولا ملك يجمعهم فلما

عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على بناتك ولا تكثر على كالذئب والله ما بقي من عمري الا ظمء الحمار اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك اذا كان القضاء اليك فامر به فقتل وكان خصيصا بأمير المؤمنين وأتى بآخر من بعده فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعني عن نفسي انا أكفر أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أنزل الجند في بيوت غيرهم وهو الى الآن لاسيما في بلاد العجم ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

(ذكر الوقعة بمسكن)

ولما انهزم عبد الرحمن اتى البصرة واجتمع اليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب بن عبد شمس القرشي وكان بالمدائن محمد بن سعد بن ابي وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد بعبد الرحمن وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وقد بايعه خلق كثير على الموت فاجتمعوا بمسكن وخندق عبد الرحمن على أصحابه وجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال فقتل زياد بن غنم القيني وكان على مسالح الحجاج فهد ذلك وهد أصحابه وبات الحجاج يحرض اصحابه ولما أصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشد قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الابرد فامر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل اصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن واصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البختري الطائي ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة في أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على أهل الشام فكشفوهم مرارا فدعا الحجاج الرماة فرموهم واحاط بهم الناس فقتلوا الا قليلا ومضى ابن الاشعث نحو سجستان وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بمسكن غير هذا والذي قيل انه اجتمع هو والحجاج بمسكن وكان عسكر ابن الاشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا ودونه فأتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وغياض من الماء فارسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم ان صدق فاعطه ألف درهم فان كذب فاقتله فسار بهم ثم ان الحجاج قاتل اصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الاشعث الى عسكره آمنا ونهب عسكر الحجاج فامنوا والقوا السلاح فلم يشعروا نصف الليل الا والسيف يأخذهم من تلك السرية ففرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ورجع الحجاج في عسكره على الصوت فقتلوا من وجدوا فكان عدة من قتل أربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهاد وبسطام بن مصقلة وعمرو بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم

(ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه)

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار الى سجستان فاتبعه الحجاج ابنه محمدا وعمارة بن تميم اللخمي

انقضت المدة المذكورة ملكوا عليهم (طيارميس) ثم ملك بعده (قلورنوس) أربع عشرة سنة وهو الذي قتل في آخر ملكه بطرس وبولس برومية وصلبهما منكوسين وهما المذكوران في سورة يس ثم ملك بعده (ساسالوس) عشر سنين ثم ملك بعده (طيطوس) سبع سنين وهو الذي غزا اليهود وأسرهم وباعهم وأخرب بيت المقدس واحرق الهيكل ثم ملك بعده (ذومطينوس) خمس عشرة سنة وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الاصنام ثم ملك بعده (باروس) سنة واحدة ثم ملك بعده (ازديانوس) احدى وعشرين سنة ففي أول سنة من ملكه أطلق للناس الخراج والاتاوى الديوانية وقضى ديونهم وفي زمانه اشتهر جالينوس في الطب ووضع كتبا كثيرة نحو مائة كتاب وكان شيخه في الطب طبيبا اسمه اليانوس وكان وفاة جالينوس بجزيرة صقلية وقد بلغ من العمر ثمانيا وثمانين سنة وتجذم بعد ان مضى من ملكه ثماني عشرة سنة فسار الى مصر يطلب الشفاء فلم

وعمارة على الجيش فادركه عمارة بالسوس فقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا سابور واجتمع اليه الاكراد فقاتلهم عمارة قتالا شديدا على العقبة فجرح عمارة وكثير من اصحابه وانهزم عمارة وترك لهم العقبة وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع اثرهم فدخل بعض أهل الشام قصرا في مفازة كرمان فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكري وهي طويلة

أيا لهفا ويا حربا جميعا * ويا حر الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعا * واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا يناس أهل دين * فنصبر في البلاء اذا ابتلينا
وما كنا يناس أهل دنيا * فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطعام عك * وانباط القرى والاشعرينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وقد هيأ له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فاغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها فاقام عليها اياما يفتحها فلم يصل اليها فسار الى بست وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني فاستقبله وانزله فلما غفل اصحابه قبض عليه عياض واوثقه وأراد ان يأمن به عند الحجاج وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بمقدم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست وبعث الى عياض يقول والله ان آذيته بما يقذى عينه او ضررته بعض الضرر لاوأخذت منه ولو حبلا من شعر لا أبرح حتى استذلك واقتلك وجميع من معك واسبي ذراريكم وأغنم أموالكم فاستأمنه عياض فاطلق عبد الرحمن فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل الى بلاده فانزله واكرمه وعظمه وكان ناس كثير من المنهزمين من اصحاب عبد الرحمن من الرؤس والقادة الذين لم يقبلوا امان الحجاج ونصبوا له العداوة في كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان في نحو ستين ألفا ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها وكتبوا الى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه انهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فاتاهم وكان يصلي بهم عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى ان قدم عبد الرحمن فلما أتت كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج وسار نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام فقال لعبد الرحمن اصحابه اخرج بنا عن سجستان الى خراسان فقال ان بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام فقالوا لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من أصحابه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين فقال لهم عبد الرحمن اني كنت في مأمن وملجا فجاءتني كتبكم ان اقبل فان امرنا واحد فاعطيتنا نقاتل عدونا فأتيتكم فرأيتم ان أمضي الى خراسان وزعمتم انكم تجتمعون الي وانكم لا تتفرقون وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم فاصنعوا ما بدا لكم اما انا فانصرف الى صاحبي الذي اتيت من عنده فتفرق منهم طائفة وبقي معه طائفة وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ومضى عبد الرحمن بن الاشعث الى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس الى هراة فلقوا بها الرقاد الازدي فقتلوه فسار اليهم

يزيد

بعده ومات ثم ملك بعده (هارانوس) ثلاثا وعشرين سنة وكان أخذ ارصاد بطليموس صاحب المجسطي في السنة الثالثة من ملكه ثم ملك بعده (مرقوس) تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (فرمودوس) ثلاث عشرة سنة وفي آخر ايامه خنق نفسه وقيل كان جالينوس في زمانه ثم ملك بعده (قوطخوس) ستة أشهر وقتل غيلة في مجلسه ثم ملك بعده (سوريانوس) ثماني عشرة سنة فلما هلك ملك بعده (انطونياوس) سبع سنين وقتل بين حران والرها ثم ملك بعده (مقدانوس) سنة واحدة وفي زمانه وقع حريق عظيم برومية ووثب عليه علمائه فقتلوه ثم ملك بعده (أنطونياوس) الثاني أربع سنين ثم ملك بعده (الاسكندروس) ثلاث عشر سنة ثم ملك بعده (مكسيمياوس) ثلاث سنين وشدد في قتل النصارى ثم ملك بعده (عودريانوس) ست سنين وقتل في حدود فارس ثم ملك بعده (فيليبوس) سبع سنين واحسن الى النصارى وادام الاجتماع بهم فلما هلك ملك بعده (دقيانوس) سنة واحدة فاعاد عبادة الاصنام ودين الصابئين ومنه هرب الفتية

يزيد بن المهلب وقيل ان عبد الرحمن بن الاشعث لما انهزم من مسكن اتى عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع فل ابن الاشعث فسار الى خراسان فى عشرين ألفا فنزل هراة والقوا الرقاد فقتلوه فارسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك فى البلاد ممتنع من هو أهون منى شوكة فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان فانى أكره قتالك وان أردت مالا ارسلت اليك فاعاد الجواب انا مازلنا المحاربة ولا المقام ولكنا اردنا ان نريح ثم نرحل عنك وليست بنا الى المال حاجة وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية وبلغ ذلك يزيد فقال من أوادان يريح ثم يرتحل لم يجب الخراج فسار يزيد نحوه وأعاد مراسلته انك قد ارحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ماجبيت وزيادة فاخرج عنى فانى أكره قتالك فأبى الا القتال وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه فعلم يزيد فقال جل الامر عن العتاب ثم تقدم اليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان فى عسكرهم وأسروا منهم اسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف الزهرى والهلقام بن نعيم بن النعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز بن حصين وأبو الفلج مولى عبيد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وعبد الله بن فضالة الزهرانى الازدى ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث الاسرى الى الحجاج مع سبرة ونجدة فلما أراد تسييرهم قال له اخوه حبيب باى وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يزيد انه الحجاج ولا يتعرض له قال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به فان له عندنا يدا قال وما هى قال ألزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائة ألف فاداها لطلحة عنه فاطلقه يزيد ولم يرسل يزيد أيضا عبد الله بن فضالة لانه من الازد وارسل الباقين فلما قدموا على الحجاج قال لحاجبه اذا دعوتك بسيدهم فاتنى بفيروز وكان بواسط قبل ان تبنى مدينة فقال لحاجبه ائتنى بسيدهم فقال لفيروز قم فقام فاحضره عنده فقال له الحجاج اباعثمان ما اخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس قال اكتب الى أموالك قال اكتب ياغلام ألف ألف والفى الف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الاموال قال عندى قال فادها قال وانا آمن على دمى قال والله لتؤدينها ثم لاقتلنك قال والله لا يجمع بين دمى ومالى فاصربه فنحى ثم احضر محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال له ياظل الشيطان اعظم الناس فيها وكبرانا أبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذنا وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فقال ياعبد المرأة يقوم بالعمود على رأسك ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد امكنك الله منا فان عفوت فبحملك وبفضلك وان عاقبت فظلمت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى ان ينفعك ورجاله الناس السلامة ثم أمر به فقتل ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال احببت ان ابن الاشعث طلب ما طلب ما الذى املت أنت معه قال املت ان يملك فيولينى كما ولاك عبد الملك فامر به

وكانوا سبعة وهم من اشراف الروم مؤمنين وقصتهم مشهورة وفى الكتب مسطورة وسيأتى شئ من أخبارهم وذكر آثارهم فى ذكر مدينة افسوس ثم ملك بعده (غالينوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (علينوس) وولده (اوريانوس) ملكا بالاشتراك ثم ان اوريانوس انفرد بالملك بعد سنتين ثم غزاه سابور بن اردشير فانتصر عليه واسره فى المعركة وأرسله الى بابل وسجنه هناك ثم ملك مكانه ابنه (غالينوس) الثانى ست سنين ثم ملك بعده (قاودنوس) سنة واحدة وفى أول السنة من ملكه ظهر فى السماء اكليل من نار ثم ملك بعده (ارد فلينوس) وقيل اودلبانوس ملك ست سنين ومات بصاعقة أصابته ثم ملك بعده (طيطينوس) ستة أشهر ثم ملك بعده (فيلوریاس) شهرين وقتل بمدينة طرسوس ثم ملك بعده (قروبوس) سبع سنين ثم هلك فى الحرب بمدينة سرمس وملك بعده (قاروس) مع شريك له ملك سنتين ومات وقتل شريكه فى بعض الحروب

فقتل ثم دعا عبد الله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج لارات عينك الجنة ان افلت فقال جزى الله ابن المهلب خيرا بما صنع قال وما صنع قال

لانه كاس فى اطلاق اسرته * وقاد نحوك فى اغلالها مضرا
وفى بقومك ورد الموت اسرته * وكان قومك ادنى عنده خطرا

فاطرق الحجاج وقرت فى قلبه وقال وما انت وذاك امر به فقتل ولم تزل كلمته فى نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ويجر عليه حتى يجرح به ثم ينضح عليه الخل فلما أحس بالموت قال اصاحب العذاب ان الناس لا يشكون ان قد قتلت ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فاظهرنى للناس ليعلموا انى حى فيؤدوا المال فاعلم الحجاج فقال اظهره فأخرج الى باب المدينة فصاح فى الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا فيروز بن حصين ان لى عند اقوام مالا فمن كان لى عنده شئ فهو له وهو منه فى حل فلا يؤد أحد منهم درهما ليبلغ الشاهد الغائب فامر به الحجاج فقتل وأمر بقتل عمر بن أبى قرة الكندى وكان شريفا وأمر باحضار اعشى همدان فقال ايه عدو الله انشدنى قولك بين الاشج وبين قيس قال بل انشدك ما قلت لك قال بل انشدنى هذه فانشده

* أبى الله الا ان يتم نوره * ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
ريظهر أهل الحق فى كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
ويترك ذلا بالعراق وأهله * كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما احدثوا من بدعة وعظيمة * من القول لم يصعد الى الله مصعدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة * اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وجبنا حشاه ربهم فى قلوبهم * فما يقربون الناس الا تهددا
فلا صدق فى قول ولا صبر عندهم * ولكن تخرافيهم وتزيدا *
فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وجيشهم امسى ذليلا مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منه العارضان وأرعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما * قطعنا وافضينا الى الموت مرصدا
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بصف كان الموت فى حجزاتهم * اذا ما تجلى بيضه وتوقدا *
دلفنا اليه فى صفوف كأنها * جبال شروى أو نعاف فسهمدا
فما لبث الحجاج ان سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته * معانا وملقى للفتوح معودا
وان ابن عباس الى مر جحفة * اشبهها قطعا من الليل أسودا
فما شرعوا رمحا ولا جردوا ظبا * الا انما لاقى الجبان مجردا
وكرت علينا خيل سفيان كرة * بفرسانها والشمرى مقصدا
وسفيان يهديها كان لواءها * من الطعن ستيات بالصبغ مجسدا

ومات بعده (قلطيانوس) احدى وعشرين سنة وفى السنة التاسعة أمر بهدم كنائس النصارى فهدمت كلها وأحرق كتبهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفى هذه السنة وقع غلاء عظيم لم يسمع بمثله حتى بلغ غرارة الشامى من الحنطة الفين وخمسمائة درهم ثم انه اعتزل من الملك الى ان مات وذكر صاحب المختصر فى اخبار البشر ان قلطيانوس المذكور اخر من عبد الاصنام من ملوك الروم فانهم تنصروا بعده وفى بعض الكتب المعتبرة ان ملك الروم انتهى الى رجلين منهم على سبيل الاشتراك وكان احدهما يسمى مقسيانوس والاخر يسمى زرفلطيانوس وكان تحت ملكهما بر ومية الكبرى وكان للاول بنت اسمها ماارويه زوجها لرجل اسمه مقسليوس وللثانى بنت اسمها والرويه زوجها لرجل اسمه قسطينة من نسل الملك قلورنوس ثم ان مقسيانوس وزرفلطيانوس تركا الملك وأعطى كل منهما حصته من ذلك لختنه فكان للاول ولاية اناطولى وما والاها وللثانى بلاد الروم وما وراءها من الممالك الى

كهول ومرد من قضاعة حوله * مساعيد ابطال اذا النكس عردا
اذا قال شدوا شدة حملوا معا * فانهل فرضان الرماح واوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى عزيزا مويدا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره * على أمة كانوا سعاة وحسدا
تروا يشتكون البغي من أمرائهم * وكانوا هم ابغى البغاة واعتدا
وجدنا بني مروان خير ائمة * فافضل هذا الناس حلما وسوددا
وخير قريش في قريش أرومة * واكرمهم الا النبي محمدا
اذا ما تدبرنا عواقب أمره * وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوما حاربوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذلك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وحشدا
وقد تركوا الاهلين والمال خلفهم * وبيضا عليهن الحلايب جردا
ينادينهم مستعبرات اليهم * ويذرين دمعا في الخدود واغدا
انكثا وعصيانا وغدرا وذلة * أهان الاله من أهان وابعدا
لقد شأم المصر بن فرخ محمد * بحق ومالاقى من الطير اسعدا
كما شأم الله البخير وأهله * بجدله قد كان اشقى وانجدا

فقال أهل الشام احسن اصلح الله الامير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال يا عدو الله والله لا تحمدك انما قلت يا اسني ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألتك انشدنا قولك بين الاشج وبين قيس باذخ فانشد، فلما قال بخ بخ اى للوالدة وللمولود قال الحجاج والله لا تبخبخ بعدها ابدا فضربت عنقه قوله في هذه الابيات ابن عباس هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره وقوله سفيان هو ابن الابرد الكلبي من قواد العساكر الشامية وقوله فرخ محمد هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقوله الاشج هو محمد بن الاشعث وقوله بين قيس هو معقل بن قيس الرياحي وهو جد عبد الرحمن ابن محمد لامه وقوله كما شأم الله البخير وأهله بجدله يعني لما ارتد الاشعث بن قيس جد عبد الرحمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتبعه كندة فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالبخير أخذوهم وقتلوهم وقد تقدم ذكر ذلك في قتال أهل الردة قيل وأتى الحجاج باسيرين فامر بقتلهما فقتل أحدهما ان لي عندك يدا قال وما هي قال ذكر عبد الرحمن يوما لك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال وينفعني الصدق عندك قال نعم قال منعني البغض لك ولقومك قال خلوا عن هذا لصدقه قيل جاء رجل من الانصار الى عمر بن عبد العزيز فقال أنا فلان بن فلان قتل جدي يوم بدر وقتل جدي فلان يوم أحد وجعل يذكر مناقب سلفه فنظر عمر الى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجاجم ويوم واهط وانشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(ذكر ما جرى للشعبي مع الحجاج)

افريجيه ودار المغرب وافريقية وهو الذي بنى قسطينة بالغرب وسماها باسمه وكان لقسيمانوس ابن اسمه مقنديوس فسلطنوه في مدينة رومية وتغلب عليها وعلى ما يقاربها من ناحية موليا وغيرها ثم ان قسطينه حكم احدى عشرة سنة وتوفي فقام بالملك بعده ابنه قسطنطين وذكر المسعودي ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية تسعة واربعون ملكا رجميع عدد سنيهم أربعمائة وسبع وثمانون سنة وتسعة أشهر وستة ايام واختلف أصحاب التاريخ في اسماء ملوكهم لانها بالرومية ولهذه الملوك سير وأخبار هي موجودة في كتب النصارى الملكية اعرضنا عن ذكرها لعدم نفعها والله الموفق للصواب

(الفصل الثامن)

في ذكر ملوك القسطنطينية الكبرى والمدينة العظمى)

* وكان أول من انتقل من ملوك الروم عن مدينة رومية الى بورنطا وهي القسطنطينية بناها وسماها باسمه (قسطنطين) ابن قسطينه وهو أول من تنصر من ملوك الروم ثم تبعه من تبعه على الخصوص

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن وكان قد ولاه الري وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبي فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقال له يزيد بن أبي مسلم انه لحق بقتيبة بالري فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبي فارسله قال الشعبي فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم وكان صديقا لي فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخواني ونصحائي فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ماذكروا لي فسلمت عليه بالامرة وقلت أيها الامير ان الناس قد أمروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الي قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد امنت ياشعبي كيف وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الامير كنحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلت الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا فقال انصرف ياشعبي فانصرفت

(ذكر خلع عمر بن أبي الصلت بالري وما كان منه)

لما ظفر الحجاج بابن الاشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت وكان قد غلب على الري في تلك الفتنة فلما اجتمعوا بالري أرادوا ان يحظوا عند الحجاج بامر يحمون عن أنفسهم عثرة الجماجم فاشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة فامتنع فوضعوا عليه اباه ابا الصلت وكان به بارا فاشار عليه بذلك والزمه به وقال له يابني اذا سار هؤلاء تحت لوائك لا ابالي ان تقتل غدا ففعل فلما قارب قتيبة الري بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا فغدر أصحاب عمر به واكثرهم من تميم فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الاصبهبذ وأكرمه واحسن اليه فقال عمر لابيه انك امرتني بخلع الحجاج وقتيبة فاطعتك وكان خلاف رأيي فلم احمد رأيك وقد نزلنا بهذا العلج الاصبهبذ فدعني حتى اثب عليه فاقتله واجلس على مملكته فقد علمت الاعاجم انى أشرف منه فقال أبوه ما كنت لافعل هذا الرجل آوانا ونحن خائفون واكرمنا وانزلنا فقال عمر انت أعلم وستري ودخل قتيبة الري وكتب الى الحجاج يخبره عمر وانهزامه الى طبرستان فكتب الحجاج الى الاصبهبذ أن ابعث بهما أو برؤسهما والا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبذ طعاما واحضرهما فقتل عمرو بعث اباه أسيرا وقيل بل قتلهما وبعث برؤسهما

(ذكر بناء مدينة واسط)

وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا وكان سبب ذلك ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان وعسكر بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فاذا عسكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامي شرا يفعل بنا كل ليلة ماترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه فقال لها زوجها ائذني له فأذنت له فقتله زوجها فلما اذن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه اذا صليت الفجر فابعثي الى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فاذا أحضروا عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فاخبرته فقال صدقتني وقال

والعموم وكان على دين الصابئة يعبدون اصناما على اسماء الكواكب السبعة وفي احدى عشرة سنة خلت من ملكه خرجت امه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وصارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم فحملتها بالذهب والفضة واتخذت لذلك عيدا وهو عيد الصليب ثم انه أشير لقسطنطين في المنام ان يعمر حصنا في غاية الحصانة والاحكام فشاور اكابر خواصه فوقع اختيارهم على موضع يقابل استنبول ويسمى بقاضي كوي يروى انهم لما شرعوا في البناء في هذا المكان المذكور جاءت حيوانات على صور شتى كالطيور والوحوش وماشاكلها وجعلت تخطف آلات البناءين ومكائل الفعلة ومعاول الحفارين ودخلوا بها في البحر فاجتازوا الى الجهة الغربية من البحر ليكشفوا أمر تلك الحيوانات فرأوا مكان قسطنطينية الآن وهي في غاية اللطافة وكان اذ ذاك جزيرة خالية مثلثة الشكل معروفة عند الامم القديمة هفت جبل لسبعة جبال كانت بها يروى في بعض

للشاميين خذوا صاحبكم لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى مناديا لا ينزلن أحد على أحد وكان الحجاج قد انزل أهل الشام على أهل الكوفة فخرج أهل الشام فعسكروا وبعث رواد يرتادون له منزلا واقبل حتى نزل موضع واسط فاذا راهب قد أقبل على حمار له فلما كان بموضع واسط بال الحمار فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه فى دجلة والحجاج يراه فقال على به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعته قال نجد فى الكتب انه يبنى فى هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام فى الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد فى ذلك الموضع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة فى قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن اسمعيل وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم فى السنة قبلها قيل وكان الحجاج قد سير نساءه واهله الى الشام خوفا من عبد الرحمن بن الاشعث وفيهن أخته زينب التى ذكرها النمير فى شعره فلما هزم ابن الاشعث أرسل البشير الى عبد الملك بذلك وكتب كتابا الى أخته زينب فأخذت الكتاب وهى راكبة فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت وفى هذه السنة توفى واثلة بن الاسقع وهو ابن خمس ومائة سنة وقيل مات سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وفيها مات زر بن حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة وابو وائل شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى وكان مولده سنة احدى من الهجرة

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين)

(ذكر قتل ابن القرية)

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان مع ابن الاشعث بدير الجماجم فلما هزم ابن الاشعث التحق ايوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستحضره الحجاج فقال له اقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم الا له نبوة فقال الحجاج كلا والله لازيرنك جهنم قال فارحنى فانى اجد حرها فامر به فضربت عنقه فما رآه قتيلا قال لوتركناه حتى نسمع من كلامه

(ذكر فتح قلعة نيزك باذغيس)

فى هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وكان يزيد قد وضع على نيزك العيون فلما بلغه خروج نيزك عنها سار اليها فحاصرها فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من احصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها تعظيما لها وقال كعب بن معدان الاشقرى يذكرها

وباذغيس التى من حل ذروتها * عز الملوك فان شاء جار او ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم اذا ما ليلها عقما

وهى أبيات عدة وقال أيضا يذكر يزيد وفتحها

نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة اعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كانها * غمامة صيف زال عنها سحابها

الاخبار ان سليمان عليه السلام لما غزا كفار البحر وكان مقر سلطنتهم مدينة دشقارا جتاز فى بعض الايام متصيدا فرأى مكان قسطنطينية وقد أحاط به البحر وكان ذلك وقت الربيع وظهور أنواع النبت فأمر ببناء عريش لطيف لاجل الاستظلال بين المشرق والشمال وهو الآن موضع دار السعادة العامرة فاستطاب ذلك المنزل وكان يتصيد ويعود اليه ليلا وكان وزيره آصف اختار مكان اياصوفيا مع توابعه وباقى العسكر فى المكان المعروف الآن بأت صيدانى (وذكر) فى تاريخ البلدان ان عيسى عليه السلام دخل قسطنطينية فى سياحته ودعا لها بالبركة ولدخوله أخبار يطول شرحها وأول ما شرع وا فى عمارة الغلطة فهى على هذا أقدم من مدينة قسطنطينية ويقال ان البحر من الجهة الغربية كان متصلا من عند قبر أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه الى المرسى الجنوبية وكان موضع البلد جزيرة مستقلة تدور المراكب حولها فاستصوب بعض الملوك ردم الجانب الغربى ليسهل اليها

ولا تبلغ الاروى شماريخها العلى * ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها * ولا نبحت الا النجوم كلابها

فى أبيات غيرها فلما فضها كتب الى الحجاج بالفتح وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدوانى حليف هذيل انا لحقنا العدو ففحمنا الله اكثفهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الاودية واهضام الغيطان واثناء الانهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقيل يحيى ابن يعمر فكتب اليه بحمله على البريد فقدم اليه أفصح الناس فقال أين ولدت قال بالاهواز قال فهذه الفصاحة من أين قال حفظت من كلام أبى وكان فصيحا قال اخبرنى هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال فقلان قال نعم قال فاخبرنى هل ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل ان فى موضع ان وان فى موضع ان قال قد اجلتك ثلاثا فان وجدتك بارض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا عبد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة هشام ابن اسمعيل وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية وفيها مات عبد الله ابن الحرث بن نوفل الملقب ببية بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

(ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث)

لما انصرف عبد الرحمن الى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الاودى ما أريد ان ادخل معك لانى تخوف عليك وعلى من معك لكاثنى بالحجاج وقد كتب الى رتبيل يرغبه ويرهبه فاذا هو قد بعث بك سلما أو قتلكم ولكن معى خمسمائة قد تبايعنا على ان ندخل مدينة فتحصن بها حتى نعطى الامان أو نموت كراما ولم ندخل الى بلاد رتبيل معه وخرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم سودود البصرى وقدم عليهم عمارة بن تميم اللخمى فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا اليه فوفى لهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل فى عبد الرحمن أن ابعث به الى والا والذى لا اله غيره لاوطئن ارضك ألف الف مقاتل وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سميع التميمى وكان رسوله الى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الاشعث لاخيه محمد عبد الرحمن انى لا آمن غدر هذا التميمى فاقتله فخافه عبيد ووشى به الى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الاشعث وقال له أنا آخذ لك من الحجاج عهدا لتكفن عن أرضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن فأجابه الى ذلك فخرج عبيد الى عمارة سرا فذكر له ما استقر مع رتبيل وما بذل له وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وأجابه اليه أيضا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فأرسل رتبيل اليه فقطع رأسه قبل ان يدفن وارسله الى الحجاج وقد قيل ان رتبيل لما صالح عمارة بن تميم اللخمى على ابن الاشعث كتب عمارة الى الحجاج بذلك فاطلق له خراج بلاده عشر سنين فأرسل رتبيل الى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحضروا فقيدهم وارسلهم الى عمارة فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر فمات

فاحتز

الملوك فردم وقيل كان دارملكهم اذ ذاك بالمكان المعروف الآن ببدى قلة وهى أول مابنى من المدينة ويقال ان هذه البلدة عمرت ثلاث مرات قبل هذه وهى رابعة فى المدة الاولى خربت بالزلزلة أولا وآخرا ولم يسلم من أهلها الا من كان خارجا عنها وبقيت زمانا طويلا وموضعها موحش ثم انهم عمروها ثانيا بالاستحكام وجعلوا لها اقبية تحت الارض خوفا من الزلزلة وبعضها باق الى هذه الايام ثم حدث بها وباء عظيم فى عام لم يفلت منه الا القليل ثم ان بعض الملوك حشد الناس اليها من الاطراف ورفع عنهم الخراج وعاملهم بالعدل والانصاف فعمرت ثالثا واجتمع فيها طوائف كثيرة من الناس واشتهرت ثم ظهر بها نوع من الحيات والثعابين فاهلكت أكثر الناس والمواشى وهرب من سلم من الباقين وبقيت خالية برهة من الدهر لا يأتيها أحد من البر ولا من البحر ثم ان بعض السلاطين وهو يانقو بن مازيانى أحد اجداد قسطنطين اصطنع طلسما لدفع تلك الآفات ولعله الموجود

فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك وسيره عبد الملك الى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرخج

وقيل ان هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين

(ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل)

وفى هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وكان سبب عزله اياه ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمر فى طريقه براهب فقيل له ان عنده علما فدعا به وسأله هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم قال مسمى ام موصوف فقال كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا ملك افرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلى بعدى قال نعم رجل يقال له يزيد قال افتعرف صفته قال يغدر غدرة لا اعرف غيرها فوقع فى نفسه انه يزيد بن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره انهم زبيرية فكتب اليه عبد الملك انى لا ارى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب وفاؤهم لهم يدعوهم الى الوفاء لى فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب فكتب عبد الملك اليه انك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه أن وله وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم فلما أذن عبد الملك فى عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه يأمره ان يستخلف اخاه المفضل ويقبل اليه واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشى فقال له اقم واعتل واكتب الى أمير المؤمنين ليقرك فانه حسن الحال والرأى فيك قال يزيد نحن أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة وانا أكره الخلاف فاخذ يتجهز فابطأ فكتب الحجاج الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه وستعلم وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين واقر الحجاج أخاه المفضل تسعة اشهر ثم عزله وقد قيل ان سبب عزله ان الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الاشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان اذل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ومن معهم بخراسان ويخوفه على العراق وكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو والحروب فكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقى الخبر كما تقدم وقال حضين ليزيد

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فما أنا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

قال فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين ما قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فنفسك رد اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج ان قد عصيته * فانك تلقى امره متفاقما

الا ان من النحاس على شكل ثلاث حيات بالمكان المعروف بآت بيدانى فارتفعت بعون الله تعالى وما بقى منها صار ضعيفا كالدود بلا ضرر وهو الذى ابتدأ عمارة أياصوفيا فى المرة الثالثة وما شرع فى البناء أرسل الى مماليك الاطراف يجمع ما يحتاج اليه البناء وطلب العوامير وكان بحران وهى قرية من اعمال دمشق كنيسة عظيمة القدر جليلة الشان كان يتعبد فيها ابراهيم الخليل عليه السلام فيما قيل فهدموها وأرسلوا منها عشرة اعمدة من السماق قيل ان مقطعه بجبل سرنديب وانقطع من الارض بعد الطوفان لان الحجارة كانت كالطين قبله فقطع ما قطع منها ثم يبست وازدادت صلابة وبقية الاعمدة جىء بها من رومية وبلاد الحبشة فلما كملت سقط نحو ثلثها وكان سقوطها ليلة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك من جهة المحراب وكان الفراغ من بنائها على ما ذكر من تواريخ الروم فى اليوم الحادى عشر من شهر مايس الرومى وهو ايار لخمسة آلاف وثمانمائة من

هبوط آدم عليه السلام الى الارض ثم بنى قسطنطين بعده مدينة بعلبك وكان أهلها كفارا يتشاركون فى النساء ولم يخلص لاحد منهم نسب وبنى بانطاكية هيكلا فلنرجع الان الى ما كنا بصدده من بيان أخبار ملوك الروم ولما مات قسطنطين انقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة وكان الحاكم عليهم (قسطس) وهو ابن الملك الماضى فكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس وشيد دين النصرانية ثم خرج الملك عن أولاد قسطنطين ثم ملك بعده ابن عمه (الميانس) فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وغزا العراق فى ملك سابور بن اردشير بن بابك فى جنود لا تحصى فقهره ثم قتل فى أرض فارس بسهم أصابه من سهام العرب فكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (بونيالوس) فشيد دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من عبادة الاوثان والتماثيل فكان ملكه سنة واحدة ثم ملك بعده (أواليس) وكان على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه

قال فماذا أمرته به قال أمرته ان لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير قال بعضهم فوجده قنيبة قارحا وقيل كتب الحجاج الى يزيد اغز خوارزم فكتب انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب انى اريد ان اغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فانها كما ذكرت فغزا ولم يطعمه فصالحه أهلها وأصاب سبيا وقفل فى الشتاء واصاب الناس برد فاخذوا ثياب الاسرى فمات ذلك السبى فكتب اليه الحجاج ان اقدم فسار اليه فكان لا يمر ببلد الا فرش أهلها الرياحين (حضين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون)

(ذكر غزو المفضل باذغيس واخرون)

لما ولى المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ثم غزا آخرون وشوموان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاء شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم

(ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم)

فى هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وكان سبب مصيره الى ترمذ ان أباه لما قتل من قتل من بنى تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى خذ ثقلى واقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك والى حصن تقوم فيه فرحل موسى عن مرو فى عشرين ومائتى فارس واجتمع اليه تتمة أربعمائة وانضم اليه قوم من بنى سليم فأتى زم فقاتله أهلها فظفر بهم فأصاب مالا وقطع النهر وأتى بخارا فسأل صاحبها ان يلجأ اليه فأبى لخافه وقال رجل فائك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار فلم يأت ملكا يلجأ اليه الا كرمه مقامه عنده فأتى سمرقند فأقام بها واكرمه ملكها طرخون واذن له فى المقام وأقام ماشاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم وخل وخبز وابريق شراب وذلك كل عام يوما يجعلون ذلك لفارس الصغد فلا يقربه غيره فان أكل منه أحد بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة فأخبر فجلس فأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا وقال يا عربى بارزنى فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد انزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسى لولا انى امنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلدى فخرجوا فاتى كش فضعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون فأتاه فخرج موسى اليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فقاتلهم حتى اصلحوا وتحاجزوا واصحاب موسى جراح كثيرة فقال لزرعة بن علقمة احتل لنا على طرخون فأتاه فقال أيها الملك ما حاجتك الى ان تقتل موسى وتقتل من معه فانك لا تصل اليه حتى تقتلوا عدتهم ولو قتلته واياهم جميعا فانه خطأ لان له قدرا فى العرب فلا يأتى أحد خراسان الا طالبك بدمه فقال ليس لى الى ترك كش فى يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وسار موسى فأتى ترمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذ شاه ان يدخله حصنه فأبى فاهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بينهما مودة وخرج فتصيد معه فصنع صاحب ترمذ طعاما وأحضر موسى ليأكل معه ولا يحضر الا فى مائة من أصحابه فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا فلما فرغوا قال له اخرج

قال لا اخرج حتى يكون الحصن بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمذشاه منها ولم يعرض له ولا الى أصحابه فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى فلم ينصروهم وقالوا لا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ فأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوى بهم فكان يخرج فيغير على ما حوله ثم ولى بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له ثم قدم امية فسار بنفسه يريد مخالفة بكير فرجع على ما تقدم ذكره ثم ان أمية وجه الى موسى بعد صلح بكير رجلا من خزاعة في جمع كثير وعاد أهل ترمذ الى الترك فاستنصروهم وأعلموهم انه قد غزاه قوم من العرب وحصروه فسارت الترك في جمع كثير الى الخزاعي فاطاف بموسى الترك والخزاعي فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ثم انه أراد أن يبيت الخزاعي وعسكره فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ليكن البيات بالهجم فان العرب أشد حذرا وأجرأ على الليل فاذا فرغنا من الهجم تفرغنا للعرب فاقام حتى ذهب ثلث الليل وخرج موسى في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا ثم سار حتى ارتفع فوق عسكر الترك ورجع اليهم وجعل اصحابه ارباعا وأقبل اليهم فلما رآهم أصحاب الارصاد قالوا من أنتم قالوا عابر وسبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فيهم فسار وا يقتل بعضهم بعضا وولوا فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا كثيرا ومالا واصبح الخزاعي واصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها فقال عمرو بن خالد لموسى انا لن نظفر الا بمكيدة ولهم امداد وهم كثيرون فدعني آته لعلي أصيب فرصة فاضرب بني وخلالذم فقال له موسى تتعجل الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له واما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد فضربه موسى خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى واتى عسكر الخزاعي مستأمنا وقال انا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه وانه اتهمني وقال قد تعصبت لعدونا وانت عين له فضربني ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه الخزاعي واقام معه فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له اصلح الله الامير ان مثلك في مثل هذه الحال لا ينبغي ان يكون بغير سلاح قال ان معي سلاحا فرفع طرف فراشه فاذا سيف منتضى فاخذه عمرو فضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتفرق ذلك الجيش واتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه ولم يوجه اليه امية احدا وعزل امية وقدم المهلب اميرا فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة خراسان ما دام هذا الشيط بمكانه فان قتل فاول طالع عليكم امير على خراسان من قيس فلما مات المهلب وولي يزيد لم يتعرض أيضا لموسى وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو واخوه ثابت الى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب اخذ أموالهما وحرمهما وقتل اخاهما لامهما الحرث بن منقذ فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا الى الترك بعيد الصوت فيهم فغضب له طرخون وجمع له تبزك والسيل وأهل بخارا والصغانيان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع الى موسى قتل عبد الرحمن بن العباس من هراة وقتل ابن الاشعث من العراق ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر وتخرج

وكان ملكه الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل ان في ايامه استيقظ اصحاب الكهف من رقدتهم حسب ما أخبر الله عز وجل عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهي مدينة افسيس من أرض الروم وللناس ممن عنى بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير ثم ملك بعده (أونيانوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (خوطيانوس) ثلاث سنين أيضا ثم ملك بعده (تاودوسيوس) تسعا وأربعين سنة ثم ملك بعده (ارقاديوس) بقسطنطينية وشريكه (أونوريوس) بروميه ثلاث عشرة سنة ثم ملك بعدهما (تاودوسيوس) الثاني عشرين سنة وفي ايامه غزا فارس الروم ثم ملك بعده (مرقيانوس) سبع سنين وهو الذي بنى دير مران بحمص ثم ملك بعده (والنطيس) سنة واحدة ثم ملك بعده (اليون) ثماني عشرة سنة ثم ملك بعده (لاون) الكبير سبع عشرة سنة وفي ايامه كثر الخسف في انطاكية بالزلازل ثم ملك بعده (اليونان) ثماني

يزيد عن خراسان ونوليك منهم ان تفعل فقال له أصحابه ان أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان وغلبا عليها فلم يسر وقال لثابت وحريث ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا فأخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر وجبوا الاموال فقوى أمرهم وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير الامر والامير موسى ليس له غير الاسم فقيل لموسى ليس لك من الامور شئ والامور الى ثابت وحريث فاقتلهما وتول الامر فأبى فالحوا عليه حتى أفسدوا قلبه عليهما وهم بقتلهما فانهم فى ذلك اذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك فى سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب البيضة الجماء ولا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس فخرج ابن خازم وقاتلهم فمن معه ووقف ملك الترك على تل فى عشرة آلاف فى أكمل عدة والقتال أشد ما كان فقال موسى ان أزالهم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم والح عليهم حتى أزالهم عن التل ورمى حريث بنشابة فى جبهته وتحاجز بينهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل الى شمعه ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله الفرس فألقاه فى نهر بلخ فغرق وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ومات حريث بعد يومين ورجع موسى وحمل معه الرؤس فبنى منها جوسقين وقال اصحاب موسى قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فابى وبلغ ثابتا بعض ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله الخزاعى عم نصر بن عبد الحميد عامل أبى مسلم على الرى على موسى وقال اياك ان تتكلم بالعربية وان سألوك فقل انا من سبى الباميان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل الى ثابت خبرهم فحذر ثابت والح القوم على موسى فقال لهم ليلة لقد اكثرتم على وفيما تريدون هلاكيكم فعلى أى وجه تقتلونه ولا غدر به قال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل ان يصل اليك فقال والله انه هلاكيكم وانتم اعلم فخرج الغلام فاتى ثابتا فاخبره فخرج من ليلته فى عشرين فارسا ومضى واصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا انه كان عينا له ونزل ثابت بحوشرا واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم فاقبل موسى اليه وقاتله وتحصن ثابت بالمدينة وأتاه طرخون معينا له فرجع موسى الى ترمذ وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارا ونسف وكش فاجتمعوا فى ثمانين ألفا فحصروا موسى حتى جهدهم والصحابه فلما اشتد عليهم قال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أو لأموتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا اعرف بهذا منك ما أتاك الا بغدره فاحذره فاخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا فكانا فى يد ظهير وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعى فخرج ثابت اليه ليعزيه وهو بغير سلاح وقد غابت الشمس فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل الى الدماغ وهرب فسلم وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابنى يزيد فقتلهما وعاش ثابت سبعة ايام ومات وقام بامر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بامر اصحاب ثابت فقاما قياما ضعيفا وانتشر أمرهم واجمع موسى على بياتهم فأخبر طرخون بذلك فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لا يحرس الليلة احد فخرج موسى فى ثمانمائة وجعلهم اربعا وبيتهم وكان لا يمر بشئ الا ضربوه من رجل ودابة وغير ذلك فلبس نيزك سلاحه ووقف

عشرة سنة ثم ملك بعده (استطينوس) سبعا وعشرين سنة وهو الذى بنى اسوار مدينة حماه وفرغ من عمارتها فى سنتين وفى زمانه أصاب الناس جوع شديد من الجراد ثم ملك بعده (توذطينوس) تسع سنين ثم ملك بعده (توسطينوس) الثانى ثمانيا وثلاثين سنة وكثرت الحروب فى أيامه بين الفرس والروم ثم ملك بعده (موريقيس) عشرين سنة وهو الذى نصر كسرى ابرويز على بهرام وأحرق مدينة افامية ثم ملك بعده (طيريوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (ماريقوس) ثمانى سنين ثم ملك بعده (برقوس) اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده (قوقاس) ثمانى سنين ثم ملك بعده (هرقل) واسمه بالرومى ارقليس وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثالثة عشرة من ملكه وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وهو الذى ضرب الدنانير والدراهم الهرقلية وكان مقر سلطنته مدينة انطاكية

(الفصل التاسع فى ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وقبل استيلاء الاروام)

وارسل طرخون الى موسى أن كف أصحابك فانا نرحل اذا أصبحنا فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعا فكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به قاتل مع ابيه سنتين ثم خرج يسير فى بلاد خراسان فاتى ملكا فغلب على مدينته وأخرجه منها وسار الجنود من العرب والترك اليه وكان يقاتل العرب اول النهار والترك آخر النهار واقام موسى فى الحصن خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه احد فلما عزل يزيد بن المهلب وولى الفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فسير عثمان بن مسعود اليه فى جيش وكتب الى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر فى خمسة عشر ألفا فكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى اصحابه فمكث شهرين فى ضيق وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا حتى نصبر فاجعلوا يومكم معهم اما ظفرتم واما قتلتم واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر بن سليمان ابن عبد الله بن خازم فى المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان وادفعها الى مدرك ابن المهلب وخرج وجعل ثلث اصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان يقاتلكم وقصد لطرخون واصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم وزحفت الترك والصغد فحالوا بين موسى والحصن فقاتلهم فعقر فرسه فسقط فقال لمولى له احملنى فقال الموت كريه ولكن ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فلما نظر اليه عثمان حين وثب قال وثبة موسى ورب الكعبة وقصد الى موسى وعقرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فقتلوه ونادى منادى عثمان من لقيتموه فخذوه أسيرا ولا تقتلوا أحدا فقتل ذلك اليوم من الاسرى خلقا كثيرا من العرب خاصة فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويدا لقه وكان فظا غليظا وكان الذى أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبرى وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان فلم يدفعها الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فقال العجب منه أكتب اليه بقتل ابن سبرة فيكتب الى انه لما به ويكتب الى انه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم ولم يسره قتل موسى لانه من قيس وقتل موسى سنة خمس وثمانين وضرب رجل من الجند ساق موسى فلما ولى قتيبة قال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد موته قال كان قتل أخى فامر به فقتل

(ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد)

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد ابن عبد الملك فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل فانك تبعث على نفسك صوت عار ولعل الموت يأتيه فكف عنه ونفسه تنازعه الى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع وكان اجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان وانا أول من يجيبك الى ذلك قال نصبح ان شاء الله ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه ان لا يحجبوا قبيصة عنه وكان اليه الخاتم والسكة تأتيه الاخبار قبل عبد الملك والكتب فلما دخل سلم عليه قال آجرك الله فى عبد العزيز أخيك قال هل توفى قال نعم فاسترجع ثم اقبل على روح وقال كفانا الله ما كان يريد وكان ذلك مخالفا لذلك

وقد وقع التنازع فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر من كان من ملوك الروم فالذى ذكره اصحاب الزيجات فى كتبهم ومن اعتنى بتاريخ الروم ممن سلف وخلف ان ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وايام أبى بكر وعمر رضى الله عنهما هرقل وفى كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان الملك قيصر بن نون ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ الاكبر فى مسامراته بسند متصل الى محمد بن كعب القرظى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبى الى قيصر وكتب معه اليه كتابا يدعوه الى الاسلام فلقيه دحية بحمص وقيصر ماش من قسطنطينية فلما لقيه أعطاه الكتاب ففتحه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

وفيه آيات من كتاب الله يدعوه الى الله تعالى ويزهده فى ملكه ويرغبه فى الآخرة ويحذره بطش الله وبأسه فقرأ قيصر الكتاب فقال يامعشر الروم انى لاظن ان هذا هو الذى بشر به عيسى بن مريم عليهما السلام ولو أعلم انه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسى لايسقط ماء وضوئه الا على يدى قالوا ما كان الله ليجعل ذلك فى الاعراب الاميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب فارسل يبتغى قوما من أهل الحجاز يسألهم فوجدوا قوما كثيرا بالشام فاحضر بين يديه أبو سفيان وأصحابه كلهم لله ورسوله عدو فقال أخبرنى ياأبا سفيان عن حال هذا الرجل الذى بعث فيكم قال أيها الملك لايكبر عليك شأنه انا نقول هو ساحر ونقول هو شاعر ونقول هو كاهن قال قيصر كذلك والذى نفسى بيده كان يقال للانبياء قبله فمازال يسألهم وهم يجيبونه حتى قال لهم ماتزيدوننى عليه الا بصيرة والذى نفسى بيده ليوشكن ان يغلب على ماتحت قدمى قال يامعشر الروم هلم الى أن نجيب هذا الرجل الى مادعا

يا قبيصة فقال قبيصة ياأمير المؤمنين ان الرأى كله فى الاناة فقال عبد الملك وربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من الاناة وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الاولى فى مصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وقيل ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد فى ذلك وفدا فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب الى عبد العزيز ان رأيت ان يصير هذا الامر لابن أخيك فابى فكتب اليه ليجعل الامر له ويجعله له أيضا من بعده فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى ابنى أبى بكر ماترى فى الوليد فكتب اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر فاجابه عبد العزيز انى واياك ياأمير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانا لاندرى أينا ياتيه الموت أولا فان رأيت ان لاتفسد على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وتركه وقال للوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما الخلافة لايقدر أحد من العباد على رد ذلك فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز اللهم انه قطعنى فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام ردّ على أمير المؤمنين أمره فلما أتى خبر موته الى عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل فدعا الناس الى البيعة فاجابوا الا سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وطاف به وهو فى تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التى يقتلون ويصلبون عندها ثم ردوه وحبسوه فقال سعيد لو ظننت انهم لايصلبونى ما لبست ثياب مسوح ولكننى قلت يصلبوننى فيسترنى فبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى ان يدعوه الى البيعة فان أبى ان يبايع فيضرب عنقه أو يكف عنه وكتب اليه يلومه ويقول له ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا خلاف وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال لا ابايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الاسود عامل ابن الزبير ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال مالنا ولسعيد دعه لاتعرض له وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ بك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولايقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتعلم أنت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المهمة واعلم ان لك نصف الرأى ولاخيك نصفه وان يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج ابن يوسف وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتى وفى هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومى وفيها مات عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وثمانين وفيها مات عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى وكان له ما لوفى النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم أربع سنين

(ثم دخلت سنة ست وثمانين)

(ذكر وفاة عبد الملك)

فى هذه السنة توفى عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول أخاف الموت فى شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لى الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت فى نفسه وكان عمره ستين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ولما اشتد مرضه قال بعض الاطباء ان شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال ياوليد اسقنى ماء قال لا اعين عليك فقال لابنته فاطمة اسقينى ماء فمنعها الوليد فقال لتدعنها أو لاخلعنك فقال لم يبق بعد هذا شئ فسقته فمات ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكى فقال كيف أمير المؤمنين قال هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد لنا الردى * ومستخبرات والسموع سواجم

واوصى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية واحصن كهف لبعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه ناب كم الذى عنه تفترون ومجنكم الذى عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم المنابر ووسع لكم البلاد وأذل الاعداء وكونوا بنى أم بررة لاتدب بينكم العقارب وكونوا فى الحرب احرارا فان القتال لا يقرب ميتة وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوى الاحساب فانهم أصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا ولما توفى دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فقتل هشام

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد اسكت فانك تتكلم بلسان شيطان الاقلت كما قال أوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخط منا ناب آخر مقرم

وقيل ان سليمان قتل بالبيت الاول وهو الصحيح لان هشاما كان صغيرا له أربع عشرة سنة وقد رثى الشعراء عبد الملك كثير عزة وغيره فمما قيل فيه

سقا ابن مروان من الغيث مسبل * أجش شمالى يجود ويهطل

فما فى حياة بعد موتك رغبة * لمروان كالوليد نؤمل

(ذكر نسبه وأولاده وأزواجه)

أما نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبى العاص بن امية واما اولاده وازواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر ودرج وعائشة امهم ولادة بنت العباس بن جزء ابن الحرث ابن زهير بن خزيمة العبسية ومنهم يزيد ومروان ومعاية ودرج وام كلثوم وامهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ومنهم هشام وامه ام هشام بنت اسمعيل بن هشام بن الوليد

اليه ونسأله الشام ان لا يطأها قال كيف تسأله ملكان الذى تحت رجليك وهو هنالك لا يملك من ذلك شيأ فمن أضعف منك فقال للروم أليس تعلمون ان بين عيسى وبين الساعة نبيا بشركم به عيسى عليه السلام كنتم ترجون ان يجعله الله منكم فجعله فى غيركم وهى رحمة الله يضعها حيث شاء فلما رأى عما نعتهم واباءهم خاف على ذهاب ملكه منهم وصمت عنهم ثم قال يامعشر الروم دعاكم ملككم لينظر كيف صلابتكم فى دينكم فدعوا له وخروا له سجدا رجعنا الى ما نحن بصدده فلما هلك قيصر ملك بعده ابنه (قيصر) وذلك فى ايام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم ملك بعده (هرقل ابن قيصر) فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه امراء الاسلام حين فتحوا بلاد الشام مثل ابى عبيدة وخالد ابن الوليد وغيرهم حتى أخرجوهم وكان الملك على الروم (موقق بن هرقل) فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى خلافة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وايام معاوية بن

ابن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ومنهم أبو بكر وهو بكار امه عائشة بنت موسى بن طلحة ابن عبيد الله ومنهم الحكم درج امه أم ايوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ومنهم فاطمة بنت عبد الملك امها ام المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ومنهم عبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات الاولاد وكان له من النساء شقراء بنت مسلم بن جليس الطائي وام أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقيل كان عنده ابنة لعلي ابن أبي طالب ولا يصح

(ذكر بعض اخباره)

كان عبد الملك عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما قال أبو الزياد كان فقهاء المدينة اربعة سعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان وقال الشعبي ماذاكرت أحدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فاني ماذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه وقال جعفر بن عقبة الحظائي قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال شيبتني ارتقاء المنابر وخوف اللحن وقال عبد الملك ما اعلم أحدا أقوى على هذا الامر مني ان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن بخله لا يصلح ان يكون سائسا قال أبو مسهر قيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك قال أجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقال المفضل بن فضالة عن أبيه استأذن قوم على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض فدخلوا عليه وقد أسنده خصي الى صدره فقال لهم انكم دخلتم علي عند اقبال آخرتي وادبار دنياي واني تذكرت أرجى عمل لي فوجدته غزوة غزوتها في سبيل الله وانا خلو من هذه الاشياء فايا كم وايا أبنائكم هذه الخبيثة ان تطيفوا بها وقال سعيد ابن عبد العزيز التنوخي لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فاذا قصار يقصر ثوبا فقال يا ليتني كنت قصارا يا ليتني كنت قصارا مرتين فقال سعيد بن عبد العزيز الحمد لله الذي جعلهم يغزعون الينا ولا تنزع اليهم وقال سعيد بن بشير ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه وقال وددت اني كنت أكتسب يوما بيوم ما يقوتني واشتغل بطاعة الله فذكر ذلك لابن خازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وقال مسعود بن خلف قال عبد الملك بن مروان في مرضه والله وددت اني عبد لرجل من تهامة أرعى غنما في جبالها واني لم ألي شيأ وقال عمران بن موسى المؤدب يروى ان عبد الملك ابن مروان لما اشتد مرضه قال ارفعوني على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال يا دنيا ما أطيبك ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كثيرك لقليل بغرور وتمثل بهذين البيتين

ان تناقش يكن نقاشك يا رب عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسيء مذنوبه كالتراب

ويروى ان هذه الابيات تمثل بها معاوية ويحق لعبد الملك ان يحذر هذا الحذر ويخاف فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم عليه قال عبد الملك لسعيد بن المسيب يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساءه فقال الآن تكامل فيك موت القلب وكان عبد الملك اول من غدر في الاسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد وكان اول من قتل

أبي سفيان ثم ملك بعده (قليط بن مورق) بقية ايام معاوية رضي الله عنه واستر ايام يزيد بن معاوية وايام معاوية بن يزيد وايام مروان بن الحكم ومدة من ايام عبد الملك بن مروان ثم ملك (اليون) في بقية ايام عبد الملك وايام الوليد بن عبد الملك وايام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز وكان اضطراب اليون المذكور من أمر مسلمة ابن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم براو بحرا وقصته على ما ذكره الشيخ الاكبر محيي الدين قدس سره في مسامرة الاخيار ان عبد الملك بن مروان لما جهز ابنه مسلمة الى القسطنطينية اغزو عدو الله اليون ملك الروم انتخب من المسلمين ثمانين ألف رجل من أهل البأس والنجدة وأمره عليهم فتوجهوا نحو بلاد الروم وهم يغزون الكفار في طريقهم ويقسمون الغنائم حتى وصلوا الى شاطئ بحر القسطنطينية وهو بحر نيطش فاقاموا هناك ثمانية أشهر حتى هيئوا لهم سفنا فركبوا فيها وقاتلهم أهل المدينة في البحر ثلاثة أيام حتى

الديوان من الفارسية الى العربية وأول من نهى عن الكلام فى حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم واول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله واول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرنى احد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه

(ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك)

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا الموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا وكان اول من عزى نفسه وهنأها وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله اعطاك التى لا فوقها * وقد اراد الملحدون عرقها

عنك ويأبى الله الا سوقها * البك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته وقد قيل ان الوليد لما صعد المنبر حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على انبيائه وحمله عرشه وهو الموت وقد صار الى منازل الابرار ولى هذه الامة بالذى يحق الله عليه فى الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج البيت وغز والثغور وشن الغارة على اعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع المرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

(ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة)

وفى هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميرا عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار وجعل عمرو على حربها اياس بن عبد الله ابن عمرو وعلى الخراج عثمان السعدى فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وسار وا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك آخرون وشومان كان يسمى جواره ثم سار قتيبة منها الى آخرون وشومان وهما من ملخار ستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكث وهى مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ بلاء حسنا وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل انه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ فان بعضها كان منتقضا عليه فحاربهم وكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها ثم ان أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة بردّ السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فاوصى ان يلحق به ما فى بطنها وردت الى برمك فذكران ولد عبد الله بن مسلم جاؤا ايام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم

وصلوا الى الجزيرة التى فيها القسطنطينية فاقام مسلمة بتلك الجزيرة وبعث الى أهل عمله من بلاد الروم التى افتتحها فى طريقه وأمرهم ان يقيموا له مدينة على فرسخين فى فرسخين فاقاموا فيها وصارت بلاد الروم كلها فى يد مسلمة ما بين الشام الى جزيرة القسطنطينية وجبى اليه الخراج واقاموا يحاصرونها سبع سنين وسمى المدينة التى بناها مدينة القهر لانه قهرهم عليها وهى مدينة غلطه ولقد غرسوا فيها أنواع الفواكه فاثمر فاقاموا اقامة قوم لا يرجعون الى بلادهم وكانوا مع هذا يغزونهم كل يوم وكان البطال معه يقتل من الكفار ما بين الخمسين الى المائة حتى قتل منهم فى تلك الايام نحو ستمائة رجل فلما اشتد الحصار بهم كتب ملك الروم الى مسلمة يطلب منه الصلح وان يعطيه كل سنة عشرة آلاف أوقية فضة وستة آلاف أوقية ذهبا وخمسة آلاف رملة فلم يرض مسلمة واستمروا واقفين على باب المدينة سبعة أيام لا يفترأ حد منهم ولا يرجع الى مدينتهم وهم يومئذ ستون ألف

مسلم بن قتيبة انه لا بد لكم ان استحققتموه ففعل ان تزوجوه فتركوه وكان برملك طبيبا

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته وحج بالناس هشام بن اسمعيل المخزومي وكان الامير على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وفي ايام عبد الملك مات أسيد بن ظهير الانصاري (أسيد بضم الهمزة وظهير بضم الظاء المعجمة) وفيها مات عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة وفي أيامه مات علقمة بن وقاص الليثي وله صحبة وفي هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وولد أول سنة من الهجرة وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكان على خاتم عبد الملك ابن مروان وكان فقيها وفي أيامه مات سعد بن زيد الانصاري وولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ايامه مات سلمة ابن أم سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي أوفى الاسلمي وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر وفي اخر ايامه مات الوليد بن عبادة ابن الصامت الانصاري وولد في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة توفي لاحق ابن حميد أبو مجاز السدوسي

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين)

(ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة)

وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسمعيل عن المدينة لسبع ليال خلون من ربيع الاول وكانت امارته عليها أربع سنين غير شهرا ونحوه وولى عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها واليا في ربيع الاول وثقله على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة عروة بن الزبير وابا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث وسليمان ابن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه فقال لهم انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق لا أريد ان أقطع امرا الا برأيكم أو برأي من حضر منكم فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغني فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا وكتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره ان يقف هشام بن اسمعيل للناس وكان سيئ الرأي فيه وكان هشام بن اسمعيل يسيء مجاورا علي بن الحسين فخافه هشام فتقدم على بن الحسين الى خاصته ان لا يعرض له أحد بكلمة ومر به علي وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته

(ذكر صلح قتيبة ونيزك)

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس في اطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده نخافه نيزك فاطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب اليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله ان لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب

مقاتل فلما نظر اليون الى ذلك
ماله فقال لمسلمة ما الذي
تريد فقال له مسلمة عزمت
ان لا أرجع حتى أدخل
مدينتك قال له اليون
أدخل وحدك ولك الامان
فقال له مسلمة نعم على ان آمر
البطال وأصحابه ان يقفوا
على باب المدينة ولا يغلقون
الباب فقال له لك ذلك ففتح
الباب ولم يفتح قبل ذلك
سبع سنين الا للقتال فوقف
البطال داخل عتبة الباب
ثابتا لا يزول ولا يتحرك
قال مسلمة انى داخل
فانتظروني على الباب فان
صليتم العصر ولم أخرج
فاقحموا بخيلكم على
المدينة فاقتلوا من أصبتم
والامير بعدي محمد بن
مروان فركب على فرسه
الاشهب وعليه ثياب بيض
وعمامة متقلدا بسيفين
وبيده الرمح فصف له ملك
الروم عسكره بالخيل يمينا
وشمالا من باب ادرنه الى
باب اياصوفيا وهي كنيستهم
العظمى كلما مر بقوم
مارواخلفه وقد رمقوه
بابصارهم وهم متعجبون
من شجاعته وشدة جراءته
فلم يزل يتقدم حتى وصل الى
باب الكنيسة فخرج اليه
ملك الروم اليون وقبل
يده ودخل الكنيسة وهو

فقال له نيزك وكان يستنصحه يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب الي كتابا لا يكتب الى مثلي فقال له سليم انه رجل شديد في سلطانه سهل اذا سوهل صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه مخلطة كتابه اليك فاحسن حالك عنده فقام نيزك مع سليم فصالحه لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة

(ذكر غزو الروم)

قيل وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا وقيل ان الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وققم وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم

(ذكر غزو قتيبة بيكند)

ولما صالح قتيبة نيزك أقام الى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وثمانين وهي ادنى مدائن بخارا الى النهر فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فامر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فاعطاه أهل بخارا مالا ليردعنهم قتيبة فاتاه فقال له سرا من الناس ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو وجهت بالناس كان اصلح فامر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل اعور هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حرية قيمتها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذه زيادة في الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا فقال لا والله لا يروع بك مسلم أبدا فامر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوي المسلمون وولى قسم الغنائم عبد الله بن والان العدوي أحد بني ملكان وكان قتيبة يسميه الامين ابن الامين فانه كان أمينا وكان من حديث امانة أبيه ان مسلما الباهلي أبا قتيبة قال لوالان ان عندي مالا أحب ان استودعكه ولا يعلم به أحد قال والان ابعث به مع رجل تثق اليه الى موضع كذا وكذا وموه اذا رأى في ذلك الموضع رجلا ان يضع المال وينصرف لجعل مسلم المال في خرج وحمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا المال الى موضع كذا وكذا فاذا رأيت رجلا جالسا فخل البغل وانصرف ففعل المولى ما أمره وأتى المكان وكان والان قد سبقه اليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بني تغلب فجاس في ذلك المكان وجاء مولى مسلم فرآه فسلم اليه البغل ورجع فاخذ التغلبي البغل والمال ورجع الى منزله وظن مسلم ان المال قد أخذه والان فلم يسأله حتى احتاج اليه فاتيه فقال مالي فقال ما قبضت شيأ ولا لك عندي مال فكان مسلم يشكوه الى الناس فشكاه يوما والتغلبي جالس فخلا به التغلبي وسأله عن المال فاخبره فانطلق به الى منزله

راكب على فرسه فجزعت الروم من ذلك جزعا شديدا فلما دخل الكنيسة نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسي من ذهب وعيناه ياقوتتان حمراوتان وانفه زبرجدة خضراء فلما نظر مسلمة الى الصليب أخذه فوضعه على قربوس سرجه فقال الرهبان لاليون لا تدعه فقال له اليون ان الروم لا ترضى بهذا فحلف ان لا يخرج حتى ياخذه معه فقال أليون للروم دعوه يخرج به ولكم علي مثله والا دخل عليكم البطال ان استبطاه فاخذه وخرج وهو راكب وأليون ماش في خدمته فخرج والصليب على رأس رحمه بعد العصر وكان القوم قد هموا بالدخول فلما نظروا اليه كبروا تكبيرة واحدة كادت الارض تمور بهم وسروا بخروج مسلمة سرورا عظيما فارسل أليون له المال الذي عهد به ومعه تاج مرصع فباعوا التاج من بعض بطارقة الروم بمائة الف دينار ثم عرض الناس فكانوا يومئذ اربعة وأربعين الف رجل قد اصابهم الجهد فقسم المال بينهم ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

وسلم المال اليه وأخبره الخبر فكان مسلم يأتي الناس والقبائل فيذكرلهم عذره والان ويخبرهم الخبر قال فلما فرغ قتيبة من فتح يكند رجع الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو امير المدينة وكان على قضاء المدينة ابو بكر بن عمرو ابن حزم وكان على العراق وخراسان الحجاج وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الله بن اذينة وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الاشعري وفيها مات عبيد الله بن عباس بالمدينة وقيل باليمن وكان اصغر من عبد الله بسنة وفيها مات معرف بن عبد الله بن الشخير في طاعون الجارف بالبصرة وفيها مات المقدام بن معديكرب الكندي له صحبة وقيل مات سنة احدى وتسعين وفيها مات امية بن عبد الله بن أسيد (بفتح الهمزة الشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء)

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين)

(ذكر فتح طوانة من بلد الروم)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يامره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثروا عظم جهازه وسار ونحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يا توك فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الاولى قيل وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم)

قيل وفي هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز في ربيع الاول يامره باد خال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يشترى ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك وانهم لا يخالفونك فان أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل واهدم عليهم وادفع الاثمان اليهم فان ذلك في عمر وعثمان اسوة فأحضرهم عمر واقرأهم الكتاب فاجابوه الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذوا في هدم بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى المسجد وقدم عليهم الفعلة من الشام ارسلهم الوليد وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليعمره فبعث اليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء باربعين جملا فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا اساسه وابتدؤا بعمارته قيل وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من الف وأخذ الاموال

ايها الناس الى في تجرات الموت منذ سبع سنين لم اصب اخبركم وكرهت ان افشلكم عن قتال عدوكم وقد توفي خليفتكم عبد الملك وولى ابنه الوليد فمات وقد ولى اخوه سليمان بن عبد الملك فبايعوا له فاقاموا بعد ذلك ثلاثة اشهر بالجزيرة حتى اصطلحوا سفنهم ثم امر أبا محمد البطال ان يحمل المسلمين في السفن فلم يزل ذلك دأبه حتى عدى الناس كلهم وبقي مسلمة في الجزيرة مع مائة فارس فمضى الى باب القسطنطينية فخرج اليه أليون فسلم عليه فلم يصافحه مسلمة فقبل أليون رجله وودعه فعبر السفينة هو والمائة فارس ولم يتخلف بالجزيرة منهم احد وتوجهوا نحو بلادهم فبقي اثناء الطريق اتاه كتاب عمر بن عبد العزيز بموت سليمان بن عبد الملك وبخلافته وان يقدم بمن معه جميعا فقدموا دمشق في ثلاثين الفا فلما رجعنا الى ما نحن بصدده ثم اضطرب ملك الروم بعد أليون فملكوا عليهم رجلا من اهل بيت الملك من اهل هرقل يقال له (جرجين) وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (قسطنطين) بن أليون وذلك في خلافة السفاح وابي

(ذكر غزو نومشكث وبرامشة)

قيل وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو أخاه يسار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى برامشة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة فى مائتى ألف وملكهم كورنعابون ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل الى قتيبة يخبره وأدركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كان الترك يظهرون فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو

(ذكر ما عمل الوليد من المعروف)

وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار وامره ان يعمل الفوارة بالمدينة فعملها واجرى ماءها فلما حج الوليد ورآها اعجبته فامر لها بقوام يقومون عليها وامر اهل المسجدان يستقوا منها وكتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس واجرى لهم الارزاق

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعة من قريش وساق معه بدنا واحرم من ذى الحليفة فلما كان بالتنعيم اخبر أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش فقال عمرتعالوا ندع الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فما وصلوا البيت الامع المطر وسال الوادى فخاف اهل مكة من شدته ومطرت عرفة ومكة وكثر الخصب وقيل انما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات سهل بن سعد الساعدى وقيل بل سنة احدى وتسعين وله مائة سنة وعبد الله بن بسر المازنى من مازن بن منصور وكان ممن صلى الى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة)

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين)

(ذكر غزو الروم)

قيل فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذرولية واتى من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

(ذكر غزو قتيبة بخارا)

فى هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يامره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فاتى الصغد وأهل كش ونسف فى طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن عين وردان فلقوه فى جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وانتهامن مكان كذا وكذا

جعفر المنصور ثم ملك بعده (أليون بن قسطنطين) وكانت امه ارش شريكة معه فى الملك لصغر سنه الى ايام هرون الرشيد فمات وسخلت عينا أمه ارش بعد ذلك لاخبار يطول شرحها ثم ملك على الروم بعده (يعفور) بن استبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات فاعطى القود من نفسه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد فغزاه الرشيد فنزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائة والرشيد فى محاصرة حصن هرقلة ومراسلات يعفور المذكور اخبار كثيرة ثم ملك بعد يعفور المذكور ولده استبراق فى ايام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك (قسطنطين) بن فلقط وكان فى خلافة المأمون ثم ملك بعده (نوفيل) وذلك فى خلافة المعتصم وغزاه فى فتح عمورية كما مر ثم ملك بعده (ميخاييل) بن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل والمستعين ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم (نوفيل) بن ميخاييل ثم غلب على الملك (شيبل الصقلى) ولم يكن من اهل بيت الملك فكان ملكه أيام المعتز والمهتدى ثم ملك بعده (أليون) بن شيبل بقية

وكتب اليه ان حكم بكش وانسفنسف وردوردان وايالة والتصويط ودعنى من ثنيات الطريق وقيل انما كان فتح بخارا سنة تسعين على ماذكره

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة)

قيل وفى هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة فخطب اهلها فقال ايها الناس ايهما اعظم خليفة الرجل على اهله أورسوله اليهم والله لتعلموا فضل الخليفة الا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا اجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعنى بالملح زمزم وبالماء الفرات بئرا حفرها الوليد بثنية طوى فى ثنية الحجون وكان ماؤها عذبا وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدرى اين هو اليوم وقيل وليها سنة احدى وتسعين وقيل سنة اربع وتسعين وقد ذكرناه هناك

(ذكر قتل ذاهر ملك السند)

فى هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابى عقيل الثقفى يجتمع هو والحجاج فى الحكم ذاهر بن صعصعة ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيره معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل مايحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة وواقعه سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يدبه خمسمائة رجل وكان بالديبل بدعظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور والبد صنم فى بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفى رأس المنارة هذا الدقل وكل مايعبد فهو عندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمدا أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلالم فنصبت وصعد عليها الرجال وكان اولهم صعودا رجل من مراد من اهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر عنها وانزلها محمدا اربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج نصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهر ادون مهران فاتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج وسار عنهم الى سهبان ففتحها ثم سار الى نهر مهران فنزل فى وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لحاربته وبعث جيشا الى سدوستان فطلب أهلها الامان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ثم عبر محمد مهران مما يلى بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخف به فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وقتل رجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا وقال قاتله

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا * ومحمد بن القاسم بن محمد
انى فرجت الجمع غير معرد * حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا * متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة ذاهر فخافت ان

تؤخذ

أيام المعتز ومدة من خلافة المعتضد ثم هلك فملكهم ابن له يقال له (الاسكندروس) فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن أليون بن شبيل الصقلى فكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفى ومدة من ايام المقتدر ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته فى الملك وذلك فى بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضى والمتقى فهذا ما وصل الينا من اخبارهم

(الفصل العاشر فى ذكر ملوك مصر قبل الطوفان وما لهم من الآثار والبنيان)

ذكر اهل التاريخ ان بنى آدم عليه السلام لما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحول (نقراوش الجبار) بن مصرايم بن مصر كابيل بن رواييل بن عرياب بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين رجلا جبابرة يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بنى آدم عليه السلام فلما نزلوا على النيل ورأوا وسعة البلد وحسنه وحسن مائه اقاموا فيه وعمر مدينة مصر وسماها باسم ابيه مصرايم وكان نقراوش ملكا جبارا عنيدا عالما بالكهانة والطلسمات وبنى مدينة

تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمنا باذ العتيقة وهى على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المتحصنون من الكفار بها فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشرا كثيرا وخربت وسار يريد الرور وبغرور فلقيه اهل ساوندرى فطلبوا الامان فاعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم اسلم اهلها به بعد ذلك ثم تقدم الى بسمد وصالح اهلها ووصل الى الرور وهى من مدائن السند على جبل فحصرهم شهورا فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله اهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذى يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فالقوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البدو هم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع فى بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة فى وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو ايوب النبى صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوحه ونظر الحجاج فى النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين الف الف درهم ونظر فى الذى حمل فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا ستين الفا وادركنا ثارنا وراس ذا هر ثم مات الحجاج ونذكر امر محمد عند موت الحجاج ان شاء الله تعالى

(ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية)

فى هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية الى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معى الى قتال على ويدى عندك معروفة فقال لا اشركك بكفرمن هو اولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى الى افريقية وبها صالح الذى استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا فى البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره فى البحر الى جزيرة صقلية فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبى ولم يذكر احد انه سمع بسبى اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له فى ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لاحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقى من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق ابن زياد ويقال انه صدقى وجعل معه جيشا كثيفا اجلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فرتب بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر الى الآن وحينئذ لم يبق له فى افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك

أسوس وبنى بها عجائب كثيرة منها انه عمل صنمين من حجر أسود فى وسط المدينة اذا قدمها سارق لم يقدر ان يزول عنهما حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الاعلام وأقاموا الاساطين العظام ووضعوا الطلسمات واستخرجوا المعادن وقهروا من ناواهم من ملوك الارض وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن محفورا وانما كان ينبطح وينفرش على وجه الارض فلما مات لطخوا جسده بالادوية المسكة وجعلوه فى تابوت من ذهب ودفنوا معه كنوزه من أنواع الجواهر وزبروا عليها تاريخ الوقت فلما مات ملك بعده ابنه (نقاوش) فتجبر وعلا امره وكان كابيه فى علم الكهانة والطلسمات وبنى مدينة بمصر وسماها حلجمه وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفائح الذهب وغرس فيها انواع الفواكه وكان معه شيطان يعمل التماثيل العجيبة وهو اول من عمل بمصر هيكلا وبنى فى صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن وبنى مدائن ذات عجائب تكل العقول

عن دركها وقد زال الطوفان جميعها وركب هذه الارض الرمال فازال طلسماتها وملك نقاوش مائة وتسع سنين ثم هلك فعمل له ناووس وجعل معه من الاشياء العجيبة مايطول الامر بذكره وتملك بعده أخوه (مصرام) بن نقراوش وكان حكيما فى الكهانة والطلسمات فعمل اعمالا عظيمة منها انه ذلل الاسد وركبها ويقال انه ركب عرشه وجلته الشياطين حتى انتهى الى وسط البحر المحيط وجعل فيه قلعة بيضاء وجعل عليها صنما للشمس وزبر عليها اسمه وصفة ملكه وعمل صنما من نحاس وزبر عليه أنا مصرام الجبار وكاشف الاسرار والغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة وأقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى انه لايملك أحد ملكى وكان قد عمل فى جنته شجرة مولدة يؤكل منها جميع الفواكه واحتجب عن الناس والقى على وجهه من سحره نورا شديدا لايقدر أحد ان يتمكن من النظر اليه فادعى انه اله وغاب عن

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفى هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة وكان مولده قبل الهجرة باربع سنين وقيل ولد سنة ست من الهجرة (صعير بضم الصاد وفتح العين المهملتين) وفيها مات ظليم مولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بافريقية (ظليم بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام)

(ثم دخلت سنة تسعين)

(ذكر فتح بخارا)

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج الى قتيبة يامره بالتوبة عن انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارا ويعرفه الموضع الذى يأتى بلده منه فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا الى بخارا سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد والترك من حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتلاهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب فاتى بنى تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع اللواء وقال يابنى تميم اتسلمونى اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن أبى طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع ياهريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع فى الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظرا يجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا أحمق فقال وكيع يابن اللخناء اترد امرى فخذفه بعمود كان معه فعبر هريم فى الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبروا هم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم فى الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ونادى قتيبة ماتزون العدو ومنهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فاتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعى فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من أنت فقال قريعى فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدى فقال له قتيبة مادعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعى فظننت انه ينبغى لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

(ذكر صلح قتيبة مع الصغد)

لما وقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه

قتيبة الى ماطلب وصالح ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيان بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون)

(ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان)

قيل لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو يأمل فرجع يريد طخارستان وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلى فيه ويتبرك به وقال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه لى وبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو والروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفريان والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ فى نظام واحد ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة احدى وتسعين ان شاء الله

(ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج)

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه فى سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج الى رستقاباذ للبعث لان الاكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب واخوته عبد الملك والمفضل فى عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم فى فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من اهل الشام وطلب منهم ستة آلاف الف واخذ بعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه فقيل للحجاج انه رمى فى ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسها الا صاح فامر ان يعذب فى ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح واخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون فى التخلص فبعثوا الى أخيهم مروان وكان بالبصرة ان يضمر لهم خيلا ويرى الناس انه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضا فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض الحرس فقال كانت هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء فى الليل فتركه وعاد فخرج المفضل ولم يتفطن له فجاؤا الى سفن معدة فركبها يزيد والمفضل

الناس ثلاثين سنة واستخلف عليهم رجلا من ولد عرياب يقال له عيقام ثم يرز لاهل مصر حين احبوا ان ينظروه فعرض نفسه فى صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا فخروا على وجوههم ثم غاب عنهم ولم يروه بعد ذلك ثم ملك مكانه خليفته عيقام المذكور فعدل فيهم وعمل مدينة عظيمة عجيبة قريب العريش جعلها لهم حرسا وقيل ان ادريس عليه السلام رفع فى زمانه ولم يطل ملكه ثم ملك بعده ابنه عرياق فتجبر واقبل على صيد السباع والوحوش ومن عجائبه انه عمل شجرة من نحاس ذات اغصان واطعمها بدوابه مدبرة فكل وحش يصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى ايامه من لحوم الصيد والوحش وقيل ان هاروت وماروت كانا فى ايامه وكان فاسقا يجلب النساء بسحره ويغتصبهن فاحتالت عليه امرأة فقتلته ثم ملك بعده (لوجيم بن نقاوش) فلما جلس على سرير الملك ولبس تاج ابيه سار فى الناس بالعدل والاحسان ووفور الشفقة للرعية وفى زمانه كثرت الغربان

وعبد الملك وسار وليلتهم حتى اصبحوا فلما اصبحوا علم بهم الحرس فرفعوا خبرهم الى الحجاج ففزع وظن انهم يفسدون خراسان ليفتنوا بها فبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ويامره بالحذر ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فاخذوا طريق الشام على طريق السماوة واتى الحجاج بعد يومين فقيل له انهم اخذوا طريق الشام فبعث الى الوليد بن عبد الملك يعلمه ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء وهيب الى سليمان فاعلمه بحال يزيد واخوته وانهم قد استعاذوا به من الحجاج قال فاتنى بهم فهم آمنون لا يتوصل اليهم ابدا واتاه حتى فجاءهم اليه وكانوا في مكان آمن وكتب الحجاج الى الوليد ان آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان وكان الوليد قد حذرهم وظن انهم ياتون خراسان للفتنة بها فلما علم انهم عند اخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضبا للمال الذى ذهب به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندى وقد آمنته وانما عليه ثلاثة آلاف الف لان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف الف والذى بقى عليه انا أؤديه فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب لئن انا بعثت به اليك لاجيئن معه فكتب الوليد والله لئن جئتنى لا أؤمنه فقال يزيد ارسلنى اليه فوالله ما احب ان اوقع بينه وبينك عداوة ولا ان يتشاءم الناس بى لكاوا كتب منى بالطف ما قدرت عليه فارسله وارسل معه ابنه ايوب وكان الوليد قد امر ان يبعث به مقيدا فقال سليمان لابنه اذا دخلت على امير المؤمنين فادخل انت ويزيد فى سلسلة ففعل ذلك فلما رأى الوليد ابن اخيه فى سلسلة قال لقد بلغنا من سليمان ودفع ايوب كتاب ابيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك ولا تخفر ذمة أبى وانت احق من منعها ولا تقطع منارجا من رجا السلامة فى جوارك لكاتنا منك ولا تذل من رجا العز فى الانقطاع الينا العز بابك فقرأ الوليد كتاب سليمان فاذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن ايصال المال فلما قرأ الكتاب قال لقد شققنا على سليمان وتكلم يزيد واعتذر فامنه الوليد فرجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج انى لم اصل الى يزيد واهله مع سليمان فاكفف عنهم فكف عنهم وكان ابو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه الف الف فتركها وكف عن حبيب ابن المهلب واقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدى اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة وكان لا ياتى يزيد هدية الا بعث بها الى سليمان ولا ياتى سليمان هدية الا بعث بنصفها الى يزيد وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم ففتح الحصون الخمس التى بسورية وغزا عباس بن الوليد حتى بلغ ارزن وبلغ سورية وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك قرة بن شريك على مصر وعزل اخاه عبد الله بن عبد الملك وفيها اسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فاهداه ملكهم الى الوليد وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان اميرا على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعامله على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك وفيها مات أنس بن مالك الانصارى وقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين وكان

والفرانيق فاهلكت الزرع فعمل اربع منارات من نحاس فى اربع جوانب بلدة اسوس وجعل على كل منارة صورة غراب فى فمه حية قد التوت عليه فلم يقربهن شئ من الطيور فلم يزل ذلك الى ان كان الطوفان فازال تلك المنارات ثم ملك بعده خصليم الملك وهو اول من عمل مقياسا لزيادة النيل وعمر بيتا من رخام على حافة النيل وجعل فى وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون على حافة البركة عقابان من نحاس ذكر وانثى فاذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل فتح البيت وجمع الكهنة فيه بين يديه وتكلم روساء الكهان بكلام لهم حتى يصفر احد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيعتدون لذلك وهو الذى بنى القنطرة التى ببلاد النوبة على النيل ثم ملك بعده (هوصال) الملك فبنى مدينتين مدينة بالمشرق وهى ذات عجائب كثيرة وعمل فى وسطها صنما للشمس يدور بدورانها وبيت مغربا ويصبح مشرقا ومدينة بالمغرب وهى على صفتها ويقال ان نوحا عليه

عمره ستا وتسعين سنة وقيل مائة وست سنين وقيل وسبع وقيل وثلاث وفيها مات ابو العالية الرياحي في شوال وفيها توفي نصر بن عاصم الليثي النحوي اخذ النحو عن ابي الاسود الدؤلي وقيل مات سنة تسعين

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين)

(ذكر نتفة من خبر قتيبة مع نيزك)

قد ذكرنا مسير قتيبة الى نيزك وما جرى له بالطالقان وقتل من قتل بها فلما فتح الطالقان استعمل اخاه عمرو بن مسلم وقيل ان ملكها لم يحارب قتيبة فكف عنه وكان بها الصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم ثم سار قتيبة الى الفارياب فخرج اليه ملكها مقرا مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فاقبله اهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم أتى بلخ فاقبله أهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبد الرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع مقاتلته فى قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب او مفازة لا تحتملها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التى من وراء الشعب فامنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان فى الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم اخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادى فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن نيزك فى الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما فى يد نيزك من الطعام واصابهم الجدرى وجدر جيغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتينى به بغيرامان فان احتال والبى فامنه واعلم انى ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخالفنى فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هنالك وحمل سليم معه اطعمة واخبصة واوقارا واتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأى قال أرى ان تأتيه فانه ليس يبارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك أو سلم قال نيزك فكيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكنى ارى ان لا يعلم حتى تضع يدك فى يده فانى ارجو ان يسخى ويعفو قال انى ارى نفسى تأبى هذا وهو ان رآنى قتلنى فقال سليم ما اتيتك الا لاشير عليك بهذا ولو فعلت لم يفوت أن تسلم وتعود حالك عنده فاذا ابيت فانى منصرف وقدم سليم الطعام الذى معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فاتت قتيبة فقال لا آمنه على

السلام ولد فى زمانه وولد له عشرون ولدا وجعل مع كل ولد منهم ناظرا وهو رأس الكهنة وكان يعبد الكواكب فاختفى عن عيون الناس ثم قام بنوه على حالهم كل واحد منهم فى قسمته التى اقتطعه اياها حتى مضت عليه سبع سنين ثم وقع بينهم تشاجر وتخالف فاجتمع رؤس الكهنة على ان يجعلوا احدهم ملكا ويقيم كل واحد منهم فى قسمته فأجمع امرهم على اكبر اولاده فولوه وهو (تدرسان) فسار بسيرة ابيه وحمد الناس امره فعمل قصرا من خشب ونقشه باحسن النقوش وصور فيه صورا الكواكب وجعله على الماء وكان يتنزه عليه فبينما هو يتنزه يوما اذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح عاصفة فوقع القصر وهلك الملك وكانت له امرأة ساحرة من بنات عمه فكتمت عن الناس موت الملك وكان يخرج امرها ونهيها الى الوزراء عنه فاقام الناس تحت طاعتها تسع سنين لا يعلمون بامر الملك فلما رأى اخوته طول غيبته جمعوا عليها جموعا كثيرة وقدموا على

نفسى ولا آتيه الا بامان وان ظنى أن يقتلنى وان امنى ولكن الامان اعذر الى فقال سليم قد آمنتك افتتهمنى قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس مارخان صاحب شرطته وشقران ابن اخى نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التى خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا الى قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان فى الكنز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فاتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم فى قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وامر بقتل صول وابن اخى نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة وقيل اثنى عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج وقال نهار بن توسعة فى قتل نيزك

لعمرى نعمت غزوة الجند غزوة * قضت نحبها من نيزك وتعلت

واخذ الزنبر مولى عباس الباهلى حق النيزك فيه جوهر وكان اكثر من فى بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد كان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال بعضهم

فلا تحسبن الغدر حرما فربما * ترقت بك الاقدام يوما فزلت

فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلى واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده

(ذكر غزو شومان وكش ونسف)

وفى هذه السنة سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فارسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقد ما شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل صالح بن مسلم اخا قتيبة الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفنى من قتيبة وانا امنع الملوك حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجلا فى مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها طرخون فقبض

انفسهم احدهم وهو شرور الجبار وساروا الى مدينة امسوس وتجاروا معها وغلبوا عليها واقتنوا بها لانه الملك وجلس على سرير الملك (شمرود) المذكور فسر الناس به ووعدهم بحسن السيرة فيهم وطلب امرأة اخيه الساحرة وابنها ليقتلهما وهربت هى وابنها الى مدينة الصعيد وكان اهلها كلهم كهانا وسحرة فامتنعت بهم ثم ادعت السلطنة لابنها ودعت الناس الى حرب شمرود وزحف اليه ابن الساحرة وقد عمل له السحرة اصناما من التخاييل الهائلة والنيران المحرقة فاقامت الحرب بينهم اياما فانهزم شمرود واخوته وتحصنوا ببعض الجبال ونزل ابن الساحرة بدار الملك وجلس على سريره ولبس تاج ابيه وكان اسمه (توميدون) فملكهم وهو حديث السن وكانت امه تدبر امره ثم خرج ابنها كاهنا منجما حتى عملت له الشياطين قبة من زجاج دائرة على دوران الفلك وصور عليها صورا لكواكب فكانوا يعرفون الطالع منها وما يحدث بعد طلوعه وبعد

عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة بخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا ملك بخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه

(ذكر عدة حوادث)

قيل في هذه السنة استعمل الوليد خالد بن عبد الله القسري على مكة فلم يزل واليا عليها حتى مات الوليد وكان قد تقدم سنة تسع وثمانين ذكره ايضا فلما ولي مكة خطبهم وعظم امر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال لوانى اعلم ان هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لاخوجتها منه فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فاني والله لا أوتى باحد يطعن على امامه الا صلبته في الحرم انى لا ارى فيما كتب به الخليفة اورآه الا امضاءه واشتد عليهم وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد ابن المسيب ليجرأ احد من الحرس يخرجه فقيل له لوقت قال لا اقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه فقيل لوسلمت على امير المؤمنين قال لا والله لا أقوم اليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت اعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه فالتفت الوليد الى القبلة فقال من ذلك الشيخ اهو سعيد قال عمر نعم ومن حاله كذا وكذا لو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فدار في المسجد حتى اتاه فقال كيف انت ايها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد بل قال بخير والحمد لله فكيف امير المؤمنين وكيف حاله فانصرف وهو يقول امر هذا بقية الناس وقسم بالمدينة دقيقا كثيرا وآنية من ذهب وفضة واموالا وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الاولى جالسا ثم قام فخطب الخطبة الثانية قائما قال اسحق بن يحيى فقلت لرجاء بن حيوة وهو معه أهكذا تصنعون قال نعم مكررا وهكذا صنع معاوية وهلم جرا قال فقلت له هلا تكلمه قال اخبرني قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك ولم يترك القعود وقال هكذا خطب عثمان قال فقلت والله ما خطب الا قائما قال رجاء روى لهم شيء فاقتدوا به قال اسحق ولم نر منهم اشد تجبرا منه وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فان خالدا كان عاملها وقيل ان عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

(ذكر فتح الاندلس)

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر ألفا فلقي ملك الاندلس واسمه

سنين من ملكه ماتت امه الساحرة واوصت ان يجعل جسدها اذا ماتت تحت صنم القمر فانها تخبرهم بالعجائب وبكل ما يسألون عنه ففعلوا ذلك وكانت تتصور لهم في صور كثيرة وملكهم تومئذ دون مائة وستين سنة ولما حضرته الوفاة امرهم ان يجعلوا له صنما من زجاج على شقين ويطلى جسده بالادوية المسكة ويجعل في ذلك الصنم ويلحم ويقام في هيكل الاصنام ويجعل له كل سنة عيد ويقرب له قربان وأن تدفن كتب علومه وكنوزه تحته ففعل ذلك كله وملك بعده ابنه (شرياق) فعمل بسيرة ابيه وجدته وقد جعل الكهنة بين يديه نارا عظيمة لا يصل اليها الا من خاضها ولا تضر الا من اضمر للملك غائلة وكانت اطماع الملوك منقطعة من الوصول الى مصر لا سيما في زمن شرياق المذكور وقد احدث في زمانه عجائب كثيرة منها انه عمل على كل باب مدينة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة فاذا دخل الغريب من باب المدينة صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ الداخل ويكشف

اذريتوق وكان من أهل اصبهان وهم ملوك العجم الانداس فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الاذريتوق وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الاذريتوق وفتح الانداس سنة اثنتين وتسعين هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الانداس وعمل ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر وانا اذكر قصها على وجهها تم من هذا ان شاء الله تعالى من تصانيف اهلها اذهم اعلم ببلادهم قالوا أول من سكنها قوم يعرفون بالانداش (بشين معجمة) فسمي البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة والنصارى يسمون الانداس اشبانية باسم رجل صاب فيها يقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الاول اسمه اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها قيل اول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك اكثرهم وفر منها من اطاق الفرار فخلت الاندلس مائة سنة ثم بعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها قوم منهم اجلاهم ملك افريقية فتخلف منهم لقحطوا في على بلاده حتى كاد يفنى اهله فحملهم في السفن مع اميرين من عنده فارسوا بجزيرة قادس ورأوا الانداس قد أخصبت بلادها وجرت انهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا يضبطون امرهم وهم على دين من قبلهم وكانت دار مملكتهم طاليطلة الخراب من ارض اشبيلية بنوها وسكنوها واقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها احد عشر ملكا ثم ارسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان ابن طيطس فغزاهم وهزمهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم اشبانية وهي اشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتا وتجبر وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة الف وقتل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم ايضا مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها وغنم ايضا قبيلة الذهب والحجر الذي لقي بمارده وكان هذا الشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الارض فقال له يا اشبان سوف تحظى وتملك وتعلو فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء فقال اتسخر مني كيف ينال مثلي الملك فقال قد جعله فيمن جعل عصالك هذه كما ترى فنظر اليها فاذا هي قد اورقت فارتاع وذهب عنه الخضر وقد وثق اشبان بقوله فدا خل الناس فارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة امة يدعون البشنوليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليها واستولوا على ملكها وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخلت عليهم امة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الانداس فاقتطعوها من يؤمئذ عن صاحب رومة وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ايطالية شرق الانداس فاغارت على بلاد مجدونية من تلك الناحية وذلك في ايام قليوذيوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها الى ايام قسطنطين الاكبر واعادوا الغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة ثالث قيصر فانهم قدموا على انفسهم اميرا اسمه لذريق وكان يعبد الاوثان فسار الى رومة ليحمل النصارى على السجود لاوثانه فظهر منه سوء سيرته فتخاذل اصحابه عنه ومالوا الى اخيه

عن أمره وساق الى مدائن الغرب نهرا من النيل وبنى على حافتيه منازل وغرس اشجارا يتنزه عليها وكان اذا خرج اليها سار في عمارة متصلة وملكهم مائة وثلاثين سنة ثم تولى مكانه ابنه (شهلوق) وكان عالما كاهنا منجما قد افاض العدل والاحسان على رعيته وقسم ماء النيل قسما موزونا صرف الى كل ناحية قسطه ومما عمل شهلوق المذكور القبة المركبة على سبعة اركان وجعل لها سبعة ابواب وبنى على كل باب صورة معمولة فاذا تقدم الخصمان الى تلك الصورة التصقت بالظالم وشدت عليه شدا عنيفا وان دعا المظلوم الظالم الى تلك الصورة ولم يأتها أقعد الظالم من رجليه وخرس لسانه ولم يتحرك ولم يزل لها عمل حتى ازالها الطوفان فلما هلك تولى مكانه ابنه (سوريد) وهو الذي بنى الاهرامات واقتفى سيرة ابيه في العمارة والعدل والانصاف وبنى بالصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة وهو أول من جبى الخراج بمصر وألزم اهل الصناعات على اقدارهم واول من امر بالانفاق

وحاربوه فاستجاب بصاحب رومة فبعث اليه جيشا فهزم اخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ثم ولى بعده اقريط وبعده املريق وبعده وغديش وكانوا قد عادوا الى عبادة الاوثان فجمع من اصحابه مائة الف وسار الى رومة فسير اليه ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه ثم بعده الريق وكان زنديقا شجاعا فسار ليأخذ بثار وغديش ومن قتل معه ونازل رومية وحاصرها وضيق على اهلها ودخلها عنوة وغنم اموالهم ثم جمع اصطول البحر وسار الى صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها فغرق اكثر اصحابه فى البحر وهو فيمن غرق ثم ملك بعده اطلوف ست سنين وخرج عن بلد ايطالية واقام ببلد غاليس مجاورا قاصى الاندلس ثم انتقل منها الى برشلونة ثم بعده اخوه ثلاث سنين ثم بعده واليا شم بوردزاريش ثلاثا وثلاثين سنة ثم ابنه طرشمند ثم بعده اخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ثم بعده اوريق سبع عشرة سنة ثم بعده الريق بطلوشة ثلاثا وعشرين سنة ثم عشليق ثم املىق سفتين ثم توذيوش سبع عشرة سنة وخمسة اشهر ثم بعده طود تقليس سنة وثلاثة اشهر ثم بعده أثله خمس سنين ثم بعده اطلنجه خمس عشرة سنة ثم بعده ليوبا ثلاث سنين ثم بعده أخوه لويلدو هو أول من أتخذ طليطلة دار ملك ونزلها ليكون متوسطا للملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى على جميع الاندلس وبنى مدينة رقويل وأتقنها وأكثر بساتينها وهو على القرب من طليطلة وسماها باسم ولده وغزا بلد البشقنس حتى اذلهم وخطب الى ملك الفرنج ابنته لولده ارمنجلد فزوجه واسكنه اشبيلية فسنت له عصيان والده ففعل فسار اليه أبوه وحصرهما وضيق عليه وطال مقامه الى ان أخذه عنوة وسجنه الى ان مات ثم ملك بعده ولد ابنه ركردو كان حسن السيرة تجمع الاساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد اليهم وكانوا نحو ثمانين اسقفا وكان تقيا عفيفا قد لبس ثياب الرهبان وهو الذى بنى الكنيسة المعروفة بالوزقة بازاء مدينة وادى اش ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له بتريق فقتله وملك بعده بتريق هذا بغير رضا أهل الاندلس وكان مجرما طاغيا فاسقا فثار عليه رجل من خاصته فقتله ثم ملك من بعده غندمار سفتين ثم ملك بعده سيسفوط وكانت ولايته تسع سنين وكان حسن السيرة ثم بعده ابنه ركريدو كان صغيرا عمره ثلاثة اشهر ومات ثم ملك شنتله وكان ملكه عند البعث وكان مشكورا ثم بعده سشنند خمس سنين ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس أربعة اعوام ثم بعده بنبان ثمانية اعوام ثم بعده أروى سبع سنين وكان فى دولته قحط شديد حتى كادت بلاد الاندلس تخرب لشدة الجوع ثم بعده ابنته خمس عشرة سنة وكان جائرا مذموما ثم ملك بعده ابنه غيطشه وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان فى سجن أبيه وادى الاموال التى أربا بها ثم توفى وخلف ولدين فلم يرض بهما أهل الاندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك وكانت عادة ملوك الاندلس أنهم يسمون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكونون فى خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحكم انكح بعضهم بعضا وتولى تجهيزهم فلما ولى رذريق أرسل اليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما ابنة له فاستحسنها رذريق وافتضها فكتبت الى أبيها فاغضبه ذلك فكتب الى موسى بن نصير عامل

على الزمى والمرضى من خزائنه وعمل مرآة من اخلاط كان يرى فيها جميع الاقاليم وما اخصب وما اجدب منها وما حدث فيها وركبها على منارة من نحاس وسط اسوس وعمل فى المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كانها ترضعه وايما امرأة اصابتها علة فى عضو فسحت ذلك العضو بعضو منها مقابلها برئت وايما صبى اصيب عضوه يمسح ذلك العضو بعضو ذلك الصبى برئ ومن اعماله بناء الهرمين الكبيرين وسبب بنائهما انه رأى رؤيا كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس يهوون على رؤسهم وكان الكواكب تتساقط عليهم ويصدم بعضها بعضا باصوات مختلفة هائلة فغمه ذلك ثم رأى بعد ذلك كان الكواكب الثابتة فى صفة طير ابيض وكانها تتخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين انطبقا عليهم وكان المسيرة مظلمة فانتبه مذعورا وعلم انه سيحدث فى العالم أمر عظيم فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا وكبيرهم

الوليد بن عبد الملك على افريقية بالطاعة واستدعاه اليه فسار اليه فادخله ليليان مدائنه
واخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضى به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك آخر سنة
تسعين فكتب موسى الى الوليد بما فتح الله عليه ومادعاه اليه يوليان فكتب اليه الوليد يحضها
بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فكتب اليه موسى انه ليس ببحر متسع وانما هو
خليج بين ما وراءه فكتب اليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت فبعث
رجلا من مواليه يقال له طريف في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن
فخرج في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ثم اغار على الجزيرة الخضراء فاصاب
غنيمة كثيرة ورجع سالما في رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك اسرعوا الى
الغزو ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق بن زياد فبعثه
في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالي وأقلهم العرب فساروا في البحر وقصد الى
جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمي الجبل جبل طارق الى اليوم ولما ملك عبد المؤمن البلاد
أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الالسنة على
الاول وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ولما ركب طارق البحر
غلبته عينه فرأى النبي ومعه المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فنظر طارق
فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه مستبشرا
وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء
وفتح الجزيرة الخضراء فاصاب بها عجوزا فقالت له اني كان لي زوج وكان عالما بالحوادث وكان
يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ووصف من نعته انه ضخم الهامة وان في كتفه
الايسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيضا هو ومن
معه ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل
ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائبا في غزاته فرجع منها وطارق قد دخل
بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارقا الخبر كتب الى موسى يستمده ويخبره بما فتح
وانه زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به فبعث اليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون
اثني عشر ألفا ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار فاتاهم رذريق في
جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين
واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من
ابناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بفضل رذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت أيديهم من الغنيمة
عادوا الى بلادهم وبقي الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر
وسار طارق الى مدينة استجة متبعا لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا
شديدا ثم انهزم أهل الاندلس ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ونزل طارق على عين بينها وبين
مدينة استجة أربعة أميال فسميت عين طارق الى الآن ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين
قذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا يظنون انه يفعل فعل طريف فهربوا الى طليطلة وكان

يقال له اقليمون فقص عليهم
ذلك وكان اقليمون رأى
رؤيا مثل ذلك فاخذوا
ارتفاع الكواكب
فاخبروا باهر الطوفان
قال سوريد ويلحق بلادنا
فقالوا نعم وتخرب وتبقى سنين
خرابا فامر بعمل الاهرام
لتكون قبورا لهم وله ولاهل
بيته تحفظ اجسادهم
وكنوزهم وأمربان
يعمل لها مشارف يدخل
منها النيل الى مكان
ويخرج الى المواضع من
أرض الغرب والصعيد
وملأها طلسمات وعجائب
وخزائن وغير ذلك وزبر في
سقوفها واسطوانتها
ما قالته الحكماء من العلوم
الغامضة واسرار العقاقير
ومنافعها ومضارها وعمل
الطلسمات والحساب
والهندسة والطب وغير
ذلك كل ذلك معلوم لمن
يعرف كتابتهم ولغاتهم وليس
على وجه الارض بناء أرفع
وأعظم منها وكان ابتداء
بنائها في طالع سعيد قرر
عليهما وبناء هذين الهرمين
والنسر الواقع في السرطان
فلما فرغ من بنائها كساهما
ديباجا ملونا وعمل لها عيدا
حضر اليه أهل مملكته
وكتب عليهما اني بنيتهما
في ستين سنة فمن ادعى قوة

طريف قد أوهمهم انه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس قال له يوليان قد فرغت من الاندلس ففرق جيوشك وسر أنت الى طليطلة ففرق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى جيان يريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها مايه فاما الجيش الذى سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة فى سورها فدخلوا منها البلد وملكوه وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها اورويولة وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد واما طارق فلما راى طليطلة فارغة ضم اليها اليهود وترك معهم رجالا من أصحابه وسار هو الى وادى الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فسمى بفج طارق الى اليوم وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك وكان لها ثلثمائة وستون رجلا ثم مضى الى مدينة مايه فغنم منها ورجع الى طليطلة فى سنة ثلاث وتسعين وقيل اقتحم ارض جليقية فخرقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصرف الى طليطلة ووافته جيوشه التى وجههها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التى سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الاندلس فى رمضان سنة ثلاث وتسعين فى جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده فلما عبر الى الاندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له تسلك طريق طارق فأبى فقال له الادلاء نحن نسلك على طريق اشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد وعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد عمه فسار وابه الى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة ثم سار الى مدينة قرمونة وهى أحصن مدن الاندلس فتقدم اليها يوليان وخاصته فاتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح فادخلوهم مدينتهم فارسل موسى اليهم الخيل ففتحوها لهم ليلا فدخلها المسلمون وملكوها ثم سار موسى الى اشبيلية وهى من أعظم مدائن الاندلس بنيانا واعزها آثارا فحصرها أشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود وسار الى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا فى مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما اصبحوا زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين واحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلا ذريعا ونجا من نجا منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وقاتلهم وزحف اليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمى برج الشهداء الى اليوم ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية واموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم ان أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما وعاد الى اشبيلية وسار أبو موسى من مدينة ماردة فى شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى

فليهدمها فى ستمائة سنة فان الهدم اهون من البناء والى كوتهما حريرا فليكسهما من بعدى حصيرا وعددها ثمانية عشر هرما ثلاثة منها بالجيزة مقابل الفسطاط وعند مدينة فرعون يوسف عليه السلام هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه أربعمائة ذراع وعند مدينة فرعون موسى اهرام اخر وآخرها يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك وفى الهرم الغربى اخوه هرجيب وفى الهرم الملون افريبون بن هرجيب والصابئة تزعم ان أحدها قبر شيث عليه السلام والآخر قبر هرمس والملون قبر صابئ بن هرمس اليه تنسب الصابئة وجعل لكل هرم منها خازنا من الروحانيين فالموكل بالهرم البحرى فى صفة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب الى الارض وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القائلة والموكل بالهرم الذى الى جانبه فى صورة غلام امرد عريان وقد رؤى بعد المغرب يدور حول الهرم والموكل بالثالث فى صفة شيخ فى يده مخبرة وعليه ثياب الرهبان

مدينة طليطلة فطلب منه ماغنم والمائدة ايضا فاتاها بها وقد انتزع رجلا من ارجلها فسأله عنها فقال لا علم لى كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب وسار موسى الى سرقسطة ومدائنها فافتتحها واوغل فى بلاد الفرنج فانتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صفاقا فيه مكتوب بالنقر يابنى اسمعيل الى ههنا منتهاكم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجع ووافاه رسول الوليد فى اثناء ذلك يأمره بالخروج عن الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو فى غير ناحية الصنم يقتل ويسبى ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاى على البحر الاخضر وهو فى قوة وظهور فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه واخذ بعنان بغلته واخرجه وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الاعلى فاقفل معه ومضيا جميعا واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى فلما عبر البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وماوالاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية واعمالها ابنه الكبير عبد الله وسار الى الشام وحمل الاموال التى غنمت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط واعيانهم ومن نفيس الجوهر والامتعة مالا يحصى فورد الشام وقدمات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفا عن موسى بن نصير فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه واغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب فى معونته وقيل انه قدم الشام والوليد حى وكان قد كتب اليه وادعى انه هو الذى فتح الاندلس وأخبره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق انا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد سله عن رجلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فاظهرها طارق وذكر انه اخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانما فعل هذا لانه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فاخرجه وقيل لم يحبسه قالوا ولما دخلت الروم بلاد الاندلس كان فى مملكتهم بيت اذا ولى ملك منهم أقفل عليه قفلا فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق اراد فتح الاقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الاقفال فرأى فى البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الاندلس تلك السنة فهذا القدر كاف فى فتح الاندلس ونذكر باقى اخبار الاندلس عند اوقات حدوثها على ما نشرطنا ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوة جزيرة سردانية)

هذه الجزيرة فى بحر الروم وهى من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية واقريطش وهى كثيرة الفواكه ولما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى المينا الذى لهم وجعلوا أموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها ما لا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول فاتفق ان رجلا من المسلمين اغتسل فى المينا فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ثم دخل رجل من المسلمين

الى

وقد رؤى يدور ويبحر ليلا ووكل بسائرها امثال ذلك من الروحانية وقيل ان ادريس عليه السلام حين استدل من أحوال الكواكب على وقوع الطوفان امر ببناء الاهرام وأودعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدثور وقيل بناها شداد ابن عاد وكانوا يعتقدون بالرجوع فكان أحدهم اذا مات دفن معه ماله وان كان صانعا دفن معه آلات صنعته وأحوال هذه الاهرامات عجيبة وحكاياتها غريبة وكل شئ يخشى عليه من الدهر الا الهرمين فانه يخشى على الدهر منهما وفى ذلك يقول الشاعر

حسرت عقول أولى النهى الاهرام
واستصغرت لعظيمها الاجرام
ملس مؤنقة البناء شواهق
قصرت لعال دونهن سهام
لم ادر حين بكا التفكر دونها
واستوهمت لعجيبها الاوهام
اقبور املاك الاعاجم هن ام
طلسم رمل كن أم اعلام

(قال المتنبى)

اين الذى الهرمان من بنيانه
من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها
حينا ويدركها الفناء فتتبع

الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير واخذوا الجميع وازداد المسلمون غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى ما فى جوفها فيملؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اصطولا من المهدية فمر وا بجنوة ففتحوا المدينة وأوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا ما فيها وفى سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامرى من دانية وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على بن مجاهد ورجع بمن بقى الى دانية ولم تغز بعد ذلك وانما ذكرنا جميع اخبارها ههنا لقلتها واذا تفرقت لم تعرف كما يجب

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم وفى هذه السنة غزا قتيبة سجستان فى قول بعضهم وأراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله الليثى وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان البصرى من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين)

(ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد)

وفى هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خوزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه ان عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بقرا واختا أو امرأة جميلة أرسل اليه وأخذ منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا أقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه واشترط عليه ان يدفع اليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرازبته على ذلك فأجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزمشاه اجناده ودهاقنته وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس يغازيكم فهلموا نتنعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزمشاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك لانه قد جهز عنه من هو أقوى منا واشد شوكة ولكن اصرفه بشئ أؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار

ثم ان سوريد لما ملك مائة وسبعا وستين سنة وكان منجموه عرفوه الوقت الذى يموت فيه واليوم والساعة أوصى بالملك لولده وعرفه جميع ما يحتاج اليه وأمره بان يدخل جسده الى الهرم الذى أعده لنفسه فامتثل ولده جميع ما أمره به فلما مات تولى الملك بعده (هرجيب) وسار سيرة أبيه بالعدل والعمارة والرأفة بالناس فاحبوه وأطاعوه فبنى هرما ونقل اليه كثيرا من المال والجواهر وكانت له بنت

خوارزمشاه فنزل بمدينة القيل من وراء النهر وهي أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقبل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان يغازي خوارزمشاه فقاتله ففتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه ففتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

(ذكر فتح سمرقند)

فلما فبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام اليه الجحشر بن مزاحم السلمي فقال له سرا ان أردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام فقال أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمعه منك أحد قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد واكتم الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم واني ارجو ان يكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوارزم وبخارا فقاتلوه شهرا من وجه واحد وهم محصورون وخاف أهل الصغد طول الحصار فكتبوا الى ملك الشاش وخاقان واخشاد فرغانة ان العرب ظفروا بنا أو تكم بمثل ما أتوا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من ابناء المرازبة والاساورة والابطال وأمروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول عنه بحصار سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة وقيل ستمائة من أهل النجدة والشجاعة واعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم يرقوم كانوا أشد منهم أولئك قال بعضهم انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتني فقلت كيف ترى يا عمي وأبي قال اسكت فض الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم اسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل يعد مائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذي رأى مني وما رأى الصغد ذلك انكسروا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانما يناجي نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لان أصبحت لاحاولن من أهلك اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت

افسدت مع بعض خدامه فنفاها الى ناحية المغرب وأمر بان يبنى لها مدينة هناك واسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته ثم مات وكانت مدة ملكه نيفا وسبعين سنة وملك بعده ابنه (مناوس) كان جبارا أثيما شيطانا رجيما آذى الناس وسفك الدماء واغتصب النساء وكان يقتض ختامهن قبل أزواجهن واستخرج كنوز آبائه وبنى قصورا من ذهب وفضة وفخر فيها الانهار وجعل حصباءها

غدا وأخبرا الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد فى القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فارسل الصغد الى قتيبة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة وقيل بل قال قتيبة جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحوهم من الغد على الفى الف ومائتى ألف مثقال فى كل عام وان يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس وان يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فبنى فيها مسجدا ويدخل ويصلى ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة فى أربعة آلاف فانتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فانى لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها وقيل انه شرط عليهم فى الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى بالاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك على واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها أصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا أحرقها بيدى فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجد وامن بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل وقيل ان أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها وقد أمر قتيبة يومئذ بسرير فأبرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جاز قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فاتاه فى عدة من أصحابه فلما بعد استوهب منه سمرقند وقال للملك انتقل عنها فلم نجد بدا من طاعته وتلا قتيبة قوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وحكى عن الذى أرسله قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال فارسلنى الحجاج الى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت المسجد فاذا الى جنبى رجل ضرير فسألنى من أين أنت فقلت من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال والذى بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بنى أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجرا حجرا فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا الاعدى العيرين لانه فتح سمرقند وخوارزم فى عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عير بن قيل عادى عيرين فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال يا نهار أين قولك

الا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه * فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

افغزو هذا قال لا هذا أحسن وانا الذى أقول

وما كان مذ كنا ولا كان قبله * ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
اعم لاهل الشرك قتلا بسيفه * وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال وقال الشعراء فى ذلك فقال الكميت من قصيدة

من صنوف الجواهر واستغرق فى اللذات والشهوات وغفل عما يتعلق بالعمارات ومصالح العباد فابغضه الناس وكل من امتنع من أمره احرقه بالنار وأقام ملكا ثلاثا وسبعين سنة ومات فوضع فى الهرم مع اجداده وحمل معه كنوزه ثم ملك بعده ابنه (أفروش) وكان كاهنا ماهرا خالف اباه فى افعاله وعدل فى الناس وعمل فوارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا وركب فى جوانبها

كانت سمرقند احقا بايمانية * فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال كعب الاشقرى وقيل رجل من جعفى

كل يوم يحوى قتيبة نهبا * ويزيد الاموال مالا جديدا
باهلى قد ألبس التلاح حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قعودا
فوليد يبكى لفقد أبيه * وأب موجع يبكى الوليدا

ثم رجع قتيبة الى مرو وكان أهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدرا وكان عامله على خوارزم اياس بن عبد الله على حربها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله ابن أبى عبيد الله مولى مسلم فاستضعف أهل خوارزم اياسا فجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة أخاه عبد الله عاملا وأمره ان يضرب اياسا وحيان النبطى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم أرسل الى اياس فانذره فتنحى وقدم عبد الله وأخذ حيان فضربه وحلقه ثم وجه قتيبة الجنود الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل ابناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا لا يغنيك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور

(ذكر فتح طليطلة من الاندلس)

قال أبو جعفر وفى هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار اليه فى رجب منها واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وعبر موسى الى طارق فى عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضى عنه وقبل عذره وسيره الى طليطلة وهى من عظام بلاد الاندلس وهى من قرطبة على عشرين يوما ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام ومافيها من الذهب والجوهر والله أعلم به قلت لم يزد على هذا وقد ذكرت فى سنة اثنتين وتسعين من فتح الاندلس ودخول موسى بن نصير الى طارق مافيه كفاية فلا حاجة الى اعادته الا ان أبا جعفر قد ذكر ان موسى هو الذى سير طارقا وهو بالاندلس ففتح مدينة طليطلة والذى ذكره أهل الاندلس فى تواريخهم ماتقدم ذكره

(ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز)

قيل وفى هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى الوليد ان من عندى من العراق واهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فاشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما فلما خرج عمر من المدينة قال انى أخاف ان أكون ممن نفته المدينة يعنى بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفى خبثها وكان عزله عنها فى شعبان ولما قدم خالد مكة أخرج منها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من انزال عراقى وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ الى مكة والمدينة وقيل انما استعمل على

اطيارا تصفر باصناف الالحان المطربة لا تفتر وعمل فى وسط المدينة منارا عاليا من صفر عليه صورة انسان من صفر كلما مضت ساعة من الليل والنهار صاح ذلك صياحا عاليا فيعلم به دخول الساعات فى الليل والنهار وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة من صفر مذهب ولطخها بلطوخات فاذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا تضيء لها اكثر المدينة ولا تطفيها الامطار ولا الرياح فاذا كان النهار قل ضوءها لضوء

المدينة عثمان بن حيان وقد تقدم سنة احدى وتسعين ولاية خالد مكة فى قول بعضهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس وفيها غزا مروان ابن الوليد فبلغ خنجرة وفيها غزا مسلمة الروم أيضا ففتح ماسيسة وحصن الحديد وغزا له من ناحية ملطية وفيها أجدب اهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا وفيها كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز قبل ان يعزله يامره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماء باردا فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردا فى يوم شات ووقفه على باب المسجد فمات من يومه (خبيب بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء مفتوحة ونقطتان) وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد وكان على الامصار من تقدم ذكرهم الا المدينة فان عاملها عثمان ابن حيان قد مها فى شوال لليلتين بقيتا منه وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكة فى سنة تسع وثمانين وفى سنة احدى وتسعين قد ذكرنا انه وليها هذه السنة وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو العالية البراء واسمه زياد بن فيروز وكان مولى لامراة عربية من بنى رياح وليس بابى العالية الرياحى ذاك كان موته سنة تسعين وفيها مات بلال بن أبى الدرداء الانصارى قاضى دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين)

(ذكر قتل سعيد بن جبير)

قيل وفى هذه السنة قتل سعيد بن جبير وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد الى أصبهان فكتب الحجاج الى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك فارسل الى سعيد يعرفه ذلك ويامره بفارقته فسار عنه فاتى اذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج الى مكة فكان بها هو وناس امثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم فلما ولى خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد انه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستحيينى ما كتب الله لى فلما قدم خالد مكة كتب اليه الوليد يحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطاق بن حبيب فارسلهم اليه فمات طاق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وكان سيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد وقد استيقظ من نومه ليلا يا سعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل لى ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فانى لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى مثل تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد فى الذهاب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به قال لعن الله ابن النصرانية يعنى خالدا وكان هو ارسله اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال يا سعيد ألم اشركك فى امامتى الم أفعل ألم استعملك قال بلى قال فما أخرجك على قال انما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت بيعة فى عنق ففضب الحجاج وانتفخ وقال يا سعيد الم أقدم

الشمس وعمل امثال ذلك من الغرائب التى يطول ذكرها ويقال انه نكح ثلثمائة امراة يبتغى منهن اولادا فلم يمكن ذلك فى عصره لان الارحام عقمت بامر الله تعالى لقرب زمان الطوفان وهلاك العالم وكثرت فى زمانه الاسود حتى كانت تدخل البيوت وانقطعت الامطار وقل الماء فى النيل وهلكت الزروع من الريح الحارة وكانت مدة ملكه اربعا وستين سنة وليس له ولد ولا

مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فتنكث بيعتين لامير المؤمنين وتوفى بواحدة للحائك بن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذا السعيد كما سمتنى أمى فامر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كبة بيضاء لاطية فلما سقط رأسه هلل ثلاثا أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيدوا قيدوا فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه ياخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيما قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير

(ذكر غزوة الشاش وفرغانة)

فى هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى بخجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وقال سبحان يذكر قتالهم بخجندة

فسل الفوارس فى بخجـ * ـدة تحت مرهفة العوالى
هل كنت أجمعهم اذا * هزموا واقدم فى القتال
أم كنت اضرب هامة الشـ * ـعافى واصبر للعوالى
هـذا وأنت قريع قيـ * ـس كلها ضخم النوال
وفضلت قيسا فى الندى * وأبوك فى الحجج الخوالى
ولقد تبين عـدل حكـ * ـمك فيهم فى كل حال
تمت مروأتكم ونا * غى عزكم غلب الجبال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوما فخربت البلاد وكان عظم ذلك فى انطاكية وفيها افتتح القاسم بن محمد الثغر أرض الهند وتوفى فى هذه السنة على بن الحسين فى أولها ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام واستقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك وقيل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله وبالمدينة عثمان بن حيان وبمصر قرة بن شريك وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين)*

(ذكر غزوة الشاش)

قيل وفى هذه السنة بعث الحجاج جيشا من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج فى شوال منها فغمه ذلك وتمثل بقول

اخ ودفن فى الهرم وجعلت معه خزانته فلكوا رجلا من اهل بيت الملك يقال له (ارسالنوس) فلما ملك سار بسيرة سلفه وكان له ابن عم يقال فرعان جد الجبابرة الذين لا يطاقون وهو اول فرعون سمى بهذا الاسم وسمى باسمه تشبيها به فعشقته بعض نساء الملك وراسلته بامر أة فامتنع فلم تزل به المراة حتى ارضته ثم سمت الملك فى شرابه فقتلته وجلس (فرعان) على سرير الملك فلم ينازعه احد وكان

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحي لى املك حياتي وان تمت * فما في حياة بعد موتك طائل

ورجع الى مرو وتفرق الناس فاتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كاني انظر الى بلائك والثغر الذي أنت فيه

*(ذكر وفاة الحجاج بن يوسف)

قيل ان عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار ايام الوليد بن عبد الملك فقال الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفي الحجاج وقرة بن شريك في شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان وخالد واستجاب الله لعمر وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد بن ابيه حيث كتب الى معاوية يقول له قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة يعرض بامارة الحجاز فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم ارحنا من يمين زياد وارح اهل العراق من شماله فكان اول خبر جاءه موت زياد وكانت وفاة الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين وقيل كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته العراق عشرين سنة ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فاقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحدا من عمال الحجاج

(ذكر نسبه وشيء من سيرته)*

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي قال قتيبة بن مسلم خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول انه بيت الوحدة انه بيت الغربة و بيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى ثم قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان فقال في خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر أو ذكره الا يكى وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس وأنس وقال ابن عوف كنت اذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن وقال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن افصح وقال عبد الملك بن عمير قال الحجاج يوما من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه فقام رجل فقال اعطني على بلائي قال وما بلاؤك قال قتلت الحسين قال فكيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معي في قتله أحدا قال فانك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد ثم قال اخرج ولم يعطه شيأ قيل وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره بقتل اسلم بن عبد البكري بشيء بلغه عنه فاحضره الحجاج فقال أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية والذي بلغه عني باطل فاكتب الى أمير المؤمنين اني أعول أربعا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه وهذه عمته وزوجته وابنته وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها من أنت منه قالت ابنته أصلح الله الامير ثم انشأت تقول

الطوفان وقع في زمانه وكان علاء في الارض وتجبر وغصب الناس اموالهم وانفسهم ونساءهم وعمل ما لم يعمله احد من الملوك قبله واسرف في القتل وهابته الملوك واقروا له بالطاعة وهو الذي كتب الى الدرشيل ملك بابل يشير اليه بقتل نوح عليه السلام فنعه الله منه وكان عند اهل مصر علم بالطوفان فاتخذوا السراديب تحت الارض وصفحوها بالزجاج واتخذ الملك عتة منها له ولاهل بيته وكان رئيس

أحجاج لم تشهد مقام بنائه * وحمائه يندبنه الليل اجمعا
أحجاج لم تقتل به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا ان تزدنا تضعضعا
أحجاج اما ان تجود بنعمة * علينا واما ان تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال والله لاعنت الدهر عليكن ولازدتكن تضعضعا وكتب الى عبد الملك يخبره الرجل والجارية فكتب اليه عبد الملك ان كان الامر كما ذكرت فاحسن صلته وتفقد الجارية ففعل وقال عاصم بن بهدلة سمعت الحجاج يقول اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ليس فيه مثنوية والله لو أمرتكم ان تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلت لى دماؤكم ولا أجد أحدا يقرأ على قرأة بن ام عبد يعنى ابن مسعود الا ضربت عنقه ولاحكتها من المصحف ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الاعمش فقال وانا سمعته يقول فقلت فى نفسى لاقرأنها على رغم انفك قال الاوزاعى قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قال منصور سألنا ابراهيم الشجاعى عن الحجاج فقال ألم يقل الله الا لعنة الله على الظالمين قال الشافعى يلغنى ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج ما من أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ منها شيأ قال يا أمير المؤمنين انا الجوح حقود فقال له عبد الملك اذا بينك وبين ابليس نسب فقال ان الشيطان اذا رآنى سالمنى قال الحسن سمعت عليا على المنبر يقول اللهم انهم خذلونى ونصحتهم فغشونى اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم فى دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الزيال مفجر الانهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج قال حبيب بن ابى ثابت قال على لرجل لاتموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف قال لبقال له يوم القيامة اكففنا زاوية من زواياجهنم رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لايدع لله معصية الا ارتكبها حتى لو لم تبق الا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه وقيل احصى من قتله الحجاج صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وقيل ان الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر فى مشيته فقال رجل لخالد من هذا قال خالد بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعهما الحجاج فرجع وقال والله ما يسرنى ان العاص ولدنى ولكنى ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش وانا الذى ضربت بسيفى هذا مائة ألف كلهم يشهد ان أباك كان يشرب الخمر ويضرب الكفر ثم ولى وهو يقول بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف فى بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد

* (ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله) *

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا واعطوا الطاعة وسأله أهل سرشت وهى مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون فى البحر ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وهرب وقيل بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر

نحن قتلنا ذاهر ا ودوهرا * والخيل تردى منسرا فمنسرا

الكهنة اقليمون راى رؤيا وامر فيها بالسوق الى صاحب السفينة واقام فرعان الملك منهمكا فى ضلاله وظلمه فاستأذن اقليمون الملك بالسير الى بابل حتى ينظر فى امر نوح عليه السلام ويتناظر معه ثم يأتيه بالخبر فأذن له الملك فى ذلك فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى وصل الى نوح عليه السلام آمن به هو وجميع من معه ولم يزل هو ومن معه فى خدمة نوح عليه السلام الى ان ركبوا السفينة معه واقام فرعان منهمكا فى ضلاله

ومات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا

اضاعوني وأي فتى اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال

فلئن ثويت بواسط وبارضها * رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب قينة فارس قد رعتها * ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت * اناث اعدت للوغى وذكور

وما دخلت خيل السلاسل أرضنا * ولا كان من عك على أمير

وما كنت للعبد المزونى تابعا * فيالك دهرا بالكرام عثور

فعذبه صالح فى رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى الخوارج وقال حمزة بن بيض الحنفى يرثى محمدا

ان المروأة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سودد امن مولد

وقال آخر ساس الرجال لسبع عشرة حجة * ولداته اذذاك فى لشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع جيشية ابن ذاهر الى برهمنا باذ فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشية والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن ولى السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشية بن ذاهر العبور وأرسل اليه انى قد اسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى واست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم تراد اوكفر جيشية وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا فى بطيحة فاخذ جيشية اسيرا وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد ان يمضى الى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذا كشبا وصك بها سور المدينة فثلمه ودخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروبج وكان الجنيد يقول القتل فى الجزع أكبر منه فى الصبر ووجه جيشا الى أزين فاغار واعليها وحرقوا بضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل ضلها وولى الجنيد تميم بن زيد القينى فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل وفى ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وزفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبى وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظيم الامور

وظلمه مقبلا على لهوه وقد ضاقت الدنيا باهلها وكثر الهرج والقتل وفسدت الزروع واجدبت البلاد وظلم من العباد بعضهم بعضا وجاء الطوفان واقبل المطر عليهم يوم الاحد الرابع والعشرين من شهر آذار عاشر رجب وكان الملك سكران فلم يتحرك من مكانه حتى جرى الماء عليه فوثب مبادرا يريد الهرم الذى بناه فتلجلجت الارض وطلب الاسراب فخانته رجلاه وسقط على وجهه وجعل

فاغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهى التى ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته وكان خالد القسرى يقول واعجبا وليت فتى العرب يعنى تميما فرفض وترك وولیت ابخل العرب فرضى به ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة المباركة العباسية ونحن نذكر ان شاء الله أيام المامون بقية أخبار السند

يخور كما يخور الثور الى ان اهلكه الطوفان ومن دخل الاسراب منهم هلك بغمها ويلحق الماصن اعلى الاهرام الى اخر الترجمة وهو ظاهر عليها الى الآن وليس بين اهل التاريخ اختلاف فى عموم الطوفان جميع الارض

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها وفيها فتح آخر الهند الاالكبير والمندل وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الوضاحى بارض الروم ونحو ألف رجل معه وفيها ولد المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وحج بالناس

هذه السنة كثير بن الوليد بن عبد الملك وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها

مات أبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل وكان عمره مائة وثلاثين سنة

وقيل فى موته غير ذلك وفيها مات سعد بن اياس أبو عمرو الشيبانى وله مائة

وعشرون سنة وفى امارة الحجاج مات سفينة مولى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وفى هذه السنة مات سالم بن أبى الجعد وفيها

مات جعفر بن عمرو بن امية الضمرى وهو آخر

عبد الله بن مروان من الرضاعة وفى امارة

الحجاج قتل أبو الاحوص عوف

ابن مالك بن نضلة الجشمى

الكوفى قتله

الخوارج

تم

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس واوله)

(ثم دخلت سنة ست وتسعين)